من وحي الثقلين

بسم الله الرحمن الرحیم

من
وحي الثقلين

مجالس أعدَّها للمنبر
خادم أهل البيت (عليهم السلام)
السيد مرتضى محسن الحسني السندي
أبو حسنين

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ /٢٠٠٧م

الإهداء

إلى القمر المحمدي والبطل الهاشمي

إلى وديعة الإمام الحسن الزكي عليه السلام

إلى شباب الطفوف

من كان الموت عنده أحلى من العسل

في نصرة الحق والحسين عليه السلام

إلى يوسف آل محمد الذي بهر بجماله الأعداء

فانهالوا عليه بالسيوف والرماح والسهام

«القاسم بن الحسن المجتبى»

أرفع بكل تواضع هذا الجهد القليل وعلى نفس الصعيد ليلتقي في زفافه المبارك مدادي الحزين بدمائه الزكية

وأشعل وجودي شمعة تضيء لمواكب الشباب الشهداء

على أمل إحياء النفوس الأبية بهذه المفاهيم الكربلائية

ولتحيا كربلاء

ناصركم مرتضى السِّندي

مقدمة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم والحمد للَّه رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين رسول الملك الديان وفيض الرحمن ومنبع الإحسان وأشرف بني الإنسان حبيب قلوبنا وشفيع ذنوبنا أبي القاسم محمد بن عبد اللَّه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين وأصحابه المنتجبين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين واللعن الدائم من اللَّه والملائكة والجن والإنس أجمعين على الطغاة والظالمين وعلى كل من أساء ويسيء أو سيسيء لشريعة سيد المرسلين وعترته الميامين وبعد فقد صح عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**اني تارك فيكم أو مخلف فيكم الثقلين كتاب اللَّه وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما**».

ومن أجل نظرة متوازنة كانت هذه المجالس والمحاضرات التي أعددتها للمنبر الحسيني الشريف والتي عنونتها تحت عنوان «**من وحي الثقلين**» وهي ثمرة جهود مضنية وأيام وليالي إستغرقناها بالبحث والتحقيق والتقصي وكان منهجي في إعداد هذه المحاضرات كالآتي:

في كل عام عندما يظلنا شهر رمضان الكريم بالرحمة والغفران أستثمر أسحاره الجميلة بتلاوة القرآن الكريم وبمعدل جزء واحد يومياً وكان التدبر في آيات الجزء المقروء بعد صلاة الفجر يستغرق أكثر من ساعة من الزمن وكنت أضع جنبي دفتراً للهوامش والأفكار التي تنقدح في ذهني عند قراءة القرآن وبعد الشهر الفضيل كنت أجمع تلك الهوامش والمواضيع وأبدأ عملية البحث والتحقيق وبعد تحديد محاور البحوث كنت أضع بين يدي تفاسير المدرستين ولسان العرب وكتب التاريخ والحديث والأدب وأستطلع آراء زملائي الخطباء الذين لي عليهم حق النصيحة والتوجيه والإرشاد أمثال **الشيخ عبد**

الحميد المهاجر والمرحوم الشيخ أحمد الوائلي والشيخ يوسف دكسن والسيد حامد الميالي والشيخ سعيد الساري والشيخ مصطفى المنصوري والشيخ زكي النعماني وأساتذتي في الحوزة وإخوتي وزملائي من المثقفين ورواد المنبر الواعين وبعض الأساتذة الجامعيين خاصة **الدكتور أسعد أحمد علي** الذي كان له بالغ الأثر في تكوين شخصيتي ولوني الأدبي الخاص والمميز، وبعد كتابة المجلس من هذه المجالس كنت أتباحث حول محاور البحث ومفردات الموضوع مع أرباب الفن فأضيف أحياناً وأشطب أخرى وأصحح مرة وأدافع أخرى حتى أنتهي من إقرار المجلس وقراءته على المنابر التي كنت أرتقيها في سوريا ولبنان والبحرين وعمان والمملكة العربية السعودية مواسم الحج، ولا يفوتني أن أنوِّه بالمستوى العلمي والأدبي الراقي لروّاد مجالسي ولا أجانب الحقيقة لو قلت بأنني كنت من قراء مجالس النخب الواعية والساسة ومن مشارب فكرية مختلفة وبالأخص المجلس الحسيني الذي كان يقيمه دولة **رئيس مجلس النواب اللبناني الاستاذ نبيه برِّي ومجلس جمعية التنمية الاجتماعية والثقافية في النبطية ومجلس مؤسسات الإمام السيد موسى الصدر** الذي تديرها بجدارة **السيدة رباب الصدر**، ومن أجل منبر رسالي واعي أدعو إخوتي قراء المجالس الحسينية الذين أضع هذه المجموعة بين أياديهم الأمينة إلى إعتبار هذه المجالس نواة لمجالس حسينية خاصة بهم يكتبونها بأقلامهم وأسمح لهم بشطب ما لا يرونه مناسباً وإضافة ما يجدونه متمماً للفائدة لأن المجلس (س) الذي يصلح للقراءة في زمان ومكان معين قد لا يصلح لغيره، وأنا كنت أصنع نفس الشيء مع مجالسي فأراعي مقتضي الحال وأرتجل أكثر الأحيان، وأقسم صادقاً لو أنني كنت سجلت مجالسي الارتجالية التي قرأتها لكانت أكثر من هذه المجالس المكتوبة عشرات المرات، ولكن يواسيني قول أمير المؤمنين عليه السلام «**شقشقة هدرت ثم قرت**»، ولا بد للخطيب من سرعة البديهة وملكة الإرتجال إذ قد يتفاجأ الخطيب بان الحضور في مجلسه خلاف التوقع من حيث الرغبة والتوجه والوعي، مثال ذلك حين يدخل المجلس وهو يحمل موضوعاً فلسفياً أو عقائدياً فيرى الحضور من العمال والفلاحين والكسبة، أو على العكس حين يعتمد أن يقرأ مجلساً

بسـيط الموضوع وإذا بالحضـور من علماء الديـن الكبار والأسـاتذة والجامعيـين، وكم مرة نذهب إلى مجلس للقراءة فنرى ان الموضوع الذي هيأناه لايناسب المكان والزمان والحضور فنضطر إلى تغيير الموضوع. إضافة إلى أن التقليد الأعمى يظهر ضعف الخطيب وعجزه عن المجاراة والمواكبة.

وفي الختام أدعو جميـع رواد المنبر الى التعـاون وتبادل الخبرات من أجـل الإرتقاء بهذه المهمة الخطيرة وأن يتواصلوا بالنصح والتسديد فالمؤمن مرآة المؤمن ورحم اللّـه من أهدى إلي عيوبي لا بقصد التجريح والتسقيط بل بقصد تحسين الأداء وخدمة الصالح العام واللـه الموفق للصواب ولا أنسـى قـول اللّـه تعالى وهـو أصدق القائلـين ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1]

وآخر دعوانا أن الحمد للّـه رب العالمين وصلى اللّـه على محمد وآله الطاهرين.

خادم أهل البيت (عليهم السلام)

السيد مرتضى محسن السندي

أبو حسنين

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

هلاليات

الجحود والصَلَف لدى الظالمين

بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[1]

بين النقاش والجدال والمناظرة والحوار بين متنازعين فوارق واضحة في الأسلوب والدوافع وبالتالي النتائج.

فالذي يطلب النقاش والمناظرة والحوار يسعى إلى عدة أُمور مفيدة بالمحصلة منها:

إقناع الطرف الثاني بأحقيَّةِ أُطروحَتِهِ.

محاولة كسب الطرف الثاني ودعوته للأعتقاد بما يعتقد.

إزالة اللبس والغموض الذي يحيط الموضوع المناقش.

إثراء الموسوعة العلمية الإنسانية بنتائج البحث.

وأهم ما يجب أن يتصف به المحاور والمناقش والمناظر سعة الاطلاع ورحابة الصدر والموضوعية والواقعية والرضوخ لحجّية العقل المنطقي أو المنطق العقلاني او قل الدليل، نحن أبناءُ الدليل كيفما مال نميل.

وقد ورد في الحديث: «**سَلْ مُتفقهاً ولا تسل مُتَعنتاً**» أي لا تجادل جدلاً لا تصل به إلى نتيجة ولا تدور في الحلقات المفرغة.

كثير من الأحيان نبتلى بسائل يسأل لأجل السؤال واحياناً يحاول أن يلفت النظر إلى وجوده وانه يفهم، وأشدهم وأغلظهم الذي يسأل سؤالاً تسقيطيا تعجيزياً وهؤلاء جميعاً يعرفون عند اليونان (**بالسوفسطائيين**).

وأمّا الجدال فهو المقابلة بما يفتل الخصم من مذهبه بحجة أو بشبهة وهو من الجَدْل شدة

(١) سورة هود :٣٢.

القتل، يقال للشعر المجدول جديلة وجدائل ويقال للصقر أجدَل لأنه أفضل الجوارح في فن المراوغة، ويقول العلامة الطبرسي في مجمع البيان إن المطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب وإعجاز الخصم بالكذب والافتراء بعد هذه المقدمة التوضيحية نسترسل مع الآية الكريمة موضوع البحث، بعد تسعمائة وخمسين عاماً من التبليغ وباستخدام كافة أساليب الإقناع ليلاً ونهاراً سرَّاً وجهاراً وصل شيخ الأنبياء نوح عليه السلام إلى طريق مغلقة حسب قناعة القوم وليس هناك أصعب من وصول المفاوضات إلى طريق مسدود، وكما هي إسرائيل مع العرب اليوم في مفاوضات السلام لا تحترم إلتزاماتها ولا القوانين والأعراف الدولية ولا الشرايع السماوية ولا تعترف بشيء من ذلك كله وتتمادى وتعربد وتولول وتقلب الأمور فتظهر بمظهر المعتدى عليه أو الحمل الوديع وهي الذئب الكاسر وكما يقول المثل «**ضربني واشتكى وسبقني بالبكاء**» .

وهكذا كان قوم نوح عليه السلام، فبدل أن يرضخوا لمنطق الدليل والحجة الدامغة انكروا عجزهم أمام قوَّة المنطق الرسالي وشنّوا هجوماً مضاداً على نوح عليه السلام وأتهموُهُ بما فيهم، وفعلاً نلاحظ إن أفضل وسيلة للدفاع الهجوم فقالوا لهُ قد جادلتنا يعني حاولت عبثاً ان تلفتنا عن ديننا فاكثرت جدالنا ولخير ما قال الشاعر وقد قيل أنها لعبد المطلب رضي الله عنه.

نعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا
وما لزمانِنا عيبٌ سوانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئبٍ
ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

إنها قمَّة الصلف والعنت الذي هو من أبرز صفات الطغاة الجهلاء لا يعترفون بالعجز عن خصامه وجداله بل يؤيسونه من أنفسهم في الحجاج ويتحدّونه في تنزيل العذاب الموعود إن كان من الصادقين وليس بأفضل من هؤلاء النعمان بن الحرث الفهري الذي تصدّي لرسولِ اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خُم حين نصبَّ بأمر اللّه عليّاً عليه السلام أميراً للمؤمنين

وخليفةً ووزيراً وقـاضي دينٍ من بعده وهرع الجميع يبايعونه رجالاً ونسـاءً حيـث أفرد النبيُّ لعلي عليه السلام خيمة يدخلون عليه فيها مبايعين ومهنئين الرجال بالمصافحة والنسـاء وضع لهن طشـت ماء يضعن فيه أيديهن ويبايعن الأمـير الولي الخليفة وهـذا هو أمر اللّـه ورسـوله، عزَّ الموقف على النعمان الفهري فانبرى لرسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم يسأله بنبرةٍ حادة قائلاً: أمرتنا عن اللّـه أن نشهد أن لا إله إلّا اللّـه فشـهدنا و أنّك رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم فشـهدنا وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها ثم لم ترضَ حتى نصبتَ هذا الغلام خليفة علينا فقلت من كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه. أهذا منك أم من اللّـه فقـال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم واللّـه الذي لا إله إلاّ هو إن هذا من اللّـه، فوّلى النعمان منـزعجاً وهو يقول اللّـهـم إن كان هذا هو الحقُّ من عندك فأمطِر علينا حجارةً من السـماء فرماه اللّـه بحجر وقع على رأسـه وخرج من أسفله ومات إلى جهنم وبئس المصير.

وعلى هذا الشـاكلة كان قَتَلـة الإمام الحسـين عليه السلام يوم عاشـوراء، خرج إليهـمُ الامام الحسـين عليه السلام يعظهم وينصحهم ويحذرّهم من ارتـكاب الجريمة التـي أصروّا على ارتكابها حتى ألقى على القوم سـبع خطابات وفي كل مرّة يخرج اليهم بهيئة تذكرّهم بموقعه من رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم فتارة يركب فرَسَ جدِّهِ وتارة يتقلد سيفه وتارة يلبس عمامته والقوم نزعت الرحمة من قلوبهم.

فقال له شمر: هو يعبد اللّـه على حرف إن كان يدري ما يقول وصاح ابن حوزة التميمي أفيكم حسين؟

وفي المرة الثالثة قال أصحاب الحسين عليه السلام هذا الحسين فما تريد منه؟

قال يا حسين أبشر بالنار.

فقال الحُسَين: كذبت بل أقدم على ربٍّ غفور فمن أنت؟

فقال: ابن حوزة قال الحسين عليه السلام اللّـهم حُزه إلى النار فغضب الرجل وأقحمَ الفرس فهاج به وألقـاهُ في النار وصـار إلى جهنم وبئس القـرار، هذا والحسـين عليه السلام يبكي ودموعه

تجري على لحيته الكريمة، عاد إلى الخيام لقيته الحوراء باكي العين قالت له أخي ممّا بكاؤك فداؤك نفسي؟

قال أُخيَّة أبكي لهؤلاء الذين سيدخلون النار بسبب قتلي:

ووجدتك النفسَ الكبيرة لم تكن

حتى على من قاتلوكَ حقودا

ثم إن جيش ابن سعد أحاطوا بعسكر الحسُين عليه السلام فخرج إليهم زهير بن القين رضي الله عنه وهو يقول: عباد اللَّه إن ولد فاطمة أحق بالودِّ والنصر من ابن سُميَّة، فان لم تنصروهم فأُعيذكم باللَّه أن تقتلوهم فصاح به شمر: اسكت أسكت اللَّه نامتك، لقد أبرمتنا بكثرةِ كلامك ثم خرج الحسين عليه السلام وهو يقول **ألا وإنَّ الدعيّ بن الدعيّ قد ركز بين إثنتين بين السَّلة والذِّلة وهيهات منَّا الذلة يأبى اللَّه لنا ذلك ورسولُهُ والمؤمنون وحجورٌ طابت وطهرُت وأنوفٌ حميَّة ونفوس أبيَّة من أن تؤثِرَ طاعة اللئام على مصارع الكرام**

فإن نهزم فهزّامون قِدماً وإن نُهزم فغير مهزمينا
وما إن طبنُّا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا
إذا ماالموت رفَّع عن أُناس كلاكله أناخ بآخرينا
فأفنى ذلكم سرواة قومي كما أفنى القرون الأولينا
فلو خلد الملوك إذاً خلدنا ولو بقي الكرامُ إذاً بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

***

دار العسكر إعله حسين ياحيف ناسٍ بالرماح وناس بالسيف
يشبه دورها إعله الليث المخيف بياض العين بصبيّها إيتدوَّر

***

أوچـــب يـــستريـح حـــسين ساعة ضعف حيله وثـگـل بالسيف باعه
رَّن الحـجـر مـــن وجـهـه بشعاعه ودَّمــــــه مـثـل مـــاي الــعــين فجرَّ

***

شـــال حـــسين ثــوبــه يـمـسح الدم ولـــن سـهـم المـثـلـث نـاجـع ابسم
إبـگـلـبـه وگـــع لاوَّخر وجدَّم هـــوه وإظـلـم هـواهـا والــسـما إحمر

أساليب الدعوة إلى الله

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾
صدق اللّه العلي العظيم[1]

منذ مُدَّةٍ ليست ببعيدة أصبحت برامج التوعية والتثقيف الديني تعاني من تدني مستوى الإفادة وتصل أحياناً كثيرة إلى طريق مسدود وتفرز أوراماً أصعب من الأورام السرطانية في جسم الأمة الإسلامية المنهك والمصيبة الأدهى والأعظم هي موجة التكفير والتطهير العرقي التي تنتج عن هذه الصراعات والتي اعادت الامة إلى عصور ما قبل الجاهلية وجهلنا المركب دفعنا إلى:

وكلٌ يدّعي وصلاً بليلى
وليلى لا تقر لهُم بذاكا

أيَّامٌ كان يتوقعّها رسول اللّه ﷺ فيقول الصادق الأمين: لقد افترقت أُمة موسى عليه السلام بعد نبيهّا إلى إحدى وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقي في النار، وافترقت أُمة عيسى عليه السلام بعد نبيها إلى إثنين وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقي في النار، وستفترق أمتي بعدي إلى ثلاث وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقي في النار وقد نظمها الشافعي شعراً فقال:

ولما رأيتُ الناس قد ذهبت بهم
مذاهبهم إلى أبحر الغيِّ والجهلِ
ركبت على اسم اللّه في سفن النجا
وهم آلُ بيت المصطفى خاتم الرسلِ

---

(١) سورة ق: ٤٥.

وأمسكت حبل اللَّه وهو ولاؤهم
كما قد أمرنا بالتمسك بالحبلِ
إذا افترقت في الدين سبعون فرقةً
ونيفاً كما قد جاءَ في محكم النقلِ
ولم يك ناج مِنهُمُ غير فرقةٍ
فقل لي بها ياذا الرجاحة والعقلِ
أفي الفرق الهُلاَّك آل مُحمّدٍ
أم الفرقة التي نجت منهموا قل لي
فان قلت في الناجين فالقول واحدٌ
وإن قُلت في الهُلاَّكِ حِدتَ عن العدل
فخلِّ عليّاً لي إماماً وهادياً
وأنتَ من الباقين في أوسع الحلِّ

لقد سوَّغ هؤلاء لأعداء الإسلام أن ينعتونا أبشع النعوت ووهبوهم المبررات لحربنا وأظهروا ديننا بابشع صورة حتى صار بعض المسلمين في بعض البلاد العربية يتنصّرون بل يكفرون بكل القيم جرَّاء هذه الممارسات الخاطئة التي شوَّهت صورة الإسلام الواقعية، فبدل أن يسوّقوه كمظهر من أروع مظاهرالتحضرُّ والانسانية صدّروه بشكل جعل الأعداء يصفوه بالإرهاب. لذا صار لزاماً على كل غيور على دينه إعادة برمجة العمل الإسلامي وتبني النهج القرآني الواضح ليعود إلى الإسلام وجهه المشرق واحترامه عند الأُمم الأُخرى ونجنب أُمتنا الإسلامية الخوض في حروب صليبية جديدة لا طائل منها، خشية من غلبة الروم الثانية التي وعَدَ بها القرآن الكريم، فحروب الأمس البعيد قطرة في بحر الحروب الحالية وبلادنا اليوم فيها النفط وغيره من الثروات التي فتحت شهية الدول الاستعمارية لإعادة إستعمارنا وبأساليب يقصر الشيطان بمكره عن التفكير بها.

بعد هذه المقدمة التي كانت المبرر للتدبر في مضامين الآية موضوع البحث نُسرِّح النظر في مفرداتها ونقسّم البحث فيها إلى أربع محاور حسب ما ورد في الآية الكريمة:

١. يثبت الخالق جلّ وعلا لرسوله محمد ﷺ إنه أعلم من كل عليم بأحوال الناس، أقوالهم، أفعالهم، منتهى آمالهم وما يفكرون به، وعلى هذا يا رسول اللّه ﷺ لا تتألم إن جوبه علمك بالجهل وحلمك بالغلظة وعفوك بالجبر وفعال خير تحاول نشرها بالشر الذي يملأ نفوسهم، فأول الآية كما قال المفسرون تسلية لقلب النبي ﷺ وجرعة كبيرة من الدعم المعنوي يضخها الحق في قلوب الذين آمنوا، فالحق يعلم ما يخفون وما يعلنون وهو بكل شيء عليم.

٢. يعتمد النبي ﷺ بأمر اللّه جل وعلا في دعوته الناس إلى الصلاح والهدى أسلوب الدعوة السِلميّة ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ [النحل : ١٢٥] ويبتعد عن أساليب القهر والتجبر والارهاب الفكري التي يستعملها الجبابرة والطواغيت في فرض آرائهم وبسط سلطانهم على ملايين المستضعفين فاللّه يقول: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾(١) الارهابيون يقولون اقتل شيعياً تدخل الجنة ومحاربة فكر أهل البيت عليهم السلام ومدرسة اللاعنف من أوّل الأولويات قبل حرب الصهاينة وأعداء الإسلام، إنتهز كافر قيلولة النبي ﷺ تحت شجرة خارج المدينة وجثى على صدره ووضع السيف على نحره وصاح: من الذي يخلّصك الآن مني يا محمَّد؟ فهتف رسول اللّه ﷺ وهو الواثق بربه: اللّه ربي، فانفلت حجرٌ من تحت رجل الكافر وانقلبت موازين المعركة ووضع النبيُّ ﷺ سيفه على رقبة الكافر وقال له: من الذي يخلصك الان مني؟

فقال الكافر على الفور: حلمك يا محمّد!! إن الذي جرَّأكم على إنتهاك حرماتنا وحرمات مقدساتنا هو علمكم بأننا قرآنيون في نهجنا محمدّيون في أخلاقنا علويّون في صبرنا وأرجو أن لا يفوتكم أننا حسينيون بإبائنا، رحم اللّه ابن صيفي الشاعر حيث يقول:

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٦

ملكنا فكان العفو منا سجية
ولما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما
غدونا عن الاسرى نعف ونصفح
فَحَسَبُكُمُ هذا التفاوت بيننا
وكلُّ إناءٍ بالذي فيه يَنضَحُ

مادام اللّه ربنا قد وعدنا بالنصر فسنبقى أوفياء لديننا وشعارنا ما حكاه القرآن عن لسان هابيل عليه السلام حين تقدم الإرهابي قابيل لقتله: ﴿**لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾(١)

٣. المحور الثالث من محاور الآية الكريمة توّجه الإرادة لتوجيه خطة الرسالة نحو الفكر القرآني والتدبر فيه وإحياء القلوب بذكر اللّه لأن المداومة على ذكر اللّه تهب الانسان ملكة التعقل وتوفر له الاطمئنان النفسي ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾(٢) إن التركيز على محور التدبر في القرآن يعصم الأمة من الوقوع في الشبهات المهلكة ويجب ان لا يفوت اللبيب التمسك بكتاب اللّه الصامت منه والناطق لا أن يلتزم بثقل ويحارب الآخر لأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض يوم القيامة.

٤. أما الجزء الأخير من الآية فنرى فيه التأكيد على تخصيص التذكّر القرآني بالمؤمنين الذين يؤمنون باللّه واليوم الآخر فهم يخافون الوعيد أما الذي لا يخاف الوعيد فلا فائدة ولا جدوى من نصحه وإرشاده لأنه بالأساس غير متوجّه ولا يعتقد بالمعاد والحساب والثواب والعقاب، وهنا يروق لي أن أذكرِّ بعض الأخوة الذين يتقربون إلى الأعداء ويمزّقون صفوف الأخوة، أذكِّر نفسي وإياهم بأن المحافظة على وحدة الصف الداخلي هو البوابة الصحيحة التي تؤدي وبشكل سليم إلى فناء الوحدة الإسلامية بل الإنسانية.

(١) سورة المائدة :٢٨.
(٢) سورة الرعد : ٢٨.

ولعلنا نتعلم درساً من الفلاحين، إستصلح تربة بستانك وازرعها وانتفع بثمرها ثم تحوّل لاستصلاح الأراضي البور التي لا أمل في إصلاحها وفي كلام اللَّه هذا خير دليل على ما نقول، فالحق يأمر نبيَّهُ أن يذّكر بالقرآن فقط من يخافُ الوعيد، ولن يضرَّكم من لا يخاف الوعيد، والقافلة تسير ولا يهمها نباح الكلاب، عليك يا رسول اللَّه ﷺ أن توفر جهدك للمؤمنين ولا تأسى على القومِ الكافرين فاللَّه يعلم سرَّهم وجهرهم وإلى اللَّه المصير إن الأوراق لا تختلط ولا تلتبس الأمور إلَّا على الذين لا يخافون المعاد وينحرفون عن مُحمَّد وآله عليهم السلام وخير مثالٍ على ذلك عمر بن سعد بن أبي وقاص الذي وقف يوم عاشوراء ينادي:

فو اللَّه لا ادري وإنّي لحائرٌ
أُفكِّر في أمري على خطرينِ
أأترك مُلك الريّ والريّ مُنيَتي
أم ارجع مأثوماً بقتل حسينِ
حسين ابن عميِّ والحوادث جمَّة
لعمري ولي في الريّ قُرةَّ عينِ
يقولون إن اللَّه خالق جَنَّةٍ
ونارٍ وتعذيبٍ وغلِّ يدينِ
فان صدقوا فيما يقولون إنّني
أتوب إلى الرحمن من سَنَتَيْنِ
وإن كذبوا فُزنا بدُنيا عظيمةٍ
ومُلكٍ عظيمٍ دائم الحَجَلَيْنِ

فبرز له الحُسين عليه السلام وهو يرتجز بلسان الواثق بربه والخائف من يوم الوعيد:

انا الحسين بن علي

آلـــــــيت أن لاأنثني

أحـــمـــي عـــيـــالات أبي

أمـــضـــي عـــلـــى ديـــن النبي

***

الـدنـيـة نغطت لـغـيـري بچتلي

وأشوف عيون كل مسلم بچتلي

إنـجـان الـديـن تـأيـيـده بچتلي

إخذيني يـا سـيـوف عـلـوج أمية

سعة النفس

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إلا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾(١)

بين سعة النفس البشرية والتكاليف الشرعية توازن واضح تظهره الآية الكريمة موضوع البحث ينتج عنه عدالة نوعيـة تحققها إرادة اللّــه جلَّ وعلا للعباد فهـم لا يظلمون وللبحث في فهم مضامين هـذه الآية المباركـة علينا أن نضرب بعـض الأمثلة على اختـلاف الإمكانات بالشـكل الذي لا يترك مجالاً للمتحذلقين للغمز والهمز واللمز فالبشر بـل الخلق يتفاوتون في مسـتوى الاسـتجابة للأوامر الإلهية والإنتهاء عن الزواجـر والنواهي الربانيـة وهذا التفاوت منشأه اختلاف قدرات الاستيعاب.

يقول اللّـه في محكم كتابه المجيد:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾(٢)

﴿وَفَضَّلَ اللّـهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾(٣)

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾(٤)

﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُم الفائزون﴾(٥)

ليس العالمُ كالجاهل وليس الذكر كالأُنثى وليس الغني كالفقير وليس الظالم كالمستضعف وليس الحاكم كالمحكـوم وليس القوي كالضعيف وليس السـليم كالسـقيم بـل ليس الابرار

(١) سورة المؤمنون :٦٢.
(٢) سورة الزمر : من الآية٩.
(٣) سورة النساء : من الآية٩٥.
(٤) سورة السجدة :١٨.
(٥) سورة الحشر : ٢٠.

كالمقربين «**فحسنات الأبرار سيئآت المقرّبين**» .

فإن كان خزّان وقود سيارة «الفولكس فاكن» يسع «٦٠» لتراً من الوقود فخزان «المارسيدس» يسع حوالي «١٠٠» لترٍ من الوقود وإن كان بعض المركبات تسير بالبنزين فالبعض الآخر يسيّرها المازوت والطائرات يسيرها الكيروسين والقطارات بالبخار والمترو بالكهرباء وهكذا دواليك.

فلو تصوّرنا بانا أعطينا كل واسطة من هذه الوسائط بطاقة تموينية يحصلون بها على «٥٠» لتر من البنزين فهل ترانا حققنا العدالة بتوحيد العطاء وهل ساعدنا هذه الوسائط على العمل؟ الجواب كلا وظاهراً فإن عملنا هذا أربكَ الجميع. يعترض بعضنا أحياناً على مواهب اللّه التي يخصُّ بها البعض ويحرم البعض: ﴿**وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ**﴾[1] ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ**﴾[2] إن كنت تعتقد بأن اللّه حكيمٌ وعادلٌ فيجب عليك أن تعتقد بأنه يضع الرجل المناسب في المكان المناسب وينزل العطاء على الظرف الذي بوسعه استيعاب ذلك العطاء.

رزقك بالمقدار الذي تحتمله وعلمك بالمقدار الذي تطيقه وإبتلاك بالمقدار الذي تحتمله والعادل يثيبك على حُسن أدائك وطاعتك لمولاك.

إذاً من كُلٍّ حسب طاقته والثواب والعقاب بمستوى الاستجابة يقول أميرُ المؤمنين عليه السلام: «**إن اللّه سبحانه أمرَ عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلَّف يسيرا ولم يُكلِّف عسيرا وأعطى على القليل كثيراً ولم يعصِ ولم يطع مكرهاً ولم يرسل الأنبياء لعباً ولم ينزل الكتاب للعباد عبثاً ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا فويلٌ للذين كفروا من النار**» .

قد ترى تجاوزاً هنا وظُلماً هناك وقد ترى جائعاً هنا ومتخماً هناك، ذلك من ظلم العباد

---

(١) سورة النحل: من الآية٧١ .

(٢) سورة الشورى: ٤٩ .

والحساب عليه يوم المعاد ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[١] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[٢]

على ضوء ما تقدم فان الأنبياء والأوصياء والأولياء والأمثل فالأمثل أكثرُ النفوس سَعَةً وأعظمها إمتحاناً وأفضلها درجة عند اللَّه وما أحسن قول الشاعر:

وإذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الأجسادُ

وصحَّ في الحديث «**أكثر الناس إبتلاء الأنبياء فالأوصياء فالأولياء فالأمثل فالأمثل**»

لقد وجد اللَّه في نفوس أنبيائه السعة التي تسع الأمتحانات التي امتحنهم بها ووجد عند خمسةٍ منهم عزماً على تحمل المصاعب والمحن التي لا تحتملها الجبال لقد امتحن الحق أنبيائه ورسله الذين اصطفى أصعب الامتحان وابتلاهم بأعظم البلاء وجزاهم بما صبروا وجاهدوا أفضل الجزاء وكذلك وفق القاعدة التي شرَّعتها الآية الكريمة، فالتكاليف جاءت على حسب سعة النفوس والجزاء جاءَ على حسب الأداء وكان سهمُ نبيِّنا مُحمَّد صلى اللَّه عليه وآله من هذه الامتحانات السهم الأكبر وعطاؤه كان الأعظم والأوفر وكان جزاؤه عند اللَّه الأفضل والأكثر ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[٣].

لقد وسع الحبيب المصطفى بقلبه الكبير وصنوه الأمير وببضعته الزهراء ذات الضلع الكسير وبسبطيه المسموم والذبيح الملقى ثلاثاً في حرِّ الهجير، وسع إرث جميع المسؤوليات عن أنبياء اللَّه والمرسلين الذين احتملوا في سبيل اللَّه ما وسعهم إحتماله، ليأتي الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فيحتمل عنهم مالم يسعهم إحتماله فهو سبط المبعوث ليتمّ مكارم الأخلاق وعليه أن يتم ما بدأه آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى ومحمد وعلي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أيُّ نفسٍ كبيرةٍ وسعت كل هذا الميراث و أيُّ يوم في التاريخ هو يوم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم عاشوراء «**لا يوم**

(١) سورة الشمس: ٩ـ١٠.
(٢) سورة الزلزلة: ٧ـ٨.
(٣) سورة الضحى: ٥.

كيومك أبا عبد اللَّـه» .

نزل كربلاء وهو يعلم علم اليقين بما عليه وماله وما هي نتائج صبره العظيم، وقف ينظر إلى الأُلوف التي زحفت لحربه وقتاله أخذتـه الرأفة بحالهم وترقرقت الدموع في عينيه، نظرت إليه الحوراء زينب روحي فداها فقالت له أخي بكاؤك فداؤك نفسي، قال أُخيَّه زينب من أجل جيش يدخل النار بسبب قتلي:

ووجدتك النفس الكبـيرة لم تكن حتى عـلى من قاتلوك حقـودا ثم حمل عـلى القوم حملة الليث المغضب يقاتلهم قتال الأبطال يحملُ تارة على الميمنة وهو يرتجز ويقول:

الموت أولـى من ركـوب العار

والـعـار أولـى مـن دخـول النار

والـلَّــه مـن هــذا وهــذا جاري

ويحمل أخرى على الميسرة وهو يرتجر ويقول:

أنــــا الحــــسين بــــن علي **آلـــيـــت أن لا أنثني**

أحمــــي عــــيــــالات أبي **أمــضــي عــلــى ديــن النبي**

فقتل من القـوم مقتلة عظيمـة وإذا بهاتف السـماء ينادي يا حسـين متى الوفـاء يا وريث الأنبياء.

السـلام عليك يا وارث آدم صفـوة اللَّـه السـلام عليك يا وارث نوح نبيّ اللَّـه السـلام عليك يـا وارث إبراهيم خليل اللَّـه السـلام عليك يا وارث إسماعيل ذبيح اللَّـه السلام عليك يا وارث موسـى كليم اللَّـه السلام عليك يا وارث عيسى روح اللَّـه السلام عليك يا وارث محمدٍ

حبيب اللَّه السلام عليك يا وارث عليٍّ ولي اللَّه

السلام على الشهيد ابن الشهيد

نثرت دموعَ الحزن من دون منةٍ

تردت رداء الأرجوان بحرقةٍ

ويمَّمت طرفي للطفوفِ بحجَّةٍ

وإن قصَدَ الحُجَّاجُ بيتاً بمكَةٍ

وطافوا عليه والذبيح جريحهُ

***

وَقَفتُ على خير الديار مُسلِّماً

ونفلي بها بعدّ الفروض مُتمِّما

وقد صار غُسلي دونَ ماءٍ تيمّما

فإنِّي بوادي الطَفِّ أصبحتُ مُحرِما

أطوفُ ببَيْتٍ والحُسَيْنُ ذَبيحُهُ

***

قضَيتُ طوافَ الحزنِ حَوْلَ المصارعِ

صراخُ اليتامى والأيامى بمسمعي

ونارُ خليلِ اللَّهِ مابين اضلعي

وتسألني عن زمزمٍ هاكَ أدمعي

أو الحَجَرِ المثلوم هذا ضريحُهُ

***

يللي تناشدني عليمن تهمل العين

كل البچة والنوح والعبرة على حسين

ابــجــي عــلى مصابه كــل صبح ومسية

أنحب واساعد باليكه الزهرة الزكية

لا زال تــنــدب يــا ضــحــايــا الغاضرية

يحسين يبني يا عزيزي وقــرة العين

***

حبه بگلبي وتــظــهــره بصبها دموعي

مجبور فــي حبة ولا أشــوفــة بطوعي

يــا ليت گبل ظلوعة إنــرضــت ظلوعي

ومن كبل خدة إتعفرت مني الخدين

***

طريقان لا ثالث لهما

بسـم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَـإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَـنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾(١)

تقسم الآيات آنفة الذكر الناس إلى مجموعتين:

الأولى: وهي التي تتصف بالطغيان وحب الدنيا.

الثانية: وهي التي تعرف بخشية اللّـه ومخالفة النفس وأهوائها.

والنتيجة الحتميـة للمجموعة الأولى هي الخلـود في الجحيم وأما مصـير المجموعة الثانية فهو الخلودُ في النعيـم جمعتني الظروف مرة بمهنـدس أوروبي ودار بينـي وبينه حديث أبديت فيه اعجـابي بالنظام الـذي ينظِّم الحيـاة الاجتماعيـة في بلادهم فتبسَّـم وقال هل تتصـور بأننا منظمون بدافع من روح التمدّن والتحضّر؟ قلت له: نعم. قـال: صدقني إن الذي يجعلنا على هذا المسـتوى من الرُّقي هـو خوفنا من صرامـة القوانين الوضعيـة التي لولاهـا لرأيت بلادنا تعيش حياة القرون الأولى، أي لكانت أشبهُ شيءٍ غابة تتصارع فيها الوحوش البقاء فيها دوماً للأقوى.

فقلت في نفـسي إذاً نحن في بلادنا العربية والاسـلامية أكثر تمدُّنا وتحـضراً منهم إن طبقنا القوانين الشرعيـة حُبّاً لا خوفـاً وإن كان الثـواب والعقاب في الـدار الآخرة والسـؤال الذي تطرحـه الآيـات علينا هـو ما الذي جعـل الطاغـي يطغـى وما الـذي دفعـه إلى التكالب على الدنيا؟؟

(١) سورة النازعات: ٣٧ـ٤١.

وما أحلى الجـواب الذي نجـده في صفات أهـل النعيم والجنـة، فكل واحـد منهم يخاف مقام ربه ذلك الخوف الذي يحكم السـيطرة على تصرفات النفس البشرية التي هي على الأعم الأغلب أمَّـارة بالسـوء إلَّا من رحـم ربي وما دام الانسـان يتحرك بـين الخـوف والرجاء فإن التصرف سيكون متوازناً عقلائياً وعاقبته روح وريحان وخلود في الجنان.

بعد هـذه المقدمة البسـيطة تبـين ان الأصل الخامـس من أصـول الدين والاعتقـاد الجاد والواقعي به هو المنظم الفعال للعلاقات الاجتماعية، ألا وهو معاد يوم القيامة.

فالإنسـان الذي يعتقد بالمعـاد يـوم القيامة يضع الحـق بين عينيـه في كل حركـة يقوم بها ولا يخطو خطوة واحدة دون حساب لأنه يرى اللَّـه بين عينيه وخلفه وعن يمينه وشماله ومن فوقه ومن تحته ﴿**فاللَّـه بكلِّ شيءٍ محيط**﴾.

ولا أنسـى قصة المعلم الذي طلب من تلاميـذه أن يأخذ كل واحد منهم طـيراً يذبحه في مكان لا يراه فيه أحـد وكان قصده «الأحد «فعـادوا إليه وكلٌّ منهم يـروي رواية فواحدٌ أخذ الطير بعيداً عن والديه وآخر عن رفاقه وآخر إلى سطح الدار وزميله في السرداب وهكذا ذبح الجميع طيورهم إلا أحد التلاميذ الذي عاد والطيرُ في يـده وهو يعتذر للَّـه ولمعلمه لأنه لم يجد مكاناً بعيـداً عن رقيب وعتيد فهـما عن يمينه وعند شـماله يحملون أحدث طـراز من كامرات الفيديـو الإلهية تصـوِّر كل شيءٍ ونسـخة الفيلـم نحملهـا معنا يوم الحسـاب صحيفـة أعمالٍ لا تغادر كبيرة ولا صغيرة إلا وقد أُحصيت علينا.

لا نخالف تعليـمات المـرور ولا نتجـاوز الإشـارة الحمـراء خوفاً مـن شرطي المـرور أو عدسـات المراقبة التي تعطينا صورتنا أثناء ارتـكاب الجرم في المحكمة ولا نخـاف الكامرات التي ترافقنا طيلة فـترة حياتنـا ولا تتعطل ولا تتوقـف ولا يغيب من الارشـيف الخاص بيوم القيامة شيْ ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾[١].

ومن هنا يتبيّن لنا إن الذي يدفع الانسان إلى الطغيان والتجبر هو تصوره بأن اللَّـه لا يراه

---

(١) سورة الزلزلة: ٧ـ٨.

ولا يحاسبهُ وإنه قد إستغفل الملائكة بشطارته وحنكته أو إنه لا يقرّ أصلاً بيوم المعاد وهذا التصوُّر أخطر شيٍ على البشرية، لأن الشخص الذي يعيش في ظل القوانين الوضعية الصارمة وهو واثق بان أنفاسُهُ عليهِ مُحصاة لا يتوانى عن ارتكاب آلاف المخالفات والمعاصي فكيف به إذا تصوَّر ما تيقنه أبو سفيان بين لُمَّة من بني أمية عند عثمان بن عفان وكان عليٌ عليه السلام حاضراً دون أن يعلم بوجوده أبو سفيان، قال لأقرانه هل في المجلس من يحتشم يعني غريب فاستحى القوم أن يبلغوه بوجود أمير المؤمنين عليه السلام قال عثمان لا يا أبا سفيان فأصحر الرجل عن عقيدته وقال بملئ فمهِ «تلاقفوها» ويعني الخلافة التي هي بالنسبة له الملك، تلاقفوها يا بني أمية تلاقف الصبيان للكُرة فو الذي يحلف به أبو سفيان وكان حتماً يعني هُبَل صنمه الأعظم لا جنَّة ولا نار، وعمل القوم بوصية زعيمهم فتلاقفوها تلقف الصبيان للكرة ولعبوا بمقدرات ملايين المسلمين حتى تمثَّل يزيدهم بأبيات عبداللّه بن الزبعرى[1] قائلاً وقد وضع رأس الدين المفصول عن بدن الأُمَّة في طشت بين يديه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فَرحاً
ثم قالوا يايزيد لاتشل
لست من خندف إن لم أنتقم
من بني أحمد ماكان فعل
قد قتلنا القرم من ساداتهم
وعَدلنا ميْلَ بدرٍ فاعتدل
لعبت هاشم بالملك
فلا خبرٌ **جاءَ ولا وحيٌ نزل**

---

(١) لنا رأي يختلف عن آراء المؤرخين الذين ذكروا الأبيات ونسبوها لابن الزبعري حرصاً على سمعة يزيد، ودليلنا على أنها ليزيد هو صريح اسمه بعد ثم قالوا والمفاخر الأموية التي لا تصح لغيره.

تعال معي إلى الخندق المقابل لترى نماذج لمن يخاف مقام ربِّه كيف يمشي بين الناس وكيف هو سلوكه في حياته اليومية وانت حرٌ في اتخاذ أيِّ النموذجين قدوة تقتدي بها و أسوة تتاسى بها.

جلس الشريف الرضي رضي الله عنه يحدِّث المرتضى رضي الله عنه قائلاً له يا أخي منذ وعيت وإلى يومنا هذا وها أنا قد ذرَّفت على الأربعين لم أرتكب صغيرة ولا كبيرة. ولم أهمّ بمعصية للَّه، فأجابه المرتضى قائلاً يا أخي لم تهمّ وربما فكَّرت أمَّا أنا فلم أفكر بمعصية قط، يقول هذا لأنَّهُ واثقٌ بالمعاد والحساب.

يحكى إن أحد مراجعنا الكرام أيام شبابه مرَّ ببستان وكان جائعاً فوجد في الأرض تفاحة فتناولها وأكلها، وعندما آوى إلى فراشه لينام تحرَّكت فيه النفس اللوّامة وخاطبته مؤنّبة كيف أكلت ما ليس لك وإن كان من مساقط الثمار الذي يباح شرعاً وعرفاً للشارد والوارد، فبات ليلته مسهّداً ينتظر طلوع الشمس حتى يمضي إلى صاحب البستان ليستوهب منه التفاحة أو يسدد له ثمنها، مع إشراقه الشمس توجَّه إلى البستان وطلب صاحبه فخرج إليه رجلٌ وسيم ما إن عرف بالموضوع حتى قال له لي في هذا البستان شريك يسكن في بلدٍ بعيد، أما عن حصتي فأنا قد وهبتك وعليك أن تطلب رضا صاحبي فشدَّ الرحال إليه وبعد مدة طويلة وعناء كبير وصل إليه فقال له مولاي قصدتك من بلادي لكي أُؤدّي لك حق نصف تفاحة أكلتها من أرض بستان لك نصفها فلما رأى الرجلُ هذا الخلق العظيم وهذه الخشية من اللَّه، قال له أهبك ذلك بشرط أن تتزوج بنتاً لي خرساء طرشاء عوراء عرجاء فقال على الفور قبلت فزفت إليه وإذا هي أجمل نساء أهل زمانها.

هذا حال من اقتدى بأئمة الهدى ومصابيح الدُّجى فكيف كانوا هُم ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾[1] مع قربهم وطاعتهم وكثير عبادتهم للَّه وعظيم نفعهم لعباد اللَّه، ما إن يتوجه أحدهم إلى محراب عبادته حتى يصفَّر وجهه وترتعد فرائصه

(١) سورة فاطر: من الآية٢٨.

وينـادي بضعيـف صوته «**يا محسـن قـد أتاك المسـيء فتجـاوز عن قبيـح ما عنـدي بجميل ما عندك**»، إنهـم يـرون اللّـه قبـل كل شيء وبعـد كل شيء وفـوق كل شيء وتحـت كل شيء ولا يفارق ذكـر اللّـه جوارحهم طرفة عين أبـداً في السّراء والضرَّاء والشـدة والرخاء على كل حال.

أوَّلُ الأولويات لديهم رضا اللّـه إنظر إلى الحُسَـين عَلَيْهِ السَّلَامُ حـين يقف على صعيد عرفات كيف يناجي ربـهَّ «**عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبدٍ لم تجعل له من حبك نصيباً**»

أمّا على رمضاء كربلاء فينادي وهو مُضرَّجٌ بالدماء «**إلهي رضاً برضاك ولا معبود سـواك وصبراً على قضاءك ونزول بلاءك**» وحين يطعن بالرمح في خاصرته ينحني له جواده الأصيل فيسـقط إلى الأرض وهو يقول بسـم اللّـه وباللّـه وعلى ملةَّ رسـول اللّـه، لا يـترُك ذكر اللّـه حتى بعد أن فصلوا رأسه الشريف عن بدنه فإنه كان يتلو قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً**﴾(١)

نعم سيدي رأسُـكَ أعجب وأعجب، أخرجت زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ رأسـها من محملها وإذا بها تنظر إلى هلال وجهه وكأني بها:

رأت الـرمـح زيـنـبُ حـين مالا
وعـلـيـه رأس الـحُـسـيـن تلالا
خـاطـبـتـه مـذ لاح يـزهـو هلالاً
يـا هـلالاً لـمـا اسـتـتـم كـمـا لا
غاله خسفه فأبدى غروبا

يـراس حسـين للمحمل بعدني
وعـدوك تدري عن جسمك بعدني

(١) سورة الكهف: ٩.

مــن قــطــعــوك لــلــســانــي بعدني
أجـــر ونـــه بـــأثــر ونـــة شجية

الحسين والهجرة

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّـهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(١)

نبدأ من اللغة يقال هاجر يهاجر فهو مهاجر، هجر الشيء إبتعد عنه وهجر أخاه لم يُكلّمه وهجر الرجل زوجته إبتعد عنها وهجَر الرجل هـذى في كلامه وقال هجراً والهاجرة والهجير هو حرّ الظهيرة وفي حال الأبتعاد والسفر عن الوطن يقال هجرة وللدائرة التي تعنى بشؤون المهاجرين دائرة الهجرة.

وقد ورد في فضل الهجرة الكثير كما ورد في ذم الهجر الكثير، ومما ورد في مدح الهجرة قول النبي ﷺ «**أفضل الهجرة ان تهجر ما كره اللّـه**» وقوله «**المهاجرُ من هجر الخطايا والذنوب**» وقوله ﷺ «**الهجرة هجرتان أحدهما أن تهجر السيئات والأُخرى أن تهاجر إلى اللّـه ورسوله ولا تنقطع الهجرة ما تقبلّت التوبة**». ويقول عليٌ عليه السلام:

تغرَّب عن الأوطان في طلب العلى
وسافر ففي الأسفار خمسُ فوائدِ
تَفرَجُ هَمٍّ وإكتسابُ معيشةٍ
وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجدِ

وأما في ذم التهاجر والتناحر فقد ورد عن رسول اللّـه ﷺ انه قال «**هجر المسلم أخاه كسفك دمه**» وقال «**لا يحلّ للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**» بعد هذه المقدمة

(١) سورة النحل: ٤١.

الموجزة تعالوا معـي إلى رحاب الآيـة الكريمة لنتدبر في معانيها وأسـباب نزولهـا ونمضي إلى أفضل مصاديقهـا المهاجر إلى اللّـه والمقتول في سـبيل اللّـه دفاعاً عن دين اللّـه وحرم رسـول اللّـــه ﷺ والمتـّوج بتـاج الكرامة والخلود والمـوّسـم بوشـاح الشـفاعة يـوم الـورود والموفى بالمواثيق والعهود ذاك سيدي ومولاي الإمام الحسين شهيد كربلاء عليه السلام

ذكر المفسرون سـنة وشـيعة إن الآية نزلت في صهيب الرومي وبلال الحبشي وخبَّاب بن الأرَّت وعمَّار بن يـاسر رضي الله عنهم الذين ذاقوا أشـد العذاب وتحمَّلوا ما لايحتمل ويطاق في سـبيل اللّـــه فنزلت هذه الآيـة الكريمة تحمل لهـم وعود النـصر والبشرى وهذه هي ثمـرات الصبر والثبات الذي كان من أشرف سـجايا هذه الصفوة المجاهدة التـي أرخصت كل غالٍ ونفيس في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلَّا اللّـه مُحمَّد رسول اللّـه.

إذاً هذه الصفوة من أصحاب رسـول اللّـه ﷺ ظلمت وإضطهدت ووصلت إلى قاب قوسـين أو أدنى من الموت مراراً وتكراراً تحتمـت عليها الهجرة وإمتثلت لأمر اللّـه ورسـوله فهاجرت من مكـة إلى المدينة المنـورة ليبوّؤن فيها أحسـن مبوَّء ويسـتمرون في العمل والجهاد من أجل إعـلاء كلمة الحق ونصر محمّد وآل محمّد ﷺ وسـيكلل جهادهم وسـعيهم بالنصر والظفر وسـيعودوا إلى مكة فاتحين منتصرين مع سـيد الأنبياء والمرسـلين وصحبـه المنتجبين، هذا في الدنيا وامـا في الاخرة فأجرهـا أكبر وتعويضها أعظـم حيث الجنان والحـور والولدان والقصور وطوبى لهم وحسن مآب.

لقد كان للمسـلمين في حركة جهادهـم هجرتان الأولى إلى الحبشـة بقيـادة جعفر بن أبي طالب عليه السلام والثانيـة إلى المدينة المنـورة بقيادة رسـول اللّـــه ﷺ، وهنا لا بد مـن ملاحظة صدق الوعد الإلهي بالنـصر والمبوء الأفضل فالمجموعـة الأولى رغم محاولـة المشركين لإثارة غضب النجاشي عليهم سـّدد اللّـــه خطاهم حيث إنطلـق جعفر بـن أبي طالب عليه السلام يحاور النجـاشي بأدلة المنطـق والعقل ويقـرأ عليه آيـات الكتـاب النازلة في حق المسـيح عيسـى بن مريم عليه السلام حتـى ترقرقت الدمـوع في عين النجـاشي وزاد في إكرام المهاجرين من المسـلمين

وأهدى رسـول اللّـه ﷺ الهدايا الثمينة التي كان أثمنها سريّته مارية القبطية التي أنجبت له قرة عينه ابراهيم عليه السلام.

وكذلك تعـزز موقـف رسـول اللّـه ﷺ ومـن هاجـر معـه إلى المدينة بنـصرة الأنصار وتضحياتها وإيثارهم المهاجرين على أنفسـهم حتى في الأمـوال والأزواج، فالأنصاري الذي لديه بيتان تنازل عن أحسـنهما والـذي كان له زوجتان تنـازل عن إحداهما لأخيـه المهاجر في سـبيل اللّـه، وكذلك فـإن الهجرتـان تكللّت بالعـودة المظفـرة فعند عـودة جعفر عليه السلام كان رسول اللّـه قد فتح خيبر فقال «**ما أدري لأيهما أفرح أكثر لفتح خيبر أم لعودة جعفر**» وكذلك عاد المسـلمون مهاجرين وأنصـار عام الفتـح إلى مكـة فاتحين منتصريـن يتقدّمهم أسـد اللّـه الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ينادي اليوم يوم المرحمـة اليوم صون الحرمة بعد أن كان تقدم سـعد بن عبادة مناديا اليوم يوم الملحمة اليوم تسـبى الحرمة فأرسـل رسـول اللّـه ﷺ علياً عليه السلام وقال له خـذ الراية منه ونـادي بنداء الرحمة، حتى إذا توسّـط رسـول اللّـه ﷺ رجال مكة قال «**ما تظنون أني فاعلٌ بكم اليوم،** قالوا أخٌ كريم وإبنُ أخ كريم قال روحي فداه وهو المبعوث رحمةً للعالمين **إذهبوا فأنتم الطلقاء**»

أما الهجرة الحسينية المباركة فكانت تشابه الهجرتين السـابقتين في وجوه وتختلف عنها في أُخرى.

لنتابع حركـة الركب الحسـيني المهاجر من لحظة الإنطلاق فنتسـائل أولاً هـل ظلم لكي يهاجر أم أنه لم يظلم؟

وأيُّ ظلـم أعظم مـن طلب بيعة الحسـين لفاسـق فاجر ظـالم كيزيد بـن معاويـة، واللّـه عجيـب صلف هـؤلاء الحـكام ينـزون عـلى منابـر رسـول اللّـه ﷺ ويتحكمـون بالناس ومصائرهـم باسـم خلافة رسـول اللّـه ﷺ ولا يكتفون بغصـب آل مُحمَّـد ﷺ حقوقهم بل يبلغ بهم التـمادي إلى طلب البيعة منهـم وإن لم يبايعوا فإن مصيرهـم القتـل والتشريد فكان جواب سبط مُحمّد ﷺ مثلي لا يبايع مثله وهنا أصبح الإمام الحُسَين عقبة كؤود في وجه يزيد

لا يمكن الإطمئنان لوجودها وعليه إزالتها بأي ثمن وبعد إعـلان الإمام لموقفه من بيعة يزيد صار لزاماً عليه أن ينتبه لوثبة الحاكم عليه ويتوقعها في كل مكان وزمان، سار الإمام بخاصته عكس خط سير الهجرة الأولى.

لقد هاجر من مدينة جـده إلى مكة المكرمة إلى البيـت الذي من دخله كان آمنـاً بأمر اللّـه والشرع والعرف.

وإذا به يشـعر برصد عيون بني أمية التـي صمَّمت أن تقتل الحسـين عليه السلام وإن وجدوه متعلِّقاً بأستار الكعبة المشرفة إحسبوها مع الحسـين عليه السلام بشكل صحيح، دم الحسين عليه السلام هو دم رسـول اللّـه وسـفكه حرام والكعبة حرمٌ مطهرٌ في البلد الحرام ومحرم شهرٌ حرام فهل ترونه المناسب أن يتمترس الإمام بالكعبة ويتيح الفرصة لبني أمية لتنتهك حرمة البيت الحرام فتسـفك الدم الحرام في البيت الحرام في البلد الحرام في الشـهر الحرام فخرج منهـا مهاجراً إلى مصرعه المعهود كربلاء:

وقـــد إنـجـلـى عـــن مـكـة وهـــو إبنها

وبــــه تـشـرَّفـت الـحـطـيـمُ وزمزمُ

لـــم يـــدري أيـــن يـريـحُ بُـــدنَ رِكابهِ

فـكـأنـمـا الــمــأوى عـلـيـه مُحرَّمُ

لقد علَّـق بعـض المتفلسـفين عـلى قـول الشـاعر العلامة السـيد جعفـر الحـلي في هجرة الحسين عليه السلام حيث يقول

خـــرج الـحـسـيـن مـــن الـمـديـنـة خائفاً

كـــخـــروج مـوسـى خــائـفـاً يتكَّمُ

فقال وبتهكم الجاهلين من قال بأن الحسين خرج خائفاً من المدينة؟

أقول: ويح من ضل وأضـل، يا هذا أما لاحظت في نصوص التاريـخ الثابتة الآيات التي كان يُردّدها سـاعة هجرته من المدينة وكانت بالتالي إسـتناد كل عالم وأديب في وصفه لمشـاعر

الإمام حين خروجه، وما من عالم أو حتى جاهل إلا ويعلم أن خوف الإمام ما كان على نفسه بل على دين جدِّه والمقدسات من أن تنتهك حرمتها، لأنك لو قلت أنه يخاف على نفسه فكيف يسير بقدميه إلى مصرعه في كربلاء وقد حـذَّره كل من رآه وهو مصمم على الشهادة، فلا تعبثوا بالسيرة الحسينية ولا تشّوهوا صور التضحية والإباء التي رسمها الحسين عليه السلام بدمائه الزكية، أما أن تعرضوها للناس دون رتوش واما أن تنصرفوا لمشاغلكم وأطماعكم الدنيوية، قل يا حسين من صميم قلب خاشع واحترم قدسيّة الذكرى وإن كان لك وجهات نظر خاصة فاكتبها وإعرضها في المؤتمرات ومراكز البحوث ولا تحاول أن تمسخ مجلس العزاء الحسيني بسفسطتك الفارغة.

واما ما يميز هجرة الإمام الحسين عليه السلام عن هجرة جدِّه المصطفى فهو طابع المأساة الذي صبغها بلونٍ ارجواني.

رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم إستقبلوه في المدينة المنورة بالأهازيج والسرور والحسين إستقبلوه بالسيوف والنبال والرماح، رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أولموا له عند دخوله المدينة والحسين منعوا عنه الماء والطعام حتى قضى.

عندما عاد النبي إلى مكة عاد فاتحاً منتصراً والفرح يملأُ وجهه الشريف أما الإمام الحسين عليه السلام فلم يعد إلى وطنه بل قتل في مهجره كربلاء وعادت عياله بصحبة الإمام زين العابدين وتقدم بشر ينعى إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم مصرع ولده الحسين فرفع عقيرته منادياً

يا أهل يثرب لامقام لكم بها

قتل الحسين فأدمعي مدرارُ

الجسم منه بكربلاءَ مُضَّرجٌ

والرأس منهُ على القناةِ يُدارُ

وعند دخول رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم المدينة المنورة حفَّ به أهلها وانشدوا

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع

وجب الشكر علينا مادعى للّه داع

اما عند دخول الإمام زين العابدين وأخواتهِ وعمّاته فكانوا هم المعزون وأهل المدينة يبكون وينتحبون ويلدمون الصدور والرؤوس وأهل البيت ينادون:

أيا مهد النبوة قد رزينا ومن بلد إلى بلد سبينا

وصرنا عرضةً للشامتينا مدينة جدِّنا لا تقبلينا

فبالحسرات والأحزان جينا

***

أُميّة لم تُعر للحق سمعا لطه إستأصلت فرعاً ففرعا

أساءت في بني المختار صنعا خرجنا منك بالأهلين جمعا

رجعنا لا رجال ولا بيننا

***

بگيت إمحيرَّة وأصفج بالايدين لا عباس يبرالي ولا لاحسين

يضربوني من أبكي وتدمع العين وتبقى عبرتي بصدري إتكسر

هلّ المحرم

بســم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ ثُمَّ قُتِلُـوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُـمُ اللَّـهُ رِزْقاً حَسَـناً وَإِنَّ اللَّـهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[1]

في كل عامٍ تطالعنا في الأول من شهر محرم الحرام بداية العام الهجري القمري حيث إتفق المسلمون على إعتباره عيد رأس السـنة الهجرية علماً إن الهجرة الواقعية تمت في الثاني عشر من شهر ربيع الأول.

فنحتفل نحن بالجانب المأسـاوي للذكرى ويحتفل الآخرون بالجانب المفرح منها والهجر لغة ضد الوصل، فيقال هجر يهجر هجرانا.

وللّـهجرة عدة معاني. فتارة هو الخصام والزعل وأُخرى هو التغّرب عن الأوطان ورغم آلآمه ومرارته قد يحمد احيانا يقول امير المؤمنين عليه السلام:

تــغــرب عــن الأوطـــــان في طــلــب العلى
وســافــر ففي الأســفــار خمس فوائدِ
تـــفــــرّج هَـــــمٍّ وإكـــتــــســاب معيشةٍ
وعــــلـــمٌ وآدابٌ وصــحــبــة ماجدِ

وتارة يعني الهذيان والكلام عن غير وعي؟ كما قال قائلهـم عندما طلب النبي من زواره حالة نزعـه دواة وقلم ليكتـب كتاباً لا نضل بعـده أبـداً، إن الرجل ليهجر والهجـير والهاجرة منتصـف النهار الحـار وهجر بـلادٌ في جزيرة العـرب كثيرة النخيـل والتمور حتـى أصبحت

(١) سورة الحج: الآية ٥٨.

مضرباً للمثل فيقال لمن يأتي بشي يكثر نظيره كناقل التمر إلى هجر.

وقد ورد في الحديث ذم للتهاجر والخصام، فعن رسول اللّـه ﷺ لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام والسابق يسبق إلى الجنة والهجرة التي يندب لها الشارع المقدس هي هجرة المعاصي واللجوء إلى الطاعات والهجرة في سبيل اللّـه، والآية موضوع البحث تحمل أعظم الأوسمة حيث وردت كلمة الرزق فيها ثلاث مرات.

مع إن الواحد منا قد يواجه نفس المصير في وطنه ولكن لا نجد نفس النتيجة ولقد مر اغلب الأنبياء والرسل بتجربة الهجرة فبعضهم أُبعد عن مسقط رأسه وبعضهم إضطرته قسوة الظروف على ترك الوطن الغالي وأي شيءٍ أغلى من الوطن وما أحلى قول الشاعر:

نقلِّ فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحبُّ الاللحبيبِ الاولِ

كم منزلٍ في الدهر يألفهُ الفتى

وحنينُه أبداً لأوّلِ منزلِ

ولعل أصعب هجرة مرَّت في حياة الأنبياء كانت هجرة الذبيح مع أُمه من بلاد الخصب والنماء إلى وادي غير ذي زرع عند بيت اللّـه الحرام فالهجرة عادة تكون من ديار خوف إلى ديار أمان.

أما هاجر عليها السلام وطفلها الرضيع فقد شاءت القدرة أن تسكن أرضاً تنعدم فيها كل أسباب الحياة فلا ماء ولا كلأ ولا حتى ناس بل ولا حتى ولي أمر يتولى إدارة شؤون هذه العائلة الكريمة التي شاب رأسه حتى رآها، وضعت وليدها الذي يكاد أن يموت من شدة العطش ومضت نحو الصفا تبحث عن ماء، لم تجد بغيتها توجهت نحو المروة لعلها تجد الماء وهي تمشي تارة وتهرول أخرى وجميع الحواس تنادي «**يا رب**» ونظراتها ترمق الذبيح بين لحظة وأخرى إشتد العطش بالرضيع أخذ يرفس الأرض برجليه الناعمتين وإذا بالرحمة الإلهية تنبع من تحت قدميه طارت هاجر زمَّت التراب حول الماء لتصنع مجمعاً للماء، وكان زمزم الذي

روت منه وأروت وليدها وصار مصدراً للحياة، بنو جرهم أحسـوا من حركة الطيور بوجود الماء توجهوا بغنمهـم وإبلهم وكرمهم إليه وإستاذنوا مـن الخليل وزوجه أن يجاوروا البيت الحرام وقدموا مائة رأس من الغنم هدية للنبي المهاجر وأمه ودبَّت الحياة في الحرم،

أما نبيّنا فقد واجـه أكثر من هجـرة تكللَّت كلها بالنجـاح والموفقية فهجـرة مجموعة من أصحابه بقيادة جعفر بن أبي طالب عليه السلام إلى الحبشـة كانت الأولى وعـاد المهاجرون يوم فتح خيبر فلما أُخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعودتهم تهلل وجهه وقال «**لا أدري بأيهِّما أفرح أكثر بفتح خيبر أم بعودة جعفر**» فكلاهما فتح ورزق حسن من عند اللَّـه.

والهجرة إلى المدينة المنورة بعـد أن إجتمعت كلمة المشركين على قتله في فراشـه وهو نائم بضربه بسيف من كل قبيلة ضربة رجل واحد،

أخبر الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم حبيبه فقال من لايبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه أو تسـلم يا رسـول اللَّـه صلى الله عليه وآله وسلم إن أنا نمت في فراشـك؟؟ قال النبي نعم يا علي، قال «**اللَّـه أسدُ رسوله**» روحي لروحك الفداء نفسي لنفسك الوقاء.

ونام الإمام عليه السلام في فراش ابن عمه ليدرأ عنه الموت والقتل:

قالت فمن بـات من فـوق الـفـراش فدىً

فقلت أثبت خلق اللَّـه فـي الوهلِ

وخرج النبـي من مكة بعـد أن أخذ من حصبائها قبضـة وألقاها في وجـه المشركين وقال ثلاثاً شاهت الوجوه، وصل المدينة التي أصبحت بنوره مناراً للَّـهدى على مدى الأزمان.

وكذلك هاجر أمـير المؤمنين عليه السلام من الحجاز إلى الكوفة التـي اتخذها عاصمة للخلافة ومن بعده هاجر الإمام الحسـن عليه السلام من المدينة إلى الكوفة ومن الكوفة عاد إلى المدينة ليقتل فيها ويدفن في البقيع.

أما الهجرة الحسـينية المباركة والتي كما هو واضح من إسـتقراء الكّم الهائل من الروايات الصحيحة الواردة في شـأنها فإنها كانت هجرة مميَّـزة من حيث المعاناة والنتائـج وإن لم تختلف

مع سابقاتها في الهدف.

فما نستطيع تأكيده هو إنها هجرة في سبيل اللَّه. والنتيجة المتوّقعة فيها القتل والشهادة لا الحكم والسلطان كما يتوّهم ذلك بعض طلاب الدنيا والخطير في الأمر إن هؤلاء لا يقفون عند هذا الحد بل يحاولون إستغلال مواقعهم وذكرى عاشوراء لإيهام الجماهير بأن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت حركته بإتجاه الحكم والدنيا ولعل أبسط ملاحظة لما تحققه عاشوراء من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وطلب للإصلاح تؤكد إن شهادته بهذا الشكل هي التي تحقق أهداف الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ولو كان هدف الامام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إقامة حكومة إسلامية تحكم الناس لأيام ثم ينتهي أمرها، بينما شهادته عَلَيْهِ السَّلَامُ أصبحت ثورة مستمرة تجدد الوعي الإسلامي في النفوس كلما نادى المنادي السلام عليك يا أبا عبد اللَّه السلام عليك يا بن رسول اللَّه السلام عليك يا قتيل العبرات وأسير الكربات.

بالإضافة إلى ذلك لا حظوا هذا الكم الهائل من الروايات التي تتحدث عن فضل زيارته بالخصوص والبكاء على مصيبته وإقامة العزاء عليه والأجر والثواب الذي وعد اللَّه المؤمنين عليه مقابل التفاعل مع قضية الشهيد المظلوم والغريب الذبيح العطشان، لايمكن أن يعقل ان يطالبنا النبي والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بكل هذا التفاعل من أجل إمام طلب الحكم ولو في سبيل اللَّه ثم لم يحقق هدفه وغدر به الناس فقتل.

القضية يا إخوة قضية ثقافة لا قضية خلافه، المبدأ عند النبي وأهل بيته الطاهرين فوق كل الإعتبارات، إن من يعي ويفهم كيف يفكر أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ بمقدوره أن يستوعب أهداف ونتائج نهضة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهجرته خرج من حرم جدِّه يؤم البيت الحرام في الشهر الحرام ليؤكد للأُمَّة مشروعية نهضته، لقد أثبت للناس إن بني أُمية ليس لهم دين.

يستحلون كل الحرمات من أجل الحفاظ على عروشهم وإمتيازاتهم، خرج خائفاً لا على نفسه من القتل بل على الحرمات لأنه فعلاً مشى برجليه إلى الموت:

خــرج الحــسين مــن المــديـنــة خائفاً
كــخــروج مــوســى خــائــفــاً يتكتمُ
وقـــد إنـــجــلى عـــن مــكـــةٍ وهو
إبنها وبــهِ تشرَّفت الحطيم وزمزمُ
لم يـــدري أيـــن يــريــح بـــدن ركابه
فـكـأنـمـا الــمــأوى عـلـيـه محرَّمُ

ها نحـن على موعد مـع ذكـراه نجددها بالدمـوع الثائـرة إمتثـالاً لأوامر اللّـه ورسـوله والأئمة الأطهار عليهم السلام ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى﴾

فــي كــل عـــامٍ لـنـا فـي الـعـشـرِ واعيةُ
تطبقّ الـــدور والأرجـــاء والسككا

يقول الريـاّن بن شـبيب دخلت عـلى أبي الحسـن الرضـا عليه السلام في أول يوم مـن المحرم فقال لي يا بن شـبيب أصائم أنت؟ فقلت لا فقال إن هذا اليوم هو الذي دعا فيه زكريا عليه السلام فاسـتجاب له وبـشَّره بيحيى عليه السلام فمـن صامه ثم دعـا اللّـه إسـتجاب له، يا بن شـبيب إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته.

يا ابن شـبيب إن كنت باكياً لشيءٍ فإبكِ الحسـين بن علي بن أبي طالب فإنه ذبح كما يذبح الكبش وقتـل معه من أهل بيتـه ثمانية عشر رجـلاً مالهم شـبيه على وجـه الأرض ولقد بكت السماوات السبع والأرضون السبع لقتله.

يا ابن شـبيب إن كنت بكيت على الحسـين عليه السلام حتى تصير دموعـك على خديك غفر اللّـه لك كل ذنب أذنبته صغيراً كان أو كبيراً قليلاً أو كثيراً.

يا ابن شـبيب إن سرَّك أن يكون لك ثواب المستشـهدين معه فقل متـى ما ذكرته يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

لـــولاك الــفــرض يـحـسـيـن ماتم

وحــق چــبــدك الــمــنــه ثــلــث ماتم

إلــك بــگــلــوبــنــه مــنــصــوب مآتم

لـــذچـــرك　　ياذبيح　　الغاضرية

تــبــكــيــك عــيــنــي لا لأجـــل مثوبة

لــكــنــمــا عــيــنــي لأجـــلـــك باكية

تــبــتــل مـــنـــك كـــربـــلاء بـــــدم ولا

تــبــتــل مــنــي بــالـــدمـــوع الجارية

رأس السنة الهجرية

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(1)

بالرغم من معرفتنا الأكيدة بأن الهجرة النبوية الشريفة لم تكن في الأول من محرم بداية العام الهجري، إلّا أننا تماشياً مع المشهور نبدأ الحديث في هذه الليلة عن الهجرة ورب مشهورٍ لاأصل له كما يقال.

يتحدّث القرآن في هذه الآية الكريمة التي نستهل بها ليالي عاشوراء عن الهجرة النبوية المباركة، الهجرة التي من أراد أن يقوّمها في البداية يرى فيها التعب والعناء وألم فراق الأوطان الذي لا يعدله ألم، أما بعد ذلك فانه يرى فيها تحقق الوعد الإلهي الصادق والتقدم السريع نحو تحقيق الأهداف والفوز الدنيوي والأخروي، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

تَغرَّب عنِ الأوطانِ في طَلَبِ العُلى
وسافر ففي الأسفارِ خَمسُ فوائدِ
تَفَرُّجُ هَمٍّ وإكتسابُ مَعيشةٍ
وعلمٌ وآدابٌ وصُحبةُ ماجدِ

لقد عانى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الأبرار الكثير من معاملة المشركين في مكة حتى ضاقت بهم مكة وشعابها، والذكر الحكيم يؤكد هذا المعنى فيصرح بأن الدافع الأول للّهجرة كان هو الظلم، مما دفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يطلب من أصحابه أول الأمر الهجرة إلى

(1) سورة النحل: 41.

الحبشـة لأن فيها ملك عادل لا يظلم ولا يظلم عنده أحد، ذلك هـو أصحمة الحبشي، فهاجر اليها من المسـلمين إثنـين وثمانين رجلاً عدى النسـاء، وكان عـلى رأس المهاجرين إلى الحبشـة جناح رسـول اللّـه اليمنى جعفر بن أبي طالب عليه السلام، شـهيد الاسـلام في معركـة مؤته التي خاضها ضد الرومان وقطعت فيها يداه فأبدله اللّـه عنهما بجناحـين يطير بهما في الجنة كما قال رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم ومن هنا كانت تسميته بجعفر الطيار، وطارد المشركون المسلمين إلى الحبشة ووصلهـا منهم عمرو بـن العاص وعـمارة بن الوليـد فدخلوا عـلى النجاشي بالهدايـا الثمينة، وبالناسـبة لا يعجبني الحديث عما جرّى بين عمارة بن الوليد الشاب الوسيم وزوجة عمرو بن العاص في السفينة كما لا يعجبني الحديث عن أثر الهدايا في النفوس.

فقالا للنجاشي أيها الملك إنَّ قوماً خالفونا في ديننا وسبّوا آلهتنا وصاروا اليك فرُدهم الينا فبعث النجاشي خلف جعفر ليسـتقصي الأمـر فقال له جعفـر يا أيها الملك سـلهم أنحن عبيدٌ لهم، فقال لا بل أحرار، قال فسـلهم ألهم علينا ديون قالا لا، قال فسـلهم ألكم دماءٌ في أعناقنا تطالبونا بها قـالا لا، قال فما تريدون منـا آذيتمونا وظلمتمونـا فخرجنا من ديارنـا ثم قال أيها الملك إن اللّـه بعث فيناً نبيـاً يأمرنا بتوحيد اللّـه والصلاة والزكاة والعدل والاحسـان وينهانا عن البغي والفحشاء والمنكر فقال النجاشي لقد جاء عيسى عليه السلام بمثل هذا، يا جعفر فاقرأ لي مما نزل على نبيكم فقرأ جعفـر عليه السلام: ﴿**كهيعص* ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً**﴾[١] إلى أن تلا قولـه تعـالى ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً**﴾[٢] فدمعت عـين النجاشي وقـال هذا واللّـه هو الحق، فقـال عمرو إنـه مخالف لنا فردهـم إلينا، فرفع النجاشي يده ولطـم عمرو وقال له إسـكت واللّـه إن ذكرته بعد بسـوء لأفعلن بك، ثم قال أرجعوا إلى هذا هديته وانصرف عمرو وأمر النجاشي بالتوسـعة على جعفر بن أبي طالب والمسلمين الذين معه.

أمـا الهجرة الثانيـة فكانـت الى يثرب التـي أصبحت بعـد ذلك المدينـة المنـورة وفيها من

(١) سورة مريم: ١ـ٢.
(٢) سورة مريم: ٢٥.

الأحداث الجسام ما يحتاج إلى أكثر من ليلة حتى يستوفي الحديث حقه، ففيها حديث مبيت الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام في فراش رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، وحديث الغار وحديث خروج الأمام علي عليه السلام بالفواطم نهاراً من مكة وعلى مرأى المشركين وحديث إستقبال الرسول الأكرم في المدينة ووقوف ناقته العضباء على باب أبي أيوب الأنصاري وما إلى ذلك.

لكن الذي يهمنا من هذا الحديث ما يتعلق بموضوع الآية الكريمة التي إستهلّينا بها ويمكن في هذا الصدد إثبات النقاط التالية:

١. إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الأبرار لم يهاجروا إلّا بعد أن ظلموا.

٢. إنَّ هجرته كانت خالصة للّه.

٣. إن اللّه بوّأه وأصحابه في هذه الدنيا أرضاً حسنة.

٤. وقد أصبحت المدينة بحلول رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فيها وبفضل طريقة التعايش والتعامل التي ألزم الجميع بها مدينة مثالية وقلعة حصينة للاسلام.

٥. اما أجر الآخرة فلا حدود له لأن اللّه يقول لنبيّه الأكرم مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾(١).

لقد أرسى رسول صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة المنورة بوجوده قواعد المجتمع الإنساني فآخى بين المهاجرين والأنصار وانطلق يبشر بالعدل والإحسان ويعمل كل ما بوسعه ليبني الانسان الانسان، الانسان الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

وقد إقتدى الحسين عليه السلام بجدِّه المصطفى في هجرته فجاءت على شاكلتها في أكثر فصولها. هاجر النبي للّه وفي اللّه وهاجر الحُسين عليه السلام للّه خرج النبي من مكة بعد أن ظُلم وهكذا خرج الحسين عليه السلام.

خرج النبي من مكة خائفاً على مصير دينه وهكذا خرج الحسين عليه السلام

خرج النبي من مكة وأخرج حريمه وعزيزته فاطمة عليها السلام.

(١) سورة الضحى: ٥.

وكذلك خرج الحسين عليه السلام بعياله وأخواته إلى كربلاء أما الفصل المختلف بين الهجرتين المبوَّأ الموعـود لأن النتيجة الأخيرة التي هي النـصر الالهي تحققت في الهجرتين أمـا المبوّأ فلقد دخل النبيُّ المدينة وأهلها يهزجون ويضربون على الدفوف وينشدون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

فرحين مستبشرين بلقاء رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما الامام الحسـين روحي فداه فلقد تبوّأ أرضاً خرج رجالها بالسيوف والأسنة وركبوا البغال والحمير وأتوا زحفاً لقتال ابن بنت رسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم زحف إليه أكثر من سبعين ألف بين فارس وراجل يتمنون نيل جائزة الأمير بقتل الحسـين وسبي نسـاءه وحرق خيامه ساروا إليه سير الوحوش إلى فريستها.

قـتـلـوه بـعـد عـلـم منهم
أنـه خـامـس أصـحـاب الكسا
يـا رسـول الله يـا فاطمة
يـا أمـيـر الـمـؤمـنـين المرتضى
عـظـم الله لـك الأجـر بمن
كـض أحـشـاه الـظـمـا حـتـى قضى

***

مـن هـجـمـت خـيـول العدى
ولـحـدود الـمـخـيـم دنت
طـلـعـت إمـن الـخـيـمـة إتعدي
زيـنـب عـلـى الـتـل اوكفت
شـجـت الـعـشـرة إمـن الخطر
ولـصـوب أخـوهـا إتوجهت

التآلف والوحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَـا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّآ أَلَّفَـتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

كلـما ازداد اختلاف آراء الناس زادت الحاجـة للاتحاد والتآلف ومنذ عهـد هابيل وقابيل إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة والاختلاف قائم ويزداد الشعور بالحاجة للتآلف والوحدة يوماً بعد يوم، وتكثر المحاولات الجادة وغير الجادة ويكثر أدعياء الوحدة وكما يقول الشاعر:

وكـــل يـــدعـــي وصـــــلاً بليلى

ولـــيـــلـــى لا تـــقـــر لـــهـــم بذاكا

طرفٌ يكفر شـطر المسـلمين ويدعي التوحيد وطرف يقدم التنازل تلـو التنازل من أجل التوحيد مع الآخرين ولا يقبل منه حتى إسـلامه إن حالة المسلمين الأوائل لم تكن بأفضل من حالتنا اليوم ولعل الآية التي صدرنا بها مجلسـنا الليلة تبين بوضوح مـا نحن بصدده فالأمة في حالة من التفرق والتشرذم تصل إلى درجة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو أنفق ما في الأرض جميعاً كما يظهر من صريح الآية لما استطاع أن يؤلف بين قلوب الصحابة وهو في أول مراحل التأسيس وجمع الناس على الحق والهـدى فالقاعدة الجماهيرية التـي يطرح عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم مشروعه واسـعة ومختلفة الميول والتوجهات وحتى دوافعها للإسلام، فدوافع طبقة التجار حتماً هي غير دوافع طبقة العبيد وأهـداف العرب غير أهداف الوافدين أو الشـعوب التي وصلهـا الدين الجديد، مع كل ما تقدم فإن الشـطر الأخير مـن الآية يؤكد بأن قلـوب المؤمنين قـد تألفت وتوحدت

(١) سورة الأنفال: آية ٦٣.

بفضل الله العزيز الحكيم لكي يستطيع رسول الله ﷺ من توصيل صوت الحق إلى أوسع رقعة جغرافية، وكان تحرك رسول الله ﷺ باتجاه تحقيق هذا الهدف السامي على صعيدين هما:

١. التشجيع النظري على الألفة عبر الأحاديث

٢. عقد التآخي بين المهاجرين والأنصار

لقد حث صاحب الخلق العظيم الأمة على التآلف والمحبة ونبذ الفرقة والتشرذم وذلك عبر دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة انطلاقاً من قوله تعالى ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾[1]. وفي كل مناسبة كان يغتنم الفرصة ليقول للناس: «خياركم أحسنكم أخلاقاً الذين يألفون ويؤلفون» «خير المؤمنين من كان مألفة للمؤمنين ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» «أقربكم مني غدا في الموقف أقربكم من الناس» إنها مهمة صعبة جداً ومحفوفة بالمخاطر فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال: «إزالة الرواسي أسهل من تأليف القلوب المتنافرة» ويقول «قلوب الرجال وحشية من تألفها أقبلت عليه» فرواسب الماضي القريب ليس بوسع الإنسان إلغائها من قائمة أولوياته أو اقتلاعها كلياً من جذورها، وعلى هذا فإن الاستجابات لدعوة الحق ستتفاوت وتختلف أما على الصعيد العملي فإن أول عمل قام به رسول الله ﷺ أول دخوله إلى المدينة المنورة كان المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فصهر الجميع في بوتقة الدين الحنيف، وكان نصيبه منها «يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة». بعد كل هذه التفاصيل ما هو الدرس الذي تستفيده من مضامين هذه الآية مقارنة مع ما يقوم به البعض تحت عنوان استقطاب الآخرين والوحدة الإسلامية؟؟

١. إن الوحدة التي يمكن أن نحققها اليوم بعد كل هذه المدة الطويلة من الخلاف والتناحر هي الوحدة السياسية التي تحفظ لكل طرف كيانه ولا يحاول فيها أي طرف إلغاء الآخر.

٢. يجب أن يكون الهدف الأول والأخير هو رضا الباري جل وعلا الذي سيساعدنا على

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٣.

نجاح مساعينا وينصرنا على القوم الكافرين

٣. الإقلاع عن المفهوم الخاطئ الذي أوصل الأمة إلى ما هي عليه من الفرقة وأعني به «أنا المسلم الوحيد وكل من سواي كافر»

٤. التوجه الصادق والمخلص إلى أفضل عامل من عوامل التوحيد والتآلف والمحبة والقطب الموجب الذي بوسعه أن يوحد جميع البشر فضلاً عن المسلمين وهو حب محمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إن خيمة هذا الحب الطاهر تسعنا جميعاً وعلى العكس فإن سبب الفرقة والتناحر الرئيسي هو الابتعاد عن محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٥. لا يمكن أن تتوحد الأمة على حساب التنكر لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتحجيم أدوارهم وإنكار أفضليتهم وإن التنازلات التي يقدمها بعض الوصوليين ستزيد الطين بلة والخصوم عناداً وطغياناً لقد لاحظتم نتيجة موقف أبي موسى الأشعري يوم صفين وكيف استثمره عمرو بن العاص لصالح معاوية، واعلموا بأن أجيال معاوية ليسوا بأقل دهاءً وعناداً منه وتذكروا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام حين قال له «يا علي إن لك أولياء لو قطعت أناملهم فيك ما ازدادوا فيك إلا حباً، وإن لك أعداء مبغضون ناصبون لو ألعقتهم العسل المصفى ما ازدادوا فيك إلا بغضا».

فبدل أن تقدم التنازلات من حساب محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتقنع الآخرين بمبدئك حافظ على جماعتك ورسخ في نفوسهم حب محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم واحترم عقيدتك وقومك صدقني ستكسب احترام الآخرين واعترافهم بك وبدينك الحق وتيقن بنصر العزيز الحكيم الذي حذرنا وقال إن هذا الأمر رهن إشارته وإرادته وليس برغباتنا «لا تهدي من أحببت» فهو الذي يؤلف بين القلوب وكل مسعى آخر مصيره الفشل والخسران المبين، لقد سبقك أهل البيت عليهم السلام بالدعوة للوحدة الإسلامية وتنازلوا عن حقوقهم ولم يتم لهم ما تتمنى!! ولا أظنك تدعي الحرص على وحدة الأمة أكثر من محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم شاهدت ذات مرة على التلفاز تشييع جنازة انديرا غاندي الذي حضره أغلب الملوك والرؤوساء ورأيت كيف

أنهم وقفوا باحترام وخشوع ينظرون إلى ولدها راجيف غاندي وهو يغطيها بخشب الصندل ويسكب عليها الزيت ويشعل فيها النار لو كان الشعب الهندي متزلزل العقيدة لما فرض على العالم احترام هذا المشهد الذي فيه ما فيه، ليت أبو موسى الأشعري كان يرقى بثقته بأمير المؤمنين عليه السلام إلى مستوى ثقة الهنود العالية بدينهم وعقيدتهم لقد مضى على يوم عاشوراء الدامي «١٣٦٦» عام ومنذ ذلك العام وشيعة الحق يقيمون العزاء على سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعلنون الحداد كل عام مواساة ومودّة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نبي الإسلام والمسلمين ولم أسمع ولم أرَ مجلساً ولو لقراءة القرآن بثواب الإمام الحسين عليه السلام عند غيرهم أليس هذا واجب كل مسلم محمدي؟؟ أليس من الواجب علينا أن نفرح لفرح نبينا وأن نحزن لحزنه؟ رحم الله الشريف الرضي حيث يقول:

لو رسول الله يحيى بعده

قعد اليوم عليه للعزا

لقد لفت الأئمة من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنظار الأمة إلى ضرورة إظهار الحزن والجزع للمصائب التي جرت عليهم خاصة يوم عاشوراء كان المحرم إذا هل هلاله ودخل الشعراء على أئمة الهدى ينشدون بين أيديهم مراثي أبي عبد الله الحسين عليه السلام وكانوا يمدون ستراً للنساء ويشركوهم في العزاء، ودخل أبو هارون المكفوف عليه الرحمة على الإمام الصادق عليه السلام ينشده المراثي فقال له يا أبا هارون أنشدنا كما تنشدون بالرقة فقال:

أمرر على جدث الحسين

وقل لأعظمه الزكية

يا أعظماً لا زلت من

وطفاء ساكبة روية

لولاك الفرض يحسين ماتم

وحق چبدك المنه ثلث ماتم

الـك بـگـلـوبـنـة منـصـوب مـا تـم
تـظـل لـلـحـشـر نـيـرانـه سرية

***

أنا مدينة العلم وعلي بابها

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]. صدق الله العلي العظيم

بعد أن هاجر رسول الله ﷺ من مكة المكرمة و وطأت أقدامه الشريفة أرض يثرب التي أصبحت بفضله المدينة المنورة بدأ الحوار الإسلامي يأخذ منحا آخرا وأصبح خصوم الدين الجديد من اليهود والنصارى إضافة للتحالفات العسكرية يحاولون إسقاط النبي في فخ المسائل العويصة والجدل الذي عجز عنه مشركو مكة، لأن اليهود والنصارى وإلى يومنا هذا يعتبرون أنفسهم من طليعة المثقفين ولهم عمق استراتيجي ينطلقون منه، ولا أبالغ لو قلت بأنهم لو اعتمدوا على الصحيح من دينهم لاستطاعوا أن يجاروا رسول الله ﷺ لأن منبع التشريع واحد وهو الله.

ولكن الذي أفشل مشاريعهم هو اعتمادهم على تحريفات رهابنتهم وتطبيقاتهم المشوهة للتوراة والإنجيل.

وهنا يحاول يهود المدينة كما روي عن معاذ بن جبل إحراج النبيّ ﷺ بالسؤال عن أسرار القمر؟ لماذا يبدأ هلالاً كالخيط ثم ينمو في مدة معينة حتى يغدو بدراً ثم يتناقص حتى يختفي عن الأنظار؟ ما هو الهدف من وراء هكذا سؤال؟ هل هو معرفة الحقيقة؟ أم إنها محاولة تعجيزية؟ أم هناك أكثر من غاية؟

---

(١) سورة البقرة : ١٨٩.

الكثير من الناس في هذه الأيام يسالون بدوافع عديدة منها:

١. لبيان معرفتهم بالشيء، أو سؤال لأجل سؤال.

٢. لإثبات وجهة نظر معينة.

٣. لتعجيز الطرف الآخر.

٤. وأقل من القليل من يسأل لغرض المعرفة.

وقد ورد في آثار المعصومين عليهم السلام بخصوص أدب السؤال قولهم عليهم السلام: (سل متفقهاً ولا تسل متعنتاً).

وتكشف الإرادة الإلهية للمعبوث رحمة للعالمين كل أبعاد هذه الأسئلة وتضع بتصرفه الجواب الشافي والكافي الذي يقطع الشك باليقين في حينه وإلى يوم الدين ويقترح آلية السؤال المعرفي المثمر والذي ثمرته الفلاح والنجاح وهو قل لهؤلاء اليهود وليهود أمتك الذين اعتادوا أن لا يأتوا البيوت من أبوابها إن أقصر الخطوط بين نقطتين هو الخط المستقيم، وهذا ثابت هندسياً فمن أحب أن يدخل بيتاً فلكل بيت بابٌ معلومٌ يؤتى منه وأنا بأمر الله أدلكم إن شاء الله على الباب الذي إن دخلتموه كنتم من الأبرار وإن صدفتم عنه وجئتم البيوت من ظهورها خالفتم البر والتقوى من أراد المدينة فليأتها من بابها فهذا هو سبيل الفلاح وهذا هو خير العمل وهذا هو البر وهذه هي التقوى.

لا تسألوا شيعياً عن سيد الوصيين وأمير المؤمنين بل اسألوا الكاتب المصري عبد الرحمن الشرقاوي عن إمام المتقين أو عبد الفتاح عبد المقصود أو اسألوا مسيحياً كجورج جرداق أو بولص سلامة أو سليمان كتاني أو روكس العزيزي، اسألوا إنطوان بارا عن الحسين اسألوا غاندي محرر الهند.

تسألوني عن الهلال وأنا ابن الصحراء، اسألوا أي الأعراب يجبكم عن هذا ابن ثلاث ليالي يسمى هلالاً وبعد الليلة السابعة يسمى قمراً وليلة الرابع عشر يسمى بدراً ويغيب يوماً وليلة في المحاق أواخر الشهر العربي القمري أو فقل الهجري والعرب تسمي القمر الزبرقان

واسم دارته الهالة واسم ضوئه الفخت المقدار من زمانه الميقات.

وهنا نعود للتوضيح القرآني فالأهلة هي:

١. مواقيت زمانية نضبط بها صومنا وعيدنا وحجنا ومنكحنا وأعمالنا.

٢. الآثار الكونية التي يحدثها القمر كالمد والجزر في البحر.

٣. نستهدي بنوره، وما أروع قول الحق جل وعلا في كتابه المجيد:

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس : ٣٩] إنه كعذق التمر المنحني لقدمه وما أعظم آثاره حين يتنقل من برج إلى برج وما أجمل منظره وما يوحيه للشعراء والأدباء والرسامين والعشاق.

ولو أردنا في مجلسنا هذا أن نتدبر في معاني البر الوارد في الآية الكريمة أو البيوت أو الأبواب والتقوى والفلاح للزمنا للحديث عن كل منها مجلس مستقل ولكن لنا بعد ما تقدم وقفة على الأبواب بكل أدب واستهلال لهلال المحرم الذي يهل علينا هذه الليلة بالحزن والأسى.

أول باب نقف عليه هو باب الله جلّ وعلا نسأله الرحمة والغفران بحرمة هذا الشهر الحرام وبحرمة المقدسات التي انتهكت فيه وبجاه أحب خلقه أن يحشرنا مع المتوددين لحبيبه المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الباب الثاني الذي نطرقه بحياء هو باب نبينا وحبيب قلوبنا وشفيع ذنوبنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لنقول السلام والصلاة عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآجرك الله بمصابك بولدك الحسين عليه السلام والمستشهدين معه دفاعاً عن دينك وقيمك وأخلاقك، يا رسول الله كيف استقبلت هلال المحرم؟ كأسلافك بالبهجة والسرور لتوقف الحرب والقتال فيه مراعاة لحرمته، وكأني به صرخ بوجهي قائلاً يا هذا وهل حفظتم حرمة هذا الشهر كما كان يحفظها العرب قبلكم أم أنكم هتكتم حرمتي وقتلتم عترتي؟؟؟ انسحبت حياء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذهبت إلى الباب الثالث وهو باب فاطمة الزهراء عليها السلام ومنزل علي عليه السلام.

وإذا به قد أحرق وسمعت خلفه أنيناً قطع نياط قلبي وسمعت بعض أصحاب علي يتهامسون:

قال سُليمٌ قلت يا سلمان
هل دخلوا ولم يك استئذان
فقال إي وعزة الجبار
ليس على الزهراء من خمار
لكنها لاذت وراء الباب
رعاية للستر والحجاب

الباب الرابع و أقفلت راجعاً أبحث عن دار الإمام الحسن عليه السلام فوجدت الباب مغلقاً فذهبت إلى البقيع أفتش عن قبره وإذا به قد هدم و وجدت عنده سبعين سهماً، سألت عنها أجابني الناس قائلين: لقد انتزعناها من كفنه!!

الباب الخامس وهو باب خامس أهل الكساء الإمام الحسين عليه السلام، طرقت الباب وقد خنقتني العبرة وإذا بصوت أم سلمة أم المؤمنين وأم هاني ابنة أبي طالب، ينادين من الطارق؟ قلت أنا أريد سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما في الدار من رجل؟؟

وإذا بالأصوات تعلو بالعبرات وضجوا بالبكاء نادبات يا حبيبي يا حسين نور عيني يا حسين، فقلت هل أصيب لا سمح الله بمكروه؟

فقلن لقد غادر وطن جده وتوجه إلى العراق، لقد أزعجه يزيد حتى خشي الحسين على حرمة المدينة وحرمة البيت، فهو يخاف أن يسفك الدم الحرام في البلد الحرام، وفي الشهر الحرام.

خرج الحسين من المدينة خائفا
كخروج موسى خائفا يتكتم

وقـــد انـجـلى عــن مـكـة وهـــو ابنها

وبـــه تـشـرفـت الـحـطـيـم وزمزم

لم يـــدرِ أيـــن يـريـح بـــدن ركابه

فـكـأنـمـا الــمـــأوى عـلـيـه محرم

نصـب خيامـه في كربـلاء فأحرقوهـا على سـاكنيها ففـررن بنـات رسـول الله ﷺ على وجوههن في البيداء هذي تنادي واجداه وتلك تنادي وا أبتاه وأخرى تنادي وا ولداه .

فـــرت واحــــــدة تـــنــدب ولدها

أو وحـــدة تـنـدب إخـوتـهـا وسعدها

أو وحـــــدة لــلـولي تخـمـش بخدها

أو وحـــدة تصيح يـا عمي المشكر

الليلة الثانية

المصلحون والنصر الإلهي

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1]

مُرسِلٌ هو اللّـه ورسوله ورسالة والآية في بدايتها تظهر إن المُرسِل قد تعهد لرسله بكلمةٍ سبقت منه إليهم أنهم المنصورون على كل حال وإنَّ مَن آمن بهم وباللّـه لهم الغالبون، بقليل من التدبر في رحاب الآيات موضوع البحث نجد آفاقاً واسعة ومجالاً رحباً للتفكر في الأدوار العظيمة التي لعبها الأنبياء والرسل والأوصياء والهداة من أجل أنسنة الإنسان والأخذ بيده إلى السعادة الأبدية حيث الروح والريحان والحورُ والولدان في بحبوحة الجنان.

الفائدة الأولى: تقدم العهد الإلهي على بعثة الرسل فالكلمة التي نسبها اللّـه جل وعلا لنفسه سبقت في صدورها إرسال الرسل ومباشرتهم الدعوة وتقدمت على تاريخ البعثة وهذا يعني ان كل مبعوث ورسول أرسله اللّـه إلى الناس سيباشر عمله الرسالي وهو واثق بالنصر والغلبة وهذه الثقة باللّـه تعطي العمل الرسالي دفعاً قوياً وزخماً لا حدود له.

الفائدة الثانية: تبني الإرادة الإلهية مشروع الأنبياء والرسل والهداة ونسبة الرسل إلى الإرادة الإلهية بالضمير «نا» تعني الكثير حيث لا يمكن أن نتصور أي مشروع يتبناه اللّـه يبوء بالفشل، فهم عبادُهُ الذين اصطفى من بين جميع الخلق وجمّلهم بأجمل الصفات وحمَّلهم أعظم المسؤوليات ويكفي أي مشروع تبني الحق له ليكون من أنجح المشاريع وقد قيل «**من كان مع اللّـه كان اللّـه معه**» .

الفائدة الثالثة: الوعد الأكيد والكلمة الفصل قالها الحق قبل كل شيء وهي وبكل تأكيد

---

(١) سورة الصافات: ١٧١ـ١٧٢.

النصر المؤزر، فكل نبيٍّ منصورٌ حسب صريح الاية، منصور بالحجة الدامغة، منصورٌ في الدنيا والآخرة، منصورٌ في كل المعارك وعلى كل المستويات ويؤكد صاحب مجمع البيان إنه لم يقتل نبيٌ في معركة أو حرب وإنّما من قتل منهم فقد قتل غيلة وغدرا. وإن لم ير انتصاره بعينه فإن أنصاره وأتباعه وجنده يرفعون رايات انتصاره.

الفائدة الرابعة: يؤكدُ الحق للخلق ان جنده الذين يجاهدون بإخلاصٍ في سبيله وبإضافة لام التوكيد «لهُم» الغالبون ولنعم قول القائل «**الحق رغم خصومه غلاب**» وهذا قول أصدق القائلين فأي آمرٍ بالمعروف وناهٍ عن المنكر ومجاهد في سبيل اللّـه له الغلبة على كل حال، ورائعٌ ذلك الجندي الذي ينسبهُ الحق لنفسه. يقاتل أعداء اللّـه وهو واثق بالنصر والغلبة يقتحم الأهوال لا يبالي وقع على الموت أم وقع الموت عليه.لك أن تعترض على كل ما تقدم وتقول كيف وواقع الحال ما من نبيٍّ أو رسولٍ إلّا وقد كذَّبهُ قومُهُ وآذوهُ وحاربوه وربما قتلوه، عرفنا ذلك من قراءة قصص الأنبياء أو الاستماع إلى سيرة حياتهم من على المنابر الحسينية، فنوحٌ عليه السلام بعد جهودٍ مضنية أقل من ألف عام بقليل لم يؤمن به وبمشروعه سوى لاقل من مائة إنسان وكان في كل يوم يضرب ضرباً مبرحاً حتى يغيب عن الوعي فيحمل ويلقى على باب داره وأنقذه اللّـه بالفلك المشحون وحَدِّث عن موسى وعيسى وإبراهيم وإسماعيل ومحمد وباقي الأنبياء والرسل عليهم السلام بلا حرج أما زكريا فقد نشر بالمنشار وإبنه يحيى عليه السلام ذبح كما يذبح الكبش وأُهدي رأسه إلى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل.

واختار يحيى أن يطاف برأسه

وله التأسي بالحسين يكونُ

كيف يمكن التوفيق بين كلمة الحق ووعده لعباده المرسلين ولجنده الغالبين وواقع الحال الذي عاشوه والنهايات المأساوية التي وصل إليها بعضهم إن كان نظر السامع الكريم سيقتصر على ظاهر أحوال الرسل وجندهم فانه سوف لا يصل إلى الصورة الحقيقية

والواقعية.

أما إذا وسعَّنا أفق التصوُّر وناقشنا بدائل وحلول مقترحة وتابعنا البحث في نتائج جهادهم والأهداف التي حققوها فاننا سنرى بوضوح إنهم فعلاً هم المنصورون وان جندهم لهم الغالبون.

لقد انتصر نوحٌ بانتصار مبادئه وقيمهِ وانتصر ابراهيم على كلِّ نمرودٍ وانتصر موسى على كل فرعون وانتصرت إرادة عيسى على صالبيه وانتصرت مفاهيم الإسلام وقيمهُ على الجاهلية والعصبية والصنمية، نعم لقد انتصروا رغم أجسادهم الممزقة وأشلاءِ هم الموزعة وحقوقهم المغصوبة ورحم اللّه الشاعر القائل:

ويموت الرسول جسماً ولكن

في الرسالات لن يموت الرسولُ

وإن شئت أن أُطلعك على دمٍ انتصر على السيف وشهيد انتصر على أعدائه وتحققت فيه وفي مشروعه كلمة اللّه ووعده فتعال معي إلى سبط رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم الإمام الحسين عليه السلام لترى النصر الإلهي بأجلى صورة وتعيش مع عاشوراء كل معاني الفوز والانتصار الذي حققه الإمام الحسين عليه السلام، انتصار دين جدِّه. انتصار المبادئ والقيم الحقة التي دافع عنها، إستمرار الأجيال الحسينية التي تردد في كل عام نداء يا حسين.

كذب الموت فالحسين مخلَّد

كُلّما أخلق الزمان تجدَّد

ولئن إنتهت معركة الأنبياء والرسل مع أعدائهم لحظة مفارقة الروح للجسد فإن معركة الإمام الحسين عليه السلام مع أعداء الحق لم تنتهي إلى يومنا هذا، هل تنسى صورة أشلاء زواره يوم العاشر من العام الماضي، رأيتم بأعينكم الطفلة التي مزقتها وأحرقتها مفخخات الحقد الطائفي المقيت، وانتصر دم الحسين لأنه حق على سيف يزيد لأنه باطل الذين حاربوا الحسين عليه السلام ثلاثة لعن اللّه الثلاثة.

الأول: عدو الجسد وهو الذي مارس بحق الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره عليهم السلام أبشع صور القتل والتعذيب وبعد القتل التمثيل في الجثث الطواهر الزواكي وحمل الرؤوس الطاهرة على الرماح وعرضها على الملأ من بلد إلى بلد، وقد إنتهى دور هذا العدو بثورة المختار الثقفي عليه الرحمة الذي إنتقم من قتلة الحسين عليه السلام شرَّ إنتقام وهذا أول نصر.

الثاني: عدو الأثر وهو الذي حمله حقده على الحق وأهله للسعي لإزالة أي أثر وشاخص وشاهد على أهل بيت رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم لقد حرثوا قبر الحسين عليه السلام وحاولوا إغراقه بالماء بعد أن مارسوا كل أنواع الإجرام بحق زوّار قبر الحسين عليه السلام من فرض الأتاوات إلى قطع الأيدي والأرجل حتى القتل، طوّق الماءُ قبر الحسين عليه السلام وحار حوله وبقي يهتف إلى يومنا هذا:

انتصر الحسين وخاب من عاداه

نصر الحسين على العدى مولاه

انتصر الحسين بفكره وعطاءه

روحي وأرواح الأنام فداه

الثالث: عدو الفكر، وهذا العدو أشرسُ وأخطرُ من سابقيه كان وما زال يحاول وبكل وسيلة التعتيم الإعلامي على شخصيته وفضائله ويسعى جاهداً لتبرأة ساحة الظالمين من جريمة قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه ويقلل من أهمية هذه الفاجعة بدعوى الوحدة الإسلامية، إن الذي يقف في خندق أعداء الحسين عليه السلام ليعي إنه عدو للّـه ولرسوله وهو مخذول مع كل ما يملك من قوة وان الحسين عليه السلام منتصر على كل حال لأنه حبيبٌ وجندٌ للّـه ورسوله، مشروعه إلهي وانتصاره حتمي وإن فصلوا رأسه عن بدنه ورفعوه على الرماح، ساعد اللّـه قلب أُخته الحوراء روحي فداها حين أخرجت رأسها من المحمل فنظرت إليه نظر الواثق بالنصر وصاحت وا أخاه واحسيناه.

رأت الــرمــح زيــنــب حــين مالا

وعــلــيــه رأسُ الــحــســيــن تلالا

خــاطــبــتــهُ مــذ لاح يــزهــو هلالا

يــا هـــلالاً لــمّــا إســتــتــمَّ كمالا

غالَه خَسفُهُ فأبدى غروبا

***

يـــا شـــيـــال راس حـــســـين دنة

يـــــردن بـــنـــاتـــة إيـــــود عنه

ويحـــــفـــــرن قـــــبر وايوسدنة

ويــنــصــبــن عــلــى الــمــذبــوح حنَّه

كيف يتحقق العدل الاجتماعي؟

بســم اللَّــه الرحمــن الرحيم: ﴿يَـا قَـوْمِ أَوْفُـوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1]

في ربوع بلاد الشـام مهد الرسـالات حيث عـاش أكثر الأنبيـاء جهادهم مـن أجل حياة أفضـل وإنسـان أكمـل كانـت دواعي نـزول هـذه الآيـة الكريمـة، فشـعيب عليه السلام خطيب الأنبياء وثالث الأنبيـاء العرب بعد هود وصالح يدعو أهل مدين وهي مدينة في طريق الشـام من الجزيـرة أولاً إلى ترك عبـادة الأصنام وتوحيـد اللَّـه الخالق الـرازق الـذي متعّهم بالأمن والرفاهيـة والخصب ورُخص الأسـعار، لأنهـم بطروا وافشـوا الظلم والفسـاد وذلك بتفشي السـمسرة وتنقيص المكيال والميـزان والغش في البيع والـشراء، لأنهم كانـوا إذا دخل الغريب بلدهـم أخذوا دراهمـه الجياد وقالوا هـذه النقود مزيفـه ثم يأخذوهـا منه بنقصـان وكانوا كما يقول الزمخشري في تفسـير الكشاف مكاسين لا يدعون شيئاً إلّا مكسـوه «أخذوا عليه رسوماً وضرائبـاً» كومسـيون وقد ورد عـن رسـول اللَّــه صلى الله عليه وآله وسلم برواية ولـده الإمـام الباقر عليه السلام: **«إذا طفف الناس المكيال والميزان أخذهم اللَّـه بالسنين والنقص وشدة المؤونة وجور السلطان»**.

دعونا نستعرض فقرات الآية فقرة، فقرة لنصل إلى معرفة ما تدعو إليه:

١. الدعوة إلى إسـتيفاء المكيال والميزان بالقسـط، المكيال وحدة قياس كالمتر والياردة والذراع والميـزان الآلة التـي توزن بهـا المواد التي تحـدد قيمتهـا وأثمانها بوحـدات الـوزن كالكيلو

---

(١) سورة هود: ٨٥.

والپـاون والحقة والوقية والمـن والقنطار وهذا الأمـر يحقق للأمة الأمـن الاجتماعي بروح الثقة المتبادلة بين الناس، أذكر في الخمسـينات كنا نسـكن في بيت يتوسـط السوق فكانت والـدتي تدفع ورقة قد سـجَّلت عليهـا ما تريد ونقـداً إلى صاحـب الملحمة المجـاور لباب دارنا وبعد نصف سـاعة تدور فيها الورقة السـوق تصل طلباتنا إلى البيت بالتمام والكمال وبأفضل الأسـعار، واليوم أذهب إلى السوق لأشـتري غرضاً معيناً، وبعد أن أماكس أكثر من واحد حول السـعر الـذي يختلف بين بائـع وبائع وقد يصـل الفرق أحيانـا إلى ضعف القيمة، أقف عند أحدهم لأشتري فيمسـك بالكيس ويدّس فيه التالف والفاسد ثم يلقي الكيس بقـوة في حجر دفة الميـزان لينزل قـسراً ورغماً عنـه وأعود للبيت لأجـد إن نصف مشـترياتي، لا يصلح للأسـتعمال وإني قد دفعـت ضعف القيمـة الحقيقية لمشـترياتي، تاجر الجملة يسرق تاجـر المفرق وتاجر المفرق يسرقنا وهكذا تتسـع دائرة السرقـة وتنعدم الثقة في المجتمع.

٢. ولا تبخسوا الناس أشياءهم، البخس لغة يعني النقص أي لا تنقص الناس حقوقهم ولعل الذهن ينصرف هنـا إلى قيمة الأفـراد المعنويـة والتي لا تـكال بمكيال ولا تـوزن بميزان، وعليه وحسـب الآية لا ينبغي إن أحببنا فرداً أن نرفعه إلى عنان السماء ونجعله صنماً نعبده ونخترع له المناقب والكرامات، وإن إنقلبنا عليه أن لا ننزله إلى أسـفل سـافلين يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن الدنيا إذا أقبلت على رجل وهبته محاسن غيره وإن أدبرت عنه سلبته محاسنه**» . ويقول روحي فداه «أحبب صديقك هوناً ما فعسـى أن يكون عدَّوك يوماً ما، وإبغض عدوَّك هوناً ما فعسـى أن يكون صديقك يوماً ما» فالإعتـدال الاعتدال في الحب والكراهية ولنبتعد عن الإفراط والتفريط في التعاطي الإجتماعي لأن الغلو في هذه المشاعر يحطم المجتمع الإنساني وما أروع ما قال الشاعر:

وعـين الـرضـا عـن كـل عـيـبٍ كليلةُ

كما إنَّ عين السُخطِ تبدي المساويا

٤. ولا تعثوا في الأرض مفسـدين: لما كانت المعاملات المالية كالبيع والـشراء من اركان حياة الإنسان الاجتماعية فالخيانة فيها تعني الفساد الشـديد المؤدي إلى القتل أو الجرح أو الظلم الجاهي أو المالي أو العرضي وفقدان الثقة والنظرة الموضوعية المتجردة إلى الأمور تؤدي إلى تحطيم المجتمع وفساده وحلول عدم الثقة وإساءة الظن بكل ما يجري حولنا وتفشي النظرة السوداوية للأمور واستحالة التعايش في مثل هذه الأجواء معلوم.

نلفت الأنظار إلى هذه القضية لخطورتها وأهميتهـا ولأن التمادي فيها أدى بمدين أن أنزل اللّـه عليها غضبه كسفاً من السماء، لقد سـخروا من شعيب عليه السلام الذي كان يريد لهم المنفعة وآذوه وتتبعوا أصحابه واتهموه بأنه مسـحور وكاذب وهدّدوه بالرجم فلما يئس من هدايتهم طلب من ربه حسـم الموضوع فأخذتهـم الصيحة فأصبحـوا في ديارهم جاثمـين ولأن الدين معاملة وكل غش فيه فسادٌ في الأرض وتجاوز للخطوط الحمُر علينا أن نقدر خطورة تضخيم بعض الشخصيات على حساب تحجيم الاخرين. إن هذا العمل جريمة لا تغتفر.

ولقد كان بنو أمية من أخطر المفسـدين الذين عاثوا في الأرض فساداً إضطربت الموازين والمقاييس بتزويرهـم وفرّقوا بـين المسـلمين عرب ومـوالي بالعطـاء، قربـوا البعيـد وأبعدوا القريب لفقوا الأحاديث على رسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم سـبوا سـيد الأوصياء أمـير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على منابر المسلمين ألف شهر فتجرأ الناس على تبادل السباب وتغافلوا عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا علي من سبَّك فقد سبَّني ومن سبَّني فقد سبَّ اللّـه**» قتلوا خيرة أصحاب الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم أمثال أبو ذر الغفاري وعمّار بن ياسر وحجر بن عـدي الكندي ومحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر وأُم المؤمنين عائشة لإعتراضهم على كل حكم مخالف لحكم اللّـه. ومزَّقوا الأمَّة الاسلامية وداسوا أقدس مقداستنا ومزقوها شر ممزق.

كتاب اللّـه رماه الوليد بسهم وهو يفتخر ويتحدى الذكر الحميد:

تُهـــــــدّدني بـــجــبّــارٍ عَنيدٍ
وهـــا أنـــا ذاك جـــبـــارٌ عنيدُ

إذا ماجئت ربَّــك يــومَ حَشْرٍ
فَــقُــل يا ربُّ مــزَّقــني الوليدُ

أما الكعبة فقد رماها يزيد بالمنجنيق وأحرقها وأما المدينة المنورة فقد أباحها جنده وراثت خيولهم فيهـا وإعتدوا فيها عـلى آلاف بنـات المهاجرين والأنصـار، والداهيـة العظمى قتلهم الحسين عليه السلام سبط رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم وولده وحبيبه وقرة عينه وثمرة فؤاده وحامل رسالته وناصر دينه، وكما مزَّقـوا كتاب اللّـه بسـهامهم وجورهم وتزويرهم فإنهم مزقـوا كتاب اللّـه الناطق يوم عاشـوراء بسـيوفهم ورماحهـم ونبالهم وحجارتهـم، لقد دفعهـم كفرهُم وحبُّهم للسـلطان وحقدهـم على محمـد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعـلى دين محمـد إلى ارتـكاب الجرائم التي إرتكبوها.

قَـتَـلـوهُ بـعَـدَ عـلـمٍ مِنهُمُ
إنَّـــهُ خَــامــسُ أصــحــابِ الكسا
وا صريــعــاً عــالــجَ المــوتَ بلا
شَـــدِّ لـحـيـيـهِ ولامَدِّ ردا
يــا رســولَ الـلّـــهِ يافاطمةٌ
يــا أمــيــر الـمـؤمـنـيـن المرتضى
عــظَّــمَ الـلّـــه لــك الأجـــرُ بمن
كــضَّ أحــشــاهُ الـظـمـا حـتـى قضى

وكأني بالعقيلة زينـب عليها السلام خرجت من خيمتها تنـادي وا جداه وا محمّـداه وا أبتاه وا عليّاه وا عمّاه وا حمزتاه وا جعفراه.

يجـدي گـوم هـذا حسين مذبوح   على الشاطي وعـلى التربـان مطروح
يجـدي مابقت لـه إمـن الطعن روح   يجـدي گـلب أخـوي حسين فطَّر

***

يجــــدي مــــات محـــدَّ وگـــف دونه   ولانغّار غـــمـــضَّ لـــه عيونه

يـعـالـج بـالـشـمـس منخطف لونه   ولا واحد ابـحـلـقـه مــاي قطَّر

***

يجـــدي مـــات محـــدَّ مـــدَّد إيديه   ولا واحد يجـــدي عـــدل رجليه

وحـيـد يـعـالـج ومحـــدَّ قـــرب ليه   يحـط لـه اظـلال ياجدي مـن الحر

***

أجـد بـالـسير ويـه الـظـعـن ياجد   ابـن أمـي عـاري ولاچفن ياجد

هـذا حـسين هـالمـذبـوح ياجد   إشـلـون أمـشي وعـوف إبـنـك رميَّه

الإحياء في حياة الأولياء

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]

ذكر السيد الطباطبائي في ميزانه إن أكثر الأمم الماضية قصة في القرآن الكريم أمة بني إسرائيل، وأكثر الأنبياء ذكراً فيه موسى بن عمران عليه السلام فقد ذكر إسمه في ١٣٦ موضعاً.

ومن هذا يظهر أن بني إسرائيل أكثر الأمم لجاجاً وخصاماً وأبعدهم من الإنقياد للحق، كما كان كفار العرب الذين إبتلى بهم رسول اللّـه محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وقد إبتليت الحقيقة والحق في أيامنا وعصرنا هذا بمثل هذه البلية بالمدنّية المادية التي أهداها لنا الغرب، تلك الحضارة المبنيّة على الحس والمادة فلا يقبل دليل فيما بعد الحس ولا يسأل عن دليل فيما تضمن لذة مادية حسية فأوجب ذلك إبطال الغريزة الإنسانية في أحكامها.

وارتحال المعارف العالية والأخلاق الفاضلة من بيننا فصار يهدد الإنسانية بالانهدام وجامعة البشر بأشد الفساد.

فهل كل دليل مطلوب وهل كل تقليد مذموم؟؟؟؟

كل قضية من القضايا يخضعونها للمنطق الرياضي ١ + ١ = ٢ هذا يعقل وذاك لا يعقل، هذا يُصدّق وذاك لا يصدق، هذا منطقي وذلك غير منطقي الايمان الحقيقي والتسليم الصادق والفطري يحل كل هذه الاشكالات والتدبر في معاني هذه الآية يوضح الكثير من القضايا التي

---

(١) سورة البقرة: ٧٣.

أثار البعض حولها موجةً مشبوهة من التشكيك الذي مزّق الصف الإسلامي أكثر مما هو فيه،

في مضامين الآية المواضيع التالية:

١. مثال على كيفية إحياء الموتى.

٢. إراءة آيات اللّـه.

٣. الدعوة إلى التعقل.

نبدأ من الموضوع الأول وهو موضوعٌ حساس يمكن إثارة جدل سوفسطائي كبير حوله إن فكرنا بالأمر بطريقة عصرية، أماً إذا عقلنا الأمور كما يريد اللّـه أن نعقلها فلا تعترضنا أية مشكلة.

جريمة قتل حدثت في بني إسرائيل وجاء القتلة بجثة القتيل ووضعوها في حي أعداء لهما وارتفع صوتهما مطالباً بالدية، فتحّير القوم بالأمر ولمعرفة القاتل لجأ الجميع إلى كليم اللّـه موسى عليه السلام، فطلب منهم التوجه إلى اللّـه جل وعلا بتقريب قربان، وكان القربان بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين متوسطة العمر والحجم والطباع.

طلب منهم تقديمها بعد مماحكة منهم وللعلم فان اللّـه جل وعلا وكلما وجد في القوم لجاجة زاد في صعوبة الشروط المطلوبة في النذر ولو أنهم بادروا بتنفيذ الأمر دون مماحكة لقبل منهم موسى عليه السلام أول بقرة يأتون بها، بحثوا في كل الأحياء على البقرة بالأوصاف المطلوبة فلم يجدوها إلّا عند شاب بر أباه فوهب له هذه البقرة.

وكان هذا الشاب كاسباً فقصده أناسٌ ليشتروا منه بضاعة وكان مفتاح المستودع تحت رأس أبيه الذي كان يقيل عند الظهيرة فاعتذر الشاب لهم مراعاة لأبيه وراحته، وعندما أفاق الأب قال له هل بعت بظاعتك قال لا يا أبتي، فقال له لماذا؟ قال لأن المفتاح كان تحت رأسك وأنت نائم فما أحببت أن أزعجك. فقال له بارك اللّـه فيك يا ولدي ولك مني هذه البقرة التي ستكون سبباً لغناك، وشاء اللّـه أن تكون مطابقة لمواصفات البقرة التي يجب أن تقدم كقربان فاستحكم وطلب ثمناً خيالياً وهو ملْ جلدها ذهباً فاضطروا للموافقة وذبحوها وقام

موسى عليه السلام واخذ ذيل البقرة فضرب به القتيل فقام وعرَّف بابني عمِّه اللذين قتلاه حسداً وعاد ميتاً، وهكذا أحيا اللّـه الميّت وبطريقةٍ أبعد ما تكون عن المنطق العصري.

كيف نضرب ميتاً بميت فيحي أحدهما وينطق ثم يعود إلى الموت هل بوسع أحدكم أن يقول هذا غير معقول أو إنه لا يصدق، كذلك يحيي اللّـه الموتى. فأمر موسى عليه السلام بالقتلة فقتلوا ولحم البقرة أكله الفقراء بعد كل هذا هل تمكن أئمتنا من أمثال هذه المعجزة أم أنه أمرٌ غير معقول قال الشاعر في أمير المؤمنين عليه السلام:

يا علة الأكوان والشرف الذي
معنى دقيق صفاته لن يعقلا
إني لأعذر حاسديك على الذي
أولاك ربك ذو الجلال وفضلاً
إن يحسدوك على علاك فإنما
متسافل الدرجات يحسد من علا
إحياؤك الموتى ونطقك مخبراً
بالمعضلات عذرت فيك لمن غلا
وعلوت من فوق البساط مخاطبا
أهل الرقيم فخاطبوك معجلا

وفي مسجد الجمجمة في الجميجمة في بابل الحلة الفيحاء شاهد على مانقول حيث كلمَّ الأمير عليه السلام جلندي بن كركر وهو أحد ملوك الجنة

من كلم الأموات في يوم
الفرات من القبورِ

وقال آخر

مــن ذا الــــذي أحــيــى لــــه رب العلى

بــصــرصــرٍ مــيــتــاً دفــيــنــاً فــي الثرى

ولقد كان في حياة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أمثال هذه المعاجز وأشباهها الكثير الكثير، بعد كل هذا صدق أو لاتصدق.

المطلب الثاني آيات اللّـه التي أراها لهم ويريها لنا كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة وفي كل شيء

وفـــي كـــــل شــــــــيء لـــــه آية

تـــــدل عــــلـــى إنــــــه واحد

يقول الطبرسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مجمع البيان الآيات هنا هي المعجـزات الباهرة الخارقة للعادة من إحياء ذلك الميت وغيره وقيل أراد الأعلام الظاهرة الدالة على صدق محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

واما الموضوع الثالث فهو التعقل «لعلكم تعقلـون «وقد لاحظنا في الآونة الأخيرة دعوة البعض إلى عقلنة الدين والتاريخ فهل هذا هو المطلوب؟أم ما هو المطلوب، إن العقل البشري مهما بلغ فانـه لا يبلغ درجة الكمال والعصمة لـذا فان الطريقة المثلى لفهم الأمور هي التسـليم الكامل للثقلين كتـاب اللّـه والعترة المطهرة، وعدم الاعتماد على فهـم عقولنا القاصرة للأمور وذواتنا المقـصرة. فالمعادلـة الصحيحـة هـي كالآتي ١+١+ إرادة اللّـــه ومشـيئته = ٢. ﴿**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَن يَشَاءَ اللَّـهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾والمهـدي مـن آل محمـد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقـول «**قلوبنـا أوعيـة لمشـيئة اللّـه إذا شـاء شـئنا**» ولا يسـعنا فهم القرآن عن طريق آرائنا الشخصية وإسـتنتاجاتنا بل علينـا الرجوع إلى تفسـير أهل البيـت وتأويلهم ففي بيوتهـم نزل الوحي وهـم اهل الذكر ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ**﴾ ولا تتقدموهم فتهلكوا ولا تتاخروا عنهم فتظلوا.

وهكذا بعد أن قدّم بنو إسرائيـل قربانهم وضربوا قتيلهم ببعض القربـان قام حياً وعرَّف قاتليه، ولقد وقف الامام الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم عاشـورا بين يدي ربه يقدم القربان تلو القربان من أجل إحيـاء شريعة جـدِّه المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ التي سـارت بها أُميَّـة نحو أودية الهـلاك ولنعم

قـول القائل «**الاسـلام محمـدي الوجود علـوي الصمود حسـيني الخلـود**»، نعم لقد سـمع الامام الحسين عليه السلام دين جده يسـتجير به فلبى نداءه وقدم قرابينه لإحياء ما درس من معالم الاسلام، ولقد أجاد المرحوم السـيد جعفر الحلي بتصوير الواقع حيث يقول بعدما عبث يزيد بالعباد والبلاد ونشر الظلم والفساد:

لـم أدر أيـن رجـال المسلمين مضوا
وكـيـف صـار يـزيـدٌ بينهم ملكا
الـعـاقـر الـخـمـر مـن لـؤمٍ بعنصرهِ
ومـن خساسة طبع يعصرُ الودكا
لـئـن جـرت لفظة الـتـوحـيـد فـي فمهِ
فـسـيـفـهُ بـسـوى الـتـوحـيـد ما فتكا
قـد أصـبـح الـديـنُ منه يشتكي سَقَماً
ومـا إلـى أحـد غـيـر الحسين شكا
فما رأى السبطُ للدينِ الحنيفِ شفاً
إلا إذا دمـهُ فـي كـربـلا سفكا
ومـا سـمـعـنـا عـلـيـلاً لاعلاج له
إلا بنفسِ مـداويـه إذا هلكا
نـفـسـي الـفـداء لـفـادي شـرع والده
بـنـفـسـه وبـأهـلـيـهِ وما ملكا
يـا مـيـتـاّ تـرك الألـبـاب حائرةً
وبـالـعـراء ثـلاثـاً جـسـمـه تركا
فـي كـل عـام لـنـا فـي الـعـشـر واعـيـةٌ
تطبق الـدور والأرجـاء والسككا

نعم سيدي ذكرك يحيي النفوس والقلوب والعقول وإن أجرى العبرات

لـــولاك الـــفـــرض يحـــسين ماتم وحـــق چـــبـــدك المـــنـــه ثـــلـــث مات

إلـــك بـگـلـوبـنـه مـنـصـوب مـا تم لـــذچـــرك يا شهيد الغاضرية

***

يـالـدمـك حـيـه الأرواح والدين وفـــه حـگ الـشـريـعـة إعليه والدين

دمـوعـي تـرفـض الـطـاغـوت والدين كـــل ظـــالم فـــعـــل أفـــعـــال أمية

***

بـيـو الـيـمـة إبـعـذب ذچـرك ولعنه وعـــدوك أذكـــر أفـــعـــالـــه وألعنه

مـصـابـك نـــار لـلـمـحـشر ولعنه ورزيـــتـــك مـــا مـثـلـهـا إتمـــرُّ رزية

***

هوى النفس

بسم اللّـه الرحمـن الرحيـم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُـولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُـكُمُ اسْـتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُـمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[1]

النفـس البشرية ذلـك الكائن العجيـب الغريـب والقابل حسـب ما جاء في كتـاب اللّـه للتزكية والسـمو والإرتقـاء وفي نفس الوقت للـدسّ والـتردّي في مهاوي الرذيلة فهي أشـبه ما يكون بشريط المسـجل، يكون رحمانياً حين نسـجل عليه تـلاوة قرآنية أو محاضرة إسـلامية ويكون شـيطانياً حين نسـجل عليه أُغنية تافهة أو موسـيقى راقصة أو أي مادة تلهي عن ذكر اللّـه.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا*قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾

وتنقسم النفس البشرية حسب مراتب رقيها ووعيها وتسليمها للّـه كما ذكر المفسرون إلى ثلاث أنفس حسب الترتيب القرآني:

أولاً: النفـس الأمَّارة بالسـوء وهي التـي تخضع غالبـاً لأهواءهـا وغرائزهـا **﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾**. فالقاعـدة هـي النفـس الامـارة بالسـوء والاستثناء هي النفس التي أدركتها الرحمة الإلهية، وما أكثر ما قيل في أضرار إتباع الهوى، فعن أمير المؤمنين عليه السلام إنه قـال «**أخوف ما أخاف عليكم إثنتان إتبّـاع الهوى وطول الأمل**» وعن الصادق عليه السلام إنه قال «**إحذروا أهواءكم كما تحذرون أعدائكـم**» وقال «**من أطاع هواه فقد**

(١) سورة البقرة: ٨٧.

اطاع عدوه». أما سـيِّدُ الكائنات مُحمَّد ﷺ فيقول «**ثلاث مهلكات: شـح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه**». كما قيل إنما سمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه.

ثانياً: النفس اللوامة وهي تلك النفس التي يملكها صاحبها غالباً ويحكم سـيطرته عليها فإذا همَّت بمعصيـة لامها وزجرها ونهاهـا عن الهوى وإن أفلتـت منه أحياناً عاد بالإسـتغفار والتوبة والتوسـل إلى جـادة الصواب، وبعبـارة أوجز هـي الضمير الحي الـذي يطلق صفارة الإنذار عند إحساسه بأي خطأ، كان عند بائع قماش شابٌ وسيمُ جميل الخلق والخلق فصادف ذات يوم أن تعلقت به إمرأة باهرة الجمال ولها زوج ذميم المنظر فاشـترت قماشـاً كثيراً وطلبت منه أن يسـاعدها بتوصيل القـماش إلى دارها وقت غيـاب زوجها عن الدار ثـم إحتالت عليه وأدخلتـه الدار وتبرجـت له وطلبـت منه الوصـال وقف الشـاب مذهولاً يفكـر في أمره على خطرين، ينصاع لهـوى النفس أم يخالفها، وهنا تحركـت فيه فطرة الدين ولامته نفسـه قائلة له كيف تزني ومع إمـرأة محصنة أما تخاف اللّـه أما تخشـى أن تـدان كما تدين، قال لهـا إني أحتاج بيت الخلاء فأشـارت إليه فدخله ثم خـرج وقد لوَّث ثيابه بشـكل أثار إشـمئزازها ثم إنطلق هارباً من دارها. هارباً بدينه.

ثالثاً: النفس المطمئنة وهي نفوس الأنبياء والأوصياء المعصومين عليهم الصلاة والسلام التي يحملها بـين الحنايـا ﴿**عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾ يحبون اللّـه واللّـه يحبهـم قلوبهم كالمـرآة الصافيـة تنعكس فيها صـورة المشـيئة المولويـة والارادة الربانية وبكامل الإمتثال والمحبوبية، ومن أروع مصاديق النفس المطمئنة نفس الإمام الحسين عليه السلام

بعد هـذه المقدمـة نُـسرِّح النظـر في مضامين الآيـة موضـوع البحـث وبقليل مـن التدبر وبالرجـوع إلى تفاسـير المفسرين نـرى إن الخطـاب فيهـا وفي الآيات التـي سـبقتها موَّجه إلى بني إسرائيل ولـو إن الأعمّ الأغلب منا يأخذ من الدين ما يناسـب هـواه ويعرض عن الباقي فالناس كما يقول الإمام الحسين عليه السلام «**الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درَّت معائشهم فاذا محّصوا بالبلاء قلَّ الديّانون**».

فالقوم هنا كلما جاءهم رسـول من اللّـه يدعوهم إلى عبادة اللّــه وطاعته وجدوا إن هذا الأمر لا ينسـجم مع هوى نفوسـهم الأمَّارة بالسـوء فتأخذهم العصبية الجاهلية ويستكبرون فيتهمون بعضهم ويقتلون البعض الآخر، نعم لقد كانوا يقتلون بين عشية وضحاها ستين نبيَّاً ويخرجون إلى أسواقهم وأعمالهم وكأنهم لم يعملوا شيئاً يالقسوة قلوبهم.

النبي بأمر اللّـه يدعوهم إلى إعمار دار الآخرة وهم يحبون الدنيا.

النبي بأمر اللّـه يدعوهم إلى المساواة وهم يحبون التمايز الطبقي.

النبي بأمر اللّـه يدعوهم إلى التحرر من أسر الشهوات وهم يحبونها.

النبي بأمر اللّـه يدعوهم إلى الجنة بطاعة اللّـه وهم يحبون النار بمعصيته.

النبي بأمر اللّـه يريد لهم الرفعة والعزة والنجاة وهم يشترون الذل بأبهض الأثمان، طريق الجنان مجاني ولا يسيرون فيه وطريق النيران يتهافتون عليه ويدفعون لأجله أغلى الأثمان.

ينقل عن آية العظمى السيد شهاب الدين المرعشي طيب اللّـه ثراه عندما سألوه كيف بلغت هـذه المراتب العالية قـال بمجاهـدة النفس ومخالفة الهـوى حتى في المباحـات، وهكذا كان الخيرة من أصحاب رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم أمثال سلمان وأبو ذر وعمّار والمقداد وحجر الخير ومولانا ومولاهم علي بن أبي طالـب عليه السلام الذي ما عرض عليه أمـران إلا وقدَّم ما فيه رضا ربِّه حتى إنه سُـئل يوماً يا أمير المؤمنين أيُّهما أحبّ إليك الجنة أم المسـجد فقال المسجد لأن فيه رضا ربي وفي الجنـة رضا نفسي نعم كما طلب موسـى عليه السلام مـن قومه إطاعة ومحبـة نبي يأتي بعده اسـمه أحمد، وكذلك الأنبيـاء بعده حتى عيسـى عليه السلام، فكذبوا موسـى وقتلـوا زكريا ويحيى عليه السلام ولم يكـن موقف أُمتّنا بأقل سـوءاً مـن موقف بنـي إسرائيل فلقد كذبـوا مُحمَّداً وكذَّبوا آله صلى الله عليه وآله وسلم وحاولوا قتلهم تكراراً ومراراً. ليلة العقبة وليلة الهجرة وفي ذات السلاسـل والتأريخ كله شواهد.

فإن الباقر عليه السلام قال ضرب اللّـه مثلاً لأُمة مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم فإن جاءكم مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم بما لاتهوى أنفسكم بموالاة علي وولده عليه السلام إستكبرتم ففريقاً كذبَّتم وفريقاً تقتلون.

ومما يحز في النفس إن بعض من يدّعي الاسـلام إلى يومنا هذا نفسه لا تهوى أمير المؤمنين وولده بل تتعاطف بقوة وتحاول تضخيم أعداءهم وقتلتهـم، فاذا ذكرنا علياً بمحضر أحدهم تلبّد وجهه وتغيَّر لونه.

امـيـر الـمـؤمـنـيـن أراك إما
ذكـرتـك عند ذي حسب صغى لي
وإن كـــررَّتُ ذكـــركَ عـــندَ نغَل
تـــكـــدَّرَ صـــفـــوه وبـــغـــى قتالي

ولعـل البعض يصرِّح بمشـاعره ولا يبالي نعم عندمـا أُدخِل نعش الإمام الحسـن عليه السلام إلى مسـجد رسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم ليجدّدوا له عهداً بقبر جـدِّه وإذا بواحدة تنـادي بأعلى صوت أخرجوا من داري من لا أُحب وطارت السـهام لتسـتقر في جنازة الإمام الحسن عليه السلام لا بل في قلب رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم ولاأدري أي السهام آذتِ النبيَّ أكثر هذه أم ذلك السهم ذي ثلاث شعب الذي أطلقه حرمله على صدر الحسين عليه السلام فأخرجه من ظهره وإنبثق الدم كالميزاب:

وافـــاه سـهـم كـــان مـرمـاه الحشى فـأصـاب قـبـل حـشـاه قـلـب الدينِ
فـهـوى فـضـجّـت في ملائكها السَّما حُـــزنـــاً عـــلـيـه بـــرنّـــةٍ وحنينِ
الله أكـــبر كـيـف يـبـقـى في الثرى مـــلـــقـــىً بـــلا غُـــســـلٍ ولا تكفينِ

***

أدري بسهم مسموم چبدك توزع وإصـوابـه مگبل صـار والمگفه مطلع
بـــذاك الـســهـم يحـسين گلبي تقطع سـمَّـه بـضـمـير حـشـاي نـــاره سرّية

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أمر اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[1]

في الآيتين الكريمتين موضوع البحث خمس صفات يمكن إعتبارها من أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها المؤمن والمؤمنة وهي التي تنظم علاقة الإنسان بالإنسان وعلاقته بربّه وتضمن له بالتالي راحة الدنيا والآخرة، كما إن الإخلال بأي واحدة منها يربك البشرية ويخسر الدنيا والآخرة.

١. الوفاء بعهد اللّه، عهد اللّه الذي بين العبد وربّه وقد قسّمه أهل العلم إلى:

أ. عهد عقلي.

ب. عهد تشريعي.

والعهد العقلي هو العهد الذي عاهدنا به اللّه على الفطرة أن نوّحده ولا نشرك به أحداً وأن نؤمن برسله وأنبياءه وملائكته وكتبه وبعدله ومعاده وهذه كلها تندرج في ثقائمة أصول الدين الخمسة التي أوجب علينا الشارع المقدس الإجتهاد في إدراكها وهي التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد.

وأما العهد التشريعي فهو الالتزام التام بفروع الدين وكل التشريعات التي شرعها اللّه وبلّغ بها الأنبياء والأوصياء وفروع الدين كما تعلمون عشرة وهي الصلاة والزكاة والصوم والحج والخمس والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وموالاة أولياء اللّه والبراءة من

(١) سورة الرعد: ٢٠ــ٢١.

أعداء اللّـه. ولأن الأمور السابقة الذكر هي جوهر الدين فقد ورد في الحديث عن رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم «**لا دين لمن لا عهد له**»

ولعل الوفاء بالعهود التي تبرم بين الناس والدول فرع من هذا الأصل فمن يحترم ويفي بعهوده للناس سيجد نفسه لا يتأخر في الوفاء بعهد اللّـه والعكس بالعكس وقد قيل على نفس السياق «**من عجز عن شكر المخلوق يعجز عن شكر الخالق**»

٢. عدم نقض المواثيق، والمواثيق عهودٌ مصدّقة لا يجوز نقضها وقد تم إبرامها في عالم الأشباح والصور وعالم الذر عندما خلق اللّـه الخلق وأخذ مواثيقهم من ظهورهم. يقول رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم لو علم الناس متى سُمِّي علي بن أبي طالب أميراً للمؤمنين لما جحدوا فضله، قالوا يا رسول اللّـه ومتى سمي علي أميراً للمؤمنين قال عندما خلق اللّـه الخلق وأخذ مواثيقهم من ظهورهم: قال تعالى ألست بربكم قالوا «وبلسان الفطرة السليمة «اللّـهم بلى قال اللّـه ومُحمَّد رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم وعليٌ أمير المؤمنين عليه السلام، إذا فالميثاق والعهد هو ولاية على بن أبي طالب عليه السلام.

٣. صلة الأرحام، وهذه القضية من القضايا الحساسة التي خفَّ إعتناء الناس بها، يغيب عن أذهاننا وعندما نغضب لأنا نياتنا ومصالحنا إن من وصل الرحم وصل اللّـه ومن قطعها قطع اللّـه، وهنا ترون الوضوح التام في هذه الآية فالمؤمنون يصلون ما أمر اللّـه وصله ويقطعون ما أمر بقطعه وليس العكس، المؤمن يعرف بأن للرحم علاقة وطيدة بالسماء وإن الرحم متعلقة بالعرش ولها لسان ذلق تنادي إلهي صل من وصلني وإقطع من قطعني، وقد أكثر المفسرون الذين يعتمدون تفسير القرآن بالمأثور من حديث الرسول والأئمة الأطهار إلى أن الرحم الواجب وصلها قبل كل رحم هي رحم مُحمَّدٍ وآل مُحمَّد صلوات اللّـه عليهم اجمعين ثم قراباتك ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام إنه عندما سئل عن معنى هذه الآية قال نزلت في رحم آل مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وقد يكون في قرابتك ثم قال ولا تكونن ممن يقول في الشيء إنه في شيء

واحد.

٤. خشية اللَّـه، والخشـية هي أعلى درجات الخوف الحقيقي أي خوف القلب وجميع الحواس والمشـاعر من اللَّـه وقد أورد اللَّـه في محكم كتابه المجيد تعريف الذين يخشـون ربهم كأنهم يرونه بقوله ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّـهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ أي إن الذي يعرف ربَّه لا بد أن يخشاه، كما ورد عن رسـول اللَّـه صلى الله عليه وآله وسلم قوله «**أعلم الناس باللَّـه أشـّدهم خشـية منه**» ويقول أمير المؤمنين عليه السلام «**من خشـي اللَّـه كَمُل عِلمُه**» وقيل «**رأس الحكمة مخافة اللَّـه**» وهو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٥. الخوف من سـوء الحسـاب، ولهذه الصفة حسـب رأي المفسرين أكثر من إحتـمال. فإما أن يكون الخوف من نزول دقَّـة المعاصي عند الميـزان وإما ان يكون الخوف احصاء السـيئات وعدم إستيفاء الحسـنات وإما أن يكون الخوف من الاسـتقصاء فاذا حكم اللَّـه بين الناس يوم القيامة بالعدل وإسـتوفى فإنه لا يفلـت أحدٌ من الخلق من عذاب يوم الحسـاب لذلك فنحن دائماً ندعوا ربنا ونتوسل إليه أن يعاملنا بلطفه ورحمته ولا يحاسبنا بعدله فرحمته تسع ذنوبنا وتقصيرنا ونحن لا نطيق عدله. فسـوء الحسـاب هنا ناتج عن تقصيراتنا ومعاصينا وعـدم إيفاء نعم اللَّـــه علينا حق الشـكر يعني إن الخـوف كل الخوف مـن أن تحصى علينا صغائـر ذنوبنـا فتكـون كالجبـل عـلى ظهورنـا، روي أن النبـي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم خـرج إلى الصحراء مع جمع من أصحابه البررة وطلب منهم أن يجمعوا له الحطب فقالوا له يا رسول اللَّـه ليس في الصحـراء منه شيء قال ولو قشـة فجـاء كلٌ واحد منهم بـما وجد ووضعوه بين يـدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتأمل كثرتهـا ورفع رأسـه وقال إعلمـوا أن الذنوب هكـذا تتجمّع، فلا تحقروا ذنوبكـم مهما كانت صغيرة، والذي يخـاف ربَّه يفر من الذنب فراره من السـبع الضاري.

والآن بعد هذا البحث في مضامين الآيات المباركات لو حاولنا أن نسرح النظر في صفات قتلة الإمام الحسـين عليه السلام هل سـنجد ولو صفة واحدة من هذه الصفات الخمس في أحدهم

بل في أميرهـم يزيد بن معاوية بـن أبي سـفيان أو في عبيد اللَّـه بـن زياد بن أبيـه، لا واللَّـه لن تجدوا فيهم إلا نقائضها وأضدادها.

أتـدرون أيـن تجـدون عيـون وينابيـع هـذه الصفـات العظيمـة، تجدونـها في مُحمَّـدٍ وآل مُحمَّـد ﷺ ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾[1].

فهـم أكثر الناس خشـية للَّـه وخوفاً مـن يوم الحسـاب فـما كان أحدهم يقـوم للوضوء إلا وترتعد فرائصه وحين يقف بين يدي ربه تنحدر دموعه على لحيته الكريمة وينادي متوسلاً ومتضرعـاً «**إلهي يا محسـن قد أتاك المسـيء فتجـاوز عن قبيـح ما عندي بجميـل ما عندك**» والآخر يقول «**إلهي لقد عظم الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك**»

ولقد كانـوا أوصل النـاس للأرحـام ولعامة النـاس يصلون مـن قطعهم ذكر ابن شـهر آشـوب المازندراني في مناقب آل أبي طالب عن كتاب التهذيب إنه لما حضرت جعفر بن مُحمَّد الصـادق عليه السلام الوفـاة قال إعطوا الحسـن بـن علي الأفطس سـبعين دنيـاراً؟ قيل لـه أتعطي رجلا حمل عليك بالشـفرة ليقتلك، فقال ويحك أما قرأت قوله تعـالى ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّـهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ**﴾[2]

ومن كان أوفى من علي بن موسـى الرضـا عليه السلام بمواثيقه للمأمون الـذي نقضها ودسَّ إليه السـم وقتله، ومن أوفى من الحسـن بن علي المجتبى عليه السلام بمواثيقه لمعاوية بن أبي سفيان وهو الـذي دخل الكوفة وخطـب الناس وقـال بالفم الملئان «**أيهـا الناس أنـا ما قاتلتكم لكي تصلوا وتصوموا وتحجوا وتزكوا وإنكم لتفعلون ذلك ولكن لكـي أتأمَّر عليكم وقد أعطاني اللَّـه ذلك ألا وإني قد أعطيت الحسن بن علي عهود ومواثيق وأماني وهاهي الان كلها تحت قدمي هذه لا أفي له بواحدة منها**» كل هذا وما زال البعض يحترم خال المؤمنين وكاتب الوحي الذي لا يحـترم الوحي ويعمل بخلافه وعلى رؤوس الأشـهاد. وأما وفاء أهـل البيت بالعهود

(١) سورة الأحزاب : ٢٣.
(٢) سورة الرعد :٢١

والنذور فاللَّـه خير شـاهد على وفائهم في كتابه المنزل حيث يقول: ﴿**يُوفُـونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً**﴾(١). هذا النذر والعهد الجميع يعرف قصَّته حين مرض الحسنان ونذر أهل بيت مُحمَّـدٍ ﷺ ان يصوموا للَّــه ثلاثاً إن شـفيا، وعند الوفاء أطعموا كلاًّ من المسـكين واليتيم والأسير أقراص خبز الشعير الخمسة التي كانوا يريدون الإفطار عليها.

أما العهد الثاني فقـد كان بين الإمام الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ وربِّه ومضمونه يـارب إن رأيت إن دين جدِّي قـد أشرف على الهـلاك من ظلـم الظالمين وجهل الجاهلين فإني سـأطعم السـيوف والرماح والسـهام والحجارة دمي ولحمي وسـأبذل نفسي وخيار أهل بيتـي وأصحابي قرابين في سـبيل إعـلاء كلمتـك، ما هو المقابـل؟ إنهـا الشـفاعة نعم إنهـا الشـفاعة لكم يا شـيعة آل مُحمَّد ﷺ.

ولما كان يوم العاشر من المحرم وحمل القوم على معسـكر الإمام فأبـادوا فتيانه وأصحابه وحتى طفلـه الرضيع ركب الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ جواده وحمل عليهـم حملة علويـة حيدرية يصفها المؤرخون قائلين «**كلما شـدَّ عليهم إنكشفوا بين يديه إنكشـاف المعزى إذا شدَّ عليها الذئب**» . لقد شدَّ عليهم كالليث الغضبان حمل على الميمنة وهو يرتجر ويقول:

أنـــا الـــحـــســـيـــن بـــن علي
آلـــيـــت أن لا أنثني
أحـــمـــي عـــيـــالات أبي
امـــضـــي عـــلـــى ديـــن النبي

ثم حمل على الميسرة وهو يرتجز ويقول:

الموت أولـى من ركـوب العار
والـعـار أولـى مـن دخـول النار
والـلَّـــه مـن هــذا وهــذا جاري

---

(١) سورة الإنسان : ٧

وهو على هذا الحال والعطش قد أجهده وإذا بالنداء بين السماء والأرض يا حسين متى الوفا، وقيل نزلت إليه صحيفة عهد الشهادة، وإذا به يستسلم للسيوف والرماح والنبال وما أروع ما صاغه جنان ويراع الشيخ محسن أبو الحب حيث قال عن لسان حال المولى:

وبهمة قعساء خاطب نفسه
يا نفس لاتهني بنصر الدين
أعطيت ربي موثقاً لاينقضي
إلا بقتلي فاصعدي وذريني
إن كان دينُ مُحمَّد لم يستقم
إلاّ بقتليَ ياسيوف خذيني

الدنيا نغطت لغيري بچتلي
وأشوف عيون كل مؤمن بچتلي
إن كان الدين تأييده بچتلي
إخذيني ياسيوف علوج أُميَّة

المشروع الإلهي وسخرية المجتمع

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[1]

منذ زمن بعيد والناس لا يستوعبون حقيقة المشروع الإلهي ويحاول بعضهم حتى يومنا هذا تطبيق مواصفات المشاريع البشرية عليها فيقعون في فخ التحليل الخاطيء والنتائج المبنية على مقدمات خاطئة وبالنتيجة يكثر المتخذلقون والمتفلسفون الذين يدعون المعرفة الحقيقة والواقعية لحركة الأنبياء والأئمة المعصومين، ولا يكتفون بهذا الادعاء بل يحملون على كل من يخالفهم الرأي ويتهموه تارة بالجهل وأخرى بالتقوقع واخرى بالتخلف والطائفية وكل ما يشين ولقد وجدت ضالتي في مضامين هذه الآية التي تحكي مفصلاً هاماً من مشروع نبي اللّه نوح عليه السلام حيث إختلفت تصورات الناس في زمانه حول مشروعه كما أصبحت اليوم تختلف تصوراتنا حول أسباب ونتائج واهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام، لعلنا بعد التدير في هذه الآية الكريمة نصل إلى قناعات موحدة حول فهم آلية المشروع الإلهي لنبدأ أولاً من مواصفات شيخ المرسلين فهو:

١. أول أولي العزم سادة الأنبياء، وهم إبراهيم وموسى وعيسى ومُحمَّد عليهم السلام.
٢. الأب الثاني للبشر وأبو الأنبياء، عدا آدم وإدريس.
٣. أول من فتح باب التشريع وطالب بالمنطق والاحتجاج وحارب التمايز الطبقي في المجتمع.

---

(١) سورة هود: ٣٨

٤. صاحب أول رسالة سماوية إلى كل البشر تدعو للتوحيد والعدل.

٥. عاش حوالي (٢٥٠٠) سنة قضى منها (٩٥٠) عام في الدعوة و (٨٠) عام في صناعة السفينة.

٦. هذا النبي العظيم والمجاهد الكبير صاحب النَفَس الطويل وبعد ألف سنة إلا خمسين عاماً من الدعوة إلى اللّٰه ما استجاب له من قومه سوى ثمانين على أكثر الروايات وعلى رواية فقط ثمانية.

ولما بلغ اليأس من هداية الناس مبلغه بدأ نوحٌ بالدعاء على قومه لأن الناس وكما يقال «**أنت بوادٍ والعذول بوادي**»

فهبط إليه الأمين جبرائيل ومعه سبع بذرات من أشجار الجنة وإختلف المفسرون في ذلك فمنهم من قال كانت البذور بذور نخل ومنهم من قال بذرة شجرة السنديان و لافرق بالنتيجة لأنهما معمرتان وتحتاجان إلى عشرين عاماً حتى تصل إلى مرحلة الإثمار، وقال له يا عبد الغفار العزيز الأعلى يأمرك بأن تزرع هذه البذور وتصبر عليها سبع مرات إلى أن يحين موعد نزول العذاب.

ولا أظن هذه الخطة الربانية الرائعة إلا لتهيئة خشب السفينة وإعطاء فرص الوقت الضائع للناس عسى أن يهتدوا، فأبواب الرحمة والمغفرة تبقى مفتوحة حتى آخر وقت.

وبدأ نبي اللّٰه نوح عليه السلام بتنفيذ المرحلة الثانية من مشروعه الإلهي وهي صناعة السفينة بأمر اللّٰه وتوجيهه ورعايته وهنا بدأت سخرية الناس بنوح وبمن آمن معه وبمشروعه الذي أثار سخريتهم للوجوه التالية:

أولاً: إن قوم نوح كانوا يقطنون اليابسة ولا عهد لهم بالسفن.

ثانياً: كيف يتم بناء سفينة بهذا الحجم على اليابسة ولا وجود لأنهار أو بحار قريبة وكيف سيتم نقلها وهي بهذا الحجم.

ثالثاً: إن الذي يدّعي النبوّة كيف يمكن أن يعمل نجّاراً.

رابعاً: إن كان نبيّاً لماذا لا يوفر عليه باعثه هذا التعب والعناء.

خامساً: إن كنت يا نوح أنت والذين آمنوا معك لا تتجاوزون المئة فلماذا صنعت هذه السفينة طولها ١٢٠٠ ذراع وعرضها ٦٠٠ ذراع وارتفاعها ٣٠ ذراع وبثلاث طوابق طابق للّهوام والزواحف وطابق للوحوش وفي الأعلى نوح عليه السلام ومن معه ومؤونتهم.

نوحٌ عليه السلام يصنع الفلك بأمر اللّه وبمرأى من الناس وعلى الطريق العام يراه الوارد والصادر فيعجب ويتهكم ويسخر من نوح ومن مشروعه الغير مجدي حسب تصور الناس، ثم يتهمون نوحاً تارة بالجنون والخبل وتارة بالكذب لإبطاء وعد نزول العذاب، فاتهم إن اللّه يمهل ولا يهمل وإن هذه الفترة إنما أُعطيت لمراجعة حسابات النفس عسى أن تثوب إلى رشدها وتؤمن بربها.

لقد كان الناس بعد آدم عليه السلام يعيشون حياة بسيطة وهم على الفطرة الانسانية حتى تفشت فيهم روح الإستعلاء والتجبّر ونتج عن ذلك تسلط طبقة الأغنياء على طبقة الفقراء فشاع الفساد والظلم وأعرض الناس عن عقيدة التوحيد واتخذ الضعفاء الأقوياء آلهة وما تلك الأوثان والأصنام إلا مجسمات تصور جبروت الأقوياء فجاء نوح عليه السلام يدعوهم إلى الواحد القهار، والملاحظه في حركة الأنبياء والأوصياء والمصلحين ان أول الناس إستجابة لهم الفقراء المضطهدون والطبقات المسحوقة التي تجد حريتهافي الإنعتاق من الظلم والاضطهاد وإخلاص العبودية للّه الواحد القهار، وهكذا نرى بأن الجبابرة ينعتون الأنبياء ومن يؤمن بهم شر النعوت ﴿**فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾ [هود : ٢٧].

وما أروع جواب نوح لهذه الطبقة المخملية ﴿**قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ**﴾ [هود : ٣٨] **والشاطر هوه اليضحك بالاخر**» .

وإنى لأرى محاولة المتعصرنين ومحاولات بعض معاصري الإمام الحسين الذين

يتصـوروون إنهم يحسبون الأمـور بشـكل منطقـي عقـلاني أشـبه ما تكـون بتصـورات قوم نوح لمشروع السـفينة، لقد غاب عنهـم رمز الارادة الإلهيـة والوعود الربانية لأنبيائه ورسـله وأصفيائه بالنصر والغلبة ولو بعد حـين وان العاقبة دوماً للمتقين وهم سـادة المتقين ﴿**كتب اللّـه لأغلبن أنا ورسلي**﴾.

قد يمكنـك أن تدَّعي معرفة ما يختلـج في صدر الإمام الحسـين عليه السلام فتتصور ما جرى عليه بناءً على تلك المقدمات ولكن هل بوسـعك أن تدعي معرفة ما يريـده اللّـه من مشروع إستشـهاد الإمام الحسـين عليه السلام وأهل بيتـه وأصحابه البررة وسـبي نسـاءه بتلـك الصورة المفجعة،، كلا وألف كلا.

وقـــل لمـــن يـــدعـــي في الـعـلــم فلسفة
حفظت شيئاً وغـابـت عنك أشياء

مشـكلة هؤلاء هي الجهل المركب، يجهلون ويظنون انهم يعلمـون. وهل يرقى علمكم بالأُمور لمستوى علم الإمام المعصوم.

صدقوني أيها الإخـوة إلى يومنا هـذا لم تسـتطع الأُمَّة الاسـلامية أن تعـرف حقيقة أهل البيت ولا أن تصل إلى إدراك أهداف مشـاريعهم الإلهية والمحددة تحديـداً دقيقاً في مواريثهم عن رسـول اللّـــه صلى الله عليه وآله وسلم، لذا فـإني أدعوكـم إلى عدم الخـوض في هـذا البحر اللجـي العميق الغور والمتلاطم الأمواج، لأنكم سـتغرَقون وتُغرِقون من يسـتمع إليكم، بل حاولوا ركوب سـفينة آل مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم لتنجو وتسـلموا فلقد صح عـن أشرف الخلق إنه قال «**مثـل أهل بيتي كمثل سـفينة نوحٍ من ركبها نجى ومن تخلَّف عنها غرق وهوى**» الوقوف على التل لا يُنجي والاسـتخفاف بالسـفينة يدخل في النار، مشروع إستشـهاد كمشروع الإمام الحسـين عليه السلام مشروع إلهي يجب أن يحترم ويقدّس ويسـتثمر لنـشر الوعي واليقـين والإطمئنان في النفوس لا للتشكيك والتضليل والتزوير بدعوى العقل والخوف على مشاعر الاخرين. مشاعر النبي وآل النبي أولى بالمراعاة ووحدة الصف الشيعي أولاً ثم وحدة الصف الإسلامي ثم الانساني

كل من نظر إلى قافلة الإمام الحسين عليه السلام وقلّة صحبه وكثرة عدوّه إتّخذ من الحسين عليه السلام موقف الناصح إن كان محباً له ومواليأ وموقف الساخر والمستهزئ إن كان من إعدائه.

أما هو روحي فداه فلم يتزلزل ولم يتراجع عن مواقفه الشجاعة ومشروعه الإلهي قيد أنملة بل على العكس كان يذكرهم بمشاريع الأنبياء والمرسلين خصوصاً نبي اللّه يحيى بن زكريا عليهما السلام.

ما كان يغيب ذكر هذا النبي الشهيد الذبيح عن لسان أبي عبداللّه الحسين عليه السلام لقد كان سلام اللّه عليه يذكر يحيى في حلّه وترحاله وذلك للشبه الذي بينهما فيحيى حملته أُمُّه ستة أشهر في بطنها والحسين ولد لستة أشهر يحيى لم يكن له قبل سمياً وكذا الحسين لم يكن له قبل سميا يحيى قام بوجه الظلم وقتل صبرا وكذا الحسين عليه السلام يحيى بكته السماء دماً والحسين بكته السماء دماً، رأس يحيى قدموه في طشت من ذهب لبغي من بني إسرائيل فنطق الرأس في الطشت قائلاً للملك الظالم «إتق اللّه «ورأس الحسين تلا قوله تعالى ﴿**أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا**﴾، هذه بعض أوجه الشبه أما ما زاد في مصائب الحسين عليه السلام فالغربة والجوع والعطش ورؤية الحسين عليه السلام لمصارع أهل بيته وأنصاره. أما يشجي النفوس ويدمي الجفون إن جسد يحيى بن زكريا صلوات اللّه عليه بعد فصل الرأس عنه ما أصابه مكروه، لهفي على شهيد كربلاء فلقد إنتدب ابن سعد عشرةً من إولاد الزنا وإمرهم أن يطئوا صدر الحسين بحوافر خيولهم، فعدت الخيول عليه وطحنت عظامه أي وا إماماه وا شهيداه وا غريباه وا ذبيحاه وا حسيناه، كيف تجرأت الخيول وداست صدره الشريف:

فلو علمت تلك الخيول كأهلها بأن الذي تحت السنابك أحمدُ
لثارت على فرسانها وتمرَّدت عليهم كما ثاروا بها وتمرَّدوا

***

ياخويه أدري الخيل هشمت صدرك وبيـدي عـلى الـتربـان وسـدّت نحرك

يحسين أنـا بممشاي حـيّرني أمرك لا چـن فـراگـك صـار غـصـباً عليه

حين لا ينفع الدليل

بسـم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْـك كِتَاباً فِي قِرْطَـاسٍ فَلَمَسُـوهُ بِأَيْدِيهِـمْ لَقَالَ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[1]

قسم العلماء القضايا إلى قسمين:

أ. محسوس أي ما يدرك بالاحساس والشعور والملموس الذي يدرك بلمس اليدين.

ب. ولما كان للإنسان على رأي القدماء خمس حواس وعلى رأي المعاصرين ستة وهي:

١. حاسة البصر

٢. حاسة السمع

٣. حاسة الشم

٤. حاسة التذوق

٥. حاسة اللمس

٦. الحاسة السادسة وهي حدس القلب وتوقعاته وما إن تجتمع أكثر من حاسة في إدراك قضية ما حتى لا يبقى أي مجال للشك فيها وتحتم فيها الاذغان للحقيقة التي أنكرها طرف ودعى للاعتراف بها الطرف الآخر.

فيقال للمنكر ألم تلمسها لمس اليد؟

إن الذي أحوجنا إلى هـذه المقدمة للبحث هو أن الأنبياء والرسل كلما جاءوا أممهم بآية من ربهم يرونها بأعينهم، أنكروها وقالوا لعلها من خداع النظر، يعني أعمال السحر وخفة

(١) سورة الأنعام: ٧.

اليد التي يقوم بها في أيامنا البهلوان في السيرك.

أي أن هذه الأمم وهذه الشعوب وهؤلاء الأقوام الذين حكى القرآن لنا قصص إنكارهم لكل الأدلة الحسية والمعاجز والآيات والكرامات والمناقب ما كانوا يخضعون لمنطق الحجة العلمية لا المحسوس منها ولا حتى الملموس، والآية موضوع البحث خير شاهد على ما نقول والكلام فيها موجه إلى نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم

يا رسول اللَّه لقد كُذِّبت كل الرسل قبلك ولم تقَبل منهم الغالبية العظمى كل دليل ولم تقنع بأي حجة فلا تبتئس ولا تحزن على الذين يجادلون ولا يؤمنون حتى ولو ألمستهم الأمور باليد يقول صاحب مجمع البيان ناقلاً عن الكلبي أن النُضَر بن الحرث وعبد اللَّه بن أبي أُمية ونوفل بن خويلد قالوا يا مُحَمَّد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند اللَّه ومعه أربعة ملائكة يشهدون عليه أنه من عند اللَّه وأنك رسوله.

وإذا بالوحي يهبط على نبينا بهذه الآية يامحمد لو أنا إستجبنا لهم ونزلنا القرآن دفعة واحدة وهو مكتوب على قرطاس وتحمله أربعة ملائكة ثم لمس هؤلاء الكتاب بأيديهم وعاينوه بأعينهم وكل حواسهم لأنكروك وأنكروه وقالو إن هذا إلا سحر مبين.

عجباً لهم!! الدليل الرباني المحسوس والملموس بنظرهم غير مبين وإفتراءهم على النبي ووصفهم لأدلته بالسحر مبين؟كثيرون على هذه الشاكلة في زماننا، في المكان الذي يجب عليهم أن يدققوا ويفتشوا عن الدليل المنطقي والحجة العلمية تراهم يرفعون العشرين لا العشرة وكأنهم كما يقول جل وعلا ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ**﴾ وفي المكان الذي يجب عليهم التسليم لمنطق العقل وأن يؤمنوا بما جاء عن اللَّه ورسوله والائمة الطاهرين والكرامة والمعجزة والغيب الذي يؤكده القرآن، تراهم يجادلون ويحاججون ويصححون ويخطئون ويؤيدون ويعارضون ويشككون ويضلون باسم العقل الذي هو أبعد ما يكون عما تصور لهم أهواءهم ومصالحهم، ولسنا نقول ما نقول ممن يحاول كسب جولة النقاش أو إسقاط الآخرين ولكننا نسعى وبأخلاص لتوضيح الرؤى أمام إخوتنا الذين يحاولون

جاهدين ومع الأسف دون جدوى إقناع الطرف الآخر بضرورة التوحيد ونبذ الخلافات القديمة والصراعات التي إستنزفت طاقاتنا وإن اللّـه واحد والدين واحد والقبلة واحدة والقرآن واحد، وذلك بتقديم التنازلات وتخفيض السعر، فأصول الدين الخمسة صارت ثلاثة وفروع الدين خصمنا منها الخمس والبراءة من أعداء اللّـه وتسامحنا مع الأعداء وتنكرنا للأصدقاء وأصدرنا عفواً عاماً عن المجرمين و قتلة النبيين والمعصومين،، أتظن ياولي مُحَمَّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والمعصومين من ذرية الحسين عليه السلام انك إن خفضت سعرهم أو سامحت قاتلهم أو داهنت وجاملت عدوهم أو تنكرت لمبادئهم سيرضى عنك الآخرون وبما تؤمن سيؤمنون وإلى جانبك سيقفون كلا وألف كلا والقرآن شاهد ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ*لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ*وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ*وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ* وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ*لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[١]

إذاً لرفع مستوى المبيعات لأي سلعة نريد بيعها ليس إسلوب تخفيض السعر هو الاسلوب الأمثل، بل الأحسن منه تعريف الناس بمنتوجك وتحسين نوعيته والمحافظة على مستواه ورفع كفاءة أداءه، لا حظوا الماركات العالمية المعروفة هل فكرت يوماً بالاوكازيون لزيادة مبيعاتها، الروزرايز، المارسيدس، الشيفروليت ونحن بصدد الترويج لقيم ومبادئ ودين وأخلاق وليس سلعة كسائر السلع، فكلما كانت القيم غالية على أصحابها كان المعجبون بها أكثر والعكس بالعكس.

نبيناً مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم حاصره أعداؤه حصاراً شديداً وقدموا كل المغريات التي يسيل لها لعاب الرجال فماذا فعل الرسول وما قال لعمه «**يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره اللّـه أو أهلك دونه**»

ولقد ورث الامام الحسين عليه السلام أخلاقيات جده المصطفى ومنهجه الجهادي فمثل جده أحسن تمثيل حين وقف بين آلآف الزاحفين بقضِّهم وقضيضهم لقتله وإذلاله فصرخ

(١) سورة الكافرون : ٦.

بهم تلك الصرخة المحمدية الخالدة «**واللَّـه لا أعطيكـم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر أو أفر فرار العبيد**» «**الا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين إثنتين بين السِـلَّة والذِلَّة وهيهات منا الذِلَّة**» لماذا لأن اللَّـه لا يرضى بذلك أبداً «**يأبى اللَّـه لنا ذلك ورسـوله وحجور طابـت وطهرت ونفوسٌ أبيَّه وأُنوف حميَّة على أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**».

وأبـــى أن يـعـيـش إلا عزيزاً
أو تـجـلَّـى الـكـفـاح وهــو صريعُ

ويقول شاعر معاصر في تخميس أبيات للشاعر الحمصي ديك الجن

وأبـيـتَ ان تـعـطي المـذلـة عـن يدٍ صـغـراً لهـم ياسبط أشرفِ سيدٍ
لـكـن مـن قـتـلـوك دون تردد جـاءوا بـراسـك يابن بـنـت محمدٍ
مترملاً بدماءه ترميلا

لهفي عـلى الشيب المخضب بالدما والـصـدر ياسبط الـنـبـي تهشما
والـقـوم بـعـد حماتـه هـتـكـوا الحمى ويـكـبرون بـأن قـتـلـت وإنما
قتلوا بك التكبير والتهليلا

***

وكأني بأخته الحوراء تنادي:

يحـسـين يـومـك شـده بالي وأرخـصـت دمـعـي الـچـان غالي
تـوني إذكـرت عـزي ودلالي مـن گـوضـت ذيـج الليالي
ريـتـك يخـويـة تـشـوف حالي حـال الـغـريـبـة بـغـير والي

خرجت عقيلة الطالبيين من خيمتها نظرت إلى السماء فاذا بها تبكي دماً، ما إن وقع نظرها إلى أرض المعركـة حتـى رأت رأس أبي عبداللَّـه يعلـو الرمح والقـوم يلوّحون بـه ويكبرّون

صرخت من لوعتها:

يشيال راس حامينه اوولينه   ريض بلچن إتودّعه سكينة

أشوف حسين ساچن عن ونينه   مدري تعب لو جرحه تخدَّر

يشيّال راس حسين دنَّه   يردن خواته إيوَّدعنه

وينصبن على المذبوح حَنَّه   ويحفرن گبر ويوسدّنه

***

يشيال راسه لاتلوّحه   وهبّط عن بقايا الروس رمحه

أخاف يفوت ريح الهوه بجرحه   وصوابه عليه يگوم يسعر

***

يراس حسين للمحمل بعدني   وعدوك تدري عن جسمك بعدني

من گطعوك للساني بعدني   أجرَّ ونه بأثر ونَّه شجيَّه

أضرار النزعات القومية

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللّـهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّـهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(1)

قال العلامة الطبرسي في مجمع البيان يقال رجل عربي إذا كان من العرب أصلاً وسكن البلاد أي المدن، ويقال له أعرابي إذا كان من سكان البوادي والأرياف. والعرب قسمان عدنانية وقحطانية والفضل للعدنانية برسول اللّـه مُحمَّد ﷺ، وقال الفخر الرازي إنما سمي العرب عرباً لأن أولاد إسماعيل عليه السلام نشأوا بعربة وهي بلادٌ من تهامة، وقيل إنما سمي العرب عرباً لأن ألسنتهم تعرب عما في ضمائرهم وذكر بعض الحكماء في كتابه:

١. إن حكمة الروم في أدمغتهم وذلك لأنهم يقدرون على التركيبات العجيبة.
٢. وان حكمة الهنود في أوهامهم ومخيلاّتهم.
٣. وإن حكمة اليونان في أفئدتهم وذلك لكثرة مالهم من المباحث العقلية.
٤. وإن حكمة العرب في ألسنتهم وذلك لحلاوة ألفاظهم وعذوبة عباراتهم والأنبياء العرب الذين أرسلهم اللّـه خمسة وهم: مُحمَّد - إسماعيل - شعيب - صالح - هود عليهم السلام.

بقليل من إمعان النظر في هذا التقديم يمكننا وبسهولة متناهية معرفة الفرق الواضح بين العرب والأعراب، فالعربي هو الانسان المتمدن المتحضر والأعرابي هو البدوي الذي يتبع الماء والكلأ فيبتعد نتيجة لذلك عن المدنية والعلم والعلماء وبالتالي سيجهل حدود اللّـه وأحكام شرعه المقدس وسيكون بسبب تصحّره أشد كفراً ونفاقاً وعداءً لكل ما يجهل، وقد صحَّ عن

(١) سورة التوبة: ٩٧.

أمير المؤمنين علي عليه السلام إنه قال «**الناس أعداء ما جهلوا**»

أما لماذا أصبح الأعراب بهذه الحالة فيقول الفخر الرازي في تفسيره الكبير:

أولاً: إن البدو يشبهون الوحوش، فهم يعايشوها.

ثانياً: إستيلاء الهواء الحار اليابس عليهم وذلك يوجب المزيد من التيه والتكبر والنخوة والفخر والطيش عليهم.

ثالثاً: إنهم ليس لهم سائس يسوسهم ولا مؤدّب يؤدّبهم ولا ضابط يضبطهم.

رابعاً: إنهم كانوا قليلي المشاهدة لرسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم ولم يسمعوا منه الكثير.

خامساً: وقد أعجبني كثيراً هذا التشبيه حيث يقول قابل الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية لتعرف الفرق بين أهل الحضر وأهل البادية.

والآن وبعد كل هذه الأيضاحات التي قدّمناها سنحاول معكم معالجة موضوعٍ بالغ الخطورة والأهمية كان قديماً من أسباب التطاحن والتناحر القومي وقد عاد اليوم ليطفوا على السطح مرة أخرى والخطورة في هذا الأمر إن الذين يثيرون هذه النعرات في هذه الأيام ليسوا من سواد الناس وعامتهم بل من علية القوم ومن علمائهم ومفكريهم وقد أثار هذا الفعل ردَّ فعل مساوي بالقوة معاكس بالاتجاه.

فبعض الأعاجم يتحاملون على كل شيء عربي ويصفونه بأتعس النعوت وبين عبارة وأخرى يتوجّه إلينا بقوله تعالى ﴿**الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً**﴾[التوبة : ٩٧] أو يتمادى فيصحّف قولاً مشهوراً لرسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم قال مفتخراً وهو الفخر بعينه «**أنا من العرب وليث العرب مني**» ويعني به ابن عمه أسد اللّـه الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام، فيقلب الثاء سيناً. أو إنه ينكر عروبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحجة إنه من ولد إسماعيل عليه السلام وهذا ليس من العرب العاربة بل من المستعربة وما إلى ذلك من الحجج الواهية، ولقد دفع هذا السلوك بالمقابل إلى تحامل بعض الأعراب على كل شيٍ أعجمي، أستضافني مرة صديقٌ في داري فقدمت له بعض الحلوى الايرانية الصنع «**وهي المن والسلوى**» فرفض أن يتذوقها وطرح قبل مدة

أحدهم رسالة فقهية يدعو الناس إلى العمل بها وتقليده ولما فشل مشروعه لعدم أهليّتِهِ صار يولول قائلاً إن الفرس لا يؤيدون مرجعية عربيـة!! أين الورع والتقوى في مثل هذه النزاعات ما نود أن نقوله هنا إننا نـرى ضرورة العمل بالقرآن في كل صغـيرة وكبيرة، لايجوز لا للعرب ولا للعجم إطلاق الـكلام على عواهنـه والحكم على الأمـور من منظار غـير شرعي، فلا كل الأعراب كفـار ولا كل الأعاجم عيون للإيـمان والعلم والتقى. أيها الناس إعرضوا أنفسـكم على كتاب اللَّـه ثم إما أن تقولوا خيراً أو اصمتوا يرحمكم اللَّـه.

قال رسول اللَّـه ﷺ «**من كان يؤمن باللَّـه واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**».

لقد قسَّم اللَّـه أعراب المدينة وجوارها إلى أقسام ليعطي كل ذي حق حقه:

القسم الأول: قال ﴿**وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمـاً**﴾[١] وهذه المجموعة تتحين الفرصة لتنتقض على الرسول ﷺ والمؤمنين.

القسم الثاني: قال ﴿**وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّـهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ**﴾[٢] فما تقول الأعاجم في هؤلاء الذين شهد اللَّـه أنهم يؤمنون به.

القسم الثالث: هم أولئك الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وقـد وعدهم الحق أن يتوب عليهم ويغفر لهم.

القسم الرابع: وهـي المجموعـة التي فتـح اللَّـه أمامهـا طريـق الهداية والعمـل الصالح ولم يبت في الحكـم عليها وأرجأ ذلـك إلى أن يرى بأيِّ خنـدقٍ يكونوا وعـلى أي شيء يتوفوا، فإحتمال الهداية مساوي لإحتمال الضلالة والأمر لم يحسم بعد.

المجموعة الخامسة: وهي التي مردت على النفاق وأصبح من سجاياها التي لا يمكنها العيش بغيره وكما يقول الشاعر:

والطينة السوداء من خبثها

هيهات تبيض سجاياها

(١) سورة التوبة : ٩٨.

(٢) سورة التوبة : ٩٩.

وهـذه المجموعة هي التي تشـكل خطـراً مبـاشراً على الإسـلام والمجتمع الانسـاني إينما تكون وكيفما تدور، ولعلنا نلاحظ وجود امثالها في مجتمعاتنـا المدنية المتحضرة عربية كانت أو أعجمية.

أما كانت الألوف التي زحفت إلى كربلاء يوم العاشر من المحرم على هذه الشـاكلة وهل كان أميرهم يزيـد اعرابيـاً أم كان ابن زياد أعرابيـاً أم كان القاضي شريح يجهـل حدود الشرع المقدس لكي يفتي باليوم الأول من دخول الإمام الحسـين عليه السلام أرض العراق إن الحسين بن علي بن أبي طالـب عليه السلام **إمام زمانكم فإنصروه**، ومـا إن وصلته عطايا وهدايـا ابن زياد حتى قال: الحسين عليه السلام **خارجٌ على إمام زمانه فإقتلوه.**

أما كان عمر بن سـعد من ولد أحـد العـشرة المبّشرين بالجنـة. إذا فهذه الصفـة الذميمة ليسـت حكراً على أعراب المدينة، بل يتصف بها كل من ينأى عن فكـر مُحمَّد وآل مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وأخلاقهم.

لقد أجهد الإمام الحسـين روحي له الفدى نفسه يوم عاشـورا لكي يردع القوم عن قتله وحمـل وزر دمه الطاهـر ودماء أهـل بيتـه وأنصـاره الطاهرين، فألقـى الخطاب تلـو الخطاب والبيان تلو البيان والنصيحـة تلو النصيحة والقوم كان قلوبهم قُدَّت مـن حَجَرٍ صوّان وكانوا من شـدَّة خوفهـم لئلا يضعفـوا أمـام كلام الإمـام أو كلام أنصـاره وأهل بيتـه يضربون على الطبول والصنـوج يثـيرون الضجيج لكي لا يسـمعوا واعية الحسـين عليه السلام نعـم لقد نزعت الرحمة من قلوبهم وكأنَّ ليس في القوم مسلم بل ليس فيهم إنسان نعم لقد إنقضّوا كالوحوش الكاسرة على آل رسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم يقطّعونهم بأسـنانهم وأسـيافهم ويحولون بينهم وبين الماء وكأني بمولاي وحيداً فريداً بينهم ينادي أيها الناس وحق جدّي أنا عطشان:

لـــم أنـــــه إذ قـــام فـيـــهم خاطباً

فــــإذا هُــــمُ لا يملكون خطابا

يـدعـو ألــســتُ أنــا إبــنُ بـنـتِ نبيِّكُم
ومــلاذُكُــم إن صَـــرُف دهـــرٍ نابا
هَــلْ جِـئـتُ فـي ديــنِ الـنـبـيِّ ببدعةٍ
أم كــنــتُ فــي أحــكــامــهِ مُرتابا
أو لــم يــوّصـي بـنـا الـبـنـيّـث وأودع
الـثـقـلـيـن فـيـكُـم عــتــرة وكتابا
إن لــم تــديـنـوا بـالـمـعـاد فراجعوا
أحــســابــكــم ان كُــنــتُــم أعرابا
فــغــدوا حـــيـــارى لايرون لوعظه
إلاالأسِنَّة والـــســـهـــام جوابا
حــتــى إذا أســفــت عـــلــوج أُميَّةٍ
أن لاتـــرى قـــلــبَ الــنــبــيِّ مُصابا
صـلَّـت على جسم الحُسين سيوفُهم
فـغـدى لـسـاجـدة الـضُّـبـا محرابا
ظـــمـــآن ذاب فـــــؤاده مـــن غُلَّةٍ
لــو مــسَّــت الـصـخـرَ الأصـــمَّ لذابا

***

أوچـــب يــســتــريــح حــســيــن ساعة
ضـعـف حيله وثـكـل بـالـسيـف باعه
رنَّ الــحــجــر مـــن وجــهــه إبشعاعه
أو دمَّـــه مــثــل مـــاي الــعــيــن فجَّر

شـــال حـــسيــن ثــوبــه بـمـســح الدم

ولـــن سـهـم الـمـثـلـث نـاجـع ابسم

إبـــگــلـيـــه وگـــع لاوخرَّ وجدَّم

هـوه وإظـلـم هـواهـا والـسـمـه إحمرَّ

هـــوه والــمــهـر گـــام يــحـــوم دونه

يـجـامـي عـــن ولـــيِّـــه لا يجونه

خـــاف الـــگـــوم لـنـهـم ياخذونه

أو يـركـبـه غـيـر خـيّـالـه المشكّر

***

**

*

أخطار الغفلة

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[1]

بقليل من التركيز يلاحظ الإنسان المؤمن خلال تدّبره في آيات اللّـه دعوة ربانية صريحة إلى ضرورة بقاءه منتبهاً واعياً يقظاً طيلة فترة حياته الدنيوية والتي هي جسر العبور إلى حياة الخلود تماماً كما هو حال السائق الذي يجب عليه عند قيادته لمركبته أن يكون واعيا ومتيقظا ومتأنياً وذلك بحكم موقعه ومسؤوليته فأقل غفلة وعدم إنتباه أو طيش تودي بحياته وحياة الآخرين ولئن كان السائق يقود مركبة تطيعه فيما يريد غالباً، فإن الإنسان يقود نفساً تعصيه أغلب الأحيان وتشده نحو المعاصي **﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[2].

والآية المباركة موضوع البحث واحدة من هذه الآيات التي تتحدث عن غفلة أكثر الناس عن آيات اللّـه، فلنسرح النظر في مضامينها الليلة أولاً لنرى رأي أهل اللغة في معنى الغفلة. يقول ابن منظور في لسان العرب غفل يغفل غفلةً، ويقال أغفله تركه وسها عنه، ويقال لمن لا فطنة له مُغفَّل، والغفول من الإبل هي الناقة البلهاء التي لا تبالي بمن حلبها أو رضع منها ويقال للأرض التي ليس فيها علامة أو شاخصة غفل. ويقال للشعر الذي لا يعرف قائله شعر غفل، وبنو غفيلة قبيلة من قبائل العرب، لا حظتم كيف إن الغفلة مذمومة عند اللغويين فهلموا معي إلى السنة النبوية لنرى رأيها في الغفلة.

(١) سورة يونس: ٩٢.
(٢) سورة يوسف: ٥٣.

تنقسم الغفلة هنا إلى قسمين: غفلة مذمومة، تغافل ممدوح أما بالقسم الأول فيقول النبي ﷺ لأبي ذر الغفاري (رضي الله عنه): «**يا أبا ذر هِمَّ بالحسَنةِ وإن لم تفعلها لكيلا تكتب من الغافلين**» ويقول ﷺ «**أغفل الناس من لم يتعظ بتغير الدنيا من حال إلى حال**» وعن علي عليه السلام إنه قال «**الغفلة أضرّ الأعداء**» وقال «**إنتباه العيون لا ينفع مع غفلة القلوب**» ويقول الإمام الحسن عليه السلام «**الغفلة هي تركك المسجد وطاعتك المفسد**» ويقول الإمام الباقر عليه السلام «**إياك والغفلة فإنها تكون قساوة القلب**».

إذاً كيف نتجنب الغفلة، يقول مولانا الباقر عليه السلام «**أيّما مؤمن حافظ على الصلوات المفروضة فصلاها لوقتها فليس هذا من الغافلين**».

وأما ما يجب أن نتغافل ونغض الطرف عنه فهو أخطاء أحبّتنا بحقنا وإساءتهم إلينا، نعم إنه التسامح والصفح وحسن الظن بالآخرين وقد ورد في غرر الحِكَم «**أشرف أخلاق الكريم كثرة تغافله عما يعلم**» وقيل «**لا عقل كالتجاهل ولا حلم كالتغافل**» وقيل «**من لا يتغافل عن كثير من الأُمور تنغصّت معيشته**».

ومن هنا علينا أن نتعلم التحكم الدقيق والواعي بسلوكنا، متى نسرع ومتى نبطيء ومتى نفرمل. إنها اليقظة الحكيمة والايمان الصادق نحن حُرّاس على هذه النفس والثمرات فلا يجب أن تنام قلوبنا وبالمناسبة فإن كُنية الذئب «أبو يقظان» فتعلّموا منه اليقظة لا الروح العدائية المفترسة.

بعد هذه المقدمة نعود إلى موضوع الآية وهو مصير فرعون وأتصور إنَّه مصير كل من يتفرعن، في تفسير الصافي عن القمي عن الامام الباقر عليه السلام لما ضاقت الدنيا بجبروت فرعون وطغيانه قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام يا موسى إدع اللّه أن يجعل لنا مما نحن فيه فرجاً، فدعى ربَّه فأوحى اللّه إليه أن سِرْ بهم قال يا رب البحر أمامهم قال إمض فإني آمره أن يطيعك فينفرج لك فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل فتبعهم فرعون وكاد أن يلحقهم.

فاستغاث بنو إسرائيل فقال موسى عليه السلام للبحر إنفرج لي: قال البحر ما كنت لأفعل

وقالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام لقد غررتنا وأهلكتنا فليتك تركتنا يستعبدنا آل فرعون ولم نخرج لنقتل هذه القتلة. فقال موسى عليه السلام كلا إن معي ربي سيهدين. قالوا يا موسى إنا لمدركون. لقد زعمت إن البحر سينفرج لنا وها هو فرعون قد رهقنا وقومه دنوا منا فدعى موسى ربّه فأوحى إليه أن إضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق البحر فمضى موسى عليه السلام وأصحابه حتى قطعوا البحر وأدركهم آل فرعون فلما نظروا إلى البحر قالوا لفرعون أما تعجب مما ترى؟

قال أنا فعلت هذا فمرّوا وإمضوا فيه. لاحظوا صلف الطواغيت نعم إن من يقول لقومه أنا ربكم الأعلى فإنه لا يخجل من إدّعاءٍ كهذا، ولما توسَّط فرعون وقومه البحر أمر اللّه البحر فأطبق عليهم فأغرقهم أجمعين، فلما أدرك فرعون الغرق قال آمنت باي شيء آمن؟ آمن إنه ليس ربُّهم الأعلى وان هناك إلهاً آخر هو الذي آمنت به بنو إسرائيل؟، لقد منعه جبروته من قول لا إله إلَّا اللّه، نعم لقد إستسلم للأمر الواقع وإدَّعى إنه من المسلمين ولكن بعد فوات الأوان. لقد كان غافلاً عن آيات اللّه والآن يحاول أن يصلح حاله كلا وألف كلا وكما يقول الشاعر:

الآن إذ علقت مخالبنا به

يرجو الخلاص ولات حين مناصِ

فجاءه ردُّ اللّه ﴿**آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾(١).

ولكن سنجعلك عبرة لمن إعتبر، أغرقه في البحر ومن ثم طفى بدنه على نجوة من الأرض أي على ساحل البحر فوق أرض مرتفعة، جسد لا حراك فيه وكان يرتدي درعاً من ذهب ثقيل جداً.

إنها إرادة اللّه التي ليس فوقها إرادة لاحظتم الأمور الخارقة للمنطق والعقل. كيف شقت العصى الماء وفتحت طريقاً لموسى ومن معه؟ كيف لم يركس في الأعماق جثمان فرعون

(١) سورة يونس: ٩١.

المثقل بالذهب؟ لماذا لم ينفلق البحر لموسى في الدعوة الأولى؟

هكذا ليكون آية وعبرة لمن خلفه لأن الناس إن لم تقرعهم القوارع عاشـوا غفلة وسباتاً، نعم نحتاج إلى ما يصحّينا وينبهّنـا من نومه الغافلين، نعم يقول أمـير المؤمنين عليه السلام ((**الناس نيامٌ اذا ماتوا إنتبهوا**)) وها نحن اليوم نسـمع واعية الحسين عليه السلام تنادي حي على الجهاد حي على خير العمل

فـي كـل عـام لـنـا فـي الـعـشـر واعيةٌ

تطبّق الـدور والأرجـاء والسككا

ها هو صوت الحسـين عليه السلام ينادي أيها الناس هل من ذاب عن حرم رسـول اللّـه؟هل من موحّد يخاف اللّـه فينـا؟ هل من مغيث يرجـو اللّـه في إغاثتنا؟ فارتفعت أصوات النسـاء بالبكاء والعويل ثم إنه عليه السلام أمر عياله بالسكوت فسكتن، ثم ودَّعهن الوداع الأخير وإرتدى للحرب لامته ونزل إلى الميدان وهو يرتجز ويقول

الـمـوت أولـى مـن ركـوب العار

والـعـار أولـى مـن دخـول النار

ثم حمل على الميسرة وهو يرتجز ويقول:

أنـا الـحـسـين بـن علي

آلـيـت أن لا أنثني

أحـمـي عـيـالاتِ أبي

أمـضـي عـلـى ديـنِ النبي

فقاتل قتالاً شـديداً حتى أنهكه العطش وقف ينادي إسـقوني شربة مـن الماء وحق جدّي أنا عطشـان فقالوا له لن تذوق الماء حتى ترد الحامية ثم حملوا عليه من كل جانب وحالوا بينه وبين الخيام

قـال: إقصدوني بنفسي وإتـركـوا حرمي

قـد حـان حيني وقـد لاحـت لوائحه

آنـــه حـــسين ريحـــانـــة الهادي وگلبي إمـن العطش ياناس صادي

ونـبـلـة حـرمـلـة مـــردت إفادي وأصـــحـــابي ضـحـايـا إعـلـه الوطية

حتمية نجاة الأنبياء

بسـم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿ثُـمَّ نُنَجِّي رُسُـلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]

في زمـن المحطـات الفضائية التـي دخلت بيوتنـا عنوة وشـغلتنا عن أُمـور ديننـا ودنيانا أرى نفسي محتاجاً لتقديـم الأمثلة من هذه الأجـواء إلى أجيالنا الواعدة لتقريـب معاني القرآن إلى الأذهان، لأن الأسـاليب والأطر القديمة أصبحـت بنظري لا تجدي نفعـاً مع جيل يغيب عنـا ونغيب عنـه أحد عشر شـهراً ونلتقيـه عشرة أيـام على مائـدة الإمام الحسـين عليه السلام وقد لاحظت ذلك في شـهر الرحمن شـهر رمضان حيث إعتكفنا وعيالنا على شاشـة التلفاز ولعل البعض منـا فاتته صلاة الفجر ولم تفته مشـاهدة مسلسـل تلفزيـوني تافه يتابعـه، أقول مقدمة منذ مدة والبعض يحاول أن يقرأ عاشوراء الحسـين بطريقة تنسجم مع تطلعاته الدنيوية وآماله وخططه السياسـية أي إنهُ يحجِّم الإمام بحجمه هو ليصبح كل تـصرف يقوم به من لهث وراء حطام الدنيا شرعياً وجائـزاً، فإذا كان الإمام طالب حكم فلم لا يجوز لـه ذلك وإذا كان النبي يوسف عليه السلام يتحرك نحو زليخا كما يتحرك الجائع نحو الطعام وإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام بنظـره يرتكب الذنـوب التـي تهتـك العصـم وإذا كانت مريـم العذراء وآسـية بنـت مزاحم وخديجة الكبرى وفاطمة الزهراء نسـاء عاديات كنسـائنا وبناتنا، فلم لا يكون هو إمام العصر الذي يظهر على كل المحطـات الفضائية وتقدم له كل البشرية فـروض الطاعة والولاء وتضع بتصرفه مليـارات الـدولارات ولتقريب معنى هـذه الآية المباركـة التي جعلناها مـورد بحثنا لهذه الليلة نضرب لكم المثل التالي، كما في الإفلام السـينمائية والتلفزيونيـة يعمل كاتب القصة

(١) سورة يونس:١٠٣

ومخرج الفلـم جاهدين على بقاء بطـل الفيلم حياً حتـى النهاية رغم كل الصعوبـات التي يمر بها، لنتصـور لكل نبي مـن أنبياء اللّـه قصـة هو بطلها والحـق كاتبها ومخرجهـا وقد قطع على نفسه عهداً حقاً بالنصر والغلبة والنجاة كما في قوله ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ [يونس : ١٠٣]، أترى بعد كل هذا بوسع أحدنا أن يتصور غير النجاح والفوز والنجاة لهم وهم حملة رسالات ربهم ولا بد أن يكلل الباري مساعي أنبياءه ورسله بالظفر.

زبدة الكلام إن النبي والرسول والإمام المعصوم والذين يؤمنون إيماناً حقيقياً بهم فائزون على كل حال وناجون ومنتصرون، منتـصرون وهم على عرش الحكم والسـلطنة ومنتصرون وهم في قعر السـجون وظلم المطامـير ومنتصرون وهم عـلى أعواد المشـانق ومنتصرون وهم تحت حوافر الخيل، أتراني بعد هـذه المقدمة بحاجة إلى إثبات ما أقول والقـران يقول والحقيقة الواقعة تصدّقه، هل بعـد هذا الكلام كلام فاللّــه يقول ﴿كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنـجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس : ١٠٣] ودائماً وأبداً العاقبة للمتقين وقد قيل بأن الأمور بخواتيمها وعواقبها.

الآن لنسرح النظر في مـا وراء هذه الآية الكريمة وحسـب ما ورد في كتب التفسـير الآية كما ذكر أغلب المفسرين خطاب موجّه لسيد الكائنات مُحمَّد ﷺ كباعث إطئمنان لأصحابه الذين يخافون من جهة عليه وأُخرى على أنفُسهم، وقد سبق الآية سرد تفصيلي لقصة نبي اللّـه يونس على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسـلام ذكر الفيض في تفسيره الصافي الرواية عن الإمام الباقر عـن جدِّه أمير المؤمنين عن رسـول اللّـه ﷺ عن جبرائيـل عليه السلام أن يونس بن متى عليه السلام بعثـه اللّـه نبيّا إلى قومه وهو ابن ثلاثين سـنة، وكان كما تصفـه الرواية قليل الصبر حادُّ المزاج. دعى قومه في نينوى إلى الإيـمان باللّـه والتصديق به ثلاثاً وثلاثين سـنة فلم يؤمن به إلا رجلان: روبيل وهو حكيم من أهل بيت النبوة و تنوخـا وقيل مليخا عابد زاهد، وكان العابـد يحثه للدعـاء عليهم بنزول غضـب اللّـه وعذابـه والعـالم يوصّيه بعدم الدعـاء والرفق بهم لأن فيهم الشـيوخ والرضّع وكان عـدد أهل الموصل مائة ألف نسـمة ولما يئس يونس من هداية قومه إسـتجاب لإلحاح مليخا الزاهد ودعى ربه طالباً نزول العذاب على قومه، فأوحى

اللّـه إليه أن يا يونس إن فيهم الحمل والجنين والطفل الصغير والشـيخ الكبير والمرأة الضعيفة والمستضعف المهين وأنا الحكم العدل سـبقت رحمتي غضبي لا أُعذّب الصغار بذنوب الكبار إنهم عبادي وفي عيلتـي أتأنّاهم وأرفق بهم وأنتظر توبتهم، فأنت لهـم كالطبيب المداوي يصبر على مداواتهم، لقد كان عبدي نوح أصبر منك ولكي تتأكد من أنني أعلم بصالحك وصالحهم فإني أستجيب لك وأنزل عليهم العذاب يوم الأربعاء وسط شهر شوال بعد طلوع الشمس.

فهرع يونـس إلى العابد وأخبره وقال لـه لنذهب ونحذّرهم، فقال مليخـا دعهم يباغتهم العذاب، فقـال له يونـس لنذهب ونستشـير روبيـل العـالم فقال لـه يا يونس إرجـع إلى ربك وإلتمس منـه أن يرفع عن قومك العـذاب فهو يحب الرفـق بعباده ولن ينقص قـدرك فإحتجّ مليخا وقـال روبيل إن القـوم كفروا باللّــه ولم يصدّقـوا نبيّه ويريـدون قتله، فقـال له روبيل إسـكت فأنت رجـل عابدٌ لا علـم لـك وإلتفت إلى يونـس عَلَيْهِ السَّلَامُ يسـتثير عطفه ويرقـق قلبه قال يا يونس كيف يكـون موقفك إذا أحس النـاس بدنو العذاب وهرعوا إلى اللّـه يتوسـلون ويتضرعون فرفـع اللّـه عنهم العـذاب، إيّاك إيّـاك أن تكون السـبب في هلاك مائـة ألف من الناس، فحرَّض مليخا يونـس على عدم القبول وخرجا من نينـوى بإنتظار نزول العذاب على أهلها، وبقي روبيل العالم الحكيم فلما دخل شـهر شـوال خرج إلى الجبل وصرخ بأعلى صوته أيها الناس لقد أنكرتم عذاب اللّـه وكذَّبتم نبيِّه وإن اللّـه لايخلف وعد نبيِّه وهذا شـهر شوال فانظروا ما تصنعون، فوقع كلامه في نفوسـهم وخافوا وقالوا سـنفعل ما تشـير بـه أنت علينا قال لهم قبيـل فجر الأربعـاء الموعود إعزلـوا الأطفـال الرُضَّع عن صـدور أُمّهاتهـم وإعزلوا صغار البهائـم عن أُمّهاتها وإتركـوا الصغار في الـوادي وإطلعوا أنتم إلى سـفح الجبل وعجّوا بالبكاء والتضرّع إلى اللّـه والتوبة والإستغفار وإرفعوا رؤوسكم إلى السماء وقولوا ربَّنا ظلمنا وكذَّبنا نبيّك وتبنـا إليك من ذنوبنـا فإرحمنا وإقبل توبتنـا يا أرحم الراحمين، وقيـل علَّمهم أن يقولوا «يا حي حـين لا حي، يا حي محي الموتى، ياحي لا إلـه إلا أنت» قالوا نفعـل، فلما كان الأربعاء خرجوا على تلك الهيئة فأقبلت ريحٌ صفراء مظلمة فتعالت الصرخات والإستغاثات

وروبيل معهم يتوسل باللَّه لرفع العذاب فإستجاب اللَّه دعاءهم وقبل توبتهم وأقالهم عثرتهم وإنصرف عنهم العذاب وفي صبيحة يوم الخميس أطلَّ يونس ومليخا على نينوى وهما يتوقعان أن يريا آثار العذاب عليها فوجدا نينوى تعيش حياة إعتيادية هادئة ولا اثر لعذاب نازل، فغضب يونس وتوجه ناحية بحر أيله وأظنه البحر الأحمر ليبلعه الحوت ﴿**وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً**﴾ [الأنبياء : ٨٧] وكان غياب يونس عن قومه كما عن الإمام الباقر عليه السلام أربعة أسابيع، أُسبوع إلى البحر وأُسبوع في بطن الحوت وأُسبوع تحت شجرة اليقطين واسبوع للعودة، ولما عاد إلى قومه آمنوا به وصدقوه وإتّبعوه.

إذاً فيونس عليه السلام منصورٌ وإن كذَّبه قومهُ منصورٌ وإن بلعهُ الحوت منصورٌ وهو منبوذٌ بالعراء منصورٌ في عودتهِ، وكذلك كلُّ أنبياءِ اللَّه ورسله وكذلك هو الحسين فهو مصباح الهدى وسفينة النجاة وهو الإمام قام أو قعد وهو المنصور في المدينة ومكة وكربلاء وهو الفائز والناجي أينما كان وكيف ما كان، بين أهله وعشيرته وفتيانه وأنصاره ليلة العاشر من المحرم ووحيداً فريداً يعاني الغربة والظمأ وكثرة الأعداء، ولئن لم تتحرك العاطفة والرقة في قلب يونس عليه السلام على القوم الكافرين فلقد وقف الإمام الحسين عليه السلام ينظر إلى حشود أعدائه ويبكي قالت له الحوراء زينب روحي فداها أخي أبا عبد اللَّه ممّ بكاؤك فداك نفسي قال من أجل جيش يدخل النار بسبب قتلي. ما أرحم قلبك أبا عبد اللَّه:

ووجدتك النفس الكبيرة لم تكن
حتى على من قاتلوك حقودا
ظنوا بأن قتل الحسين يزيدهم
لكنما قتل الحسين يزيدا

أوجب يستريح حسين ساعة
ضعف عزمه وثكل بالسيف باعه

رن الـحـجـر مــن وجــهــه بشعاعه

وذمـــه مـثـل مـــاي الـعـيـن فجرَّ

***

**

*

الحسد ومواريث الأنبياء

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّـهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾(١)

في رحاب الآية الكريمة أكثر من موضوع يمكن بحثه والإسهاب في شرحه وإعمال الفكر والنظر والتدبر فيه، الحسد وما ينتج عنه، فضل اللّـه الذي آتاه إبراهيم وآل إبراهيم عليه السلام الكتاب والحكمة، الملك العظيم وذلك ما يثبت كذب الحديث المفترى على رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «نحن معاشر الأنبياء لانـوّرث» وقـول قائلهم تكره قريـش أن تجتمع لكـم أو فيكم النبوة والخلافة، ليبرروا حربهـم لعلي بن أبي طالـب عليه السلام ولنبدأ من داء الحسد هذا المرض الفتاك الـذي وصفه أمـير المؤمنين عليه السلام قائـلاً «**رأس الرذائل الحسد**». وقال «**الحسود لا يسود**» وقال الإمام الصادق عليه السلام «**آفة الدين الحسد والعجب والفخر**» وقال عليه السلام «**إن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب**»

ولا أظن حاسداً يتوب عن حسده حتى ولو علم بأن «ثمرة الحسد شقاء الدنيا والآخرة، وإن كان عشاق الرياضة يقولون العقل السليم في الجسم السليم فإمامنا يقول «**صحة الجسد من قلّة الحسد**» ونرى في هذه الايام إرتفاع معدلات الحسد بين الناس رغم فيوض النعم الإلهية على البشرية على زيادة نفوسها، لقد كان سلفنا يقتاتون بأشياء بسيطة ويقنعون بالثوب والثوبين ويسكنون بيوت الطين والوبر ويقنعون بل يشكرون اللّـه على نعمه، ونحن مع ما نحن فيه من خير ورقاه القصور المنيفة والسيارات الفارهة والتقنية الحديثة التي تخدمنا في

---

(١) سورة النساء: ٥٤.

المكتب والشارع والمنزل ووسائل الترفيه والتسلية التي دخلت بيوتنا وأدخلت معها كل عورة وفساد، مع كل هذا ترون بأعينكم وتسمعون بأذانكم عن الأمراض المعاصرة والهموم الحديثة والأزمات النفسية والحوادث القاتلة وكذا البقرة المجنونة وما إلى ذلك من الكوارث التي ضربتنا بسبب حسد بعضنا للبعض حتى الطبيعة أصبحت تغضب علينا فهنا جفاف وهناك عواصف وهنا حرٌ قاتل وهناك بردٌ قاتل وهنا براكين وهناك زلازل وهنا جوع وفقر وهناك تخمة وإثراء فاحش، لو سكبتم كل رصاص العالم لما انتهى الحسد المعاصر ولو قرأتم كل يوم المعوذتان ألف مرة لما سلمتم من آثار الحسد، العاقل يحسد المجنون والعالم يحسد الجاهل والغني يحسد الفقير على راحة باله.

لا تصدقون لو قلت لكم بأني قبل مدة حَسَدتُ مّيتاً من أقاربي لأنه مات على ارض الوطن وغسلوه بماء الفرات وزار نعشه مرقد الإمام الحسين عليه السلام ودفن بجوار أمير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات اللّه وسلامه عليه.

المطلب الثاني في الآية هو معرفة الناس الذين قصدتهم الآية المباركة.

لقد ذهب الفخر الرازي في تفسيره الكبير إلى رأيين لا يختلفان كثيرا.

الأول: رأي عبداللّه بن عباس والأكثرين كما يقول أنه الرسول الأكرم مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم

الثاني: إن المراد بالناس هاهنا الرسول ومن معه من أصحابه المؤمنين. رجاءً لاحظوا كيف إنه يحاول هنا الهروب من الحقيقة الواضحة إلى التمويه والتضليل فأيُّ مدخلية للصحابة هنا؟ ومن هو الذي حسد الصحابة؟ إن بعضهم هو الحاسد ياهذا أما إمامنا الباقر عليه السلام فيقول «**نحن الناس وشيعتنا أشباه الناس وسائر الناس نسناس، نحن المحسودون على ما آتانا اللّه من الإمامة**».

والوقائع تثبت ذلك لقد حاولوا بكل الوسائل إزالة الأئمة عليهم الصلاة والسلام عن مراتبهم التي رتبَّهم اللّه فيها وعن مقاماتهم العالية نعم ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ **[الصف : ٨]**؟

المطلب الثالث فضل اللّـه عليهم، لقد ذهب الرازي إلى رأيين في فضل اللّـه على نبيه:

الأول: إنه هو النبوة والكرامة الحاصلة بسببها في الدين والدنيا.

الثاني: انه كان له من الزوجات تسعٌ وقد تخلَّص بهذا القول إلى تصريف موضوع الحسد إلى اليهود ثم قال لهم كيف إستكثرتم له التسع من النساء وقد كان لداود عليه السلام مائة زوجة ولسليمان عليه السلام ثلاثمائة زوجة وسبعمائة سرية.

ثم قال في النهاية إن الآية الكريمة إنما هي بمثابة تسلية ومواساة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليكون أشد صبرا. أي أن اللّـه يقول لنّبيه إن سلفك من الأنبياء كذلك آمن بهم البعض وكفر بهم حُسّادهم فلا تبتأس يا مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم.

أما إمامنا جعفر الصادق عليه السلام كما في تفسير الصافي عن الكافي والقمي فيقول إن فضل اللّـه عليهم هو الامامة والكتاب هو النبوة والحكمة هي الفهم والقضاء والملك العظيم هو الطاعة المفروضة لهم على العباد، من أطاعهم فقد أطاع اللّـه ومن عصاهم فقد عصى اللّـه. فهل من حاربهم أطاع اللّـه ومن والاهم وأحبهم وإستشهد بين يديهم عصى اللّـه!؟!

المطلب الأخير الذي نود التحدث عنه هو موضوع الملك العظيم الذي آتاه اللّـه إبراهيم وآل إبراهيم عليهم صلوات اللّـه وسلامه، كيف يقرّونه لهم وينكرونه لمحمّدٍ ولآل مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم لأُصدقكم القول أتدرون من أسَّس أساس هذا الحسد والظلم؟ إنهم اليهود الذين لا يريدون أن يخرج ملك الدنيا من أيديهم، نعم فالنبي قرشي وقريش من نسل إسماعيل، واليهود من أولاد اسحاق وإذا خرج الملك من أيديهم صار في يد مُحمَّد وآل مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ولا يعود إليهم أبداً حتى يرث اللّـه الأرض ومن عليها، ومن هنا دخل قسٌم منهم الإسلام ليمزّقوه من الداخل فعملوا كل ما بوسعهم لإقصاء أهل البيت عليهم السلام عن خلافة رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم، لقد وَّز شيطانهم في أذن حسّاد علي بن أبي طالب عليه السلام كل المكر والدهاء والإفتراء حتى تمكنوا من إقصاء الأمير وإختلقوا الأعذار الواهية ولفقوا الأحاديث الكاذبة على رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم وأقنعوا عوام الناس والمتنفذين في المجتمع تارة بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال

نحن معاشر الأنبياء لا نوّرث وهو حديث مفترى، وأخرى بأن قريش وهي بعرفهم العصابة التي مزقت شمل المسلمين في السقيفة المشؤومة قد كرهت أن تجتمع النبوة والملك يعني الخلافة في بني هاشم عجيبٌ أمرهُمُ!!

اللّـه يحب وهم يكرهون، اللّـه يؤتيهم الكتاب والحكمة والملك وعبيد الدنيا يمنعونهم عن ممارسة حقوقهم. إنه الحسد، إنها القلوب التي ما آمنت باللّـه ورسله وكتبه طرفة عين.

لم يحدثنا التاريخ عن شخصية محسودة ومظلومة ومجهولة القدر ومغصوبة الحق كعلي بن أبي طالب عليه السلام، صدّقوني لولا عناية اللّـه وتأييده لأمير المؤمنين عليه السلام لما بقي له إسمٌ ولم يحفظ له رسم،

يقول قائلهم إني لأعجب من رجل أخفى أعداؤه فضائله حسداً وأخفى أولياءه فضائله خوفاً وظهر من بين هذين ما ملأ الخافقين،

لقد أظهروا حسدهم أكثر من مرة وفي أكثر من مشهد، صراحة يقول لقد خصَّ اللّـه علي بن أبي طالب عليه السلام بثلاث خصال لوكانت لي إحداهن لكانت أفضل مما طلعت عليه الشمس: تزويجه فاطمة الزهراء وإعطاؤه الراية يوم خيبر والفتح على يديه وتصدقه راكعاً بالخاتم وقد أنزل اللّـه فيها قرآناً لقد تحمَّلت فاطمة الزهراء روحي فداها قسطاً كبيراً من فاتورة حسدهم لعلي عليه السلام وتحمَّل الإمام علي عليه السلام قسطاً كبيراً أيضاً وتحمل الإمام الحسن عليه السلام قسطاً وتحمل الامام الحسين عليه السلام القسط الأكبر من هذه الضريبة نعم لقد قتلوه بغضاً منهم لأبيه لما فعل بأشياخهم يوم بدر وحنين.

ياعلة الأكوان والشرف الذي
معنى دقيق صفاته لن يعقلا
أني لأعذر حاسديك على الذي
أولاك ربُّك ذو الجلال وفضَّلا

إن يـحـسـدوك عـلـى عـلاك فإنّما
متسافل الـدرجـات يحسد مـن علا
إحـيـاؤك الـمـوتـى ونـطـقـك مخبراً
بالغائبات عـذرت فيك لمن غلا
وبـــرّدك الـشـمـس الـمـنـيـرة بعدما
أفـلـت وقـد شـهـدت برجعتها الملا
وبـلـيـلـة نـحـو الـمـدائـن قاصداً
فـيـهـا لـسـلـمـانٍ حـضـرتَ مُغَسّلا
أمـخـاطـب الـذؤبـان فـي فلواتها
ومـكـلّـم الأمـوات فـي رمـس البلا
يـالـيـت فـي الأحـيـاء شخصك حاضر
وحـسـيـن مـطـروح بـوادي كربلا
تـعـالـوا لأبـنـكـم غسّلوه
والـكـفـن ويـاكـم دجيبوه
وجـيـبـوا قـطـن لـلـجـرح شدّوه
وعـالـروس نـعـش حسـيـن شيلوه
وبـهـداي وسـط الـلـحـد نزلوه
خـوفـي عـلـى جـرحـه تلجموه

من أحيا الإسلام ومن أماته؟

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(1)

الآية الكريمة من الآيات التي يستدل بها على وجود عالم البرزخ بين الدنيا والآخرة أو حياة القبر ولعل الجميع سمعوا الحديث القائل «**القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران**» ورغم ذلك فاني أجد رغبة قوية في التعرف أكثر على هذه الفترة التي نمر بها جميعاً ونجهل او خوفاً نتجاهل ما فيها من المخاطر والأهوال، إنها عالمٌ محفوف بالغموض المرعب وقد روي عن الإمام الكاظم عليه السلام إنه وقف على شفير قبر وتنفّس الصعداء وقال إن أمراً أو عمراً هذا آخرهُ لحريٌّ أن يستهان بهِ، يعني إن كانت نهاية حياتنا الدنيا هذه التربة والقبر المظلم فالأحرى بنا ان لا نتكالب على الدنيا الفانية، وإن أمراً هذا أوَّلُهُ لحرِّيٌ ان يخاف منه. يعني إن كان القبر وأهواله أول مراحل الحياة الأخرى التي لامهرب منها فعلينا أن نتهيب ونخاف من المعاصي التي تجعل حياتنا الأخرى جحيماً خالداً.

تلاحظون مقدمة الآية هذا الاستفهام الاستنكاري: كيف تكفرون باللّه؟

المدرس والمعلم يقدم الدرس لتلاميذه ويشرح لهم العبارة وكما يقال وما بعدها وكل التفاصيل التي تساعد على فهمها ويضرب عشرات الأمثلة حتى يستوعب التلاميذ الدرس ثم يسأل بعدها تلاميذه هل فهمتم الدرس؟ ولربما رفع بعض التلاميذ يده قائلاً لم أستوعب الدرس لطفاً أعده ويعيد الاستاذ المحاولة ثانية وبعدها قد يرّن جرس إنتهاء المحاضرة أو

(1) سورة البقرة: الآية ٢٨.

الحصة والأكثرية قـد أضافـوا لمعلوماتهم إضافـات جديدة. وسـيأتي اليوم الـذي يمتحن فيه الاستاذ تلاميذه بالعلوم التي أعطاهم إيَّاها وكما قيل «عند الامتحان يكرم المرء أو يهان».

أما هذا الـدرس الرّباني القاسي الذي قدَّمـه للبشرية (١٢٤٠٠٠) نبي ورسـول وأعادوه علينا مئـات المـرات في كل الكتب السـماوية والى الآن لم نسـتوعبه وأحيانا ينتابني شـعور بأن البعض ليـس بجاهل بـل يتجاهـل وليـس بمريض بل يتـمارض ويـصرّ على عـدم الإنصياع للأوامـر الإلهيـة وأحيانـاً كثـيرة يتحـدى بطغيانـه وجبروتـه كل القيـم والأعـراف الدينيـة والاجتماعية والسياسية.

بدايتنا التراب ونعود الى التراب ويوم ينفخ في الصور تتجمـع ذرات التراب ثانية ونقوم للحساب والثواب والعقاب بيد يدي الواحد القهار. موت أو قل عدم ثم وجود ثم موت ثم حياة ثم معاد وخلود إما في النعيم وإما في الجحيم العلماء يؤكدون بأن خلايا جسـم الانسـان دمه جلده عظمه حتى شعره تموت وتحيى ملايين المراتّ، وفي كل يوم نموت مائة مرة، نموت عندما نقهر عندما نحتاج لئام الخلق عندمـا نحتاج القرش عندما يصـادر قرارنا عندما نغلب على أمرنا نمـوت عندما تصـادر حرياتنا وتسـتعمر أوطاننا وعندمـا تغُشَّ أجيالنـا، إذا فالآية الكريمة تؤكد لنا حقيقة مهمة جداً وهي أننا نمر بعوالم متعددة ومختلفة بدءاً من عالم الاشـباح والصور الى عالم الذر والأرواح الى الأصلاب الى الأرحـام الى عالم الحياة الدنيا الى البرزخ عبر قنطرة الموت ثم الحشر والنفير الى الحياة الآخرة حيث الخلود بعد الحساب.

ولكل عالم من هذه العوالم قوانينه الخاصة به والقاسم المشترك بينهم جميعاً الموت والحياة.

وهذا ما ينتـاب الروح كـما ينتـاب الجسـد وينتـاب كُلَّ الوجـود فالربيع حيـاة الفصول والخريف موتها.

وكما إن الأشـهر القمرية طوال السـنة تصيب النفس بالخمول فان شهر المحرم ورمضان الكريم يبعثان في النفوس الأمل والحيوية، ولعل عاشـوراء الحسين عليه السلام أعظم محطة للتزود بالوقود الايماني بالنشاط والروح الثورية الوثابة والعودة الى منابع الثقافة الصافية.

وحتى الديـن والقيم الأخلاقية تتعـرض لهذا المدَّ والجـزر فلقد كانت أخـلاق المصطفى وأهل بيته وأصحابه البررة وسيرتهم العطرة للدين وقيمهِ حياة متجددة دائماً وأبداً.

كما كانت ممارسات الطواغيت الذين تسلطوا على رقاب المسلمين ظلماً وعدوانا كالمرض العضـال أتلـفَ الحرث والنسـل وكـما قال الشـاعر يصف حـال الديـن فترة الحكـم الأموي وبالخصوص فترة يزيد بالمواصفات التالية:

العاقر الخمر من لؤمٍ بعنصره
ومن خساسه طبعٍ يَعصُرِ الوَدَكا
هل كيف يسلم من شركٍ ووالدهُ
مانزهت حمله هِندٌ عن الشُرَكا
لئن جرت لفظةُ التوحيد في فمهِ
فسيفهُ بسوى التوحيد مافتكا
قد أصبح الدين منهُ يشتكي سقماً
وما إلى أحَدٍ غير الحسُينِ شكا
فما رأى السبط للدين الحنيف
شفاً إلَّا إذا دَمُهُ في كربلا سُفِكا
وماسمعنا عليلاً لاشفاء لَهُ
إلَّا بنفس مداويه إذا هلكا

إذاً فالدين مُشرفٌ على الهلاك مـن ظلم يزيـد ومنهجية بنـي أُمية المنحرقة ودمُ الحسـين هو الذي يحي هذا الدين العظيـم. واللّـه عجيب هـو هذا الامام الشـهيد وكل شيء يخصه له طعم خاص ونكهة مميزة، مولده، نوره، طفولته، شـبابه، نهضتة، شـهادته، تربته، قُبتَّهُ، ذرَّيتُه، حضوره المميز قاعدته الجماهيرية، مجالسـه، طعامه، الماء الذي يسـقى على حُبَّه، حتى الأحكام الشرعية المتعلقة بأحياء ذكراه كما يقول الشيخ مُحَمَّد حسـين كاشف الغطاء طاب ثراه في كتابه

الآيات البينات في قمع البدع والضلالات، ذكرهُ يحيي النفوس والأمل بل يحيي الدين وكما إنه ينفع في الحياة فانه بلا شك من أعظم وسائل النجاة يوم لا ينفع مال ولا بنونون، فقد ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ألا وصلّى اللّه على الباكي على ولدي الحسين عليه السلام وقال: كل عين باكية يوم القيامة إلّا عينٌ بكت... على ولدي الحسين فانها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة. روي أن شيخاً وسيدّاً عقدا عقداً للأخوة بينهما وإتفقا على أن الذي يموت لاحقاً يستخدم ورداً ودعاءً معيناً لرؤية أخيه ومصيره في عالم البرزخ فمات السيِّد أولاً وكان لم يؤدي فريضة الحج طيلة حياته لانشغاله بالعلم والتعليم والكتابة وبعد شهر من الدعاء والتوسل جاءه السيد في عالم الرؤيا فسأله عن أحواله فبدأ يشرح والتعب بادٍ عليه.

من لحظة نزوله القبر حتى الساعة........ وعندما علم الملائكة أني لم أؤدي فريضة الحج إنهالوا عليَّ بالضرب والتعذيب فأخذت أستغيث ولا مغيث حتى وقع نظري على خيمة مكللّة بالنور وعليها حرّاس سألت عنها قالوا فيها سيدة نساء العالمين فأسرعت إليها أقّبل يديها ورجليها وأقسم عليها أن تشفع لي فترفض ولما إستنفذت كل الوسائل لم يبقى لديَّ سوى الحسين عليه السلام فقلت لها سيدتي مولاتي أُقسمُ عليكِ بدماء الحسين عليه السلام ولدك الشهيدَ بكربلا. ترقرقت دموعها وأجهشت وصاحت واولداه واحسيناه ثم طلبت منهم أن يسامحوني والآن قد عدت من خيمتها.

يا مغيث الدين ومنجي المؤمنين لهفي عليك سيدي يوم وقفت تستغيث ولا مغيث تنادي ألا هل من مغيث يغيثنا ألا هل من ناصر ينصرنا ألا هل من موّحدٍ يخاف اللّه فينا ألا هل من ذابٍ يذُّبُ عن حُرَم رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم

يــهــل الــشــيــم هـــذا محلكم
لــلــمــوزمــة تــذخــر هممكم
تــرضــون تــتــيــسر حرمكم
گــومــوا وإدفــعــوا الــلــوم عنكم

الإنفاق في سبيل الله وسعر الفائدة

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]

نبدأ من اللغة حيث في المعاني اللغوية نكتة لطيفة تنفعنا في سياق البحث، فيقال نفق ينفق فهو نافق بمعنى بيع يباع فهو مباع عكسه كَسَدَ يكسُدُ فهو كاسد، ويَقال للدابة حين تموت نفقت الدابة. ولعن اللّـه صيغة إسم الفاعل في هذا الباب لأنه سبب الويلات على الأُمة.

أما الانفاق في الآية الكريمة موضوع البحث فهو البذل والعطاء في سبيل اللّـه حيث يتحول القرش الفائض عن حاجة الغني من ثابت إستهلاكي إلى متغير إنتاجي يتضخم وينمو ليسد حاجات المجتمع الاستهلاكية والإنتاجية.

والمفارقات التي لفتت نظري في معاني الآية الكريمة كثيرة جداً ومداليلها عظيمة جداً أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١. إن المعنى اللغوي لكلمة الانفاق أفادنا التلف في حين أن المعنى القرآني والاصطلاحي يفيد النمو والحياة المتجددة.

٢. يستفاد من كلمة سبيل اللّـه أن هنالك عدة سُبُل وجهات للأنفاق أفضلها سبيل اللّـه الذي يؤكد المفسرون أنه الأنفاق على المجاهدين والعساكر والسلاح ولوازم الجهاد وهذا الباب من المندوبات الأكيدة في الشريعة حيث يقول اللّـه في محكم كتاب المجيد» ﴿**وَأَعِدُّوا**

(١) سورة البقرة: ٢٦١.

لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

٣. تثير الآية الانتباه إلى سعر الفائدة العالي في هذه الصفقة التجارية، ففي الوقت الذي لا تتجاوز فيه أسعار الفائدة في المصارف والشركات العالمية الـ ١٠٠٪ نرى أن اللَّه جل وعلا يقدم لنا عرضاً سخياً الواحد بسبعمائة وهناك مجال واسع للزيادة والمضاعفة أضعافاً كثيرة لأن المعطي واسع عليم.

٤. ورد في الحديث أن زكاة العلم إنفاقه يعني نشرة فهو بالنشر يربو ويتعاظم ويصبح أكثر فائدةً و قد ذهب أكثر المفسرين أن الأنفاق ليس بالمال فقط، بل يمكن ان يكون بالعلم والمعرفة وكل شيء حتى بالنفس وكما قال الشاعر في مدح أصحاب الأمام الحسين عليه السلام:

جادوا بأنفسهم في نصر سيِّدهم

والجودُ بالنفس أقصى غايةَ الجود

٥. في القرآن الكريم مصاديق كثيرة للإنفاق بغير المال كالطعام مثلاً ولا يشك إثنان أن سورة الدهر قد نزلت على رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم كعوض دنيوي على (١٥) خمسة عشر رغيف من خبز الشعير تصدَّق بها آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم على مسكين ويتيم وأسير ولجزاء الآخرة أعظم **﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾**

٦. وفي المأثور عن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الُهداة من آله عن أسعار فائدة عالية جداً لإنفاق وتجارات من أنواع أخرى أهمها ما يخص سيد شباب أهل الجنة وسيلة النجاة العظمى وسفينة آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم الكبرى وإنني إذ جعلت مقدمتي التمهيدية الآية آنفة الذكر فإن قصدي من ذلك أن أُزيل الغبش الذي أصبح يغطي عيون بصائرنا عن كرامة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم.

لأننا منذ فترة أصبحنا ما إن نذكر كرامة أو فضيلة أو منقبة لهذه الصفوة المنتقاة حتى يتصدى لنا بعض من يدعي المنطقية والتمدن ودعاة الوحدة الاسلامية والانسانية منادياً رجاءً إتركونا من هذه المبالغات والأساطير ماذا يقول الآخرون عنا. ليقولوا ما يقولوا وبوسعنا أن

نقول أضعاف ما يقولوا ولكن ديننا وأخلاقنا لا تسمح لنا بذلك إخواني إن المصرف الذي نتعامل معه هو اللّـه ولعلكم من سياق الآية الكريمة إطلعتم على أسعار الفائدة فيه فاسحبوا ودائعكم من البنوك الأُخرى وتعاملوا مع اللَّـه.

النبي روحي فداه ذات يوم أجلس حبيبه الحُسين في حجره يُقّبله ويشمه، أقبلت أم المؤمنين عائشة قائلة يا رسول اللّـه أراك تكثر تقبيله أو تحبّه يا رسول اللّـه؟ قال وكيف لا أُحبَّه إنه قرة عيني وثمرة فؤادي ثم إعلمي يا عائشة إن ابني هذا تقتله الفئة الباغية من أمتي في أرض يقال لها كربلاء وسيكون له قبر ومزار يقصده الناس ألا ومن زار قبره عارفاً بحقه مقراً بفضله كتب اللّـه له حجة من حججي بعمرتها.

فاستغربت أُم المؤمنين وقالت حجة من حججك بعمرتها يا رسول اللَّـه؟ قال بل إثنتان. فزاد تعجبهُّا فأعادت السؤال فقال: بل عشرة حجج بعمرتها فذُهلت عائشة كما يذهل البعض هذه الأيام فحسم الأمر رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً يا عائشة من زار قبر ولدي في غربته عارفاً بحقه مُقّراً بفضله كتب اللّـه له مئة حجة من حججي بعمرتها وإن رُغمتي وروي عن الامام الباقر عليه السلام مؤيداً حديث جدّه مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم كل عين باكية يوم القيامة إلّا عين بكت على ولدي الحسين فانها فرحة مستبشرة بنعيم الجنة، حيث قال ما من عين ذرفت الدموع على مصيبة جدي الحسين ولو بمقدار جناح بعوضه حتى غفر اللّـه ذنوب صاحبها ولو كانت مثل زبد البحر، وعن الصادق عليه السلام ان من أنشد فينا بيتاً من الشعر فبكى أو أبكى أو تباكى بنى اللّـه له قصراً في الجنة. إن عجبتم كأُمَّ المؤمنين فما عليكم إلّا ان تراجعوا حساباتكم جيداً وتاملوا ماذا أنفق الامام الحسين عليه السلام في سبيل اللّـه وانظروا هل ان عطاء اللّـه له بالمقابل يرقى إلى ما فهمناه من الآية موضوع البحث.

أما المال فكلكم يعرف جودَ الحُسَين عليه السلام وسخاءَه طرَق أعرابي باب داره مسترفداً إياه وهو يقول:

مـــا خـــاب كـــل مـــن رجـــاك ومن
حـــرَّك مـــن دون بـــابـــكَ الحَلقه
أنـــتَ كـــريـــمٌ وأنـــتَ مُعتمدُ
أبـــوك قـــد كـــان قـــاتـــلَ الفَسَقه
لولا الذي كـــان مـــن أوائلِكم
كـــانـــت علينا الـجـحـيـم مُنَطِبقَه

نادى الحسين عليه السلام يا قنبر ماذا بقي عندنا من المال قال سيدي أربعة آلآف دينار. قال هاتها فقد جاءَ من هو أحق بها.

أمسكَ الحُسين عليه السلام بالصرة وأخرج يده من خلف الباب هاتفاً خذ يا أخا العرب واعذر وأنشد قائلاً:

خـــذهـــا وإني إلـــيـــك معتذرٌ
وإعـــلـــم بـــانـــي عـــلـــيكَ ذو شَفَقَه
لـــو كـــان في ســيرنـــا الـــغـــداة عصى
كـــانـــت ســمـــانـــا عـــلـــيك مندفقه
لـــكـــن ريـــب الـــزمـــان ذو غِيَرٍ
والـــكَّـــفُ مـــنِّـــي قـــلـــيـــلـــةُ النفقَهَ

فبكى الأعرابي فناداه الحسين عليه السلام ممَّ بكاؤك لعَّلك استقللت عطاءنا فأجهش الأعرابي بالبكاء وقال سيدي أقول كيف ياكل التراب كفَّك أقول للأعرابي ذاك أين أنت يا أخا العرب يوم عاشوراء لترى ما جرى؟ لقد أنفق الحسين عليه السلام ماله ورحاله وابناءَهُ وأصحابهُ وفتيانَهُ وإخوانه وكل غالي ونفيس في سبيل اللّـه وحتى طفله الرضيع ولمّا لم يبقَ لديه أحد تقدم بنفسه فداءً لدين اللّـه وإعلاء كلمة الحق جاهد جهاد الواثقين بربهم حتى خرَّ إلى الأرض شهيداً وليتك ترى ما صنع الجمّال بتلك الكفَّ المعطاء نظر وإذا في خنصر الإمام خاتم ثمين لم يحاول

إستخراجه من يد الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بل عمد إلى كسرة سيف وحزّ بها ذلك الخنصر الشريف فقم لنبك الاشلاء الموزَّعة والأنامل المقطعة ونادي معي يا حسين:

وكأني بالمولى ينادي:

ياگوم بـيـمـن تطلبوني
وعـلـيـمـن لـزمـتـوا الـمـاي دوني
أنـــا حـسـيـن كـلـكـم تعرفوني
ياگوم أنـــا ظـامـي إسقوني
مـهـر أُمـــيِّ عـنَّـه تمنعوني
وعـطـشـان بـالـطـف تذبحوني

عقاب القاتل

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾[1]

القتلُ جريمةٌ عظمى يعاقب عليها القانون الإلهي والقانون الوضعي وقد فصَّل اللّه في القرآن المجيد عقوبات كل قتل على حده، فالقتل الخطأ كأن يضرب المعلم تلميذا بالعصى فيصيب منه مقتلاً او أن يدهس سائقُ سيارة مضطرب في قيادته مارّاً في الشارع وما شابه ذلك وتفصيل ذلك جاء في الآية / ٩٢/ من سورة النساء والتي نزلت في عياش بن أبي ربيعه المخزومي حيث أنه قتل الحارث بن يزيد العامري وهو لا يعلم باسلامه وقيل أنها نزلت في أبي الدرداء وعلى قول في أُسامة بن زيد وذلك أن أبو الدرداء التقى رجلاً في طريق عودته من إحدى السرايا وكان مع الرجل غنماً فلما رأى الرجل أبا الدرداء شهد ألا إله إلّا اللّه وان مُحَمَّداً رسول اللّه فهجم عليه أبو الدرداء وقتله ثم جاء فأخبر النبي بذلك فقال ﷺ قتلت رجلاً تشهَّد بالشهادتين؟ فقال يا رسول اللّه ﷺ قاله تعوذاً فقال النبي ﷺ فلا كشفت الغطاء عن قلبه ولا ما قال بلسانه قبلت ولا ماكان في نفسه علمت فحلف أن لا يقتل أحداً شهد بالشهادتين وتخلف عن أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه بهذه الحجّة، والدّية التي تتوجب على هذا القاتل حسب الآية الكريمة وآراء الفقهاء أن يحرّر رقبة مؤمنة ويدفع الديَّة إلى أهل القتيل ولهم «أي آل القتيل قبول الدَّية أو التصدّق بها» وإن كان القتل الخطأ في قومٍ أعداء أي كُفّار محاربون للقاتل فتحرير رقبة فقط لأنه لا يحق للكافر أن يرث المؤمن. أما إذا كان بين

---

(١) سورة النساء: ٩٣.

أهل القتيل والقاتل عهداً وميثـاق فتتوجب الدِّية وتحرير الرقبة المؤمنـة وإن لم يجد عبداً مؤمناً يعتقه فصيام شهرين متتابعين أما القتل مع سـبق الأصرار والترصد كما يقول القانون الجنائي فعقابه كالآتي:

١. يذهب أولاً إلى أهل القتيل ويعترف لهم.

٢. إن لم يقتلوه وهذا حقهم وجب عليه القود

وهو:

أ. الديَّة النقدية.

ب. تحريرُ رقبةٍ مؤمنة.

ج. صيام شهرين متتابعين.

د. إطعام ستين مسكيناً توبةً إلى اللّـه.

والديَّة المعروفة هي إمـا ١٠٠ جمل كبير أو ١٠٠ بقرة كبيرة أو ١٠٠٠ شـاة أو ألف دينار شرعي ما يعادل ٣٤٥٠ غرام ذهب والأمر خاضع للتفاوض والتراضي.

هذه هي العقوبـة الشرعية لقتل بـشر أو إزهاق نفسـه ولا أعرف عقوبـة مخصصة لقاتل السـمعة أو لقاتـل الفكر أو لقاتـل الآثار ومـا حيهـا أو لقاتل النهـج والأجيال التـي تنتهجه والأمثلة على القتل المعنوي كثيرة جداً.

رُبَّ سـائلٍ يسـأل لماذا كل هذا التشَّـدد في هذا الموضـوع نجيب مع كل هـذه العقوبات الشرعية والعقوبات الاخروية حيث جهنم والغضب الإلهي واللعنة الأبدية والعذاب العظيم إضافة إلى العقاب الدنيـوي وفق القوانين الوضعية الذي أخف ما فيه الأشـغال الشـاقه إن لم يكن الإعدام.

مع كل هذا نجـد الناس يقتل بعضهـم بعضاً من أجل أتفة الاسـباب، قليـل من المال أو الجاه أو شبر من أرض أو دَوْر أو عروس أو اختلاف وجهات نظر أو قصة كقصة عباءة جدَّتي وذنب الكلب او حتى فريقنا أفضل من فريقكم.

حياة الانسان وكرامته في الاسلام من أقدس المقدسات واليوم لا قيمة لحياة الناس ولا اعتبار لكراماتهم.

من شهد بلا إله إلَّا اللَّـه مُحَمَّد رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله وسلم حُقِنَ أي حفظ ماله ودمه وعرضه أين نحن من هذا التشريع المقدس علينا أن نقدر خطورة هذا الأمر لنعيد الأمور إلى نصابها، الانسان الذي يهبهُ الحق جل وعلا الحياة ليس من حقنا سلبه هذا الحق أو الاستهتار به.

هذا بالنسبة للقتل المادي الذي تحدثت عنه الآية وهناك القتل المعنوي الذي لا يقل من حيث البشاعة عن القتل المادي فالذي يطعن إنساناً في دينه في أخلاقه في شرفه يرتكب جريمة يهتز لها عرش الرحمن ويقلق الأمن الأجتماعي بل يحطم كل مقومات الحياة الاجتماعية، ولا أظن أحداً يجهل كل مقومات الحياة الاجتماعية، ولا أظن أحداً يجهل ان الفتنة أشَّد من القتل فان كانت كل هذه العقوبات مجتمعه هي عقوبة من يقتل إنساناً مؤمنا فهل تتصورون العقوبات التي يستحقها الذي يقتل الصدق والاخاء والحب والإيثار والثقة في نفوس الناس،من يقتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً.

يعني ان منسوب الأنسانية سينخفض والأحتياطي ينقص، يقيمون الدنيا ولا يقعدوها إذا نقص إحتياطي النفط ولا تكترثون لنقص احتياطي الانسانية والقيم إننا ومن موقع المسؤولية الشرعية ندين كل قتل وكل قاتل، نستنكر جريمة قتل هابيل المظلوم الأول على وجه البسيطة ونستنكر قتل الأنبياء والأوصياء والأئمة وما مجالسنا في عاشوراء إلا صرخة إستنكار بوجه كل المجرمين والقتلة الماضين منهم والمعاصرين فالأمام الحسين عليه السلام مؤمن على أقلّ التقادير ولم يُقتل في كربلاء سهواً وخطأً بل قتلوهُ كما يقول الشريف الرضي

«قتلوهُ بعد علمٍ منهمُ
أنَّهُ خامس أصحاب العَبا»

ومن هنا فاننا لا نجامل قَتَلتهُ ولا أنصار قتلتِهِ ونقول كما في الآية لعنة اللَّـه وغضبه على

قاتِلِكَ يا حسين وعلى كل من قتل مؤمناً عمداً.

سيدي أبا عبداللَّـه ولئن قصّرنـا في واجـب نصرتك وحـال الزمـان بيننا وبينـك فاننا اليوم نحيي قلوبنا بذكـرك وتذكر مصيبتك نأمُرُ بـما أمرت وننكر ما أنكرت نـوالي من واليت ونعـادي من عاديت فسـلامُ اللَّـه عليك يـوم ولدت ويوم قتلـت ويوم تبعث حّيـا، أما الذي يحّز في النفوس ويقـرح الجفون ويدمي القلـوب، ان القـوم لم يكتفوا بقتلك مظلوماً عطشـانا غريباً في أرض كربلا ولم يشفي غليلهم قتل الأبطال وذبح الأطفال وسبي العيال بل لجأوا إلى الرؤوس الطاهرة ففصلوها عن الأبدان وجاءت كل قبيلـة بعدة منها إلى أبن زياد يريدون منه الجائزة وقفوا بين يديه يقول قائلهم:

أوقـــر ركـــابي فـضـة أو ذهبا

إنـــي قـتـلـت الـسـيِّـد المُحجَّبا

قـتـلـتُ خـيـر الـنـاس أمَّـا وابا

وخـيـرهـم إذ يـنـسـبـون نسبا

علموا كل هذا وفعلوا ما فعلوا ورفعوا رأسك على السنان عالياً:

جـــاؤوا بـرأسـك يابن بـنـت مُحَمَّد

مـتـرمـلاً بـدمـائـهِ ترميلا

ويـــكـــبرون بـــأن قـتـلـت وإنما

قـتـلـوا بـك الـتـكـبـير والتهليلا

قـتـلـوك عـطـشـانـا ولم يترقبوا

فـي قـتـلـك الـتـنـزيـل والتأويلا

وكـــانـــما بـــك يابن بـنـت مُحَمَّد

قـتـلـوا جـهـاراً عـامـديـن رسولا

يــــرأس حــســيــن لــلــمــحــمــل بعدني

وعــدوك تــدري عــن جسمك بعدني

مــــن گــطــعــوك لــســانــي بعدني

أجــــرّ ونَّـــــه بــأثــر ونَّـــــة شجيّة

الولد الرضيّ

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿كهيعص ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً (٦)﴾(١)

نبدأ مع الحروف المقطعة التي جاءت في أوائل بعض السور فقد اختلفت آراء المفسرين حولها فذهب بعضهم إلى أنها حروف معجمة من المتشابهات التي استأثر اللّه بعلمها ولا يعلم تأويلها إلّا هو، وقال آخرون منهم ابن عباس إنها رموز عن أسماء اللّه وهنا(ك) يعني الكافي و(ه) يعني الهادي و(ي) يعني الحكيم و عليه السلام العليم و صلى الله عليه وآله وسلم الصادق، وأرى أن عدم التطابق واضح في الياء حيث كان الواجب ان تكون الياء في البداية وليس في الوسط ولو كانت (ح) كان الوصف مطابقاً.

أما سعيد بن جبير فيرى انه بقليل من التصرف يمكن أن نركّب منها بعض أسماء اللّه مثلاً (الر) نضع بعدها (حم) ثم نأتي بـ(ن) تصبح الرحمن. وأخبرني عالم معاصر بأننا لو جمعناها دون تكرار لكانت (**صراط عليٍّ حقٌ نمْسِكُهْ**).

وقد وصلت الآراء إلى عشرة آراء لو شرحناها لا ستغرقنا كل وقت المجلس، ويهمنا من هذه الآراء رأي أئمتنا أئمة الهدى حيث قالوا إنها رموز من الغيب يعلم تاويلها اللّه

(١) سورة مريم: ١ـ٦.

منزلها والراسخون في العلم الذين هم من نزلت عليهم وبحقهم هذه الآيات والمعاجز فالكاف كربلاء والهاء هلاك العترة والياء يزيدٌ وظلمه والعين عطش الحسين عليه السلام والصاد صبره رموز أخبر اللّه بها زكريا عليه السلام بتفاصيل كربلا، فبكى بكاء الواله الحزين وقال أي رب أتفجع مُحَمَّداً حبيبك بسبطهِ هكذا ولا أواسيه فوهبه اللّه يحيى عليه السلام الذي كان الإمام الحسين عليه السلام يكثر ذكره في كربلاء لأنه شبهه في كثير من الأمور لا مجال لذكرها. لعلك تسأل من أين جئت بهذا أحيلك على كتاب إكمال الدين وتمام النعمة للصدوق والرواية عن الامام الحجة عجل الله فرجه ومن سياق الآيات نرى ان هذه الذكرى كانت رحمة نزلت على زكريا عليه السلام فانطلق زكريا عليه السلام بالنداء والدعاء والتوسل باللّه جل وعلا مع الحفاظ على آداب الدعاء حيث الإخفات وعدم الزعيق وتذلل العبد بين يدي مولاه ولعله قدَّم للدعاء بالصلاة على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم حيث سمع بقصة مصابهم قال معتذراً قبل كل شيء ومعرفاً بحالته وانه:

١. وهن العظم مني أي ضعف ولم يعد قادراً على التحمل وتجديد الحيوية واشتعل الرأس شيباً يعني أني وصلت أرذل العمر والمنية قد دنت وأنا على شفير القبر وحريٌّ بي أن أطلب منك غير ما أطلب على مستوى وعي الناس، ولكنني ونتيجة استجاباتك المتكررة لدعائي فقد طمعت بكرمك اللامحدود وثقتي بك لا حدود لها وأنت القادر على ما تريد ولا تعوزك الاسباب.

٢. وأني خفت أعمامي وأبناء عمومتي أن يسيئوا.. استخدام ثروتي التي جمعتها من النذور والهبات ويبذرونها في طرق اللّهو والمعاصي، وتقف في حلقي جملة اعتراضية لا بد أن أذكرها وهي أنه من الملاحظ ان الكثير من الناس أكرم ما يكونوا في المعاصي وأنجل ما يكونوا في الطاعات لعله توفيق من اللّه.

٣. وكانت إمرأتي التي هي أخت مريم العذراء عليها السلام عاقر وقد مضى العمر دون أيِّ أملٍ لإنجاب الولد لأن الظروف الموضوعية حسب المباني العلمية غير موجودة وعلى هذا الاساس فالانجاب بين امرأة عاقر وعجوز متيبس الأعصاب ذرَّف على التسعين مستحيل

علمياً ومنطقياً.

٤. مع كل هذه المقدمات زكريا عليه السلام يطلب من ربه ولداً يرثه ويرث مجد آل يعقوب ويرجو اللّـه أن يكون المولود رضيّا.

زبدة المخاض هي أن هذا النبي العظيم والشهيد الصابر مع علمه باستحالة حدوث الحمل في ظروف تشبه الظروف التي يعيشها يدلنا على أمر عظيم وسٍّر خطير نجهله أو نتجاهله عندما نحاول فهم مثل هذه المعادلات الصعبة ألا وهو الأمل والثقة باللّـه نتشبث كثيراً بقدراتنا ونتكلّ على أنفسنا ونحسب الأمور بحسابات التاجر الفاجر (١+١= ٢) وننسى أو نتناسى الأمل وقدرة القادر على كل شيء، ولولا الأمل لبطل العمل، عشرات بل آلآف القضايا التي برهنت وتبرهن لنا قدرة اللّـه على كل شيء ومع ذلك نغفل أو نتغافل عن قدرته ونحاول عقلنة ومنطقة الأحداث العظيمة التي لا ولم ولن تغيب عنها ارادة الواحد القهّار، وما قصة زكريا عليه السلام إلا واحدة من آلاف البراهين على مدخلية ارادة الباري في كل شيء ما شاء اللّـه كان ولو خالف القواعد العقلية والمنطق العلمي والرياضي وما لم يشأ لا يكون «وما تشاؤون إلا أن يشاء اللّـه رب العالمين «ويأتي جواب الحق ﴿**يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميّاً**﴾ ولا أراكم تنكرون أوجه الشبه بين يحيى والحسين عليه السلام نعم ما مر الحسين عليه السلام بحال ألا وذكره قائلاً «**رحم اللّـه أخي يحيى بن زكريا**».

لقد ذكرت في مجلس سابق أوجه الشبه بينهما واليوم سأذكر ما تميز به الإمام الحسين عليه السلام عن النبيِّ الشهيد يحيى بن زكريا عليه السلام ذكر اللّـه ان يحيى عليه السلام كما عيسى عليه السلام عزف عن الزواج لكي يتفرغ لعبادة ربه ﴿**وسيداً وحصوراً**﴾ أما سيد الشهداء فقد كان كاهله مثقلاً بالأولاد والعيال الذين صحبهم معه إلى كربلا ليشاركوه في إحياء دين جدِّه وقد اعترضه المعترضون على ذلك فاجاب «**شاء اللّـه أن يراهن سبايا**» وهذا ليس معناه إلَّا أن دماء الحسين وأنصاره لن تحفظ وتتخلد إلَّا بسبي النساء فكما أن حياة الدين تجددت بدماء الشهداء فدماء الشهداء حفظت بجهاد النساء خصوصاً مولاتنا السيدة زينب عليها السلام جبل الصبر والصمود

والتصدي خرجت يوم العاشر إلى نعش أخيها. شـقّت صفوف العسـكر حتى وصلت إلى جثَّة أخيها رفعتها قليلاً، رمقت السـماء بطرفها قائلة اللّـهم تقبل مّنا هذا القربان ثم نظرت إليه وهو جثة بلا رأس منخمد الأنفاس كأني بها نادت:

إنــسـان عـيـنـي ياحسين أخــي يا
أمـلـي وعـقـد جـمـانـي المنضودا
مــالي دعــوتــك لاتجيب ولم تكن
عـوَّدتـنـي مــن قـبـل ذاك صدودا
ألمـحـنـة شـغـلـتـك عـنـي أم قلى
حــاشــاك إنــك مابرحت ودودا

***

أنــاديــك مايشجيلك إنداي
ولا تسمع عــتــابــي ونخواي
إلــمــن بــعــد يـحـسـين شكواي
ظـنـي إنـقـطـع وانـقـطـع رجواي
ظـلـيـت عـگـبـك تـايـهـة الرأي
شـتـهـيـس احـچـي ابـونـتـك هاي
گـلـهـا ضـهـدنـي الـسـهـم بحشاي
وادري الـمـصـوب يـنـسـقـه ماي
والــمــاي ويــن إبـولـيـة إعداي
أو صـيـچ بـعـيـالـي ويتاماي
بـالـنـوق مـن يـحـدي الحدّاي

بسم اللّـه الرحمـن الرحيم: ﴿تِلْـكَ مِـنْ أَنْبَـاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْـكَ مَا كُنْـتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُـكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١)

قسم الفلاسفة القضايا من حيث الادراك إلى قسمين هما:

١. القضايا التي تدرك بالحواس وهي المحسوسات

٢. القضايا الغيبية التي تـدرك بالإيمان بالغيب وهي غير المحسوسـات التـي تدرك بالحواس الخمس.

والغيب لغة عكس الشهود والعيان فكل ما يغيب عن إدراكنا هو غيب مثل اللّـه، الجنة، النار، القيامة، معاجز الانبيـاء كرامات الأئمة، صاحب الزمان عجل الله فرجه حـوادث الايام القادمة وفي القرآن الكريم حديث عن أمور سـابقة وصفها الحق بالغيب وذلك لعدم وجود التدوين التاريخي للأحداث وأمور مسـتقبلية ونوايا مضمرة غائبة عن ادراك النبـي الذي تخاطبه الآية كـما في الآية السـابقة موضـوع بحثنا هذا ويـدور جدل حـاد بـين المشرقيـين والمغربيين حول الموضوع فيرى المغربيون ان القضايا التي تدركها الحواس ويمكـن إثباتها بالتجارب هي التي تعقل وتصدق ولا يؤمنون بما وراء ذلك في الوقت الذي أثبت فلاسفة الشرق بالقرآن والسنة و العقـل والاجماع خـلاف ذلك وقـد أيدَّهم في ذلـك الكمُّ الهائل مـن الاختراعـات العلمية والنظريـات الحديثـة التي أثبتـت خطأ الكثير مـن النظريـات التـي إعتقدوها قديـماً و برهنوا صحتها ردحاً طويلاً من الزمن والأمثلة على ذلك كثيرة وعلى كل الأصعدة ولعل الرجوع إلى

(١) سورة هود: ٤٩.

أي مؤلف من مؤلفات الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي يوفر علينا جهداً كبيراً في إثبات ما نقول فهو يؤكد حاجة العقل الغربي المادي إلى أدوات العقل الشرقي الروحي ليتمكن من قراءة الامور بشكل صحيح فلا بقاء للمادة دون روح ولا بقاء للروح دون مادة أي أن المعادلة الصحيحة هي

م (المحسوس) + غ (الغيب) = حقيقة الوجود (ج)

هذا طرف المشكلة مع الغرب وللمشكلة طرف ثاني مع المتحذلقين من المسلمين ففريق منهم تفرنج وتبنى آراء المغربيين في عدم الايمان والتصديق بغير المحسوسات (الميتا فيزيك) وهؤلاء نحيلهم إلى آراء علماء الغرب المعاصرين فالدنيا تتطور وقد عفى الزمن على نظريات دارون وفرويد وماركس ومن لف لفهم وآن الأوان للنقاش العلمي الموضوعي غير التسقيطي للوصول إلى أحسن القناعات العلمية والايمانية. أما الفريق الثاني فهو الذي ينفي علم الأنبياء والأئمة عليهم السلام بالغيب نفياً قطعياً إستناداً إلى ظاهر ألفاظ بعض الأحاديث المروية عنهم عليهم السلام أمام من لا يحتملون تصور علمهم بالغيب أو إلى بعض التفسير الأبتر للآيات التي تتحدث عن عدم إمكان إطلاع الناس على غيب اللّه، وللرد على هؤلاء نسرح في رحاب الآية ٤٩ من سورة هود حيث أوحى اللّه جل وعلا إلى نبيه نوح عليه السلام من أنباء الغيب الكثير الكثير، فهل هناك مجالٌ للأجتهاد والتأويل مقابل هذا النص القرآني الصريح، أما الغيب الذي أوحاه اللّه لنوح عليه السلام فهو حسب آراء المفسرين مايلي:

١. أخبره بان نيَّة ولده كنعان ليست كنيته وإنه عمل غير صالح والولد الذي لا يؤمن بدين أبيه فهو ليس من أهله.
٢. أخبره بمصير السفينة وأمره أن يأخذ معه من كل زوجين إثنين ليحفظ المخلوقات من الزوال وصمّمضها بإشراف العناية الإلهية طولها ألف ذراع ومائتين وعرضها ستمائة ذراع وارتفاعها ثلاثين بثلاث طوابق الأعلى للبشر والوسط للأنعام والدواب والأسفل للوحوش والهوام.

٣. أخبره بساعة الصفر للطوفان وهي فوران الماء بالتنور في دار إمراة خبازة بالكوفة، ففار التنور ونوح بعد لم يُصعِّد ركّاب سفينته فوضع طيناً في فم التنور حتى صعد الجميع وفتح نوح التنور وفار الماء.

٤. يقول الطبرسي في مجمع البيان في معنى قوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك، يعني ان الأخبار التي أعلمناكها لم تكن تعلمها أنت ولا قومُك من العرب يعرفونها قبل إيحائنا إليك لأنهم لم يكونوا أهل كتاب وسير، وقيل من قبل هذا القرآن وبيان القصص فيه «**فاصبر**» أي فاصبر على القيام بأمر اللّـه وعلى أذى قومك يا مُحَمَّد كما صبر نوح على أذى قومه وهذا أحد الوجوه التي لأجلها كررَّ اللّـه قصص الأنبياء عليهم السلام ليصبِّر النبيِّ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم على ما يقاسيه من عنت الكفار والجهّال حالاً بعد حال والعاقبة دوماً وأبداً للمتقين كما كانت لنوح عليه السلام إضافة لما تقّدم فاننا لو رجعنا لمعنى كلمة «النبيّ» نجدها تعني الانسان الذي يخبر قومه بأنباء يجهلونها وهي إما عن الماضي وإما المستقبل وهذا هو معنى النبؤة.

أما ما يزعجني أشد الازعاج تهافت شبابنا على نبؤات قارئة الفنجان وعالمة الأبراج والمطلّع والمبصّر ونبؤات تسطّرها اليد المخابراتية بعناوين مختلفة وبأسماء مستعارة في الوقت الذي يجادلون بلجاجة ويكذبّون ويفندّون الغيب القرآني بدعوى المنطق والعقل وماذا يقولوا عنا. أليس هذا بغريب؟؟

بناءً على ما تقدم من المنطق القرآني نؤكد ان اللّـه جل وعلا أظهرَ أنبيائه ورسله والائمة المعصومين على غيبه وإرتضاهم لعلمه بأنهم أطهر وأفضل وعاء يستوعب هذه المسؤولية ولئن إطلع آصف بن برخيا على حرف واحد من حروف إسم اللّـه الأعظم الثلاثة والسبعين فان نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم عنده ٧٢ حرف منها وبها صار مدينة العلم وعليٌّ بابها وقد روي عنه قوله لولا آية في القرآن لأخبرتكم بما كان ويكون إلى يوم القيامة قيل وما هي؟ قال قوله تعالى ﴿**يَمْحُو اللّـهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد : ٣٩] وقال مرَّةً «**أما واللّـه ليُسلطنَّ**

عليكم غلامُ ثقيف الذيّالُ الميَّال يأكلُ خضرتكم ويذيب شحمتكم إيهٍ أبا وذحة».

قال مرة «**فويلٌ لك يا بصرة عند ذلك وسيبتلى أهلك بالموت الأحمر والجوع الأغبر**».

وقال «**كأني بك يا كوفة تمدِّين مدَّ الأديم العكاظي تعركين بالنوازل وتُركبين بالزلازل وإني لأعَلمُ أنه ما أراد بك جبارٌ سوءاً إلا إبتلاه اللَّه بشاغل ورماه بقاتل**» ويوم قال «**سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلمُ مني بطرق الأرض، قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها وتذهب بأحلام قومها**»

قام إليه سعد بن أبي وقاص مستهزئاً يقول يا علي كم شعرة في لحيتي قال له **لو شئت أخبرتك ألا إن تحت كل شعرة فيها شيطان أمرد وإعلم إنَّ في بيتك سخلاً يذبح ولدي الحسين عليه السلام طمعاً بأمارة الرِّي ويسّلط اللَّه عليه من يذبحه مع ولده على فراشه.**

نعم لقد تحقق ذلك ومضى ذلك السخل إلى كربلاء وقاد جيوش ابن زياد ويزيد لحرب الامام الحسين عليه السلام حتى تمكن من ذلك وشعرت الحوراء زينب عليها السلام بعظيم المصاب فخرجت من خيمتها وشقت صفوف العسكر فانفرج لها الجيش سماطين حتى وصلت بمحاذاة ابن سعد صرخت به بنت الأمير قبحَّكَ اللَّه يا بن سعد أيقتل أبو عبداللَّه وأنت تنظر إليه فخجل منها وانحدرت دموعه على لحيته الخبيثة، تركته وتوجهت نحو أخيها وإذا به جثة بلا رأس منقط الأنفاس جلست عنده وضعت يدها تحت ظهره رفعته قليلاً ورمقت السماء بطرفها قائلة اللَّهم تقبلّ هذا القربان من آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم فداءً لوجهك الكريم ثم دارت بوجهها صوب المدينة منادية وا جداه وا مُحَمَّداه هذا حسينك بالعراء

أجد بالسير ويه الظعن ياجد

ابن أمي عاري ولا چفن ياجد

هذا حسينكم مطروح ياجد

إشلون أمشي واعوف ابنك رميه

ماذا يريدون من نور الله

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّـهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّـهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1]

لقد ذهب المفسرون إلى عدة مذاهب في معنى النور فمنهم من يرى أن النور هو:

١. النور المادي المتكون من نور الشمس والقمر والكواكب والضياء.

٢. النور المعنوي وينقسم إلى أقسام عدة منها:-

أ. الهداية الربانية لأهل السموات والأرض لما فيه مصالحهم عن ابن عباس

ب. مزين السموات بالملائكة والأرض بالأنبياء والعلماء والأئمة عن أبي ابن كعب

ج. القرآن الذي هو نور القلوب ومنهج الحياة السعيدة للدنيا والآخرة والتي تتحقق من خلال نور الأيمان باللّـه ورسله وكتبه وملائكته وكل قيم الحب والخير

د. نور مُحمَّد وآل مُحمَّد عليهم السلام كما ورد عن سعيد بن جبير

وقد ورد أن جابر الانصاري سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أول ما خلق اللّـه؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- نور نبيك يا جابر وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **خلقني اللّـه نوراً تحت العرش قبل أن يخلق آدم بأثني عشر ألف عام**

وقال: خلقني اللّـه وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قبل أن يخلق الدنيا.

والشاعر يقول:

هم النور نور اللّـه جل جلاله

هم التين والزيتون والشفع والوتر

---

(١) سورة الصف: ٨.

وقد ورد في زيارة الجامعة:

خلقكم اللّـه أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين وورد في زيارة الامام الحسين عليه السلام اشهد أنك كنت نـوراً في الأصلاب الشـامخة والأرحـام المطهرة لم تنجسـك الجاهلية بأنجاسـها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها.

وورد في زيارة الأمام الكاظم عليه السلام **السلام عليك يانور اللّـه في ظلمات الأرض**.

وهنا يجب الوقوف عند تعدد الظلمات ووحدة النور رغم أن منابع النور نجدها متعددة، فمئـة وأربع وعـشرون ألف نبي ومرسـل وأوصيائهـم وأسـباطهم حملوا إلى البشرية شـموع الهداية ليسـتنيروا بهـا وليوجهوا بهـا كل الانظار والقلـوب والمشـاعر إلى اللّـــه، حيث الحب والعدل والأنصاف، حيث الخير والسعادة الأبدية.

فطوبى لمن نـوَّر هذا النـور بصره وبصيرتـه وهذَّب بهـذا النـور سريرته فجـاءت أفعاله مطابقة لأقواله والآن وبعد أن عرفنا النور لنتابع بقية مفـردات الآية القرآنية موضوع البحث فالآية بدأت بكلمة يريـدون، فهناك جمع من الناس وعندهـم إرادة والأرادة هي الأطفاء لنور اللّـه والأداة هي الأفواه، فكيف سـيكون بوسـع أفواه بشر مخلوقين إطفاء أنـوار إلهية جبارة، فهل أن نور اللّـه شـمعة صغـيرة يمكن إطفاؤهـا بنفخة، لا ليـس الأمر كذلك، بـل ان الآية الكريمـة تقـول إن بعض الاشرار وشـذاذ الآفـاق سيسـتخدمون الأعـلام المضـاد للنيل من عصمة الأنبياء والأئمة الذين هم نور اللّـه الهادي إلى سـبيل الخـير والصلاح وهذا ما تعرض له ومازال يتعرض له الأمام الحسـين عليه السلام ويوم عاشـوراء ومن يحييه وأسـاليب إحياءه من قبل الغافلين عن جوهر وحقيقة الأنوار الحسـينية الخالدة والمجهولة والمصونة بالارادة الالهية التي رسمت أدوار نشـأة ونمووانتشـار هذا النور الألهي إضافة لأعداء الأمام الحسين عليه السلام الذين إزدلفوا إليه يـوم العاشر من المحرم عـام ٦١ هجرية ليذبحوه ويقطعوا جسـده الطاهر إرباً إرباً ولكن الجميع غاب عن أذهانهم أنهم بفعلهم هذا يفعلون فعل النافخ في النار يزيدها توقداً و تأججاً.

وهذا هـي إرادة اللّـه التـي لا تقف بوجههـا إرادة فلا رافع لمن وضعـه اللّـه ولا خافض لمن رفعه اللّـه ولن يغلب اللّـه على أمره رغم آلاف السنين وملايين الأفواه والاقلام المأجورة والنفـوس المريضـة لا زال المؤذن ينـادي أشـهد أن لا ألـه إلا اللّـه وأشـهد أن مُحمَّداً رسـول اللّـه ﷺ وهذا يكفي دلالة على انتصار القيم السـماوية على كل الأنانيـات ولا زالت الدماء الشريفة التي سـالت على مذبح الحريـة من يحيى بن زكريـا وإلى الأمام أبي الضيم الحسـين بن علي عليه السلام تزداد ألقاً وتوهجاً وتتفجر تحت أقدام الظالمين في كل مكان وزمان وتزلزل عروش الطغيان ولكن في نفـس الوقت فانها تجدد اللوعة والأسـى في قلوب المؤمنـين لأننا نتصور في كل عام ما جرى على الحسـين عليه السلام وأهل بيته وأنصـاره من القتل والتمثيـل، فتدمع العيون وتحترق القلوب على ريحانة رسول اللّـه ﷺ الذي قطعوه بالسيوف إرباً إرباً.

في كـل عـام لـنـا في الـعـشر واعية

تطبق الـدور والأرجـاء والسككا

اشـلـون يـوم إعـلـه الـنـبـوة وآلها

مـن طـحـت يحسين فـوق رمالها

إشـلـون يـوم الـمـاجـره يـبـن الرسول

يـخـرس لـسـان الـدهـر عـنـه شيكول

صـار صـدر حـسـين مـيـدان الخيول

جـالـت ومـحـمـد الـعـنـك حالها

***

روحـي بـيـش أسـلـيـهـا ورضـها

وفـقـدكـم نـحـل عـظـامـي ورضـها

بـدمـاكـم كـربـلـه إبـتـلـت ورضـها

الـسـبـب مـا تـبـل دمـعـي الـغـاضـرية

أشهد أنك قد أقمت الصلاة

بسم اللّـه الرحمن الرحيم ﴿: يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّـهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)﴾[١]

هذه الآيات المباركات من سورة لقمان ترسم لنا الخطوط العريضة للسعادة من خلال الأوامر والنواهي التي تضمنتها

فأول أمر يطلبه لقمان من ابنه إقامة الصلاة فهل الصلاة شيء مطروح على الأرض أو جسد بلا روح، بحاجة إلى أن نقيمه.

وفي وسط النخبة الواعية من المجتمع لا نحتاج إلى الإطناب والاسهاب في الشرح بل يكفي ان نشير إشارة إلى ما نريد فالشاعر يقول:

أشر للحر من بُعدٍ وسلمٍّ
(فان الحر تكفيه الاشارة)

فالمقصود بكلمة الاقامة للصلاة استيفاء واستقصاء كامل الفوائد المرجوة منها فالصلاة وسيلة لاغاية، وسيلة للأمر بالمعروف والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، ومن هنا عندما نخاطب الإمام الحسين عليه السلام في زيارته بقولنا له أشهد أنك قد أقمت الصلاة واتيت الزكاة

---

(١) سورة لقمان: ١٧ـ١٩.

وامرت بالمعروف ونهيت عن المنكر نعني بأننا نشهد يا أبا عبد اللّـه بان صلاتك كانت حقيقية، اثرَّت في سلوكك ايجاباً وفي عامة السلوك الاجتماعي في الوقت الذي نرى فيه الكثير من الناس يصلّي ويحضر الجمعة والجماعة ولكن لا نجد في سلوكه أيَّ تاثير للصلاة، يصُلِّي ويلعب القمار يصلي ويزني يصلي ويسرق يصلي ويقرض بالفائدة يصلي ويكذب وهكذا صلاة كالجسد الفاقد للروح لا حراك فيه ويجب أن يقبر قبل أن يُنتن.

ورب سائل يسأل قائلاً أيُّها المتفلسف في معنى الصلاة هل بوسعك أن تخبرنا كم هي أوقات الصلاة، فنجيب نعم وجوابنا من القرآن فاللّـه جل وعلا يصّرح في كتابه المجيد قائلاً:

﴿**أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ** (زوالها) **إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ** (اوله) **وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً**﴾[١]

وبناء على هذا فان اوقات الصلاة ثلاثة:

١. صلاة العصرين الظهر والعصر بعد الزوال.

٢. صلاة العشائين المغرب والعشاء من أول الليل لآخره.

٣. صلاة الصبح قبل بزوغ الشمس.

فالصلاة صلة بين العبد وربه وكلما كانت هذه الصلة قوية ومتينة كلما كان العبد أقرب إلى التقوى وبالتالي أقرب إلى رحمة اللّـه ونعود فنؤكد اهمية الإنفعال بالصلاة لأن العبادات كُلّ العبادات إنما هي وسائل لا غايات، وسائل لأنسنة الانسان وتقريبه من الأجواء الرحمانية والمعاملات الانسانية وتبعيده عن الأجواء الشيطانية والمعاملات اللا إنسانية.

ويمكن للانسان المتفكر ان يكشف الفرق بوضوح بين من يتأثر بصلاته ومن لا تتجاوز صلاته التراقي إطار الحركات المعروفة والألفاظ المسنونة خلال القيام والقعود والركوع والسجود وقد أكَّد رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم ضرورة التخلّق باخلاق المصلين حيث يقول: «**لا تنظروا إلى كثرة صلاة الرجل وصيامه بل انظروا إلى صدقه في الحديث واداءه الامانة**».

---

(١) سورة الإسراء: ٧٨.

ويقول الامام الباقر عليه السلام في شان المعجب والمغرور بصلاته: إنه ياتي الرجل المؤمن المسجد ليصلي فيخرج وهو فاسق، ويأتي الرجل الفاسق المسجد ليصلي فيخرج وهو مؤمن.

لأن المؤمن إذا داخله العُجب بصلاته وعبادته حَبطَ عمله، فالرياء يفسد كل عمل كما يفسد الخلَّ العسل على عكس ذاك الفاسق الذي إذا دخل المسجد ليصلي داخله شعور بالتقصير في طاعة اللّٰه فتخضّع وأخلص في عبادته دون تصنّع فتقبل منه فيخرج من المسجد وعليه سيماء القبول وعلى هذا ومن موقع المسؤولية الشرعيةلا نقول لا يسعدنا كثرة المساجد وقلّة المصلّين المنتفعين بصلاتهم، بل ما نحن بأمس الحاجة إليه المصليّ الذي هذّبت الصلاة فيه القوى العصبية والسبُعّية والانتقامية ولأن الدين معاملة وإلاّ فان قتلة الامام الحسين عليه السلام كانوا من المُصّلين وقتلة أبيه وأخيه من المقرئين للقرآن أصحاب الجباه المكويّة كما إن عمر بن سعد الذي هو نجل الصحابي المعروف يكونه أحد العشرة المبشّرين بالجنة سعد بن أبي وقاص صلى يوم العاشر من المحرم وأقام صلاة الجنائز على جثث الزعماء من قتلى جيشه ولكن باللّٰه عليكم

كيف يمكن أن تسمى صلاة عمر بن سعد صلاة وهو الحائر والعاشق لتفاهات الدنيا الغرّارة والذي خاطب نفسه قائلاً:

فو اللّٰه لاأدري وإني لحائر
أفكر في أمري على خطرين
أأترك ملك الري والري منيتي
أم أرجع مأثوما بقتل حسين
حسين إبن عمي والحوادث جمة
لعمري ولي في الري قرة عين
يقولون أن الله خالق جنة
ونار وتعذيب وغسل يدين

فـــإن صـــدقـــوا فـيـما يـقـــولـــون إنني

أتـــوب الــى الــى الرحمن مــن سنتين

وخرجت زينب عليها السلام مـن خيمتها وشـقت صفوف العسـكر الذي إنفرج لها سـاطين فاستقبلها عمر بن بن سـعد فقالت له:ـ أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر اليه صرف بوجهه عنها ودموع الندم تبل لحيته الخبيثة، وصلت الى نعش الشهيد وضعت يديها تحت نحره رفعته قليلاً ثم رمقت السماء بطرفها ودموعها تجري هتفت اللهم تقبل منا هذا القربان ثم توجهت صوب المدينـة المنورة تنـادي:ـ واجـداه وامحمداه ها حسـين بالعرا محـزوز الرأس من القفا مسـلوب العمامة والرداء مقطع الأعضاء تسقي عليه ريح الصبا بأبي من لا هو غائب فيرجى ولا جريح فيداوي

الگلب شاجر على إبن أمي وداوي

تضعضع وإنـهـدم صبري وداوي

لا مـجـروح حـتـى أگـعـد وداوي

ولا غـــايـــب واگـــول يـعـود إليه

بينما يجسـد الأمام الحُسـين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته كل المعاني الحقيقيـة للصلاة، وقد ذكره التستري في خصائصه الحسينية بان الامام الحسين سلام اللّـه عليه صلى أربعة أقسام من الصلاة:

الأول: الصلاة التي استمهل القوم لأداءها ليلة العاشر صلاة الليل.

الثاني: صلاة الخوف ظهر العاشر وهي ركعتان سقط خلالها البعض من أصحابه شهيداً من رشق السهام.

الثالث: روح الصلاة ومعانيها الحقيقية التي دفعت بالمولى إلى التضحية بكل غالٍ ونفيس في نصرة دين اللّـه.

الرابع: وهـذه الصـلاة شرع بها عنـد وقوعه مـن على ظهـر جواده يقـول الـرواة وقف

الحسـين عليه السلام ثم كبى والكبـوة ركوعـه ثـم سـقط إلى الأرض وهذا سـجوده الـذي انتهى بجلوس شمر اللعين على صدره الشريف. وا مصيبتاه، وا سيداه.

بين يحيى والحسين عليهما السلام

بسـم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْـمُهُ يَحْيَى لَـمْ نَجْعَلْ لَـهُ مِنْ قَبْلُ سَـمِيّاً(٧) قَـالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِـي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً (٨) قَـالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُـوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَـمْ تَكُ شَيْئاً(٩)﴾[1]

عندما نتأمل مفردات هذه الايات المباركات تأملاً واعياً نجد إنها تحكي قصة عائلة نبويّه إختصها اللّـه جل وعلا بجملة كرامات خارقة للعرف والعادة، تشريفاً لها وتكريماً لم يسبق له مثيل زكريا النبيّ الصابر الذي ذرَّف على التسـعين من العمر حتى يبست جميع أعصاب بدنه، وزوجته التي لا نحتمـل أن يكون عمرها أقل من ثمانين سـنة، زكريا لديه شـعور بالحاجة إلى وريث يرثه بعد أن وهن عظمه واشتعل رأسـه بالشـيب وكان خائفاً من أبناء عمِّه أشرار بني إسرائيل، فطلب مـن اللّـه أن يرزقه ولياً يرثه من الناحية المادية ويرث آل يعقوب عن ميراث النبـوة، وإذا بالبشرى الألهيـة يزفها إليـه جبرئيل عليه السلام يقول تعـالى يا زكريا إنـا نبشرك بغلام مشـمولٍ منذ اللحظة الأولى بالعناية الإلهية. زكريا وزوجته يسـترجعا شـبابهما للحظات أي بقدرة اللّـه تعـود عليهما قابلية الانجاب وبعد٥ سـنوات من البشرى فتحمل به أُمُّه لمدة سـتة أشهر ثم تضعه على أكمل وجه وليحمل إسـماً اختاره اللّـه له ليس له مثيل قبل هذا اليوم كل هذه الأمور الخارقة للعادة هينة على اللّـه ولا تسـتلزم منه أكثر مـن كاف ونون، وكذلك هيّنٌ عليه أن يكلفّ يحيى عليه السلام بالنبوة وهو في الثالثة من العُمر: **﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ**

---

(١) سورة مريم: ٧ـ٩.

الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[١] لنقف عند هذه المفارقات المتتالية ونتوجه إلى انفسنا بالسؤال التالي: لو قيل لنا اليوم بان رجلاً قد ذرّف على التسعين وامرأة عاقرة ذرفت على الثمانين قد أنجبا غلاماً جميلاً لستة أشهر وعاش؟

هل نصدّق أم نجادل وفق أحدث النظريات العلمية ونقول إن المرأة الطبيعية وليس العاقرة تنتج عدداً محدوداً من البويضات وبحدود قصوى للعمر بين الـ ٤٠ لعامة النساء والـ ٥٠ للقرشيات الهاشميات، وأن الجنين يجب أن يتنامى في بطن أُمه تسعة أشهر لكي يولد بشكل طبيعي وتام وما عدا ذلك فانه سيواجه إحتمالات الموت أو التشويهات الخلقية التي يعاني منها الكثير من الخُدّج من أمراض اليرقان وما إلى ذلك ولا فرصة للأنجاب والحياة في غير هذه الظروف، كما إنه لا نحتمل أن يعي طفل في الثالثة من العمر أموراً هامة وخطيرة بمستوى النبوة ولكن في المعادلات الألهية كل هذه الأمور تتم وبأتقان وكلمح البصر**﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾**[٢] وينحصر كما قلنا بين الكاف والنون ولم تَخلُ حياة نبيٍّ من الأنبياء أو وصيٍّ من الأوصياء من هذه الرعاية الإلهية والدعم الربّاني الغير محدود، فهذا المسيحُ عيسى بن مريم عليهما السلام يولد بنفخة من روح القدس ويتكلم في مهده ويعلن للمستغربين والمستنكرين **﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾**[٣] وهذا إبراهيم خليل الله عليه السلام يرميه النمرود بالمنجنيق إلى نار يصل لهبها إلى عنان السماء فيتوقف قانون الأحراق في النار وتصبح بأمر اللّه برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام ويقول الرواة عندما قال اللّه للنار يا نار كوني برداً أحسَّ ابراهيم عليه السلام وكأنه بين كتل من الجليد وأخذ يرتعش من شدَّة البرد، ولم يشعر بالراحة إلّا عندما قال اللّه وسلاما. خلاصة ما نريد قوله أن اللّه جل وعلا أيدَّ وفضَّل وشرَّف رُسُلَه وأنبيائه وأوصياءهم بهذه الكرامات الخالدة كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وليس على الدوام، صحيح

(١) سورة مريم: ١٢.
(٢) سورة مريم: ٩.
(٣) سورة مريم: ٣٠.

أنهم ما كانـوا إلا بشراً مثلنـا، ولكن يتميـزون عنا بأنهـم مؤيـدون ومنصورون بالمـدد الإلهي وباسـتحقاقهم لأنهم كانوا أطـوعَ الناس للّـه وكلنا قد إطلـع على الحديث القـدسي «عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون» ومن هنا فان كل من يطيع اللّـه ويعبده حق عبادته ستشمله العناية الربانية بألطافها.

وكما أننا لا نشـك طرفـة عين بالألطـاف الربانيـة التي شـملت أنبياء اللّـه عليهم السلام بالمنح والأوسـمة التي تحدَّث عنها القرآن الكريم، فإن علينا أن لانشـك طرفة عين بـان نبيّنا أفضل الأنبيـاء ووصيّـه أفضل الأوصيـاء وعترته أفضـل العِـتَر وأن المنح الإلهيـة التي حباهـم اللّـه بها أعظم وأشرف مـن كل المنح التـي منحت لسـائر الأنبيـاء، وذلك بمقتضى العـدل الإلهي فالأفضل بالطاعة يجب أن يكون الأفضل في المكافأة والعطاء، وهذا مما لا يختلف فيه إثنان.

ولقد كان الامام الحسـين عليه السلام وهو من تعرفون وبشهادة جدِّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى سـيِّد شـباب أهل الجنة من أفضل الذيـن حباهم اللّـه بالمنح الإلهية لأنـه كان من أعظم المضحّين في سـبيل اللّـه. يمكن أن نجمل بعض هـذه المنح ضمن حديثنا هـذه الليلة، تلك المنح التي جاءت في اغلب الأحيان من سـنخية ما منَّ اللّـه به على نبي اللّـه يحيى عليه السلام الذي كان الامام الحسين يكثر من ذكره في كربلاء ويقول أخي يحيى عليه السلام فمنها:

١. ان الحسين كيحيى ولد لستةِ أشهرٍ وعاش وما عاش مولود لستة أشهر غيرهما.
٢. لم يكن للحسين من قبلُ سـميّاً كيحيى أي أن إسمهما كما هي أسـماء أهل البيت إختيارات ربانية وإشتقاقات من أسمه جلَّ وعلا وهذا شرف لا يعلوه شرف.
٣. ثار الحسين عليه السلام على طاغية عصره كيحيى الذي رفض الظلم.
٤. ذبح الحسين عليه السلام كما يذبح الكبش وكذلك ذبح يحيى عليه السلام.
٥. أهدي رأس الحسين عليه السلام إلى ابن زياد وسـيِّده يزيد بن معاوية كيحيى الذي أُهدي رأسه إلى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل.
٦. قال الإمـام الصادق عليه السلام بكـت السـماء أربعين يوماً على الحسـين عليه السلام كـما بكت على

يحيى عليه السلام.

بقي دم يحيى عليه السلام يفور سبعين سنة حتى جاء نبوخذ نصر وقتل من قتلة الأنبياء سبعين ألفاً حتى سكن دم يحيى عليه السلام ولا زال دم الحسين عليه السلام يغلي ويزلزل عروش الظالمين حتى يظهر مولانا صاحب الثأر صاحب العصر والزمان ويقتل من الظالمين سبعين ألف. يخرج مستنداً على جدار الكعبة وهو ينادي يالثارات الحسين عليه السلام.

يا إمام العصر طال الإستتار
ومن القتل يعد الإنتظار
كيف ترضى بدم السبط جبار
بين قوم هم على الشرك عكوف

***

لم يفدنا لطنا راح براح
لا ولا ينفعنا طول النواح
فمتى نلطم بالبيض الصفاح
أوجهاً قد جدعت منا الأنوف

***

مصايبكم يشيل الحسن يا ليت
وعلى جدك خيول عداك يا ليت
ردتك حاضر بكربله يا ليت
تشاهد عمتك زينب سبية

***

المواهب الخاصة

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ(٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ(٧٣)﴾(١)

قالت سارة زوجة خليل الرحمن إبراهيم عليه وعلى نبينا وآلهما أفضل الصلاة والسلام، قالوا الملائكة الذين زفوا البشرى بأمر اللّه لإبراهيم وزوجته بأن سيكون لهما ولد إسمه إسحاق بعد أن بلغ إبراهيم من العمر ١١٧ عام وسارة العجوز التي هي عاقرٌ بالأصل والتي تبلغ من العمر على أحسن الاحتمالات في حدود المائة سنة.

مقولتان مختلفتان، تعتمد المقولة الأولى على الأسباب الطبيعية والفهم المنطقي كما نسميه ونسعى إليه لفهم كل الظواهر والأحداث التي يتحدث عنها الدين، وتعتمد المقولة الثانية كامل الاعتماد على الارادة الإلهية التي هي فوق المنطق الوضعي وفوق العقلانية البشرية القاصرة.

سارة تتصور إستحالة حمل المرأة بعد تجاوز سن الخمسين عند النساء عامة، وعدم تمكن أي رجل من الرجال في سن الشيخوخة وتيبّس الأعصاب من إخصاب البويضات الانثوية التي تنتجها المرأة وتستقر في رحمها.

كما نتصور اليوم نحن هذا الأمر المنطقي إعتماداً على العوامل الأساسية لعملية الانجاب وحسب ما يقرره العلم وما توصل إليه قدماء عباقرة الطب وأساطين علماء الطب والوراثة

(١) سورة هود: ٧٢ـ٧٣.

المعاصرين

إذاً في الأحوال الطبيعية وبناء على المنطق العلمي رجل + امرأة بعد تسعة أشهر من الزواج ينتج مولود جديد يحمل الكثير من الصفات الموروثة من والديه وفي غير هذه المعادلة هناك إستحالة لعملية الانجاب هذا في مقولتنا، وفي معادلاتنا التي تلاحظون جيداً أننا نغفل أو نتفاغل فيها عن رمز مهم من رموزها ذلك هو إرادة اللّه جلَّ وعلاً وقدرته على إيصالنا إلى نفس النتيجة وعبر غير هذه المعادلة،

منطقنا وعقلنا يقول M+ W = B

ومنطق القرآن يقول M + W + G. o = B

ويقول مريم + Yرادة اللّه = عيسىB = W + G.O

ويقول تراب+ماء+ارادة اللّه = آدم وحواء عليهما السلام لا نعترض على دعاة عقلنة الدين والتاريخ ولا نستغرب مواقفهم المشابهة لموقف سارة عليها السلام.

ولكن ندعوهم إلى إضافة رمز إرادة اللّه إلى كل معادلة يرسمونها لفهم الدين والتاريخ ليصلوا معنا إلى الفهم الواقعي للدين والتاريخ، لأننا وبغير الاعتراف بقدرة اللّه وإرادته لا نصل إلى شيء بل سنخبط خبط عشواء في ظلمات الجهل والقصور البشري، فالكامل المطلق هو اللّه وحسب.

وعندما تكتنف الرحمة الإلهية إنساناً قبل ولادته وعند ولادته وطيلة فترة نشأته فأننا لا يجب Hن تستغرب طريقة تفكيره ومنهج عمله وجهاده، لأن مثل هذا الانسان الذي يحظى بالدعم والمدد الإلهي قد أدخل على ديسك كومبيوتره رمز القدرة الإلهية، وقد ورد في الحديث القدسي المشهور قوله تعالى: «**عبدني أطعني تكن مثلي Hقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون**».

ولا أتصور أن هناك من يزايد على مُحمَّد وآل مُحمَّد صلوات اللّه عليهم أجمعين في طاعة اللّه والفناء والذوبان فيه والاخلاص في خدمة الانسانية جمعاء، لقد بذلوا الغالي والنفيس

من أجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

لقد كانـوا وما زالوا وسـيبقون إلى الأبد مدرسـة التضحية والفناء الكـبرى التي حفظت بدمائها الزكية قيم العدل ومبادئ الفضيلة وأيقظت في الأمة الاسلامية والانسانية أجمع روح الثورة ضد الظلم وكل أنواع الجور والأضطهاد في كل زمان ومكان وها هو خامس أصحاب الكساء يلهب فينا في كل عاشـوراء الحماس والأيثار والفداء ويحيي قلوبنا بنور الأمل ويعلمنا بأن الشـهيد يولد سـاعة إستشـهاده ويبني بقطرات دمه الزاكـي لأمته صرح المجـد والكرامة الأبدية.

وفي نفس الوقت يفجرّ دموعنا السـاخنة للمصائب والمحن العظيمـة التي مرَّت عليه في أرض كربٍ وبلاء، تلك المصائب التي أبكت السماوات وسكانها والأرض وصوّانها فقد ورد في الأخبار أنه ما قُلِبَ حجرٌ يومَ عاشـوراء إلَّا وُجَد تحتهُ دماً عبيطاً، مـن الطبيعي جداً أن يهز مصابُ الحسين الأرض والسماء.

وشـاطـرتِ الارضُ الـسـماءَ بشجوها
فــواحــدةٌ تـبـكـي وأخـــرى تُعّددُ
وقــد نـصـبَ الــوحــيُ الــعــزاءَ ببيته
عليك حـــداداً والــمـعُــزّى مُحمَّد
يـــلـــوحُ لـــه الــثــقــلان ثــقــل ممزق
بـسـهـم وثـقـل بـالـسـيـوف مقدد
فـعـترتـه بـالـسـم والـسـيـف بعضها
قـتـيـل وبـعـض فـي الـفـلاة مشرد

لقد أبكى مصابك يا أبا عبد اللّـه عيون الكائنات

لابـــن طـــه لـبـسـت ثـــوب شجون
لـشـجـونـي بـيـن الملاجهلوني

قـلـت لـلـجـاهـلـين ان تنكروني

أنـــا درٌ مـــن الـــســـمـــا نشروني

يوم تزويج والدِ السبطين

***

كــنــت مــن جــوهــر ولا إعراضا

ومـكـانـي الـسـمـا ولـيـس انخفاضا

إنـــما الحـــمـــرة أتـــتـــنـــي إعتراضا

كـنـت أنـقـى مـن الـلـجـين بياضاً

صبغتني دماء نحر الحسين

الغناء وآثاره السلبية

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[1]

يتحدث القرآن الحكيم عن بعض الناس ويصفهم بأنهم يشترون لهو الحديث ليضلوا الناس عن سبيل اللّـه ويشغلونهم عن التفكر في آيات اللّـه، كما أنهم يهزؤن بالذكر الحميد ويستخفون بكل ما يمُّت إلى الدِّين بصله، ويعتبرون كلَّ متمسكٍ بالدين معقّداً ومتزمتاً ومتطّرفاً وأُصولياً ورجعياً وما إلى ذلك من الأوصاف الشائنة، وفي النهاية يتهدَّدهم بالعذاب المهُين.

أول شيء يلفت النظر في الآية القرآنية الكريمة عدم التعميم في الاتهام باستخدام ومن التي تفيد التبعيض هنا على العكس من منطق الكثير منا عندما يصادف أية ظاهرة لا تروق له يعمم الكلام ويطلق الاتهامات ولا يقيّدها فيظلم في حكمه ويتجنّى دون إلتفات لخطورة هذا الأمر، وفي الآية الكريمة تأكيد لهذا المعنى حيث يقول عزّ من قائل ﴿**بغير علم**﴾، وتحضرني في هذا الباب رواية لطيفة مفادها أن النبي ﷺ كان في المسجد مع جمع من أصحابه إذ دخل عليهم رجل من أصحابه فسَّلم عليهم وجلس فأخذ الرسول ﷺ يحادثه فعلم أنه قادم من منطقة كان قد سافر إليها قبل مدة، فسأله النبي عن حال أهل تلك المدينة فقال الرجل يا رسول اللّـه أنهم أهل ورع وتقوى مسجدهم مكتّظ بالمصلين، فقال له النبي صدقت، بعد لحظات دخل عليهم وافدٌ ثاني من نفس تلك المدينة فسَّلم وجلس فأخذ النبي ﷺ يلاطفه

---

(١) سورة لقمان: ٦.

ويحادثه ويسـأله عن حال أهل ذلك البلـد فقال الرجل يا رسـول الله إنهم أهل تجـارة وأعمال أسـواقهم عامرة وتجارتهم رائجة فقـال النبي ﷺ صدقـت، بعد لحظات دخـل عليهم وافدٌ ثالث من تلك البلدة فسَّـلم وجلس فلاطفـه النبي وحادثه وسـأله عن حال أهـل ذلك البلد فقال الرجـل يا رسـول اللّـه إنهم أهـل معازف وغنـاء وجـواري يشربون الخمـور ويجهرون بالفجور فقال له النبي صدقت، فعجـب الأصحاب من تصديق النبي لـلآراء الثلاثةِ في أهل بلدٍ واحد، فسـألوه عن ذلك فقال ﷺ لقد وصف كلٌ منهُم ما وقعتُ عينه عليه فالتاجر في السوق وصف الحركة التجارية الناشطة فيها والمؤمن في المسجد وصف المصلين فيه والراغب في لهو الحديث مـن غناءٍ وطربٍ ومعـازف وملاهي وجد ضالته المنشـودة فظـن كل منهم أن مجتمع هذه البلدة هم هؤلاء فقط فأطلق الوصف ولم يُقيِّدهُ، ونستفيد من هذه الرواية ضرورة التدقيق والتحقيـق والتقيد وعـدم إطلاق الـكلام على عواهنـه في وصف قـوم ما مهما كانت مبررات كلامنا لكي نتجنب الظلم ونضع الأمور في نصابها الصحيح.

الأمـر الثاني الذي نسـتفيده مـن الآيـة الكريمة عدم إسـتهلاك أوقاتنـا الثمينـة وأعمارنا الدنيويـة القليلـة إلَّا فيما يـرضي اللّـه عنـا وينفعنا للدنيـا والاخرة، وقـد أفادنا أئمة التفسـير والحديث أن لهو الحديث هو الغناء والطرب والحكايات الخرافية والمزامير والملاهي والقصص الداعية إلى الفسـاد والفجور ولعب القمار وكل ما يشـغلنا عـن العمل النافع وعـن ذكر اللّـه الحميـد، وبالمناسـبة فـأني أرى أن هناك أيـادي غريبة توجِّـه كل الطاقـات نحو الهـدر وذلك بتشـجيع حركة الغناء والطرب في العالم العربي والاسـلامي بصورة خاصـة، فالميزانيات التي ترصد للمهرجانات التي يضفـون عليها هالة الفن القدسـية لا أبالغ إن قلت لو اسـتخدمت للتنمية الصناعيـة والزراعية والعلمية لما بقي فقير يحتاجُ لقمـة الخبز على وجه الأرض، إضافة إلى أن أجهزة الإعلام المسّـخرة بالكامـل لشريحة واحدة من شرائح المجتمع تسـاعد على هدر الطاقات وتخريب الذوق العام.

وعلى سـبيل المثال لا الحصر لاحظوا كم سـاعة من سـاعات عمل أجهـزة الاعلام تهدر

على لهو الحديث وكم منها يستثمر للبرامج العلمية والأدبية والأقتصادية والسياسية هذا من جانب ومن جانب آخر لاحظو كيف أننا نشتري العذاب المهُين بأغلى الأثمان، أولادنا أصبحوا يعرفون كل صغيرة وكبيرة عن المشروب المفضل واللون المفضل للمطرب أو المطربة والممثل والممثلة والراقص والراقصة والعازف والعازفة الذين يراهم ويسمعهم أكثر من معرفته بنفسه أو بأهله أو بتاريخه أو بدينه أو بربه، آن الأوان أن ندعو إلى قليل من الجدية في التفكير لا ندعو لألغاء الآخرين ولكن كذلك لا نسمح بإلغائنا يجب أن نوازن في إهتماماتنا وتوجهاتنا، إسمحوا للأديب للمفكر للعالم للسياسي أن يطرح ما لديه كما تسمحون للراقصة والمطرب وغيرهم، إسمحوا لنا بالإصلاح كما تسمحون للاخرين بالفساد، المجتمع بحاجة إلى طاقات الجميع، لنندفع بإتجاه النفع العام. الأموّيون والعباسيوّن ونتيجة سعيهم لأضلال الأمة جعلوا بلاطهم وخزينة مال المسلمين في خدمة الجواري والقيان ووعاظ السلاطين وما دحيهم من الشعراء يسرقون لقمة الخبز من فم الفقير ويضخموّا الهدايا والهبات لجارية تسكر أحدهم فيذهب ليصلي صلاة الصبح ستة عشر ركعة ثم يلتفت للمصلين فيرى الاستغراب في أعينهم فيبادرهم قائلاً أأزيدكم؟؟. حاولوا صرف الأنظار عن أهل البيت الذين أذهب اللّـه عنهم الرجس وطهرّهم تطهيرا والذين عمرُت بيوتهم بتلاوة القرآن:

تنشى التلاوة من أبياتهم أبداً

ومن بيوتكم الأوتار والنغم

إذا تلو سورة غنّى مغنيكم

قف بالديار التي لم يعفها القدم

لم يفارق الذكر الحميد أفواه آل مُحمَّد وأعمالهم حتى في أحرج الأوقات، فلقد ذكر المؤرخون بأن جيش عبيد اللّـه بن زياد والي يزيد على الكوفة حاصر الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في كربلاء وسار لقتالهم ليلة العاشر من المحرم فارسل الامام عليه السلام قمر بني هاشم العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام ليستمهل القوم سواد تلك

الليلة، رب سائلٍ يسأل لأي غرض إستمهلهم الحسين عليه السلام لأجل الصلاة وقراءة القرآن نعم أيُّها الأخوة قال لأخيه أخي أبا الفضل إذهب إلى هؤلاء القوم وإستمهلهم سواد هذه الليلة لكي نصلي لربّنا وندعوه ونستغفره فهو يعلم أني أحبُّ الصلاة وتلاوة الكتاب، ذهب العباس إلى القوم وإستمهلهم عشية تلك الليلة، تعالوا معي لنسمع من المؤرخين وصف مخيم الامام الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء يقولون: بات الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دوّي كدوّي النحل فهم بين قائم وقاعد وراكع وساجد، وخرجت الحوراء زينب عليها السلام تبحث عن أخيها الحسين لتودعه فلما رآها واقفة على رأسه قام إجلالاً لها وإكبارا ثم أجلسها إلى جنبه ودار بينهما حديث عاشوراء الذي أخبرتها به أُمّ أيمن(رضي الله عنها) فقال نعم أُخيَّه الحديث كما ذكرته أم أيمن. عندها قالت زينب ودموعها الثائرة تلهب خديّها أخي أبا عبداللّه إكشف لي صدرك ونحرك لأُقبّلهما فهذه وصية أُميَّ الزهراء فكشف لها الحسين عن صدره ونحره فقبلتهما ووجّهت وجهها صوب المدينة وصاحت ياأُماه يا فاطمة لقد أدّيتُ الوصية.

ترى كيف قبَّلت منه تلك المواضع يوم عاشوراء وهل كان في جسده موضعاً يمكن تقبيله فالرأس قطيع والنحر ذبيح والخدُّ تريب والشيب خضيب والصدر رضيض، ما أذهلنا عن ذكره قطع كفييّ أبي الفضل العباس، فلقد قطع الطامع في خاتمه خنصر يده اليمنى وقطع الجمّال الطامع في تكته اليمانية يديه.

وتقدمت بنت البتول لصنوها
لما رأت سحب الردى في جوها
فكأنها الزهراء وهي لتوها
نادت فقطعت القلوب بشجوها
لكنما إنتظم البيان فريدا
أفهل سواك لإرث أحمد حاميا

أم هـــل تخيـب في الـطـفـوف رجائيا

يــا بـــن الــنـبـي ألا تـجـيـب ندائيا

أنــــســــان عـيــنـي يـــا حـــسين أخـــي يا

أمـلــي وعــقــد جـمــانـي المنضودا

****

ودعـــــتـــــك الله يــــــا عيوني

يـــــــــردون عــــنـــك ياخذوني

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْـفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَـالَ أَوَلَـمْ تُؤْمِنْ قَـالَ بَلَـى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]

تستعرض الآيـة الكريمة حـواراً رائعـاً بين الرحمـن وخليله عليه السلام حـول كيفيـة إحياء الموتى، وليس حـول إمكانية ذلـك وقد أثـار المفسرون الكثير من الشبهات حـول موقف إبراهيم عليه السلام من موضوع إحياء الموتى إعتـماداً على ظاهر الآية الكريمـة، ودون أخذ درجة إبراهيم عليه السلام الايمانية بنظر الإعتبـار. وهذا الخطأ الفادح أسـقط الكثير من المسـلمين في فخ نسـبة الخطأ والمعصية والسـهو للأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسـلام وهـم المعصومون من الخطأ والمنزهون عن كل شائبة في الوقت الذي يُصّر االكثير منهم على عصمة أصحاب رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم وعدم جواز نسـبة الخطأ والنسـيان وعدم التصرف اليهم لمكانتهم من رسول اللّـه مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ولاثبات عصمـة الأنبياء جميعاً وابراهيم عليه السلام موضوع بحثنا نقول أورد الشـيخ الصـدوق في عيون أخبـار الرضا عليه السلام مسـنداً عن عـلي بن مُحَمَّـد بن الجهم قـال: حضرت مجلس المامون وعنده الامـام علي بن موسـى الرضا عليه السلام فقال له المامون: يا بن رسـول اللّـه أليس من قولكـم أن الأنبياء معصومون، قال: بلى فسـأله عن آيات في القرآن وكان فيما سـأله أن قال له فأخبرني عـن قولـه: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ فقـال الرضا عليه السلام ان اللّـه

(١) سورة البقرة: ٢٦٠.

تبارك وتعالى كان أوحى إلى ابراهيم أني متخذ من عبادي خليلاً إن سالني إحياء الموتى أجبته. فوقع في قلب إبراهيم أنه ذلك الخليل فقال ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ بالخُلّة، وبعد أن انصرفت أذهاننا للتوجه الصحيح في طلب إبراهيم عليه السلام لنحلّق في أجواء الآية الكريمة.

ففي تفسير الميزان عن تفسير القمي عن الامام الصادق عليه السلام قال إن إبراهيم نظر الى جيفة على ساحل البحر تأكلها السباع سباع البحر ثم يثب السباع بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضا فتعجّب إبراهيم عليه السلام فقال ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ «يعني أني أعرف بأنك مؤمن» قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعةً من الطير فصرهُنَّ اليك أي قطعّهن ثم اخلط لحمهن ثم اجعل علي كل جبل منهن جزءاً وفرّقهن على عشرة جبال ثم إدعهُّن يأتينك سعياً وإعلم ان اللّـه عزيز حكيم فأخذ إبراهيم عليه السلام الطاووس والديك والحمام والغراب فقطعهّن وخلط لحمهن ثم فرقهن على الجبال ثم قال إحيي بأذن اللّـه فكانت تجتمع وتتألف لحم كل واحد وعظمه إلى رأسه فطارت إلى إبراهيم عليه السلام فقال إبراهيم عند ذلك إن اللّـه عزيز حكيم.

خلاصة البحث إن الذي دفع إبراهيم عليه السلام إلى هذا السؤال ليس هو عدم الايمان بل هو التعجب والإنبهار بقوة اللّـه حيث إن استحالة جسم الحيوان المأكول في جسم الحيوان الآكل وتمزق أوصاله هي التي دعت إبراهيم للتوسل إلى اللّـه لكي يريه وبالمشاهدة العينية بعد الايمان بكيفية عودة الحياة إلى الطيور التي ذبحها إبراهيم ومزّق أوصالها ونضرب مثلاً بسيطاً لتقريب المعنى إلى الذهن أكثر لو أجرت إحدى الصحف والمجلات أو الاذاعات والتلفزات مقابلة مع أديب أو شاعر، وسألته كيف تكتب لقّراءك هذه القصائد الرائعة؟ فهل هذا السؤال يدل على عدم إعتراف بشاعرية هذا الأديب أم اننا نحاول أن نعُرِّف الناس بابداعه وروعة نتاجاته والطاقة التي يصرفها في إنشاء قصيدة مما يتحفنا به، بالتاكيد أننا نحاول كإبراهيم عليه السلام تسليط الأضواء على قدرة اللّـه العظيمة وعلى حكمته وعدم إحتياجه

لمخلوقاته وأن أعظم شيٍ بأعيننا لا يكلفّ اللّـه سـوى كافاً ونونـاً ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَـيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾(١).

وبناء على ما تقدم فإنَّ الطاقات الأيمانية وحدود القدرات النبوية لا يسـُع أيَّا منا تصورها ولا تعقلها إلا بالتسـليم الكامل للّـه جلَّ وعلا وهو الذي وعدَ أنبيائه ورسله بالنصر والغلبة، ولكن تارة بالأسباب الطبيعية وتارة بالمعجز والكرامة.

إن كان خليـل اللّــه ابراهيم عليـه وآله أفضل الصلاة والسـلام قـد إطمئن قلبـه وتاكَّد من خلتّـه العزيزة مـع اللّـه في هـذا الأعجـاز الرائع والكرامـة الخالـدة، فما بال حبيـب اللّـه رسـول الانسـانية جمعاء مُحمَّد بن عبد اللّـه ﷺ لا يتأكد مـن محبوبيته ويؤكد لنـا عظمة هذا الحب الأقدس، نعم أن اللّـه جل وعلا أعلن عـن حُبِّه العظيم لمحمّد وآل مُحمَّد قبل السـؤال فقال في الحديث القدسي الوارد ضمن حديث الكسـاء المشـهور: «**وعزتي وجلالي ما خلقت سـماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمسـاً مضيئة ولا فلكا يدور ولا بحراً يجري ولا فلكاً تسري إلَّا لأجل هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكسـاء وفي محبتهم، قال جبرئيل أي رب ومن هم؟ قال هم أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي والتنزيـل، قـال جبرئيـل أي رب ما عرفتهم عرِّفهـم لي قـال اللّـه هـم فاطمة وأبوهـا وبعلها وبنوها**».

نعـم أيهـا الأخـوة ان محمـداً وآل مُحمَّـدٍ ﷺ هـم فـرعُ الشـجرة المباركـة الزيتونيـة وإبراهيم عليه السلام أصلها، وما كان لابراهيم وآل ابراهيم كان لمحمَّد وآل مُحمَّد عليهم السلام، حباهم اللّـه بفضله العظيم ولكن في نفس الوقت إمتحنهم وإبتلاهم بأعظم البلاء.

فـــحـــبـــاهُ بـــكـــل فـــضـــل عظيم

وبـــمـــقـــدار ماحباهُ إبتلاه

نعم لقد أُوذي رسـول اللّـه ﷺ في نفسـه وفي عرضه وفي ولده حتى قـال ما أُوذي نبيٌّ

(١) سورة يس: ٨٢.

مثلما أوذيت، ولكن كلُّ أذاه بكفّه وقتل ولده الحسين عليه السلام في كربلاء بالف كفّه.

ولــقــد يــعــز عــلى رســـول الله أن

تــسبى نــســاه الــى يــزيــد الطاغية

ويـــرى حــســيـنـاً وهـــو قـــرة عينه

ورجـــالــهُ لــم تــبــقَ مِــنــهُـم باقية

عيسى والحسين والعناية الإلهية

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً(٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً (٢٩)قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً(٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً (٣١) وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً (٣٢) وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً(٣٣)﴾[(١)]

يسعى الكثير من العلماء والمثقفين للتوفيق بين مقولتين مختلفتين على الظاهر وهما مقولة الانسان ومقولة الرحمن فالانسان الغارق في الأسباب المادية والبعيد عن الأجواء الروحانية له طريقته الخاصة في فهم الأحداث، واللّه جل وعلا له طريقته الخاصة في عمل الاشياء ولغته خاصة في ذلك، لغة يفهمها بصورة جيدة ودقيقة الأنبياء والأوصياء والأئمة والمؤمنون الذين امتحن اللّه قلبهم للإيمان فأصبحت قلوبهم بحق عرش الرحمن. وقد ورد في الحديث القدسي قوله تعالى **ما وسعتني أرضي وسماواتي بل وسعني قلب عبدي المؤمن**. من ذا الذي لا تصدمه الأساليب الرحمانية في توعية الناس، هذه الحالة التي يستعرضها القرآن في سورة مريم عليها السلام نقدمها الليلة كنموذج للمقولة الربانية التي يرى الناس الكثير من الصعوبة في فهمها وقبولها في فلسطين الحبيبة حيث كان آل عمران يعيشون بسلام وأمان شملت العناية

(١) سورة مريم: ٢٨ـ٣٣.

الإلهية سيدة نساء العالمين مريم العذراء البتول الطاهرة المقدسة، فاصطفاها اللّه واجتباها ونفخ فيها من روحه الأقدس فحملت بروح اللّه عليه السلام على غير المتعارف بين الناس لأن الإنجاب لا يتم عادة إلّا من ذكر وأُنثى، وبدل أن يتوجه الفكر إلى التصور الأيجابي للأمر بادر الناس إلى العذراء التي لا ينكر أحدهم عفتها ووجهوا لها أقسى تهمة تواجهها أنثى، لم يتريثوا ولم يفكروا قبل إطلاق التهمة ولو لحظة واحدة، ولو فكروا جيداً في الأمر لأمكنهم حفظ كرامة السيدة مريم عليها السلام وعدم التسرع دائماً ينفع وقد ورد في الحديث في التاني السلامة وفي العجلة الندامة.

فالعذراء:

١. غير متهمة في أخلاقها.

٢. أن مدة حملها بعيسى عليه السلام غير طبيعية فلقد دامت مدته على أبعد الأفتراضات تسعة أيام وعلى أقربها تسعُ ساعات وهذه القضية تستدعي التأمل والتفكير بارادة اللّه جل وعلا.

هاجموا العذراء عليها السلام بكلام يجرح السمع فكيف بعفاف سيدة نساء العالمين عليها السلام اعترفوا لها بان والدها رجل مؤمن وأُمّها من المشهورات بالعفاف والإيمان، ولكن أنكروا عليها هذه الولادة الغير طبيعية، وجاءها المدد الغيبي والنصر الألهي أن يا مريم قولي لهم إسألوه.

فأشارت إليه. فتسببوا بالأسباب الطبيعية وقالوا لها كيف نكلم وليد الساعة، فالطفل لا يتكلم عادة إلّا بعد أكثر من سنة من العمر، قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبياً وإذا بالمقولة الرحمانية تتحدى العقل البشري القاصر فيصرخ روح اللّه عيسى عليه السلام في مهده قال إني عبداللّه وكأنه توّقع أن يغالي فيه الناس لو بدأ بكلمة غير العبودية للّه، إبتدأ بالعبودية وبعضنا ربّبه فكيف لوقال أني روح اللّه إبتداءً. ثم أردف عليه السلام قائلاً آتاني أي خالقي وربي الكتاب، حمّلني رسالة للإنسانية أجمع ثم أنه أي اللّه جعلني نبيّا، ثم أخذ يستعرض المنح الالهية التي زادته جمالاً وكمالاً على ماهو عليه فقال ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي**

بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾(١) لأنه لا يكفي أن أكون مؤمناً لفترة معينه، بل يجب أن أُحافظ على هذه الرتبة وأواصل تدريباتي الروحية ما دمت حياً، كما يقول الشاعر

صلى وصام لأمر كان يطلبه

لمّا قُضي الأمر لاصلّى ولاصاما

ثم إفتخر ببره بوالدته وأنه لم يكن جباراً شقياً يعني العاق لوالدته جبارُ شقي وفي الختام قال أيها الناس إن العناية الإلهية شملتني عند ولادتي وستبقى ترعاني حتى مماتي إلى يوم البعث المعلوم، نحن مع اللّه واللّه معنا من الولادة حتى الشهادة وهكذا كانت العناية الالهية بالامام الحسين عليه السلام من الولادة حتى الشهادة وإلى يوم البعث المعلوم، علقت به أمُّه الزهراء فكان نوره الشريف يخترق الحجُب والظلمات الثلاث فيضئ لأمُّه في الليلة الظلماء، نور على نور. ثم لما أتمَّ ستة أشهر في بطن أمُّه في الثالث من شعبان من عام أربعة للّهجرة ولا يمكن أن يعيش مولودٌ لستة أشهر وما عاش إلَّا يحيى ابن زكريا عليه السلام والإمام الحسين روحي فداه. حتى تسميته تدخلت فيها الارادة الإلهية لأن الحسين كيحيى لم يجعل له من قبلُ سمّيا، فهبط الأمين جبرئيل على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وهنأه بالمولود الجديد وقال له أن اللّه جل وعلا يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك إن إسم ولدك هذا الحُسين، ترعرع في أحضان رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يلقمه إبهامه تارة ولسانه تارة أخرى، شبّ على البطولة والأباء وورث من جدِّه المصطفى الجود والسخاء نعم لقد جاد بنفسه الشريفة من أجل الاسلام العزيز وأنا أقول مبدأهم.

جادوا بأنفسهم في نصر سيّدهم

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

لا تعجبوا أيها الأخوة إذا حدثناكم عن آل اللّه، ولو قدمّتم التفكرّ بارادة اللّه قبل إبداء الرأي في أي دور من أدوار جهاد هؤلاء الذين اصطفاهم اللّه لوصلتم إلى نتيجة

---

(١) سورة مريم: ٣١.

أفضل وتقويـم أدّق، ولادتهم لها لون خاص، حياتهم حتى إستشـادهم. المسـيح عليه السلام رفعوه على الصليـب ليصلبوه، إلتقفتـه الرحمة الالهيـة في اللحظات الأخـيرة وما قتلـوه وما صلبوه، للّـه المشـيئة والارادة قـرر لبيتيه فداء، للمسـجد الأقـصى كان الفداء عيسـى عليه السلام وللكعبة المشرفة إسـماعيل عليه السلام الذي استسـلم للذبح فـداءً خالصاً للّــه وإذا بوريث الأنبيـاء الأمام الحسـين عليه السلام الذي تخاطبونه في الزيـارة بقولكم السـلام عليك يا وارث عيسـى روح اللّـه السـلام عليك ياوارث اسـماعيل ذبيح اللّـه، ورث عنهما الفداء، فذبح كما يذبح الكبش دون أن يسقى شربة ماء، لا تنسوه عندما تشربون الماء. إشرب الماء واذكر عطش ذبيح اللّـه الحسين

شيعتي مهما شربتم عـذب مـاء فاذكروني

أو سمعتم بشهيد أو غريب فاندبوني

فانا السبط الـذي مـن غـير جـرم قتلوني

وبجرد الخيل بعد القتل عمداً سحقوني

ليتكم في يـوم عـاشـورا جميعاً تنظروني

كيف أستسقي لطفلي وأبوا أن يرحموني

وسـقوه سـهم بغـي عـوض المـاء العيـن

***

ماذا يعني قتل الحسين عليه السلام

بســم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْـرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسـاً بِغَيْـرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَـادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّـاسَ جَمِيعاً وَمَـنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾[1]

في القـرآن الكريم خـطٌ عام هـو التشـجيع على الفضيلـة بكل طـرق الترغيـب الممكنة، وتخويف من ارتـكاب المعاصي بـكل وسـائل الترهيب المتاحـة، كل ذلك من أجل أن يسـمو المجتمع بأخلاقه وبيسـعى لعمل الخـير المنجي ويترفـع عن الخبائـث المهلكة، القرآن وسـائر الكتـب السـماوية وجهـاد مائـه وأربعـة وعـشرون ألـف نبـي ومرسـل والأوصيـاء والأئمة والمصلحـين والمفكريـن كلها تقـول مقولة واحدة وتسـعى لهدف واحد هو أنسـنة الانسـان، كذاك الأعرابي الذي دخل المدينة وكان له فيها صديق، فاصطحبه إلى مكتبة كبيرة وأخذ يظهر له إلماماً بمحتويات هذه المكتبه، وكلما يذكر اسـم كتاب لصاحبه الأعرابي يقول له قرأته، هذا كتاب الفقه، يقـول قرأته، هذا المنطـق، قراته وفي الآخـر إلتفت الإعـرابي إلى صاحبه المتمدن وقال له بلهجة تحمل في طياتها أروع الوعي الفطري مولانا انا قرأت كل هذه الكتب فوجدتها جميعاً تقول يا بن آدم كن آدميا.

وهذه الآيـة الكريمة من جملـة ما ورد في القـرآن الكريم على هـذا النمط، فبعـد أن قصَّ اللّـه علينا قصة إبني آدم عليهما السلام هابيل وقابيل حيث أنهـما قرّبا قرباناً، فتقبّل اللّـه من هابيل ولم يتقبل من قابيل، وليس على اللّـه في ذلك شيء ولا على هابيل ولكن اختلاف النوايا هو الذي

(١) سورة المائدة: ٣٢.

أوصلهما إلى هذه النتيجة، فقد كان هابيل راعياً فاختار أحسن كبش لديه وقرّبه للّه خالصاً أما قابيل فقدَّم أردأ القمح الذي كان بحوزته فلم يقبل اللّه منه قربانه، وهنا دبَّ الحسد في قلبه ودفعه إلى قتل ابن أمه وأبيه والقصة معروفة، وفي تاريخ الاسلام أمثال هذا كثير فلقد تقبل اللّه من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته خمسه أقراص من خبز الشعير ونزّل فيها قرآناً يعرفه الجميع وهو قوله تعالى **﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُوراً﴾**[1] ولم يتقبّل الآلآف المؤلفة من غيره وحتى التاريخ يأنف من ذكرها لأنها لم تكن بخالص نية التقرّب إلى اللّه.

حتى تقديم النفس، فقد ذكر المؤرخون أن امرأة استبشرت باستشهاد إبنها بين يدي رسول اللّه مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وإذا بالنبي يبادرها قائلاً هوّني عليك وعلى رسلك، فلقد تقدم ولدك للجهاد طمعاً في بغلة شهباء كان يركبها المشرك الذي برز لقتاله. وبالمقابل عندما يبات أمير المؤمنين روحي فداه في فراش ابن عمّه المصطفى، يصرح الذكر الحميد قائلاً **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ﴾**[2]

لأن الأعمال بالنيّات ولكل أمريء ما نوى **﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾** [التوبة : ١٠٥]. وإنما يتقبل اللّه من المتقين.

نتيجة لعمل قابيل مع أول قتيل مظلوم على وجه الأرض قال اللّه أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ، أي قتل ابتداءً أو فسادٍ في الأرض كما هو الحال في التساهل في أمر القصاص أو في الذين يحاربون اللّه ورسله ويسعون في الفساد فأولئك يستحقون القتل. وما عدا ذلك فمن قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً وبالمقابل من أحياها كذلك فكأنما أحيا الناس جميعاً، كيف يمكن ان تتصور أن من يقتل نفساً واحدة كأنما قتل الناس جميعاً والعكس صحيح.

لو تصورنا قاعدة الأواني المستطرقة التي نستخدمها لمعرفة منسوب المياه وبواسطتها نبني الخزانات الكبيرة وبارتفاعات مدروسة لنتمكن من إيصال الماء إلى كل الناس، وحاولنا

(١) سورة الإنسان : ٨ـ٩.
(٢) سورة البقرة : ٢٠٧.

أن نطبق هـذه القاعدة على النفـس الانسـانية، لأمكننا أن نسـتوعب وبسـهولة ما تفيده الآية الكريمة. إن قتل النفس المحترمـة بغير ذنب يعني أننا أنقصنا الموجود الانسـاني وأسـأنا إليه، لأن اللّـه جـل وعلا كما وضع نسـبة معينة من الماء ونسـبة من الهواء وجعل لـكل شيء قدرا، كذلك فإن إنسـانية بني البشر لها معدلات يجب الحفاظ عليها ومحاولة الإكثار منها لا إتلافها، لقد تدخلنا في كل شيٍ وأفسدناه حتى طبقة الأوزون، وستدفع الأجيال ضريبة سوء الاستفادة من الموارد الطبيعية والبشرية المتاحة، يجب علينا ترشـيد إسـتهلاك إنسـانية الإنسـان كترشيد إسـتهلاك الموارد المائية والنفطية والكهربائية وغير ذلك فكل إضافة إنسـانية يستفيد منها كل الناس وكل إسـاءة سـتؤذي كل النـاس، ولنا في رسـول اللّــه مُحَمَّد ﷺ نعم الاسـوة فلقد أضفى الكثير من نبله وإنسـانيته على الانسـانية جمعاء، دخل مكة التي حاربـه أهلها وشرّدوه منها، دخلها فاتحاً منتـصراً فهلع أهلهـا وخافوا أن يبطش بهـم إنتقاماً فقال لهـم ما تظنون إني فاعل بكم اليوم، فاسـترحموه وقالوا أَخٌ كريمٌ وأبن أخ كريم فقال روحي فداه وهو نبع الرحمة الصافي إذهبوا فأنتم الطلقاء. إنه وبكل ما يملك من قوة يحافظ على إنسـانية الانسـان ويقويها لأن حيـاة أخيك الانسـان هبـة ربانية ليس مـن حقك أن تسـتهر بهـا إلّا أن تكـون كيزيد بن معاوية الذي لم يحترم أيَّ شيء، فقد أهان كل مقدسـات المسـلمين، قتل إبن بنت نبيّنا وأحرق الكعبة المشرّفة ورماها بالمنجنيق وأباح المدينة المنورة وراثت خيله على قبر رسول اللّـه ﷺ، لقد قتلنا بقتل الحسـين عليه السلام، قتـل الحب قتل الجمال قتل الإبـداع قتل الانسـانية، لقد أخذ الدين يستغيث من جرائم يزيد وإجهاره بالفسـق والفجور، ياليته قتلنا ولم يحرق قلب رسـول اللّـه ﷺ بقتل ولده الحسين عليه السلام لقد قتل رسول اللّـه ﷺ بقتل الحسين عليه السلام لأن النبي يقول حسين مني وأنا من حسين لذلك يقول الشريف الرضي رضي الله عنه في مقصورته المشهورة.

لــو رســـول الــلّـــــه يحــيــى بعده

قَــــعَــــدَ الـــيــــوم عــلــيــه للعزا

النور والجسد

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1].

أوامرٌ ونواهي ربانية لا زلنا نتقلب بينها منذ خلق الله الخلق وإلى يوم البعث الموعود، وتأتي الاستجابات المتفاوتة حسب تفاوت الوعي والإدراك وحسب الحب ومخزونه وأثره في النفوس، ومن هذه الأوامر الربانية الأولى عندما خلق الله آدم عليه السلام من صلصال من حمإٍ مسنون، من تراب وماء لا يرفع قيمتهما الأغلبية لسهولة الحصول عليهما، ونفخة من روح الله وهي سرّ الكرامة التي كرَّم الله بها بني آدم على العالمين وغابت عن حسابات إبليس ومن سار على نهجه، صدر أمر الله للملائكة بالسجود لإنسانية آدم ورساليته والروح المنفوخ فيه وحسب رواياتنا الخاصة أنوار محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذرية الحسين عليهم أفضل والصلاة والسلام التي كانت في صلبه لكن إبليس بانحسار نظره على الجزء غير المهم من آدم عليه السلام أو قليل الأهمية أعني الشكل المتكون من الماء والتراب وعدم إدراكه لمضمون آدم عليه السلام والجزء الأهم في المعادلة أخذ يقايس ويرى أنه أفضل من آدم عليه السلام لأنه خلق من نار وآدم عليه السلام خلق من طين وبهذا القياس الباطل جرَّ على نفسه وعلينا الويلات إلى يوم القيامة هذه المنهجية في التفكير أنا أفضل، ديني أفضل، مذهبي أفضل هذه هي العنصرية بأبشع صورها، قوميتي أفضل، وطني أفضل، حزبي أفضل، غلبة الأنا على النحن، ما هي إلا ثمرة ناضجة من ثمار هذا الزرع الشيطاني هذه الطريقة في التفكير تهيأ

---

(١) سورة البقرة: آية ٣٤، وسورة الأعراف: آية ١٢، وسورة ص: ٧٦، وسورة الحجر: آية ٢٩ – ٣٣.

أرضية خصبة للتناحر، والتطاحن واصطدام الكتـل ببعضها وقد قال أهل الفيزياء أن حاصل ضرب كتلتين في بعض يساوي صفر.

لم نجد في سـيرة الأنبياء والأوصيـاء والأئمة (عليهم الصلاة السـلام) مثل هـذا التفاخر المبني على أسس غير صحيحة ففي سيرة المصطفى ﷺ أنه ذات يوم سأله أصحابه يا رسول الله أنت أجمل أم نبي الله يوسف عليه السلام.

وهذه محاولة لجر الرسول ﷺ إلى جواب فيه من معاني التفاخر والاعتداد شيء. فأجاب روحي فداه أخي يوسـف عليه السلام أصبـح مني وأنا أمَلـحُ منه، تأمـل هروب النبـي من أجواء التفاضل والمفاخـرة التي تزرع الشـحناء والبغضاء في القلوب. حتى عـلى صعيد الإيمان ليس لك أن تقول أنا مؤمن أكثر مـن فلان. أو فلان كافـر وأنا مؤمن لا نجني مـن هذه الأخلاقية غير العدوانية وتمزيق وحدة المجتمع والأمة بل وحتى الأسرة.

أما من اسـتخدم القياس على صعيـد التشريع فقد وقـع في أخطاء لا تغتفـر، وأعظم من جرم أولئـك الذين جرَّهـم القيـاس الخاطـئ إلى الاعـتراض على الله ورسـوله، جـرم الذين يـصّرون على الخطـأ الله ويحيطـون أولئك السـلف السـائر عـلى خطـى إبليـس في معصية الله والرسـول بهالة من القدسـية الزائفة، حشرهم الله مع مـن يتولون وحشرنا الله مـع محمّد وآل محمّد ﷺ الطاهرين المطهرين.

سُـئل أحدهم الصلاة أعظم أم الصوم؟ فأسرع بالإجابة قائـلاً الصلاة لأنها عمود الدين إن قبلت قبل مـا سـواها وإن رُدَّت رُدَّ ما سـواها. فقيل له فما بـال المرأة التي تحيض في شـهر الصيام تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة. فوقف لا يحير جواباً.

ويقول الإمام حسـين عليه السلام لنافع بن الأزرق وهو رأس الخوارج الأزارقة: «يا نافع من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في الالتباس».

وكان من آراء هذا الفقيه أن الجنس لا يؤثر في جنسه، أي أن النار لا تحرق النار وعلى هذا فإن إبليس الذي خلقه الله من نار السـموم لن تحرقه نار جهنم، فسـمع برأيه هذا أحد تلاميذ

الفقيه الأعظم.

الإمام الصادق عليه السلام فذهب إليه وأمسك بحجر صلصال وشج به رأس ذلك الفقيه. فسالت دماءه على وجهه، فقال لضاربه لم فعلت هذا؟ قال له مؤمن الطاق أو لست أنت القائل بأن الجنس لا يؤثر في جنسه فهاأنت خلقك الله من طين وقد ضربتك بالطين فكيف توجّعت وسال دمك؟

وسأل الإمام أبا حنيفة أيّهما أعظم القتل أم الزنا فقال أبو حنيفة: «القتل» فأجابه الصادق: «لماذا طلب الله شهادة إثنين في القتل ولم يكتفي إلا بشهادة أربعة في الزنا، فسكت أبو حنيفة ولم يحر جواباً».

وكذلك فيما يخص أهل البيت عليهم السلام لا زال بعض الناس يقع في مشكلة الفهم غير الصحيح لهم. ولا أنكر أن فهم ماهياتهم الحقيقية ليس بالأمر الهيّن، ولكن حين نبتعد عن الغلو والجحود سنصل إلى ساحة حبهم الأطهر ونكون بذلك أقرب إلى لطف أنوارهم القدسية المنبثقة من نور الله جل وعلا. نرى بعض المسلمين يصل بهم الجحود والتعصب إلى درجة إنكار فضائل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته ويحاول تحجيم أدوارهم وإطفاء أنوارهم وعدم الاكتراث لما جرى عليهم من المصائب والمحن بل قد يتعدى بهم النصب والعداء إلى إتخاذ أيام عاشوراء أيام عيد وسرور ولعل يوم عاشوراء لدى البعض كما تحققت يسمى عيد الظفر وأيام العشر الأيام البيض حيث يتباركون وتقام الأفراح والأعراس.

ونقل أهل الأخبار أن أحد شعراء أهل البيت كان في بلاط أحد ملوك الفرس فذكر مصائب محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وصلّى عليهم، وكان بين الحضور سيّد علوي مهزوز الولاء، فقال للشاعر وأي مصيبة كانت لمحمّد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فسأله من أنت؟ فعرَف عن حاله فأنشد الشاعر على الفور إرتجالاً:

إذا العلوي تابع ناصبياً

بمذهبه فما هو من أبيه

وكـــان الـكــلــب أحــســن مــنــه طبعاً

لأن الــكــلــب طــبــع أبــيــه فيه

وقال له لو لم يكن لمحمَّد وآله أية مصيبة إلا كونك من أبنائهم لكفى.

أما الشطر الآخر من المجتمع فيخلط بين مصير أنوار أهل البيت ورسالتهم ومصير الأجساد، فلا يعترف تارة بموت الرسول ﷺ وأخرى يقول باستحالة قتل الإمام علي عليه السلام والإمام الحسن والحسين عليهما السلام وكذا باقي الأئمة حتى يصل به الأمر إلى الترحم على قتلة الأولياء بادعاء أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي وجعدة بأمر معاوية والشمر بأمر يزيد إنما خلصّوا الأرواح اللاهوتية الملكوتية من ظلمات الأجساد الناسوتية لعلي والحسن والحسين عليهم السلام وأدام الله لنا عميد المنبر الحسيني الدكتور الوائلي حيث يقول:

ويـــمـــوت الـــرســـول جـــســـماً ولكن

فـي الـرســالات لـن يـمـوت الرسول

فأجساد الأنبياء والأئمة نالها من جهلة أقوامهم من التعذيب والقتل ما نالها، ولكن تبقى القيم والمبادئ التي ناضلوا من أجلها خالدة مر الأيام، وتبقى أنوارهم تنير الدروب للمجاهدين والمؤمنين فسلام الله عليهم يوم ولدوا ويوم قتلوا واستشهدوا ويوم يبعثون، أما جسم الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء فقد أصيب بألف وتسعمائة وستون إصابة من ضربة سيف وطعنة رمح ونصول السهام والحجارة والقصب المشتعل وكانت أول ضربة مؤلمة إستوقفت الحسين عليه السلام من أبي الحتوف الجعفي حيث رمى الحسين عليه السلام بحجرٍ شجّ جبهته الشريفة وسال الدم على وجهه الشريف فرفع الثوب ليمسح الدماء التي غطّت وجهه وإذا بحرملة عليه لعائن الله يرمي مولانا بسهمٍ ذي ثلاث شعب فوقع السهم في صدر الحسين عليه السلام حاول الإمام إستخراج السهم من الصدر فلم يتمكن فاستخرجه من ظهره وانبثق الدم كالميزاب.

مــضى الى الحـــرب عـــين الله ترقبه
يـــذود عــن ديـنـه والـصـبـر يصحبه
حــتـى قــضى عـطـشـاً قــد عـــزَّ مشربه
وخـــر لــلــمــوت لا كـــف تقلبه
إلا بوطيء من الجرد المحاضير

***

لهــفـي عــلـيـه أذاب الحـــرب مهجته
وصـــوب الحجر الـمـشـؤوم جبهته
أيـــن الــنـبـي يـــرى لـلـسـبـط حالته
ظـمـآن يسلي نجيع الـدمـع غلته
عن بارد من عباب الماء مقرور

***

مـلـقـى عـلى الـــترب عـنـه فـر غـــار به
ووجــهــه بـدمــاء الــنـحـر خاضبه
وعـــن خـيــام الهـــدى الـــنـيران تحجبه
كـــأن بـيـض الـمـواضـي حـيـن تنهبه
تار تحكم في جسم من النور

***

قـــد أضرم الــقــوم نـــاراً في مـضـار به
والـــرأس مـنـه رقـــى أعــلـى مراتبه
يــرتــل الـــذكــر وحـــيـــاً مـــن مناقبه
لله مُلقى على الـرمـضـاء غـصَّ به

فم الردى بين إقدام وتشمير

***

أوچـــب يـسـتـريـح حـسـيـن ساعة
ضعف حيله وثقل بالسيف باعه
رنَّ الـحـجـر مـن وجـهـه بشعاعه
ودمَّـــه مـثـل مـــاي الـعـيـن فجرَّ

أصول الدين في سورة البقرة

﴿ألم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ* والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾(١)

أول البحوث التي يجب بحثها هو النظر والتدبر في هذه الحروف المعجمة التي يفتتح الله بها الكثير من سور قرآنه، وبما أن أهل العلم والفضيلة سبقونا إلى معانيها واختلفوا فيها حتى تجاوزت الآراء فيها العشرات، ولا أرى فائدة من ذكرها ويكفي أن أذكر رأيا واحدا فيها وهو المروي عن أئمة الهدى ومصابيح الدجى كما قال صاحب المجمع ص١١٢/ج١ إنها من المتشابهات التي استأثر الله تعالى بعلمها ولا يعلم تأويلها إلا هو.

من هذه الحروف وضع الحق بين يدي الخلق هذا الكتاب الذي هو القرآن الذي يفيض إيماناً ويقيناً وإطمئناناً، لا دستور غيره، ودون أدنى شك وفيه الهدى الذي يدل المتقين على سبل النجاة، ومن شك فيه فالعيب في نفس الشاك، وليس في القرآن.

فالموجود في هذا الكتاب حصريا الهدى واليقين ولا مجال للريبة والشك بعد هذه المقدمة التي حدد فيها الرحمن الرحيم أسس التعاطي مع كتابه المنزل على نبيه المرسل نحاول جاهدين أن نوضح ومن خلال التدبر دلالات الآيات الباقية على أصول الدين التي يجب على كل مسلم معرفتها وهي خمسة:

١. التوحيد.

(١) سورة البقرة :١ـ ٤.

٢. العدل.

٣. النبوة.

٤. الإمامة.

٥. المعاد.

ويضع الحق مقابل هذه الأصول الخمسة علامات للمتقين فهم:

أولاً: يؤمنون بالغيب والغيب كما يقول أئمتنا (الله، آيات الله ، الوحي ، الإيمان بقيام القائم عجّل الله فرجه كما يقول الصادق عليه السلام) وبهذا يتم الإيمان بالأصول الثلاثة الأولى وهي التوحيد والعدل والنبوة.

أضف إليها الرجعة والبعث والحساب والنار والجنة وسائر الأمور التي لا تعرف بالمشاهدة وإنما تعرف بالدليل.

ثانياً: إقامة الصلاة التي هي معراج الإيمان والتقوى وكما يقول الفيض في تفسيره الصافي إتمام ركوعها وسجودها وحفظ أوقاتها وحدودها وصيانتها مما يفسدها أو ينقصها وبمعنى أدق تحقيق أهدافها.

ثالثاً: الإنفاق والتصدق بالأموال والقوى والأبدان والعلم والجاه فكل هذه من مواهب الله ورزقه وفيها لا شك حق معلوم للسائل والمحروم.

رابعاً: الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأنبياء والرسل من قبله وكتبهم ورسالاتهم وبالقرآن وشريعة سيد المرسلين، وكما نؤمن بأوصياء الأنبياء السابقين نؤمن بسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه أفضل صلاة المصلين.

خامساً: وبالآخرة هم يوقنون وباليقين كما تعلمون أعلى درجات الإيمان وهذا ما يلزمنا اعتماده فيما يخص يوم المعاد حيث يتحقق مبدأ الثواب والعقاب العادل.

إن السبيل الذي مهد لبلوغ هذه الغايات السامية هو التقوى التي هي فاتحة أبواب الخير على صاحبها.

وقد ورد الكثير في فضلها فعن رسول الله ﷺ أنه قال: كن تقياً تكن أورع الناس، وقال ﷺ: أكثر ما تلج به أمتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: التقوى سنخ الإيمان.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: القيامة عرس المتقين.

ولو سألت كائنا من كان من هو إمام المتقين؟ لهتف بكل فخر: هو أسد الله الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، وعلى هذا فإن أول شروط الإنتماء للمتقين هو معرفة إمامهم فمعرفته وحبه دليل كل خير وسبيل النجاة الأوحد.

من عرفه عرف الله ومن أحبه أحب الله ومن أطاعه أطاع الله ومن كفر بنعمة ولايته كفر بأنعم الله ومن أبغضه أبغض الله ومن سبه فقد سب الله، ولا يجهل نتائج هذه المقدمات أحد.

ولا أجانب الحق والحقيقة حين أقول بقول رسول الله ﷺ في كل آذان (حي على خير العمل).

وكم فتشت عن عذر لمن منع المسلمين عنها فلم أهتدي لجواب!! وقف بكل جرأة أمام آلاف المسلمين وتجرأ على الله ورسوله وأخذ دور المشرع الذي ما كان لرسول الله ﷺ وهو هو أن يتقمصه وقال بالفم الملئان (ثلاث كن على عهد رسول الله ﷺ وأنا أحرمهن وأعاقب عليهن، هل لأحد الحق في ذلك:

١. متعة الحج.

٢. متعة النساء.

٣. حي على خير العمل في الآذان، الرواية في فصل الآذان من موطأ مالك عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، اعتذر عن تحريمه حلال محمد ﷺ، الذي هو حلال إلى يوم القيامة بغيرته على الإسلام و المسلمين!! فما هو العذر عن منع الدعوة إلى خير العمل في الآذان!!

هذا ركن من أركان الآذان في عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر وشطرا من الخلافة الثانية، فما هي المصلحة التي تحققت للإسلام والمسلمين من هذه الجرأة، وماذا جنينا من هذا

الاجتهاد مقابل النص ولم يكتف هذا المشرع بذلك، لم يكتف بإلغاء ركن من أركان الآذان بل كما روي دخل عليه بلال بن رباح (رض) المسجد و وكزه قائلاً له : (قم إلى الصلاة، الصلاة خير من النوم) فأفاق وقال له: يا بلال ضعها في الآذان محل حي على خير العمل، وكان الأمر نافذا في اليوم التالي.

لا نعاتب بلال (رض) لتنفيذه أمر المشرع الجديد ونقول لعله كان لا يقدر على مخالفة الخليفة ولا نعاتب آلاف الذين سكتوا على ذلك، ولكن نقول هل حرام علينا مناقشة هذه الأمور أم أنه علينا التقليد الأعمى؟ ليس هذا وحسب بل بكل صلف نكفّر من يحاول أن يأخذ الدين بوعي و وضوح.

أخي المؤمن فكر ولا تكفر، النبي وعترته لديك غير معصومين فكيف تفترض العصمة لأعدائهم؟

النبي وأهل بيته أولى بحبك وغيرتك وحميتك لأنهم كما تعلم علم اليقين يحبون الله ورسوله ويحبهم الله ورسوله.

هل أخبرك أحد عن أحدهم أنه اعتراض يوماً على الله ورسوله أو أفتى بغير علم أو غير سنة أو ابتدع بدعة أو تجاوز حداً من حدود الله أو ظلم عبداً من عباد الله أو سفك دماً بغير حق.

الله جلّ وعلا يشهد لنبيه ﷺ قائلاً في محكم كتابه المجيد: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين) دعونا نقف معاً ونهتف بعد التأمل والوعي بهتاف الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء لننادي معاً (حي على خير العمل).

وهل دعى سيد الشهداء عليه السلام إلى غير هذا، وقف بين الآلاف من المضللين وهو يرتدي رداء جده ويتقلد سيفه ويركب بلغته ويعتم بعمامته وقد فتح المصحف و وضعه على رأسه لا على رؤوس الرماح كما فعل شياطين صفين وأخذ ينادي برفيع صوته أيها الناس ! كتاب الله بيني وبينكم.

أليست هذه العمامة التي على رأسي هي عمامة جدي رسول الله ﷺ؟

أليست هذه الدابة التي أركبها هي دابة جدي رسول الله ﷺ؟

أليس هذا الرداء الذي أرتديه هو رداء جدي رسول الله ﷺ؟

أليس هذا السيف الذي بيدي هو سيف جدي رسول الله ﷺ؟

علام تقاتلوني؟ على شريعة خالفتها أم على سنة بدلتها؟ أم على دماء لكم سفكتها أم أموال لكم استهلكتها؟

أما والله ما بين المشرق والمغرف ابن بنت نبي غيري فيكم!!!

قرعوا الطبول والصنوج افتعلوا الضجيج كي لا يسمع المضللون بالإعلام الأموي صوته وهتف ناعقهم بالغي قائلاً: نحن نعرفك فأنت الحسين وأبوك علي وأمك فاطمة وجدك محمد ﷺ وصحيح كل ما قلته ولكن نقتلك بغضاً منا لأبيك علي (خير العمل) وما فعله بأشياخنا يوم بدر وحنين ورحم الله الشريف الرضي حيث قال:

قتلوه بعد علم منهم
أنه خامس أصحاب الكسا

لنقدم معه العزاء قائلين:

يا رسول الله يا فاطمة
يا أمير المؤمنين المرتضى
عظم الله لك الأجر بمن
كضّ أحشاه الظما حتى قضى
يا رسول الله لو عاينتهم
وهم ما بين قتل وسبا
لرأت عيناك منهم منظراً
للحشا شجواً وللعين قذى

***

يـجـدي گـــوم هـــذا حـسـيـن مذبوح

على الشاطي وعلى التـربـان مطروح

يـجـدي مـا بـگـت لـه إمـن الـطـعـن روح

يـجـدي گـلـب أخـويـه حـسـيـن فطر

الدعوة إلى الوحدة في القرآن

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام : ٣٥]

﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود : ١١٨]

الوحدة العربية والوحدة الإسلامية والإنسانية والتوحيد والتقريب شعارات رنانة أصبحت أناشيداً يتغنى بها الشعوب وأهداف مركزية ينادون بها ويناضلون من أجل تحقيقها ويخصصون لها أضخم الميزانيات، هذا الشعار في ظاهره جيد وفي حقيقته يتعارض مع المنطق القرآني والمنطق العلمي والواقع العملي، وذيل الآية الخامسة بعد الثلاثين من سورة الأنعام والآية ١١٨من سورة هود فيهما تأكيد عجيب يحذر رسول الله ﷺ من تضييع الجهود في هذا الاتجاه وأن أي سعي بهذا الاتجاه غير مجدي وهو من فعل الجاهلين لأن الناس لا يزالوا مختلفين.

ويرد في أسباب النزول إن النبي ﷺ كان يتمنى الهداية لكل الناس وخاصة الحرث بن نوفل بن عبد مناف وأن يأتي اليوم الذي يرى فيه الناس أمة واحدة.

نلاحظ عدم التوافق بين ماهو مرسوم للناس وما ينادون به !!!

السؤال الذي نود طرحه هنا هل هناك في الطرح القرآني تناقض؟ تارة يقول الله عزّ وجل: **﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾** [الأنبياء : ٩٢] وأخرى يقول **﴿وَلَوْ**

شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود : ١١٨] .

لا يوجد في القرآن الكريم أي تناقض ولكن دعوة الناس إلى قطب التوحيد والوحدة شيء واستعدادات الناس وتفاوت استجاباتهم لنداء الدين والفطرة شيء آخر.

لقد حاول الفيلسوف العراقي (إسحاق الكندي) في زمن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن يؤلف كتاباً في تناقضات القرآن، فقال الإمام لأحد تلاميذ الكندي: أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما هو متشاغل فيه؟ فقال التلميذ: سيدي نحن تلامذته فكيف يجوز منا الاعتراض عليه؟ في هذا الأمر أو في غيره؟ فقال أبو محمد عليه السلام:أتؤدي إليه ما ألقيه عليك؟ قال التلميذ: نعم.

قال فسر إليه وتلطّف في مؤانسته فإذا أنس لوجودك فقل له قد حضرتني مسألة أسألك عنها، فإن سمح لك فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها وذهبت إليها، فسيقول لك أنه من الجائز لأنه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له فما يدريك لعله أراد غير الذي ذهبت أنت فيه فتكون واضعاً لغير معانيه.

فمضى التلميذ ولعب الدور مع أستاذه بإتقان وسأل الكندي بالسؤال فقال له أعد السؤال فأعاده، فتفكر الكندي في هذا الافتراض ثم بعد التأمل والتمحيص وجده محتملاً، لكن الذي أذهله هو كيف توصل تلميذه لهذا العلم!! فقال له أقسمت عليك إلاّ أخبرتني من أين لك هذا؟ حاول التلميذ أن يتهرب ويدعي المعرفة فقال له الكندي ما مثلك من يهتدي لهذا!! فاعترف له قائلاً: أمرني به سيدي الإمام العسكري عليه السلام فقال الكندي الآن صدقت وما كان ليخرج مثل هذا العلم إلاّ من ذلك البيت.

ضمن جواب الإمام العسكري لاحظتم تركيزه على أن مستويات الفهم عند الناس متباينة ومختلفة وعليه ستكون الاستجابات تبعاً لذلك متباينة، ينتظم في الصف الواحد عشرات التلاميذ والمدرس يوزع الدرس عليهم بالتساوي وعند الامتحان ينجح بعضهم

ويرسب آخرون.

والرسول ﷺ بلّغ الرسالة والحق أكمل الدين وأتم النعمة بولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام والناس بخبخوا وبايعوا ولكنهم عوض أن يستقطبهم الحق ويجتمعوا على الحق والهدى، تفرقوا وتشرذموا أكثر من اليهودوالنصارى، يقول الذي لا ينطق عن الهوى (افترقت أمة موسى بعد نبيها إلى واحد وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقي في النار وافترقت أمة عيسى بعد نبيها إلى اثنين وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقي في النار وستفترق أمتي بعدي إلى ثلاث وسبعين فرقة ناجية والباقي في النار وهكذا كان فكيف يمكن التوحيد بين أهل الجنة وأهل النار يقول الإمام الشافعي:

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم

مذاهبهم في أبحر الغيّ والجهلِ

ركبت على اسم الله في سفن النجا

وهم آل بيت المصطفى خاتم الرسلِ

إلى أن يقول:

فخلي علياً لي إماما وهاديا

وأنت من الباقين في أوسع الحلِ

كيف نحاول عقد مصالحة ونفترض وحدة بين الفريقين والمسار ليس واحد، أناس يتجهون نحو اليمين وآخرون نحو اليسار فكيف يلتقون وكيف يتوحدون؟ نتوحد بحب محمد وآل محمد هذا هو المنطق القرآني، أما أنا أحب وأنت تكره، أنا أوالي وأنت تعادي فكيف نتوحد و وعد الله الذي لا يخلف ﴿**وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾.

كيف نعقد صلحاً بين يزيد والحسين عليه السلام وقد جرى ما جرى؟ بين يزيد والحسين عليه السلام حكم التاريخ والحكم نفذ، أما ما بين أنصار الحسين عليه السلام وبين من نذروا أنفسهم وجندوا كل طاقاتهم للدفاع عن يزيد وأصبحوا اليوم يحاولون تغطية سوآته بتاريخ

مزيف يدرسونه للأجيال ويسمون فيه المتجاهر بالفسق والفجور، وملاعب الكلاب والقرود زوراً وبهتاناً أمير المؤمنين، ماذا نقول لأولادنا سيدنا أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قتل ابن بنت نبينا سيدنا الحسين عليه السلام وهكذا نسير معاً جنباً إلى جنب في طريق الوحدة العربية والاسلامية، هذا ما تقوله كتب التاريخ والديانة في مدارس العالمين العربي والاسلامي.

لمن أدر أين رجالُ المسلمين مضوا
وكيف صار يزيدٌ بينهم ملكا
العاقر الخمر من لؤم بعنصره
ومن خساسة طبع يعصر الودكا
لئن جرت لفظة التوحيد في فمه
فسيفه بسوى التوحيد ما فتكا

أما الحسين عليه السلام

ولقد دعوه للعنا فأجابهم
ودعاهم لهدى فردوا داعيه
قست القلوب فلم تلن لهداية
تباً لهاتيك القلوب القاسية
ما ذاق طعم فراتهم حتى قضى
عطشاً وغسل بالدماء القانية

***

روحي بيش أسلِّيه وأرضها
وفقدكم كلم نحل عظامي ورضها
بدماكم كربله ابتلك وأرضها
السبب ما تِبِّل دمعي الغاضرية

تنزيلات!!

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّـهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾(١)

في الصراع الدائر بين حركة الأنبياء وحركة أعداءهم استخدم كلُّ طرف نوعاً من الأسلحة يختلف عن الآخر ففي الوقت الذي استخدم فيه الأنبياء ومن سار على دربهم من أوصياء وأئمة ومصلحين كل أساليب الهداية إلى المحبة والخير والصلاح، لجأ أعداؤهم إلى كل سبلُ الإضلال والاغواء التي يبتكرها الشيطان لهم ويتفننون فيها لنشر الرذيلة والعداوة والبغضاء بين الناس، والمؤلم حقاً في الموضوع أنهم يضفون على أدوات نشر الرذيلة التي يستخدمونها هالة القداسة والتمدّن والعلمية، وأكثر من هذا يلصقون كلَّ ما يزُري بالفضيلة وروّادها والمحبة ودُعاتها، ومن أخطر الأسلحة الفتاّكة التي استخدمها أعداء الأنسانية والاسلام نشر الموبقات والتشجيع لها وإيقاع العداوة والبغضاء والمترتّب على الإكثار من الخمور والفجور، وترويج روح التنافس السلبي بين الأفراد والمجتمعات بدل روح التنافس الايجابي التي شجعّ عليها القرآن والسنُّة.

نبينا يقول لاتؤمنوا حتى تحابوا، ويقول لا يؤمن أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يحب لنفسه.

والآخرون لا يعرفون غير الأسلوب التسقيطي، في هذه الأية الكريمة التي استهلينا بها مجلس هذه الليلة يبين لنا اللّـه جل وعلا نتيجة اللّـهث وراء الشيطان والشهوات إنما كما يقول النحاة أداة حصر يريُد الشيطان سابقاً وحالياً ومستقبلاً أن يوقع بينكم أيها الناس

---

(١) سورة المائدة: ٩١.

العداوة والبغضاء التي تنخر المجتمعات البشرية كما تنخر السوسه الخشب، رب قائل يقول في هذا الكلام مبالغة وما هي خطورة شرب الخمرة، يقول النبي مُحمَّد ﷺ الخمرة مفتاح كل شر. قالوا كيف يا رسول اللّه قال إن ملكاً جباراً قي قديم الزمان دفعه جبروته في يوم من الأيام أن يأتي برجلٍ ويأمره بارتكاب إحدى الجرائم الثلاث التالية:

١. إما أن يشرب الخمر.

٢. وإما أن يقتل نفساً برئية.

٣. وإما أن يزني بامرأة تحرم عليه.

فكّر الرجل طويلاً بالأمر، كيف يقتل أم كيف يزني بإمراة تحرم عليه، فارتأى أن شرب الخمر أهون الأمور التي فرضت عليه وهو لا يشعر أي جريمة قد ارتكب، شكراً لوسائل الاعلام التي تنشر أجمل الدعايات عن الخمور والأجواء الرومانسية الحالمة. يقول الصافي النجفي:

محمدٌ حرَّم شرُبَ الطِلى
صلوّا عليه وعلى آله

وكل الأنبياء حرّمها

إقصد إلى الحانةِ تؤمن بها
إن كنت لم تؤمن بأقواله
فكَم ترى في الحانِ
من شارب يحرَّمُ الخَمرَ بأفعاله

واما الميسر بين قوسين القمار بكل أشكاله وألوانه فمضاره أكثر من أن تُحصى وأعظم من أن تستقصى، ولكن بكل بساطة فان كل ما يوقع العداوة والبغضاء وبمنطق العقل السليم فهو حرام، لاحظوا كطبيب نفساني حال المقامر عند الخسارة وحاله عند الفوز وإحكموا وقدّروا خطورة الأمر على الانسان، الدين ينشر روح المحبة بين الناس والقمار يحوّل المجتمع إلى ديوك

تتهارش، تتفشى العدائية في المجتمعات إضافة إلى الصدّ عن الصلاة وعن ذكر اللّـه العظيم.

لا تتخذوا فتوى بعض العلماء الأفاضل الذين اضطرتهم العصرنة وظروفها إلى إباحة لعب الشطرنج والورق ذريعة للتوسع والتمادي في لعب القمار لأن في كل هذه الامور يتحقق المحذور الذي ينهانا عنه اللّـه في الآية الكريمة بقول فهل أنتم منتهون، نحن اليوم بأمس الحاجة إلى رياضات تحد من شراستنا، لأننا وبفعل الحرب والقهر الذي عشناه والإسقاطات الثقافية التي يسقطها علينا الغرب في أدبه وأفلامه ومسلسلاته حتى في رياضاته وألعابه، أصبحنا عدائيين حتى في الرياضة، ذكر لي أحد أقاربي أنه ذات يوم أراد أن يروّح عن نفسه فذهب إلى ملعب كرة القدم الذي في مدينته ليشاهد مباراةً في هذه اللعبة الشعبية التي تستأثر بالقلوب، ولسوء الحظ كان يرتدي قميصاً أزرق، فما إن توّسط المدرجات المكتظة بمشجعي الفريق الأحمر إنهالت عليه اللكمات والركلات والسكاكين، وفقد الوعي ولم يشعر بنفسه إلَّا وهو في إحدى المستشفيات يتلقى العلاج، نحتاج هذا اليوم لمزيد من مناهل الحب المترعه، نحتاج إلى معلّمين يعلّمون الناسَ الحَّب بالقول والعمل لقد آل بنا الأمر الى إستخدام الحج الذي أراده اللّـه مؤتمراً توحيدياً للمسلمين يلغي الفوارق الطبيعية والسياسية والاجتماعية والعرقية وكل ما يمزق الصف الاسلامي، آل بنا الأمر إلى إستخدامه لتمزيق الأمة الاسلامية وتوسيع شقة الخلاف بين السنة والشيعة، بتوزيع ملايين الكراسات والمنشورات التي تتهم الشيعة بالكفر والزندقة وعبادة الأحجار وما إلى ذلك من التهم والافتراءات التي تفعل فعل الملح في الجرح، فعوض أن يذكروّا الناس بنقاط التلاقي يذكرونهم بنقاط الاختلاف والفرقة وما وقوفنا كل عام في عاشوراء عند محطة الامام الحسين عليه السلام إلَّا للتزوّد من هذا النهج الانساني، إنَها مدرسة الحب الكبرى التي تنصهر فيها الجهود التي تصب الحياة بأروع أشكالها يذوب الناس في الحسُين عليه السلام وفي حبه الملكوتي الأقدس، هنا عند الامام الحسين نفكر جميعاً بلغة نحنُ ونسحق الأنا تحت الأقدام، لأنه مدرسة المبادئ الانسانية.

يزيد والغواني بالخمر والميسر والقردة وديوك وكلاب الهراش يوقع بين الناس العداوة

والبغضاء. والحسين وأهل بيتهِ وأصحابه مدرسة القيم والمبادئ مدرسة الفضيلة والحب، إنها المدرسة التي يدخلها الكبار والصغار والرجال والنساء، تفيض علينا كفيض دموعنا الصادقة بالحب والحنان وكلِّ ما يزين الانسان الذي انبهر به القريب والبعيد والعدو والصديق كيف لا وهو صاحبُ النفس الكبيرة التي قال عنها الشاعر:

ووجدتك النفس الكبيرة لم تكن

حتى على من قاتلوكَ حقودا

وقف يوم عاشوراء يبكي بعدما يئس من هداية القوم سألته أخته الحوراء أخي أبا عبد اللّه ممّ بكاؤك فداؤك نفسي قال أخيه زينب من أجل جيشٍ يدخل النار بسبب قتلي، يبكي على القلوب التي أعماها الحقد فلفظت الحب وما إستساغت طعمه

قست القلوب فلم تمل لهداية

تباً لهاتيك القلوب القاسية

يا بن النبي المصطفى ووصيه

وأخا الزكي بن البتول الزاكية

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة

لكنما عيني لأجلك باكية

تبتل منكم كربلا بدم ولا

تبتل مني بالدموع الجارية

وفجائع الأيام تبقى مدة

وتزول وهي الى القيامة باقية

***

روحي بيش أسليها ورضها

وفقدكم نحل عظامي ورضها

بـدمـاكـم كـربـلا إبـتـلـت ورضها

الـسـبـب مـا تـبـل دمـعـي الغاضرية

***

الليلة الثالثة

بسم اللّـه الرحمن الرحيم

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّـهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[1]

عندما يتبنى الإنسان فكرةً ما أو يبتدع نظرية ما فإنه يستميت في الدفاع عن أفكاره وآرائه والنظريات التي يؤمن بها، ولا يكتفي بذلك بل يحاول بـما أوتي من قوة إقناع الآخرين بصحة ما ذهب إليه وهذا حقٌّ مشروع تؤمنّه لك وله كل الشرايع والقانون السماوي والوضعي وليس لأحدٍ عليك في ذلك فضلٌ أومنَّة.

إن كانت الفكرة التي تسوّقها حقَّةٌ وقف العقلاء والحق والدليل معك وإن كان العكس فلهم عليك حقَّ النصيحة والإرشاد.

أما المواقف التي تتحدث عنها الآيات الكريمات والتي تعرَّض لها خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام فهي تمثل قمَّة الصلف والجهل وهذا ما نعاني منه هذه الأيام حيث يتصدى بين الفينة والأُخرى عصبة ممن يعانون الجهل المركّب فيخرجوا على الأُمة الإسلامية بأفكار وآراء ونظريات وتطبيقات مشوَّهة للدين ويحاولون إسقاط هذه المفاهيم الخاطئة على الجماهير بالإرهاب والعنف ويتصورون بكل صلف أنهم هم الإسلام الحق ولا حق للآخرين في الحياة فيكفّرون بلا دليل شطر العالم الإسلامي ويزرعون القتل والدمار باسم الإسلام وإذا ما ظهروا على الفضائيات التي تُسخّر لهم طالبوا الناس بتقوى اللّـه فأيُّ الفريقين أولى بتقوى

(١) سورة الأنعام:٨١ ـ ٨٢.

اللّـه، المستضعفون الوادعون الآمنون أم الذين ينشرون الرعب حتى في أحاديثهم التلفزيونية التي تخلو من السلام والإسلام وآداب الحوار يظهر للمتتبع الكريم من خلال مراجعة الحوارات التي أدارها أنبياء اللّـه ورسله مع المنكرين والجاحدين إن الأنبياء والرسل عليهم السلام كانوا غالباً مع الدليل العقلي يحاولون بكل هدوء إقناعهم بتوحيد اللّـه ونبذ عبادة الأصنام.

وعلى العكس فإن المقابل كان متعسّفاً في آرائه متجبراً في أطروحاته لا يقبل بمنطق العقل ويتبّع الأهواء ولا يقف عند هذا الحد بل يتظاهر بالإثم والعدوان ويدّعي بأنه هو الذي على الحق والهدى وهو الذي يحفظ وحدة الأمة وهو المصلح الأكبر، وإن الأنبياء إنما يطرحون آراءً غير معقولة وغير منطقية وإن مشاريع الأنبياء تمـزّق وحدة المجتمع وعلى الجميع أن يطيعوا لهم ويدينوا بدينهم إبراهيم الخليل عليه السلام يدعو الناس إلى الإيمان باللّـه العظيم الذي بيده الملك والملكوت وهو يُحيي ويميتُ ويُحيي وإليه المصير.

ونمرودٌ وقومُه يشركون باللّـه ويعبدون حجارة لا تضّرُ ولا تنفع ولا تقف الأُمور عند هذا الحد بل يفرضون على ابراهيم عليه السلام ومن آمن به عقيدتهم.

ويحاولون إخافة النبيِّ من مغَّبة محاربتهِ أصنامهم، يتجاهلون عظيم كفرهم باللّـه ويستعظمون إنكار الخليل أصنامَهُم.

وهنا يهتف ابراهيم عليه السلام قائلاً وحسب منطوق الآيات أيَّها الناس إنظروا بعيون البصيرة وفكِّروا بعقولكم لا بأهوائكم أأنا الذي يؤيدني اللّـه القادر على كل شيء عليَّ أن اخاف أم أنتم الذين لا ناصر لكم وكيف يخاف من كان مع اللّـه والجبّارُ معه، ويأمنُ المعتقد بأصنام لا حول لها ولاقوة وهو يتحدّى بجهله الواحد القهّار.

إذاً فالأمان والهُدى في هذا المعسكر والخوف والجهل المرَّكب في خط نمرود وكل نمرود في كل زمانٍ وكُلِّ مكان، ويظهر من الآية التالية إن الإيمان الذي يوصل صاحبه إلى شواطىء الأمن والسلام مشروط بالنقاء والصدق. أي أنه إيمانٌ لا تشوبه شائبة ولم يكن فيه أيَّ لبس

من ظلم أو رياء أو أيَّ خلَّةٍ تخفّف تركيزه.

لأن الإيمان كما ذكر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لفظٌ باللسان وإقرارٌ بالجَنان وعملٌ بالأركان، وهذه كلها كيان واحد لا يتجزأ ولا يقبل المنقوص منهٍ، فعلى هذا فإن المؤمن الحقيقي هو الذي لا يشرك في حبه للّـه أحداً إلا من أحب اللّـه ورسوله وأحبَّهُ اللّـه ورسوله فلا يصح إيمان عبد لا يعرف أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا يحبُّهُ.

لو وقف إثنان يوم الحساب بين يدي الحق مؤمنٌ يحب اللّـهَ ورسولَهُ ويعرفُ أميرَهُ ويتولّاه، ومؤمنٌ يُحبُّ اللّـهَ وحدَهُ ولا آقول آذى النبي في أهل بيته. يا ترى أيُّهما بنظركم أقرب إلى رضا الرحمن وبحبوحة الجنان، أورد ابن السماك عن أبي بكر بن أبي قحافة قال: قال رسول اللّـه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يجوز أحدٌ الصِراطَ إلّا من كتبَ له عليٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالجواز.

وذكر العلامة علاء الدين المتقي الهندي صاحب كنز العمال قول رسول اللّـه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عنوان صحيفة المؤمن حبُّ علي بن أبي طالب «والأحاديث والآيات التي تشهد لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ تتجاوز الحصر والعَّد فلقد صحَّ عن خير الخلق قوله: «**يا علي لو أن الأشجار كانت أقلاماً والبحار مداداً والسماوات والأرض قرطاساً والإنس والجن والملائكة كتاباً لما استطاعوا إحصاء فضائلك**» .

الكل يعلم أن حبُّهُ إيمانٌ وبغضُهُ كفرٌ ونفاقٌ ومع ذلك يتنكّرون لـهُ ويدّعون الإيمان بل ويتجاوزن ذلك إلى حدِّ إتهام شيعته ومن أحبَّهُ ووالاه في دينهم وإيمانهم، إنّها أخلاقُ نمرود وقومه.

غصبوا الخلافة من عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم هجموا على داره وأرغموه على بيعتهم الفلتة ويدّعون الإيمان وهم يعرفون جيداً بأن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الإيمان كُلُّـه كما صرّح بذلك الذي لا ينطق عن الهوى يوم الخندق حين قال: «**برز الإيمان كلُّه إلى الشرك كلّه**» ثم عاهدوا الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ وخانوا عهدهم وقتلوه بالسم ظلماً وعدواناً ولم يبرد حقدهم وغلهُّم حتى رشقوا نعشه بالسهام وأخرجوه من جوار جدِّه وهم يهتفون: «**أخرجوا من لا أُحبُّ من داري**»

وهو حبيبُ اللَّـه ورسـوله ولم ينتهي الأمر عند هـذا الحدِّ بل أصحروا بحربهم للَّـه ورسـوله في حرب سبطه الإمام الحسـين عليه السلام وهم يعرفون أنهُ سيِّدُ شـباب أهل الجنَّة يقول الشريف الرضي:

قــتــلــوه بــعــد عــلــمٍ منهم
إنــه خــامــس أصــحــاب الكسا

لاحظوا طغيان بني أمية يعلمون علم اليقين إنهم على الباطل ويعلم ذلك أنصارهم، وأن الإمام الحسـين عليه السلام على الحق والهدى ومـن حقهم أن يعيشـوا بأمان ومـع ذلك وصل بهم الصلف والطغيان أن أرسـل يزيد الطاغية إلى واليه على المدينة وواليه على مكة طالباً منهما إما أخذ البيعة من الحسـين عليه السلام أو قتله وإن وجدوه متعلِّقاً بأسـتار الكعبـة، أيَّ جاهلية هذه. حتى عـرب الجاهليـة كانوا يحترمون الأشـهر الحـرم والبلـد الحرام والمسـجد الحـرام، ويزيد لا يكترث بكل هـذه الخطوط الحمـراء ويفعـل فعائله الشـائنة فيقتل الحسـين عليه السلام ويحرق الكعبة ويسـتبيح المدينة المنورة وهو إلى اليوم في نظر البعض خليفة رسـول اللَّـه صلى الله عليه وآله وسلم ويجب علينـا عدم المسـاس بسـاحة قدسـه، راجعوا كتـاب أغاليـط المؤرخين لمفتي سـوريا الأسـبق الدكتور محمد أبو اليسر عابدين وإقرؤا باب «**يزيد رحمه اللَّـه**» حسـب قوله كيف يرحم اللَّـه من ينتهك مقدّساته ويقتل أولياءه ويؤذي رسول اللَّـه؟!

حين وصـل كتـاب يزيـد إلى واليه عـلى المدينـة أرسـل في طلب الحسـين عليه السلام فحضر بصحبة عصبة من بني هاشـم يتقدمهم العباس عليه السلام وقال لهم قفوا على باب دار الوالي فان سـمعتم صوتي علا فاقتحموا الدار، ثـم دخل الحسـين عليه السلام وكان مروان حـاضر المجلس فأخبر الوليد بوفاة معاوية واسـتلام يزيد وطلب البيعة من الإمام ليزيد فقال الحسـين عليه السلام بعد الإسـترجاع نصبح وتصبحون ونـرى وترون، فانتفض مـروان قائلاً خـذ البيعة منه الآن وإن أبى فاقتله فإنـه إن خرج ولم يبايـع لن نقدر عليـه بعد ذلك أبداً، فصرخ الحسـين عليه السلام قائـلاً: الويل لك يابـن الزرقاء أأنـت تقتلنـي أم هو؟؟ لقد كذبـت وأثمت وأمسـك بخناق

مروان وألقاه أرضاً وجلس على صدره حتى كاد أن يخنقه، وإذا بفتيان بني هاشم يدخلون الدار بسيوفهم المشهورة والحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول للوالي: «**أيُّها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح اللّه وبنا يختم ويزيد رجلٌ شاربُ الخمور وقاتل النفس المحترمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله**».

هذا اليوم اقتحم فتيان بني هاشم دار الوالي واستنقذوا الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ والحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ جالسٌ على صدر مروان، أين كانوا يوم عاشوراء عن المولى حين جلس شمرٌ على صدره الشريف ليحتز رأسه وهو يقول: «**إني لأحتز رأسك وأنا أعلم بأنَّك الحُسين وجدُّك مُحمَّد وأبوك عليٌ وأمُّك فاطمة الزهراء**».

وين چانت هالسيوف وهالشباب   يوم عاشر عن شبل داحي الباب
حين ظل أوحيد من عگب الأصحاب   ينادي وين أهل الشيم والغيرة

***

يهل الشيم هذا محلكم   للموزمة تذخر هِممكم
ترضون تتسلب حرمكم   كوموا وإدفعوا اللوم عنكم

***

عطاء الأرض والسماء

بسـم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَـا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَـزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِـنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[1]

ما بين عطاء الأرض وغيث السماء تتنعم المخلوقات التي خلقها اللّـه فيأكلون ويشربون ويلبسون ويعمرون فكُلُّ شيءٍ في هذا الوجود مسخَّرٌ لك أيُّها الإنسان وما عليك إلَّا أن تحسن الاستفادة من هذه النعم وتؤدي حق شكرها لربِّكَ الوهّاب.

والآية الخامسـة من سـورة الحج توضّح للمتدبّـر فيها كيف يبـدأ العطـاء، أرضٌ هامدة أي لا حراك فيها ولاتنتج شـيئاً، فإذا تسـاقط عليهـا المطر إنبعثت الـروح فيها وبـدا التفاعل وانتفخت الأرض كالمرأة الحبلى وتمخضت ليولد الخير والعطاء فهنا نخلة باسقة وهناك رمانٌ وزيتـون وهُناك نفط وذهـب وفوسـفات ويورانيوم، عيون عذبـة وأُخرى معدنيـة حارة تارة ومثلَّجة أُخرى نعم لا تعد ولا تحصى وخيرات تكفي لإسعاد كل المخلوقات ملايين السنين.

ما الذي جعل بعض الشـعوب التـي تمشي على كنوز مـن ذهب وألماس ونفـط تعاني من شضف العيش؟ من الذي ثقب طبقة الأوزون ومن ساعد على ان يموت رجُلٌ في الشرق من جوعه وآخر في الغرب من تخمتهِ؟ إن عطاء ربك ماكان محظورا وإن أودية العطاء تسير بقدر، ولكن الذي يخلخل المعادلة هو عمل الإنسـان بغير ما يرضي اللّـه. إن مخالفـة القوانين الإلهية واسـتبدالها بقوانين وضعية صادرة عن ناقص تجرُّ علينا غُصص الحيـاة الدنيا وعذاب جحيم الآخرة ما أُريد أن أقوله ان اللّـه جلَّ وعلا خيرٌ مُطلق وان الشَّر من صنائع نفوسنا إما بالجهل

(١) سورة الحج :٥.

وإما بالطغيان.

قارنوا بين فلاّح جادٍ يؤمن باللَّه وآخر يجلُسُ في كوخه ينتظر أن تنزل عليه مائدة من السماء فيها ما لَذَّ وطاب من دجاج وكباب وطعام وشراب.

الأول ينهض فجراً فيصلّي لربه ويأخذ متاعه وعُدَّة شغله ويمضي إلى حقله يستصلح أرضهُ أولاً ثُمَّ يحرثها ثم يبذر بذاره ويزرع شتاله وينتظر غيث السماء ويرعى زرعه حتى يثمر فيبدأ بالحصاد وبعد أن يجمع الحاصل يخرج منه زكاته ويتنعم بالباقي، أما الفلاح الثاني فسيبقى كلاّ على أهله ومجتمعه وهو بفعله هذا ظالمٌ لنفسهِ ظالم لمجتمعه **﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**[1] وقد أصاب قلب الحقيقة من قال:

إن الفراغ والشباب والجدة
مفسدةٌ للمرءِ أيُّ مَفسَدَة

إن البطالة الظاهرة والمقنَّعة في مجتمعاتنا هي العامل الأكثر تأثيراً في تخلّف مجتمعاتنا عن ركب الحضارة الإنسانية وإن تصوَّر البعض إنَّ إيجاد فرص عمل جديدة للملايين من الشباب العاطل عن العمل هو مفتاح النجاح والتفوق فإننا نلاحظ بأن خلق الدوافع الذاتية في النفوس نحو حب العمل ونبذ الإتكالية أهمَّ من خلق الفرص لأن الانسان الذي لا يرضى أن يَمُدَّ يد التسول إلى الآخرين سيفعل المستحيل من أجل الحصول على لقمة عيش كريمة، وبعكس الآف المحبطين الذين نراهم يختلقون الأعذار لتبرير سلوكهم طرق الإثراء الغير مشروع وسعيهم إلى مظاهر البذخ الخدَّاعة يغطون بها عيوب نفوسهم المريضة.

المؤمن باللَّه صبور قنوع جسدُه منه في تعب ومجتمعه وربه ودينه عنه في أتمّ الرضا.

وإذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الأجسادُ

أما غير المؤمن فجشع جزوع يؤذي الجميع على حساب راحته وطموحه غير المشروع

(١) سورة النحل: ١١٨.

يأكل ما يجد ويطلب مالا يجد من حلٍّ او حرام لا فرق ليشبع غرور نفسه ومن بعده الطوفان يتبنى منطق الشاعر الذي يقول لحبيته:

معلّلتي بالوَصلِ والموت دونهُ
إذا متُّ ظمآناً فلانزل القطرُ

الأرض والسماء تعطي الجميع غيثها ونورها لكن الذي يخلخل المعادلة قطّاع الطرق الذين يدفعهم جشعهم وإبليس إلى سرقة ماللآخرين فيكثر الحرمان والفساد وتنتشر الجريمة والرذيلة، الفرق واضحٌ وجلي بين حال الأُمّة في عهد رسول اللّه ﷺ وعهد أمير المؤمنين وحالها عندما ترى شاربُ الخمور وملاعب القرود والمتجاهر بالكفر والفسوق على كرسي الحكم والخلافة اللعين بن اللعناء والطليق بن الطلقاء الذي اتخذ عباد اللّه خولا وماله دولا ورمى الكعبة بالمنجنيق وأحرقها وأباح جيشه مدينة رسول اللّه ﷺ وارتكب جُرماً أغضب اهل الأرض والسماء لقد سفك الدم الحرام في الشهر الحرام وأباح لجواسيسه إنتهاك حرمة البلد البلد الحرام والمسجد الحرام حيث أمرهم بقتل ابن بنت رسول اللّه ﷺ إن لم يبايع وإن وجدوه متعلّقاً بأستار الكعبة.

خرج الحسين من المدينة خائفاً
كخروج موسى خائفاً يتكتم
وقد انجلى عن مكّةٍ وهو ابنُها
وبه تشرَّفت الحطيم وزمزمُ

وللتاريخ نقول لم يكن خوفهُ على نفسه بل على دينه وحرمه مقدساته لأنه لوكان يخاف على نفسه لأخذ بنصيحة أخيه محمد ابن الحنفية وتوجَّه إلى جبال اليمن حيث لا يصل إليه أحد ولكنه سار إلى أرض الشهادة كربلاء وبخطى ثابتة وواثقة، كما أنه صحب معه أهل بيته من نساء وأطفال وحينما سأله عبد اللّه بن عباس عن سبب إصراره على موقفه أجاب شاء اللّه أن يراني قتيلا فقال له وما حملك هؤلاء النسوة والأطفال؟ أجاب شاء اللّه أن يراهُنَّ

سبايا.

يعني إن عليهن أن يؤدين واجبهن في حفظ دماء الشهداء بالدور الاعلامي الذي سيمارسوه في كل بلد يدخلوه أسارى فيثيروا الجماهير ضد بني أُميَّة، إضافة إلى أنه كان يخشى أن يتخذّهم والي يزيد على المدينة رهائن للضغط عليه من أجل التراجع عن مشروعه ومبايعة يزيد لأن الحسين عليه السلام غيورٌ على عرضه وشرفه.

ومع كل ذلك فقد بقي في المدينة بعض الذين يتعذر عليهم السفر مع قافلة الإمام الحسين عليه السلام منهم محمد ابن الحنفية لمرضه وعبد اللَّه بن جعفر الطيار لفقدان بصره وأمُّ سلمه زوج رسول اللَّه وأمُّ هاني عمَّة الإمام وأمُّ البنين وطفلة للحسين تدعى فاطمة وهي الوسطى لعلة أصابتها، وحين إستعَّد الحسين عليه السلام للسفر دخل يودّعهم فضجّوا بالبكاء والنحيب وأضحت المدينة كيوم وفاة رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم ضجّة واحدة والكل ينادي واجداه وامحمَّداه. وكان أشدهم تعلّقاً وبكاءً هذه الطفلة التي أحست بأن هذا السفر لا عودة منه وإنها ستمسُي يتيمة فأخذت تتوسّل بأبيها لكي يأخذها معهُ ولسان حالها يقول:

خذوني معاكم اسرج الخيل

وأفرش فراش النوم بالليل

على افراگكم ماتم إلي حيل

قال لها بنيه طريقنا محفوفة بالمخاطر ولا تطيقي رؤية ما سيُصيبنُا فيه

قالت أبتاه إذاً إتركوا عندي أخي الرضيع يُسلِّيني في وحدتي.

قال لها إنه يحتاج صدر أُمِّهِ وحنانها، ولعلهَّا أحسَّت بأنَّ عليه دوراً عظيماً سيؤديه في كربلاء، ودّعوها وهي تُصرخ معولِةً وا جداه وا محمداه وا أبتاه وا حسيناه وا شهيداه وا ذبيحاه وا عطشاناه.

يبويه گول لاتخفي عليَّه هذي روحتك لو بعد جيَّه

يبويه إنچان رايح هاي هيَّه إخذني وياك عنك مگدر أصبر

***

يـــا والـــدي والـــلَّـــه هظيمة أصـــير مـــن زغـــري يتيمه

والـــنـــوح مـــن عـــگـــبـــك نجيمة أثـــاري الأبـــو ياناس خيمه

يفييِّ على بناته وحريمه

التّولي والتّبري

بسـم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّـهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّـهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّـهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّـهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾[1]

تتحدث مفردات الآية الكريمة عن قسـمين من النـاس تختلف اهتماماتهـم وتوجهاتهم، فالمجموعة الأولى هي التي تتخذ من دون اللّـه أنداداً يحبونهم كحب اللّـه، والمجموعة الثانية التي تتميـز وتنفرد بحب اللّـه وحب من حبه مـن حب اللّـه. الأنداد الأمثال مـن الأصنام المادية كالحجارة والتمر والطين والأصنام المعنوية وهم الرؤوساء والقدوات التي يقتدون بها.

وبالنتيجـة يتوجه الخطـاب للذيـن ظلموا وحسـب الظاهر هـم المجموعـة الأولى بأنهم لوكانوا يرون بعين البصيرة ويتوقعون أهوال يوم الحساب وشـدة العذاب الرباني المعدَّ لهم لما ظلموا ولتوجهوا بكل مشاعرهم وأحاسيسهم إلى اللّـه وإلى أولياءه.

وإنطلاقاً مـن إعتقادنا بفـروع الديـن العشرة التـي لا نتنازل عنهـا نرى بأن خط سـيرنا ومنهج علاقاتنـا يتحدد بقاعـدة التولي لأوليـاء اللّـه والبراءة مـن أعداء اللّـه لكي لا نصبح كالمجموعة الأولى الموصوفة في الآية موضوع البحث.

لقد صدر الأمـر إلينـا بحب اللّـه ورسـوله ومن أحبهـم ووجـوب الإبتعـاد إن لم نقل بمحاربة أعداء اللّـه وأعداء رسوله ومن أحبهم.

ومن الطبيعي أن يكون لهذا التوجيه الرباني منافع ومصالح وحكمة لأن الانسان في حال

(١) سورة البقرة: ١٦٥.

إنضواءه لأحد الفريقين سيتخذ قدوة يقتدي بها وأُسوة يتأسى بها ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾.

ولا تخفى على اللبيب أهمية القدوة والأسوة لأننا وبايجاز يمكننا توقع نمط السلوك الذي ستسلكه بمجرد معرفتنا بقدوتك وقد قيل «**قل لي من تصاحب أقول لك من أنت**»

والأمر الذي نستغربه هذه الأيام هو بعض الأصوات النشاز التي تطالب بضرورة تناسي تاريخ القيم والمبادئ وعقد المصالحة السياسية بين القاتل والمقتول والظالم والمظلوم وتدعو لعدم ذكر ما جرى على آل بيت العصمة لأن ذلك ينكأ الجراح ويمزق وحدة الصف الاسلامي بودي ان أسأل هؤلاء الذيليين وأقول لهم كيف إن ذكر محمد ﷺ وآل محمد يثير النعرات الطائفية وذكر اعداءهم لا يثير، إنكم بفعلكم هذا تنصرون الظالم وتخذلون المظلوم ألا يكفي آل محمد ﷺ القتل والظلم والقهر والتشريد الذي لا قوه من أعدائهم.

أهوى علياً أمير المؤمنين ولا أرضى بسبِّ أبي بكرٍ ولا عمرا
ولا أقول إذا لم يعطيا فدكاً بنت النبيِّ رسول اللَّـه قد كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به يوم القيامة من عُذرٍ إذا اعتذرا

أتريدون من هذه المنابر الحسينية أن تكون شاهد زورٍ على التاريخ نحن نتمنى الخير لكل الناس حتى من غير المسلمين ولكن أنغصبهم على حب اللَّـه وآل اللَّـه، يحضرني شاهد ظريف من عصر الخلفاء الراشدين سأل أحدهم عبد اللَّـه بن عمر عن متعة الحج والنساء وحيّ على خير العمل في الأذان قال هي حلال فقالوا كيف وقد حرَّمها والدك؟ فانزعج وصرخ بوجههم قائلاً: أقول لكم قال اللَّـه ورسوله وتقولون قال عمر أي الفريقين أولى بالحب والإتباع.

فبدل أن يستحي الظالم من ظلمه تطالبون المظلوم أن يعضَّ على جراحه ألا تخافون اللَّـه؟ ألا تسمعونه كيف يهدّد بعذاب شديد؟ ألا تعتقدون بأنه قويٌ عزيز. هل تشكون بأن اللَّـه يحب مُحَمَّداً وآل محمد ﷺ ويبغض أعداءهم وقتلتهم وقد أوجب علينا موالاة أوليائهم

والبراءة من أعدائهم. من لا يتخذ محمَّداً وآله أولياء ولا يتخذ أعدائهم أعداء فالدين منه براء.

يقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: إنما يجمع الناس السخط والرضا لذا ومن موقع المسؤولية الشرعية وخوفاً من بطش اللّه وعذابه الشديد نقول بصراحة تامة ومن على منبر الموقف لا يسعنا إلّا أن نحبّ من أحبّ اللّه ونبرء من أعداء اللّه وإن تستروا بالاسلام وإن حسبهم البعض من الصحابة زوراً وبهتاناً ولفقوا مئات الأحاديث في فضائلهم. وإن قال قائل بأن زيداً وعمراً كذلك أولياءُ للّه نقول لم يثبت لدينا ذلك بل الثابت لدى كل الأطراف إن أولياءه الذين حبهم فرض على أعناقهم فقط محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم هاهي كل كتب الحديث تروي قوله صلى الله عليه وآله وسلم «**حسين مني وأنا من حسين أحبَّ اللّه من أحبَّ حسينا**» وقبلها قال يوم خيبر «**لأُعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبُّ اللّه ورسوله ويحبُّهُ اللّه ورسوله**» وقال «**يا علي من أحبك فقد أحبني ومن أحبني أحب اللّه ومن أحب اللّه أدخله الجنة ومن سبَّك فقد سبَّني ومن سبَّني فقد سبَّ اللّه ومن سبّ اللّه أكبَّه على منخره في النار**». كما إنه لا يمكننا أن نتصور اولياء اللّه يقتل بعضهم بعضاً ويسب بعضهم بعضا فالساب لأولياء اللّه والمبغض لهم القاتل لهم في النار ويلعنهم اللّه ويلعنهم اللاعنون ولا يقدر أحدٌ أن يُبيِّض صحائف القتلة.

إن الجرائم التي ارتكبها أعداء آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بحق الإنسانية يندى لها الجبين، سفكوا الدم الحرام في الشهر الحرام وأزعجوا آل الرسول وأرعبوهم في البلد الحرام الذي جعله اللّه لهم وبهم وبدعوة إبراهيم الخليل عليه السلام أمنا.

فلقد أرسل اللعين يزيد إلى واليه أن ياخذ البيعة من الحسين بن علي عليه السلام وإن أبى يقتله وإن وجده متعلقاً بأستار الكعبة أيعقل أن يصدر إمام المسلمين وخليفتهم مثل هذا الأمر فكروا يا دعاة الوحدة الاسلامية. إن كان وجود الإمام الحسين عليه السلام يشكل خطراً على يزيد فماذا تعني له الكعبة التي إنتهك حرمتها ورماها بعد عام بالمنجنيق وأحرقها وماذا تعني له مدينة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم التي أباحها جنده، أما الحسين عليه السلام فلخوفه على حرمة الحرمين:

خـــرج الحــسين مــن المـديـنـة خائفاً كــخــروج مـوسـى خــائـفـاً يتكتمُ

وقـــد إنــجــلى عـــن مــكَّــةٍ وهـــو إبنها وبـــه تـــشَّرفــت الحــطـيــم وزمزمُ

لم يـــدر أيـــن يـــريـــح بُـــدن ركابه فـــكـــأنّــما المــــأوى عــلـيــه مُحرَّمُ

دخل إلى ضريح جـدِّه يودعه صلى ركعات وطاف حـول الضريح طواف الـوداع وهو يبكي ويقول يا جداه أنا الحسـين فرخك وإبن فرختك وسـبطك الذي خلفته في أمتك فاشهد عليهم يا نبيَّ اللَّـه إنهم قد خذلوني وضيعّوني ولم يحفظوني وهذه شكواي إليك حتى ألقاك:

ضمني عندك ياجـداه في هــذا الضريح

علَّني ياجد من بلوى زماني أستريح

ضاق بي ياجد من فرط الاسى كل فسيح

فعسى طود الأسـى يندك بين الدّكتين

***

جدُّ صفو العيش من بعدك بالأكدار شيب

وأشـاب الهمُّ راسي قبل إبّـان المشيب

فعلامن داخــل الـقـبر بـكـاءٌ ونحيب

ونـــداءٌ بافتجاع ياحبيبي ياحسين

***

يـــا جـــد أنـــــا ســبـطــك الغالي جـيـتــك وحـــــال الــضـيــم حالي

ومـــشــدوه مـــن هـــالـضـيـم بالي ودمـــعـــي عـــلى الـــوجــنــات هالي

واســــــودت بــعــيــنــي الليالي وتـــدريـــنـــي راح أنـــذبـــح تالي

وتـــــــوذر يــمــيـــنــي وشمالي وبكربلا تنسبي إعيالي

يــــــوم الـــتـــظـــل بــغـــير والي وتـــنـــذبـــح فـــتـــيـــاني ورجالي

والـــگـــوم ماترحم اطفالي ولاترعه بـــيـــكـــم إتصالي

ضمني إبضريحك يا مثالي

گـلـه يـبـعـد الــــروح ياحسين و يـاثـمـر كَـلـبـي وقُــــرَّة العين

حـفـظ الـشريـعـة بـذمـتـك دين تـوفـيـه ابــسـاحـات الميادين

إبـــدم الـشـهـادة تحـفـظ الدين يــا عــبرة عـيــون الموالين

بمصابك إتزلزل الكونين

متى وكيف تنفع الموعظة؟

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(١)

وعظ يعظ فهو واعظ تعني أرشد يرشد فهو مرشد ويقال لرجل الدين وإمام الجماعة عندما يخطب بالجماهير يوم العيد أو الجمعة وخطيب المنبر الحسيني الذي نذر نفسه للوعظ والإرشاد إستفادة من عاشوراء الامام الحسين عليه السلام ومواسم الثورة والعطاء ليعظ ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يقال له واعظ، فالأنبياء وعّاظ والأوصياء وعّاظ **﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾** وكل من يحذر قومه الوقوع في مهالك الظلم والبهتان ويدعو الناس إلى الخير وينهاهم عن الشر فهو واعظ، وقد قام الأئمة عليهم السلام بالوعظ والارشاد طيلة فترات حياتهم الجهادية، وعلى وجه الخصوص الامام الحسين عليه السلام فانه قام بالوعظ والارشاد منذ أطلق شراره النهضة في مدينة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم مقتله واستشهاده في كربلاء عام ٦١ للهجرة.

وقد تعالت في الآونة الأخيرة بعض الأصوات النشاز التي تحاول أن تفسّر أحداث كربلاء ونهضة الإمام الأسباب والدوافع والنتائج على حسب مزاجها متجاهلة آلاف العلماء والمؤلفات التي كتبت عاشوراء من عصر الأئمة إلى يومنا هذا وبأسلوب الإستفزاز والتهّكم.

ومن جملة الأمور التي إستهجنوها وأنكروا صدورها عن الإمام الحسين عليه السلام الكثير من مواعظه التي وعظ بها أعداءه يوم عاشوراء واحتجاجاته وإستنصاراته.

---

(١) سورة الأعراف: ١٦٤.

وإني أرى إن مقالة هؤلاء الناس أشبه ما تكون بمقالة هذه المجموعة من بني إسرائيل التي حكى لنا القرآن قصتها وموقفها في هذه الآية المباركة من سورة الأعراف، ما أشبه الليلة بالبارحة أورد الفخر الرازي في تفسيره الكبير والسيد الطباطبائي في ميزانه والطبرسي في مجمع البيان والفيض الكاشاني في تفسير الصافي كل بطرقه قصة هذه الآية وخلفيات هذا الشعار الذي رددته هذه المجموعة التي يطلق عليها القرآن لفظ الأمة مكان الواقعة بلدة تقع بين مصر والمدينة على شاطئ البحر، قيل مدين وقيل طبرية وقيل مقنا.

الأُمَّة عاشت القضية وانقسمت إلى ثلاث فئات كما حدث يوم عاشوراء حي من اليهود من أهل إيلة من قوم ثمود على رواية الإمام الباقر عليه السلام عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

هذه القرية المطلة على البحر أخبرها نبيّها بأن اللّه جل وعلا حرَّم عليهم الصيد يوم السبت ليتخذوه عيداً ويتفقدون بعضهم البعض وتقوى الروابط الاجتماعية، لأن الإنهماك الكلي بالعمل يؤدي إلى إهمال هذه العلائق والواجبات التي لولاها لا يصح إطلاق لفظ المجتمع على الناس، أتعلمون أن أمير المؤمنين عليه السلام يطالبنا بتقسيم أوقاتنا إلى أربعة أوقات لأجل تنظيم حياتنا الإجتماعية فيقول: إجعل أوقاتك أربعاً:

١. فوقت لمعاشك «أي لعملك التي تعتاش منه» في أُوروبا العمل ٦ ساعات.
٢. ووقتٌ لعبادتك والاتصال بربك ٦ ساعات.
٣. ووقتٌ لنومك وراحتك، النوم الصحي ٦ ساعات.
٤. ووقت لعيالك ولمجتمعك ٦ ساعات.

أترى من منّا في هذه الأيام لم يغلّب الاهتمام بجانب من هذه الجوانب الأُخرى، لقد فقدنا التوازن وإضطربت بسبب ذلك حياتنا الاجتماعية نعود إلى قوم ثمود إمتنع الأكثرية عن العمل يوم السبت وإطمئنت الأسماك فأخذت تسرح وتمرح بحريتها يوم السبت حتى ما عاد الناس يرون زرقة الماء من كثرة السمك.

وهنا جاء دور الشيطان فأخذ يوسوس في صدورهم ويزيّن لهم الحيَل قال لهم إن كان اللّـه حرَّم عليكم الصيد يوم السبت فاحفروا أخاديد وخلجان وأحواض وإحبسوا فيها السمك ثم إبدؤا بصيدها وبيعها وأكلها إعتباراً من يوم الأحد، وإستحسن البعض هذه الحيلة الشرعية التي تشبه كثيراً إلتفاف البعض هذه الأيام على الأحكام الشرعية.

ثم إن الأقلية المؤمنة التي تخاف اللّـه حقاً إستنكرت هذا التحدي للإرادة الربانية ومارست دورها وقامت بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أما الفئة الثالثة فكانت جماعة ومالنا والدخول بين السلاطين، جماعة اللا موقف لم يرتكبوا معصية الصيد يوم السبت وفي نفس الوقت لم يستنكروا عمل الذين خالفوا أمر اللّـه، فلم يأمروا بمعروف ولم ينكروا المنكر بل على العكس التفتوا إلى المؤمنين وعاتبوهم على موقفهم الناصح فقالوا لهم ما حكته الآية ﴿...**لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّـهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيدا**...﴾كقول المتفلسفين هذه الأيام ما جدوى أعمالكم هذه فالنتيجة معلومة المجرم والقاتل والظالم سينتقم اللّـه منه ويهلكه ويعذّبه عذاباً شديداً ما معنى أن يطلب الإمام الحسين عليه السلام هذا البطل الأبي الغيور من أعداءه وقاتليه وقاتلي أهل بيته وأنصاره وهم في ذروة الإجرام وفقدان الرحمة شربة ماءٍ له أو لعياله أو لطفله الرضيع أو ما معنى قوله ألا هل من ذاب يذب عن حرم رسول اللّـه؟ هل سيّلبي عمر بن سعد طلبه أم الشمر أم هذا الجيش الأهوج؟ كلا وألف كلاّ ولكن كما قال المؤمنون في تتمة الآية﴿..**قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ**..﴾ ولعل هنالك بصيص أملٍ بالهداية ولو لواحد من هؤلاء «ولعلهم يتقون «إن النبي والرسول والإمام والمصلح لا يفقد الأمل في هداية الناس حتى آخر قطرة تسيل من دمه على طريق ذات الشوكة، وفعلاً فان اللحظات الأخيرة شهدت إنقلاب دريد حامل راية عمر بن سعد إلى معسكر الحسين عليه السلام كما إن الحر وولده بكير وعبده إنقلب في بداية المعركة إذن أصبح قوم ثمود في ثلاث خنادق

المجموعة الأولى: وهي الأكثرية التي عصت أمر ربها واصطادت واكلت ولم تكترث بالتهديد والوعيد الإلهي.

المجموعة الثانية: وهي التي اتخذت موقف لا لكم ولا عليكم، لم يرتكبوا المعصية ولكن لم ينكروا على مرتكبيها وسكنوا عنهم وتوجّهوا باللوم والعتاب على المؤمنين لوعظهم إياهمُ .

المجموعة الثالثة: وهي الفئة التي أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر قلباً وقالباً وعندما أيقنت بنزول العذاب الرباني على القوم غادروا القرية وإستوطنوا بقرية قريبة عليهم، وعادوا بعد أيام ليشهدوا ما جرى على القوم الكافرين والساكتين عن الحق وكلكم يعرف إن **«الساكت عن الحق شيطان أخرس»**

يا لهول ما رأوا باب المدينة مغلق فتسلّقوا سورها وإذا بالعذاب قد نزل بالمجموعة الأولى وقد مسخت المجموعة الثانية إلى قرود ينزو بعضها على بعض فما إن وقعت عيونهم على المؤمنين.سالت دموعهم وبان ندمهم في العيون وبعد ثلاثة أيام مات كل المسوخ وعاد المؤمنون إلى قريتهم سالمين غانمين، لنسحب صورة ما جرى على أحداث كربلاء ونرى موقعنا في هذه المعركة، هل نحن مع أنصار الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أم مع قتلته أم إننا لا مع الحسين ولا ضده ولا نؤيد يزيد ولا نستنكر أفعاله القبيحة وجرائمه الشنيعة؟ إلى يومنا هذا نصف الأمة الاسلامية يعز عليها أن تحمّل يزيد مسؤولية ما قام به من قتل ابن بنت رسول اللّه وحرق الكعبة وإباحة المدينة كما يطالبنا البعض بعدم ذكر هذه الوقائع لأن ذلك ينكأ الجراح ويعرض الوحدة الاسلامية للخطر.

ولا أدري إلى أين سينتهي بنا المطاف، صدقوني لو إن الناس قالوا للمخطئ هذا خطأ فإنه لن يتكرر «يا فرعون من فرعنك، قال ما حدا ردني» ، لو إن عبد اللّه بن عمر ضم صوته إلى صوت الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وكذا الآخرون لم يكن يزيد ليجرء على قتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

يقول الرواة لما أحرق القوم خيام الحسين فررن بنات الرسول على وجوههن في البيداء يصرخن ويندبن وا محمداه وا علياه وا حسيناه يقول حميد بن مسلم وخرجت طفلة مذعورة قد إلتهبت النار بأطراف ثوبها وهي تبكي وتصيح، فأسرعت إليها وأطفئت النار عنها فنظرت وإذا في أذنها قرط جميل فنزعته عن أذنها وغالبتني الدموع، فدُهشت الطفلة لما كان

مني فقالت يا شيخ أنت لنا أم علينا؟ فقلت لا لكم ولا عليكم، فقالت إذاً لم أطفئت النار التي أحرقت ثوبي والآن تسلبني أقراطي، قلت إن لم أسلبك انا لعله يسلبك غيري؟ فقالت إذا لماذا تبكي؟ قلت كيف لا أبكي وانا أسلب آل رسول اللّه.

يا رسول اللّه يافاطمة يا أمير المؤمنين المرتضى
عظم اللّه لك الأجر بمن كضَّ أحشاه الظما حتى قضى
قتلوه بعد علم منهم أنه خامس أصحاب الكسا

أجد بالسير ويه الظعن ياجد
إبن أمي عاري ولا چفن ياجد
هذا حسينكم مذبوح ياجد
إشلون أمشي أعوف إبنك رمّيه

رأسك أعجب يا حسين!!

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاًوَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾(١)

من مجمل كتاب اللّـه المجيد وآياته الـ(٦٢٣٦) وما يحفظ عن أبيه وعن جده من نصوص الكتب المقدسة اختار رأس مولانا الحسين عليه السلام هذا الموضوع وهذه الآية بالذات لتكون رسالته إلى العالم الإنساني، حقا إنها رسالة عجيبة تثير في قارئها تساؤلات كثيرة وإثارات مفيدة وما علينا إلا أن نملك حساً حسينياً لنعي فحواها ولعل سياق الآيات الثلاث يدلنا على الطريقة المثلى لفهم المشروع الحسيني، دعونا نرى ونتدبر.

١. الآية ٧ من سورة الكهف تؤكد أن كل ما على الأرض من خبرات وحياة سعيدة ومتعلقات تزيد الإنسان حرصاً على حرصه إنما هي زينة أي ليست هي الجوهر والأساس بل كماليات يمكن الاستغناء عنها وعدم التكالب والانكباب عليها، ثم إنها مادة إختبار و إبتلاء ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ إذا علينا أن نفهم السؤال الذي هو نصف الجواب ونجيب بتقدم أحسن الأعمال وننظر قرار الحكم الحق فاما جنة وإما نار وله القرار ولا مجال للفرار.

٢. الآية ٨ من سورة الكهف جاءت لتؤكد أمراً هاماً وهو ان كل زينة الدنيا وبهرجها وزبرجها الذي نتهافت عليه ونتقاتل من أجله ولا نبالي إن صار بقبضتنا جاء من حلٍّ أو

(١) سورة الكهف: ٧_٩.

حرام، سيأتي عليه أمر اللّـه فيجعله ﴿**صَعِيداً جُرُزاً**﴾

فالدنيـا دار ممر لا مقر وهـي مزرعة الآخـرة وروي عن رسـول اللّـه ﷺ انـه قال (**إن الناس في الدنيا ضيف وما في أيديهم عارية وإن الضيف راحل وإن العارية مردودة**)

وقال شاعر:

أرى طـالـب الـدنـيـا وإن طـال عمره

ونـــال مــن الــدنـيـا ســـروراً وأنعما

كـــبـــانٍ بـــنـــى بـــنـيـانــه فأتمه

فلما اســتــوى ما قد بــنـاه تهدَّما

وعن أمير المؤمنين عليه السلام (**الدنيا حلم والآخرة يقظة ونحن بينهما أضغاث أحلام**) ما لنا ودنيا سـيجعل اللّـه زينتها صعيداً جرزاً يعني أرضاً جرداء لا ماء ولا كلأ، إنها سـجن المؤمن وجنة الكافر فعلينا أن نعمل جاهدين للخروج منها.

فـــإن تــكــن الــدنــيــا تــعــد نفيسة

فــدار ثـــواب اللّـــه أغــلــى وأنبل

وإن تــكــن الابـــدان لــلـمـوت أنشأت

فقتل امــريءٍ بالسيف في اللّـه أفضل

هذه الدنيا التي يشـبهها علي عليه السلام بالحية ناعم ملمسها والسمّ في جوفها ثم يوضّح أمراً يعرفه المؤمن حقاً دون سـواه فيقول وما أروع ما يقول روحي فداه «**من عرف الدنيا لم يحزن للبلوى**» ومع كل هذا فالإعتدال منهجنا الذي تعلمناه منهـم «**إعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً وإعمل لآخرتك كأنك تموت غداً**»

ولنعم ما قالوا وقال الشاعر:

لا تأسفنَّ عــلـى الــدنــيـا وزينتها

ورح فـــؤادك مــن هـــمٍّ ومـــن حزن

وإنـظـر إلـى مـن حـوى الدنيا بأجمعها
هـل راح عنها بغير القطن والكفن

٣. ونأتي مركـز البحث هـذه الآية التـي اختارهـا الإمام الحسـين عليه السلام لتكـون عنواناً لمرافعته ودفاعـه عن قيامه ومظلوميتـه أمام محكمة التاريـخ هذا هو إدعـاؤه ويزيد أمامكم في قفص الإتهام هـو ومـن وراءه من حكَّمـه برقاب المسـلمين والحاكـم الحق اللَّــه جل جلاله وضمائركم الحية، ولنعم ما قال سـهل بن سعد الساعدي في الشـام حين سمع الرأس المقطوع يتلوا الآية المباركة، بكى وقال رأسك أعجب يابن رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله وسلم نعم لعلها إشارة وتوجيه من الأمام إلينا تقول ياناس إن أمري عجيب كأصحاب الكهـف مثير للجدل فما هي قصتهم في زمن حاكم ظالم إسـمه دقيانوس كان هؤلاء الفتية يؤمنون باللَّـه ويخفون إيمانهم عنه ولكن مع كل هذا لم يسـمح لهم بالبقاء على ما هم عليه بل كان يرغم الناس على عبادة الأصنام ومن يمتنع يقتل وأغلق أبواب المدينة على الناس ووضع الجنـود والحراس، ألا تعجبون لهذا النمط من تفكـير الحكام الذيـن ينازعون اللَّـه في سـلطانه. يا نـاس لقد تحكمتـم في كل شيء إتركوا لنا فقط حريـة التعبد للَّــه ألم يقل قائلكـم الدين للَّـه والوطـن للجميع، في بـلادي رأيت بأُم عيني في السـبعينات فتية لم يبلغوا سـن الرشـد قتلوا تحت التعذيب وذلك لأنهـم ترددوا على الجامع وصلوا فيه للَّــه أكثر من مـرة، وفي الوقت الـذي كان القانون الوضعـي في ايران أيام الشاه لا يسـمح باعتقال رجل الدين البالغ درجة الاجتهاد فإني عشت إعدام وإغتيال مراجع دين في بلادي وجرائم يندى لها جبين الإنسانية، تركنا ما لقيصر لماذا لا يتركنا قيصر، فرَّ الفتية بحجـة الصيد وهاجـروا بدينهم وصادفـوا أحد الرعـاة ولم يتعاطـف معهـم في الوقت الذي تبعهم كلبه ثم لما بعـدوا عن الديار وجـدوا كهفاً ناموا فيه فيـا لـها من نومة تقلّبهم الشـمس بأشـعتها «**وكلبهم باسـط ذراعيه بالوصيد**» عدد الفتية مختلف فيه أما مـدة النوم على ما حدّث الذكر المجيد ثلاثمائة وتسـع سنين، ثم انهم لما إسـتيقظوا كان لهم قصة طويلة ذكرها المفسرون لسنا بصدد تفصيلها الآن ولكنا نعود فنطرح هذا السـؤال على أنفسنا وهو ما هي أوجه الشبه

والتماثل التي دعت الإمام الحسين عليه السلام إلى اختيار هذه الآية ليتلوها من على الرمح وبرأس قطيع. لقد قطعوا أوداجه ولم يقدروا على قطع إشراقاته وأنواره التي لا زالت تنير دروب الإباء والحرية للأجيال.

أولاً: إن حكم يزيد كان أكثر سوءاً من حكم دقيانوس وقد قيل قد يدوم الكفر ولكن الظلم لايدوم، لقد طفح الكيل وبلغ السيل الزبا، لقد حكم يزيد ثلاث سنوات توجها بثلاث جرائم إهتزت لها السماوات والأرض، قتل الحسين عليه السلام وأحرق الكعبة وأباح المدينة فأي ظلم أكبر من هذا؟؟

ثانياً: لقد أضمر الإمام الحسين عليه السلام تصميمه على تحدي الظالمين عشرة أعوام كما أضمر الفتية إيمانهم باللّه وتضاهروا بمسايرة الناس ولكن يزيد لم يترك الحسين عليه السلام وشأنه بل أراد إرغامه على مبايعة حاكم كافر متجاهر بالمعاصي وأرسل من قبله من يقتل الإمام الرافض وإن تعلّق بأستار الكعبة «**ألا وإن الدعيَّ ابن الدعي قد ركز بين إثنتين بين السِلَّة والذِلَّة وهيهات منّا الذِلَّة يأبى اللّه لنا ذلك ورسوله ونفوس أبيَّة وأُنوف حميةَّ وحجور طابت وطهرت من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**».

ثالثاً: وكما ضاقت الدنيا بأهل الكهف فهاجروا خوفاً على دينهم وكذلك:

خرج الحسين من المدينة خائفاً
كخروج موسى خائفاً يتكتمُ
وقد إنجلى عن مكة وهو إبنها
وبه تشرَّفت الحطيم وزمزمُ
لم يدرِ أينَ يريح بدن ركابه
فكأنما المأوى عليه محرمُ

ما كان خائفاً من الموت بل على الحرمات التي ستنتهك بقتله، دم حرام يسفك في الشهر الحرام وفي البيت الحرام، بعد هذا أي حرمة ستراعي الأُمَّة.

رابعاً: وكما أغفل النـاس أهل الكهف سـنين عددا ثم أرسـلوا أحدهم بورقهـم ليأتيهم بالطعام فإن رسـول الحسـين عليه السلام كان رأسـه الذي تقدم النسـاء الشـاكلات في رحلة الأسر والسـبا، من بلدٍ إلى بلد وهو يتلو قولـه تعـالى ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً**﴾ وكأني بالحوراء زينب عليها السلام وقد اخرجت رأسـها مـن المحمل فرأت ذلك الوجه الأزهري:

رأت الــرمــح زيـنــب حــيــن مالا

وعــلــيــه رأس الــحــســيــن تلالا

خــاطــبــتــه مـــذ لاح يــزهــو هلالا

يــا هـــلالاً لــمَّــا اســتــتــم كمالا

غــالــه خــســفــهُ فــأبــدى غروبا

يـشـايـل راس حـامـيـنـه وولينه

ريِّـض بـلـچـن إتـودعـه سكينه

أشـــوف حـســيـن عـــن ونينه

مـــدري تـعـب لـو جـرحـه تخدر

***

ألا يكفي تنازلات؟!

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّـهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(1)

كمقدمة للبحث والتدبـر في مضامين الآية المباركة نحاول التعـرف على فرعين من فروع الدين العشرة المهمة والتي يجب على الإنسان المسلم غير القادر على إستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية أن يقلد مراجع الدين وأئمة المسـلمين في فهـم أحكامها والفروع العشرة هي:

الصلاة، الـزكاة، الصـوم، الحج، الخمُـس، الجهاد، الأمـر بالمعروف والنهي عـن المنكر، التولي لأولياء اللّـه، البراءة من أعداء اللّـه.

والفرعان اللذان ننوي التحدّث عنهما هما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١. المعروف هو ما أوجبه الإسلام كالصلاة والصيام أو ما ندب إليه كالطعام.

٢. المنكر هو ما حرَّمه الاسلام كالزنا والخمر أو كرهه كالذهاب إلى مجالس البطالين. وكلاهما في الواجبـات والمحرمـات واجـب وفي المسـتحبات والمكروهات مسـتحب وهمـا على ٣ مراتب:

أ. إظهار الغضب أو الرضا والأستحسان على الوجه في وجه الاخرين.

ب. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان.

ج. إستخدام اليد.

---

(١) سورة البقرة: ٧٥.

فقد ورد في الحديث «**من شهد منكم منكراً فليغيرّه بيده فإن لم يقدر فبلسانه وإن لم يقدر فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**» .

وقد رتب الفقهاء مراحل العمل على عكس تسلسل الحديث كما ترون، إبتداءً من أضعف الإيمان إلى استخدام العنف وكما يقال آخر العلاج الكي. وقد ورد في فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكثير من الأحاديث منها قوله ﷺ من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة اللّه في الأرض وخليفة رسوله وقول النبي ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام يا علي لئن يهدي اللّه بك رجلاً خيرٌ لك مِمّا تطلُع عليه الشمس وبلفظ آخر - خيرٌ لك من حُمر النعم وبالإضافة إلى ما تقدم يوجب الفقهاء على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون عارفاً بالمعروف عاملاً به وعارفاً بالمنكر منتهياً عنه لا أن يأمر الناس وينسى نفسه وأهله وعياله. وكما يقول الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلاَّ لنفسك كان ذا التعليمُ
لاتنه عن خلقٍ وتاتي مثلهُ
عارٌ عليك اذا فعلتَ عظيمُ

ومن نافلة القول أن نقول بوجوب إستخدام الأسلوب القرآني وطريقة النبي ﷺ وأهل بيته المعصومين في ذلك ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾

أما ما يغيب هذه الأيام عن أساليب بعض الدعاة إلى الحق كما يسمون أنفسهم هو النقاط التالية:

١. ضعف العقيدة إجمالاً وتقديم التنازلات الكبيرة على حساب المبادئ والمعصومين بدعوى المحافظة على الوحدة الاسلامية.
٢. تقديم الأهداف الدنيوية على الغايات الأخروية.
٣. إستعداد البعض لخسارة أهل ملته ودينه ومذهبه وطائفته لكسب الآخرين، بمعنى آخر

يمزّق وحدة طائفته ويزرع الشك والفتنة والضلال بينهم في الوقت الذي يسعى فيه لاستيعاب الآخرين.

٤. الجهل بقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو إننا تعلمنا من الفلاح كيف يزرع ويحصد الثمر، لأثمرت شجرة أمرنا بالمعروف أحسن الثمر.

٥. عدم معرفتهم بمواطن الاستجابة لدى الآخرين والحق الذي خلق الناس أعلم بما يختلج في صدورهم حيث يقول عن لسان حال بعض الناس: ﴿**قَالُوا سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ**﴾. ﴿**لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ وما هذه الآية المباركة التي جعلناها مورد بحثنا لهذه الليلة إلَّا أحد الأدلَّة على ما نقول.

الآية كما ذكر الفيض الكاشاني في تفسير الصافي خطاب لرسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم المبعوث رحمة للعالمين والذي يتمنى ويسعى بكل جدّ لهداية كل الناس، في إحدى المحطات التلفزيونية سأل الجمهور مدير مسابقة عن قاتل عمر بن عبد ودِّ العامري، فرفعت الهاتف مشاركة في البرنامج وقالت أنا اعرف ولكن أكره القاتل ولا أحب ذكر إسمه المفهوم العام للآية يقول لاجدوى من دعوة هؤلاء إلى الايمان والاسلام لأن الكثير من الناس يعرفون ويحرفون ولا يرضخون للدليل العقلي والمنطقي، يا رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم أتطمع وتتوقع ان يؤمن بك ويصدّقك هؤلاء اليهود الذين إمتلأت بهم المدينة المنورة وجوارها، كلا وألف كلا. لأن أسلافهم والعلماء منهم على وجه التخصيص سمعوا كلام اللَّه من أخيك موسى بن عمران عليه السلام وعقلوهُ ومع كل ذلك حرّفوه وجحدوا فضله وفضلك ولم يصدقوا عوامهم القول عن تبشير التوارة والإنجيل والزبور وكل الكتب السماوية ببعثك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فان كان عالم في القوم كذّاب ودّجال ويخفي الحقيقة ويحرّف كلام اللَّه فما بالك بعامة الناس وسفلة القوم، لقد نشأ هؤلاء على الخطأ فلا جدوى من دعوتهم إلى الهدى لعدم وجود الاستعداد لديهم والشاعر يقول:

ومكلف الأيّام عكس طباعها
كالمرتجي في الماءِ جذوة نارِ

ويقول آخر:

والطينة السوداء من خبثها

هيهات تبيّض سجاياها

وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام يا علي «**إن لك شيعة موالين لو قطّعت أناملهم فيك ما إزدادوا فيك إلا حُبّا، وإن لك اعداء مبغضون لو ألعقتهم العسل المصفى ما إزدادوا فيه إلا بغضا. يا علي ما احبك إلا مؤمن وما أبغضك إلا منافق**»، كل ما أوردنا عن طريق العامة في فضل أهل البيت قبلناه ورفضوه وصدقناه وكذبوه وإعترفنا به وأنكروه، لم يبق لهم علينا سبيل فلقد أقمنا عليهم الحجج البالغة والدلائل الصادقة وأبتها نفوس متعصبة ﴿**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ**﴾ ذهب زميل لنا إلى القاهرة وعرض على إحدى المتعرضات له الزواج المؤقت فصرخت بوجهه قائلة أعوذ باللّه «ده يغضب سيدّنا عمر» تغضب اللّه بالزنا ولا تغضب عمر فمتى يمكن أن نتصورها وأمثالها على سبيل الرشاد. لقد ذكر آية اللّه الشيخ محمد مهدي شمس الدين متع اللّه المسلمين بطول بقاءه ومنَّ عليه بالصحة والعافية في مؤتمر الغدير أن الثابت المقدس لدينا يعتبرونه متغيراً سياسياً والمتغير السياسي لدينا يعتبرونه ثابتاً مقدّساً حتى وإن أدى ذلك إلى الحط من مكانه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو إلى إلصاق ما لا يليق بساحة قدسه، الأفضل بنظرنا أن يعمل كُلٌ على شاكلته وإلى اللّه ترجع الأمور، بقي لنا أن نطرح هذا السؤال ونجيب عليه هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟ نعم وهل كان لديهم همَّ اكبر من ذلك؟

نعم روى أبو مخنف ان الإمام الحسين عليه السلام عندما قرر الخروج من المدينة المنورة ذهب إلى قبر جدِّه وصلى ركعات فلما فرغ من صلاته جعل يقول «اللّهم هذا قبرُ نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنا ابن بنت نبيِّك وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللّهم إني أُحب المعروف وأُنكر المنكر وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق القبر ومن فيه إلّا إخترت لي ما هو لك رضاً ولرسولك ثم جعل يبكي عند القبر حتى إذا كان قريباً من الصبح أغفى فاذا هو برسول

اللّـه ﷺ في كتيبة من الملائكة وضم الحسين إلى صدره وهو يقول يا حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مرمّلاً بدماءك مذبوحاً بأرض كرب وبلاء بين عصابة من أمتي وأنت مع ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تروى وهم مع ذلك يرجون شفاعتي يوم القيامة لا أنالهم اللّـه شفاعتي، حبيبي يا حسين ان أباك وأمك وأخاك قدموا عليَّ وهم مشتاقون إليك وإن لك في الجنان درجات لن تنالها إلا بالشهادة فإشتدَّ تعلق الإمام الحسين عليه السلام بجدّه وكاني به أخذ ينادي

ضمني عندك ياجداه في هذا الضريح

علنيّ ياجّد من بلوى زماني أستريح

ضاق بي ياجد من فرط الاسى كلٌ فسيح

فعسى طود الأسى يندك بين الدكتين

وكان من جملة من ترك الحسين عليه السلام بالمدينة طفلة له إسمها فاطمة وكانت في حالة صحية لا تسمح لها بالسفر فوَّدعها الحسين عليه السلام والدموع بينهما تترجم مشاعرهما، تتوسل به وهو يصبّرها وكاني بها نادت بلسان الحال:

خذوني معاكم أسرج الخيل

وأفرش أفراش النوم بالليل

على إفراكَكم ما تم الي حيل

***

يبويه حسين وياكم إخذوني   وحيدي إبها لوطن لا تخلوني

عكَبكم ياهلي يعمن إعيوني   عليله والجسم ينلظم بالسمَّ

***

ناداها الحسين ودمعته إتسيل   يبعد أهلي سفرنه إبعيد وإطويل

يبويه إنـتـي عليله وجسمج نحيل   وعــلى مـثـلـج يـبـويـه الـسـفـر يحرم

***

تگله إشـلـون أتـم بـالـدار وحدي   عليكم مـگـدر أصـبر وحـق جّدي

يـبـويـه عـاد خـلي الـطـفـل عندي   يـسـلّـيـنـي إمـن أشـوفـنـه إيتبّسم

***

لله أقـــمار أفـــلـن بكربلا   ولهـا بـيـثـرب والمـحـصـب مطلع

***

الخوف في حياة الأنبياء

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1]

بداية يطيب لي أن أتحدَّث قليلاً عن الخوف ذلك الشعور الطبيعي الذي ينتاب كل المخلوقات في حالات معينه وعند التعرض لأمر مفاجئ وغير متوقع وللخوف معاني غير الفزع، فمعنى الخوف في قوله تعالى **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ﴾** هو القتل والقتال، ومعنى الخوف في قوله تعالى **﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ﴾** هو العلم، والخوف أديمٌ موَّشى بشذور تلبسه الجواري والخوَّاف طائر أسود شديد الحذر والخافة خريطة من أدم والخوف تارة محمود وتارة مذموم، وترانا نعاني من تمييز البعض بينهما فهو يرى الخوف من الجبن وهو عارٌ على الرجال.

وقد إمتلأت كتب الحديث وتواترت الأخبار في فضل الخوف من اللّه والخوف الذي هو الحرص على القيم والمبادئ والمقدسات وخوف الأب على عياله وخوف الأم على اولادها وخوف الأبناء من آباءهم وأُمهاّتهم هذا الذي افتقدناه هذه الأيام، لا نريد لأولادنا أن يهابونا ولكن على الأقل أن يعتبرونا أصدقاء لهم لا أعداء.

فعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**رأسُ الحكمة مخافة اللّه**» و «**أعلم الناس أشدّهم خشية منه**» وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من خشَي اللّه كمُل عقله**» وعنه «**الخوف من اللّه في الدنيا يؤمن الخوف في الآخرة**»، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال «**من خاف اللّه أخاف اللّه منه كل شيء، ومن لم يخف اللّه أخافه اللّه من كل شيء**» وعن الإمام الكاظم راهب بني

(١) سورة القصص: ٢١.

هاشم قال في معنى قول اللّـه تعالى لموسى عليه السلام ﴿**فاخلع نعليك**﴾ يعني إخلع خوفيك على عيالك وهي تلد ومن فرعون عدّوه.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «**إن الأنبياء خصوا بثلاث خصال السقم في الأبدان وخوف السلطان والغضب**».

ويؤكد الإمام الصادق عليه السلام «**إنه ما كان شيءٌ أحبّ إلى رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم من أن يظل جائعاً خائفاً**» وكانت هذه هي حالة نبي اللّـه موسى عليه السلام عند خروجه من مصر.

كما تقرر الآية الكريمة التي جعلناها مفتاحاً لحديث هذه الليلة.

أما مراتب الخوف وأنواعه فهي خمسة: الخوف ثم الخشية ثم الوَجَل ثم الرهبة ثم الهيبة. فالخوف للعاصين والخشية للعالمين والوجل للمخبتين والهيبة للعارفين وكتاب اللّـه خير دليل حيث يقول ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾بالنسبة للعاصين، ويقول ﴿...**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّـهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء..**﴾بالنسبة للعلماء، ويقول: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّـهُ وَجِلَتْ...**﴾بالنسبة للمخبتين، ويقول ﴿... **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّـهُ نَفْسَهُ**﴾ بالنسبة للعارفين.

بعد هذه المقدمة لندخل رحاب الآية الكريمة التي تتحدث عن حالة نبي اللّـه موسى بن عمران عليه السلام وإستغاثته باللّـه الواحد القهار.

قال المفسرون إن أكثر الانبياء حكاية في كتاب اللّـه العزيز كان موسى عليه السلام بعد أن بلغ سن الرشد في قصر فرعون ضاق موسى عليه السلام ذرعاً بكفر فرعون كما ضاق فرعون ذرعاً بلغة التوحيد عند موسى عليه السلام فهرب موسى عليه السلام من قصر فرعون فاراً بدينه ومهاجراً إلى اللّـه، دخل إحدى مدن مصر المليئة بالأقباط وبشرذمة ضعيفة من بني إسرائيل تنتظر بفارغ الصبر ظهور موسى عليه السلام لينقذها من فرعون وظلمه وجبروته حيث كان يقتل رجالهم ويستحيي نساءهم، فهرعوا إلى شيخ كبير منهم عنده علم فقالوا له حتى متى نحن في هذا البلاء قال واللّـه لا تزالون فيه حتى يجيء اللّـه بغلام من ولد لاوي بن يعقوب إسمه موسى بن عمران وهو غلام طويل القامة جعد الشعر فبينما هو يصفه لهم إذا أقبل موسى يسير على

بغلة حتى وقف عليهم فرفع الشيخ رأسه فعرفه من أوصافه فقال له ما إسمك قال موسى بن عمران عليه السلام فوثب إليه وأخذ يده فقبَّلها فوقع الباقي على رجليه يقبلها وصاروا شيعة لموسى عليه السلام، وذات يوم إستخدم أحد الأقباط الذين يعملون في قصر فرعون رجلاً من بني إسرائيل لحمل حطب له إلى القصر فاختلفنا وتشاجرا فاستنصر الإسرائيلي بموسى عليه السلام فوقف موسى بينهما لأن النزاع والتخاصم والمشاجرة بعقيدته عمل شيطاني، وضع يده في صدر القبطي ودفعه وإذا بالقبطي يسقط ميتاً وهنا وقعت الواقعة وأصبح موسى عليه السلام في وضع لا يحسد عليه فهرب وهو خائف يتلفت ويستغيث باللَّه طالباً منه النجاة من القوم الظالمين وأن لا ينكشف أمره قبل أن يخرج من قبضة فرعون وجنوده الذين أصبحوا وهم يفتشون عن موسى عليه السلام ومعهم الأمر بقتله، مكنَّ اللَّه موسى من الفرار والخروج من مصر كلها ولكن دون ظهر ولا دابة ولا خادم ولا طعام تخفضه الأرض مرة وترفعه أخرى حتى إنتهى إلى أرض مدين وهي قرية نبي اللَّه شعيب عليه السلام وتقع بين بلاد الشام والجزيرة، فجلس تحت شجرة وإذا تحتها بئر يستقي منها الناس لنفسهم ولأغنامهم وقصة لقائه ببنات شعيب عليه السلام وسقيه لهن وذهابه إلى دار شعيب عليه السلام وزواجه من إحدى بنات شعيب عليه السلام وبقاءه عشر سنوات في خدمته حسب شروط العقد بينهما معروفة وموصوفة في كل كتب التفسير والسيرة.

في خلاصة البحث نقول رب سائل ما الذي نبغيه من إستعراض هذا الفاصل من سيرة نبي اللَّه وكليمه موسى بن عمران عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فنجيب أننا وخلال إستعراضنا لسيرة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام لاحظنا أنه كان يكثر من ذكر بعض الآيات القرآنية دون غيرها أثناء حركته المباركة وكأنه كان بذلك يلفت انظارنا إلى الترابط الوثيق بين نهضته ونهضة الأنبياء صلوات اللَّه عليهم أجمعين وانه وارثهم والقائم بأدوارٍ عظيمة هي إمتدادٌ لجهادهم العظيم وتذكير للناس بانه فرع من هذه الشجرة المباركة وحركته حركة إلهية في جذورها إنسانية في أهدافها إننا نحاول توضيح هذه الحقائق لأن

بعض طلاب الدنيا أصبحوا ومن هذه المنابر المقدسة يسيئون إلى حركة الامام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بتحليلاتهم التي يقولون عنها منطقية وهي أبعد ما تكون عن منطق الإيمان وأقرب ما تكون من وساوس الشيطان، نعم لقد سمعت أحدهم بهاتين وإلّا صمنّا يقول عندما يستمع لسيرة خروج الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ من المدينة المنورة ثم من حرم اللّه الآمن إلى العراق وكان الخطيب ينشد قول الشاعر:

خرج الحسين من المدينة خائفاً
كخروج موسى خائفاً يتكتمُ
وقد إنجلى عن مكةٍ وهو إبنها
وبه تشرَّفتِ الحطيمُ وزمزمُ
لم يدرِ أين يريح بُدنَ ركابه
فكأنما المأوى عليه محرمُ

فصرخ بصوت أجش هذا (غير صحيح فالحسين لا يخاف)، نقول له نعم إن الإمام لا يخاف على نفسه من القتل الذي ينتظره في كربلاء فلقد سار إليه برجله ولكنه يخاف على دينه ومعالم دينه ويخاف على حرمة البيت الحرام وحرم سيد الأنام نعم خرج خائفاً وهو يُردد قوله تعالى ﴿**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾، خرج من المدينة ليلة الأحد الثامن والعشرين من شهر رجب وفي طريقه إلى مكة إقترحوا عليه السير على غير الجادة فأبى وأخذ يرتجز ويقول:

يا نكبات الدهر دولي دولي
وإقصري إن شئت أو أطيلي
رميتني رمية لامقيلِ
بكل خطب فادح جليلِ

أول ما رزيت بالرســـــــولِ

وبـــعـــد بـــالـــطـــاهـــرة البتولِ

والـــوالـــد الـــبـــرّ بـــنـــا الوصول

وبـــالـــشـــقـــيـــق الـــحـــســـن النبيلِ

والـــبـــيـــت ذي الـــتـــنـــزيـــل والتأويل

مـــالـــك عـــنـــي الـــيـــوم مـــن عدولِ

وحـــســـبـــي الـــرحـــمـــن مـــن منيل

قالت سيدتنا سُكينة بنت الحسين عليها السلام خرجنا من المدينة وما أهل بيت أشُّد غَّماً ولا خوفاً من أهل بيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم. سيدتي تخافين بوجود الحماة فكيف أنِت يوم عاشوراء والحماة صرعى على رمال كربلا وقد شخبت أوداجهم وفصلت رؤوسهم عن أبدانهم.

وكأني بزينب تنادي:

لا والــــدٌ لي ولاعــــمٌ ألــــوذُ بهِ ولا أخٌ لي بقـي أرجـــوه ذو رحمِ

أخـي ذبـيـح ورَحــلي قـد أُبـيـح وبي ضـاق الفسيح وأطـفـالي بـغـير حَمي

***

بگيت إمحـــيرّه وأصــفـج بالأيدين لا عـــبـــاس يـــبـــرالي ولا حسين

يـضربـوني مــن أبـچـي وتـدمـع العين وتـبـقـى عــبـرتي يـصــدري إتكسَّر

***

آثار الرواسب الفكرية

﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(١)

السمع هذا الجهاز العظيم والموهبة الربانية حاسة مهمة ومدخل واسع من المداخل التي يدخل منها الكلام إلى أعماقنا، فأما أن نسمع ونعي ما نسمع فنطيع الأوامر ونرتدع عن النواهي، وإما أن لا نسمع ولا نعي ما يقال، وقناة السمع هي الأذن وخير الآذان أوعاها يقول جل من قائل **﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١٢]** والطاعة والعصيان نتيجتان حتميتان للسمع وردة فعل أكيدة له،

وكما إن لطهارة ونقاء القوارير التي تجري فيها التحاليل والإختبارات الكيماوية مدخلية في النتائج فإن طهارة القنوات البشرية والمصّبات لها أكبر الأثر على ردود الفعل الصادرة عنها

الآية موضوع البحث تتحدث عن بني إسرائيل كما هو واضح من ظاهرها وإن دلَّ الباطن على أمر آخر بعد اللتيا والتي وبعد أن أخذ عليهم الكليم موسى عليه السلام أغلط العهود و المواثيق بالإيمان الصادق باللّـه الواحد الأحد، وبعد كل الذي شاهدوه بالأعيان من معاجز وكرامات وآيات باهرات بمجرد أن غاب عنهم النبيّ وأوكل أمرهم إلى أخيه ووصِّيه ووزيره هارون عليه السلام وإذا بهم يستضعفون الوصي كما إستضعفوا أمير المؤمنين عليه السلام في سقيفة بني ساعدة وأخرجوا دفائن أحقادهم وأظهروا حقيقة عقائدهم **﴿فلا صدَّق ولا صلَّى ولكن كذَّب وتوَّلى﴾**

(١) سورة البقرة: ٩٣.

أرضية النفوس قابلة ومستعدة لسماع رأي السامري الذي كان من قبل يعبد الأصنام ولم يتمكن رغم جهود نبي اللّـه موسى عليه السلام المضنية أن يتخلص من رواسبه العقائدية فوجد في غياب موسى عليه السلام عن قومه الفرصة سانحة لإثارة الحمية الجاهلية في نفوس بني إسرائيل فجمع منهم ما معهم من نذور وهدايا وصاغ لهم تمثالاً على شكل عجل وكان معه أثر من آثار موضع قدم جبرئيل عليه السلام وقيل غير ذلك وأصبح للتمثال صرير و صوت كصوت خوار الثور، أظهر الناس إنبهارهم بالأمر وبأسرع من البرق كفروا بربّ العالمين واتخذوا العجل إلهاً يعبدونه من دون اللّـه، وهنا عاد موسى عليه السلام ليرى إن القوم قد إنقلبوا على الأعقاب وكما يقولون: (عادت حليمة إلى عادتها القديمة) فوقف بنهم يذّكرهم بالعهود والمواثيق التي لم يمض عليها زمن حتى نقول بالتقادم، ياللّـه ما أصعب البناء وما أسهل الهدم، لبناء دار متواضعة نحتاج إلى مال كثير وجهود أيام وليالي أما الهدم فلا يحتاج إلا إلى ثوان وعبوة أو جرافة وبناء الانسان والمجتمع أصعب بكثير من بناء الجدران فلو أنك القمت كمبيوترك الشخصي برامج عدة تراها مهمة وجاء أحد أفراد الاسرة وضغط زراً في الكمبيوتر حتى ولو دون قصد ومحى ما خزنته في الذاكرة، تنزعج أم لا ؟؟ نعم تنزعج لأنك خسرت جهود أيام وليالي مضنية.

وهذا هو شعور كل نبي أووصي أو مصلح عندما يعمل أيام وسنين في زرع ثقافة الهية في المجتمع وقبل أن يستحكم هذا الوعي التربوي في النفوس يرى بـأُم عينيه وبأسرع من لمح البصر إنقلاب الناس ونشوء قناعات أُخرى لديهم بمجرد سماعهم لصوت شيطاني.

عجيب امرنا نحن البشر، إذا دعانا الأنبياء إلى حضارة الجنة ومجاناً قمنا متثاقلين نناقشهم نحاججهم نمن عليهم إسلامنا وإذا دعانا جنود الشيطان إلى حضارة النار والخسران المبين تهافتنا عليهم ودفعنا أبهض الأثمان.

قال لهم موسى عليه السلام أما سمعتم أقوالي عن اللّـه وعقدتم المواثيق والايمان المغلظة على أن لا إله الا اللّـه وأني رسول اللّـه، قالوا سمعنا ولكن عصينا لقد عرض علينا السامري أمراً

مادياً ملموساً هاهو العجل يخور وأنت تحدثنا بالغيب، قلوبنا أصبحت بأمر العجل.

قال لهم عليه السلام لا توراتنا ولا العقل ولا المنطق يأمركم بهذا

لقد بدأت مشكلتهم من السمع، كلما قال السامري لهم صدّقوه دون أن يعرضوه على العقل.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام «**إعقلوا الخبر إن سمعتموه عقل رعايةٍ لا عقل رواية فإن الرعاة قليل والرواة كثير**».

إحترموا هذه القناة ولا تلوثوها فإن التلوث أخطاره كبيرة نعم لاحظوا آداب الاسلام لقد سنَّ لنا رسول صلى الله عليه وآله وسلم أن نؤذن في أُذن المولود ساعة ولادته، نؤذن في اليمنى ونقيم في اليسرى لكي يكون ذكر اللّـه أول ما يقرع سمعه ويترّسخ في ضميره.

أما نحن فبحمد اللّـه وبجهود إعلامنا فنصبح على غناء ونقيل على غناء ونمسي على غناء وننام على غناء، لا حظوا الإنفاق على هذه الملاهي واللّـه لو يصرف نصفه على الزراعة أو الصناعة أو التجارة لا يبقى فقير في العالم، لاحظوا المساحة الإعلامية التي يشغلها المطربون والمطربات والمائعون والمائعات.

لقد ملؤوا آذاننا وقلوبنا بالغناء وكلام الشيطان ولم يتركوا مجالاً لكلام الرحمن، إن الأمر خطير جداً، إنه يؤثر حتى على المؤمنين فلقد بدأ البعض منهم لا يوَّد سماع الكلام الرحماني إلا بلحن وموسيقى فالقرآن يغنى والمديح يغنى والرثاء يغنى والدعاء يغنى.

هكذا كما ملأ الأُمويون أسماع الناس بقول الزور بالترغيب تارة والترهيب أُخرى.

تشبّهوا باليهود وعطلوا الحدود وتجاهروا بالمعاصي وملاعبة القرود حتى إختلطت الأوراق على الأُمة فقلوب الناس مع الحسين عليه السلام لأنه نداء الفطرة وسيوفهم عليه.

لقد سمع الناسُ كلام الامام الحسين عليه السلام لكن آثار التلوث منعتهم من اتخاذ القرار الصحيح ساعة الصفر.

وقف بين القوم يوم عاشورا موقف موسى عليه السلام بين بني إسرائيل وأخذ يناشدهم

اللَّـه الرجوع إلى منطق الشرع والعقل وهم مصممون عـلى ارتكاب جريمتهم ومصرون على الوقوف مع الباطل ضد الحـق لأنهم أشربوا في قلوبهم حب العجل وطاعة السـمري فإرتدى عباءة جدَّه وتقلَّد سـيفه ولبس عمامته وركب بغلته وخرج إليهم مناديا يا شـيعة آل أبي سفيان أنشدكم باللَّـه هل تعرفونني؟؟

قالوا نعم أنت ابن رسول اللَّـه وسبطه. قال أنشدكم اللَّـه هل تعلمون.

أن جدّي رسولُ اللَّـه؟ قالوا اللَّـهم نعم. قال أنشدكم اللَّـه هل تعلمون.

أن أبي علي بن أبي طالب؟ قالوا اللَّـهم نعم؛ قال أنشدكم اللَّـه هل تعلمون.

أن أُمي فاطمة الزهراء؟ قالوا اللَّـهم نعم؛ قال أنشدكم اللَّـه هل تعلمون

أن جدتي خديجة بنت خويلد أول نساء هذه الأُمَّة إسلاما؟ قالوا اللَّـهم نعم.

قال هل تعلمون أن حمزة سيد الشهداء عمّ أبي؟ قالوا اللَّـهم نعم

قال هل تعلمون أن جعفر الطيار في الجنة عمِّي؟؟ قالوا اللَّـهم نعم

قال هل تعلمون أن هذا سيف رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله وسلم أنا متقلدة؟ قالوا اللَّـهم نعم.

قال هل تعلمون أن هذه عمامة رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله وسلم أنا لابسها؟؟ قالوا اللَّـهم نعم.

قال أنشـدكم اللَّـه هل تعلمون أن علياً كان أول القوم إسـلاماً وأعلمهم علماً وأعظمهم حلماً وأنه ولي كل مؤمن ومؤمنة؟ قالوا اللَّـهم نعم؟

قال فبم تستحلون دمي أخبروني أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟

أو مالٍ إستهلكته؟ أو بقصاص من جراحة؟ فغدوا لا يكلمونه.

لـم أنسـه إذ قـام فـيـهم خاطباً
وإذا هُـمُ لا يملكون خطابا
يـدعـو ألـسـتُ أنـا إبـنُ بـنـتِ نبيِّكُم
ومـلاذكُـمُ إن صَـرفُ دهـرٍ نابا

هــل جئــتُ فــي ديـــنِ الـنَـبــيِّ ببدعةٍ

أم كــنُــت فـــي أحــكــامــهِ مُرتابا

أو لــم يــوَّصــي بـنـا الـنـبـيُّ وأودعَ

الـثـقـلـيـن فـيـكـم عــتــرةً وكتابا

فــغــدوا حــيـــارى لايرون لوعظه

إلاالأسنة والـــســهــام جوابا

حــتــى إذا أســفــت عــلــوجُ أُميَّةٍ

أن لاتـــرى قـلـب الـنـبـي مصابا

صـلَّـت على جسم الحسين سيوفهم

فـغـدى لـسـاجـدة الـظـبـا محرابا

ظــمــآن ذاب فــــؤاده مـــن غُلَّةٍ

لـــو مـسَّــت الـصـخـر الأصـــم لذابا

لـهـفـي لـجـسـمـك فـــي الصعيد

مـجـرَّداً عـريـان تكسوه الـدمـاء ثيابا

لـهـفـي لــرأســك فـــوق مسلوب

الـقـنـا يـكـسـوه مـن أنـــواره جلبابا

يـــا شـيـــال راس حـســيـن گَصِّر

تـــره گـلـبـي عـلـى حـالــه تفطَّر

يـشـايـل راس حـامـيـنـه أو ولينه

ريِّـــض خـلّـي إتـــودعـــه اسكينه

أشـــوف حـسـيـن سـاجـت عـن ونينه

گـلـي تـعـب يـو جـرحـه تخدَّر

***

يـــا شّـــيـــال رأســــه لاتلوحه

وهـبّـط عـن بـقـايـا الــروس رمحه

أخـــاف يـفـوت ريــح الـهـوى بجرحه

وصـــوابــه عـلـيـه يـــگَــوم يسعر

***

يـــا شّـــيـــال راس حـــســيــن دنه

يــــردن خـــواتـــه إيودعنه

ويـــحـــفـــرن گـــبـــر وإيوّسدنه

ويـنـصـبـن عـلـى الـمـذبـوح حنَّه

المدد الإلهي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[1].

هذه الآية من سورة آل عمران تحكي لنا كما ذكر المفسرون والمؤرخون قصةً مثيرة من قصص الجهاد النبوي وثباته وثبات الخيرة من أصحابه الذين بذلوا الأرواح رخيصة في سبيل نصرة الحق والعدالة.

قال الزمخشري في الكشاف والطباطبائي في الميزان عن موسى بن عقبة في مغازيه والبيهقي في الدلائل عن إبن شهاب قال إن رسول الله ﷺ إستفز أصحابه لقتال أبي سفيان وعساكره في بدر، وقيل حمراء الأسد أو بئر أبي عتبة.

وذلك بعد أن فشلت جيوش أبي سفيان في أُحد من قتل النبي ﷺ فتوعد أبو سفيان النبي ﷺ في بدر في العام القابل، فخرج أبو سفيان وفي قلبه الخوف من لقاء رسول الله ﷺ، فلقيه نعيم الأشجعي معتمراً فتحادثا معاً فقال أبو سفيان يا نعيم أني واعدت محمداً أن ألقاه في موسم بدر وإن هذا العام عام جدب لا يصلح فيه القتال، ثم وعده بعشرة من الإبل إن ثبط أصحاب رسول الله ﷺ عن القتال وأدخل في قلوبهم الرعب. فدخل نعيم بن مسعود الأشجعي المدينة وأصحاب النبي فيها يتأهبون لحرب أبي سفيان، فقال نعيم ومن آزره للنبي وأصحابه أن الجيوش المعدة لحربكم لا قبل لكم بها من حيث العدة أو العدد فلو

(١) سورة آل عمران: آية ١٧٣..

عدلتم عن الخروج لقتال أبي سفيان، فراقت الفكرة بعض الأصحاب وانتظر الأحرار منهم رأي النبي ﷺ لأن الصحابي الجليل كالجندي المطيع له ثقة عالية برئيسه ورأيه من رأيه. فقال النبي روحي فداه: والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي فخرج معه سبعين من خيرة الأصحاب وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وهي الكلمة التي رددها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار فصارت عليه برداً وسلاماً عندما تتأمل هذه الحادثة ملياً تستخلص منها الكثير من الدروس والعبر التي نحتاجها اليوم.

الفائدة الأولى: من خلال الآية الكريمة ظهر لنا بأن الناس ثلاثة أصناف، صنف يؤمن بالله ورسوله كل الإيمان ويعتمد على الله في كل الأحوال لوثوقه بأن الله أقرب إليه من حبل الوريد والصنف الثاني على نقيض هذا يتسبب بالأسباب المادية ويعتمد كل الاعتماد على حوله وقوته ولا يعتقد بالله ورسوله.

والصنف الثالث المتأرجح بين المعسكرين كنعيم بن مسعود الأشجعي والذين إستجابوا لنداءات التثبيط من أصحاب الرسول ﷺ هؤلاء الذي يعرفون أن الصلاة خلف علي أتم واللقمة عند معاوية أدسم والوقوف على التل أسلم.

الفائدة الثانية: لو إستفدنا من الفائدة الأولى وحاولنا تطبيق هذا المعنى على نزول المطر على الأرض نجد بأن الأرض الطيبة التي تحتضن بذار الخير ستهتز وتربوا وتنبت من كل الثمرات النافعة وهذا النموذج هو ما مصداقه في الآية الكريمة رسول الله ﷺ والذين خرجوا معه، أما النموذج الثاني فمثله الأرض غير المستعدة لأنبات الخير، فيصبح المطر فيها سبباً للأذى بتشكل الأوحال.

والنموذج الثالث هو كالأرض التي تشرب ماء المطر دون أن يكون فيها بذرة حب أو خير، ويصدق حينها قول الشاعر:

ما زاد حنون في الإسلام خردلة

ولا النصارى لهم شغل بحنون

الفائدة الثالثة: موضـوع التفكير بعواقب الأمـور هذه الموهبة العظيمـة التي تعمل عمل الحصن الواقي للمؤمن، فحين يقدم على عملٍ ما يفكر أولاً بعواقبه ونتائجه فإن كانت أرباحه المادية والمعنوية ٥١٪ قام به وإلا فلا.

إن غالبية الذين دخلوا التاريخ من البوابة الخلفية سـقطوا ضحية عدم التفكير بالعواقب إضافة إلى حساب المردود المادي والآني فقط.

بينما الأنبياء والأوصياء والأئمة الأطهار الذين عصمهم الله من الخطل والزلل وطهرهم من الرجس والدنس كانوا دوماً أولاً على ثقة مطلقة بوعود الله وعهوده.

وثانياً يفكرون دوماً بعواقب الأمور. وكم آية صريحة تقول العاقبة للمتقين.

من هنا ننطلق إلى مكـة والمدينة لنقف على موقف الإمام الحسـين عليه السلام من ناصحيه من الرجال والنساء لنرى ونؤكد بعد الرؤية الثاقبة أن الإمام الحسين عليه السلام تختلف طريقة تفكيره عن الآخريـن، ولو أنـا جردنا الحسـين عليه السلام مـن كل خصائصـه وفضائله ولم نعتبره سـوى رجلٍ مؤمن من أمة محمـد صلى الله عليه وآله وسلم، وأخذنا بنظر الاعتبار حديث المصطفـى الذي يقول: «إتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى أو ينظر بعين الله أو بنور الله» لا فرق بالنتائج فإنه يتضح لنا بأن الإمام الحسـين عليه السلام ببصيرته الثاقبة وفراسـته وإيمانه بالله وثقته وحسـابه لعواقب الأمور ومن كل الجهات إختار طريق الشهادة الذي إختاره الله له وباركه الرسول وجبرئيل وأهل البيت جميعاً وهو أفضل الطرق وأنفعها للدين والأمة وحتى للحسين عليه السلام نفسه ولا ينفعنا بشيء دوافع الناصحين للحسـين عليه السلام بقـدر ما يهمنا ذكرهـم وتقرير مسـألة مهمة هـي إجماعهم على أن الحسين سيستشـهد في العراق وهذا ما ذهب منذ فترة وجيزة بعض الفضلاء إلى إنكاره بشكل غير منطقي وفيه ما فيه من حمل الأمور على ما لا تحتمل.

فمن النسـاء اللاتي إعترضن سبيل الحسين عليه السلام أم المؤمنين أم سـلمة رضوان الله عليها وأم هانيء عمة الإمام، ومن الرجال أولاً أخوه محمد بن الحنفيـة (رضي الله عنه) وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعمر بن عبد الرحمن المخزومي والفرزدق الشاعر وعمر بن لوذان

والحر بن يزيد الرياحي وثلاثة نفر من بني أسد وعبد الله بن مطيع العدوي وجابر بن عبد الله الأنصاري الجميع حذر الحسين عليه السلام من الرحيل إلى العراق لأنه سيقتل فما كان جوابه لهم وهو المتوكل على الله والمطيع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يقضي الله ما أحب

وقال: يا عبد الله ليس يخفى عليَّ الرأي ولكن الله تعالى لا يُغلب على أمره، والله لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي. وقال لمحمد بن الحنفية أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعني في المنام بعد ما فارقتك فقال يا حسين أخرج فإن الله شاء أن يراك قتيلا

فقال له إبن الحنيفة فما معنى حملك هؤلاء النسوة وأنت تخرج على مثل هذا الحال.

فقال: قد قال لي إن الله قد شاء أن يراهن سبايا.

وقال لعمرة بنت عبد الرحمن التي قالت له أن عائشة حدثتني أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يقتل حسين بأرض بابل.

قال لها: لا بدلي إذاً من مصرعي

وقال لأم سلمة (رضي الله عنها) بعد أن عرضت عليه القارورة التي حفظت فيها تراب كربلاء بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

يا أماه والله إني مقتول كذلك وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوني أيضاً، وأما عمته أم هاني لما سمعت نياحة بنات بني عبد المطلب وهن يقلن لمن نستبقي النياحة والبكاء بعد هذا اليوم وهو عندنا كيومٍ مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن عليهم السلام دخلت عليه تودعه والعبرات تغالبها

قال: أما هذه عمتي أم هاني قيل نعم

قال: عمه ما الذي جاء بك وأنت على هذه الحالة.

قالت: وكيف لا آتي وقد بلغني أن كفيل الأرامل واليتامى ذاهب عني وأجهشت بالبكاء ثم قالت سيدي سمعت هاتفاً البارحة أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول:

وإن قـتـيـل الـطـف مـن آل هاشم

أذل رقـابـاً مـن قـريـش فذلت

حـبـيـب رسـول الله لم يـك فاحشاً

أبـانـت مصيبته الأنـوف وخلت

فقال لها الحسين روحي فداه عمة لا تقولي من قريش ولكن قولي:

أذل رقـاب المـسـلـمـين فذلت

عـمـه يـعـمـه لازم إنروح

لـلـغـاضـريـة ونـبـذل الروح

ولازم تـشـوفـي حـسـين مذبوح

ونـعـشـه عـلـى الـتـربـان مطروح

إيـحـگـلـچ يـعـمـه الـبـچـه والنوح

لـولـيـد أخـوچ الـدمـه مسفوح

الشجرة الملعونة

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنّ رَبّكَ أَحَاطَ بِالنّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرّؤيَا الّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاّ فِتْنَةً لّلنّاسِ وَالشّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاّ طُغْيَاناً كَبِيراً﴾[1].

في الآية الكريم أكثر من محور يمكن تفصيل الحديث عنه فأول الآية حديث عن إحاطة الباري جل وعلا بما يعتلج في صدور الناس وكل ما سيصدر عن المشركين فهو تحت السيطرة وضمن المشيئة الإلهية، وقيل معناه الإحاطة بمكة وأهلها وأن الله لا يخلف لك في وعده بفتحها فاصدع يأمرك ووصال التبليغ يا محمد فإنك منصور على كل حال.

المحور الثاني هو موضوع الرؤيا التي أراها الله لنبيه والتي أصبحت فتنة للناس وقد جاءت فيها عدة أقوال:

١. المراد بالرؤيا رؤية العين في اليقظة لمشاهدة الإسراء والمعراج وبما أن الأمر تم ليلاً فعبر عنها القرآن بالرؤيا، وقد انقسمت الأمة إلى قسمين حيال هذه المعجزة فقسم صدق رسول الله ﷺ هو يأمل الثواب والآخر كذبه فهو ينتظر العقاب وهكذا أصبح الأمر فتنة.

٢. إن النبي ﷺ رأى في المنام أنه سيدخل مكة فاتحاً فقصدها فصده المشركون في

(١) سورة الإسراء : آية ٦٠.

الحديبية، فشك بعض الناس وأشكلوا على رسـول الله ﷺ، فقال لهم رسول الله ﷺ هل قلت لكم بأننا سـندخلها هذا العام؟ قالـوا: لا، فدخلها في العـام القابل فنزل فيها قول الله ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾[1].

٣. قيـل أن النبـي ﷺ رأى في منامه كأن قـروداً تنزو عـلى منبره فساءه ذلك ولم يشاهد ضاحكاً بعد ذلك حتى مات.

٤. وهو المروي عن الصادقين عليهم السلام، قالوا على التأويل أن الشجرة الملعونة في القرآن هي بنو أمية حيث أخبره الله جل وعلا باسـتحواذهم على السـلطة وقتلهم ذرية رسول الله ﷺ.

٥. وقيل أن الشـجرة الملعونة هـم اليهود وقيل هي شـجرة الزقوم، وهـذا مما دفع المشركين إلى الإشـكال حيث قال أبـو جهل أيها النـاس إن محمد يوعدكم بنـار وقودها الناس والحجارة ثم يزعم أنه تنبت فيها شجرة الزقوم فكيف يكون ذاك؟

أما المحـور الأخير الذي تتحدث عنه الآيـة الكريمة فهو ردة الفعل العكسـية التي تصدر عن أعداء الدين فبدل أن يخافوا ربهم ويثوبوا إلى رشـدهم نراهم يزدادوا طغياناً وتأخذهم العـزة بالأثـم، ولعل هـذه الصـورة الواضحة عـن توقعـات الإرادة الإلهية للسـلوك البشري تكون مرشـداً لدعاة الوحدة الإسلامية لكي لا يوسـعوا رقعة آمالهم الوردية في هداية الآخرين، جميـلٌ أن نطمح لذلك، وأجمل من ذلـك أن يكون طموحنا واقعيـاً ومعقولاً ويرتكز عـلى النهج القـرآني. لقد حدثنـا القرآن الكريم عن شـجرتين متقابلتين لا غير وهما:

١. شجرة مباركة زيتونة

---

(١) سورة الفتح: آية ٢٧.

٢. شجرة خبيثة ملعونة

وليس بوسـع الجاهد والمعاند مهما حـاول أن يتجاهـل أ ويتغافـل أو ينكر الصراع بينهما أن يبلغ مبتغاه لأن الشواهد التاريخية تكذبه، ولإثبات هذه الدعوى راجع التفسير الكبيرة للفخر الرازي الجزء السابع صفحة ٣٦١ في تعريف الشجرة الملعونة في القرآن.

فبعد أن يروي عن سعيد بن المسيب رؤيا رسول الله ﷺ بني أمية ينزون على منبره نزو القردة ويؤيـده برأي ابن عباس، يعود إلا التشـكيك في ذلك لأنه يرى بأن الشـفرة طالت ذقن أسـياده من بني أمية، فتارة يقول أن اللعن يخص الكفـار الذي يأكلون منها وأن العرب تقـول لكل طعام ضار ومكروه «ملعون» فهو شـجرة الزقـوم، وتارةً يقول أنها اليهود لقوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[1]. وحين يضطر إلى ذكر رأي ابن عباس وهو حبر الأمة كما يشـهدون فيقول إن الشـجرة الملعونة بنو أمية ثم يضيف والإضافة من الفخر الرازي «يعني الحكم بن أبي العاص»، ويؤكد أن النبي ﷺ رأى في المنام أن ولد مروان يتداولون منبره فقص رؤياه على أبي بكـر وعمر وقد خلا في بيته بهما، فلما تفرقوا سـمع النبي الحكم بخير بذلك فاتهم النبي عمراً بإفشاء سره، ولنا معكم هنا وقفة تأمل واعية بعد أن عرفتم الشجرة الخبيثة الملعونة والشـجرة المباركة الزيتونة، كيف يمكن أن نعقد مصالحة بـين النقيضين؟ وكيف تتصـورون ضرورة مجاملـة من تيعاطفون مع الشـجرة الملعونـة؟ إن طيبة قلوبنا ومجاملتنا لهم على حسـاب الشـجرة المباركـة الزيتونة هي التي جرأتهم على ارتكاب ما ارتكبوه وأصبحـوا يعاملونا على أنهم على الحق والهدي وألصق الناس بالكتـاب والسـنة وأن كل مـا يتعاطـف مع محمـد وآل محمـد ﷺ رفض غلاة

(١) سورة المائدة: آية ٧٨.

ومصيرهم النار!! بالله عليكم هل الالتفاف حول الشجرة الملعونة والتعاطف معها وترويج أفكارهما وتبييض صفحتها يوحد الأمة العربية والإسلامية أم أن اجتماع الأمة على الشجرة المباركة الزيتونة هو الذي يحقق لنا سعادة الدارين؟؟

بأي الشجرتين أوصانا ربنا ومن أيهما حذرنا؟؟ فكروا ثم أجيبوا أنت مع الله ورسوله وتستحي من حقك!! والآخر لا يستحي من باطله ويدافع عن شجرته الملعونة بكل صلف!! فأي الفريقين أولى بتقديم التنازلات؟؟

هل كل أن تجيبني على هذا السؤال، كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعامل مع أهل بيته؟ خاصة ولده الحسين عليه السلام؟

إن كنت تريد أن تعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإليك هذه المشاهدة من حياة الحبيب المصطفى:

لقد ضم النبي سبطه إلى صدره ساعة ولادته وأخذ يقبله ويشمه وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى وحنكه بطاهر ريقه وعق عنه بكبشين أملحين وإذا بجبرائيل عليه السلام يقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحمل بيده قبضة من تراب كربلاء تحكي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار بالتفصيل ما ينتظره فيها، ويشكل أوضح انعقد أول مجلس للعزاء على سيد الشهداء وكان الخطيب فيه جبرائيل والمعزى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته.

ودخل الحسين عليه السلام مع شقيقه الحسن عليه السلام المسجد وهما يتعثران بأذيال ثيابهما والنبي صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر يخطب، فلما نظر إليهما قطع خطابه ونزل إليهما وضمهما إلى صدره الشريف يقبلهما ويشمهما، كان يجلسهما في حجره ويضع يديه على يافوخيهما ويقول بصوت عالي اللهم إني أحبهما وأحب من أحبهما فأحب من أحبهما، مر النبي

ذات يوم وهو يحملهما أما أحد الأصحاب فخاطبهما قائلاً: نعم الجمل جملكما، فبادره النبي قائلاً: ونعم الراكبان هما.

ودخل الحسين عليه السلام المسجد فرأى جده ساجداً، فارتحله كما تقول الرواية فأطال النبي صلى الله عليه وآله وسلم سجوده حتى ظن المسلمون أن الوحي قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سجوده وحين فرغ من الصلاة سألوه فقال إن ولدي الحسين ارتحلني وما أحببت أن أعجله، هذا المشهد قابله يوم عاشوراء جلوس شمر على صدر أبي عبد الله الذي لم في يديه قوة تدفع الشمر عن صدره الجريح، بل أخذ يدقق النظر في وجهه ويقول صدق جدي ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له الشمر: وماذا قال جدك؟ قال لقد أخبرني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه يقتلني رجل يدعي أنه من أمة جدي أعور أبرص له بوز كبوز الكلاب وشعر كشعر الخنازير فغضب اللعين وأمسك بلحية المولى وقلبه وذبحه من القفا وإذا بالأرض والسماء تنادي معك أيها المؤمن أي واحسيناه، واسيداه، واشهيداه، واغريباه، واعطشاناه.

وزينب تنادي واجداه وا محمداه وا أبتاه وا علياه، خرجت من خيتمها:

من هجمت خيول العدى
ولحدود المخيم دنت
طلعت إمن الخيم اتعدي
زينب على التل أوجبت
شبچت العشرة من الفزع
ولصوب أخوها اتوجهت

صـــاحـــت يــبــو الــشــيــمــه عدل

لـــو روحـــــك الــطــيــبــة اظهرت

لـــمـــن ســـمـــعـــهـــا ابــــــن الفحل

بـــيـــه الـــحـــمـــيـــة اتشرعت

گــــــام وعــــلـــــى وجــــهــــه وگع

وجـــــروحــــــه دم اتسايلت

صـــــــاح اشـــعـــلـــمـــكـــم يالعرب

عـــنـــكـــم شـــيـــمـــكـــم گوضت

خـــلـــوا الـــحـــرايـــر واعتنوا

لـــيـــه ومـــنـــيـــتـــي جدمت

لله مــلــقــى عــلــى الــرمــضــاء غــص بــه

فــم الـــردى بــيــن أقـــدام وتشمير

***

الليلة الرابعة

الديمقراطية بين الكم والنوع

بسم اللَّه الرحمن الرحيم: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ﴾[1]

تعرَّف أبناء القرن التاسع عشر والعشرين على نظريات ومصطلحات سياسية للإدارة والحكم واعتقدوا بأنها ستحقق الأداء الأفضل والحياة الأمثل ولكن ما إن أشرف القرن العشرين على الرحيل حتى أيقن الجميع بأن لا بديل عن النظام القرآني وحكم اللَّه وفشلت إجتهاداتنا مقابل النص الإلهي، ومن هذه النظم والمصطلحات الديمقراطية التي تنادي بحكم الأكثرية وتتبنى آرائهم التي ترشح عن البرلمان الذي يمثل إرادة الشعب حسب إدعائهم.

الآية موضوع البحث خطاب موَّجه لرسول اللَّه ﷺ بشأن رغبة بعض أصحابه في المدينة المنورة لمسايرة الأكثرية الوهمية من اليهود والنصارى ومجاملتهم في الأمور الحياتية على حساب الدين والعقيدة تحقيقاً لمبادئ العيش المشترك كما في لبنان اليوم. إحتج الأكثرية على الأقلية المؤمنة باللَّه ورسوله وبمغالطة تشبه الكثير من مغالطاتنا المنطقية قائلين ما الفرق بين الذبيحة التي تذبحون بأيديكم وتذكرون اسم اللَّه عليها وبين الحيوان الذي يموت بأمر اللَّه؟ لماذا تأكلون ما تقتلون ولا تأكلون ما يقتل اللَّه إن كنتم مؤمنين؟ وتنطلي المغالطة على ضعاف الإيمان ومرضى العقائد والنفوس فيطالبون النبي ﷺ بتغليب رأي الأكثرية حسب مبدأ الديمقراطية وضرورة التأقلم والتعايش والخضوع للمنطق العقلاني.

وإذا بالأمر الإلهي يحسم الأمر قائلاً يا محمد إن الأكثرية يتخرصون أي يتوهمون ويتبعون

---

(١) سورة الأنعام: ١١٦.

الظن وأنت تعلم بأن الظن لا يغني عن العلم شيئاً وإن سايرتهم وجاملتهم على حساب الدين أضلوّك عنه فاثبت في سيرك على سبيل اللّـه ولا تتبع السُّبل المتفرقة لأنها بالتالي ستبعدك عن جادة الصواب، ثم أُلهم الجواب الآتي: أيها الناس المدَّعون الإيمان باللّـه لم تأكلون الميتة ولحم الخنزير والمارتديلا الأجنبية ولا تأكلون لحم الذبيحة التي نذّكيها بذكر إسم اللّـه عليها إمتثالاً لأمر اللّـه والعلم الحديث أصبح يعرف الفرق بين لحم الذبيحة الشرعية والميته ويميز بين الحلال والحرام بالاضافة إلى الآثار النفسية التي يجهلها الكثير وقد حذرَّ الشرع المقدَّس منها وهنا أود أن أسحب هذه النتيجة إلى ميدان معاناتنا العاشورائية فمند مدة وجيزة إرتفعت بعض الأصوات التي تنطلق من ذاتيات معينة تنادي بضرورة التخفيف من حرارتها وتركيزها وبمعنى أدَّق تحويلها من تيار (٢٢٠) فولت إلى تيار (١١٠) فولت مراعاة لشعور من يحترم قتلة الحسين عليه السلام لأنهم الأكثرية ونحن الأقلية ولا ندري ماذا بعد؟

سئل أحد كبار علمائنا في بغداد ما بالكم معاشر الشيعة تضجون أيام عاشوراء وتعجون وتبكون وتنتحبون وتلدمون الصدور؟

فأجاب إننا تراخينا قليلاً بالاحتفاء بعيد الغدير فتجرأتم وأنكرتم الحديث سنداً ومتناً ونخشى أن يأتي زمان على أُمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتصورون فيه يزيد مظلوماً والحسين ظالماً عندها على الاسلام السلام.

ثم إني أوَّد أن أسأل هل إن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبينا وحدنا أم إنه هو المبعوث رحمة للعالمين؟ وهل إن قتل سبطه وسبي بناته بالكيفية التي حكاها المؤرخون لا يثير في نفسه الحزن والجزع؟ فان كان كذلك فأين هي مظاهر الحزن التي تواسي رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم عند أكثرية المسلمين؟ وكأن حزن الرسول وآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يعني غير الشيعة في عاشوراء، أنا لا ادعوهم للحزن بطريقتنا ولكن أرجوهم أن يعقدوا مجالس الذكر على عادتهم ويقرأوا القرآن بثواب الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ويدعونا ننوح الحسين عليه السلام بطريقتنا، يموت

مغني في مصر يخرج الملايين إلى الشوارع بمواكب حزينة ويقتل العشرات أنفسهم وتنقل المحطات العالمية الخبر الحضاري، يختطف بطل مناضل فتقوم الدنيا ولا تقعد ويحرق البعض نفسه، وإبن بنت نبيِّنا يقتل بأبشع صور القتل من أجل ديننا ولا نحتفل بذكراه؟ وإن ذرفنا بعض الدموع فإن ذلك من مظاهر التخلف والغلو مالكم كيف تحكمون؟

إن لكل شعوب العالم ذكريات مقدسة وتراثاً عزيزاً يحتفلون به ويخلدونه بطريقتهم الخاصة وكما نحترم مشاعرهم ومقدساتهم عليهم إحترام عقائدنا ومقدساتنا، كيف والمحتفى به يعني جميع أحرار العالم إنه أبو الأحرار وملهم الثوار وقدوة الأبرار أبيُّ الضيم الإمام أبو عبد اللَّه الحسين عليه السلام.

بكاه رسول اللَّه يوم مولده وهذا ما يذكره كل المؤرخين وكتاب السيرة سنة وشيعة كما بكاه جميع الأنبياء والأوصياء والأولياء.

يقول الرواة حضر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مولد سبطه الثاني كما الأول ليجري عليه سنة وآداب المولد المبارك، ولما إستقر الوليد في حجر جدِّه محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم أذنَّ في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى وحنَّكهُ بطاهر ريقه وقصَّ شعره وتصدَّق بمقدارِه ورِقاً يعني فضة وعقَّ عنه كبشين أملحين وأولم عليها الفقراء ثم إلتفت إلى أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً ما أسميت إبني فقال ما كنت لأسبقك في تسميتهِ يارسول اللَّه فقال النبي وما كنت لأسبق ربي في ذلك وإذا بالأمين جبرئيل يهبط مهنئاً يقول يارسول اللَّه العزيز الأعلى يقرئك السلام ويقر عينك بابنك هذا ويقول سمِّه الحسين عليه السلام ففرح الرسول بهذه المنحة الإلهية وأخذ يكثر من شم ولده ولثمه فقال له جبرئيل يا رسول اللَّه أتحب إبنك هذا قال نعم إنه قرة عيني وثمرة فؤادي، وإذا بجبرئيل يخرج قبضة من تراب والدموع تترقرق في عينيه وهو يقول يا حبيب اللَّه آجرك اللَّه إن ولدك هذا تقتله الفئة الباغية من أُمتِّك في أرضٍ يقال لها كربلاء وقد جئتك بقبضة من ترابها.

فلما سمع رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم ذلك سالت دموعه على وجنتيه ونادى واولداه واحسيناه،

فاطمة الزهراء عليها السلام رأت الدموع تنحدر من عين أبيها صاحت أبه ماذا جرى وما الذي يبكيك فداك نفسي هل في خلق ولدي شيء أو أنه أُصيب بمكروه، قال بنية فاطمة هذا حبيبي جبريل يخبرني عن اللّه ان ابني الحسين يذبح كما يذبح الكبش في أرض يقال لها كربلاء وقد جاءني بحفنة من ترابها وإذا بدار الوحي ضجة واحدقوا حسيناه وا شهيداه وا ذبيحاه وا غريباه وا عطشاناه:

يا مصاباً زلزل السبع العلى ولـه الكون بحزن أعوَلا

ونجيع الدَّمع نادى قائلا كربلا لازلت كرباً وبلا

ما لقي عندك آل المصطفى

صبروا يا كربلا ما جزعوا وعن الماء جميعاً منعوا

أي ذنب آل طه صنعوا كم على تربك لما صرعوا

من دم سال ومن دمع جرى

يا قيتيلاً قوض الدهر به عمُد الدين وأعلام الهدى

لو رسول اللَّه يحيى بعده قعد اليوم عليه للعزا

فقالت الزهراء عليها السلام: أبه فمن ينصب العزاء ومن يبكي على ولدي؟

قال: بنية شيعتنا تبكي رجالهم لرجالنا ونساؤهم لنسائنا.

أنـا الـوالـده والـگـلـب ولهان
وأدوِّر عـزا ابـنـي ويــن ماچان
أويـــلاه يـبـنـي انـذبـح عطشان
ويــن الـيــواسـيـنـه إبدمعته
عـلى ابـنـي الـذي حــزَّوا ركبته
أويـــلاه يـنـبـي الماحضرته
ولاغسلت جـسـمـه ودفنته
وظـلـت ثـلـث تـيـام جثته

انـــا الـــوالـــدة المـــذبـــوح ابنها   وطـــول الـــدهـــر مافل حزنها
مـصـيـبـة يـشـيـب الـطـفـل منها   اسـبـوطـعـش كـلـهـا بـــدور چنها
وسبعين ما واحد دفنها

يـا مـيـتـاً تــرك الألــبــاب حائرة   وبـالــعــراء ثـلاثـاً جـسـمـه تركا
في كـل عــام لـنـا في الـعـشر واعية   تطبق الـــدور والأرجـــأ والسككا

أهداف الصلاة

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾(١)

كان وما زال ويبقى موضوع الصلاة محور عاشورائي حسيني لا تنعقد المجالس إلَّا لأجله ولأن إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام ما كان إلا من أجل إقامة الصلاة التي هي عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها وإن رُدَّت رُدَّ ما سواها وسنسرح النظر هذه الليلة في هاتين الآيتين اللواتي يحددن أهداف الصلاة التي أصبحنا نجهلها أو يصدّنا حبنا للدنيا عنها وبذلك تصبح صلولاتنا كالدواء الذي إنتهى مفعوله وأصبح ضاراً وقاتلاً عوض أن يكون شافياً، لنبدأ من اللغة لنعرف ما معنى الصلاة. الصلاة لغة تعني الدعاء كما أنها من اللّـه تعالى الرحمة كالصلاة على محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم والصلة الهدية وصلى تصلية إذا ألقى شيئاً في النار كما في صليت اللحم إذا شويته وكقوله تعالى **﴿تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾** ويقال إذا جاء الفرس في سباق الخيل ثانياً بعد الفائز الأول جاء مصلياً ونشم من هذا المعنى ضرورة الائتمام في الصلاة وذلك لأن فضل صلاة الجماعة بجمع القلوب أعظم بكثير من الصلاة الإفرادية وأما معنى الصلاة إصطلاحاً فهي هذه الصلوات التي نصلي يومياً خمس مرّات ولثلاث فروض حسب التقسيم القرآني **﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾** اذاً فإطلاق كلمة صلاة على هذه القراءة والركوع والسجود إطلاق مجازي كما في مباحث الألفاظ عند الأصوليين.

(١) سورة الروم: ٣١ـ٣٢.

أما الحث على الصلاة فإني لا أتصور إن أمراً قد شغل حَيِّزاً كالصلاة في الكتاب والسنة كقوله تعالى ﴿**إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً**﴾ ويقول النبي ﷺ «**جعلت قُرَّة عيني في الصلاة**» وكان إذا أصاب أهله خصاصة أي ضيق وعسر قال «**قوموا إلى الصلاة فبهذا أمر ربي**» ويقول ﷺ «**الصلاة ميزان، من وفى إستوفى**» . يعني من أدّاها بشرطها وشروطها إستوفى حقها وهو الجنة فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والصلاة تدفع إلى محبة الاخرين وصلتهم وتجمع الكلمة وتؤلف بين القلوب لأنك بعد صلاة الجماعة تصافح إخوتك وتسأل عن أحوالهم ويسألون عن أحوالك فتنمو المودّة فالامام الصادق عليه السلام يقول: «**تصافحوا فإنها تذهب بالسخيمة**» يعني تصفي القلوب وتزرع فيها الحب وهذا هو هدف الصلاة التواصل فالصلاة صلة.

نعود إلى مضامين الآيات موضوع البحث، أول ما تتحدث عنه الإنابة وتعني الأقبال على اللّـه تائبين، منيبين يعني عودوا إلى اللّـه مهما شرَّقتم أو غربتم لا ملجأ ولا مهرب منه إلا إليه.

الأمر الثاني الذي يطلب منا بعد العودة هو التقوى يعني إعبد اللّـه كأنك تراه فإن لم تره فإنه يراك، إحسب حسابه في كل حركة تأتيها فلقد أوكل بك رقيباً وعتيداً يسجّلان كل صغيرة وكبيرة ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّـهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**﴾ ذات يوم طلب المعلم من تلاميذه أن يذبحوا دجاجة في مكان ما لا يراهم فيه أحد، وفي اليوم التالي جاء الجميع بدجاجاتهم المذبوحة إلَّا واحداً منهم جاء خالي اليدين وبعد أن قررهم أين فعلوا فعلتهم سأل التلميذ الذي لم يذبح دجاجة قائلاً: بني لماذا لم تذبح دجاجة، قال التلميذ لأني لم أجد مكاناً لا يراني فيه أحد. قال كيف، قال أينما ذهبت كنت أحس أن عليَّ رقيباً. فهتف المعلم أحسنت ولدي فاللّـه رقيب على العباد تضرب الأمثال بالأوروبين على إنهم يحترمون النظام أتدرون لماذا لأنهم يعلمون بانهم مراقبون ومرصودون وإذا خالفوا يُعاقبون واللّـه أحقَّ من القانون بالخوف والإمتثال وعقابه أشد من عقاب الدولة والقانون.

الأمر الثالث بعد الأنابة والتقوى وإقامة الصلاة نهي شديد عن الشرك﴿**وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ هل يعقل أن يشرك من أناب وإتقى وأقام الصلاة، وما هو هذا النوع من الشرك المتوقع أن نقع فيه مع كوننا منيبين متقين مقيمين للصلاة؟ الجواب والتفسير في الآية التالية ﴿**مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً**﴾ إذا فالمصلي المتقي المنيب يصبح حسب هذه الآية مشركاً إذا دعى إلى الفرقة والتحزب وذلك لأن النفوس جبلت على التنافس فيصبح المجتمع الواحد مجتمعات متنافرة متحاسدة متناحرة يكفر بعضها بعضاً وكل منهم يرى انه الحق وسواه الباطل ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ ما وصلنا إليه هو إحدى نتائج الدمج غير الواعي بين الدين والسياسة فبدل أن ندّين السياسة سيّسنا الدين فاضطربت الموازين، صادرنا بيوت اللّه لأغراض الدعاية والاعلان إلى ما يفرق ويمزّق لا إلى ما يوحّد حتى الصلاة أصبحت تعمل بتيارين «١١٠، ٢٢٠» وكما يقول النحاة «**باؤك تجر وباؤنا لا تجر**» .

من قال لكم إن معاوية كان لا يصلي ومن قال لكم ان يزيداً وجنده كانوا لا يصلون، لقد كانوا من المصلين الذين هم عن أهداف الصلاة ساهون ففرقوا أُمة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وميزوا بينهم فأكرموا قوماً واحتقروا آخرين ونعّموا قوماً وقتلوا آخرين وكم تشدّقوا بخلافتهم لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم الذي قتلوه في ذريته وعترته والصفوة من صحبه وكم إفتخروا بصومهم وصلاتهم وحجهم وزكاتهم لما زالت الشمس يوم عاشوراء إلتفت أبو ثمامة الصائدي إلى الامام الحسين عليه السلام قائلاً: نفسي لك الفداء أني أرى هؤلاء قد إقتربوا منك ولا واللّه لا تقتل حتى أقتل دونك وأُحب أن ألقى اللّه وقد صليّت هذه الصلاة التي دنى وقتها، فرفع الحسين رأسه إلى السماء وقال ذكرت الصلاة جعلك من المصلين الذاكرين نعم هذا اول وقتها، سلوهم أن يكفوّا عنا حتى نصلي لربنا، فصاح الحصين إنها لا تقبل فصاح حبيب بن مظاهر الأسدي زعمت انها لا تقبل من آل الرسول وتقبل منك يا حمار؟ فحمل الحصين على حبيب ليضربه فبادره حبيب بضرب وجه فرسه فشبّت به ووقع فاستنقذه قومه ثم إن الإمام الحسين عليه السلام صلّى صلاة الخوف مع نصف أصحابه، نعم لقد كانت الصلاة محور جهاد

الإمام الحُسين عليه السلام حتى إنه ليلة عاشوراء بعث العباس ليستمهل القوم سواد ليلة عاشوراء ليصلي وليقرأ القرآن، وكانت صلاته أثناء المعركة كما ذكرنا سالفاً، أما ما يقرح الجفون ويدمي العيون ويفجع القلوب صلاته الأخيرة التي صلاّها يوم عاشوراء كما ذكرها الشيخ جعفر التستري في خصائصه الحسينية وذلك عندما وقع من على ظهر جواده مضرجاً بدمائه الطاهرة فكبّر تكبيرة الاحرام بقوله بسم اللّـه وباللّـه وعلى مِلَّة رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم وكان يقف تارة ويكبو أُخرى فتكون قرائته في الوقوف وركوعه في الكبوة ثم رفع يديه بالقنوت والدعاء قائلاً «اللّـهم متعالِ المكان عظيم الجبروت شديد المحال غني عن الخلائق عريض الكبرياء قادر على ما تشاء قريب الرحمة صادق الوعد سابغ النعمة حسن البلاء قريبٌ إذا دُعيت محيطٌ بما خلقت قابل التوبة لمن تاب إليك قادر على ما أردت تدرك ما طلبت شكورٌ اذا شكرت ذكورٌ إذا ذكرت أدعوك محتاجاً وأرغب إليك فقيراً وأفزع اليك خائفاً وأبكي مكروباً وأستعين بك ضعيفاً وأتوكل عليك كافياً، اللّـهم إحكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرّونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا ونحن عترة نبيّك وولد حبيبك محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي إصطفيته بالرسالة وإئتمنتهُ على الوحي فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً يا أرحم الراحمين. صبراً على قضاءك لا إله سواك ثم وقع على وجهه وكان هذا سجوده الأخير وأما التشهد والتسليم فكان بتسليم الروح وفيضها إلى بارئها أما التعقيب فبعد أن رفعوا راسه الشريف على الرمح أخذ يتلوا قوله تعالى ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً**﴾

رأت الرمح زينبٌ حين مالا وعليه رأس الحسين تلالا

خاطبته مذ لاح يزهو هلالا يا هلالاً لّما إستتمَّ كمالا

غاله خسفهُ فأبدى غروباً

***

كيف ترضى بفرقتي وبعادي بُحَّ صوتي فلم أُجب كم أُنادي

أيــــن قـــد صرت ياجمالَ بلادي مـــا تـــوهَّمــت ياشقيق فؤادي
كـــــــان هــــــذا مـــــــقـــــــدراُ مكتوباً

***

يـــاشـــيـــال رأس حـــســين دّنه يـــــردن بـــنــاتـــه إيودعنه
ويـــنـــصـــبـــن عـــلى المـــذبـــوح حنه ويحـــفـــرن گـــبر وإيوسدنه
يـــا شـــيـــال رأســـــه لا تلوحه وهــبِّــط عــن بــگــايـا الـــروس رمحه
أخـــاف يــفــوت ريـــح الهـــوه بجرحه وصـــوابـــه عـــلـيـــه ايـــصـــير يسعر
يـــا شـــيــال رأس حـــامـيـــنـــه اوولينه ريّـــض بـــلـــچـــن إتـــودَّعـــه سكينه
أشـــوف حـــســين ســـاچـــت عـــن ونينه مـــدري تـــعـــب لـــو جـــرحـــه تخَّدر

تفاعل الوجود مع يوم الحسين عليه السلام

بسـم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّـمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾[1]

درج الناس على تقسـيم الموجودات التي أبدع الخالق المصور خلقها على غير مثال سابق وحسب مشاربهم الفكرية إلى موجودات حية وجمادات فما توهموا خُلّوة من الحياة أسموه جماد وما لاحظوا في ظاهره الحياة قالوا عنه موجودات حية وتساوي المؤمن والكافر في تصور هذه القضية مع ان الحقيقة والواقع وحسب المفهوم القرآني للأمور يثبت العكس فكل الموجودات حية وهـي تسـبح للّـه ولكـن لا نفقـه تسـبيحها ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبيحَهُم﴾ [2] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّـهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]

﴿سَبَّحَ لِلَّـهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [4]

وهذه الحقائق القرآنية لا تحتاج في إسـتيعابنا لها والاقرار بهـا إلا إلى قليل من الاقبال على القرآن وقليل من صرف الذهن عن مفاهيـم العصر من إدعاءات المنطـق العلمي والرياضي، فبالرغـم من كون جميع هـذه الحقائق لهـا معادلاتها العلميـة والمنطقية التي وصلنـا بعضها ولم يصل إلينا بعضها الأكثر وذلك لمحدودية طاقاتنا وضيق أفق إدراكنا ولا يمكن أن نعي إمكان ذلك لأن الوعاء الذي لا يسـع لترين من الماء لا يمكـن أن نضغط فيه لتران مـن الماء وكما أن

---

(١) سورة الدخان :٢٩

(٢) سورة الإسراء : ٤٤

(٣) سورة التغابن :١

(٤) سورة الحديد :١

لكل شيء حدوداً وإستطاعة معينة محددة فحدود الأدراك عند البشر كذلك لها خطوط حمراء لا يمكن تجاوزها فانه يجب على المسلم الإقرار والأعتراف بها وأخذها أخذ المسلمات دون جدال لأن المسلم يعلم ان اللَّه على كل شيء قدير وبكل شيء محيط، يعني كل ما جاء في القرآن معقول ويجب الإيمان به وحرام هو الشك به والأمر خطير فالأرض كائن حي والسماء كائن حي والكل يسبح للَّه وإن إستخدام لفظ الجماد وإطلاقه على أمثال هذه المخلوقات إستعمال مجازي وغير حقيقي أما كانت الحصاة تسبّح في يد رسول اللَّه ﷺ اما كان جذع النخلة اليابس يحن لفراق رسول اللَّه ﷺ والناس تسمع حنينه.

وكذلك ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه كان يكنس بيت المال كل يوم جمعة ثم ينضحه بالماء ويصلي فيه ركعتين ويقول اشهد لي يوم القيامة أني لم أحبس فيك المال عن المسلمين. ومن روائع الكرامات ما وقع بين الامام السجاد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وعمه الكريم والبطل الهمام محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام المكنى بابن الحنفيّة· حين تناظر في أمر الأمامة بعد مقتل أبي عبد اللَّه الحسين عليه السلام وإحتج ابن الحنفيّة بقوله تعالى ﴿**وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ**﴾ وعليه يترتب وكما آلت الإمامة بعد الحسن إلى الحسين عليه السلام أن تؤول إليه بعد مصرع اخيه الحسين عليه السلام فاقترح عليه الإمام زين العابدين عليه السلام كما ذكره جلُّ المؤرخين ومنهم المسعودي في إثبات الوصية الصفحة١٤٧ الإحتكام إلى الحجر الأسود فقال له محمد كيف تحاكمني إلى حجر لا يسمع ولا يجيب فأعلمه السجاد ان اللَّه جل جلاله ينطقه بالحكم فينا فمضى مُحمَّد معه حتى إنتهيا إلى الحجر الأسود فقال علي بن الحسين عليه السلام يا عم كلَّمة فتقدم محمد ابن الحنفية وأمسك به وتكلَّم فلم يجبه، ثم تقدم زين العابدين عليه السلام ووضع يده المباركة عليه ثم قال اللَّهم إني أسألك باسمك المكتوب في سرادق العظمة لما أنطقت هذا الحجر، ثم قال أيها الحجر أسألك بالذي جعل فيك مواثيق العباد والشهادة لمن وافاك واستلمك لما أخبرت لمن الوصية والإمامة بعد الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام

قال فتزعزع الحجر حتى كاد أن يزول ثم أنطقه اللّه جل وعز فقال الأمامة لعلي بن الحسين عليه السلام فسلّم محمد بن الحنفيّة بالإمامة على ابن أخيه زين العابدين عليه السلام ونحن في هذه الليلة العظيمة أحببنا أن نتدبر قليلاً في الآية التي تتحدث عن أمر بعيد عن تصور غير المؤمنين وهو بكاء السماء والأرض إلا أن المؤمن الواعي المقبل على اللّه وعلى رسله ورسالاتهم فانه يسلم بها ويؤمن ولا يتصنّع جدلاً سوفسطائياً حول الأمر.

الآية ٢٩ من سورة الدخان تهكّم ببني إسرائيل الذين آذوا موسى عليه السلام ولجوا في خصامه ومحاربته حتى رفع يديه بالدعاء عليهم ووصفهم كما في الآيات السابقة بأنهم قوم مجرمون، فسخر اللّه منهم ولم يؤخر عقوبتهم فقال إمعاناً في الإستهزاء بهم ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ**﴾ يعني لو كان لهم عند اللّه شأن وكرامة لبكت عليهم السماء والأرض وإفتقدتهم ولكنهم إستحقوا لهو انهم على اللّه العقاب السريع، فلم ينظرهم أي لم يمهلهم ولم يؤجل عقوبتهم إلى يوم القيامة بل استحقوا خزي الدنيا والآخرة لأنهم كفروا بأنعم اللّه والجنات والعيون والزروع والمقام الكريم والأزواج الذين كانوا يفاكهونهم، فسلبت منهم وأُورثت لقوم آخرين لا يمتون اليهم بصلة، لكيلا نقع في نفس المحنة ونلاقي نفس المصير فاني أُحذركم من البطر وكفران النعمة وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام «أحسنوا صحبة النعم قبل فراقها فانها تزول وتشهد على صاحبها بما عمل فيها «إخواني انتم في نعمة فحافظوا عليها واشكروا اللّه عليها، الكثير من الناس ديدنه الشكوى يلعب بالملايين وصحته بألف خير ويعيش بأمان اللّه وإذا سألته كيف حالك قطع يده وشحذ عليها، وبالشكر تدوم النعم واللّه جل وعلا يقول ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾.

من خلال مفاهيم الآية الكريمة نود أن نطرح سؤالاً أراه يدور الآن في الأذهان ثم نجيب عليه. هل الأرض والسماء يبكيان حقيقة أم إنه تعبير مجازي؟ نعم الأرض كائن حي يؤثر ويتأثر وكذا السماء ويؤيد ذلك ما ورد في الحديث عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كما ذكره الزمخشري

في تفسيره الكشاف عن البيهقي والطبري والثعلبي أنه قال «ما من مؤمنٍ مات في غربةٍ غابت فيها بواكيه إلّا بكت عليه السماء والأرض» وحتى العرب في الجاهلية كانوا إذا مات عندهم عظيمٌ كانوا يقولون بكت. السماء والأرض أو أظلمت الشمس لفقده أو خسف القمر، وعن أنس عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال «ما من مؤمن إلا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا «وقد روي عن ابن عباس إنه سئل عن هذه الآية فقيل له وهل يبكيان على أحد قال نعم مُصلاه في الأرض ومصعد عمله في السماء. وعن السدي كما ذكره الطبرسي في مجمع البيان قال لما قتل الامام الحسين بن علي بن أبي طالب بكت السماء عليه وبكاؤها حمرة أطرافها، وعن زرارة بن اعين عن الإمام الصادق عليه السلام إنه قال بكت السماء على يحيى بن زكريا وعلى الحسين بن علي عليهما السلام أربعين صباحاً، تطلع حمراء وتغيب حمراء.

وفي الدر المنثور أخرج ابن أبي حاتم عن عبيد المكتب عن ابراهيم قال ما بكت السماء منذ كانت الدنيا إلّا على إثنين، قيل لعبيد أليس السماءُ والأرضُ تبكي على المؤمن قال نعم ذاك مقامه وحيث يصعد عمله قال وتدري ما بكاء السماء؟ قال لا قال تحمرَّوتصير وردة كالدهان، إن يحي بن زكريا لما قتل إحمرت السماء وقطرت دماً وإن الحسين بن علي يوم قتل إحمرت السماء وقطرت دما وفي من لا يحضره الفقيه عن الامام الصادق عليه السلام قال: إذا مات المؤمن بكت عليه بقاع الأرض التي كان يعبد اللّه عزوجل فيها والباب الذي كان يصعد منه عمله وموضع سجوده.

نعم بكت الأرض والسماء دماً على الحسين عليه السلام أول شيء بكى قبضة التراب التي جاء بها جبرئيل وأودعها النبي عند زوجته الطاهرة أُم سلمة رضي الله عنها في قارورة فإنها أصبحت كالدم العبيط يوم عاشوراء فلما رأت ذلك صاحت وا ولداه وا حسيناه، ولم يقلب حجر من على وجه الأرض إلا وكان تحته من دموع الأرض الحمراء وقيل عثروا على درة تفيض دماً عبيطاً وقد نقشت الدماءُ عليها بيتين من الشعر هما:

أنا درٌّ من السما نثروني يوم تزويج والد السبطين

كنت أصفى من اللجين بياضاً صبغتنى دماءُ نحر الحسين

آنه اللي تعرف الناس وصفه الجمال بهيبتي يزدان وصفه

أنقى من الفضة كنت وصفه صبغتني دماء إبن الزچية

أما السماء فكما أخبرت مولاتنا زينب عليها السلام في خطبتها بالكوفة حيث قالت أفعجبتم أن مطرت السماء دماً ولعذاب الاخرة أخزى وهم لا ينصرون:

تبكي السماء له دماً أفلا بكت

ماءً لغلة قلبه قطراتها

واحر قلبي يابن بنت محمَّدٍ

لك والعدى بك أنجحت طلباتها

منعتك من نيل الفرات فلاهنا

للناس بعدك نيلها وفراتها

هذا الموالي يتمنى لو بكت السماء ماءً بدل الدماء لتروي الحسين عليه السلام العطشان، يقول الرواة بعد مقتل الحسين عليه السلام أفرجوا عن أهل البيت وقدّموا لهم الماء وكانوا كلما قدموا الماء لأحد الأطفال تراجع وفاضت دموعه كأنه يقول كيف أشرب وقد قتل الحسين عطشانا.

إشلون أشرب لذيذ الماي حاشه واهلي گضوا كلهم عطاشه

وحسين التراب أمسه فراشه

جبال الإيمان المحمدية

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَـذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١)

منذ أمد بعيد ونحن نعاني من الصراع الدائر بين دعاة التفسير الظاهري ودعاة التفسير الباطني وإلى يومنا هذا لم يستجب أي الفريقين لدعوة الداعين إلى التوسط والأعتدال، ففي الوقت الذي يغرق فيه أهل الباطن ويحمّلون بعض الآيات القرآنية ما لا تحتمل نرى إن أهل الظاهر يجحدون وينكرون الباطن جملة وتفصيلا، وفي كلا المنهجين إبتعاد عن النهج العلمي في إدراك الحقائق القرآنية خصوصاً التي عليها تبتنى أحكام الشريعة، ولذلك فإننا نرى أفضل وأكمل وأشمل سبل المعرفة هو النهج الآخذ بالطريقة الوسطى بينهما فلا كل الباطن باطل ولا كل الظاهر كامل وعلينا التوفيق للوصول لأفضل النتائج.

بالأمس كنت أطالع كتاباً عن حياة الإمام الكاظم عليه السلام فلفت نظري فيه توجيه رائع لقوله تعالى لنبيه موسى عليه السلام **﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾** يقول الامام موسى بن جعفر عليه السلام المقصود بها إخلع عن نفسك خوفك على زوجتك التي تركتها وهي في مخاض ولادة وخوفك من فرعون، لاحظوا الفرق بين المعنى الظاهري للآية والمعنى الباطني الذي دل عليه راهب بني هاشم، وكذلك لو لاحظنا قوله تعالى في سورة المدثر لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبصيغة الأمر **﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾** فهل يمكننا تصور إنطباق المعنى الظاهري لواقع الحال مع علمنا بطهارة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ورفعته عن

(١) سورة الحشر: ٢١.

كل رجس وشرك وإفساد للفضل بالمن والأذى فهو صاحب الخلق العظيم الذي أذهب اللّـه عنه وعـن آل بيته الرجـس وطهرهم تطهـيرا. ولا يمكن بأي شـكل من الأشـكال حملها على ظاهر معناها كما لا يمكن حمل الآيات التي حكت عن سلوك الأنبياء بما لا ينسجم وعصمتهم أو يخدش عقائدهم ولا يمكن ان يقبل ضمـن أدب الخطاب النبوي بين يـدي الخالق الباعث والمرسـل لهم، لأنني إن كان قدوتي وحجة ربي عليَّ بعبس ويتولى فكيف أُحسِّـن أخلاقي وإن كان نبيٌّ يهمّ بالتي تهم به فكيف سأصمد أمام الإغراء وإن كان نبيٌّ يعصي ربه ويغوي فكيف أُطيع وإن كان لا يؤمن حتى يرى اللّـه جهـرة فكيف أؤمن وإن كان يـتردَّد في معرفة ربَّه أهو الشـمس أم القمر أم النجـوم فكيف سـأهتدي لـربّي وإن وإن وإن إلى مئـات إن لم نقل آلاف الآيات التـي لا يمكن حملها عـلى ظاهر معناها ولا أريـد الخوض في موضـوع عصمة الأنبياء لأنني لا أجد نفسي من أهل المعرفة بقواعد البحث في هذه القضايـا ولكن ما دلني عليه إيماني الفطري والسـليقة القرآنيـة في فهم أُسـلوب الخطاب القرآني هـو إن اللّـه جـل وعلا كالمعلم الذي يختص أذكى تلاميذه فيتفق معه قبل الدرس على أسئلة معينة تكون هي المفتاح لتوصيل ما يريـده إلى باقـي التلاميذ، فالمشـاهد هـذه سـيناريوهات ربانية مفبركـة الهدف منهـا هداية البشرية إلى سبل السعادة والسلام، إنها خطط إلهية للتربية والتعليم.

والان بعد هـذه المقدمة الموجـزة لندخل رحاب الآيـة موضوع البحث مـن المقطع سرد قضية تعليم الحسـن والحسـين الوضوء الشـيخ الكبـير الذي لم يكن يحسـنه الأخـير من الآية يتبين الهدف الأساس منها وهو انها من نوع المثال التي مثلها الرحمن للناس لتقريب المعاني إلى أذهانهم ولعلهم يتفكـرون، إذاً فالآية بمجملها مثل للتفكر والتدبـر والتامل فلتنفكر ولنتدبر ولنتأمل.

ما أورده المفسرون حـول الآية يتلخـص في ان اللّـه جل وعلا يصف الكافر به بالقسـوة والغلظـة ويقـول: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ**﴾ والجبـل مع كبر حجمـه وصلابته وكونه ظاهراً ليس له قلب أو عقل أو إحساس ليتأثر بكلام اللّـه كالبشر الذي يعي ويحس فان الجبل

سيذوب خشوعاً ويتصدّع من خشية اللَّـه، فمن باب أولى بك أيها الانسان الحساس الذي طمره اللَّـه بعطاياه ومواهبه أن تخشع لذكر اللَّـه وتمتثل لأوامره وتنزجز عن نواهيه لأنك عاقل تعقل الكلام وتتأثر بالمؤثرات الخارجية ولست كالحجارة التي لا تهزّها العواصف وهي مع ذلك لو تنزل عليها كلام اللَّـه لخشعت وتصدعت من خشية اللَّـه.

هذا زبدة ما أورده المفسرون سنة وشيعة فهي تقريع للإنسان على قسوة قلبه وغلظته وعدم استيعابه لما ينفعه في الدنيا والاخرة وإقباله كلياً على الدنيا وإدباره كلياً عن الآخرة، وهذه كارثة لاحظوا أولادنا يحفظون أغنية الدعايات والإعلانات التلفزيونية بعد عرضها لمرة واحدة ولا يحفظون لا أقول صلاتهم أو أصول دينهم وفروعه أو شيئاً عن حياة قادتهم بل دروسهم المدرسية حتى لو أعادوها لهم عشرات المرات.

دعونا عن هذا كله ولنرى عند من نجد ذروة الخشية من اللَّـه ولا تقبلوا بسوى الدليل القرآني مع العلم ان القرآن حمّال على وجوه وقد روي عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قوله إنه يجيب على المسألة الواحدة منه على سبعين وجهاً وله فيه كل منها المخرج أي يضع سبعين إحتمالاً للمسألة الواحدة ويجيب عنها جميعاً.

يقول اللَّـه جل وعلا ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّـهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**﴾ يعني أن أكثر الناس خشية للَّـه أعلمهم باللَّـه يقول رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله وسلم «**رأس الحكمة مخافة اللَّـه**» وقال صلى الله عليه وآله وسلم «**أعلم الناس باللَّـه أشدَّهم خشية له**».

وهنا نسأل أي الخلق تنطبق عليه هذه الأوصاف؟ أتجدون أعظم من محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم حبا للَّـه وخشية منه؟ إنهم هم الراسخون في العلم رسوخ الجبال في الأرض، فهم أوتادها وجبال علمها وحلمها يقول الأمام الصادق عليه السلام

كنا نجوماً يستضاء بنا
وللبرية نحن اليوم برهانُ

نحن البحور التي فيها لغائصكم
درٌّ ثمينٌ وياقوتٌ ومرجانُ
مساكن القدس والفردوس نملكها
ونحن للقدس والفردوس خزانُ
من شذَّ عنا فبر هوت مساكنه
ومن أتانا فجنّاتٌ وولدانُ

ويقول عليه السلام **«العلماء نحن وشيعتنا متعلّمون على سبيل نجاة وأعداؤنا الهمج الرعاع»** لأن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام قسم الناس إلى ثلاثة أصناف: **«فعالمٌ رباني ومتعلمٌ على سبيل نجاة وهمجٌ رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع الريح حيث تميل»**

إذاً والحال هذه فإننا نلاحظ دلالة ثانية للآية الكريمة فالخالق جل وعلا يقول لو أنزلنا كلامنا الثقيل بأعبائه ومسؤولياته والعظيم بمعانيه وأسراره، هذا القرآن على أي جبل من جبال الإيمان المحمدية الراسخة في العلم والتقوى سترونه خاشعاً متصدعاً من خشية اللّه في الوقت الذي يمر فيه الجاهل لعظمته مرور الكرام وقد ينزعج احدهم عندما يدير المذياع فيسمع القرآن فيغير موجة الاذاعة أو يطفئ المذياع بالمرة، بينما أئمة الهدى كانوا إذا قرأوا القرآن تغيرت ألوانهم وخشعت قلوبهم لأنهم يعرفون اللّه حق معرفته ويقدرونه حق قدره مع ما هم عليه من الشأن العظيم، يذوبون بين يدي اللّه لأنهم من عباده المكرمين﴿**الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾، أمير المؤمنين لا يتمكن احدٌ من أن يخرج النصال من جسمه بعد الحرب إلَّا إذا توجَّه للصلاة، ولده الامام الحسن عليه السلام كان إذا شرع بالوضوء إرتعدت تعدت فرائصه واذا وقف للصلاة فاضت دموعه وهو ينادي يا محسن قد أتاك المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك، نعم إنهم أصلب ما يكونوا في ميادين الوغى واخشع ما يكونوا بين يدي اللّه.

هــو الــبــكــاء فــي الــمــحــراب ليلاً

هــو الـضــحــاك إن جـــدَّ الحراب

وهكذا كان أبو عبد اللّه الحسين عليه السلام المعروف باباء الضيم إذا قَرءَ القرآن ترقرقت دموعه في عينيه ووقف كل من يمر عليه لما في صوته من خشوع وحنين، لم يترك تلاوة القرآن حتى بعد أن فصلوا رأسه عن بدنه ووضعوه على الرمح وأخذوا يدورون به من بلد إلى بلد وهو يتلو قوله تعالى ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً**﴾ ويقول الرواة إن الحسين عليه السلام بعد أن قتل جميع أصحابه وأهل بيته يوم عاشوراء وبقي وحيداً دون ناصر ومعين حمل على أعداء اللّه حملة حيدرية قتلت فيها الأبطال وكما وصف المؤرخون الحال قالوا إنكشفوا بين يديه إنكشاف المعزى إذا شدّ عليها الذئب ويقول عبد اللّه بن عمار بن يغوث ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وصحبه أربط منه جأشاً ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً ولقد كانت الرجال تنكشف بين يديه إذا شدَّ فيها، حتى كاد أن يبيدهم وإذا على قول صحيفة تنزل عليه من السماء هي العهد المأخوذ عليه بالشهادة وعلى قول هاتف بين السماء والأرض ينادي يا حسين متى الوفا عندها إستسلم الحسين حين خشع وتصدع قلبه من شدة الظما. فنفذت السهام والرماح إلى جسمه ومزقته السيوف:

والـسـيـف يـركـع فيهم والـــرؤوس بلا

أجـســادهــا سـجـداً تـهـوي بتعفيرِ

حــتــى أذا أثــخـنــوه خـــرَّ منعفراً

لـلَّـــه عـــن سـرجـه يـدعـو بتضويرِ

مثلُ ابــن عمران موسى إذ هــوى صعقاً

لـمـا تـجـلّى إلــه الـعـرش للطورِ

مــن مبلغ المصطفى والـطـهـر فاطمة

أن الـحـسـيـن طـريـح غـيـر مقبورِ

من مبلغ المرتضى ان الحسين لقى
سقته أيدي المنايا كأس تكديرِ

تجلى له أمر الشهادة فخر بمذبح الحرية صعقاً يخور بدمه الشريف مقدماً نفسه الفداء لإحياء دين جده المصطفى، وبقي ملقى على الرمضاء ثلاثة أيام تصهره الشمس بأشعتها:

ما إن بقيت من الهوان على الثرى ملقى ثلاثاً في ربى ووهادِ
إلا لكي تقضي عليك صلاتها زمر الملائك فوق سبع شدادِ
لهفي لرأسك وهو يرفع مشرقاً كالبدر فوق الذابل الميادِ
يتلو الكتاب وماسمعت بواعظ تخذ القنا بدلاً عن الأعوادِ
يراس حسين للمحمل بعدني وعدوك تدري عن جسمك بعدني
من گطعوك للساني بعدني أجرّونه بأثرونه شجية

رحلة الموت

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(1)

استهواني وأنا أقرأ الآية المباركة من سورة آل عمران ذكر الموت كثيراً وهو الأمر الذي نفر منه ولا مفر منه **﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾** (2)

ويقول الشاعر:

الموت بابٌ وكل الناس داخله
ياليت شعري بعد الباب ما الدار

فبادرت إلى لسان العرب أبحث عن تعريف له فوجدت جدلاً طويلاً عريضاً حول لفظ كلمة الموت ولكن بالنتيجة

من لم يمت بالسيف مات بغيره
تعددت الأسباب والموت واحد

١. ينقل ابن منظور عن الأزهري عن الليث ان الموت خلقٌ من خلق اللّه تعالى شأنه.

٢. الموت ضد الحياة وبعكس هذا يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث يقول الناس نيام إذا ماتوا إنتبهوا. ويقول عدي بن الرعلاء وهو شاعر جاهلي:

ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميت ميِّت الأحياء

---

(1) سورة آل عمران :١٦٨.

(2) سورة الجمعة :٨.

إنـــمـــا الـــمـــيـــت مـــن يـــعـــيـــش شقياً

كـــاســـفـــاً بـــالـــه قـــلـــيـــل الرجاءِ

٣. وكثر من الحالات يطلق عليها إسم الموت وليست هي إنفصال الروح عن البدن. فيقال مات الرجل وهمد وهوَّم إذا نام، ويقال ماتت الريح إذا سكنت ومن تزول عنه القوة العاقلة أي الجاهل فهو ميت كما يقول الشاعر:

الـــنـــاس مـــوتـــى وأهـــل الـــعـــلـــم أحياء

ومن تزول عنه القوة الحسية ﴿**يا ليتني مت قبل هذا**﴾ وكذلك الحزن والخوف المكدر للحياة ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وكذلك يستعار للأحوال الشاقة كالفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية، ويقال للأرض البكر التي لم تستخدم أرضٌ موات، ويقال مات الرجل إذا خضع للحق والمستميت هو الذي لا يبالي وقع على الموت أم وقع الموت عليه ذاك عليٌّ عليه السلام ورجل موتان الفؤاد هو الغبي الذي لايفهم ما يقال له والموتة نوع من الصرع والجنون، والمتماوت هو المتظاهر بالنسك والمرائي بالعبادة.

وبعد كل هذا التطواف اللغوي هل ترون معي ضرورة الموت، تجول في خاطري تساؤولات كثيرة حول هذا الموت، هل هو إختياري أم إجباري؟ «**سبحان من توحَّد بالعز والبقاء وقهر عباده بالموت والفناء**» هل يمكن دفعه عن النفس أو درئه عن الآخرين كما تتحدى الآية المباركة؟ ﴿**إنك ميتٌ وإنهَّم لميتون**﴾، ولما كانت نتيجة القتل الموت فأيهما أفضل؟ عند علي عليه السلام لألف ضربة بالسيف أفضل من ميتة على فراش:

وإن تـــكـــن الأبـــــدان لـــلـــمـــوت أُنشأت

فقتل إمـــرئٍ بالسيف في اللّـه أفضل

في ناحية من نواحي بابل عاش نبي يدعى حزقيال عليه السلام وكنيته ذو الكفل وبين كنيته وقريته والموت رواية جميلة جداً. آمن الناس بحزقيال عليه السلام وكانوا كلما قصدوه في حاجة توجه إلى اللّـه وسأله قضاءها حتى جاؤوه يوماً بطلب عجيب، قالوا يا نبي اللّـه لقد وجدنا

للموت مرارة لا تطاق فلو سألت اللَّه أن يرفع عنا الموت، قال لهم يا قوم إن اللَّه أعلم بما يصلح لنا منا فلا تقترحوا على اللَّه أمراً لا تعرفون عواقبه، أصرّوا على طلبهم فطلب لهم من اللَّه ذلك فأخبره اللَّه ان الموت رحمة ربانية لا يعرفون قدرها إلا إذا فقدوها أتتكفل قومك بقبول نتائج رفع الموت عنهم قال نعم فرفع اللَّه عنهم الموت زاد الناس فلم تكفهم الخيرات وضاقت بهم البلاد وطالت الأعمار وتصوروا الحال في كل بيت رب الأسرة مسؤول عن أسرته وعن والديه ووالدي والديه وأجداد والديه وقد وصل أغلبهم إلى أرذل العمر وصار كل واحد منهم يحتاج إلى لجنة طبية فعادوا إلى نبي اللَّه حزقيال عليه السلام يطلبون منه أن يتوسل إلى اللَّه أن يعيد اليهم رحمة الموت التي تحفظ التوازن على وجه المعمورة، في هذه الأيام لا يحتمل الولد والديه إذا تزوج إرضاءً لزوجته فكيف بقوم ذي الكفل، عاد إلى ربه يسأله إعادة الأُمور إلى نصابها فقال له ألم أقل لكم إني أعلم بمصالحكم، قال ربي أنا مؤمن ولكن قومي جربوا فتأكدوا إنك أرحم الراحمين، قال إكفلهم على أن لا يرجعوا في كلامهم قال نعم أفعل فعرف بين الأنبياء بذي الكفل عليه السلام رب سائل الآن يسألني ما الذي تريد أن تقوله بعد كل هذه المقدمة الطويلة أقول إن الذي دفعني إلى خوض هذا الموضوع هو ما سمعناه ومن على هذه المنابر الشريفة من بعض الذين يضعون أنفسهم محل النبي والامام المعصوم عليه السلام ويتفلسفون ويضعون النظريات التحليلية لنهضة الإمام الحسين عليه السلام ويصوبون أموراً ويرفضون أُخرى ويتهكمون ويسخرون من موروثنا الحسيني الذي لولاه ما بقي من الإسلام إلا إسمه ومن القرآن الا رسمه. ومن أهم القضايا التي أثاروا الشك والجدل حولها الهدف الاساسي من النهضة الحسينية ولما كان أكثرهم طلاب دنيا وإمارة ولو على حجارة فانهم أجهدوا أنفسهم في إثبات أن الإمام الحسين عليه السلام كان طالب حكم وإمارة ليس إلا وقد خذله أهل العراق فقام بعملية إنتحارية بعد أن وصل في كربلاء إلى طريق مغلق، وعلى هذا الأساس كيف يقول قراء السيرة إن الحسين عليه السلام خرج من المدينة خائفاً حيث يقول الشاعر، ولا يدري المنظِّر إن الشاعر هذا هو أحد رجالات العلم في النجف الأشرف

وهو العلامة الأديب المرحوم السيد جعفر الحلي حيث يقول:

خرج الحسين من المدينة خائفاً
كخروج موسى خائفاً يتكتم
وقد إنجلى عن مكة وهو إبنها
وبه تشرفت الحطيم وزمزم

لو إن الامام عليه السلام لم يغتر بمواعيد أهل الكوفة ولو أعد للثورة ومواجهة يزيد وجيوشه لأختلفت الحال، ولو أنه عليه السلام عمل بنصائح الناصحين مثل محمد ابن الحنفية وعبداللّه بن عباس وعبداللّه بن عمر وأم سلمة وأم هاني وغيرهم ولو أنه فعل كذا لصار كذا كما قال بعض من لم يؤمن باللّه ورسوله من اهل المدينة لإخوانهم الذين نصروا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد «**لو اطاعونا ما قتلوا**»، ما أروع جواب اللّه حيث يتحداهم قائلاً «فادرؤا عن انفسكم الموت إن كنتم صادقين «أي أنكم عاجزون عن دفع الموت عن انفسكم فكيف تدّعون بان إخوانكم لو أطاعوكم ما قتلوا. لو لم يقتلوا لماتوا ﴿**كل من عليها فان**﴾ زبدة المخاض ان الإمام الحسين عليه السلام لا بد أن يموت ككل مخلوق حي وأجله يوم العاشر من المحرم بعد الزوال بساعة إن نصره الناس أم خذلوه وهو أعرف الناس بهذا الأمر. وإذا تهكم بنا المتفلسفون كيف يخرج الحسين عليه السلام خائفاً؟ نقول لم يكن خائفاً من الموت ولكنه كان خائفاً على حرمة البيت والحرم لأن من يخاف الموت لا يسير إليه برجليه والذي لم يعمر دار آخرته لا الحسين عليه السلام المشتاق إلى أسلافه إلى جده وأمه وأبيه وأخيه إشتياق يعقوب إلى يوسف عليه السلام.

«**إنه لا يرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما**» إنه يتوقع حتى طريقة قتله الموعود بها «كأني بأوصالي هذه تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا» وحتى البقعة التي ستضم أشلاءه يعرفها ويشتاقُ عبيرها.

من الطبيعي أن نهاب الموت ونخشاه لأننا ما قدّمنا من عمل ننتفع به يوم القيامة أما سيد

شباب اهل الجنة فهو ابن من يأنس بالموت كما يأنس الطفل بمحالب أمه.

لما وصل الركب الحسيني إلى مشارف كربلا وإستنشق عبيرها أخذ يتساءل عنها ليلفت الأنظار إلى أرض الميعاد إنه عهد عهده إليه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه ما إسم هذي الأرض بعد أن وقف جواده ولم يتحرك قال له زهير سر راشداً حتى يأذن اللّه بالفرج إن هذه الأرض تسمى الطف فقال عليه السلام فهل لها إسمٌ غيره قالوا نينوى فقال عليه السلام فهل لها اسمٌ غيره قالوا الغاضرية فقال: ألها اسم غيره قالوا العقر فقال نعوذ باللّه من العقر، فهل لها إسم غيره قالوا كربلاء قال هاهنا محط رحالنا هاهنا مناخ ركابنا هاهنا سفك دمائنا و

عن كربلا وبلائها سل كربلا

سل كربلا عن كربها وبلائِها

جينه ننشد كربلا إمضيعينها

كيف نتوحد؟

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾(1)

بعد أن اتخذ البعض دعوى التقريب بين المذاهب الاسلامية قميص عثمان يلوحون به في وجه كل الأصوات المبدئية المدافعة عن الحق وأهله، أصبحنا اليوم نواجه موجة جديدة أعتى وأشد من تلك وأخطر وهي دعوى البعض إلى مسايرة ومجاملة الملحدين وأصحاب الديانات والمبادئ المنحرفة بحجة نشر السلام بين أفراد الانسانية ويدعمون آرائهم بالعديد من النصوص الاسلامية التي تلغي التمايز من قبيل «**كلكم لآدم وآدم من تراب**» أو كقوله تعالى **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾** أو كحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم «**الناس سواء كاسنان المشط**» أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم «**لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلّا بالتقوى**» .

هذه الأقوال صحيحة ولا سبيل لأنكارها ولكنها ليست مبرراً لا طاعة فريق من الذين أُوتوا الكتاب، والذين أوتوا الكتاب والذين أطعناهم وخففنا تركيز عقيدتنا مجاملة لهم ومراعاةً لمشاعرهم ردوّنا كافرين يقول اللّه جل وعلا **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾**

جميلة هي الحداثة ورائعٌ من يصورنا للآخرين دعاة حب وسلام وحملة دين عقلاني علمي عصري ومبادئ وأخلاق فاضلة، وفي الواقع هكذا نحن وهكذا هو إسلامنا.

---

(1) سورة آل عمران : ١٠٠ .

لكن الغلط في القضية هو التخلي عن أهم مرتكزات العقيدة والذوبان الكلي في الآخرين، إعمل على أن يذوب الآخرون في حب محمد وآل محمد ﷺ لا العكس، لأنك إن أضفت ماءً مضافاً إلى ماءٍ كرٌّ بقي الماء محافظاً على خصائصه أما إذا أضفت قليلاً من ماء الاسلام الطاهر على ذلك النجس فإنه يتنجس بملاقات النجاسة ويتغير لونه وطعمه ورائحته رغم إن الماء القراح عديم اللون والطعم والرائحة، قدم لضيوف الاسلام عصيراً طبيعياً مركزا، لاتخفف بحجة إن القوم لا يطيقونه ولا يحتملونه، لأنك إن فعلت ذلك مسخت عقيدتنا وشوهت صورتها وضيعت وأظللت أجيالنا وصرت منافقاً، لا هم قبلوك ولا اللّٰه ورسوله أجازوك بالتصرف في دينهم صدقني كلما إزددت إحتراماً لعقيدتك زاد إحترام الناس لك ورضي اللّٰه ورسوله عنك، إعمر ما بينك وبين اللّٰه ودع الناس لرب الناس لست عليهم بوكيل.

ياليت مابيني وبينك عامرٌ

وبيني وبين العالمين خراب

كن داعية بأعمالك لا تنازلاتك وتشكيكاتك وتملقاتك أذكر أني ذات مرة دعيت إلى دائرة أمن فقابلني ضابط رفيع المستوى وكان يحاول إقناعي بعدم جدوى هذه المظاهر العاشورائية وأخذ يذكرني بمن حولي من أهل الديانات الأخرى والمذاهب الأخرى الذين قد لا يروق لهم ذلك اوانه يثيرهم وينكأ الجراح واننا يجب أن نتوحَّد بوجه العدو الغاشم، وما إن فسح المجال لي للأجابة حتى أخذت بالإشادة بالشعب الهندي العظيم وكانت أيام مقتل رئيسة وزرائهم أنديرا غاندي، فقال لي وما دخل ما ذكرت بموضوعنا، فقلت إن إحترام الهنود لعقيدتهم وتمسكهم بها فرض على كل زعماء العالم الوقوف بكل إجلال وإحترام أمامَ حرق جثمانها بيد ولدها بعد أن وضعوا عليها خشب الصندال وأراقوا عليه ما يساعد على الاحتراق باللّٰه عليكم هل هذا العمل عقلاني أو حضاري أو سيشجع الناس على اعتناق الدين البوذي، لم لم ينتقدهم أحد ولم يحسبوا هم حساباً لمنتقد لهم. إحترم تحترم، علماً إنه ليس في عقيدتنا إلّا كل ما يزين ونزداد به فخراً وعزّاً، إن التسامح في القضايا العقائدية لا يجلب

لك إحترام الآخرين لا حظ ما ذكره المفسرون في أسباب نزول الآية المباركة موضوع البحث بعد أن ثبت الاسلام أقدامه في المدينة المنورة على مشرفها الصلاة والسلام والمجتمع المدني الذي كان الأوس والخزرج من أهم القبائل فيه وقد بذل النبي ﷺ جهوداً غير عادية لتطهير النفوس من النزعات الجاهلية التي كانت تسيطر عليهم فتستهلكهم، ما راق هذا الإنصهار في الاسلام لمن يجاورهم من اليهود فأرسل ساش بن قيس اليهودي أحد شبابه وقال له إدخل مجالس الأوس والخزرج وذكرهم بالحروب التي وقعت بينهم خصوصاً يوم «بغاث »، فدخل بينهم كما يدخل بعض المستشرقين اليوم وأخذ ينشد الأشعار التي أنشدت عند الواقعة وإذا بالقوم يجترون الماضي ويخترطون سيوفهم وثارت بهم حمية الجاهلية؟، فسمع النبي ﷺ بذلك فأسرع اليهم ووقف بينهم يقول «أتدعون الجاهلية وانا بين أظهركم بعد إذا أكرمكم اللّه بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألّف بين قلوبكم، فاعلموا إن إطاعة هؤلاء تجركم إلى الكفر بعد إيمانكم.

فلما أحس القوم بأن الأمر كان من نزغ الشيطان وكيد اليهود ألقوا السلاح من أيديهم واستغفروا ربهم وعانق بعضهم بعضاً وعادوا مع الرسول ما أروع العودة إلى الرشد والإعتراف بالخطأ عكس الإصرار على الخطأ الذي يؤدي بالانسان إلى مزيد من السقوط في الهاوية، رب قائل لماذا يقبل بعض الناس النصيحة ولا يقبلها آخرون ولو إنها صدرت من رب العالمين والمفروض بها أن تفعل فعلها، تقول إن المواعظ كالمطر لا ينتفع به إلا الأرض المستعدة والخالية من الأدران والأعشاب الضارة والمحروثة والمبذورة في موسمها وليس في غير موسمها أي بعد فوات الأوان وهكذا تفعل المواعظ بأهلها. لقد وعظ الحسين عليه السلام الناس وحذرهم من مغبة السكوت على حاكم ظالم فاجر متجاهر بالكفر والفسوق منذ اللحظة الأولى لنهضته المباركة، نصح عبداللّه بن الزبير وعبداللّه بن عمر، نصح الحجيج يوم الثامن من ذي الحجة يوم التروية فهل من مجيب وعظ عبيد اللّه بن الحر الجعفي، وعظ الحر الرياحي في الطريق فلم يجب النداء إلا يوم عاشوراء.

ووجه إلى زهير بن القين رضوان اللّـه عليه وكان شـديد الولاء لعثمان بـن عفان لما نزل الحسـين عليه السلام في زرود وهي عين مـاء إجتمعا عليها الحسـين عليه السلام ومن معـه وزهير ومن معه، فبينـما زهير وجماعته على طعام صنع لهم إذ أقبل رسـول الحسـين يدعو زهيراً إلى سـيده، فتوقف زهير عن الإجابة غير أن زوجة زهير وهي لهم بنت عمرو حثته على المسير والاستماع لـكلام الحسين عليه السلام وبعـد إلحاحها مشى زهير إلى الحسـين عليه السلام ومـا أسرع أن عـاد إلى أصحابه فرحاً قد أسفر وجهـه وأمر بفسـطاطه ورحله فحول إلى جهة رحل الحسـين عليه السلام وقال لإمرأته إلحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خيراً ثم قال لمن معه من أحب منكم نصرة ابن بنت رسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم وإلا فهو آخر العهد فقالت له زوجته: خار اللّـه لك وأسألك ان تذكرني يوم القيامة عند جّد الحسين عليه السلام.

تقدّم بين يدي الحسـين عليه السلام يوم عاشـورا يعظ القوم منادياً: عباد اللّــه إن ولد فاطمة أحق بالوِّد والنصر من ابن سـمية فإن لم تنصروهم فأُعيذكم باللّـه أن تقتلوهم ثم تقدم للقتال وهو يرتجز ويقول:

أنـا زهـير وأنـا ابـن القين ... أذودكـم بالسيف عن حُسَينِ

أي قلب يقر أم أي عين ... بعد من باعوا الوجود بدين

أبنتهم مدامع الخافقين ... بأبي من شروا لقاء الحسين

بفراق النفوس والأرواح

***

أي ترب حواهم وصعيدٍ ... وشهيدٍ تلاه خيرُ شهيدٍ

نصروا بالطفوف خَير عميدٍ ... أدركوا بالحسين أكبر عيدٍ

فغدوا في منى الطفوف أضاحي

***

بـذلـوا للحسين الـنـفـوس الغوالي أحـجـمـت عـنـهـمُ لـيـوثُ النزالِ

وبـــنـــوا صرح عـــزِّهـــم بالنضال وقـــفـــوا يـــــدرؤون ســـمـــر العوالي

عنه والنبل وقفة الأشباح

***

گـضـوا حـك العليهم دون الخيام ولا خـلـوا خـــوات حـسـين تنظام

لمـن طـاحـوا تـفـايـض مـنـهـم الهام تهـــاووا مثل مـهـوى النجم مـن خرَّ

***

هـــذا الـــرمـــح بـــفـــاده تثنه وهـــــذا بـيــه لـلـنـشـاب رنه

وذاك الخـيـل صـــدره رضرضنه وهـــذا وذاك بـــالهـــنـدي امطبر

***

الإخاء الحقيقي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالُواْ يَا مُوسَىَ إِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَآ أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبّكَ فَقَاتِلآ إِنّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[1]

بين سائر الأنبياء وأقوامهم مناقشات ذكرها القرآن الكريم ونحن في هذا المجلس نستعرض واحداً من هذه المواقف الطريفة محاولين أخذ العبرة والاستفادة من هذا الدرس وغيره جهد إمكاننا والله ولي التوفيق، لقد كان قوم موسى عليه السلام أشد لجاجة وعصياناً وتمرداً من سائر الأقوام حتى أن الله بعث لهم من الأنبياء ما لم يبعث لغيرهم وحتى يومنا الحالي لا أبالغ لو قلت أنهم أشد سكان المعمورة جدلاً، ولا يفوت السامع اللبيب ما تعمدوه من أخذ ورد في قضية البقرة التي طلب موسى عليه السلام منهم ذبحها، ولا طائل من وراء هكذا بحوث.

في هذه الآية الكريمة موسى يطلب من قومه دخول مدينة الجبارين أريحا، وعلى عادة بني إسرائيل فإنهم إمتنعوا بحجة وجود الجبابرة فيها وردوا موسى عليه السلام بشكل ساخر وفيه من التوهين ما فيه، وإن دل هذا على شيء منهم أو من أي قوم لا يطيعون نبيهم أو قائدهم فإنما يدل على أنهم لا يؤمنون،

لقد نظر اليهود إلى أجسام الجبابرة العملاقة فتملكهم الرعب وأيقنوا بالموت فأحجموا عن القتال **﴿قَالُواْ يَا مُوسَىَ إِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَآ أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبّكَ فَقَاتِلآ إِنّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾** لقد أرعبهم شكل الجبارين وضخامة أجسامهم وتحصنهم بالحصون المادية ونسوا وعود الله بنصر أوليائه وكم من فئة قليلة غلبت فئةً كثيرة بإذن الله، ولينصرن الله من ينصره

---

(١) سورة المائدة: آية ٢٤.

ولعل بعضنا يقع فيما وقعوا فيه وهذا ما نخشاه بمقدار ما نخشى عدم الاستعداد للقاء العدو والاعتماد على مدد الله وعونه الذي يحتاج إلى المقدمات المعروفة، ﴿**وَأَعِدّواْ لَهُمْ مّا اسْتَطَعْتُمْ مّن قُوّةٍ وَمِن رّبَاطِ الْخَيْلِ**﴾(١)، هذا من هذا الجانب أما في أريحا فقد لجأ الجبابرة إلى عالمهم بلعم بن باعورا الذي كان كما يقال يعرف الاسم الأعظم، فطلبوا منه أن يخرج للدعاء على موسى وجيشه فأبى أولاً وقال لهم كيف أدعوا على نبي الله والمؤمنين معه والملائكة تحفه فألحوا عليه فأبى فذهبوا إلى زوجته وقدموا لها هدية معتبرة وطلبوا منها إقناع زوجها بالأمر فظلت تلح عليه حتى إحتج لها بالإستخارة كبعض المؤمنين عندما تخطب منهم بناتهم يعتذرون بالخيرة فإن كان العريس مقرشاً كانت الاستخارة جيدة وإلا فلا.

فاستخار أولاً فنهاه الله في المنام عن الدعاء فأخبرها فطلبت إعادة الخيرة فلم يجبه الله فقالت له الآن فلو أنه لم يرد لأخبرك بالنفي ولم تزل تقنعه حتى وافقها وركب حماراً ليذهب إلى جبلٍ يشرف منه على جيش موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويدعو عليهم، فحرن الحمار فضربه فمشى قليلاً وربض فعلها ثلاثاً وفي الثالثة أنطق الله الحمار وقال له يا بلعم ويحك أما ترى الملائكة تردني، فترك الحمار وسار للدعاء فكان كلما أراد أن يدعو على موسى وقومه دعى لهم وكلما أراد أن يدعو لقومه دعى عليهم، فقالوا له ما تفعل يا بلعم فقالوا هذا شيء غلب الله عليه وإندلع لسانه على صدره وصار كما وصفه القرآن ﴿**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث**﴾(٢). عندها أيقن بلعم بالخسران المبين. فاعتمد الأسلحة الإسرائيلية المعهودة في الصراع، أمر أن تتزين النساء ويعطوهن بعض السلع ويرسلوهن إلى جيش موسى وأن لا تمنع إمرأة نفسها ممن يريدها، وقال إن زنا رجل واحد منهم كفيتموهم ففعلوا وكادت خطتهم تنجح لولا أن أحد أبناء عم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويدعى صحصاح طعن الزاني والزانية برمحه فدرزهما معاً ورفعهما وقال من فعل مثل هذا فعلنا به مثل هذا وتقدم يوشع بن نون

(١) سورة الأنفال: آية ٦٠.
(٢) سورة الأعراف: آية ١٧٦.

يقود الجيش ودخل أريحا وقتل الجبابرة وبقي منهم عدد قليل وشارفت الشمس على الغروب فخشي موسى عليه السلام أن يدركهم الليل ويفلت بقية الجبارين من قبضة يوشع فدعى الله أن يرد الشمس ليوشع فردت حتى إنتهى يوشع من مهمته، وقد نال مثيل هذا الشرف وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسد الله الغالب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث يشهد إبن أبي الحديد المعتزلي في عينيته المشهورة فيقول:

يا من له ردت ذكاء ولم يفز
بنظيرها من قبل إلا يوشع
يا قالع الباب الذي عن هزه
عجزت أكف أربعون وأربع

إنها باب خيبر الحصن الذي لاقى فيه فتحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العناء كما عانى موسى ويوشع في فتح أريحا، وبنفس الأسلوب في اليوم الأول أصبح الجيش مع قائده معرسين في فتيات الحصن اللاتي تسللن في الليل. وكان أن انكسر الجيش ولم يفتح الحصن وفي اليوم الثاني كذلك وفي الليلة الثالثة كان الوعد العظيم لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار يفتح الله على يديه الحصن، وكان علي عليه السلام أرمد العين ليلتها فاستقبله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وشفى عينه بريقه وأعطاه الراية فتقدم وهو يرتجز ويقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة
ضرغام آجامٍ وليثٌ قسورة
أكيلكم بالسيف كيل السندره

فقلع الباب وجندل مرحب ورفرفت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله بيد فارس الفرسان علي بن أبي طالب عليه السلام، هذا ما حكاه القرآن والتاريخ لنا عن أصحابٍ ما رعوا حقوق المصاحبة ولا أروم الأكثار من الشواهد على هذا السلوك المشين أو هذا الرد اللاأخلاقي ولعل قولة النبي الأخيرة قبيل وفاته بلحظات تجسد الحقيقة، الكل يعترف بأنه

قال لعن الله المتخلف عن جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة، دعونا من كل هذا وتعالوا معي إلى كربلاء لنرى موقف أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الذين يشهد الله مولاهم الحسين عليه السلام أنه لأيعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً منهم.

جمعهم ليلة المعركة ليضع النقاط على الحروف وخطب فيهم وبعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على جده المصطفى وآله الأطهار قال: ألا وأني لأظن يوماً من هؤلاء ألا وإني قد أذنت لكم يعني بالانصراف فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كلُّ واحدٍ منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم فإنهم لا يريدون غيري فقام إخوته وأهل بيته وتكلموا بكلام رائع، ثم قام بنو عمه وتكلموا بكلام يشبه ذلك الكلام من الاستعداد للفداء ثم قام الأنصار الواحد تلو الآخر يوضحون للمولى وللأجيال موقفهم يقول قائلهم والله لو علمت أني أقتل ثم أحيى ثم أقتل ثم أحيى ثم أحرق حياً وأذرى يفعل بي ذلك سبعين مرة لما فارقتك حتى ألقى حمامي كيف لا أفعل وأنا أعلم أنها قتلة واحدة ثم بعدها كرامة الدنيا والآخرة، والآخر يقول أكلتني السباع إن أنا فارقتك، والآخر يقول لا والله لا نخليك أبداً حتى يعلم الله أنا قد حفظنا وصية رسوله فيك، يا أبا عبد الله نحن لا نقول كما قال قوم موسى فأذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون بل نقول إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معك مقاتلون لا تعلوا جبلاً إلا علوناه ولا تهبط وادياً إلا هبطناه سربنا مشرقاً شئت أو مغربا

قومٌ إذا نودوا لدفع ملمةٍ
والخيل بين مدعس ومكردس
لبسوا القلوب على الدروع واقبلوا
يتهافتون على ذهاب الأنفس

***

گـضـواحـگ الـعـلـيـهـم دون الخيام

ولا خـلـوا خـــوات حـسـيـن تنظام

لمـن طـاحـوا تـفـايـض مـنـهـم الهام

تـهـاووا مـثـل مـهـوه الـنـجـم لـو خر

***

هـــذا الـــرمـــح بـــفـــاده تثنه

وهــــذا بــيــه لــلــنــشــاب رنَّه

وهـــذا الـخـيـل صـــدره رضرضنه

وهـــذا وذاك بـالـهـنـدي أموَّذر

***

هـــووا مـــا بـيـن مـن حـــزوا وريده

وبـيـن الـلـي بـــروا بـالـسـيـف إيده

وبـيـن امـــصـــوَّب بـطـعـنـه شديدة

وبـيـن الـصـــار لـلـنـشـاب مكور

***

يـــهـــل الـــشـــيـــم هـــــذا محلكم

لـــلـــمـــوزمـــة تـــذخـــر هممكم

تـــرضـــون تـــتـــيـــســـر حرمكم

گـــومـــوا وادفـــعـــوا الـــلـــوم عنكم

***

**

*

النصر الظاهري والواقعي

﴿لاَ يَغُرَّنَّـكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِـلاَدِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (١)

اختلفت أقوال المفسرين في أسباب نزول هذه الآيات فمنهم من يرى أنها نزلت في المشركين ومنهم من يرى أنها في اليهود وبعض يرى أنها عامة والخطاب فيها موجه للنبي الأكرم محمد ﷺ.

خلاصته: يا رسول الله ﷺ ترى أنت ومن آمن بك وبدينك أن خصومكم من اليهود والمشركين يعيشون في بحبوحة ورفاه والأموال تجري بين أيديهم كالشلال وأنتم تعانون أقسى الظروف وشظف العيش قد ضرب أطنابه في ربوعكم، فلا يغرنك حالهم ولا تتألم فإن السعادة الظاهرية التي ترونهم يتمتعون بها ما هي إلا نعيم زائل و وهم يعيشونه وينخدعون به وعاقبته جهنم والخسران.

إذا لكل أمر ظاهر وباطن شكل ومضمون، وبعض المظاهر خدّاعة ولكن حقائق الأمور لا تخفى على الأنبياء والأوصياء والأصفياء لذلك تراهم وكأنهم يسبحون عكس التيار، الناس يلهثون وراء المكاسب الدنيوية المادية والهداة يضحون بها لأجل الفوز الأبدي، نحن لدينا الدنيا غاية وهي لديهم وسيلة وقنطرة، ما نتصوره ربحاً هو بالنسبة لهم خسارة والعكس صحيح.

يروى أن النبي ﷺ ذبح ذات يوم ذبيحة وأخذ في توزيع لحمها على المحتاجين من المعارف والجيران، خذوا هذا الفخذ لآل فلان وهذا الكتف لآل فلان ولم يبقِ له ولعياله إلا

(١) سورة آل عمران: ١٩٦ـ١٩٧.

الرقبة وإذا بأم المؤمنين عائشة تعترض قائلة يا رسول الله ﷺ لقد وزعت لحم الذبيحة كله ولم تبقِ لنا إلا الرقبة فقال لها يا عائشة إن الذي قدمناه لذلك اليوم كله لنا إلا هذه الرقبة فهي ليست لنا، يعني سنأكلها وبعد ثلاث ساعات ستصبح برازاً وفضلات يجب التخلص منها.

ما هو الصحيح وكيف نحفظ توازننا وماذا يتطلب الأمر منا؟؟؟

اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً

واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا

اتخذ الدنيا كدار ممر لا كمقر واستذكر دائماً إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والآخرة جنة المؤمن وسجن الكافر، احسبها رياضياً:

توقيف محدود المدة وعناء قليل في الدنيا ونعيم دائم في الآخرة أفضل أم نعمة زائلة ومتاع قليل في الدنيا وجحيم دائم في الآخرة؟

من هو الرابح ومن هو الخاسر، المؤمن المبتلي أم الفاسق المنعم؟؟

طبيعي هو شعورك بالحرمان والظلم والمعاناة عندما تقارن بين أحوالك وأحوال الذين يتحكمون بالبلاد والعباد، تتألم حين تسمع أو تقرأ عن نبيّ ذبح كما يذبح الكبش من أجل رغبة زانية، تبكي حين تتصور جلفاً يهشم أضلاع سيدة نساء العالمين خلف الباب ويسقط جنينها، أو مجرماً يهوي بالسيف على رأس ولي الله وهو ساجد في المحراب لربه والقاتل ينادي الحكم لله لا لك يا علي والمقتول ينادي فزت ورب الكعبة، تتفجر حزنا لكل ما يجري حولك، دائماً وأبداً المؤمن مبتلى والكافر ظاهره يوحي بأن كل شيء في الوجود يخدمه وكل الأبواب بوجهه مفتحة، أما نحن فنشعر بأن كل الأبواب بوجهنا موصدة.

كأن اليهود بالأمس وكما هم اليوم يتلاعبون بمقدرات الشعوب ويمسكون بعصب الاقتصاد ويتسلحون بالمال والنساء والشعوب المقهورة تشعر بالذل والهوان حين تصنف بالعالم الثالث. أو على أحسن الفروض «الدول النامية أو الفقيرة».

فمن هو الرابح ومن هو الخاسر؟ ومن هو المنتصر ومن هو المندحر؟

جيش يزيد بن معاوية قتل الإمام الحسين عليه السلام ومثّلوا بجثمانه وسبوا حريمه فلمن النصر بمقاييسنا المادية ومن هو المنتصر حسب المفهوم القرآني؟

ما هي دلالات الوحشية التي بطش بها يزيد بالحسين؟ وما هي دلالات استماتة الحسين عليه السلام في الدفاع عن الدين وكرامة الأمة؟

لو راجعنا تواريخ الفراعنة والطغاة والمتنمردين وحللنا نفسياتهم لوجدنا أنهم مثال الضعف والجبن وهم بجبروتهم وطغيانهم يحاولون إخفاء ضعفهم عن الشعوب التي يتلاعبون بمقدراتها، يتظاهرون بالكرم وهم بخلاء وبالشجاعة وهم جبناء وبالقوة وهم ضعفاء وبالذكاء والدهاء وهم أغبى الأغبياء!!!!

وفي المقابل فإن أولياء الله الذين يبدو لنا أن الأمور دائماً تسير عكس ما يريدون، يتواضعون وهم العظماء ويتكرمون وهم الفقراء ويقهرون وهم الأقوياء ويزهدون وهم الأغنياء ويتأخرون وهم العلماء ويخلدون وهم شهداء وينتصرون وهم في السجون أو على أعواد المشانق أو تقطع منهم الأعضاء وتبقى أشلاؤهم ثلاثاً على رمضاء كربلاء وتهتف رؤوسهم المقطوعة في وجه الطغاة المجد والخلود لرسالة السماء والخزي والعار الأبدي لقتلة الأنبياء والأوصياء والأولياء والأبرياء.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شعب أبي طالب عليه السلام منتصر وخصمه مع كل ما يمكل مهزوم ومندحر، عيسى عليه السلام وهو على أعواد المشنقة وأعداؤه مهزوزون وهم في القصور، رأس نبي الله يحيى المفصول عن بدنه منتصر وهو يتدحرج بين يدي قاتله لأنه لم يسكت عن الحق، رأس سعيد بن جبير المقطوع قتل الحجاج قاتله بنداء الله أكبر، أمير المؤمنين عليه السلام يهتف فزت ورب الكعبة، وقاتله يعترف بالهزيمة قائلا له: (أفأنت تنقذ من في النار)، بربك قل لي من المنتصر ومن المندحر القاتل أم القتيل؟؟

(لكل عملة وجهان) نحن بقصر نظرنا وضعف تصورنا نرى الواقع المعاش وهم

يحسبون حساب الأمس واليوم والغد، إنهم يعملون من أجل نعيم أبدي لا يبلى ولا يزول، ونحن يقتل بعضنا بعضا من أجل متاع قليل ثمنه وهو كما صرحت به الآية ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران : ١٩٧].

لِيَغُرَّ يزيدا وابن زياد ومن سار في ركبهم دنيا أصابوها وخلافة اغتصبوها ولكن هل وجدتم في كتاب الله جل وعلا أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو حدّثكم محدّث بأن العاقبة لغير المتقين والفوز لغير المؤمنين المظلومين، تأبى عدالة الحق إلا أن يكون الانتصار الواقعي ورجاله ولنعم ما قيل: (إن للباطل جولة وللحق دولة).

لقد سارت أقدام الحسين عليه السلام ورجاله الأشاوس خطى الانتصار بثقة عالية ليس لها نظير في تاريخ البشرية، وهل تجدون كمثل عابس الذي ألقى سلاحه وفتح صدره وتقدم نحو القتلة وهو ينادي ألا رجل لرجل، فقيل له: أجننت يا عابس!! كيف تلقي سلاحك ودرعك وتكشف صدرك وتهجم ، قال نعم حب الحسين أجنني:

عابس أنا يا ناس يا لعني تگولون
مجنون إي والله بحب حسين مجنون

***

آنه حبيبي حسين ابن خير البرية
وشبل الإمام المرتضى وحامي الحمية
وتدرون أمَّه فاطمة الزهرة الزكية
وتدرون أبو محمد عضيده زين تدرون

***

عابس برجله يسير للعز والسعادة
وميموت كلمن يحيي الإسلام بجهاده

إحنه الشهادة إلنه مولد للإرادة

واليقتل إرجال العدل بالعار مدفون

***

الحب عابس أخذ روحه وجنه

ومشه لرضوان من ربه وجنّه

سهام الموت من طارن وجنه

هتف دون الهدف تحله المنية

قوة التزام العقيدة

﴿خُذُواْ مَآ آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

في أكثر من آية من آيات القرآن المجيد توجيه وأمر بضرورة أخذ المبادئ والقيم السماوية بقوة، وكنت أتصور قبل دراستي الفقهية ومن خلال الأجواء العامة التي عيشتنا بها الظروف القاسية التي تحيطنا أنها القوة البدنية، وكنت أحشد الحكم والأحاديث التي تنفعني في إقناع الآخرين برأيي من قبيل «العقل السليم في الجسم السليم» ﴿وَأَعِدّواْ لَهُمْ مّا اسْتَطَعْتُمْ مّن قُوّةٍ وَمِن رّبَاطِ الْخَيْلِ﴾[2]. وغيرها ولقد دفعني إفراط الذين يسيؤون إلى الإسلام في استخدام الإرهاب والعنف بدل القوة إلى إعادة النظر في مفهوم هذه القوة وكانت الخطوات التالية

سألتُ علماء الأخلاق فقال قائلهم: «الشجاعة هي حد الوسط بين الجبن والتهور»، والحكماء قالوا: «كل شيء زاد عن حده انقلب إلى ضده».

والحق يقول: ﴿ادْعُ إِلِىَ سَبِيلِ رَبّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3]. ﴿فَإِذَا الّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنّهُ وَلِيّ حَمِيمٌ﴾[4]. ﴿خُذُواْ مَآ آتَيْنَاكُم بِقُوّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ﴾[5].

فما المقصود من القوة هنا؟

هل المقصود قوة الجسد؟ أم القوة العسكرية؟ أم السياسية؟؟ أم المادية؟ أم المعنوية؟

(1) سورة الأعراف : آية ١٧١.
(2) سورة الأنفال : آية ٦٠.
(3) سورة النحل : آية ١٢٥.
(4) سورة فصلت : آية ٣٤.
(5) سورة البقرة : آية ٣٦.

يقول ابن منظور في لسان العرب عن الليث إن القوة تتألف من (ق، و، ي) وتعني الحزم ولا تعني قوة البدن ونقيضها الضعف، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿يَيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[1]. ومعناه بجد وحزم وعون من الله جل وعلا. والحزم دليل التعقل والتأني وخلافه التهور والاستهتار واعتماد قوة البدن وتعطيل دور العقل أحياناً كثيرة أتصور الحركات البهلوانية المتفق عليها بين المصارعين الذين تعرض بعض الفضائيات أفلامهم وحركاتهم التي ظاهرها قوة البدن وحقيقتها التي هي أقرب إلى الجنون، بالإرهاب الذي ألصقوه بالإسلام زوراً وبهتاناً من أجل ضرب الإسلام تحت ستار محاربة الإرهاب.

إن قوة مبادئ دين الإسلام وروعة أخلاقياته وعظمة قيمه الحقة هي عناصر القوة التي حفظته سابقاً وتحفظه لاحقاً، والالتزام الواعي والحازم بقيم الإسلام لهو أفضل وسائل الدعاية لديننا، قوة الدين ذاتية ولا يحتاج المسلمون لهذه الاستعراضات التي تسيء للإسلام وللمسلمين على السواء، لستم أحرص من رسول الله ﷺ على الإسلام والمسلمين، لا بل لستم بأحرص من الله على دينه وهاهو القرآن يصرخ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]. فالقوة المطلوبة يحكمها عدم نسيان ما في القرآن ﴿وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3]. وديننا دين الوسطية والاعتدال لأن «كل شيء زاد عن حده انقلب إلى ضده»، فالقوة دون الرجوع إلى القرآن عواقبها وخيمة بسبب الابتعاد عن التقوى.

لقد حذرنا من خطورة هذا المنهج ونبقى نحذر، إن تذكر آيات الله وحسن الاقتداء بالسلف الصالح والرعيل الأول من المسلمين الأوائل سيعمل عمل المكابح والفرامل التي تمنع وسائط النقل من الاصطدام والتدهور، وفي الطرف الآخر فإن الهشاشة في التزام البعض بتعاليم الدين وخجل البعض وضعف النفوس وعدم الثقة بالله ونصره لدينه سيدفع أعداء الإسلام إلى الاستكلاب في محاربته، لا تستحي من حقك لكي لا تدفع عدوك إلى أن يطمع

(١) سورة مريم: آية ١٢.
(٢) سورة الحجر: آية ٩.
(٣) سورة البقرة: آية ٦٣.

بالباطل يقال من الأمثال الشعبية سألوا فرعون «يا فرعون من فرعنك قال لم يردني أحد».

ما أن أغمض رسول الله ﷺ عينه حتى رفعت أفعى الجاهلية رأسها من جديد وانعقد مؤتمرها في سقيفة بين ساعدة، هل سألنا أنفسنا لماذا ذهب القوم إلى سقيفة بني ساعدة؟

ألم يعلمنا رسول الله ﷺ بأن كل الأمور المصيرية تناقش في المسجد ويتم التشاور علناً بين المسلمين فيه؟؟

وما الذي أخذهم إلى السقيفة والرسول ﷺ ينازع إن لم تكن المؤامرة؟؟

لقد رفض القوي في دينه هذا النهج الخياني وأصبح يبحث عن أقوياء لا تأخذهم في الله لومة لائم، لم يجدهم عند الحاجة

وما أكثر الإخوان حين تعدهم
ولكنهم في النائبات قليل
ولا خير في ود امرئ متلون
إذا الريح مالت مال حيث تميل

استفحل أمر الفراعنة والناس لا يجرؤون على نصرة الحق والكل يعلم أن رسول الله ﷺ كان دوماً يقول «علي مع الحق والحق مع علي» فمن أعرض عن الحق وحاربه مع من يكون قل لي بالله عليك؟؟ وقف يوماً مع أنس بن مالك وطلب منه أن يذكر حديث الطائر المشوي وما كان من أمره، أتعلمون ما صنع مالك؟

ترك الحق ووقف يجامل الباطل بدعوى أنه كبر ونسي!! لا بل ضعف مما دفع أمير المؤمنين عليه السلام إلى رفع يديه بالدعاء عليه وإذا بالسماء تنتصر للحق ويُبتلى أنس بوضحة لا تغطيها العمامة ووصمة عارٍ لا تمحى حتى يوم القيامة.

وكذلك ضعفت الأمة عن نصرة الحسن الزكي المجتبى عليه السلام حتى قتله معاوية بالسم الذي دسه إليه بواسطة جعدة بنت الأشعث وفي الوقت الذي وجد فيه الإمام الحسين عليه السلام صفوة من الرجال ليس لهم في تاريخ الرجال نظير نصروه، فإن الأمة كانت تعاني من الانهيار

فلقد ابتليت بحاكمٍ فاسق فاجرٍ متجاهرٍ بالكفر وشرب الخمور وملاعبة القردة وقتل النفس المحترمة وليس في الناس من يقول كلمة (لا) حتى ارتكب في مدة حكمه المشؤوم ثلاث جرائم كل واحدة منها أدهى من الأخرى وأجرم من يزيد بن معاوية من لا يقوى على لعنه اليوم ويجامل قتلة أولاد الأنبياء ألا لعنة الله على الظالمين وعلى من يجاملهم، وسلام الله على كل مؤمن نصر الحق وأهله وعلى كل مؤمن قوي في عقيدته، تمثلوا موقف الشهيد البطل هاني بن عروة المذحجي المرادي رضوان الله عليه حين استدعاه ابن زياد بمكره ودهائه إلى قصر الإمارة وطلب منه أن يدفع إليه مسلم بن عقيل ليقتله، أنكر هاني بن عروة اتهامات ابن زياد له فأخرج له جاسوسه عليهم معقل فأصبح هاني أمام الأمر الواقع، فقال لفرعون عصره إعلم يا بن زياد لو كان تحت رجلي هذه طفل من أطفال آل محمد صلوات الله عليه وآله ما رفعتها عنه حتى تكثر البارقة حول قصرك، هذه هي قوة العقيدة والولاء، فقال ابن زياد أبا لبارقة تهددني ويلي عليك ثم صرخ بغلمانه قائلاً أوثقوه ثم تقدم نحوه وأخذ يستعرض وجهه بقضيب من حديد حتى سالت الدماء على وجهه وأمر بإلقائه في الحبس، سمعت مذحج بالخبر فأسرعت وطوقت قصر الإمارة، أحس ابن زياد بالخطر فطلب من شريح القاضي أن يهدي الجماهير الغاضبة، دخل على هاني وخرج إليهم قائلاً لهم إن شيخكم في ضيافة الأمير وهو بخير ولقد رأيته الساعة، انطلت الحيلة على مذحج وعادوا أدراجهم، وبعد أن قُتل مسلم بن عقيل عليه السلام أخرجوا هاني إلى السوق ليقتلوه فقال له الجلاد مد عنقك، قال: ما أنا بها بسخي ثم حاول أن ينزع الوثاق من يديه وأخذ ينادي وامذحجاه ولا مذحج اليوم هل من سيف يذود به المرء عن نفسه هل من سكين أو عظم يناجز بها المرء عدوه، ثم ضربه الجلاد على رأسه بالسيف لم تؤثر فيه وهو يستغيث ولا مغيث ثم ضربه ضربة ثانية خر على أثرها إلى الأرض يخور بدمه أين المنادي أي وامصيبتاه أي واذلاه أي واغربتاه، ثم وضعوا الحبال في رجليه وسحبوه مع مسلم في الأسواق:

غيري مسعد بدهره وهاني

وأنـــا بـالـنـايـبـات أظـهـر وهاني
اشـلـون أطفي جمر حزني وهاني
جــرع بـالـكـوفـة چـاسـات المنية

الموت والآخرة

﴿اقْتَـرَبَ لِلنّـاسِ حِسَـابُهُمْ وَهُـمْ فِـي غَفْلَـةٍ مّعْرِضُونَ
(١) مَا يَأْتِيهِـمْ مّن ذِكْرٍ مّـن رّبّهِمْ مّحْدَثٍ إِلاّ اسْـتَمَعُوهُ
وَهُمْ يَلْعَبُـونَ(٢) لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَـرّواْ النّجْوَى الّذِينَ
ظَلَمُواْ هَلْ هَـَذَآ إِلاّ بَشَـرٌ مّثْلُكُـمْ أَفَتَأْتُونَ السّـحْرَ وَأَنتُمْ
تُبْصِرُونَ﴾[1].

ذكر الطبرسي رحمـه الله في مجمع بيانه أنها مكيـة ولها من الفضل عن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن من قرأها حاسبه الله حسـاباً يسيراً وصافحه وسـلم عليه كل نبي ذكر اسـمه في القرآن، وعن الإمام الصادق عليه السلام أن من قرأها حباً لها كان مع الأنبياء والمرسلين في جنات النعيم وتورثه المهابة في أعين الناس.

وفدنـا إلى هـذه الدنيـا بعد رحلة شـاقة مـروراً بعـدة عـوالم الـذر، الأشـباح، الأرواح، الأصلاب، الأرحام.

وبدأنـا رحلة جديـدة وجهتنا فيهـا إلى الآخرة نسـعى إليها سـعياً حثيثاً وبسرعـة مذهلة والمحطـات التي سـنقف عندها الواحـدة أخطر مـن الأخرى، مـوت، قبر، برزخ، حسـاب، ثواب أو عقاب المسـافة بين خطب البداية والنهاية قصيرة جداً أو قريبة. والرحمن الرحيم هنا يحذرنا أيها الناس عن الغفلة والإعراض، ما أسرع الملتقى فنحن نسـير باتجاه السـاعة بسرعتنا القصوى وعلينا أن نكون على حذر ونقود مركباتنا بكامل الحيطة والحذر ونراعي كل شروط السلامة لأن الإنسان يسـير في حقل ألغام والرؤيا فيه يشـوبها ضبابية الفتن التي تتعاظم يوماً

---

(١) سورة الأنبياء: آية ١ – ٣.

بعد يوم.

دخلت يوماً عيادة طبيب العيون فأجلسني على كرسي وطلب من أن أنظر إلى لوحة رسمت عليها الحروف وعلى عدة اتجاهات وأطفأ الأضواء إلا الضوء الخافت الذي ينير خلف الحروف المختلفة الأحجام بعد أن ألبسني نضارة تجريبية أصبح يغير عدساتها وكلما غير واحدة منها يسألني كيف أبحت الرؤيا عندك الآن، حتى توصل بعد عدة تجارب إلى أفضل رؤية واضحة، قلت في نفسي أن الناس لو وضعوا على أعين بصرهم وبصائرهم العدسة التي أمرنا الله بوضعها واختارها لنا لما اختلفنا وتقاطعنا وتقابلنا وكفر بعضنا بعضاً، أي شيء تلهون وعن آل محمد تعرضون ولأدوارهم تحجمون وتتصورونهم كأحدنا تحتملون أن يقعوا تحت تأثير المغريات التي تطيح بنا ويعتريهم ما يعترينا ويعرض لهم ما يعرض لنا، امعنوا النظر في هذه الآيات وفي غيرها، اقرؤوا القرآن بتدبر وتفكر لا قراءة القلب اللاهي.

لقد اعتمد أعداء الأنبياء من آدم عليه السلام إلى الخاتم على مقولتين أساسيتين في محاربة الحق والهدى:

الأولى: هي ﴿**هَلْ هَـٰذَآ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾ واعتبار ذلك منقصة.

والثانية هي أن لاحظتم منه آية كريمة أو معجزة أو آية توحي بتأييد الله فاتهموه بالسحر والشعوذة ودعوى العقل والمنطق، الأنبياء صفوة منتخبة لا يغيب عن مشاريعها الدعم والتأييد الرباني وعهود الانتصار.

اقرؤوهم قراءة قرآنية صحيحة، ضعوا العدسة المناسبة على عيون بصائركم، صفوا لأولادكم أهل البيت عليهم السلام كما وصفهم الله وبدافع الحب الخالص لله لا من مواقع مصالحكم وذاتياتكم لأن عدسات المصالح والغايات تشوه الصور وتمنع الرؤية الصحيحة نحبهم لله ونحب من أحبهم لله ونبغض من أبغضهم لله ليس بيننا وبين أحد عداوة، أورد علماؤنا عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال أحب محب آل محمد لحبه لهم وأبغض مبغض آل محمد لبغضه لهم فإن محب آل محمد إن زلت إحدى قدميه على الصراط ثبتت الأخرى بحب محمد وآل

محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أخي المؤمن من أشهر أمراض النظر قصر النظر، وبعد النظر، والبصيرة ستصاب بنفس الأعـراض في حالتـي البعد والقـرب من محمـد وآل محمد تأملـوا القـرآن والأحاديث النبوية سـتجدونها تدعوكم إلى الوسـطية ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُـمْ أُمَّةً وَسَـطاً**﴾(١). وخير الأمور أوسطها ولا إفراط ولا تفريط ولا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين.

ويا علي هلـك فيك اثنان محـب غالٍ ومبغـضٌ قالٍ. النظـرة القاصرة إليهـم لا تختلف في أضرارها عن نظرة الغلو والمبالغـة لا تنكر دور العامل الغيبي في حيـاة أي منهم ولا تتخذهم أرباباً نحـن والأجيال الواعدة اليـوم بأمس الحاجـة إلى فهم أهل البيـت عليهم السلام فهماً صحيحاً وننظـر إلى جهادهم وعلمهم وفضلهـم وحتى المصائـب التي جرت عليهم بعدسـات الولاء المحض الذي أمرنـا به الله ورسـوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**قُـل لاَّ أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْـهِ أَجْـراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾(٢). نحب الحسـين عليه السلام دون الاكتراث لآراء من يجاملون قتلـة الأنبياء وأولاد الأنبياء، لا مجال للمجاملة على حسـاب المبدأ والعقيدة ولا تتوقع أن تتوحد الأمة الإسـلامية إلا بحث محمد وآل محمـد صلى الله عليه وآله وسلم، لا تقرب ولا ابتعـد لا أتزغر ولا أتكبر فإسـلامنا قوته بقوة رجالاته وأبطالـه وإن أردت أن تقنع الآخرين بمثلك الأعلى فعليـك أن تعرفه حق المعرفة ثم تعرفه عنه، اللهم عرفني نفسـك فإنـك إن لم تعرفني نفسـك لم أعرف رسـولك اللهم عرفني رسـولك فإن لم تعرفني رسـولك لم أعرف حجتك اللهـم عرفني حجتك ضللـت عن ديني، أتدرون أن عمر بن سـعد وأضرابه وقعـوا في شرك النظرة الضبابية حـول أهل البيت عليهم السلام، أتتوقعـون أن يكـون عمر بن سـعد ومن أمره بقتل الحسـين عليه السلام ممـن يجهل من هـو الإمام الحسين عليه السلام؟

أو أنهـم لا يعلمـون أن قتـل الحسـين عليه السلام يعني قتـل رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل يعنـي قتل الإسـلام؟؟ ترى ما الذي دفعهم لحربـه وقتله؟ وأغرب وأصعب من ذلـك موقف من يدافع اليوم عن قتلته يقول الشريف الرضي عليه الرحمة:

(١) سورة البقرة: آية ١٤٣.
(٢) سورة الشورى: آية ٢٣.

قـــتـــلـــوه بـــعـــد عـــلـــم منهم

أنـــه خـــامـــس أصـــحـــاب الكسا

وابن سعد بنفسه يعترف فيقول:

فـــوالله لا أدري وإني لحائر

أفـكـر فـي أمـــري عـلـى خطرين

أأتـــرك مـلـك الـــريِّ والـــريُّ منيتي

لـعـمـري ولـــي فـي الـــري قـــرة عين

يـــقـــولـــون إن الله خـــالـــق جنة

ونـــــار وتـــعـــذيـــب وغـــــل يدين

فـــإن صـــدقـــوا فـيـما يـقـولـون إنني

أتـــوب إلـــى الـرحـمـن مـــن سنتين

وإن كـــذبـــوا فـــزنـــا بـــدنـــيـــاً عظيمة

ومـــلـــكٍ عـظـيـم دائـــم الحجلين

هذا هو المشوش في أفكاره وعاقبته أن الله سلط عليه من ذبحه مع ولده على فراشه ولم يهنأ لا بملك الري ولا غيره بل كان وعده الإمام الحسين عليه السلام لم يذق قمحها ولا شعيرها.

وهلموا معي إلى زهير بن القين البجلي الذي كان عثماني الهوى كيف وعى واعية الحسين عليه السلام ونقل رحله والتحق بركب الشهداء الذين تهافتوا على نصرة الإمام الحسين عليه السلام

قـــومٌ إذا نـــــودوا لـــدفـــع ملمة

والـــقـــوم بـــيـــن مـــدعـــس ومكردس

لبسوا الـقـلـوب عـلـى الـــدروع وأقبلوا

يـتـهـافـتـون عـلـى ذهـــاب الأنفس

تقدم بين يدي الحسين عليه السلام يقاتل قتال الأبطال الأوفياء لدينهم ونبيهم وهو يرتجز ويقول:

أنا زهير وأنا ابن القين

أذود بالسيف عن الحسين

قاتل قتال الأبطال حتى سقط شهيداً على رمضاء كربلاء يخور بدمه الزكي وهو يقول سيدي أبا عبد الله عليك مني السلام يعني هذا الوداع فهل وفيت؟؟ وفاضت روحه إلى بارئها أين المنادي واسيداه وا غريباه واحسيناه

يشبان بالله لا تونون

تشعبون گلبي وتجري العيون

شبان مثل الورد يزهرون

وسافة على الغبرة ينامون

لله أقمار أفلن بكربلا

ولها بيثرت والمحب مطلع

***

حرمة البيوت

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]

لفت نظري وأنا أطالع في كتب المقاتل أبيات من الشعر نسبها ابن شهر آشوب إلى سليمان بن قبة الهاشمي وآخرون إلى سليمان بن قتة عند مروره على كربلاء وهي:

مررت على أبيات آل محمدٍ
فلم ارها أمثالها يوم حلَّتِ
وإن قتيل الطف من آل هاشم
أذلَّ رقاباً من قريش فذلَّتِ

فقال له عبد اللّـه بن الحسن هلا قلت «أذل رقاب المسلمين فذلت» فقلت واللّـه لو قال أذل رقاب العالمين فذلت لما كان مبالغا في قوله. ووقفت عندها منذهلاً لحال بيت الوحي أفكر في التغيير الذي طرأ عليه وأثار دهشة سليمان بن قبة وأخذني التفكر من أبيات الشعر إلى أبيات الوحي إلى الوحي وإذا للبيوت معاني كثيرة وآداب وحقوق، وقررت أن أطرق باب ابن منظور أولاً لأرى ما يقول في البيت يقول في لسان العرب يقال خباء لبيت الشعر الصغير فاذا كان أكبر من خباء فهو بيت وإذا كان أكبر من البيت قيل مظلة، ثم صار يطلق على الأبنية، وبيت الرجل داره وبيته وقصره، ولهذه الكلمة عدة معاني نذكر بعضها وهي:

البيت من الشعر ماله صدر وعجز، والبيت هو المسجد الحرام، والبيت أشرف ما في

(١) سورة النور: ٢٧.

العشيرة، والبيت هو التزويج فيقال بات الرجل اذا تزوج، وكذلك فمتاع البيت يقال له بيت، ويقال للأمر الـذي يدبّر ليـلاً بيتوه، وأتاهم الأمـر بياتـا أي في الليل، ومن الأخطاء الشـائعة قولنا عند النوم بـات فلان عندنا لأنه قد يبـات وهو غـير نائـم ﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً**﴾، وكذا يقال لعيال الرجل بيته، وأخيراً فإن الماء والطعـام الذي يقدم بعد تجهيزه بليلة ماء بائت أو طعام بائت وهناك بعض الاسـتعمال المجازي لكلمة البيت فنسـيج العنكبوت في القـرآن بيـت ﴿**وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾(١) ويقـال لجحور بعض الحيوانات بيوت، ويقال للكنيف بيت الخلاء.

وكـما أن الإخلال بأصـول وقواعد نظم الشـعر تؤثر عـلى البيت الواحد منـه كذلك فإن الإخلال بأصـول وقواعـد وآداب وحقـوق البيوت الأخـرى غير جائـز وها أنتم تسـمعون وتقرأون الآيـة الكريمة التـي توجّنا بهـا الحديـث. رب الأربـاب ومـشرع الآداب ينهى عن دخول بيوت الآخرين دون إسـتيذان من أهلها والسـلام عليهـم، لأن في مراعاة هذه الآداب كل الخير.

ولكل بيت مـن البيـوت آداب يجـب مراعاتها وأحيانـاً أحـكام شرعية لا يجـوز مخالفتها ولنبدأ من أقدس بقـاع الأرض من بيـت اللّـه وحرمه الآمـن قال الفقهاء مـن أجل دخولك إلى الحرم المكي الشريـف يجب عليك أولاً أن تكـون على طهور وأن تحـرم لذلك من مواقيت الإحرام المعينـة وإذا أحرمت فإن ذلك يعني بأنـه حرَّم عليك الأمور التالية: الصيد النسـاء ـ العقد ـ الاستمناء ـ اسـتعمال الطيب ـ لبس المخيط للرجال ـ الإكتحال ـ النظر في المرآة ـ لبس الخف أو الحذاء الذي يغطي ظاهر القدم ـ الفسوق وهو الكذب ـ والسباب والمفاخرة ـ الجدال ـ وهـو حلف اليمين ـ قتل الحشرات بل وحتى إبعادها عن جسـمك ولو بطريقة لطيفة ـ لبس الزينة ـ تغطية الرأس للرجل والوجـه للمرأة ـ دهن مواضع من البدن ـ إزالة الشـعر من البدن ـ تقليـم الأظافر ـ إخـراج الدم ولو بالمسـواك ـ قلع الـضرس ـ التضليل

---

(١) سورة العنكبوت: ٤١.

للرجال - قطع الشجر - وحمل السلاح - وعليك عند الدخول الطواف حسب أصول الطواف حول الكعبة سبعة أشواط بكامل الوقار والخشوع ثم بعدها صلاة ركعتين عند مقام نبي اللّه ابراهيم عليه السلام ثم بعد قسط من الراحة في زمزم السعي من الصفا إلى المروة سبعة أشواط تهرول في جزءٍ محدد منها وعندما تنتهي في الشوط السابع عند باب المروة تقصر شيئاً من الشعر والأضافر ثم تُحلّ من إحرامك ويبقى عليك أن تمتنع عن الصيد وقلع أي شجر من البيت. هذا ما يخص أقدس وأشرف بيت فهل للبيوت الأخرى أيضاً حرُمات تراعى، نعم حتى لبيت الأدب آداب يجب مراعاتها عند الدخول تقدّم الرجل اليسرى وتبسمل وتتعوّذ من الشيطان الرجيم الخبث الخبيث المخبث ولا تدخل معك خاتماً منقوشاً وعند الإنتهاء تمسح بطنك وتقول الحمد للّه وعندما تخرج تقدم القدم اليمين وإذا قيل لك أجارك اللّه قل عافاكم اللّه أو إختصرها بـ شفيتم وعوفيتم وهنا ألفت الأنظار إلى عبارة تستعمل في بعض البيوت خطأ فاذا إستاذنكم ضيفٌ لديكم وطلب بيت الخلاء فلا تقولوا له تفضَّل بل قولوا تكَّرم وأما بيوتنا التي نسكنها فكذلك لها حرمات تراعى وآداب تحفظ منها ما ذكرته الآية المباركة أعني طلب إذن الدخول وهو إما أن تنادي يا اللّه أو تُسلِّم وأضعف الإيمان أن تنحح فان سمح لك أهل الدار دخلت وإلا فاصبر حتى يأذنوا لك بالدخول فلعل بعض النساء بغير حجاب.

جاء رجل إلى رسول اللّه وقال له يا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أنا وامي في الدار ولا خادم لها فهل أستأذن قال نعم كلما دخلت، قال الرجل كلما دخلت قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم نعم أتحب أن تراها عارية قال الرجل لا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستأذن عليها كلما دخلت ومن حق جارك عليك أن لاتؤديه بالتلصص أو إقلاق راحته إنظر إلى حاتم الطائي كيف كان مع جيرانه والجار قبل الدار ولقد أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجار حتى كاد يورثه يقول حاتم الطائي:

ناري ونار الجار واحدةٌ

واليه قبلي ينزل القدرُ

أعمى إذا ما جارتي برزت
حتى يواري جارتي الخدرُ

إن كان بيتك وبيتي في كتاب اللَّه وسنة نبيَّه وسائر البيوت لها هذه الكرامة وهذه الحقوق والآداب التي يجب مراعاتها.

فما تقول بكرامة بيوت أذهب اللَّه عنها الرجس وطهَّرها تطهيراً وكيف يجب أن نتعامل معها يقول الشاعر فيهم:

أهلُ بيتٍ طُهِّروا من دنسٍ
ولهم في الحشر أعلى درجات
فإذا ما ذكروا في مجلس
إرفعوا أصواتكم بالصلوات

من كان يحترم العلم فبيوت العلم بيوت آل محمد ﷺ ومن كان يحتاج الرحمة فهم عيونها ومن كان يحتاج النور فهم نور اللَّه جل جلاله رحم اللَّه ابن العرندس الحلي حيث يقول:

هم النور نور اللَّه جل جلاله
هم التين والزيتون والشفع والوتر

كل ما في هذه البيوت مورد حب وتقدير وقد أوجب اللَّه علينا مودَّتهم﴿.. **قُل لا أَسأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى..**﴾

ينتابني الخجل عندما أتامل سلوك بعض الناس تجاه هذا البيت الطاهر البريطانيون إذا زارهم زائر يصحبونه بكل فخر إلى بيت شاعرهم المسرحي الكبير شكسبير ونحن اليوم لا نرى في مكة البيت الذي ولد فيه سيد الكائنات بل نراهم يسارعون في محو آثار هذا البيت الطاهر حتى المساجد التي تحمل أسمائهم، لعل القوم أبناء القوم، لقد هجم الأُولى على البيت الذي كان النبي ﷺ يُسلِّم على أهله كل صباح ومساء ولا يدخل إلا باستئذان، جمعوا

الحطب على باب دار فاطمة ولئن لم يحرقوه على بعض الأقوال فلقد أفرغوا حقدهم على خيام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في كربلاء وقف ابن سعد ينادي بعد أن قتل الرجال وذبح الأطفال عليَّ بالنار لنحرق بيوت الظالمين، لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية فررن بنات رسول اللَّه على وجوههن في البيداء واحدة تناديوا ولداه وأُخرى تنادي وا أخاه وأُخرى تنادي وا حسيناه وا سيداه.

فـــرن واحــــدة تـــندب ولدها   أو وحـــدة تـندب إخـوتهـا وسعدها
أو وحـــدة لـــلـولي تخـمـش بخدها   أو وحـــدة أتصيح ياعميِّ المشكر
أمـــا الحـــــوراء زينب فـــنـــادت وا جــــداه وا محمداه

حرم الله الآمن

بسم الله الرحم الرحيم

﴿إِنّ أَوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّـاسِ لَلّذِي بِبَكّةَ مُبَـارَكاً وَهُدًى لّلْعَالَمِيـنَ (٩٦) فِيـهِ آيَـاتٌ بَيّـنَاتٌ مّقَـامُ إِبْرَاهِيـمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَللهِ عَلَـى النّاسِ حِجّ الْبَيْتِ مَنِ اسْـتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنّ الله غَنِيّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1].

منذ كان اليهود والي يومنا الحالي لا يشـك إثنان في أنهم أكثر الأمم جدالاً ولجاجاً ونفاقاً. ولقد إستخدموا كل ما بوسعهم لمحاربة كل القيم الإنسانية السماوية منها والوضعية سعياً وراء التسلط والهيمنة إنطلاقاً من إعتقادهم بأنهم شعب الله المختار ومن جملة الأمور التي أقلقوا بها راحة المسلمين في صدر الدعوة موضوع القبلة التي يتوجهون إليها كل يوم، فأصبحوا يفتخرون على النبي والمسلمين بأنكم تتوجهون إلى المسجد الأقصى وهذا يعني بأننا أول الناس تعبداً لله وقبلتنا أقدم قبلة، ولا غرو فإن موضوع التفاخر كان وما زال يأخذ حيزاً كبيراً من حياتنا ويهدر الكثير من طاقاتنا إضافة إلى أنه يخلق جواً من الشحناء والعدائية بين الناس.

فجاء الجواب القرآني صريحاً إن أول بيت وضع للناس لغرض العبادة ونيل البركات العظيمة هو البيت العتيق. هذا البيت الذي يتصل بالبيت المعمور، والذي بناه على القواعد خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام وولده إسماعيل عليه السلام وأعادت بناءه قبيلة جرهم بعد أن تهدم ثم العمالقة ثم قريش، أما موضع البيت فهو بكة التي أوردوا في معناها عدة تفاسير، فعن

(١) سورة آل عمران: آيات ٩٦ – ٩٧.

الباقر عليه السلام قال إنما سميت مكة بكه لأنه يُبكُ بها الرجال والنساء، فأنت تصلي في الحرم والنساء يزاحموك ويصلون بين يديك وخلفك وعن يمينك وعن شمالك وهذا ما لا يجوز في غيرها، وعن الصادق عليه السلام إنما سميت مكة بكة لأن الناس يبكون فيها أي يزدحمون ويتدافعون ولعل من يتوفق لأداء فريضة الحج يتصور الحالة بشكل رائع، وقد سجلت الإحصائيات في كل موسم من مواسم الحج عدداً من الحوادث والوفيات وما إلى ذلك.

وعن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً أن الله جل وعلا لما أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربن متن الماء حتى صار موجاً ثم أزبد فجمعه في موضع البيت ثم جعله جبلاً من زبد ثم دحى الأرض من تحته، وعلى هذا فهي مركز الأرض، ومن خواصها ومزاياها أنها مباركة ومنارة هدى ورحمة للعالمين، إضافة إلى أن فيها آيات بينات منها أن فيها مقام إبراهيم عليه السلام الذي يحوي الحجر الذي وقف عليه خليل الرحمن عليه السلام ثم أن بيت الله الحرام له قدسية وعظمة لم تكن لغيره من البيوت، فمن دخل البيت كان آمناً من القتل من الفقر ومن العذاب.

ولو أننا في بعض الأحيان ننتهك بتصرفاتنا حرمة هذا البيت العظيم كانتهاكنا لحرمة غيره من البيوت ولو كنا إعتدنا إحترام حرمة بيوتنا وبيوت الآخرين لما وصلت الجرأة ببعضنا إلى إنتهاك حرمة البيت الحرام الكثير من الحجاج سرقوا أثناء الطواف والكثير أعتدي على أعراضهم وأهينت كراماتهم ومعتقداتهم أقول حين يقوم الكافر بالتعرض للمقدسات الإسلامية وكرامات الناس ومعتقداتهم نقول هذا كافر وعلى غير ديننا، أما أن يقوم من ينتحل صفة الإسلام، ويتوسم بشارب حليق ولحية طويلة ومسواك في الفم باتهام الحجيج كل الحجيج سنة وشيعة بالشرك والكفر فهذا ما لا يحتمل.

أن يتقدم أبرهة الحبشي بجيش تتقدمه الفيلة لهدم الكعبة، نقول دفعه لذلك إختلاف مبدأه ودينه وأطماعه، أما أن يسعى ما يسمى بخليفة المسلمين إلى سفك الدم الحرام في البلد الحرام في البيت الحرام في الشهر الحرام فهذا ما يهتز له العرش ولقد توقع الإمام الحسين عليه السلام وهو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام

وشقيق الإمام المجتبى عليه السلام، توقع جرأة حاكم مستهتر مثل يزيد على إرتكاب هذه الجرائم دفعة واحدة ومثل يزيد لا يتورع عن أي جريمة، ومثل الإمام الحسين عليه السلام من يخاف على المقدسات ويحرص على كرامتها وقداستها، علم بأنه مقتول لا محالة حتى لو وجدوه متعلقاً بأستار الكعبة، فغادر مكة خوفاً على كرامتها وحفاظاً على قدسيتها وفضحاً لأعدائها أعداء الإنسانية:

وقد إنجلى عن مكة وهو ابنها

وبه تشرفت الحطيم وزمزم

قطع الإمام الحسين عليه السلام حجه يوم الثامن من ذي الحجة يوم التروية ونوى عمرة مفردة وتوجه يركب الشهادة إلى كربلا.

وما إن وصل موكب الشهادة إلى كربلا وقف جواده الميمون، فسأل المولى من أصحابه عنها قالوا:

هي العقر، فقال اللهم إني أعوذ بك من العقر

قال فهل لها إسم غير هذا؟ قالوا الغاضرية.

قال فهل لها إسم غير هذا؟ قالوا نينوى.

قال فهل لها إسم غير هذا؟ قالوا تسمى شاطيْ الفرات.

قال هل لها إسم غير هذا؟ قالو تسمى كربلا

فتنفس الصعداء وقال أرض كربٍ وبلاء هاهنا والله محط رحالنا وهاهنا مناخ ركابنا وهاهنا تسفك دمائنا وهاهنا والله تسبى حرمنا وهاهنا والله تذبح أطفالنا، وهاهنا والله تزار قبورنا، وبهذه التربة وعدني جدي رسول الله ولا خلف لقوله

يهل الشهامة والرجولة والحمية

حطوا الرحال إيخان هاي الغاضرية

***

حطّوا الرحال بكربلاء أرض الشهادات
ونصبوا الخيام وفوگها إنشروا الرايات
ميعادنه إبهاي الأرض ويه الكرامات
وهيهات يخلف بالوعد سيد البرية

***

بهاي الأرض تخلص جتل لجل الكرامة
شيب وشباب وطفل ما بالغ فطامة
والحرم يسبوها وعلي حصن لإمامة
لبطن الجمل بالجامعة إتگيده أميه

***

وأبها الأرض بعد المعارة وگطع النحور
يصير إلنه بالعز والكرامة أعظم گبور
منها إيتصاعد للشهادة والأبه نور
طول الزمن ما ينطفي ولا يخف ضيه

***

ليلة مسلم بن عقيل

بسـم اللّـه الرحمن الرحيـم: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَـتَ اللّـهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1]

لنرى أولاً ما هي النعمة عند اللغويين، إن لهذه الكلمة معاني عدة شـأنها شأن الكثير من مفردات لغتنا الغنية. فمن الشواهد التي تحضرني حول ما نقول ما نقله الطبرسي في الاحتجاج يقول أدخل بعضهم الفيلسـوف الشـاعر أبو العلاء المعري مجلس الشريف المرتضى الذي كان يود التعرف عليه والتأكد منه عن شـبهات أثارها حسّـاده على معتقداتـه، وكان المعري بصيراً ومجلس المرتضى مكتظ بالحضور فعثر المعري بأحدهم فاسـتنكر ذلك الرجل وقال من أدخل أعمى الكلب هذا مجلسـنا فبادره المعري قائلاً: الكلب هو من لايعرف للكلب سـبعين إسماً، وعلى هذا النحو كلمة النعمة فانها تعني الفضل الذي يتفضل بـه أحدهم عليك، ويقال فلان واسـع النعمة أي واسـع المال، ويقال نِعـمَ الرجل زيـدٌ أي خير الرجـال، وتأتي تـارة بمعنى المدح، ويقال نعم الرجل تمتع بالخير، والنعم واحد الأنعـام وهي البهائم يقول اللّـه ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبّاً *مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ والنعـم بالضـم السـعادة وأمـا في القرآن الكريـم فلقد وردت كذلك بعدة معاني، فتـارة تعني كما في الآية السـالفة الذكر الثـروة الحيوانية وتارة تكون إسـماً لجنة من الجنـان ﴿جنة النعيم﴾ وتعني الهداية تارة أخـرى والإيمان باللّـه ويقصد بها مقاصد كثيرة وعظيمـة ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّـهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ ولقد أدى كثـرة معاني ومصاديق هذه الآية الكريمة إلى حيرة كبيرة لدى المفسرين سنحاول استعراض أهمها:

١. قـال بعضهم المقصـود بالنعمـة هنا نعمـة الخلـق والحواس السـتة التي مـنَّ اللّـه بها على الإنسان. العقل البصر، السمع، اللمس، الشم، الذوق.

(١) سورة النحل: الآية٨٣.

٢. وقال بعضٌ إنها وبحسب ما ورد في الآيات التي سبقت هي المساكن والملابس والمطاعم والمشارب وما نتقي به الحر والبرد وما إليها.

٣. وقال السدّي النعمة هو مُحَمَّدٌ ﷺ الذي أخرج اللَّه به الأمة من الظلمات إلى النور وألَّف بين القلوب ورقى بها أعلى درجات الرقي حتى صارت ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ وهم يعني بعض الناس يعرفونه وينكرونه وهم كافرون.

٤. ذهب فريق آخر إلى إنها نعمة الاسلام التي أنعم اللَّه بها علينا كما هو قوله في سورة الفاتحة ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ**﴾ فالذين أنعم اللَّه عليهم المسلمون والمغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى.

وبالجملة فكل ما سلف ذكره نعم ربانية تستحق الشكر ونكرانها هو الكفر بعينه وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول اللَّه ﷺ وآله عليهم السلام في واجب شكر النعمة،واللَّه يقول ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ فعن النبي ﷺ قوله: «**ما عظمت نعمة اللَّه على عبد إلَّا عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرَّض تلك النعمة للزوال**» وقيل: «**وبالشكر تدوم النعم**» وعن الإمام الهادي عليه السلام «**إلقوا النعم بحُسنِ مجاورتها والتمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها**» . وقيل «**من أنعم عليه فشكر كمن ابتلي فصبر**» . وقال علي عليه السلام «**إذا نزلت بك النعمة فاجعل قراها الشكر**» .

وأما زبدة المخاض فنقول إن جميع هذه النعم التي تحدثنا عنها يعرفها كل الناس والكثير منهم يشكر اللَّه عليها ولو ان معدلات الشكر آخذة بالهبوط، ولا أتصوَّر نعمة تعرضت للنكران والجحود كنعمة ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وذرية محمد ﷺ الطاهرين يقول رسول اللَّه ﷺ لو علم الناس متى سمي علي أميراً للمؤمنين لما جحدوا فضله، قالوا ومتى كان ذلك يا رسول اللَّه؟ قال عندما أخذ اللَّه ميثاق الخلق من أظهرهم وأشهدهم على

خلقهم فأقروا وقالوا بلى قال اللّه جلّ وعلا ومحمدٌ رسول اللّه وعليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام سأل أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الامام الصادق عليه السلام عن معنى قوله تعالى ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾ فقال له ما النعيم عندك يا نعمان؟ قال أبو حنيفة القوت من الطعام والماء البارد فقال له الصادق عليه السلام يا نعمان لئن أوقفك اللّه يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولنّ وقوفك بين يديه، قال أبو حنيفة فما النعيم جعلتُ فداك قال ولاية محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفي رواية قال له بلغني انك تفسر النعيم بالطعام الطيب والشراب قال نعم، فقال لو دعاك رجل وأطعمك وسقاك ثم منَّ عليك ذلك إلى ما كنت تنسبه قال: إلى البخل قال أيبخل اللّه؟ قال فما هو النعيم؟ قال الصادق عليه السلام ولايتنا أهل البيت فاللّه أكرم من أن يسأل مؤمناً عن أكله وشربه.

إذاً فالنعمة الحقيقية العظمى التي من جحدها كان كافراً هي الولاية وهنا سؤال يطرحُ نفسه بالحاح، ما حكم من لايعرف إن النعمة هي الولاية الكبرى التي أنعم اللّه بها علينا ويحاسب من لايؤدي حقَّها؟ نقول إن كان جاهلاً وغير قادرٍ على تحصيل هذه المعرفة فحسابه على اللّه، أما إن كان عارفاً أو بوسعه التعرف ولم يجهد نفسه للوصول إلى الحقيقية فهو مقصرٌ يحاسب على تقصيره، أما الذين يعرفونها وينكرونها فاولئك هم النواصب والخوارج وهم بحكم اللّه ومن منطوق الآية الواضح الصريح كُفّار لا تنفعهم عباداتهم ولا شفاعة الشافعين.

لو ان عبداً أتى بالصالحات غداً
وَوَدّ كُلَّ نبيٍّ مرُسَلٍ وولي
وصامَ ماصامَ صواماً بلاملل
وقامَ ماقام قوّاماً بلاكسَلِ

إلى أن يقول:

ما كـان ذلـك يـوم الحـشر منتفعاً
إلا بحب أمير المؤمنين علي

يقول رسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم «ياعلي من أحبَّك فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب اللّه ومن أحب اللّه أدخله الجنة ومن أبغضك وعلى رواية ومن سبَّك فقد سبَّني ومن سبَّني فقد سبَّ اللّه ومن سَّب اللّه أدخله النار»

بغض الـوصي علامة مقروئة
كتبت على جبهات أولاد الزنا
من لم يوالِ من البرية حيدراً
سيَّان عند اللّـه صلَّى أو زنا

ولا أحتاج لكثير عناء لأُعرفّكم من سَّب أمير المؤمنين عليه السلام على منابر المسلمين ألف شهر، حتى تجرأ ولاته وحواشيه وأئمة جمعه وجماعته حتى إعتبروا سبُّهُ من اركان الصلاة إن نسيه المصلي قضاه بعد ذلك، كما وصل بهم التمادي إلى الطلب من المؤمنين العمالقة سَّب علي عليه السلام والبراءة منه أو القتل كما فعل معاوية بن أبي سفيان بحجر بن عدي الكندي وأصحابه البررة حيث قتلهم وسحب جثتهم بالحبال من مرج عذراء حيث قتلوا إلى داخل الشام في منطقة أصبحت فيما بعد تدعى حي السادات واليوم قبورهم تتألق في جامع السادات وما شتم عبيد اللّه بن زياد لعلي وآل علي عليه السلام إلَّا إقتداءُ بمعاوية ألا لعنة اللّه على القوم الظالمين، لقد ذكر الطبري وإبن الأثير وغيرهم من المؤرخين إن ابن زياد شتم علياً وآل علي عليه السلام في عدة مشاهد، كان أولها عند إلقاء القبض على الشهيد قيس بن مسهر الصيداوي وكذلك عند صلبه للشهيد ميثم التمار رضي الله عنه وعند مواجهته لسفير الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل عليه السلام بعد أن غدروا به وأوثقوه وجاؤوا به أسيراً وأدخلوه على ابن زياد فقال الحرس لمسلم عليه السلام سلِّم على الأمير قال له إسكت إنه ليس لي بأمير: أميري حسين ونعم الأمير.

فضحك ابن زياد وقال سلّمت أولم تسلِّم إنك مقتول فقال مسلم إن قتلتني فلقد قتل من هو شرمنك من هو خيراً مني فقال ابن زياد إيها يا بن عقيل أتيت الناس وهم جمع ففرقتهم قال مسلم كلا لست أتيت لذلك ولكن أهل المصر زعموا إن أباك ومن ولاّك وأباه قتلوا خيارهم وسفكوا دماءهم وعملوا فيهم أعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعوا إلى حكم الكتاب، قال ابن زياد ما أنت وذاك أولم نكن نعمل فيهم بالعدل، قال مسلم إن اللّه ليعلم إنك غير صادق وإنك لتقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن. فشتمه وشتم علياً وعقيلاً والحسين «عليه السلام» فقال مسلم أنت وأبوك أحقُّ بالشتم فاقض ما أنت قاضٍ يا عدوّ اللّه، فأمر ابن زياد رجلاً شامياً أن يصعد به إلى أعلى القصر ويضرب عنقه ويرمي جسده إلى الأرض، فصعدوا بمسلم إلى سطح القصر وهو يسبح للّه ويكبرّ ويقول اللّهم إحكم بيننا وبين قومٍ غرونا وخذلونا وكذبونا وتوجه نحو المدينة وصاحت دموعه الساخنة السلام عليك يا مولاي يا أبا عبد اللّه السلام عليك يا بن رسول اللّه ثم قتلوه وألقوا جثمانه إلى الأرض وسحبوه بالحبال رحم اللّه من نادى وا مسلماه وا غريباه وا شهيداه وا عطشاناه، وأفجع الشماتة كانت يوم أدخلوا السبايا عليه فأظهر الشماته وقال لزينب بعد حوار طويل لقد شفى اللّه قلبي من طاغيتك والعصاة المرَدَة من أهل بيتك، فقالت الحوراء لعمري لقد قتلت كهلي وأبرزت أهلي وقطعت فرعي وإجتثثت أصلي فإن يشفك هذا فقد إشتفيت.

ماذا تقولون إن قال النبي لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمِم
بعترني وبأهلي بعد مفتقدي
منهم أُسارى وقتلى ضرّجوا بدمِ
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم
أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رحمي

هبات اللّه والمعقول

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ، قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ، قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾(١)

يعرف أولادنا الكثير الكثير عن مشاهير عصرنا وزماننا تلك المجموعة من التافهين والتافهات من مطربين ومطربات وممثلين وممثلات وراقصين وراقصات ولاعبين ولاعبات، ولا أظنهم يعرفون شيئاً مما يجب عليهم معرفته من أُمور دينهم ودنياهم حتى ولا أدري إلى أين سيصلون؟؟ فاذا كان هذا حالنا نحن فما هو مصيرهم ومصير أولادهم بعد الاقتداء بشخصيات ضخمهاّ وزوّقها الاعلام الماسوني على حساب الأنبياء والأوصياء والأولياء والعلماء الذين يجب أن يكونوا هم القدوة التي يقتدي بها وتأخذ بأيدينا إلى سعادة الدارين ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

ويطيب لي هذه الليلة ان أسلط الضوء قليلاً على مقطع من حياة أبي الأنبياء وثاني أولي العزم وخليل الرحمن، إنه إبراهيم بن تارخ عليه السلام.

أولاً: إستوحى أحد العلماء من إسمه المبارك مايلي: إنما سمي إبارهيم لأنه «**همَّ فبرَّ**» يعني برء من الدنيا وهمَّ بالآخرة، فما أروعه.

ثانياً: ومن خصاله الحميدة، كان غيوراً على عياله ويطعم الطعام ويصلي والناس نيام ويقول فيه إمامنا العسكري عليه السلام إنما اتخذ اللّه عز وجل إبراهيم خليلاً لأنه كان يكثر من الصلاة على محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.(٢)

(١) سورة الحجر: ٥٣ـ٥٥.
(٢) علل الشرائع.

ومن لطيف ما ذكر عنه ونحن بصدد الملائكة الذين ضافوه وقدَّم لهم الطعام وكان عجلاً مشـوياً، قال لهم كلوا. قالوا له لا نأكل حتى تخبرنا بثمنه فقال إذا أكلتم فقولو بسـم اللّـه وإذا فرغتم فقولـوا الحمدللّـــه. فألتفت جبرئيـل إلى رفاقـه الأربعة وقال حـق للّـــه أن يتخذ هذا خليلا.

ثالثاً: دخل عـدة إمتحانات ربانية وإبتلاآت نجـح في إجتيازها بأمتياز، فلقـد اتخذه اللّـه عبداً ثم اتخـذه نبياً ثم اتخذه رسـولاً ثم اتخـذه خليلاً ثم جعلـه إماما بقولـه تعـالى ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾.

رابعاً: ومن بطاقته الشخصية نثبت إنه ولد في اليوم الأول من ذي الحجة في الكوثة وهي قرية مـن قرى الكوفة وعاش مائة وخمسـة وسـبعين سـنة وهو ابـن خالة لوط، أبعـده نمرود ولوطاً معه إلى بلاد الشـام إلى بيت المقدس بعد أن لم تحرقه النار، وتوفي في داره بعد ان طال به العمر.

خامساً: قضى إبراهيم عليه السلام غالبية عمره محروماً من الذريّة والخلف حتى جائته البشرى كما في الآية الكريمة «إنا نبشرك بغلامٍ عليم «ويالها مـن بشرى من الذي لا يخلف الميعاد،غلامٌ وعليم، ولنا وقفـة تأمل طويلة هنـا عند ردَّة فعل خليل الرحمن الذي شـارف عمـره على المئة ويرى إنـه ليس مـن المعقـول أن يرزق بولـد وهو بهـذا العمـر وعلى هذه الحـال فقـال ﴿**قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ**﴾.

وهكذا نحن دائماً حين نحاول قـراءة حياة الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسـلام نريد كل شيءٍ ضمن دائـرة العقل والمنطـق الرياضي فـما إن تروى لنـا كرامة من كراماتهـم أو نبذه من سـيرتهم حتى تصرخ دون وعـي إيماني «**هذا غيـر معقول**» أو هـذا غير منطقـي أو أن هذا لايصدق، هل يعقل أن يولد آدم وحواء عليهما السلام من غـير أم وأب، من كتلة طين مجبول ونفخة قدسـية؟ هل يعقل أن يعيش نوح عليه السلام أكثر من ألفي عام؟ هل يعقل أن ينجب شـيخٌ ذرَّف

على التسعين؟ هل يعقل أن يجلس بشر في وسط نارٍ عالية ولا يحترق؟ هل يعقل أن يولد عيسى عليه السلام دون أب وخلال ساعات وينطق في المهد؟ ولو أردنا إستعراض ما لا يعقل للزمنا أيامٌ وليالي، نعم يعقل كل هذا إذا آمنا باللّٰه وقدرته وكرامة أنبياءه ورسله وقربهم منه وقربه منهم وحبهم له وحبه لهم. نعم إنه الحق ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾.

إن البعد عن أجواء الإيمان والعقيدة والإنصراف الكلي إلى الدنيا وما فيها إضافة إلى عدم ثقتنا بديننا ومذهبنا وأئمتنا وأنبيائنا بل وبقدرة ربنا هو الذي جعلنا نفكر بهذه الطريقة، نصدق بكل ما جائنا من بلاد الكفر ونشك بكل ما جائنا عن اللّٰه ورسله والصالحين لأن ما يأتينا من الغرب عصري وحضاري وعلمي وما يأتينا من اللّٰه ورسله وكتبه وعبادة الصالحين متخلف ورجعي وغير منطقي ولا يقبله عقلنا، على أحسن الأحوال فإن البعض منا يخجل من عقيدته كما تخجل الفتاة أن تخرج إلى حفلة بثياب بالية.

شارب الخمر لا يستحي من جرمه والزاني لا يستحي من جرمه والمقامر والكافر لا يستحي من كفره والظالم لا يستحي ولا يعتذر عن ظلمه بل يفتخر الفاجر بفجوره ويلبسه ثوب التمدن والفن، ويستحي المؤمن من صلاته وصومه ومن لحيته وعفافه، يعتذر عن حجِّه وزكاته ويبحث عن تبرير لإحياءه لمراسم عاشوراء حيث يجب عليه أن يراعي مشاعر كل من لا يعترف بالحسين عليه السلام، علينا أن لا نذكر قاتله بسوء لأن ذلك ينكا الجراح، فليزيد ومن لفّ لفه إلى يومنا هذا حزب وأنصار لا يجوز جرح مشاعرهم وإذا ذكرتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تعرّضوا بأعدائه وإذا ذكرتم الوصي عليه السلام لا تأنبوا ظالميه وإذا ذكرتم الزهراء عليها السلام تناسوا ضلعها المكسور وجنينها السقط وعينها المحمرة ومتنها المسَّود وإرثها المغصوب وحقها المسلوب وإذا ذكرتم الحسن عليه السلام إذكروا بالطيب فرعون عصره فهو خال المؤمنين وكاتب الوحي!!!! إلى أين سنصل بعد هذا يا ناس؟؟

إن حركة الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام حركة رسمتها إرادة اللّٰه وخططت لها وأيدتها بالكرامة والإعجاز، ولا يعقل أن يكون بإمكان عقولنا القاصرة إدراك ما هياتهم فضلاً

عن معرفة الأهداف التي كانوا ينشدونها. نعم أنظارهم إلى الأعلى وأنظارنا إلى الأسفل، هم يعملون للآخرة ونحن نتكالب على الدنيا، نحن نبحث عن الأسباب المادية المحسوسة وهم لا ينقلون قدماً عن قدم إلا بمشيئة اللّه يبتغون رضاه إن نبي اللّه ابراهيم عليه السلام يتظاهر هنا بأنه يفكر مثلنا فيستغرب للبشرى فيجيب لسان الإرادة ﴿**قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ**﴾.

ونظير هذا الحال نجده في حركة الإمام الحسين عليه السلام حين وجّه ابن عمّه والثقة من اهل بيته مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة.

يقول الرواة خرج مسلم عليه السلام وصحب معه من يّدله على الطريق وفي أثناء السير أصابهم عطش شديد ومات دليل مسلم عليه السلام على الطريق فكتب إلى الحسين عليه السلام طالباً منه تغيير الخطه بدعوى إنه متشائم من هذه السفرة، أي ان مسلم بن عقيل عليه السلام كان يفكر بالأُمور بغير طريقة الإمام المعصوم فهو يسعى لتحقيق النصر المادي، بينما كان الإمام يعمل من اجل انتصار القيم والمبادي ويسعى جاهداً لرضا اللّه، فكتب يأمره بأكمال المسيرة لأن الشهادة هي كأس النصر الذي يستعذبه عباد اللّه، فدخل الكوفة وجنَّد عشرات الآلاف من الكوفيين لنصرة الحسين عليه السلام ولكن هل كانت هذه الفترة القصيرة كافية لجعل هذه الآلآف تفهم ما يراد منها وما يريده الحسين عليه السلام لها؟ وما أوقعهم بطش ابن زياد ومكره فيه؟ لقد شاهدنا كيف إن بعض الجيوش التي صرفت المليارات من الأموال والسنين من التدريب والإعداد عليها تنهزم وتنقلب وتتراجع بتغير عامل من عوامل المعركة. فكيف لمجتمع لم يهيأ ولم يعبأ أن يثبت وهو يرى إن كفة الصراع تنقلب بسرعة لغير صالحه، نعم لقد كان مسلم بالأمس أميرهم واليوم صار أسيرهم سحبوه إلى قصر ابن زياد والدماء تجري من كل أرجاء بدنه ونار العطش تلتهب. في أحشاءه، وهو وحيد أسير غريب، صعدو به إلى سطح قصر الإمارة توجه صوب الحجاز وكأني بدموعه الساخنة التي تناثرت كاللؤلؤ على خديه تنادي يا حبيبي يا حسين يا بن عمي يا حسين، ثم قطعوا رأسه الشريف ورموا بنعشه من أعلى القصر

إلى الارض، وضعو الحبال برجليه وسحبوه في الأزقة والأسواق.

قــصر الإمـــــارة لابُنيت و ليتها
نسفتك غـاشـيـةُ فـعُـدتَ مَهيلا
فـبـمُـسِـلـمِ إذ خــرَّ مـنـك لوجههِ
خـرَّ الـحُـسَـيـنُ مـن الـجـوادِ قتيلا
ولـعـنـدمـا سَـحـبـوهُ في أسواقهم
سحبوا عـلـيَّ بـن الـحُـسَـيـنِ عليلا

عمل كوفان هَّد حيلي وهاني
ولا شربي صفه طيّب وهاني
ألف وسفه رجل مسلم وهاني
بحبل بالسوق جروُّهم سويّة

***

مسلم بن عقيل

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾

الغفلة آفة من أخطر الآفات التي تؤدي بالإنسان إلى الدرك الأسفل وتصرفه عن الجهة التي يجب أن يتجه إليها فعوض أن يسير بإتجاه السلامة فإنه يمضي دون وعي بإتجاه الندامة وينتبه حيث لا ينفعه ذلك.

والغفلة في اللغة عكس الانتباه فيقال غفل يغفل فهو غافل عن الشخص الذي لا يعي ولا يفهم ولا أظن أن أحداً يرضاها لنفسه.

والغفلة والتغافل عمل مذموم ومهلك إلا في موضع واحد هو التغافل عن ذنوب الآخرين والإشتغال بتهذيب النفس فقد ورد «أشرف أخلاق الكريم تغافله عما يعلم «وقيل «لا عقل كالتجاهل ولا حلم كالتغافل «والغفلة مرضٌ من أمراض النفس إن عولج برء منه الإنسان وإن لم يعالج إستفحل وأهلك، لذا فعلينا أولاً التشخيص الدقيق لهذا المرض ليتسنى لنا علاجه، يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم - «أغفل الناس من لم يتعظ بتغير الدنيا من حالٍ إلى حال «وقيل الغفلة أضر الإعداء «ويقول الإمام الحسن عليه السلام «الغفلة تركك المسجد وطاعتك المفسد «وزبدة المقال فانه يجب علينا أن لانغفل:

١. عن ذكر اللّـه لأن من غفل عنه كان مشمولاً بقوله **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾**

٢. عن اتخاذ الشيطان عدواً، عن الامام الصادق عليه السلام «إن كان الشيطان عدواً فالغفلة لماذا.

٣. عن الآخرة ونحن نسير سيراً حثيثاً إليها ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ**﴾.

٤. عن رقيب وعتيد ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾

٥. عن الثقلين كتاب اللَّه والعترة، ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً**﴾ نعوذ باللَّه من هجر الكتاب الصامت والكتاب الناطق لأن هجر أي منهما يعني الغفلة التي ما بعد ها صحوة أما العلاج المفيد للتخلص من هذا المرض الخطير قبل أن يستفحل فهو في المأثور عن المعصومين عليهم السلام.

فمن جملة ما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصحابي الجليل أبا ذر الغفاري رحمه اللَّه «**يا أبا ذر هِمَّ بالحسنة وإن لم تعملها لكي لا تكتب من الغافلين**» ويقول أمير المؤمنين عليه السلام «**بدوام ذكر اللَّه تنجاب الغفلة**» وعن الإمام الباقر صلوات اللَّه وسلامه عليه «**إيما مؤمن حافظ على الصلوات المفروضة فصلاّها لوقتها فليس هذا من الغافلين**»

إذاً أعظم دواء هو ذكر اللَّه على كل حال وذكر من ذكرهم من ذكر اللَّه.

فهذا الذكر هو الذي يجلب الأطمئنان إلى القلوب ويبعث الحياة في النفوس ويجنبها عن نومة الغافلين ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾.

تعود الآن إلى رحاب الآية موضوع البحث حيث نرى فرعون وجبروته وقد أصبح عبرة لمن إعتبر وما أكثر العبر وأقل المعتبر والآية على ما نقول شهيد.

لقد طال ليل فرعون ووصل طغيانه درجة لا تطاق فكلما حاول موسى عليه السلام وهارون عليه السلام ردَّه عن غيِّه وصدَّه عن الظلم والطغيان إزداد تجبّراً وعلّوا قتل الرجال وإستحيى النساء ومنعهم من أبسط الحقوق الذي هو حق التعبد للَّه وذلك لأن هذا الحق يتعارض وإدعائه ﴿**أنا ربكم الاعلى**﴾ وحتى الذين فروا منه لحقهم ليرغمهم أو ليبيدهم، بالضبط كما تلاحقنا مخابرات بعض الدول التي لا نجرؤ على ذكر إسمها اليوم، ففر موسى عليه السلام ببني إسرائيل وضرب بعصاه النيل فانفلق وخرجت اليابسة وعبر

موسى عليه السلام وبني إسرائيل وفرعون ما زال يطاردهم بجيوشه الجرارة وما إن توسط فرعون وجنوده الماء حتى أغرقهم اللّـه فيه ونجا موسى والذين آمنوا معه بفضل اللّـه عليهم.

وهنا ولعلـم اللّـه بـأن النـاس غالباً غافلـون عن مثل هـذه العـبر عمل عمـلاً إعجازياً لا تنطبق عليه كل القواعد المنطقية والرياضية والمعاصرة ليكون آية لمن ياتي بعده وكانت الآية إن فرعـون المثقل بدرع ذهبي سـميك وثقيل جداً من رأسـه إلى قدميه بدل أن يرسـب في قعر النيل فإن اللّـه ألقى به على نجـوة، مرتفع مـن الأرض ومن بين كل الغرقـى ما ظهر إلا بدن فرعون الذي يفترض به أن لا يظهر على سـطح الماء أبداً، لقد إسـتخدم اللّـه جل وعلا عنصر الإنبهار لدى الناس بكل شيء مخالف للقواعد فالكثير منهم يمارس «**خالف تعرف**» في أغلب تفاصيـل حياته ومن المؤسـف هذه الأيـام إن بعـض المتفيقهين أيضـاً أصبح يعمـل وفق هذه القاعدة ليضـل الناس عن سـبيل اللّـه ويكون له مـن المريدين ودفعة الحقـوق والمواقع الهامة على الفضائيات والإنترنيت، اللّـهم نبِّهنا من نومة الغافلين ووفقنا لولاء مُحمَّد وآله الطاهرين صلواتك عليه وعليهـم أجمعين وكـما كان النـاس في غفلة عن ظلـم فرعون في زمانـه وكانوا يتهيبون التصدي للظلم والظالمين كذلك كانوا أبان حكم بنـي أمية الظالمين ولا أُغالي لو قلت حتى بعد وفاة سـيد الكائنات، الـكل يعلم إن علي بـن أبي طالب عليه السلام طلـب ذات يوم من خادم الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم أنس بن مالك وناشده باللّـه إن كان سـمع حديثاًمن رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم بحقه فتظاهر أنس بعدم المعرفة وقال له يا علي لقد كبرت وخرفت ونسـيت أكثر ما سمعته، لم يكن أنس ناسـياً ولكنه كان لا يجرؤ على قول كلمة الحق في وجه حاكم جائر، فدعى عليه أمير المؤمنين عليه السلام فابتلي بجرب واضح لا تغطيه العمامة وافتضح أمره بين الناس، وإلى يومنا هذا نجد في الأمة من هو أشـد غفلة من هذا الصحابي الذي لم يحترم موقعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا زال يسوّده ويحيطه بهالة قدسية، لذلك كانت الأُمَّة بحاجة إلى صاعق حسيني يصحيَّها وينبهها من نومة الغافلين وهكذا شاءت الإرادة الإلهية أن يقوم الإمام الحسن عليه السلام وأن يكشف للناس عبر الصلح زيف بني أُميـة وعدم إعترافها بأي ديـن وأية قيم ومهَّد الطريق أمـام ثورة الإمام

الحسين عليه السلام فاصبحت الأُمَّة مهيأة للوقوف بوجه الظالم والتصدي لكل إنحراف، فطالبت الأُمَّة بقيادة معصومة لهذا التحرك فاستجاب الحسين عليه السلام لاستغاثات العقيدة والأُمَّة التي كانت تقول له «**إن الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك فالعجل العجل يا ابن رسول اللَّه فقد إخضر الجناب وأينعت الثمار فاقدم إذا شئت فإنما تقدم على جند لك مجندة**».

فأجابهم «**من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين أما بعد فإن هانئاً وسعيداً قدما علي بكتبكم وكانا آخر من قدم عليَّ من رسلكم وقد فهمت كل الذي قصصتم وذكرتم ومقالة جلكم أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل اللَّه يجمعنا بك على الهدى والحق وقد بعثت إليكم أخي وإبن عمي وثقتي من أهل بيتي وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم فإن كتب انه قد إجتمع رأي ملاكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم أقدم اليكم وشيكا إن شاء اللَّه فلعمري ما الامام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات اللَّه والسلام**» ثم دفع الكتاب إلى مسلم بن عقيل عليه السلام وجاء مسلم يحمل للناس رسالة الامام والناس في غفلة دخل الكوفة في الخامس من شوال ونزل دار المختار الذي إعتقله ابن زياد بعد مقتل مسلم وهاني وإنتقل إلى دار هاني والشيعة يتهافتون على مسلم يأخذ منهم البيعة للحسين عليه السلام حتى احصى ديوانه «١٨٠٠٠» وقيل «٢٥٠٠٠» «٤٠٠٠٠» فكتب إلى الحسين عليه السلام مع عابس بن شبيب الشاكري عليه السلام يقول «**الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف فعجل الأقبال حين يأتيك كتابي**»، كتب هذا ومسلم عليه السلام أميرٌ في الكوفة وحين إقتادوه أسيراً إلى قصر الإمارة ثم صعدوا به إلى أعلى القصر أدار طرفه صوب المدينة وسألت دموعه على خده وقال السلام عليك يا أبا عبد اللَّه وكأني به تلك اللحظة يتمنى أن لا يتوجه الحسين عليه السلام إلى العراق، ثم أشرف به الجلاد على موضع الحذائين وضرب عنقه ورمى بجسده إلى الأرض ونزل مذعوراً إلى ابن زياد أي وامسلماه واشهيداه واغريباه واعطشاناه ثم أمر ابن زياد بقتل هاني بن عروة في سوق يباع فيه الغنم وسحب مسلم وهاني

من أرجلهما بالحبال أي واذلاه أي واقلَّة ناصراه.

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هاني في السوقِ وابنِ عقيلِ
إلى بطلٍ قد هشَّم السيفُ وجههُ وآخر يهوي من طمارِ قَتيلِ
أصابهما أُمرُ البغيِّ فأصبحا أحاديث من يسري بكلِ سبَيلِ
تري جسداً قد غيّر الموت لونهُ ونضح دَمٍ قد سالَ كُلّ مَسيلِ

***

عمل كوفان هدّ حيلي وهاني ولا شربي صفه طيب وهاني
يا وسفه رجل مسلم وهاني بحبل بالسوق جروهم سوية

***

والمگدر مضى وشاعت أخباره ورموه الگوم من قصر الامارة
وهاني إنچتل عگبه وبگت داره مظلمه ولا بعد واحد يصلها

***

مصيتهم مصيبة إتصدع الجبال ومن گبل المشيب إتشيّب الأطفال
شفت ميت يجرونه بالحبال يصاحب لا تظن صارت مثلها

***

وعندما أُدخلت السبايا الكوفة إلتقت حميدة ابنة مسلم بطوعة التي أكرمت مُسلِماً.

عمه ياطوعة أحچيلي شصار من دارت بمسلم الكفار
عمه أبوي إحچيلي حاله من وگع ياهو التدناله
غسله وعن الگَاع شاله ما حسبّت عمي «الحسين» بداله
ايفيّي عليه وعلى إعياله

مسلم بن عقيل والصلاة

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾(1)

الصلاة لغة هي الدعاء، واصطلاحاً هي الركوع والسجود الذي يأتي به الإنسان بين يدي اللّـه وهي صلة بين العبد وربَّه فهي عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها وإن رُدَّت رُدَّ ما سواها وهي كما في الحديث معراج المؤمن وقربان كل تقي، وفوق كل هذا وذاك فهي قرة عين الرسول ﷺ حيث يقول «**أُحِبُّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة**.

وقيل إن اللّـه عز وجل قد إتَّخذ إبراهيم خليلاً لثلاث خصال كن فيه:

١. إطعام الطعام.

٢. إفشاء السلام.

٣. والصلاة والناس نيام وقيل كان ورده الدائم الصلاة على مُحمَّد وآل مُحمَّد كما ذكره الإمام علي الهادي عليه السلام.

أما الصلاة المفروضة فهي كما هو واضح بجلاء من الآية موضوع البحث الواجب منها خمسة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء وأوقاتها ثلاثة كما في قوله تعالى: **﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ [الإسراء : ٧٨]**.

وقد إصطلح الفقهاء على تسمية الظهر والعصر بالعصرين والمغرب والعشاء بالعشائين.

(١) سورة هود : ١١٤.

وكان النبـي ﷺ يقول لأمير المؤمنـين يا علي: إنما مثـل الصلوات الخمـس لأُمتي كنهر جاري على باب أحدهم فما يظن أحدهم إذا كان في جسده دَرَنٌ ثم إغتسل في ذلك النهر خمس مرّات اكان يبقى في جسده درن فكذلك واللّـه الصلوات الخمس لأمتي.

وما أكّد اللّــه على الناس عـبر أنبيائه ورسـله وكتبه على أمـرٍ تأكيده على الصـلاة، ولقد كانت محور جهاد جميع الأنبياء والمرسلين وتعد من أهم مظاهر إيمان المؤمن بل العلامة الفارقة للإيمان فلا إيمان دون صلاة ولا صلاة دون إيمان.

وبالاضافة إلى الصلاة المفروضة والتي كانت خمسين فرضاً خففها اللّـه علينا إكراماً لنبيّنا مُحمَّد ﷺ ورحمة بنا.

فإن الآية تحث على التزلّف إلى اللّـه بنوافل الليل التي صوّرها بأنها حسنات الليل تذهب سـيئات ما نقترف بالنهار، وصلاة الليل من أعظم الأذكار التي تحيي القلب وتزيد بهاء الوجه وتدرّ الـرزق وكان النبي الأكرم واهـل بيته من المواظبـين عليها وكأنها فـرض واجبُ عليهم وقد ذكر المؤرخـون إن أحدهـم كان يصلّي ألف ركعـة في اليـوم والليلة والآخـر كانت له في خمسـمائة نخلة يصلي عند كل واحدة منها ركعتين، أما التلاوة فكانـت ديدنهم يتحدّث الناس عنها حيث كانت تفعل بهم فعل مزامير داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أصـوات ملائكية وتفاعل صادق مع كل كلمة ينطقونها وخشوع ودموع، كيف لا وهم أُمناء الرحمن وتراجمة القرآن.

يقول أبو فراس الحمداني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ميميته المشهورة بالشافية:

تنشى الـتـلاوة فـي أبـيـاتـهـم سَحَراً
وفــي بـيــوتِـكُـم الأوتـــار والنغمُ
إذا تــلــوا سُـــــورةً غـنّــى خطيبُكُم
قِـفْ بالديارِ التي لَـمْ يعفِها القِدَمُ
لايغضبون لغير الـلّـــهِ إن غَضبوا
ولايُضيعونَ حُكمَ اللّـهِ إنْ حكَموا

سـؤال يُحيّرني من زمان يوم بلغت الحلم وأصبحـت الصلاة فرضاً عليَّ هـل هي غاية أم وسيلة؟؟

إن طريقة الأهل في حثنا على الصلاة توحي بأنها غاية وعلينا أن نصلي لأنها فرضٌ واجب إن أديّناه سـقط الواجب عنـا. والمراهق بصورة عامـة والبشر بصورة أعـم لا يجب أن يفرض عليه شيء، هذا الفهـم للصلاة جعل البعض منّـا يصلّي من جهة إسـقاط الواجب ويفعل كل الأمور المنافية للصـلاة، يحكى أن أحد الأباء كان شـديداً مـع عياله يوقظهـم للصلاة بالركل والـصراخ وحـدث ذات يـوم إن أحدهم تكاسـل عن النهـوض فضربـه الأب فقـام مرعوبا وتوضأ على غير طهرٍ وإستقبل القبلة وقال أنوي أن أصلي صلاة الصبح ركعتين واجب خوفاً من أبي الحاج عبد اللّـه لا قربة لوجه اللّـه تعالى، هذه الطريقة تؤدي إلى نتائج عكسية للصلاة الواجب علينا أن نفهم إن الصلاة ليسـت غاية في حدِّ ذاتها بل هي وسـيلة ترقى بالإنسان إلى سلوك قويم يوصله لرضا الرحمن الرحيم.

سـئل الإمام الصادق عليه السلام من قبـل أحدهم هل صـلاتي مقبولـة أم لا ؟؟ فأجاب على الفور إن كانت تأمرك بالعدل والإحسان وتنهاك عن الفحشـاء والمنكر فهي مقبولة، إذاً علينا أن نقيم الصلاة لا ان نؤديها وكأنها دَيْنٌ ثقيل على كاهلنا. هل تلاحظون كيف نؤدي عباداتنا؟ وبالتالي كيف أصبحت معاملاتنا؟؟

نلاحظ في زيارة الإمام الحسـين عليه السلام وسـائر المعصومين انك تقول له يا سـيدي أشهد انك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكوة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت اللّـه مخلصاً وجاهدت في سـبيل اللّـه حق الجهاد حتى أتاك اليقين، فإن كانت إقامة الصلاة والسعي الجاد لتحقيق اهدافها هي المرحلة الأولى في طريق تحصيل اليقين فمن المؤكد إن الصلاة التي إنتهت مدة صلاحيتهـا عديمة التأثير في أحسـن الأحـوال وقد تفعل فعـل الدواء الفاسـد في النفس والبدن، الخوارج كانوا يصلون وقتلة أولاد الأنبياء كانـوا يصلون لا أدري أية صلاة هي التي تأمر بكسر ضلع الزهراء عليها السلام وإسـقاط محسـنها وغصب حقوقها حتى حـق البكاء على قبر

أبيها؟؟؟!!!!

أي صلاة هي تلك التي تأمر بقتل أمير المؤمنين في محرابه وأثناء الصلاة.

أي صلاة هي تلك التي تأمر بسم الامام الحسن عليه السلام أم ترمي نعشه بالسهام أم تمنع مشيعيه من تجديد العهد وزيارة قبر النبي؟؟؟؟!!!!

أي صلاة امرت يزيد بن معاوية بقتل الحسين عليه السلام وإحراق الكعبة وإباحة المدينة إنها صلاة الغاية وإسقاط الواجب يا أهل السنة والجماعة.

تعالوا معي إلى الذين هم في صلاتهم خاشعون إلى أهل بيت نبي الرحمة الذين ما كانت صلاتهم لتسمح لهم إلا بمقابلة الاساءة بالاحسان والقطيعة بالوصل ألف شاهد وشاهد على ما نقول في سيرة المعصومين عليهم السلام.

لقد أمكنت الظروف والفرصة مسلم بن عقيل عليه السلام من قتل ابن زياد غيلة في دار هاني بن عروة حسب الخطة المرسومة حين قام ابن زياد بزيارة شريك بن الأعور وكانت كلمة السر بينهم قول الشاعر:

ما الإنتظار بسلمى أن تحيوها

كأس المنية بالتعجيل فاسقوها

يكررها شريك ومسلم خلف الستر ليس عليه إلا ان يهوي بسيفه على رأس ابن زياد ويتحقق النصر العسكري؟

أحسَّ ابن زياد بخطر فأسرع بالخروج من دار هاني، لما خرج عاتب هاني مسلماً لماذا يا أخي لم تقتل الطاغية؟؟؟

قال مسلم سلام اللّه عليه: لخصلتين الأولى إن زوجتك قد كرهت أن يقتل في بيتها خوفاً من بطش السلطان، قال هاني ما خافت منه وقعت فيه لقد قتلتنا و قتلت نفسها. أما الثانية فهي لقول رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم الإيمان قيد الفتك يعني إن إيماني باللّه وصلاتي وأخلاقي تمنعني من الغدر ولو بكافر يا مسلم بن عقيل أشهد أنك بهذا الخلق العظيم أقمت الصلاة

وحققت أهدافها وجاهدت في اللَّـه حق جهاده حتى أتاك اليقين.

لقد كانت لمسلم بن عقيل عليه السلام صلوات مشهودة ومناقب محمودة في الكوفة الأولى حين صلَّى في المسجد وخلفه الآلآف وإنفتل منها وإذا لا ناصر ولا معين بل ولا حتى دليل يدله على طرقات الكوفة لاحظوا الفرق بين صلاة الإمام وصلاة المأمومين لتعرفوا أن الصلاة موقف. الثانية كانت صلاة الليل التي صلاها في دار طوعة وأما الثالثة فكانت آخر صلاة له صلاها على سطح قصر الأمارة، إستأذن من الجلاد لتحقيق آخر أمنية له وهي الصلاة صلاة مسلم الأخيرة أتبعها بالسلام على ساكني المدينة المنورة ودموعه تترقرق في عينيه السلام عليك يا رسول اللَّـه، السلام عليك يا حبيب اللَّـه، السلام عليك يا أبا عبد اللَّـه، السلام عليك يا بن رسول اللَّـه. وما أن أهوى لسجدة الشكر حتى نزل السيف وفصل الرأس عن البدن أي وا مسلماه وا سيداه وا شهيداه وا غريباه، ألقوا الجسد من أعلى القصر إلى الأرض وضعوا الحبل في رجليه وسحبوا جثمانه في أسواق الكوفة وأزقتها وكذلك أخذوا هاني بن عروة إلى السوق وقتلوه وسحبوه بالحبال مع مسلم

عادة اليستجير يكون ينجار
وعن چتله حليف الشرف ينجار
مثل مسلم وهاني بحبل ينجار
وتتباشر ابچتله علوج أمية

هل بين الله وأحد قرابة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[1].

المسافة بين الأرض والسماء بالقياسات المادية كبيرة جداً حتى، أنها تقاس بالسنين الضوئية، وأما بالقياسات الشرعية فهي معدومة «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» أو كما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، دعوة مستجابة.

ومن قديم الزمان إلى يومنا هذا يحاول الكثير من خلق الله التقرب إلى الله بالعمل الصالح تارة وبالادعاء أخرى، فالذين يؤمنون بالله وملائكته ورسله وكتبه وما جاء فيها يعرفون جيداً طرق السلوك إلى رضوان الله وجنانه، يعرفون أنهم وكل من عليها خلق الله هو بارئهم وخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم وناشرهم ومحاسبهم، جنانه للمطيعين ونيرانه للعاصين ونعم ما قال بولص سلامه:

إنما الخلق كلهم لعيال الله

والشهم من يكون تقيا

فيتواضعون ويعملون الصالحات ويمتثلون للأوامر الربانية وينتهون عن النواهي الشرعية وأحياناً حتى العرفية الاجتماعية، أما الذين خاطبتهم الآية الكريمة ومن سلك حتى

(١) سورة المائدة: آية ١٨.

يومنا هذا سلوكهم فلقد لجؤوا إلى إدعاءات لا تسمن ولا تغني من جوع وكما في الأمثال الشعبية الدارجة «القرعة تتباهى بشعر أختها» نظرية شعب الله المختار التي كانت وما زالت هاجس اليهود والتي تسربت إلى أخلاقيات الشعوب العربية والإسلامية زرعت العدوانية بين الناس وحب التسلط وقهر الآخرين بكل الطرق والوسائل، رغم أن كل الأديان والرسالات جاءت بالحب والإيثار والدعوة إلى الفناء والذوبان أو الانصهار الاجتماعي، لقد أبطل القرآن الكريم كل الادعاءات التي تصب في هذا الباب وبالمنطق والعقل والاحتجاجات الواقعية، في هذه الآية يقول الله جل وعلا ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾ فاليهود قالوا إن العزير عليه السلام هو إبن الله والنصارى قالوا أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هو إبن الله وحين يكون العزير والمسيح عليهما السلام أبناء الله فإن لأممهم الفضل على سائر البشر أولاً وثانياً فإنهم مدللون لا يتوقعون من الأب غير الحب والحنان، ولعل التمادي يصل ببعضهم إلى أن يتوقع من سائر الناس أن يخضع لهم ويعبدهم من دون الله، ولست بحاجة الى كثير من العناء لبيان آثار هذا التفكير على الإنسانية، فلقد ذاق الناس وجربوا غطرسة أولاد بعض الرؤوساء والزعماء ولن أذهب بكم بعيداً، لاحظوا ما فعل أولاد الرئيس العراقي بشعب العراق العزيز، ونظراً لخطورة هكذا إدعاء فقد جاء الرد الرباني مربياً ومؤدباً:

أولاً: إنظروا إلى أنفسكم وإلى أنبياءنا الذين نعتز بهم كيف تعانون ويعانون، إن كنتم أبناؤنا فما معنى العذاب ولماذا تذنبون، الولد يجب أن يطيع والده ليحظى عنده بالكرامة وهاأنتم تقتلون ستين نبياً من الصباح حتى المساء وتخرجون إلى أعمالكم وكأنكم لم تفعلوا شيئاً، تلعبوا القمار وتشربون الخمر تزنون تخونون تنافقون فهل هذه أخلاق أبناء الله وأحبائه.

ثانياً: أنبياؤنا الذي إصطفيناهم من البشر ومن باب أولى أن تكونوا كذلك: ﴿**قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً**

وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[١].

ثالثاً: إن الله جل وعلا دائماً وفي كل رسالاته وعبر كل أنبيائه يؤكد مبدأ العدالة، والعدل في أصول ديننا هو الثاني بعد التوحيد وعدل الله يمنعه من سياسة الكيل بمكيالين كأمريكا ومن لف لفها وسار في ركابها وكما يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «خلق الله الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً، والنار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً» لقد توعد حتى الأنبياء بالعذاب إذا خانوا وحاشاهم من كل شين ورين: «ولو تقول علينا بعض الأقاويل» وقد ورد في سيرة الأنبياء أن موسى عليه السلام مر ذات يوم بكلبٍ أجرب فأخذ موسى عليه السلام يتحدث مع نفسه حول شأن هذا الكلب وإذا بالأمين جبرائيل عليه السلام يهبط عليه ويقول يا كليم الله العزيز الأعلى يقرؤك السلام ويقول لك وعزتي وجلالي لو حدثتك نفسك بأنك أفضل منه لمحوت إسمك من سجل الأنبياء.

خلاصة البحث وزبدة المقال ليس لله أبناء وكما يقول المثل الشعبي «ما في حدا على راسه ريشه» **﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (١) اللهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾**[٢].

يعذب العاصين ويغفر لمن يشاء له ملك السموات والأرض وخاتمة المطاف عنده وإليه المصير. كن مطيعاً لله تكن أعز من أبنائه إن كان الأمر كما تتصور، أما أن تتجبر وتقتل وتسرق وتزني وتشرب وتدعي أنك من أحباب الله فهذا ما لا يعقل، الأنبياء إنما خصهم الله بالكرامات والإصطفاء لصدقهم في طاعته وتواضعهم وحبهم للناس، لقد بذلوا الأرواح في سبيل الله من أجل هداية عباده لا لكي يفتخر بعضهم على بعض ويرى لنفسه ما لا يراه للآخرين، الكل خلق الله وعباده **﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾**[٣] **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**

---

(١) سورة الكهف: آية ١١٠.
(٢) سورة الإخلاص.
(٣) سورة المدثر: آية ٣٨.

خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[١]، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾[٢]، لنتقرب إلى الله بطاعته والإيثار بالتواضع بالتسامح بالتآخي فيحنو علينا أكثر من حنو الأم المرضعة على وليدها الرضيع، هذا هو الدرب الموصل إلى مرضات الحق جل وعلا، سار فيه قبلنا الأنبياء لنتعلم منهم، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان، معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين وكاتب الوحي كما يقولون وخليفة المسلمين لو تتفحصون أعماله بعين التجرد عن التعصب الطائفي ستجدون أنه بعيد كل البُعد عن الإسلام والمسلمين، أدخلوا قصره حيث الجواري والقيان والمؤامرات، إنظروا إلى يديه المتلطخة بدماء الخيرة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، عمار بن ياسر، حجر بن عدي، الكندي وثلاثة عشر من أصحابه، ويقال أن أم المؤمنين عائشة حين إعترضت عليه لقتله حجر بن عدي وأصحابه، تآمر لقتلها فدعاها إلى الشام وأكرمها أمام أعين الناس وأمر أن يحفروا لها حفرة كبيرة في طريق عودتها إلى المدينة المنورة ويموهون عليها وعند عودتها مروا بها على تلك الحفرة ودفنوها فيها وهي حية، وضاعت آثارها بين المدينة والشام وجلس معاوية شامتاً يقول:

لقد ذهب الحمار بأم عمروٍ

فلا رجعت ولا رجع الحمار

في الوقت الذي وقعت فيه أسيرة لعلي بن أبي طالب عليه السلام بعد وقعة الجمل المشهورة وهي التي تتحمل مسؤولية عشرات الآلاف من قتلاها ، فإن أمير المؤمنين أكرمها وأعزها وأعادها إلى المدينة المنورة بصحبة أخيها محمد بن أبي بكر رضوان الله عليه وأربعين من النساء المتلثمات، وما إن وصلت المدينة حتى أخذت تشنع على علي عليه السلام أنه فضحها بين الرجال فكشفت النسوة عن أقنعتها ولاذت أم المؤمنين حينها بالصمت.

أقول إن درس الغدر الذي علمه معاوية للناس تعلموه جيداً، وحين أمر معاوية ولده شارب الخمر ومعلن الفجور وقاتل النفس المحترمة بغير حق على رقاب المسلمين إستخدم

(١) سورة الزلزلة: آيات ٧ – ٨ .
(٢) سورة النجم: آية ٣٩ .

محمد بن الأشعث نفس الحيلة ضد مسلم بن عقيل رضوان الله عليه. تكاثروا عليه ثلاثمائة فارس أمام رجل واحد فكر عليهم كرة الليوث فانكشفوا بين يديه حتى وقع في الحفيرة فأمسكوا به وأوثقوه وأخذوه إلى ابن زياد... أسيراً ليقتله ويلقي بجثمانه من أعلى القصر الى الأرض وسحبوه بالجبال أي وامسلماه واشهيداه واغريباه

الدهر غرَّب هلالاته وهلها
ودموعي إدموم أذرفها وهلها
الكوفة غدرت ابمسلم وهلها
وغريب إنجتل ما بين آل أمية

وكُلٌ يدّعي وَصلاً بليلى

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾(1). صدق الله العلي العظيم.

هذه الآية وما سبقتها وتلتها تتحدث عن أفعال شائنة كان الأحبار والرهبان يرتكبونها في فترة إنقطاع الوحي عن الأرض والتي طالت (٥) قرون بين عيسى عليه السلام ونبوّة نبيّنا مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم يقول الشاعر:

نبيٌ أتانا بعد يأسٍ وفترةٍ
من الرُسل والأوثانُ في الناس تُعبَدُ
وشقَّ لهُ من إسمه لجلاله
فذو العرش مَحمُود وهذا مُحمَّدُ

أخطر شيءٍ في الآية الكريمة الويلات الثلاثة في البداية والوسط والنهاية لنعرف أولاً ما هو الويل؟، يقول ابن منظور في لسان العرب ومن جملة معاني هذه الكلمة الويلُ كلمتان مدمجتان هما: وي وله أي لـهُ الوَيْ الوي تعني الحزن فهي على هذا تعني الندبة فعندما نقول فلانٌ ويلهُ يعني فلانٌ له الحزن، وهناك ثلاثة آراء مهمة في معني الويل:

١. يقول ابن مسعود هو وادي في قعر جهنم
٢. يقول الكلبي الويل شدَّة العذاب

---

(١) سورة البقرة: ٧٩.

٣. أما الفرَّاء فيقول تعني وي للشيطان أي ليحزن

والويـل بالنتيجة حـزن ومصيبة يسـتحقها من تقـع عليه أو يهـوي فيه أما مـن تقع عليه مصيبة وحزن لا يستحقه فيقال له ويح كما قال النبي ﷺ ويحُ ابن سُميَّة يعني عمار بن ياسر رضوان الله عليه تقتلـه الفئة الباغيـة. ويقال واويلتاه يعنـي وافضيحتاه وهـو علامة للعذاب والهلاك.

بعد هذه المقدمة التوضيحية من هم هـؤلاء الذين تتحدث عنهم الآيـة وما هي جنايتهم التي يستحقون عليها كل هذا العذاب؟؟؟؟.

المفروض أنهم أهل العلم والفضيلة والنخبة الواعية والكتـاب والأدباء والمفروض أنهم ينهلون من معين الحق وشعارهم الصدق.

والمفـروض أن يؤدي كلامهـم إلى توحيد القلـوب ورأب الصدع ونشر المحبة والسـلام وروح التسـامح والإيثار وثقافة الحوار بدل الحروب الطاحنة أحبار اليهود ورهبان النصارى ولسـنا بأحسـن منهم وجدوا في التـوراة والإنجيـل أوصاف نبـي الرحمة مُحمَّـد ﷺ فخافوا من آثارها على كياناتهم ومصالحهم فحرّفوها وشـّوهوا صورتها في أعـين أنصارهم وأتباعهم وأظهروا نبيَّ الرحمة ودينه بمظهر بدوي إرهابي لا يعي من أمور الدنيا غير الحروب والنساء

وقال كما تـصرِّح الآية هذا من عنـد الله، كيف يكون مـا كتبتم بأيديكم مـن عند الله جل وعـلا وعيسـى عليه السلام لم يطعن في دين موسـى عليه السلام والحـال نفسـه بين مُحمَّد ﷺ وسـائر الأنبياء، نحترم الجميع ونقدسهم ونبينا يقول (إنما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق)

فكيف أصبحـت تعاليم دينكـم تحرّض على الحقـد والكراهيـة وكيف أصبحنـا بنظركم أعداء يجب تصفيتنا وإبادتنا والعكس صحيح؟

الله الذي يأمرنـا بالعدل والإحسـان كيف يُعقـل أن يأمركـم بالحقد والكراهيـة والظلم المشرِّع واحد فهل يعقل أن تتناقض مناهج أنبيائه ورسله!!!

هذا يثبت للجميع أنكم تتلاعبون بالنصوص وأنتم تجهلون نتائج هذا التصرف والخيانة

التي ستعود عليكم بالويلات التالية:

١. ويل أولاً على الخيانة فيما كتبته أيديكم

٢. ويل لكم على الكذب والإفتراء على الله

٣. ويل لخسارتكم لأن المردود الذي تتوقعون لا يتناسب مع العقاب الذي ينتظركم فالثمن أقل بكثير من المثمن.

٤. الويل الأخير والخسارة الكبرى الناتج العام والمكاسب التي حققوها.

نبيُّنا مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم لم تضرُّهُ تحريفات المُحرِّفين ولن تضرُّه بل زاده الله شرفاً في الدنيا بانتشار دينه وقيمه وأخلاقياته ووعده بأعظم العطاء في الآخرة **﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾**، أولاً وجده يتيماً فآوى ووجده ضالاً وفي حيرة من إصرار الناس على الكفر فهدى واخيراً وجده عائلاً فأغنى.

إذاً ما زال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتأثر بجرائم خطَّتها أقلام هؤلاء الأحبار والكهنة فما الذي دعانا لفتح هذا الملف في هذه الأيام الساخنة وما هي الفوائد المرجوة من وراء ذلك؟

إنَّ الذي دعانا لهذا البحث وفي هذه الأيام بالذات ما نراه من تفاوت بل تناقض المشاعر مشاعر الأُمة العربية والإسلامية نحو فاجعة المسلمين الكبرى التي أبكت الأرض والسماء، إنها كربلاء الحسين عليه السلام كربلاء اليوم وكربلاء أمس شطرٌ الأمة يبكي مواساة لِرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشطرٌ لا تعنيه الذكرى وكأن الحسين عليه السلام لا يَمُتُّ لنبيِّنا بصلة ولعله إن كان يوم عاشوراء حاضراً مصرع سبطه لوقف موقف المتفرج إن لم نقل الهازئ والشريف الرضي يقول:

لو رسول الله يحيا بَعدَهُ

قعد اليوم عليه للعزا

كيف أصبحت عاشوراء تعنينا ولا تعنيكم والمظلوم إمامُنا والظالم إمامُكم ما الذي أوصل أُمَّة العرب والإسلام إلى هذا المستوى من التفرق والتشرذم لقد كتب أحبارُنا بأيديهم

ما لم يقله الله ولا رسـوله وأقنعونا بأنهم يأمرونا بأوامر الله ورسـوله ونحن قبلنا دون مناقشـة وإذا بنا يقتل بعضنا بعضـاً ويكفرِّ بعضنا بعضاً وحتى قدواتنا تقاسـمناهم هـذا لك وهذا لي، الآل لي والصحبُ لك الـوصيُّ لي والنبيُّ لـك. في أحد الأقطار العربية خطب شـابٌ شـيعي فتاةً سُـنيَّة من أهلها فرفضوه وطردوه بسبب مذهبه فذهبتُ معه وسـيطاً لأهلها فقلت لأبيها ما هو سـبب رفضك لهذا النسـب قال بحدّه لأنـه رافضي!! فقلـت له بكل هـدوء أنت عربي ومسـلم قال بكل فخرٍ قلتُ له من هو مثلك الأعلى قال رسـول الله ﷺ فقلتُ له جيد جداً وهل تقتدي به فانفعل ثانية وقال كيف أكون مسـلماً ولا أقتدي برسول الله ﷺ فتبسّمتُ في وجهه وقلت له هل نبيُّنا رافضي فانفعل وصرخ كلا، فهدأت من روعه وقلت له يا حاج ومن هو قدوة هـؤلاء الرافضة وإمامُهـم فقال بامتعـاض يقولون الإمام علي كـرم الله وجهه فقلت بكامل الهدوء يا حاج إمام الرافضة خطبَ مِن رسـول الله ﷺ كريمتـه فهل زوَّجه أم رفضه كما رفضت هذا الشاب؟ فقال بل زوَّجه سيدة نساء العالمين!! فقلت له لا مهرب من الإقتداء برسـول الله ﷺ فهو نعم القدوة والأسـوة فقـام الرجل وقبّـل رأسي وقال كيـف غاب عن فكري هذا الأمر جزاك الله خيراً وتفضل إعقد قرانهما بكل سرور.

من الذي وضع هذه الحواجز بين الناس أليس ما كتبت أيدي الأحبار هذه حالتنا والقوم لا زالوا يحاولون الحفاظ على مراكزهم وامتيازاتهم يشتم أحدنا أخاه فيقول له في بعض البلاد العربيـة والإسـلامية (أنت بابا حسـن) وفي بلـد آخر يقـول له وهو يشـتمه (يابـن الرافضة) وفي بيت الله وأنت تطوف وتلبّي تسـمع بأذنك تهـم التكفير وأحيانا عـصى المطوفين ونداء لا تشرك!! يا للعجب ما الذي أدخل هذا المشرك إلى بيت الله؟؟

ومن في هذه الأيـام العظيمـة يمنعك من المشـاركة في مأتم أبي عبد الله الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ هـل أوصانـا رسـول الله ﷺ بهـذه المقاطعـة أو أحيانـا الاسـتهجان والسـخرية؟ أليس ألم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يؤلم رسول الله ﷺ وما يؤلم رسول الله ﷺ يؤلم جميع أمته؟؟

لا تبكي معي ولا تنوح وتلدم صدرك ولا تفضخ رأسك ولا تضرب ظهرك بالسلاسل،

احتفل بالحسين عليه السلام بطريقتك الخاصة، أظهر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصداقاً لمودّتك. أطعم الطعام أعقد جلسة لتلاوة القرآن الكريم أو أدعوا لمؤتمر إسلامي عن الحسين عليه السلام أكسوا اليتامى تبرَّع للفقراء أي عمل يبقيك مع النبيِّ وآله في أتراحهم وأفراحهم.

ولو أن الواجب يدعونا جميعاً اليوم إلى الوقوف مع أهل بيت الوحي في مآتمهم التي أقاموها على خامس أهل الكساء عليه السلام

هذا المصاب الذي عيون الوحي بكته يوم مولده، تقول الرواية هبط الأمين جبرائيل على دار الوحي يوم مولد الحسين عليه السلام مهنئاً ومبشراً ويحمل بيده قبضة من تراب كربلاء ما إن رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أغرورقت عيناه بالدموع، لفتت دموع النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم انتباه ابنته الزهراء فقالت أبه ممَّ بكاؤك فداؤك نفسي؟؟

قال لها بُنيَّه هذا جبريل يخبرني بأن ابني هذا يقتل بأرض يقال لها كربلاء، تقتله الفئة الباغية من أمتي لا أنالها الله شفاعتي وقد جائني بقبضة من ترابها، فقالت له أبه ففي حياتنا يقتل أم بعد وفاتنا قال بل بعد موتنا، قال أبه فمن يبكي على ولدي ومن يقيم عليه العزاء، قال لها بنية سيكون لنا شيعة تبكي رجالهم لرجالنا ونسائهم لنسائنا، صاحت أُمُّ أبيها: واولداه واحسينْاه واشهيداه

أنا الوالدة يحسين يبني

يمن ريت ذبّاحك ذبحني

اسعدني على ابني يا لتحبني

ولقد كتب شريح القاضي بيمينه أولاً: الحسين إمام زمانكم فانصروه أرسل إليه ابن زياد ما يغيِّر النفوس وهي (الفلوس) فقال الحسين خارج على إمام زمانه فاقتلوه!! يا للعجب وما ذنب الناس البسطاء حين تبتلى الأُمَّة بأمثال شريح القاضي والذين يستخدمهم الطواغيت لتحقيق مآربهم.

حاصرت قبيلة مذحج قصر الأمارة وأحسَّ ابن زياد بدنو أجله فنادى يا شريح ما الحيلة

فدخل على هاني بن عروة في الحبس وخرج إلى القوم قائلاً لهم على نحو التدليس إن زعيمكم بضيافة الأمير وقد شاهدته ولم يقل كيف استعرض ابن زياد وجه هاني بقضيب الحديد حتى سالت دمائه على صدره وهو يصرخ وامذحجاه ولا مذحج اليوم أوثقه الحرس كتافاً ثم أخرجوه إلى السوق ليضربوا عنقه وهو يستغيث ولا مغيث، لا أدري أي ذهبت عشيرته التي كان فيها أربعة آلآف مقاتل.

قال له الحرس امدد رقبتك فأجابه ما أنا بها بسخي وهو يصرخ هل من كِسرة سيف هل من عظم يذود فيه المرء عن نفسه، ضربوه على عاتقه فلم تفعل الضربة شيئاً معه، ضربوه ثانية أردوه قتيلاً إلى الأرض ووضعوا الحبال في رجليه وأخذو يسحبون جثته وجثة مسلم بن عقيل التي ألقوها من أعلى القصر إلى الأرض أين المنادي أي واسيداه وامسلماه أي واشهيداه واهانياه وامظلوماه واذبيحاه

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هانيءٍ في السُوق وابن عقيل

وحين أسدل الليل ستوره خرجت زوجة هاني مع لُمَّة من نساء الشيعة وقمن بموارة الجثث الطواهر الزواكي وتقدمت النسوة بالمواساة والعزاء لزوجة هاني بن عروة، وتحيّرن لمن يقدّمن العزاء بمسلم وأهله في المدينة صرخ الجميع وامحمّداه واعلياه واحمزتاه واجعفراه وامسلماه:

ينـاعي بطيبة صيح بصوت ولـــوان /فنون

بنواعي اتمرد هرش الگلب ولـــوان /تلوي

انذبح مسلم ابوليه غرب ولـــوان /لـو أن

حـضـرتـوا ماتـمـه يـهـل الحمية

ليلة الأنصار

الحر الرياحي والفرار من الدنيا

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ* وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[1].

أورد الطباطبائي في تفسير الميزان في جزئه الثامن عشر صفحة ٣٨٢ إن الآيات التي نستهل بها مجلسنا هذا جاءت على نحو الحكاية عن لسان رسول اللّٰه ﷺ يطالب فيهما أمته بالتوحيد الخالص والصادق للّٰه جلّ وعلا وحده لا شريك له في الألوهية والمعبودية، اهربوا من الشركاء المزعومين وكما قال الإمام الصادق عليه السلام وحجوّا إلى اللّٰه، والحج معناه اللغوي القصد والتوجه.

النبي الأكرم محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين يكرر في الآيتين إنذاره (الواضح المبين)، يُنذرنا غضب اللّٰه وعقابه بشكل غير معقد، في الآية نقطتان هي بمن وإلى وهنالك في البين خوف.

إن كان الخوف من اللّٰه فكيف يأمرنا بالفرار إليه، الظاهر وبكل وضوح يريد منا أن نهرب من الذنوب والاثام ونقُبل بوجوهنا على اللّٰه، فالفرار من جحيم الدنيا إلى جنة الاخرة، الهروب من دنيا المعاصي واللجوء إلى اللّٰه.

والهارب من أمرٍ مخيف عليه أن يُسرع ولا يتوانى، وكيف نفرُّ إلى اللّٰه وقد إرتمى غالبيتنا في أحضان دُنيا وصفها قادتنا أوصافاً عجيبة وغريبة، استمع قبل كل شيء لبعضها: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**» هذا قول رسول اللّٰه ﷺ.

وعلي عليه السلام يقول: «**الدنيا جيفة طلابها كلاب**» «**ما أصف من دار أوّلها عناء وآخرها**

---

(١) سورة الذريات: ٥٠ـ ٥١.

فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من إستغنى فيها فتن ومن إفتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها واتته ومن أبصر بها بصرته ومن أبصر إليها أعمته» وقال عليه السلام: «**الدنيا حلمٌ والآخرة يقظة ونحن بينهما أضغاث أحلام**» وقال عليه السلام «**الدنيا حيَّة ليِّن مسُّها قاتل سمُّها**».

إذاً فالخوف كل الخوف من الانصهار في حب الدنيا الذي يصرف نفوسنا عن ذكر المعاد والكل يعلم إن «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**» والقضية هندسياً واضحة إن أطرقت برأسك نحو الأرض أغفلت السماء وإن رفعت رأسك وسموت بنفسك عشقت السماء وأهملت الأرض، فكيف نوفق بينهما؟؟

يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «**إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً وإعمل لآخرتك كأنك تموت غداً**» وقف ذات يوم على شفير قبر يتفكرَّ فتنفسَّ الصعداء وقال «**إن عمراً او أمراً هذا آخره حري ان يستهان به وإنَّ أمراً هذا أوّلَه حريٌ أن يخاف منه يعني إن كان مصيرك الموت فعلام التكالب والتهافت على حُطام الدنيا وإن كان القبر هو المحطة الأولى في رحلة الخلود فمن الواجب أن نحسب حساب هذه الرحلة المضنية ونحمل ما نحتاجه من متاع وزاد، لا زال هاتفهم ينادي «تزّودوا فإن خير الزاد التقوى» فالتقوى أثمن بضاعة في سوق الآخرة وهي واسطة نقل أمينة تحفظ راكبها وتوصله إلى شاطئ الأمن والسلام، صدقوني إن أحضان الرحمة الإلهية أكثر عطفاً وحناناً علينا من أحضان أمهاتنا، ووصال الحور العين في الجنة ألذ ملايين المرَّات من كل نساء الدنيا وعطاء الرحمن الرحيم للمطيعين من عباده أفضل من الدنيا وما فيها**» ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾[1]

فلا تصرف وجهك عن النعيم وتنشغل بالجحيم، أقبل على اللّـه يقبل عليك وما أجمل ما قاله الشاعر:

---

(١) سورة الضحى: ٥.

هَـــوِّن الـدنـيـا ومافيها عليك

واجـعـل الـهـمَّ لـمـا بـيـن يديك

إنَّ هـــذا الـدهـر يُـدنـيـك إلى

مـلـك الـمـوت ويـدنـيـهِ إليك

فـاجـعـل الـعـدَّة ماعشت له

إنَّـه يـأتـيـك إحـدى ليلتيك

وقال شاعر آخر:

لا تأسفن عـلى الـدنـيـا وزينتها

ورِح فـؤادك مـن هَـمٍّ ومـن حَزَنِ

وانـظـر إلى مـن حـوى الـدنـيـا بأجمعها

هـل راح عنها بغير القطن والكفنِ

لتكن دنياك مزرعة للآخرة إزرع الخيرات فيها واحصد ثمارها روح وريحان وحور وولدان ورضى الواحد المنان وجوار سيد الأكوان في بحبوحة الجنان، روي أن رجلاً ألقت به الأمواج العاتية بعد أن حطّمت سفينته إلى إحدى الجزر النائية وعندما أفاق من غشوته وجد عند رأسه جمعٌ من أهل تلك الجزيرة يرّحبون به ويأخذوه إلى قصر فخم وسط الجزيرة وبعد أن أكرموه أجلسوه على عرش مُرصَّع وقالوا له يا مولانا أنت من هذه اللحظة قائدنا وملكنا ومقاليد الأمور في هذه الجزيرة رهن يديك، فانبهر الرجل وقال أليس لكم ملك؟ قالوا نعم لنا ولكن قانون الجزيرة ينص على أن الحاكم تنتهي مهمته عندما تلقي الأمواج إلينا رجلاً نجى من الغرق كما ألقت بك، قال وما يصنع الملك المخلوع؟؟ قالوا: نلقي به في جزيرة نائية ليس فيها حياة حتى يموت فيها، فتفكر في الأمر قليلاً ثم قال: رضيت بحكمكم ولكن خذوني أنظر إلى تلك الجزيرة التي ستكون يوماً مقري وأخذ يتردد عليها في كل شهر مرة ويأخذ معه شتلة من الأشجار المثمرة والمفيدة ليغرسها في تلك الجزيرة حتى صارت

روضة غَنَّاء فيها مالذّ وطاب إستعداداً ليوم الرحيل إليها وهكـذا فإنه ضمن حياة هانئة حال إنتقاله إلى تلك الدار، يستفاد من هذه القصة ان علينـا ان نَعمُرَ تلك الـدار التي لا راحة فيها إلا للمتقين الذين عمّروها بالتقوى ولم ينشغلوا بعمارة قصـور الدنيا الفانيـة كان اللَّـه معهم في كل حركاتهم وسكناتهم، كانوا يخشـونه خشـية الواثق بلقائه وقد أرهبتهم الإنذارات التي وجّهت إليهم﴿**إني لكم منه نذيرٌ مبين**﴾

ولعل أروع فرارٍ من الدنيا وزينتها كان سـجله الحرُّ بن يزيد الرياحي رضوا ن اللَّـه عليه حين فرَّ إلى اللَّــه ليفوز ببشـارة مولانا الإمـام الحسـين عليه السلام «**يا حرُّ أبشر بالجنة، أنت كما سمّتْكَ أُمّكَ حرٌّ في الدنيا وسعيدٌ في الاخرة**» .

لقـد كان الحرُّ من كبـار قوّاد عسـكر عبيد اللَّــه بن زياد يعيش عيشـة جاه ورفـاه فدعاه أميره أن يخرج ليحاصر الحسـين عليه السلام ومن معه ويرغمهـم على النزول على حكـم ابن زياد ومَن أمرَّه على رقاب المسـلمين، فخرج من داره مرتدياً لامة حربه وما إن خطى خطوات وإذا بهاتـف مـن وراءه ينـادي «**أبشر يا حر بالجنة**» إلتفت واذا لا أحـد، وتحرَّكت في أعماق نفسـه الصراعات والأسئلة التي أجـاب عليها يوم عاشـوراء حين وقف بين الصفـوف وقد أخذتهُ الرعدة وكان إلى جنبه قرة بن قيس والمهاجر بن أوس، فقال ابن أوس للحر ما هذا الذي أرى منك؟ يعنـي الرعدة فقال الحـر: إني أُخيِّر نفـسي بين النار والجنـة فو اللَّـه لا أختـار على الجنة شيئاً، ثم إلتفت إلى قرة وقال له هل سقيت فرسك الماء وتنحّى جانباً ومعه ولدهُ وعبده وتقدم قليلاً قليلاً نحو مخيم الحسين عليه السلام واضعاً يبده على رأسه كهيئة التائب وهو ينادي:

السلام عليك سيدي يا أبا عبداللَّـه

السـلام عليك سـيدي يا بن رسـول اللَّــه صلى الله عليه وآله وسلم، اللَّـهـم إني إليـك أُنيب وأتـوب فلقد أرعبت قلوب أوليائك وإبن بنت نبيك.

فقال الحسين عليه السلام: من هذا، قال سيدي أنا صاحبك الذي جعجع بك في الطريق وقد جئتك تائباً فهل لي من توبه؟ فقال الحسـين عليه السلام نعـم إن تُبتَ تابَ اللَّــه عليك، فانزل من

على ظهر جوادك، قال الحرُّ سييدي إنَّ آخر أمرنـا إلى نزول أتأذن لي أن أكـون أول من يجاهد بين يديك، قال الحسـين نعم إفعـل يرحمك اللّــه فتقدم الحر يقاتـل قتال الأبطـال وهو يرتجز ويقول:

إنــي أنــا الحرُّ ومــأوى الضيفِ

أضــرب فــي أعناقكم بالسيفِ

عن خير من حلَّ بأرض الخيفِ

أضـربـكـم ولاأرى مــن حيفِ

فقتل من القوم أكثر من أربعين فارساً حتى خرَّ إلى الأرض صريعاً متشحّطاً بدمه وحضر عند رأسه الحسـين عليه السلام وربط رأسـه بعصابة وهو يقول أبشر يا حر بالجنة أنت كما سمَّتك امك حرٌ في الدنيا وسعيد في الآخرة.

لــنــعــم الحـــــرُّ حـــرُّ بــنــي رياح
صــبــورٌ عــنــد مُــشْـتَـبَـكِ الرماحِ

ونــعــم الحـــرُّ إذ واســـى حسينا
وجـــاد بـنـفـسـه عــنـد الصباح

فــيـــا ربي أضـــفــــه في جنانٍ
وزوجــــه مـــن الــحـــور الملاحِ

***

مصير قتلة الأنبياء

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[1]

عن أبي عبيدة الجراح قلت يارسول اللّه ﷺ أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة قال: «**رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بمعروف ونهى عن المنكر**» .

وجدت إجماعاً لدى المفسرين إن الآيات في أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين تواصلوا مع سلفهم ورضوا بما فعلوا ولولا عين اللّه ورعايته لنبيه لقتل كما قتل الأنبياء في بني إسرائيل من قبل حين كانوا يقتلون بين الفجر وطلوع الشمس ستين نبياً ومصلحاً وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ثم هم يخرجون إلى اعمالهم وتجارتهم وكأنهم لم يفعلوا شيئاً.

أولاً: علينا أن نعرف ما هو الكفر؟ يقول الرازي الكفر لغة نقيض الإيمان، كفر يكفر فهو كافر يعني لا يؤمن. ويأتي تارة نقيض الشكر على الصنيع وهذا يعني الجحود بالنعمة ونكرانها، ويأتي تارة بمعنى الكفر وهي القرية فيقال كفر حتى يعني قرية حتى أو كفر جوز أو كفر شوبا أو كفر تبنيت ولا زال أهل مصر إلى يومنا هذا يطلقونها على القرى الزراعية وتأتي أحياناً بمعنى القبر فيقال أهل الكفور يعني أهل القبور، كما أنها تأتي الليل المظلم فيقال ليلُ كافر، ولها معنى آخر هو الزراعة فيقال للمزارعين كفَّار، والكافور طلع النخيل ويستحب

(١) سورة آل عمران: ٢١ـ٢٢.

تغسيل الموتى به.

السياق هنا يذهب بنا إلى الكفر نقيض الإيمان فالآية تصف القوم بأنهم يكفرون بآيات اللّه وهي حججه وبراهينه ورسالاته وأنبياءه وأصفياءه وهذا دليل عدم الاعتراف والإنزلاق إلى آخر نفق الجحود إلى ارتكاب جريمة القتل. بل أفظع أنواع القتل وبغير حق.

لأننا ربما نختلف مع البعض في وجهات النظر وقد نختلف في فهم بعض القضايا وأُسلوب العمل لكن هذا بالنتيجة لا يمكن أن يصل إلى التصفية الجسدية وإزالة كل آثار الوجود المنافس والمناوئ لكن هؤلاء لا يعرفون غير هذه اللغة اللعينة لست معي فأنت ندّي ويجب أن تموت لأعيش، هذا هو منطق الطغاة والجبابرة ولغة عصر التشرذم والتحزُّب والعصبيات، يقول رسول اللّه ﷺ «**ثلاث من الذنوب تعجل عقوبتها ولا تؤخر إلى الآخرة: عقوق الوالدين والبغي على الناس وكفر الاحسان**».

إن هذه السلوكيات يبشر اللّه سالكها بالعذاب الأليم ويالها من بشرى وهنا وقفه للتأمل، كيف يمكن أن تتصور العذاب الاليم وهل هناك عذابٌ غير أليم أم ان كل العذاب أليم، أغلب الظن ان الذين يتورطون من بداية الطريق بمحاربة الأنبياء والأئمة والمصلحين ستنزلق أقدامهم إلى مهاوي الرذيلة ولا يتوفقوا إلّا إلى الطالح من الأعمال وهذا ما تبينه الآية التالية «فتحبط أعمالهم أي تنقلب إلى عكس ما أرادوا حيث يبدّل اللّه حسناتهم سيئات ويتخلّى عنهم حتى شيطانهم الذي أغراهم بالجريمة ويبرأ منهم قادتهم إلى جهنم وبئس المصير بعد كل ما تقدم هل هناك من يتردد في تشخيص مصير قتلة الأنبياء والأئمة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والمصلحين لكننا إلى يومنا هذا نجد بين الفينة والأخرى كتاباً يحاول تبرئة المجرم وإعفائه بحجة الأجتهاد الخاطئ ويجعل له اجراً واحداً.

ويطلب له من المجتمع الإنساني غض النظر ويقترح على اللّه المغفرة اجتهد خالد فقتل الصحابي الجليل مالك بن نويرة وزنى بزوجته فله أجر واجتهد معاوية بن أبي سفيان فبغى على إمام زمانه والخليفة الراشد الرابع وقتل خيرة الصحابة والتابعين أمثال حجر بن عدي

الكندي وعمّار بن ياسر وأُم المؤمنين عائشة والإمام الحسـن بن علي عليه السلام عدى تلفيق آلاف الأحاديث على رسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم كل هـذه الجرائم وما زال لـه أجر الاجتهـاد الخاطئ؟ إنه إجتهاد قاتل ولا مجال للـهروب من تحمل تبعاته والعقاب الربـاني الدنيوي والأخروي الذي ينتظـره وينتظر المدافعين عنـه الذين ينـاصروه إلى الان ويعتبرونه خليفـة وكاتب وحي وبطل فاتح، ولو سلمنا جدلاً بان اللّـه سـيعفو عنه ويغفر له كل جرائمه فاننا لا يمكن أن نتوقع أن يغفر له جريمة تنصيـب ولده يزيد على رقاب المسـلمين بتلك البيعة الملتوية الأسـاليب طلب من أحد وعاظّ السـلاطين إعلان البيعة ليزيد في ملأ من عبيد الدنيـا وبخطاب موجز فطلب من معاوية أن يرقى أعلى المنبر وجلس الخطيب وسط المنبر وأجلس يزيد تحته بمرقاة وأمسك الخطيب بالسـيف ثم رفع عقيرته قائلاً أيها الناس أمير المؤمنين هذا وأشار إلى معاوية وخليفته هذا وأشار إلى يزيد ومن أبى فالسيف.

عـبـد شـمـس أضرمـت لبني
هـاشـم حـربـاً يشيب منها الوليدُ
فـابـن حـرب لـلـمـصـطـفـى وابن
هـنـد لـعـلـي ولـلـحـسـيـن يزيدُ

أو ليس الحسـين ابن رسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم فما هو حكم قاتل أولاد الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم حسب منطوق الآية، أو ليس الحسين ابن سـيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد خرج لا أشراً ولا بطـراً ولا ظالمـاً ولا مفسـداً إنما كـما يقـول للأصـلاح في أمة جـدي محمـد صلى الله عليه وآله وسلم. ولآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فما حكـم قاتلة؟ أيها الناس إقبلوا بحكم القـرآن ما بالكم إلى الآن تترددون. تارة يقول قائلكم إن جرم قتل الحسـين لا يغسـل أدرانه أنهار الدنيا جميعاً. وأخرى يقول إن النظـرة التاريخية الفاحصـة بعيداً عن الشـطط أو الإغراق أو المغـالاة تجعلنا في حيرة أي حيرة لأن كل فريق له رأيه وحجته فيما إنتهى إليه، وعلينا أن ندعوا لهم ونسـتغفر اللّـه لنا ولهم ورغم ما أورده كبار علماء السنة في قدح يزيد كابن كثير في البداية والنهاية ص ٢٤٩ج ٨

حيث يقول بعد عدة جمل يمدحه فيها إنه كان فيه إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات وإماتتها في غالب الأوقات كما أورد ابن عساكر أحاديث في ذم يزيد بن معاوية، وأورد ابن حجر العسقلاني صحيحاً عن إبراهيم النخعي أنه كان يقول **لو كنت فيمن قاتل الحسين ثم دخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه الرسول** صلى الله عليه وآله وسلم. أود أن أطمئنك بأن قاتل الحسين عليه السلام والراضي بذلك في النار وقد حبطت أعمالهم ومالهم ناصرين لا في الدنيا ولا في الآخرة.

من أين تخجل أوجه أموية
سكبت بلذات الفجور حياءها
قهرت بني الزهراء في سلطانها
واستأصلت بصفاحها أُمراءها

لما بلغ المدينة نبأ موت معاوية وتسلط يزيد فرع الشجرة الملعونة على رقاب المسلمين أرسل والي المدينة إلى الإمام الحسين عليه السلام ليأخذ منه البيعة فخرج الحسين عليه السلام ومعه عصبة من بني هاشم يتقدمهم أبو الفضل العباس عليه السلام وقال لهم الحسين عليه السلام انتظروني خارج قصر الوالي فاذا علا الصوت فاقتحموا عليه واستنقذوني فاني أخشى أن يكون هؤلاء قد بيتوا أمراً، فدخل عليه ووجد عنده مروان بن الحكم فنعى إليه الوليد معاوية فاسترجع الحسين عليه السلام ثم قرأ الوليد عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة فقال له الحسين عليه السلام بعد جدال طويل أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح اللّه وبنا يختم ويزيد رجل فاسق شارب الخمور قاتل النفس المحرمة ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة فقال مروان للوليد لا تدعه يخرج خذ منه البيعة الآن وإن أبي فاضرب عنقه فغضب الحسين عليه السلام وإرتفع صوته وأخذ بعنق مروان ورماه أرضاً وهو يقول ويلي عليك يا ابن الزرقاء أأنت تقتلني أم هو؟ كذبت واللّه وأثمت وإذا بفرسان بني هاشم يقتحمون الدار شاهري

السيوف ويستنقذون المولى ويخرجون. أقول أين أنتم حين وقف الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم عاشوراء وحيداً فريداً وهو ينادي ولا من مجيب يا إخوان الصفا و يا فرسان الهيجا ويا أبطال المصر مالي أُناديكم فلا تجيبون وأدعوكم فلا تستمعون أنيام أنتم أرجوكم تنتبهون أم صرعكم ريب المنون وحالت منيتكم دون إجابة إمامكم هذي عقائل الرسول لفراقكم قد علاهن الذبول، أنتم السابقون ونحن اللاحقون وأنا للّه وإنا إليه راجعون ثم تلا قوله تعالى ﴿**فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾

أحباي لو غير الحمام أصابكم ... عتبت ولكن ما على الموت معتب

من چان أبو السجاد تندار ... عين لهله وعين إعله الأنصار

وينادي لحد ياهلي شصار ... كلكم چتل رحتوا إبها الدار

فجار سهم الدهر فجار ... بيكم فجعني والفلك دار

يحيى والحسين عليهما السلام

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾[1]

في عصر مفاوضات السلام العربية الاسرائيلية وكثرة أدعياء السلام ارتأيت هذه الليلة أن أُسرِّح النظر وإيّاكم في رحاب السلام القرآني الذي نلتمسه في مضامين هذه الآية الكريمة التي تطالعنا بالسلام ثلاث مرات وفي أشد مواطن الضعف البشري حيث يكون بامس الحاجة للسلام لحظة ولادته وعند وفاته ويوم بعثه ونشوره.

وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام كما عن سفيان بن عيينه «**انَّ أوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجاً من بطن أُمِّه فيرى الدنيا ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم وأحكاماً ليس له بها عهد ويوم يبعث حياً، وقد سَّلم اللّه على نبيه الذبيح يحيى عليه السلام في هذه المواطن الثلاثة كما سَّلم روح اللّه عيسى على نفسه**».

لنرى أولاً ماذا تعني كلمة السلام عند أهل اللغة، سلم يسلم فهو سالم، والسلام هو طلب السلامة وهو الاسم من التسليم وإسم من أسماء اللّه الحسنى، وعلى قول هو الخلوّ من العيوب ويطلق كذلك لفظ أسلم على من دخل وآمن بالاسلام، ويقال فلان أسلم فلاناً إذا خذله، ويقالب إستلم إذا قبض الرجل على شيءٍ ولمسهُ مثاله يقال استلم الرجل الحجر الأسود اذا لمسه.

وهناك خلاف فقهي بين الشافعية وبقية المذاهب الإسلامية في حكم ملامسة الرجل للمرأة وما يترتب عليه، فاذا توضأ أحد الزوجين وأقبل على الصلاة ومد يده الطرف الآخر

---

(١) سورة مريم :١٥.

وسـلَّم عليه فان وضوءه ينتقض ويجـب عليه تجديد الوضوء ويعتبرون ذلك ملامسـة ومسَّـاً ينقض الوضـوء، في الوقت الذي لا يثبـت فيه عنوان المسَّ والملامسـة عنـد المذاهب الأُخرى إلَّا بالمواقعة الفعلية بين الزوجين وعندها يتوجب غُسـل الجنابة لا الوضـوء، ولهذا فاننا نقول لفقهائهـم إن كان السـلام باليد والمصافحـة أو إلتصاق جسـد الزوج بزوجه مما يدخل تحت عنـوان ﴿**إذا لا مستم النساء**﴾ فالواجـب للخـروج من هـذه الحالة هـو غسـل الجنابة وليس الوضـوء، وأجمل مصداق مـن مصاديق السـلام وكلها رائعـة التحية التي يحيّيِ بها المسـلمون فالتحية صلاة والصـلاة تحية يقـول اللَّــه تعـالى ﴿**إِنَّ اللَّـهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾[١]

وثواب هـذه التحية عنـد اللَّـه بعشرة أضعافهـا، ومن هنا حـثَّ النبي أُمتَّنا التي تتوسـم باسـم الاسـلام على إفشـاء السـلام لفظاً ومعنى لأن في ذلك سـعادة الدارين وسـَّن للسلام أصولاً وآداباً إرتأيـت التعرض لها هـذه الليلة لأنني ألاحـظ منذ مدة طويلـة تفرنج المجتمع العربي والاسـلامي حتى ان الغالبية منَّا صار يتناسى تحية الإسـلام الرائعة والتي هي «**السلام عليكم**» والسلام كما أسـلفنا إسم من أسماء اللَّـه الحسنى، فصرنا نسـتعيض عنها بألفاظ أجمل ما فيها قبيح قياسـاً بالسـلام يقول اللَّـه جـل وعـلا ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾[٢] وقد روي عـن الامام الحسـين عليه السلام إن جارية من جواريه حيَّتـه صباحاً وأهدته باقة ورد فرَّد عليها التحية وأعتقها في سبيل اللَّـه فقيل له في ذلك فقال هكذا أدبَّنا ربنا. ويقول جدُّه أشرف الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «**خيركم من أطعم الطعام وأفشى السلام وصلَّى والناس نيام**» ويقول «**إبدأوا بالسلام قبل الكلام، فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه**» . دخل أبو حنيفة دار الإمام الصادق عليه السلام يوماً ففتح له الإمام موسى بن جعفر عليه السلام الباب وكان أبو حنيفة مزحوماً فبادر قائلاً «يا غلام أين يضع الغريب حاجتـه؟ فأجابه الكاظم عليه السلام **تأدَّب يا شيخ فالسلام قبل الكلام**. فاسـتحيى أبـو حنيفـة. ويقـول أمـير المؤمنـين عليه السلام «**لا تبدئوا النساء**

(١) سورة الأحزاب:٥٦.
(٢) سورة النساء: من الآية٨٦.

بالسلام ولا تدعوهن إلى طعام» يعني من الآداب أن تبدأ المرأة بالسلام فيجيب الرجل، أما عدم الدعوة للطعام فلخوفه عليهن الإغراء.

ومن آداب السلام كما عن الإمام الصادق عليه السلام «**ليسلِّم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير**» ويقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «**السلام تطوُّع والرَّد فريضة**» يعني السلام مستحب وجوابه واجب وكذلك فإنه صلى الله عليه وآله وسلم يقول «**لا تؤمنوا حتى تحابوا أأدُلكمُ على شيءٍ إن فلعتموه تحاببتم** قالوا نعم يا رسول اللَّه قال: «**أفشوا السلام بينكم**» إذا السلام عنوان الإسلام، إضافة إلى ذلك فانه لا يجوز فقهاؤنا مبادرة أعدائنا بالحرب في زمن غيبة الإمام المعصوم وللمرجع الديني الحق في إعطاء الرخصة بالحروب الدفاعية فقط، ولعلهم يستندون إلى موقف الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من القتال عندما أراد أصحابه ومنهم مسلم بن عوسجة الأسدي أن يرمي شِمراً بسهم عندما تطاول بالكلام على سيد الشهداء، فمنعه الحسين عليه السلام وقال أكره أن أبدأهم بقتال كما ذكره الطبري لنعود قليلاً إلى المواطن الثلاثة التي سلَّم اللَّه فيها على أنبياءه عيسى ويحيى عليهما السلام لنرى هل بوسعنا أن نقف على جامع يجمعها بعاشوراء والحسين عليه السلام.

١. الموطن الأول عند الولادة التي رافقها الأعجاز والكرامة عيسى عليه السلام المولود من أُمٍّ دون أب ويحيى ابن خالته العاقر وزوجها العجوز زكريا عليه السلام وبشرى ولادته لستته أشهر والإسم الذي لم يسبق إليه أحد وكلام عيسى عليه السلام في المهد وحكمة يحيى عليه السلام في الصبَّا، وكان الحسين عليه السلام فيها الصنو الأكثر حظاً فأُمُّه فاطمة الزهراء وابوه المرتضى وولدته أمه لستة أشهر وكذا لم يكن لهُ من قبل سمياً وأُوتي الحكمة صبيًّا «**الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا**» وارتضع من لسان النبوة وخدمه جبرئيل وأخبر جدَّه صلى الله عليه وآله وسلم بما يجري عليه.

لمهدك آيات ظهرن لفطرسٍ
وآية عيسى أن تكلَّم بالمهد

فــإن ســـاد فــي أُمٍّ فــأنــتَ ابـــنُ فاطمٍ
وإن ســاد في مَهدٍ فأنت أبـو المهدي

فسلام اللّـه عليهم في مولدهم وفي مهادهم وفي جهادهم العظيم.

٢. الموطـن الثالـث عنـد البعـث وسنعود للموطـن الثـاني وبـه نختـم يقـول اللّـــه جـل وعـلا ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾(١) ﴿**وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ**﴾(٢) فالشـهيد يبعث حياً ساعة شـهادته وعلى كل الصعد الروح والجسـد والفكر والأثر عند اللّـه وعند الناس وذلك وعد اللّـه الحق واللّـه لا يخلف الميعاد.

٣. الموطن الثاني وهو سـاعة إنفصـال الروح عن الجسـد تلـك اللحظة الرهيبـة وقد ورد في المأثـور عـن المعصومـين عليهم السلام «**لقرض بالمقاريض ونشر بالمناشير أهون من سكرة من سكرات الموت**» ذهبت يوماً لزيارة أخ عزيز في مشـفى خاص بمعالجة الحروق فسمعتُ زعيقاً وصُراخـاً أخذني إلى يـوم القيامة فتصورت نـار جهنم وتوقعت ما يمكـن أن نعانيه فهالني الأمر كثيراً وسـألت عن الأمر قالوا في هذا الجناح من المشفى ينزعون عن المحترق طبقات الجلد النامية بعد علاج الحروق ويتم هذا الأمر ستة مرّات حتى يخرج الجلد بلونه الطبيعي، نزع جلدٍ عن جسـم يسـبب كل هذا الألم فكيـف بنزع الروح عن البـدن اللّـهم نسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحسـاب بمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إن السلام الذي جمّل اللّـه به هذه الصفوة المصطفاة من عباده الصالحين حمل أولاً معنى التسـليم الكامل.. لقضاء اللّـه وقدره فعيسـى عليه السلام رفعـوه على الصليب وهو مسـلم ويحيـى ذبحوه وهو مسـلم والحسـين عليه السلام ذبحوه وهو في قمة التسـليم لأمر اللّـه ينادي إلهـي رضا برضاك وصبراً على نزول قضـاءك، نحن نرى وجهاً واحـداً من وجوه القضية وهـو جانب القتل المادي من رماح غائرة وسـيوف باترة وسـهام طائـرة وشـفاه ذابله وعيون حائـرة وخيام

(١) سورة آل عمران: ١٦٩.
(٢) سورة البقرة: ١٥٤.

لاهبة ودماءٍ سائلة، أما صاحب النفس المطمئنة فالصورة أمامه صورة أخرى فهو في سلام يعيش لذة الانتقال من ظلمانية عالم المادة إلى نورانية عالم الروح والمعاني لذلك يقول مولى المتقين الإمام علي عليه السلام «**واللّه لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بمراضع أمه**» ياله من أُنس وسلام، يصلب عيسى عليه السلام بسلام ويذبح يحيى عليه السلام بسلام ويذبح الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وهم من سلام لسلام، تقدم الواحد تلو أخيه إلى الحسين عليه السلام قائلاً السلام عليك يا أبا عبداللّه فيستأذن للقتال ويذهب لحظات وإذابه ينادي عليك مني السلام يا حسين، ولده الأكبر لا يبالي وقع على الموت أم وقع الموت عليه والقاسم كجدِّه المرتضى يقول لعمه الحسين «**الموت في نصرتك أحلى من العسل**» والأصحاب كذلك يقول قائلهم لمولاه الحسين عليه السلام يا مولانا لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أُحرق حّياً ثم أُذرَّى يفعل بي ذلك سبعين مرة لما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك.

وجدوا الردى من دون آل محمد

عذباً وبعدهم الحياة عذابا

حتى صار واحدهم يوصي أخاه بالموت دون الحسين عليه السلام كما فعل مسلم بن عوسجة رضي الله عنه، جاء أولاً وطلب الإذن بالقتال قائلاً السلام عليكم يا آل بيت النبوة فقال له الحسين عليه السلام وعليك السلام أخي مسلم، قال سيدي إأذن لي بمبارزة هؤلاء قال إفعل يرحمك اللّه ثم تلى قوله تعالى ﴿**فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾(١) برز مسلم لقتال الظالمين فحمل من نحو الفرات عمرو بن الحجاج الزبيدي فاقتتلوا ساعة وثارت لشدة القتال غبرة شديدة ما إنجلت إلَّا ومسلم صريعٌ وبه رمق ينادي بضعيف صوته عليك مني السلام ياله من وداع فمشى إليه الحسين عليه السلام معه حبيب بن مظاهر الأسدي وقف عليه فقال الحسين عليه السلام رحمك اللّه يا مسلم وتلا قوله ﴿**مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾(٢).

---

(١) سورة الأحزاب: من الآية٢٣

(٢) سورة الأحزاب: من الآية٢٣

ودنا منه حبيب وقال عزَّ واللَّـه عليَّ مصرعك يا مسـلم أبشر بالجنّه فقال بصوت ضعيف بشرَّك اللَّـه بخير، فقال حبيبٌ لو لم أعلم إني في الأثر لأحببت أن توصيني بما أهمَّك قال مسلم أُوصيك بهـذا الغريب أن تموت دونه، قال أفعـل ورب الكعبة ثم فاضت روح مسـلم لبارئها فصاحت جاريته واسيداه وامسلماه وابن عوسجتاه:

گـــربـــت يـــبـــن ظـــاهـــر منبتي   مـــاوصّـــيـــك بـــــولادي وبيتي

ولا تحـــفـــظ عـــيـــالي وثنيتي   إنـــچـــان نـــيـــتـــك مـــثـــل نيتي

بـــالحـــســـين وعـــيـــالـــه وصيتي   أريـــدنـــك تجـــاهـــد سويتي

***

**

*

النصيحة

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1]

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[2]

بين مواقف قوم نبي اللّه نوح عليه السلام ومواقف الناس يوم عاشوراء من الإمام الحسين عليه السلام شبه كبير وبمجرد قراءة أي آية من الآيات التي تقَصُّ علينا مقطعاً من حياته الحافلة بالمعاناة، رسالة وواجب وتكليفٌ إلهي يقوم به هذا النبُّي وكل نبيّ وإمام وهو النصيحة وكان القوم أبناء القوم يرفضون وبنفس القوة نصائح الأنبياء والأئمة والمصلحين وهكذا قال صالح عليه السلام لقومه وكذا شعيب عليه السلام وعلى نفس الخط محمد وآل مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم نبدا من حيث اللغة:

يقال نصح ينصح فهو ناصح أي خالص وكل شيءٍ خلص فهو ناصح ويقال للعسل الصافي ناصح.

والنصح نقيض الغش والمستفيد من النصيحة هو المنتصح والإنتصاح مصدر إنتصحته أي اتخذته نصيحاً.

ويقال للتوبة الخالصة التي لا عودة فيها إلى المعصية توبةً نصوحا والنصاح هو الخيط وقميصٌ منصوح أي مخيط ويقالُ للإبرة منصحة ونصح الغيث إذا اتصل وأرضٌ منصوحة

(١) سورة هود : ٣٤
(٢) سورة الأعراف : ٧٩

متصلة النبات.

من كل هذا يمكننا القول إن النصيحة توجيه من الناصح للمنصوح صوب الكمال وإبعادٌ عن كل منقصه.

أما ما ورد في الآثار عن أهمية النصيحة فأكثر من كثير وأهم من مهم فقد ورد «**إن الدين النصيحة**» يعني جوهر الدين النصيحة، وهذا الحديث عن رسول اللّٰه مُحمَّد ﷺ قالو له لمن يا رسول اللّٰه؟ قال للّٰه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. وقال ﷺ: «**أعظم الناسِ منزلة عند اللّٰه يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه**».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما أخلص المودّة من لم ينصح**» وقال عليه السلام «**إنصح لكل مستشير ولا تستشر إلا الناصح اللبيب**» وقال عليه السلام «**من خالف النصح هلك**».

وعن الامام الصادق عليه السلام: «من مشى في حاجةِ أخيه ثم لم يناصحه فيها كان كمن خان اللّٰه ورسوله وكان اللّٰه خصمه «وقال «المؤمن أخ المؤمن يحق عليه النصيحة «أما موسى بن جعفر راهب بني هاشم سلام اللّٰه عليه فيقول:«**النصيحة تثمر الود**» ويقول «**المؤمن غريزته النصح**» و «**النصيحة من أخلاق الكرام**».

مع كل ما تقدم فالنصيحة كالبذرة الطيبة يجب على باذرها أن يعرف متى وأين وكيف يبذرها ويرعاها لتثمر لأنها قد تضر بدل أن تنفع.

١. انصح سرَّاً ولا تفضح جهراً «**فالنصح بين الملأ تقريع**»

٢. لا تنصح من لا يقبل النصحية فأمير المؤمنين عليه السلام يقول «كيف ينتفع بالنصيحة من يلتذّ بالفضيحة «.

٣. لا تكثر من النصائح ولمِّح ولا تصرِّح فزين العابدين عليه السلام يقول «**كثرة النصيحة تؤدي إلى التهمة**».

٤. لا تنصح بأمر لم تعمله لأن قولك لا يثمر، جاءت إمرأة إلى رسول اللّٰه تطلب منه أن ينصح إبنها بالتقليل من أكل التمر والحلوى فأرجأها إلى اليوم التالي ولما جاءت مع إبنها

لم يزد على أن قال له يا بني لا تكثر من أكل التمر والحلوى الآن لأنها تضرُّك، فقالت المرأة يا رسول اللَّه هلاّ قلت هذه الكلمات بالأمس، قال لها كيف أقول وقد أكلت بالأمس تمراً وحلوى.

وفي زمان بيع الرقيق كان أحد كبار خطباء المنبر الحسيني كثير الورع والتقوى مما جعل كلامه مؤثراً في نفوس الناس وذات يوم إلتمس منه عبدٌ لأحد الأثرياء أن يتحدث على المنبر عن موضوع ثواب عتق العبيد فقال له الشيخ إن شاء اللَّه، وبقي العبد يحضر يومياً مجالس هذا الشيخ على أمل الحرية وطال إنتظاره حتى مضى على هذه الحال أشهر وإذا به ذات يوم يتحدث عن فضيلة عتق العبيد وعظيم ثوابه وإن من أعتق عبداً قربة لوجه اللَّه تعالى أعتقه اللَّه من نار جهنم، فما أن سمع مولى العبد بحديث الشيخ حتى قال لعبده أنت حر لوجه اللَّه تعالى فطار العبد من الفرح وجاء إلى الشيخ ليشكره ويعتب عليه لتأخير الحديث أشهراً، فقال له الشيخ ولدي أنا لم اتحدث عن الموضوع حتى قمت بشراء عبد وعتقه في سبيل اللَّه لأني لو فعلت هذا من قبل لم يكن لكلامي أي تأثير على مولاك يقول الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليمُ
لا تنهى عن خلق وتأتي مثله
عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

وهكذا كانت النصيحة رسالة إلهية يقدمّها الأنبياء للناس ودون مقابل ولكن غالباً ما كان الناس يصدون عن الأنبياء صدودا، وفي الآية يبين اللَّه بلسان نبيِّه ان النصائح التي قدّمها لقومه طيلة ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً لا تجدي نفعاً لأنهم إستحقوا أن يكلهم اللَّه إلى أنفسهم، ومن يكله إلى نفسه يهلك لذلك ندعوه دوماً أن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبداً لو تصوَّرت نفسك تأكل الطعام في بيتك أو في مطعم وأردت أن تشرب فهل بوسعك أن تشرب لو لم ترفع بيدك قدح الماء وتطلب الماء من عيالك أو النادل وهكذا فمن يصدُّ عن الرحمة

الإلهية فانه يتعـرض للغضب والغواية واللعن بإسـتحقاقه الذي لم يعرضـه عليه أحد بل كان نتيجة حتمية لرفضه الرحمة الإلهية كما أعرض القوم يوم عاشـوراء عن الإمام الحسـين عليه السلام وعن نصائحه وكلماتـه وكلمات أنصاره التي لـو أُلقيت على الصخر لوجدت لهـا أُذناً صاغية، أما جيش يزيد وإبـن زياد فإنهم اخـذوا يقرعون الطبـول والصنوج ويفتعلـوا الضجيج لكي لا تقع إحدى هذه النصائـح وهذه الخطابـات والكلمات موقعها فتؤثـر في الجيش فيرجع عن حرب الإمام، لقد وجدت نصائح الإمام طريقها إلى بعض النفـوس الأبية والقلوب الطاهرة وإذا بها تتقدم لفداء الحسين عليه السلام الواحد تلو الاخر:

قـــوم إذا نـــــودوا لـــدفـــع ملمة
والـخـيـل بـيـن مـدعّـس ومُكردَسِ
لبسوا القلوب على الـــدروع وأقبلوا
يـتـهـافـتـون عــلــى ذهـــاب الأنفُسِ

ما إن سمعوا واعية الحسـين حتى بذلوا دونه النفوس الغوالي وكان من بين هذه الصفوة الطاهرة الحر بن يزيـد الرياحي رضـوان اللّـه عليـه، إن نصائح الإمام وكلماته وإسـتنصاراته وإسـتغاثاته جعلته يغيّر موقعه في المعركة ويخيّر نفسه بين الجنة والنار وليس بعاقل من لا يختار الجنة على غيرها تقدم بين يدي الحسـين عليه السلام أول مقاتل يذود عن الديـن وقيمه وهو يرتجز قائلاً:

إنـي أنـا الحرُّ ومـأوى الضيفِ
أضــرب فـي أعناقكم بسيفي
أضـربـكُـم ولا أرى مـن حَيفِ
عن خير من حلَّ بـأرضِ الخيفِ

قاتل قتال الأبطال حتى سـقط شـهيداً يخور بدمه فأسرع إليه المولى يؤبّنه وضع رأسـه في حجره مسـح الدم والتراب عن وجهه، ربط رأسـه المفلوق بعصابة وهو يقـول له بخ بخ لك

يا حر أنت الحُّر كما سمتك أُمُّك حرٌ في الدنيا والآخرة لفظ الحر أنفاسه الأخيرة في حجر مولاه الذي أخذ ينعاه:

بكت سمر العوالي والصفاحِ على الملأ البهاليل الوضاحِ
وقال بنعيهم رمزُ الصلاحِ لنعمَ الحرُّ حرُّ بني رياحِ
صبورٌ عند مُشتَبكِ الرماحِ

***

بأصحابِ الحسين فقرَّ عَيْناً غداة وفوا لدين اللّه دَيْنا
فبورك سعيهم زيناً فزينا ونعمَ الحرُّ إذ واسى حُسَيْنا
وجاد بنفسه عند الصباحِ

***

مضى للحربِ يسرعُ بإتّزانِ ولم يعبأ بضربٍ أو طِعانِ
وقد خطبَ الشهادةَ غير وانِ فيا ربّي أضفهُ في جنانِ
وزوِّجهُ من الحورِ الملاحِ

***

من كان مع الله

بسم اللَّـه الرحمن الرحيم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1]

منذ مدة غير قليلة والناس في بلادنا يستغيثون فلا يغاثون وأصبح البعض منا يتوقع حرباً عربية اسرائيلية على المياه التي شحَّت وصارت دول الجوار تقيم السدود تلو السدود لتحكم قبضتها إما على الماء أو على رقابنا.

الغيث لغة يعني المطر والغوث هو العون والمدد والمستغيث هو الفرد الذي يطلب مساعدة الآخرين ونجدتهم وإنما سميّت الاستغاثة هنا لأن وصول النجدة والعون كنزول المطر على الأرض العطشى.

ومن جملة الكنى التي أطلقها رسول اللَّـه ﷺ على أمير المؤمنين عليه السلام أبو الغوث وذلك في معركة أُحد عندما وقع النبي ﷺ وكسرت رباعيته وفرَّ غالبية أصحابه أخذ النبي ﷺ ينادي بأعلى صوته **يا علي أدركني يا أبا الغوث أغثني، يا علي رُدَّ عني هذه الكتيبة**، فأسرع أسَدُ اللَّـه الغالب لنجدة سيِّد الكائنات فكان وصوله بمثابة الماء الذي يحيي الأرض بعد موتها الآية الكريمة التي جعلناها مورداً لبحث هذه الليلة.

أجمع المفسرون إنها تتحدث عن مجريات معركة بدر الكبرى والتي وقعت بين جند الاسلام الثلاثمائة وثلاثة عشر، وجند الشرك المدججبن بالسلاح والذين لا يقل عددهم عن ألف بين فارس وراجل وذلك في السابع عشر من شهر رمضان من العام الثاني للَّـهجرة

---

(١) سورة الأنفال: ٩.

النبوية المشرفة وعلى التحديد وحسب تاريخ اليعقوبي وكما ذكره صاحب الميزان بعد ثمانية عشر شهراً من مقدم النبي إلى المدينة المنورة.

وحسبما ذكره المؤرخون فإن النبي علم بقدوم قافلة قريش التجارية من الشام يقودها أبو سفيان ومعه أقل من خمسين راكب من قريش فإنتدب النبي أصحابه للخروج اليها ليأخذوها أنفالاً، فقام بعضٌ وتثاقل بعضٌ، ولما علم أبو سفيان بنية الرسول ﷺ أرسل رسولاً إلى مكة يستغيث بأهلها لإنقاذ تجارتهم فنفر من كان مستعداً للقتال والأثرياء ساهموا بأموالهم وقيانهم وعبيدهم، فزحفوا بقيادة فرسانهم الذين يزيدون على أربعمائة ورجّالتهم وفيهم أبو جهل والوليد وشيبة وعتبة وعمرو بن عبد ود العامري والعباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب.

ولما علم النبي ﷺ بزحف المشركين جمع أصحابه ليشاورهم بالأمر، فقام أبو بكر وأدلى برأيه قائلاً يا رسول اللّه هذه قريش وخيلائها ما آمنت منذ كفرت ولا ذلت منذ أن عزّت فلو رأيت أن نعدل عن القتال، فقال له النبي ﷺ إجلس فقام عمر بن الخطاب فقال نفس مقالة أخيه فقال له النبي ﷺ إجلس فقام عندها الفارس الوحيد في معسكر رسول اللّه ﷺ وهو المقداد بن الأسود الكندي فقال يا رسول اللّه لقد آمنا بك وصدّقنا وشهدنا أن ما جئت به حق واللّه لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك، ولا نقول لك ما قال قوم موسى لموسى ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾[1] ولكنا نقول إمضي لأمر ربك إنا معك مقاتلون، فقال النبي ﷺ جزاك اللّه خيراً يا مقداد، وبقي ينتظر رأي الأنصار حتى قام سعد بن معاذ فقال مقالة المقداد عند ذلك فرح النبي ﷺ وأمر بالتوجه إلى بدر، ولما علمت قريش بخروج النبي ﷺ لقتالهم أحسوا بدنو آجالهم وحاول أبو سفيان وعتبة بن ربيعة التهرب من لقاء النبي ﷺ إلا أن أبا جهل أصرَّ على القتال ولما أصبح الصباح عبأ النبي ﷺ أصحابه ووقفت قريش مزهوة بكثرتها وأبو جهل ينادي ما هي إلّا

---

(١) سورة المائدة : ٢٤.

«أكلةُ رأس «لو بعثنا إليهم عبيدنـا لاخذوهم أخذاً باليد. ونظـر النبي ﷺ إلى الخوف الذي خيَّم على بعض أصحابه وكثرة العدو وتفوّقه بالعدة والعدد.

رفع النبي ﷺ يديه إلى السماء وإستقبل القبلة وقال: اللَّـهم أنجز لي ما وعدتني اللَّـهم إن تهلك هذه العصابـة لا تعبد في الأرض. هكذا إسـتغاث النبي ﷺ بربه فأنـزل اللَّـه عليه ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ الآية الكريمة والمنح التالية:

١. ألقى اللَّـه النعاس على المؤمنين ليلاً لينهضوا صباحاً بكامل نشاطهم إلى المعركة في الوقت الذي لم تنم فيه عيون المشركين من شدة الخوف والقلق.

٢. أرسـل اللَّـه نوعـين مـن المطـر، ففـي الوقـت الـذي أرسـل مطـراً خفيفـاً إلى معسـكر الرسول ﷺ سـاعد في تمهيد الأرض الرملية تحت أقدام المسلمين نزلت سيول المطر على أرض المشركين فغاصوا في الأوحال.

٣. ألقى اللَّـه الرعب في قلوب المشركين وألقى الطمانينة في قلوب المسلمين.

٤. تقـدم إبليس جمع المشركـين في صـورة سراقة بن مالـك بن جشـعم الذي إسـتلم رأيتهم، وتقَّدمت الملائكة وعلى رأسهم جبرئيل جموع المؤمنين.

كثَّر اللَّـه المؤمنين في أعين المشركين وقلَّل المشركين في أعين المؤمنين وبعد المنازلة الفردية الأولى بين علي والحمزة وعبيدة من جند رسول اللَّـه ﷺ وعتبة والوليد وشيبة من المشركين، انتصر جند الاسـلام في المبارزة الفردية إلا ان عبيدة ابن الحارث ابن عبد المطلب قطعت ساقه وقال النبي ﷺ يا علي اعطني قبضة من حصى الـوادي فناوله فرمى به في وجوه القوم وقال: شـاهت الوجـوه، فلم يبقـى مـشرك إلا ودخـل في عينيه وفمـه ومنخريـه منهـا شيء ودارت رحى الحرب وما إنجلت الحرب إلا وقد سـقط من قريش سـبعين قتيلاً قتـل نصفهم علي بن أبي طالب عليه السلام وسـبعين أسـيراً وفرَّ الباقون يسـحبون أذيال الهزيمة وقد قتلت صناديدهم وسـاداتهم، وقتل من المسـلمين أربعة عشر، سـتة من المهاجريـن والباقي أنصـار. الآن وبعد هذا العرض الموجز لوقايع أول معركة إسـلامية ظافرة هي معركة بـدر الكبرى والتي تركت

جرحاً عميقاً في قلوب المشركين لازالوا يطالبون بثأره، تعالـوا معي إلى صحراء كربلاءٍ حيث تبلغ عدة المؤمنين ثلاثمائة وثلاثة عشر بين شيوخ وشباب ونسـاء وأطفال ورُضّع في حين بلغ عدد جيش الأعداء على أقل الروايات ثلاثين ألفاً وعلى رواية سبعين ألف وعلى رواية السيد الزنجاني في وسيلة الدارين مليون،

أحلَّ الإمام الحسـين أصحابه من عهودهـم وبيعتهم وذمامهم حيث قـال لهم يا أصحابي إن القوم لا يطلبون سـواي فإذا قتلوني ذهلوا عن طلب غيري، ألا وإن هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرّقوا عنّي في سواد هذا الليل ليس عليكم مني ذمـام وأنتـم في حِلٍّ من بيعتـي، وإذا بالقـوم يقولون للحسـين عليه السلام قولة المقداد لرسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم. قام زهير وقـال: يا بن رسـول اللّـه لـوددت أني قتلت ثم نشرت ألف مرة وإن اللّـه دفع القتل عنك وعن هؤلاء وقال آخر سـيدي أكلتني السـباع إن فارقتك وأنت بهذه الحال. وقال آخـر ما لنا بالحياة بعدك يا بن رسـول اللّـه، لا واللّـه سـنقاتل دونك حتى يعلم اللّـه أنا قد حفظنا فيك وصيّة رسول اللّـه مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم.

نـصروه أحـيـاء وعـنـد وفاتهم يـوصي بـنـصرتـه الـشـفـيـق شفيقا
أوصى إبـن عـوسجـةٍ حبيباً قائلاً ذُد عـنـهُـمُ حـتـى الحـمام تذوقا

گـربـت يـبـن ظـاهـر منيتي إن چـان نـيـتـك مـثـل نيتي
مـا أوصـيـك بـعـيـالي وبيتي بـالحـسـين وعـيـالـه وصيتي

قتل أصحابه وأهـل بيته وأُبيـدوا جميعاً وبقي الحسـين وحيـداً فريداً في الميدان إسـتغاث مناديا ألا هل من ناصر ينصرنا ألا هـل من مغيث يغيثنا هل غاب عنـه المدد الإلهي؟ لا ولكنه كان يرى انتصـاره وانتصار دينه بالشـهادة، كان بأحرِّ الشـوق للقاء اللّـه مخضّبـاً بدمه، آلاف الملائكة نزلـوا لنصرتـه وآلاف الجن وفـدوا لنصرته لكنـه أبى، تقـدم وهو ينـادي إلهي رضا برضاك ولسان حاله يقول والأبيات لرابعة العدوية:

تــركــت الــخــلــق طُـــــرّاً فـــي هواكا

وأيــتــمــت الــعــيــال لــكــي أراكا

ولـــــو قــطّــعــتــنــي بـــالـــحُـــبَّ إرباً

لــمــا مـــال الـــفُـــؤادُ إلـــى سواكا

نعم لقد قطّعته سيوف بني أُمية إرباً إرباً حتى سقط في مذبح الأحرار يخور بدمه ويجود بنفسه الكريمة ولسانه لا يتوقف عن ذكر اللّـه.

لــولاك الــفــرض يــحــســين ماتم

وحــق چــبــدك الــمــنــه ثــلــث ماتم

إلــك بــگــلــو بــنــه مــنــصــوب مآتم

تــظــل لــلــحــشــر نــيــرانــه سريه

***

**

*

الإيمان بين الحقيقة والادّعاء

بسـم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّـهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1]

أكثر الخلق لجاجة وجدلاً وصلفاً كما حكى لنا القرآن في قصصه اليهود وبالمقابل فإن اللّـه جل وعلا أقوى دليلاً وحجةً بحيث لا يبقى أي مجال للتهرب من المسؤولية ولا ينفع فيه أي تبرير أو عذر.

وهنا في الآية موضوع البحث يضع الحق بين يدي نبينا مُحمَّد ﷺ الحجة الدامغة لكي يَجبَهَ بها اليهود الذين أكثروا من جدال رسول اللّـه ﷺ حين دعاهم إلى الإيمان باللّـه وبكتبه وبرسله.

قالوا وقولهم إدعاء محض انهم يؤمنون باللّـه وبالتوارة وبموسى عليه السلام، أي بما لديهم، قالوا كما قال يهود أُمَّةِ مُحمَّد ﷺ «حسبنا كتاب اللّـه» . الآية هنا خطاب وتوجيه للرسول ﷺ أن قل لهؤلاء إن جاؤوك إن إدعاءكم الإيمان باللّـه وبالتوراة وموسى غير صحيح ويكذّبه سلوككم وكل قول يحتاج إلى عمل يصدّقه، الوقائع تفضح زيفكم وتظهر كفركم وعدم إيمانكم بأي مقدّس من المقدسات، لم تؤمنوا إلا بأهواءكم وغرائزكم التي تدفعكم إلى حب السيطرة والتسلط على البلاد والعباد باسلحتكم المعهودة المال والمرأة.

أولاً: كان إيمان أجدادكم وآباءكم باللّـه متزلزلاً فما إن غاب عنكم موسى عليه السلام وخدعكم السامري بعجله حتى اتخذتموه إلهاً وعبدتموه من دون اللّـه.

ثانياً: هل أمركمُ اللّـه في التوارة بقتل أنبياءه بغير حق؟ لماذا قتلتم زكريا ويحيى وحاولتم

(١) سورة البقرة: ٩١.

قتل عيسى وصلبه فرفعه اللّـه؟ ليس هذا وحسب بل لقد كان اليهود يقتلون قبل أن يخرجوا إلى أعمالهم اليومية ستين نبياً ثم يذهبون إلى أعمالهم وكأنهم لم يفعلوا شيئاً، والقتل حرامٌ في كل الأديان.

ثالثاً: ألم تخبركم التوراة عن خاتم الأديان وخاتم الأنبياء الذي يحمل رسالة مصدقه لما في التوارة ومتممة لما جاء به كليم اللّـه موسى عليه السلام.

رابعاً: لما كنتم تعلمون أن رسول اللّـه مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم لم يتلّمذ عند أحد وان المعجزة تدل دلاله أكيدة على صدق صاحبها فإن لم تصدّقوا برسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزته الدالة على صدقه ونبوته فإن ذلك يعني أنكم لم تؤمنوا ولم تصدّقوا ولم تعتقدوا باللّـه وبالتوارة وبموسى الذين يصدّقون رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم ويصدّقهم ورسالته تصديق لما بين يديكم من التوراة.

خامساً: ما الذي غيّر موقفكم عند ظهور الاسلام؟ ألم تكونوا تستفتحون بالنصر على أعدائكم بمُحمَّد وآله الطاهرين فينصركم اللّـه إكراما لهم، ما حدا مما بدا؟

بالأمس القريب عندما هاجمتكم قبائل أسد وغطفان في ثلاثة آلاف وأنتم لا تتجاوزون الثلاثمائة توسلتم إلى اللّـه بمُحمَّد وآل مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم فنصركم عليهم وإستعانوا بالقبائل حتى جمعوا ثلاثين ألفاً وحاصروكم في قريتكم وألجاؤكم إلى البيوت وحاصروكم فيها قطعوا عنكم الماء والطعام، فدلكم كبراءكم ان كليم اللّـه موسى عليه السلام قد أوصاكم أنه إذا دهتكم داهية دهماء توسّلوا وإستنصروا إلى اللّـه بجاه مُحمَّدٍ وآل مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ففعلتم ذلك وانتصرتم بمحمد وآل مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم على أعدائكم.

بمن انتصرتم على تبع؟

أوليس أحباركم ورهبانكم كانوا يخبرونكم بالأمس القريب ويخبروا العرب بأنه قد آن أوان نبي يخرج من مكة ومهجره المدينة وهو آخر الأنبياء وأفضلهم في عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة، يلبس الشملة ويكتفي بالتميرات والكسرة ويركب الحمار العري، وهو الضحوك القتّال يضع سيفه على عاتقه.

أيها الناس إن ربي أخبرني أن من لا يؤمن بالقرآن فما آمن بالتوارة لأن اللّه تعالى أخذ عليهم الإيمان بهما، لا يقبل الإيمان بأحدهما إلا مع الإيمان بالآخر، كذلك فرض اللّه الإيمان بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام كما فرض الإيمان بنبوة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم فمن قال آمنت بنبوة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وكفرت بولاية علي عليه السلام فما آمن بنبوة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم.

من كل هذا يتبين إن الايمان كلٌ لا يتجزأ وإن من يدّعي الإعتقاد ببعض الدين الذي ينسجم مع أهوائه وتطلعاته ويكفر بالباقي هو كافر باللّه ورسله وكتبه.

فرسالة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم كرسالة عيسى ورسالة عيسى كرسالة موسى مصدرها واحد وهدفها واحد وهو بالمختصر المفيد أنسنة الإنسان ووضع أقدامه على جادة الصواب والأخذ بيده إلى شاطىء الخير والسلامة في الدنيا والاخرة.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه كان يقول «**خذ الدين كُلَّه أو دعه كُلَّه**» واللّه يقول ﴿**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض**﴾ الكل يشهد بان رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول دائماً لأصحابه: أنا مدينة العلم وعليٌ بابها، فهل تؤتى المدن إلا من أبوابها، لنفترض جدلاً إن بعض الناس لم يتمكنوا أن يحبوا آل مُحَمَّد صلوات اللّه عليهم، فليعتزلوهم وليبتعدوا عنهم وليقاطعوهم كما فعل المشركون برسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم والذين آمنوا معه. فليخرجوهم إلى شعب من الشعاب المقفرة كشعب أبي طالب وليمنعوا عنهم الميرة ولا يزوجوهم ولا يتزوجوا منهم،

أما أن يدّعون أنهم على دين الاسلام ويؤمنون باللّه ورسوله والكتاب المجيد ثم يسيرون إلى حرب آل رسول اللّه يقتلون رجالهم ويذبحون أطفالهم ويسبون نسائهم ويستأصلون شأفتهم فهذا مما يكذبه القرآن الكريم ويأباه العقل السليم.

أنت مسلم تصلي وتصوم وتحج وتزكي وتجاهد بالمال والنفس وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، لكن تتوقف في موضوع التولي لأولياء اللّه ولا تبرء من أعداء اللّه فهذا مما يسقط عنك هويتك الإسلامية لا مكان للمزايدات في الاسلام ولا مجال للتبرير والتفلسف أما مع اللّه ورسوله والقرآن وإما مع أعداءهم، تحب اللّه وتحب أنبياءه ورسله وكتبه وملائكته

يعني أنك ملزم بحب الحسين عليه السلام وتتبرأ إلى اللّـه من قاتليه، لا ان تبحث عن عذرٍ للقاتلين وتتغافل عن المظلومين المقتولين:

مـــاذا تـقـولـون إن قـــال الـنـبـي لكم
مـــاذا فعلتم وكـنـتـم آخـــر الأممِ
بـــعـــترتي وبـــأهـــلي بـــعـــد مفتقدي
منهم أُســـارى وقتلى ضـرّجـوا بدمِ
ماكان هـــذا جـزائـي إذ نصحت لكم
أن تخلفوني بـسـوءٍ فـي ذوي رحمِ

ما عساه يقول من أمر يقتل الحسين ومن قام بالقتل ومن سمع بذلك ولم يستنكره ورضي به.

ألم يقل اللّـه جل وعلا لنبيّـِه في الكتاب المبين ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ فهل السكوت على قتل الحسين عليه السلام مودَّة لرسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم الذي صرَّح مراراً ولَّح تكراراً بأنه يجب أهل بيته فمن أحبَّه فليحبهم.

ألم يقل حسين مني وأنا من حسين أحب اللّـه من احب حسينا فهل يعقل أن يكون قاتل الحسين عليه السلام محباً للّـه ولرسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم لعن اللّـه أمة أسرجت وألجمت وتهيأت وتنقَّبت لقتال الحسين ولعن اللّـه أُمة سمعت بذلك فرضيت به وسكتت عنه بل وتعاطفت وما تزال تتعاطف مع قاتلي أنبياء اللّـه بقتل من يحبون.

أورد الفاضل الدربندي في كتابه أسرار الشهادة أن حبيب بن مظاهر الأسدي التقى بابن عمه مسلم بن عوسجه في سوق العطارين فقال مسلم لحبيب ما تريد من سوق العطارين، قال أريد أن أشتري بعض الحنَّاء لكي أُخضِّب رأسي ولحيتي. فقال له يا حبيب أما ترى الناس يتسارعون إلى أسواق الحدادين والسراجين يشترون السيوف والخيول ليسرجوها وينقبوها ويلجموها إستعداداً للحرب؟ فقال حبيب لحرب من يا مسلم؟ قال لحرب الحسين بن بنت

رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم.

فألقى حبيب الحنّاء من يده وهو يقول واللّـه لن أخضب إلا بدمي في نصرة الحسين عليه السلام قال مسلم جزاك اللّـه خيراً، ولما كان يوم العاشر من المحرم تقدم كل منهم يجود بنفسه في نصرة أبي عبد اللّـه الحسين عليه السلام فاستشهد مسلم أولاً ثم تقدم حبيب بن مظاهر يذود عن دينه وعن حرم رسول اللّـه وهو يرتجز ويقول:

أنا حبيب وأبي مظاهر
فارس هيجاء وحرب تَسعرُ
أنتم أعدُّ عُدَّة وأكثرُ
ونحن أعلى حُجَّةً وأظهرُ
وأنتمُ عندَ الوفاءِ أغدرُ
ونحنُ أوفى منكمُ وأصبرُ
حقاً وأتقى منكمُ وأعذَرُ

حتى سقط إلى الأرض يجود بنفسه فهد مقتله الحسين عليه السلام وأسرع إليه يؤبنه وينعاه قائلاً: عند اللّـه أحتسب نفسي وحماة أصحابي:

گضواحك العليهم دون الخيام ولا خلوا خوات حسين تنظام
لمن طاحوا تفايض منهم الهام تهاووا مثل مهوى النجم من خرَّ

***

هذا الرمح بفاده تثنه وهذا بيه للنشاب رنه
وهذا الخيل صدره رضرضنه وهذا وذاك بالهندي إموذَّر

الحر الرياحي وحسن العاقبة

بسـم اللّـه الرحمن الرحيـم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُـمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّـاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَـا آمَنَ السُّـفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ﴾(١)

ابتداءً نحاول ومن المعاجم اللغوية تحديد معنى السـفيه قال قطرب السـفيه هو العجول الظلوم القائل خلاف الحق، وقيل من لا يعرف نفعه من ضره كما في الصبي والمرأة حيث يقول اللّـه جـل وعلا ﴿**ولا تؤتوا السـفهاء أموالكم**﴾ ويقال ثوب سـفيه يعني رقيق بالي. وسـفهته الرياح إذا طيرته وقد جاء في الأخبار أن السفيه هو شارب الخمر.

الآية الكريمة تتناول موضوعاً هاماً وحساسـاً نعاني منه كثيراً هذه الأيام ألا وهو الفوقية في التفكير وتصور الناس سائر الناس دون مستو انا في كل شيء حتى الإيمان باللّـه.

فاللّـه جلَّ وعلا في هذه الآية يدعونا إلى الإيمان به أسوة بمن آمن من الناس عامة الناس لأن التعالي على الناس هو عرض من أعـراض مرض النفاق الذي يصيـب القلوب ويصعب علاجه.

وهذا ما نلاحظه هذه الأيام بصورة جليّة واضحة في سـلوك وممارسـة مـن يعانون عقدة النخبوية.

يحاولـون فهـم القـرآن، الإسـلام، المجتمـع، عاشـوراء الحسـين بطريقتهـم الخاصـة. لا نعارضهم في اتخاذهم أيَّ أُسـلوب لفهم ما يحاولون فهمه ولكـن ما ليس لهم بحق هو إتهام الآخر بالدونيـة في الفهم والسـفه، وإذا أصروا على ذلك فإننـا نحيلهم إلى الآيـة الآنفة الذكر

(١) سورة البقرة: الآية ١٣.

لكي يصطدموا بالحقيقة التي يجب أن يعوها.

لا تختلفوا مع الناس في تحديد اسلوب ممارسة الايمان بل آمنوا وإدعوا الناس إلى الايمان كما يريد اللّـه بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالتجريح والتنكيل.

منطلق الآية تاريخيا ان النبيّ ﷺ وخيرة أصحابه المؤمنين الكادحين تضايقوا من ممارسات المنافقين في المدينة وكان النبي كلما يدعوهم إلى الايمان الفطري الحقيقي الصافي من الشوائب يقولون له أتريدنا أن نؤمن كعبد اللّـه بن سلام وسلمان والمقداد وأبي ذرَّ وأضرابه من الفقراء والمسحوقين الذين لا يقيم لهم أصحاب النفوذ بكل أشكاله وزنا في المجتمع.

تلاحظون على هذه النخبة المنافقة الصفات التالية:

١. الضجيج والإعلام الكاذب أو كثرة القول وقلة العمل.

٢. التلوّن نزولاً وصعوداً بالمواقف وحسب سعر صرف الدولار.

٣. التكتل والانفصال والتعالي على الناس.

٤. الاعتداد بالنفس وتحقير الآخرين.

٥. المكر والخداع والملق والخيانة وازدواج الشخصية.

إن اللّـه جل وعلا يوم القيامة يعاقب ويثيب وعندها تتبيَّن درجات الناس الإيمانية حسب مراتب الفوز بالجنة.

وهنيئاً لمن زحزح عن النار ذلك هو الفوز العظيم.

إن المؤمن الواعي الذي وصل أعلى درجات الايمان دائماً وأبداً يتواضع ويرى أنه لا زال في الصف الأول من مدرسة الايمان وأنه أقل الناس وأضعفهم عملاً وذلك لعلمه بان اللّـه يودع أسراره أضعف خلقه ولعل بينهم الأبدال.

فمقياس التقوى هو مقياس التفاضل بين الناس حسب التقييم القرآني، قال اللّـه **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾** وكما قيل فان «حسنات الأبرار سيئات المقربين» وكما ورد في الحديث «**لا فضل**

لعربي علـى أعجمي ولا أبيض على أسـود إلّا بالتقـوى» و«**المؤمن كفـوء المؤمن**» و«**كلكم لآدم وآدم من تراب**» وكما قيل

النـــاس مـــن جـهــة الـتـمـثـال أكفاء

أبـــوهُـــمُ آدَمُ والأُمُّ حَوَّاءُ

وما يدريك لعلك إبتدأت مع الإسلام وتنتهي مع الكفر والعكس في ذلك جائز والأمثلة على ذلك كثيرة فقد أنزل اللّـه جل وعلا في محكم كتابه المجيد سورة كاملة باسم المنافقين ومن أجل تبغيض الناس بخصلة النفاق فان الفقهاء والعلماء وأئمة الجمعة والجماعة ألزموا أنفسهم قراءة هذه السورة كل جمعة.

وبالإضافة إلى العقوبة الدنيوية التي يستحقها المنافق فإنه يوم القيامة يستقر في قعر جهنم لأن النفاق أكثر ضرراً على الإنسانية من الشرك والإلحاد.

ومما يـورث النفاق ويـربّي عليه النفـوس بغض علي بـن أبي طالب عليه السلام حيـث أن حبُّه عنوان الإيمان وبغضه علامة النفاق ومن هنا فان القلـوب التي تذوب بحبه الطاهر لا يتزلزل إيمانها وتبقـى تدافع عـن مبادئها حتى الرمـق الأخير ويطيـب لي أن أُمثـل للنموذجين المؤمن والمنافق لكي نتعرف على أبطال الأُمَّة الحقيقيين ونقتدي بهم:

١. **النموذج الأول**: روي أن أحد رجالات بني أُميَّة قـضى ردحاً طويلاً من حياته منقطعاً للعبادة من صلاة وصوم وتلاوة قرآن، دخلوا عليه يوماً يبشرونه بتوّلي أمور الأمة وانه أصبح الخليفة بعد معاويـة الثاني الذي عرُف عنه مـوالاة أهل البيت عليهم السلام كان الرجـل يقرأ القرآن عندما دخلوا عليه فلما أبلغوه بالخير أغلق القرآن الكريم وخاطبه قائلاً:

«**هذا فراق بيني وبينك**». وكما يقول الشاعر

صـــلّ وصـــام لأمـــرٍ كـــان يطلبهُ

لما قُـضـي الأمـر لاصلى ولاصاما

٢. **النموذج الثاني**: الحر بن يزيد الرياحي التميمي:

وكان هذا الرجل قائداً عسكرياً مقدماً في صفوف الحصين بن نمير قائد الشرطة فترة قدوم الحسين عليه السلام إلى العراق وكان مأموراً بإلقاء القبض على الإمام الحسين عليه السلام أينما وجده وأن يعرض عليه المبايعة ليزيد وإبن زياد.

يقول الرواة إرتدى الحر بزَّتهُ العسكرية وخرج من داره وإمتطى صهوة جواده وإذا به يسمع مناديا من خلفه ينادي يا حُر أبشر بالجنة، التفت فلم يرَ أحداً. أذهله النداء وبقي يحسب الأمور ويقلّبها ظهراً لبطن، يتساءل كيف أُبشَّر بالجنة وأنا خارج لحرب سيد شباب أهل الجنة؟

أتمنى لو يتمكن كل واحد أن يفكر بما ينوي القيام به كالحر، لو فكرَّ أهل السقيفة لما تآمروا على علي عليه السلام لو فكرت عائشة لما نبحتها كلاب الحوأب لو فكر معاوية لما بغى على إمام زمانه إمام الانس والجنة لو فكر يزيد لما قتل الحسين عليه السلام ودار بينهما ما دار والتعامل بين الطرفين تعامل أحرار حتى كان يوم العاشر وقف الحر يفكر كالأحرار منادياً.

يا بن سعد أمقاتلٌ أنتَ هذا الرجل؟ فجاءه الجواب كالصاعق أي نعم قتالاً أيسره أن تتساقط الرؤوس وتطيح الأيدي والأرجل. قال فمالك فيما عرض عليك من العودة إلى الحجاز او اليمن أو تتركوه يذهب في أرض اللّه الواسعة فأجابه عمر بن سعد وتعرفون سعداً جيداً فهو أحد العشرة المبشرة بالجنة. أما لو كان الأمر لي لفعلت ولكن أميرك لا يرضى، ضرب الحر فرسه وتوجه صوب معسكر الحق مناديا اللّهم إليك أُنيب وأتوب مما جنيت فلقد أرعبت قلوب بنات نبيك مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم حتى وقف بين يدي الحسين عليه السلام قال له من الرجل؟ قال سيدي أنا صاحبك الذي جعجع بك في أول الطريق وما كنت أظن بأن القوم سيصل بهم الأمر إلى ما وصل إليه اليوم هل ترى لي من توبة. قال نعم إن تبت تاب اللّه عليك ثم إستأذن للقتال وبرز يرتجز ويقول.

إني أنا الحرُّ ومأوى الضيفِ

أضربُ في أعناقكم بالسيفِ

لـنـعـم الحــــرُّ حــــرُّ بـنـي رياح
صـبـور عـنـد مـشـتـبـك الرماح
ونـعـم الحـــر إذا وآســى حسيناً
وجـــاد بـنـفـسـه عـنـد الصياح
فـيــا ربِّي أضــفــه في جنانٍ
وزوّجـــــهُ مِــنَ الــحُــرِ المِلاحِ

***

نعمين وكفـو الـحـر دون أبـو السجاد
ماقصرَّ أو گـابـل جـيـش مـال أعداد
وفـه وأدَّه الـجـهَـد بـالـموت مونشّاد
بــاع الـنـفـس دون حـسـين وعياله
مــن كـثـرت جـروحـه عـالـوطـيـه طاح
لـبـوالـيـمه شـبـح عـيـنـه وبـسـمـه صاح
إجـاه حسين والـمـدمـع على الـخـد ساح
گـعـد يـمـه أو عـن وجـهـه الـتـرب زاله

***

نــاده إعـلـه الـشـرة إبـعـيـد الـبـلـه جسمك
يـنـور العين وإنـتـه إمـخـضـبَّ إبدمَّك
إنـــت الـحـر بـسـمـك ماخطت أمَّك
مــن مـثـلـك الـسـاعـة الـنـوم يحلاله

***

كـل مـصيـوب مـن يـوگـع إمـن الانصار

ينخه ابن الصميدة وشيل حامي الجار

يـتـعـنـاه ويــأخــذ مــن إعـــداه الثار

بـسـيـفـه ومايخلي عــدل چتاله

***

بــس حـسـيـن مـن ظـل عـاشـر بعاشور

عـاري إعله الوطيه ودم وريـده يفور

ماواحد فـزعـلـه أو وگـف دونــه يثور

عـليـه مـيـدان مـن لـعـبـت الخيّاله

أنصار الحسين عليه السلام وأفضل الأعمال

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]

مرة بعد أخرى يدعونا ربّ العزة إلى ساحة رحمته ومغفرته ويشوقنا لجناته ويدعونا لضيافته ويؤكد لنا أنَّه أرحمُ الراحمين وأكرمُ الأكرمين، يقبل اليسير من الطاعة ويعفو عن الكثير من المعصية تلك هي سجيّته وذلك الكرم ديدنه.

فتارةً الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها وأُخرى تتضاعف الخيرات سبعمائة ضعف وأكثر وتارة يقدم على سيئاتنا فيقلبها إلى حسنات وهذه الآية تتحدث عن معاملة عجيبة تدل دلالة واضحة جداً على إن اللّه جل وعلا وهو الغني عن عباده يبحث عن ذريعة لكي يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار أُعدّت للمتقين.

لو مثلنا لهذه الصفقة بمثال تجاري سنكشف عظمة الرحمة الإلهية التي حتى إبليس يطمع بها يوم القيامة فكيف بأمة مرحومة بوجود مُحَمَّد وآل مُحَمَّد فيها. تاجر كبير يشتري منا محاصيلنا الزراعية فيقول كل محصول مضروب عندكم وكل إنتاج متدني هاتوه فاني أشتريه منكم بأعلى الأسعار.

يكفِّر عنَّا أسوءَ أعمالنا يا للرحمة وهذا يعني بالتالي ومن باب أولى إنه يغفر الذنوب جميعاً ما خلا الشرك به والإضرار بالناس، إذاً الكفة الأولى من الميزان التي هي كفة الذنوب خفَّفها برحمة الواسعة.

---

(١) سورة الزمر: ٣٥.

ثم عاد إلى الكفة الثانية وهي كفة الحسنات فأثقلها بكرمه ولطفه فاعتبر أكبر عينّة منها القياس المثالي للمكافأة والتعويض يعني سياسة الكيل بمكيالين يضاعف الحسنات ويحجم السيئات لتخرج النتيجة على أسوء الاحتمالات لصالحنا.

فنعم الرَّبُ ربنا وبئس العبيد نحن، وعلى عكس هذا تماماً نحن ناخذ من الآخرين أفضل ما يمكن ونعطيهم أسوأ ما يمكن وليست هذه الطريقة بالتعامل جديدة وعصرية فمنذ بداية الخليقة عندما توجَّبَ على ابن آدم عليه السلام أن يقدما قربانا للّه جل وعلا فلجأ قابيل وكان مزارعاً إلى الرديء من القمح الذي عنده وقدّمه قرباناً بينما لجأ هابيل إلى أفضل كبش في أغنامه وقدمَّه للّه.

قابيل تعامل بالطريقة الشيطانية الأنانية، أما هابيل فقد وفقه اللّه للتعامل بالطريقة الرحمانية لاحظو الفرق بينهما الاسلام يجُّب ما قبله وهذا ما حدث فعلاً في صدر الاسلام فقد غفر اللّه لمن أسلم ما تقدم من الذنوب على أن يبدء الجميع صفحة جديدة وحياة سعيدة بطاعة اللّه ورسوله وقد تفرَّد البعض منهم لنورانية ذواتهم وقدسية نفوسهم فتكرمت وجوههم عن السجود لصنم أو قضوا الشطر الأول من حياتهم يعبدون اللّه على ملَّةِ خليل اللّه إبراهيم عليه السلام كورقة بن نوفل وخديجة بنت خويلد عليها السلام وعبد المطلب بن هاشم وأبنائه وفاطمة بنت أسد، ومنهم من تاب واستغفر وأعلن إسلامه وآمن باللّه ورسله وكتبه قلباً وقالبا وظهر ذلك من سلوكه بعد إسلامه حتى نال أرقى الأوسمة من رسول اللّه حتى قال فيه «**سلمانُ منّا أهل البيت**» أو قال «**ما أقلتَّ الغبراء وما أظلتَّ الخضراء ذي لهجة أصدق من أبي ذر الغفاري**» أو قال «**ياعَّمار تقتلك الفئة الباغية وآخر شرابك من الدنيا ضياحُ من لبن**» أو قال «**الجنة تشتاق اليك ياعلي وإلى عّمار وسلمان وأبي ذر و المقداد**» ، وقال المقداد بن الأسود الكندي من المجتهدين وذات يوم جلس عنده صاحبه الورع جابر بن عبد اللّه الأنصاري رضي الله عنه يحادثه فقال جابر ما تقول يا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في المقداد؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم وذاكَ منا أبغض اللّه من أبغضه وأحبَّ اللّه من أحبَّه هذه النماذج الرائعة

من أصحاب رسـول اللّـه ﷺ سـلمان ال مُحَمَّدي جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري عّمار بن ياسر المقداد بن الأسـود الكندي رضي اللـه عنهم كفَّر اللّـه عنهم ما تقدَّم بالإسلام وجزاهم بأحسـن الجزاء لثباتهم على الحق والهـدى وتخلَّدت مواقفهـم الرائعة في نـصرة الدين وصدق المودَّة لُمحَمَّـد وآلـه الطاهرين أصبـح ذكرهم نشـيد الأبـاء للأجيـال والمثل الأعـلى لكل حر غيور رغم التعتيم الإعلامـي الذي تعرضوا له ومحـاولات تحجيم أدوارهـم الجبارة في نصرة الاسـلام من قبل أعداء الخط العلوي الثائر والذي عرف بمبدئيته واسـتقامته، ومن الطبيعي جداً أن يعترض المصلحيون الوصوليون طريق المبدئيين لرسـاليين، تتبعتهم يد الغدر والخيانة وشرَّدتهم واستأصلَت شأفتهم ومثلوا باشلاء بعضهم ودسّوا السُّمَ في العسل لبعضهم وقتلوا بعضهم ومـات أكثرهـم في ظـروف صعبة وغـير طبيعية وهـذا شرف عظيـم لهـم أن يقضّوا مضاجع الظالمين ويقتلوا في سبيل اللّـه ونصرة القيم الانسانية.

ورغـم كل هـذا الـشرف العظيـم والذكـر الخالـد والفـوز بنعيـم جوارسـيد المرسـلين مُحَمَّد ﷺ في الجنـة وصحبته ونصرتـه في الدنيـا إلّا أنهم كانـوا دون أدنى شـك بمنزلة دون منزلة أصحاب الإمام الحسـين عليه السلام وتتجـلى هذه الحقيقـة البعيدة عن المجاملـة والمبالغة في الإختبار الذي أجراه الامام الحسين عليه السلام لأصحابه ليلة العاشر من المحرم.

يقول الرواة خرجت زينب إبنة علي عليها السلام ليلة العاشر من خيمتها وتوجهت نحو خيمة لأخيها تحادثه وتودعه فصار مرورها على خيمة الأنصار فنظرت من خلال الديار وإذا بحبيب بن مظاهر الأسـدي «رض» وقد توسَّـط الخيمة وإرتكز على سـيفه وأخذ في الـكلام قائلاً «يا أصحاب أبي عبد اله ما تظنون أنا فاعلون غدا» قالوا يا حبيـب أنت كبيرنا وفقيهنا فَشُر علينا. قال إذا أصبح الصبـاح ودارت رحى الحرب فإننا نتقدم سـاداتنا وموالينا ونـذود عنهم حتى آخرِ قطرة من دمائنـا ونقتل في نصرتهـم ولا نتركهم يتقدمونـا في القتال حتـى لايقول الناس أننا تركنا سـادتنا تقتل وقصرّنا في نصرة آل رسـول اللّـه ﷺ قالوا «الـرأي رأيك يا حبيب» أسرعت الحوراء إلى خيمة أخيها فلما رأها قام لها إجلالاً وتكريـما، قالت له أخي أبا عبد اللّـه

هل إختبرت نيّات أصحابك ألا تخاف أن يخذلوك ويسلموك للأعداء عند إلتحام الأسنة؟ قال لها لقد خبرتهم وبلوتهم فلم أجد منهم إلّا الفارس الأشوس والبطل الاقعس يأنسون بالموت كما يأنس الطفل بمراضع أمّه؟ قال إجلسي وانظري بعينيك ثم دعى أصحابه وأهل بيته وقام خطيباً فيهم قائلاً يا أصحابي ويا أهل بيتي إن لنا مع هؤلاء القوم يوم وهم لا يبتغون سوى قتلي فان قتلوني ذهلوا عن طلب غيري ألا وإن هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهلي وتفرقوا عني ليس عليكم ذمام. فقاموا الواحد تلو الآخر وكشفوا سرائرهم وقالوا مالم يقال يا مولانا واللّه لئن أقتل ثم أحرق ثم أُذرَّى يفعل بي ذلك سبعين مرة خير لي من العيش بعدك، فقال الحسين عليه السلام اللّهم إني لا أعلم أصحاباً خيرٌ من أصحابي ولأهل بيتٍ أبرُّ وأوصل من أهل بيتي نعم بذلوا الغالي والنفيس في نصرة الحسين عليه السلام والدين حتى صافح التراب خدَّهم ووقف مولاهم ينادي يا أصحاب الصفا ويا فرسان الهيجا مالي أناديكم فلا تستمعون و أدعوكم فلا تجيبون أصرعكم ريبُ المنون أم أنتم نيام أرجوكم تنتبهون

من چان أبو السجاد تندار
عين لهلة وعين إعلة الأنصار
ويصيح لحدَّ ياهلي شصار
يگلبي إشمالك محورب ومنهم
يگلي إنغصب حق هاشم ومنهم
فمنهم من قضى نحبه ومنهم
بگه ينتظر ساعات المنية

***

الفرق بين التهلكة والشهادة

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥)﴾[١]

في هذه الآيات البينات من سورة الاعراف حكاية لموقف فرعون عندما خرَّ السحرة ساجدين ومعترفين ومؤمنين باللّـه رب العالمين ربِّ موسى وهارون بعد أن انكشف وبطل سحرهم، لغة الفرعون الأول وسائر الفراعنة السائرين على نهجة هي لغة الارهاب والتلبيس والايهام وقلب الحقائق يحاولون بها إحكام قبضتهم على البلاد والعباد.

ففرعون هنا يتدخل حتى في عقيدة هؤلاء السحرة الذين إنتدبهم هو بنفسه لإسقاط موسى وهارون عليهما السلام والعقيدة الحقة التي جاء بها وهي الايمان باللّـه والكفر بالجبت والطاغوت

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢]

يقول العلامة الطبري في مجمع البيان ان فرعون حاول بهذا القول إيهام الناس أن إيمان السحرة لم يكن عن علم ولكن لتواطيءٍ بينهم وبين موسى محاولة منهم للأستيلاء على مصر.

علماً بان الجميع يعلم بأن موسى عليه السلام لم يجتمع بسحرة فرعون قبل هذا اللقاء الحاسم،

(١) سورة الأعراف: ١٢٣ـ١٢٥.
(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

الذي تم بأمر فرعون.

والذي جعل السحرة يسجدون ويخضعون هو هيبة موسى عليه السلام وقوة برهانه وصحوة الضمير وحسن العاقبة التي كتبها اللّه لهم. ولكن كل هذه الأمور لا تعني فرعون فتراه أولاً هيأ للسحرة مادة الإتهام ثم أصدر حكمه على السحرة بأن تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أي تقطع مثلاً اليد اليمنى والرجل اليسرى أو بالعكس ثم يصلبون على جذوع النخيل المطلّة على نهر النيل.

وإذا بالجواب الصاعقة يصك سمع فرعون إنا إلى ربنا منقلبون، لا نكترث يافرعون بك وبأرهابك وبطشك وتنكيلك لأننا سنصير إلى أرحم الراحمين. إنما أنت تقضي على جزء بسيط من وجودنا وهو الوجود المادي أما الوجود المعنوي فليست لك القدرة على التحكم به فاقضِ ما أنت قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا من هنا يتبين لنا بأن للإنسان ثلاثة أبعاد كما يذكر الامام السيد موسى الصدر أعاده اللّه في إحدى محاضراته.

١. البُعد الجسدي.

٢. البُعد الأثري.

٣. البُعد الفكري.

والسحرة هنا يؤكدون لفرعون بأنك لا تقدر إلَّا على إتلاف هذا الجسد المعُدّ بالأساس للفناء، فكأنك لم تفعل شيئاً أبداً، لأنَّ آثارنا والأفكار التي آمنا بها ستظل خالدة الى الأبد وستشهد عليك وتكون أعظم وثيقة إدانة لوحشيتك وبربريتك ولا اخلاقيتك وهذا المنطق دائماً وأبداً منطق المؤمنين والمبدئيين الأحرار في كل مكان وزمان.

وفي مشاهد يوم الطف ألف شاهد وشاهد على مواقف شجاعة مثل موقف السحرة من فرعون وزيادة.

ويهمنا هنا أن نوّضح بأن إيمان الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه باللّه أقوى وأعمق بكثير من إيمان السحرة الطارئ ولا يفوتنا أن نزيل اللبس الذي قد يؤدي بالكثيرين

إلى عدم التمييز بين مفهوم الاستشهاد من أجل الحق وبين إلقاء الأيدي إلى التهلكة،

فالشهادة من أجل الحق تعني الولادة من جديد ودخول عالم الخلود الرحب والصعود إلى أعلى القمم.

أما إلقاء الأيدي إلى التهلكة فهي بداية السقوط والتردّي وقد يتم ذلك بالخنوع والجبن والسكوت على الظالمين والنفوس الأبيّة والأنوف الحمية تأبى أن تعيش بذلٍّ وكما قال شاعر الأوس:

سأمضي ومابالموت عارٌ على الفتى
إذا مانوى حقاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه
وفارق مثبوراً وخالف مجرما
فأن عشت لم أندم وإن مت لم أُلم
كفى بك ذُلاً أن تعيش وتُرغما

وبناءً على هذا نقول بأن ولادة الامام الحسين عليه السلام وإنتشار قيمه وأفكاره كان يوم شهادته.

وأن المحاربين له والمتخاذلين عن نصرته في الواقع هم الذين ألقوا بأيديهم إلى التهلكه، لأنهم بعد قتل الحسين عاشوا عيشة هي الموت بعينه عاشوا قمة الاذلال والضعة وكما وصفهم الامام عليه السلام في إحدى خطبه وهو يرُّد على أحد الناصحين له قائلاً:

ياعبد اللّه ليس يخفى عليَّ الرأي وأن اللّه تعالى لا يغُلب على أمره، واللّه لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فاذا فعلوا سلَّط اللّه عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذلَّ فرق الأُمم.

ومن يعي الأمور بهذا الشكل الواضح لن يتأثر بكل التشويهات الأموية لحركة الإمام الحسين عليه السلام وأهدافها وسيتأكد من أن الحسين عليه السلام لم يخرج على إمام زمانه، بل خرج

على فرعون زمانـه، لأنه هو الإمام ولم يلقـي بأيديه إلى التهلكة بل أهلك أعدائه وتوَّج سـجل الخالدين كما أنه أثبت بأن ضالته المنشـودة هي الشـهادة من أجل إحياء السُـنَّة وأماتة البدعة، وإن جميع أساليب فرعون زمانه لم تثن عزمه فمضى لفردوس الشهادة مردداً شعاره الخالد.

إني لا أرى الموت إلَّا سـعادةً والحيـاة مع الظالمـين إلَّا بَرَما وكذلـك كان موقف أصحابه الذين تطابقت نياتهم مع نيته وتقدموا للاستشهاد بين يديه فقتل في الحملة الأولى منهم خمسين بطلاً ثم أخذوا يتقدمون بين يديه الواحد تلو الآخر.

أي قـلـب يـقـر أم أي عين
بـعـد مـن بـاعـوا الـوجـود بدين
أبـنـتـهـم مـدامـع الخافقين
بـأبـي مـن شـروا لـقـاء حسين
بفراق النفوس والأرواح

***

أي تـرب حـواهـم وصعيد
وشـهـيـد تـلاه خـيـر شهيد
نـصروا بـالـطـفـوف خـير عميد
أدركـوا بـالـحـسـين أكـبـر عيد
فغدوا في منى الطفوف أضاحي

***

بـذلـوا لـلـحـسين عـنـد النزال
ولـديـن الـهـدى الـنـفـوس الغوالي
وبـنـوا صرح عـزهـم بالنضال
وقـفـوا يـدرؤن سـمـر العوالي

عنه والنبل وقفة الأشباح

***

هــــذا الـــرمـــح بـــفـــاده تثنه

وهـــــذا بـيــه لــلــنــشـــاب رنه

وذاك الــخــيــل صـــدره رضرضه

وهـــذا وذاك بــالــهــنــدي إموذر

لا يستوون

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١)

نعاني كثيراً كمسلمين من مسألة دقيقة وحساسة في فهم تاريخ رجالات الاسلام الأوائل الذين يصطلح على تسميتهم بالصحابة للجيل الذي عاصر صدر الاسلام وعاش مع النبي الأكرم ﷺ آماله وآلامه، والجيل الذي تلاه جيل التابعين وسبب المعاناة هو انشطار المسلمين إلى شطرين متصارعين يحاول كلُ طرف إلغاء الطرف الآخر ويتهمه باتهامات ما أنزل اللّه بها سلطان، بدل الحوار العلمي الموضوعي، فلو أنَّ الفريق الأول قال بان اللبن لونه أبيض، أصرَّ الفريق الثاني على أن لون اللبن أسود وأهلك نفسه بالأتيان بالأدلة على صحة مقولته وسخَّر الكتاب والسنة لدعم رأيه وألغى دور العقل واستهتر بالإجماع وما الى ذلك من تبعات يجرُّه لها عصبيته وحميّته الموَّجهة لغير توجيهها الصحيح، ولقد زرع الأمويون ومن سلَّطهم على رقاب المسلمين في ذهنية الانسان المسلم أوراماً سرطانية كانت وما زالت أعظم حائل بين المسلم وأخيه ومن أخطر هذه الأورام الفكرية الخبيثة نظرية عدالة الصحابة المنافية للقرآن والعقل والإجماع، فتولدت بل غُرست في أذهان فريق كبير من المسلمين نظرية أساسية في تحليل التاريخ العربي الاسلامي مفادُها أن كل من رأى رسول اللّه ﷺ وعاصره وصاحبه ولو ليوم واحد أو مجلس واحد فهو معصوم عن الخطأ ولا يجوز مسَّ ساحة قدسه

(١) سورة التوبة: ١٩.

ولو بالظن ولو بتصور إمكانية وقوعه في الخطأ.

في الوقت الذي نرى الكثير من المفسرين يطلقون العنان لأفكارهم وأقلامهم ويدوسون ساحة عصمة الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم وطهرّهم وأذهب عنهم الرجس فينسبون لهم العصيان كما في تفسير قوله تعالى ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[١] وينسبون لهم سوء الخلق كما في تفسير قوله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾[٢]، التي يناقضها نفس القرآن بقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣]، وقوله ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٤]، وكما يقول من بعثه اللّه ليتمم مكارم الأخلاق أدّبني ربي فأحسن أدبي، وينسبون إلى موسى عليه السلام أنه عندما جاءه ملك الموت عليه السلام لقبض روحه لطمه موسى على عينه ففقأها وعلى هذه فقس ما سواها، هذا ما يخص أنبياء اللّه عليهم السلام. أما الصحابة والتابعون فهم عدول وكأسنان المشط متساوون في الحقوق والمراتب يدعم هذه النظرية الحديث المطبق تطبيقاً مكشوفاً يرفضه القرآن والسنة والعقل والإجماع وسيرة الأصحاب ذاتها وهي ما ينسب إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال أصحابي كالنجوم بأيّهم إقتديتم إهتديتم، ولا أروم من هذا البحث أن أمسّ ذيل أحد أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وصحبه الطاهرين ولكن أُحاول أن أدعو إلى نبذ العصبيات وتكريس النظرية القرآنية في تقييم الأشخاص وإحلال لغة الحوار بدل لغة الصراع، والآية الكريمة التي بدأنا بها تطرح مقياساً قرآنياً في التقييم وكأنها تقول إعرفوا الرجال بالحق ولا تعرفوا الحق بالرجال، فلو كان عندك ميزان وأردت أن تزن به الرجال فضع الحق والإستقامة والإخلاص للّه والتقوى في الكفة الأُولى وضع الرجل المراد تقييمه في الأخرى ثم زن وضع الوزن الذي ستظهره لك لوحة الميزان، ويجب أن تعرف بأن لكل واحد من الناس طاقات معينة ودرجات إندفاع واستجابة للنداءات الرحمانية توضحها هذه

(١) سورة طه: ١٢١.
(٢) سورة عبس: ١.
(٣) سورة القلم: ٤.
(٤) سورة آل عمران: ١٥٩.

الآية وغيرها من الذكر الحميـد، موضوع الآية هو أن العباس بن عبـد المطلب ﵁ وهو عُّم نبينا مُحمَّد ﷺ كان ذات يوم يتبادل الفخر مع طلحة بن شـيبة كما يقول الطيري أو مع شيبه كما يقول الحاكم الحَسَكاني فقال العباس لقد أُوتيت من الفضل مالم يؤت أحد (سقاية الحاج) فقال شـيبة أوتيـت عمارة المسـجد الحرام وهـذا فخـر لا زال أُمـراء الحجاز يفخـرون به وهو نعم الفخر فمرَّ عليهما علي بن أبي طالـب ﵇ قال بمَ تفتخـران فقالا له فقال علي﵇ ما أدري ما تقـولان لقد صليـتّ إلى القبلـة قيل الناس بسـتة أشـهر وجاهدت بين يدي رسـول اللّـه ﷺ وللعلم فقط نذكرّ بأن الامام ﵇ خاض ٨٣ غزوة ومعركة في نصرة الاسـلام، فكيف يمكن أن نسـاوي بينه وبين القاعدين والمخلفّين واللّـه جل وعلا يقول في كتابه العزيز **﴿وَفَضَّلَ اللّـهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِيـنَ أَجْراً عَظِيماً﴾**(١)، علي قال عنه رسـول اللّـه ﷺ **«أنا مدينة العلم وعلي بابها»** فكيف يسـتوي مع الذي لا يفقه من القرآن شيئا**﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يعلمون، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾**(٢) في المحصلة إن هذا التقييم غير واقعي وهـذه النظرية غير صحيحة، ولا يخفى على السـامع اللبيب والنبيه أن الهدف الاسـاسي منها هو خلط الأوراق وكما أن المقامر الذي يخسر على طاولة القمار يخلـط أوراق اللعبة على شركائـه في اللعبة كذلك فعل أعداء الاسـلام فقال قائلهم سـيدنا معاويـة رضي اللّـه عنه قتل سـيدنا حجر رضي اللّـــه عنه وسـيدنا يزيد رضي اللّـه عنه قتل سيدنا الحسـين رضي اللـه عنه، ترى في مثل هذه الأجواء كيف ستتخذ الأجيال قدوتها وكيف سـتفهم تاريخها وأين هـو الحق وأين هو الباطـل، لماذا التاريخ ولـماذا الصحابة ولماذا أهل البيت، لأن التاريخ بالنسـبة للإنسـان العربي المسـلم يعني قاعـدة الانطلاق كما أن الصـاروخ الجبار يحتاج إلى قاعـدة جبارة ومحكمة ودقيقـة للأنطلاق كذلك نحتـاج إلى تاريخ صحيح وقدوات يمكن أن تأخذ بأيدينا إلى شـاطئ السـلامة، ولا يشـك إبن أنثـى بأنَّ محمَّداً وآله الطيبيـن مع من أصحابه خير قـدوة لنا وما تعظيمنا لعاشـوراء وأبطال عاشـوراء إلّا من

(١) سورة النساء : ٩٥.
(٢) سورة الرعد : ١٦.

قبيل الرجوع إلى النقاء والأصالة، وإلاّ من باب العودة إلى المنابع الصافية وأهلها، ويمكن إجراء مقارنة بين مواقف أصحاب الحسين وأصحاب رسول اللّه ﷺ ولنا في عاشوراء ما يدعم رأينا المستند إلى الآية القرآنية الكريمة موضوع البحث فلقد وقف الحسين عليه السلام يوم عاشوراء على الشهداء واحداً بعد واحد يؤبنهم بعبارات تختلف عن بعضها البعض حسب درجة الشهيد ولوعةِ فقده وما يحتاجه منه ذلك الشهيد الغالي، ففي الوقت الذي وقف على الحر وقال له أنت كما سمتك أمك حرٌ في الدنيا وسعيدٌ في الاخرة، يقف على القاسم بن الحسن عليه السلام فيقول عزّ واللّه على عمك ان تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا يغني عنك هذا صوت كثر واتره وقلَّ ناصره، وحتى في قبور الشهداء فإن الامام زين العابدين عليه السلام جمع جميع أصحاب أبيه في حفرة واحدة إلَّا حبيب بن مظاهر الأسدي رضي الله عنه فقد أفرد له قبراً منفرداً لمكانته العظيمة بين الشهداء كما أفرد له زيارة خاصة لعل الأخوة من زائري العتبات المقدسة نساءً ورجالاً وقفوا وقفة إجلال وخشوع أمام ضريح هذا الشهيد العالم والشيخ الكبير وقالوا بإستعبار السلام عليك أيها القمر الزاهر السلام عليك يا حبيب بن مظاهر الأسدي ورحمة اللّه وبركاته.

فئة أُباةُ الضيم تدري أنها
ورثت إباء الضيم من آبائها
نظرت الى الملكوت فاشتاقت لمن
في عالم اللاهوت من نظرائها
خاضت غمار الحتف حتى خضبت
دون إبن فاطمة بفيض دمائها

***

حبيب البطل سل سيفه وجاهد
العلم ما طاح من متنه وجاهد

تـجـنـه عـنـد ابــن حــيـدر وجاهد

فـداهـا الــروح دون إبــن الزجية

***

لمن الأولوية؟

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُـمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُـمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـاكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَـبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّـىَ يَأْتِـيَ اللهُ بِأَمْـرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[1].

دفتا ميـزان أمامنـا وفي كل واحدة منهـا نضع أحد طـرفي المعادلـة الواردة في هـذه الآية الكريمة ثـم نرى أيهُّما هي الأرجـح. حبُّ الآبـاء والأبنـاء والإخـوان والأزواج والعشـيرة والأموال والتجارة والمساكن في الكفة الأولى.

وحبُّ الله والرسـول والأئمة والجهاد في سـبيل الله في الثانية لنرى أي الكفتين لدينا هي الأرجح قولاً وعملاً.

إنه إمتحان صعب وصعب جداً لأن حسـم موضوع الأولويـات في ضمير كل واحد منا ليس بالأمر الهين.

لو سـألنا الحضور الكريم عن نتائج هذه المسـابقة والمفاضلة والترجيح لأنقلب المجلس الآن إلى مزاد علني يضجّ بالمزايدات التي ملأت حياتنا صخباً لا فائدة منه. مزايدات تصل إلى حدِّ القتل، أنا أعلم منك، أنا أغنى منك، أنـا مؤمن أكثر، أنا رياضي أكثر، أنـا مجاهد أكثر، أنا سياسي أكثر وهكذا دواليك، في الوقت الذي قد ينطبق علينا قول الشاعر:

(١) سورة التوبة: آية٢٤..

وفي الهيجاء ما جربت نفسي

ولكن في الهزيمة كالغزال

تعجبني الصراحة هذه، ما أشبهها بصراحة عمر بن الخطاب أخرج صاحب الدر المنثور عن أحمد بن حنبل والبخاري عن عبد الله بن هشام قال كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال عمر: والله لأنت يا رسول الله أحب من كل شيء إلا من نفسي، يا لها من صراحة..

فقال النبي ﷺ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه هذا الامتحان العسير إمتحن الله به المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة المنورة، هاجر النبي ﷺ وطلب من المسلمين الهجرة معه من مكة إلى المدينة والهجرة تعني الخروج من مساكن عزيزة على القلوب كما يقول الشاعر:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الدهر يألفه الفتى

وحنينه أبداً لأول منزل

هذا أولاً. ثم فراق الأهل والأحبة ثم الأموال والجاه والتجارة إضافة إلى المصير المجهول الذي يملك تفكير المهاجر إنه امتحان صعب، المهاجر تتجاذبه المواطن والمال والجاه والأهل والعشيرة من جهة والامتثال لأمر الله ورسوله في الهجرة من جهة أخرى.

هو مسلم ولكن زوجته مشركة وأبوه كذلك أو أخوه، فإن أراد الهجرة منعوه من ماله وقد يحاولون قتله ماذا يفعل مع زوجته وأولاده، لطفاً تصوروا كل أبعاد الصراع الداخلي الذي يعاني منه كل من يفع في مثل هذا الامتحان.

رغم كل الصعوبات رجحت كفة حب الله ورسوله في قلوب المهاجرين من أصحاب الرسول ﷺ وأداروا الظهور للدنيا ومغرياتها وتحملوا آلام الغربة وفراق الأهل والأحبة

وخرجوا من صروح العز الزائل ليدخلوا قلعة الخلود بصحبة خير الخلق الذي بلسم جراحهم وسكن وبمساعدة الأنصار آلامهم وحققوا بنصر الإسلام آمالهم نعم لقد عوَّضهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هجرتهم الخالصة لله عن كل شيء.

نقلهم من أجواء الخوف إلى الأمان ومن عالم الكراهية إلى الحب والحنان وأطلق طاقاتهم وانطلق بهم يسطرون أروع ملاحم العطاء. آخا بين كل مهاجر وأنصاري ولم يبقَ إلا هو وعلي بن أبي طالب عليه السلام الذي وقف جانباً يبكي ناداه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يبكيك يا علي قال سيدي لقد آخيت بين جميع المهاجرين والأنصار ولم تؤاخي بيني وبين أحد، فقال النبي روحي فداه يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة فتهلل وجه علي عليه السلام وطار قلبه من الفرح.

من خسر ماله ومسكنه أعطاه الأنصار المال والمسكن من فقد الزوجة زوجوه حتى أن من كان عنده من الأنصار زوجتين طلق واحدة ليتزوجها أخوه المهاجر بعد إتمام عدتها.

لقد حطم النبي بهجرته كل قيود الجاهلية التي تقيد حركة البناء في المجتمع، وصهر كل الطاقات في بوتقة حب الله ورسوله وبدأت عملية البناء.. أفرغ القلوب من الأنا ثم حلى النفوس بالفضائل والروح الاجتماعية وبدأت مرحلة التجلي والانطلاق، ما أحوجنا هذا اليوم إلى مثل هذه الهجرة من الأنا إلى النحن، ما أحوجنا إلى تقديم حب الله ورسوله على كل شيء لنصل إلى مستوى الرقي الفكري والاجتماعي الذي وصل إليه المجتمع الإسلامي بقيادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إن الحديث عن الهجرة ينمي في نفوسنا حب الانصهار في الإسلامِ ورجالاته وأبطاله. لقد آثروا طاعة الله على كل المغريات والعلاقة مع الله ورسوله على كل العلائق، حتى النفوس إسترخصوها في سبيل إعلاء كلمة الحق، فلقد نام أمير المؤمنين عليه السلام في فراش النبي ليلة هجرته ليقيه من القتل بنفسه، إنها الهجرة إلى الله، إلى الخلود وهكذا هاجر الحسين عليه السلام إلى ربه وإحياءً لدين جده، هاجر بنفسه وبأهل بيته وأصحابه وشباب عشيرته لقد أثبت وبشكل لا يقبل الشك أن الذي يجود بنفسه في طاعة الله ورسوله وإعلاء كلمة الحق هو الإنسان

بكامل معنى الكلمة، وأعز الخلق عند الله وأخلدهم في التاريخ بوسعك وبنظرة عابرة إلى مواقف أصحابه وأهل بيته والمستشهدين بين يديه أن تتأكد من هجرتهم الرائعة ووحشتهم من الحياة الدنيا وأنسهم بالخلود الذي نسميه القتل في سبيل الله، من طفلهم إلى كهلهم إلى شيخهم يسارعون إلى الموت يتسابقون في لقاء الله، وكما أحسن في وصفهم الشاعر:

قوم إذا نودوا لدفع ملمةٍ
والخيل بين مدعسٍ ومُكردس
لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا
يتهافتون على ذهاب الأنفس

وقفوا يذودون عن الحسين عليه السلام والدموع تترقرق في أحداقهم يقول قائلهم ولعله عابس بن شبيب الشاكري رضوان الله عليه يا أبا عبد الله أما والله ما أمسى على وجه الأرض قريب ولا بعيد أعز علي ولا أحب إلي منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم، أو القتل بشيءٍ أعز من نفسي ودمي لفعلت ثم تقدم للقتال ورمى السيف والدرع وكشف صدره فنادى عليه الناس أجننت يا عابس؟ فصاح إي والله حب الحسين أجنّني قاتل قتال الأبطال دفاعاً عن رسالات الله وعن آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى سقط مضرجاً بدمه الذي لا زال يوشي جبهة التاريخ بالعز والفخار.

وبعد أن قضى الأصحاب جميعاً نحبهم توسطهم الحسين روحي فداه وأخذ يلتفت يمنة ويسرة وينادي يا حبيب يا زهير يا برير يا عابس يا مسلم بن عوسجة أين أبطال الصفا وفرسان الهيجا ما لي أناديكم فلا تجيبون وأدعوكم فلا تسمعون، أأنتم نيام أرجوكم تنتبهون أم حالت منيتكم عن إمامكم فلا تنصرون هذه نساء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لفقدكم قد علاهن النحول فقوموا عن نومتكم أيها الكرام البررة وإدفعوا عن حرم الرسول هؤلاء الطغاة اللئام الكفرة، لقد صرعكم والله ريب المنون وغدر بكم الدهر الخؤون وإلا لما كنتم عن دعوتي تقصرون ولا عن نصرتي تحتجبون فهانحن عليكم مفتجعون وبكم لاحقون فإنا لله وإنا إليه راجعون يقول

الراوي فوالله لكأن أجساد الشهداء إضطربت وإرتعشت كأنها تقول لبيك أبا عبد الله

أصحاب يا نعم الصحابة
فرگاكم لدلالي ذابه
والگلب ما حاسب إحسابه
ترحون مني يا نجابه

وبقي المولى وحيداً فريداً لا ناصر له ولا معين وهو مع ذلك ظمآن لا يسقى وعطشان لا يروى ينادي ألاهل من ناصر ينصرنا!!!

أختاه قد قتلت أمامي فتيتي
وجميع أنصاري وبدر عشيرتي
وبقيت وحدي أستغيث بغربتي
من ذا يقدم لي الجواد ولامتي
والصحب صرعى والنصير قليل

***

اليوم قد قتل الرسول طريده
وتحكمت بابن الوصي عبيده
أين الليوث بني النزال وصيده
فأتته زينب بالجواد تقوده
والدمع من ذكر الفراق يسيل

***

يخويه نروح كل إحنة فداياك
أخذني يا عزيز الروح وياك

أهـــي غـيـبـة يـخـوية وأظـــل أرجاك

واگــولــن ســافــر ويــومــيــن يصدر

***

العرب والأعراب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمِنَ الأعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرّسُولِ أَلآ إِنّهَا قُرْبَةٌ لّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنّ اللهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ﴾[1].

إستهلك موضوع التفاخر بين الأقوام والتنابز بالألقاب أو بالمفهوم المعاصر التعصب القومي القومي والحس العشائري والإقليمي، الكثير من طاقاتنا ومواردنا وأعمارنا، وحطم وما زال يحطم كل الجهود المبدعة والخيرة في سبيل النهوض الإنساني بكل بني البشر مما دعاني ومن خلال المنطق القرآني أن أوجه ومن على منبر سيد الشهداء وقدوة الأحرار الإمام الحسين عليه السلام هذا النداء الإنساني داعياً كل إخوتي من بني البشر إلى تخفيف وتيرة هذا التعصب الهدّام والعودة إلى الحوار العلمي البناء بدل الصراع التسقيطي الذي نعيشه اليوم وعلى أغلب الصعد، هذا أمير المؤمنين يقول:

«الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق» وفي القرآن الكريم نلاحظ الدقة والأمانة العلمية والبحث الموضوعي لكل ظاهرة سلبية على نقيض ما نحن عليه من إطلاق الكلام على عواهنه دون التفكير بعواقبه وآثاره، فإذا أساء رجل لامرأة لعنت كل الرجال وإذا أساءت إمرأة لزوجها لعن كل النساء وإذا أساء أعجمي لعربي شتمنا كل الأعاجم وإذا أساء عربي لأعجمي شتم كل العرب وفوراً لجأ إلى تأييد موقفه بالقرآن وتلا قوله تعالى **﴿الأعْرَابُ أَشَدّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾**[2]. أو **﴿قَالَتِ الأعْرَابُ آمَنّا قُل لّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن**

(١) سورة التوبة: آية ٩٩.
(٢) سورة التوبة: آية ٩٧.

﴿قُولُواْ أَسْلَمْنَا وَلَمّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[١]. وقد يصل التمادي بالبعض لادعاء أن النبي الفلاني من قومه وليس من قوم فلان، ومن قبيل هذا إذا إختلف عراقي مع آخر يكون الرد فوراً يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق يا شيعة أنتم قتلتم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم تبكون عليه.

وعند العودة إلى المنطق القرآني ومن خلال الآية موضوع البحث نضع الأمور في نصابها ونتجنب الظلم والعداوة ﴿ولاَ تَبْخَسُواْ النّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[٢].

الآية من سورة التوبة وقد سبقتها تقسيمات لطيفة سنستعرضها بالتفصيل إنشاء الله تعالى، مقدمة لا أظن أن أحداً لا يعرف الفرق بين العرب والأعراب، ومع ذلك نقول بأن العرب هم قوم من ولد يعرب قحطانيون وعدنانيون أو عرب عاربة وعرب مستعربة، أما الأعراب فهم البدو الرحل الذين لم يألفوا سوى البادية وإبتعدوا عن المدن والمدنية، وهم كما تصرح الآية وما قبلها وبعدها من الآيات ينقسمون إلى:

١ ـ ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبّصُ بِكُمُ الدّوَائِرَ﴾[٣].

٢- القسم الثاني هم الذين وصفتهم الآية موضوع البحث بأنهم ﴿وَيَتّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللهِ﴾[٤]. ويرجون من النبي أن يدعوهم، وهم بهذه سيدخلون الجنة برحمة الله وذنوبهم مغفورة وأعمالهم مقبولة ولعلهم يكونوا مستقبلاً خير أمة.

٣- القسم الثالث هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وتابعيهم، وهؤلاء رضي الله عنهم ورضوا عنه كما يقول الله جل وعلا في محكم كتابه العزيز.

٤- القسم الرابع وهم أقل القليل تقدم ذكرهم بمن للتبعيض ومن الأعراب منافقون، وذكر المؤرخون منهم غفار وأسلم وأشجع وجهينة، وهنا يجب جرياً على منهجنا في عدم الإطلاق والتخصص بدل التعميم أن نقول بعض غفار وأسلم وأشجع وجهيته لأن التاريخ

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٤.
(٢) سورة الأعراف: آية ٨٥.
(٣) سورة التوبة: آية ٩٨.
(٤) سورة التوبة: آية ٩٩.

يشـهد لرجالاتٍ من هذه العشـائر لعبت دوراً إيجابيـاً في صنع الحضارة الإنسـانية وكانوا من خيرة أصحاب رسول الله ﷺ أمثال أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري.

٥- القسـم الخامس وهم الذين خلطوا عملاً صالحاً وعملاً سـيئاً وقد وعد الله في سياق الآية قائلاً ﴿**عَسَى اللهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنّ اللهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ**﴾[1].

وليس هذا التقسـيم الدقيـق في وصـف الظواهر السـلبية ينطبـق بل هو منهـج قرآني في التقويـم. إن كلمـة ومن التي تسـبق كل آيـة يترتب عليها تقسـيم للنـاس تفيـد الاحتراز من الإطلاق في كل شيء، في الخير والشر وجيداً تعلمون أن أكثر القضايا والأمور نسبية، لاحظوا حتى في وصف المؤمنين يقول الله ﴿**مّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَـالٌ صَدَقُواْ مَـا عَاهَدُواْ اللهَ عَلَيْـهِ فَمِنْهُمْ مّن قَضَىَ نَحْبَـهُ وَمِنْهُمْ مّن يَنتَظِرُ وَمَـا بَدّلُواْ تَبْدِيلاً**﴾[2]. يعني بعـض المؤمنين وليس كلهم، إذاً نسـتفيد من كل هذا بأنه يجـب علينا تجنب هذه العصبيـات والأحكام الانفعالية، فإذا غشـك قصاب ما لا تتهـم كل القصابين وإذا قصر بخدمتك طبيب لا تعتدي عـلى كل الأطباء وإذا لم تقتنع برجل دين فلا تتخذ موقفاً من الدين وباقي رجالاته وإذا أسـاء إليك بعض أهل بلدٍ ما فلا تسـب كل أهل ذاك البلد، كما إنك لا يمكـن أن تبلغ بك العصبية وحب القوم والعشـيرة والحـزب إلى أن تقـول «خنزيرنـا أطهر مـن أطهر الآخريـن» إعلـم أن الخالق واحـد والأب واحـد والأم واحـدة والجـزاء بالأعـمال وأن أكرمكم عنـد الله أتقاكـم وخير النـاس من نفع الناس ولا فضـل لعربي على عجمي ولا أبيض على أسـود إلا بالتقوى وكـما يقول الإمام زين العابدين عليه السلام «خلـق الله الجنة لمن أطاعـه ولو كان عبداً حبشـياً وخلق النار لمـن عصاه ولو كان سـيداً قرشـياً» كلنا لآدم وآدم من تراب، لنذهب أخيراً إلى كربلاء ونـرى هل أن الموقف الصعب الذي عاشـه أبو الأحـرار الإمام الحسـين عليه السلام دفعـه إلى ظلم أحـدٍ في تصريح من تصريحاته أو خطابٍ مـن خطاباته أو ضربة مـن ضرباته، هل إتهم بريئاً هـل أجهز على جريح هل قتل على الظن والشـبهة كما فعل أعداؤه هل تحامل على أهل العراق؟ وقف يوم عاشوراء

(١) سورة التوبة: آية ١٠٢.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٢٣.

أمام أكثر من سبعين ألف مقاتل وقال يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم وإرجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون.

لقد حدد بهذا الكلام هوية قاتليه أما عن خاذليه فليس أهل العراق بل كل الأمة الإسلامية، لقد قصر الجميع في نصرة الحسين عليه السلام ومبادئ ثورته الحقة لأن الإمام أرواحنا فداه لم يخرج من الكعبة يوم توافد جميع حجيج البلاد الاسلامية يوم التروية إلا وأعلن للناس أنه خارج ومنتفض ضد طغيان بني أمية الذين مسخوا الدين وأذلوا المسلمين، ومن جملة بيانه الأول الذي أطلقه في مكة يوم ٨ ذي الحجة قال: «من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل مصبحاً إنشاء الله» فجاءه المعترضون والناصحون يتمنون عليه أن لا يخرج إلى العراق والكوفة التي كما يعتقدون غدرت بأبيه وأخيه من قبل، إذا لم يذهب إلى مصرعه المختار فأين سيلتقى بأصحابه السبعين الذين ليس لهم على وجه الأرض نظير أين هاني وأمثال هاني أين مسلم بن عوسجة وحبيب بن مظاهر، بل أين يلتقي الحر بن يزيد الرياحي وولد بكير وعبده الذين جسدوا الحرية للأجيال بأحلى وأجلى صورها، وقف الحر يوم العاشر وقد أخذته الرعدة لعظمة الجريمة التي يقدم عليها جيش بني أمية، فقال لابن سعد أمقاتل الرجل أنت؟ فقال إبن سعد نعم قتالاً أيسره أن تطيح الرؤوس وتتساقط الأيدي والأرجل فتراجع الحر وتظاهر بأنه يريد أن يسقي فرسه الماء فنظر إليه المهاجر بن أوس والحر يرتعد قال له ما بالك يا بن يزيد وما هذا الذي أرى منك اليوم والله لو سألوني عن أشجع فرسان الكوفة لما عدوتك، قال الحر: والله إني أخير نفسي بين الجنة والنار فوالله لا أختار على الجنة شيئاً، وضرب فرسه وتوجه صوب الحسين عليه السلام وهو ينادي اللهم إليك أُنيب فتب عليَّ فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك، ولما وصل بين يدي الحسين عليه السلام نزل من فرسه ورأسه في الأرض قال له الحسين عليه السلام من أنت إرفع رأسك قال الحر جعلني الله فداك يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا صاحبك الذي منعتك من الرجوع وما ظننت أن القوم يبلغون بك هذه المنزلة، سيدي أنا تائب إلى الله وإليك مما صنعت أفترى في

ذلك توبة؟ قال الحسين عليه السلام نعم إن تبت تاب الله عليك، قال الحر إذ أفأذن لي أن أكون أول قتيل بين يديك قال نعم إفعل فتقدم وهو يرتجز ويقول:

إنـي أنـا الحر ومـأوى الضيف

أضـرب فـي أعناقكم بالسيف

عن خير من حل بـأرض الخيف

أضربكم ولا أرى مـن أخيف

قاتل قتال الأبطال حتى قتـل وأسرع إليه مولانا يأبنه قال له يا حر أنت كما سـمتك أمك حر في الدنيا وسعيد في الآخرة

لـنـعـم الحـر حـر بـنـي رياح

صـبـور عـنـد مـشـتـبـك الرماح

ونـعـم الحـر إذ واسـى حسيناًا

وجـاد بـنـفـسـه عـنـد الصباح

فـيـا ربي اضـفـه في جنان

وزوجـه مـن الـحـور الملاح

الـحـر لـلـعـدل خـط رايـة ولا ظل

إبـحـر الـشـمـس لاكـاسـر ولا ظل

أهـلـه شـالـت لـنـعـشـه ولا ظل

الـمـاعـدهـم أهـل ظـلـوا رميّه

***

**

*

لا أرى الموت إلاّ سعادة

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. صدق الله العلي العظيم ٥٣ ـ ٥٤ البقرة

كيف يكون قتل النفس خيراً لنا؟

سؤال مُحيِّرٌ إن استطعنا أن نجيب عليه من خلال التدبر في الآيات موضوع البحث فإن ذلك سينفعنا في الإجابة على الكثير من التساؤلات التي تثار بين الفينة والأخرى حول نهضة الإمام الحسين عليه السلام المباركة البحث الأول هنا حول الكتاب والفرقان:

كتاب كُلِّ نبيٍّ رسالته فالتوراة رسالة موسى عليه السلام والإنجيل رسالة عيسى عليه السلام والقرآن الذي يفرق فيه كُلُّ أمرٍ رسالةُ نبيِّنا مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الدساتير والتشريعات تفرِّق بين الحق والباطل وتساعد الناس على أن يعيشوا حياة حُرَّة كريمة ويؤمنوا الفوز بالجنان والرضوان في الآخرة.

هذا على صعيد النظرية أما على صعيد التطبيق فإن البشرية مرَّت منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى يومنا هذا في تطورها بأدوار تشبه كثيراً أدوار حياة الإنسان، بدأت البشرية طفلاً وبعد مرحلة الطفولة مرَّت بمرحلة الشباب بعدها انتقلت إلى الكهولة وستصل قبل نهايتها لمرحلة الشيخوخة وهي مع ذلك من ناحية الوعي والثقافة في مَدٍّ وجزر، ولعل الكليم عليه السلام بعد

أن قام بواجباته على أكمل وجه نبّه الأُمّة إلى أنها لا زالت لم تبلغ مرحلة الوعي الكامل الذي يمكنها من التفريق بين الحق والباطل، والمنى كل المنى أن تصل الأمّم إلى هذا المستوى من الوعي في عهد نبيٍّ يأتي بعده اسمه أحمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي نبوّته خاتمة النبوّات وديانته خير الديانات وحضارته أشمل الحضارات وأكملها.

ما الذي جعل موسى عليه السلام يعيش هذا الهاجس، تابع الآيات التالية معي بتدبر لنصل معاً إلى نتيجة مرضية.

موسى عليه السلام بمجرد أن ترك قومه فترة أربعين ليلة وأوصى هارون بهم وطلب منهم إطاعته، خالفوه وضاعت عليهم المقاييس والسامريُّ خلط عليهم الأوراق، فعاد موسى عليه السلام وإذا بقومه يعبدون عجلاً لا ينفع ولا يضر جَسَدٌ له خوار وكلكم يعرف كيف صنعهُ السامري، أصبح القوم لا يفرقون بين الحق والباطل.

هذا وموسى عليه السلام حيٌ يُرزق ووصيُّهُ قائمٌ عليهم يَنصَحهُم والقوم كما يقول المثل الشعبي (فالج لا تعالج)، وعلى هذا قدّروا ما آلت إليه حالة الأمة بعد وفاة رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وفي نفوس البعض على عترته ما فيها!!!

البحث الثاني هو سبب دعوة موسى عليه السلام قومه إلى قتل أنفسهم؟ وكيف يصبح القتل حسب منطوق الآية إنصافاً لهم وتزكية وخيراً ممهداً للفوز بمراتب التوبة؟

إن القوم بلا أدنى شك ظلموا أنفسهم بعبادة العجل فالله جلَّ وعلا غني عن عبادتنا ولا تضرُّهُ مَعصيتنا، والخاسر دائماً وأبداً هو كل من يتوكل على غير الله، ولو حاولنا أن نحصر خسائر عبدة العجل وهكذا كل علج في التاريخ ترى:

١. تحوّلوا من العطاء الدائم إلى الحرمان الدائم، هل الصنم أكرم أم الله؟؟

٢. مزّقوا الأُمَّة وأسسوا أُسس التشرذم والفرقة إلى يوم القيامة

٣. باؤا بغضب الله وما ينتظرهم يوم الحساب

٤. عرَّضوا أنفسهم لهذا الامتحان العسير

٥. الذين نفَّذوا حكم القتل بأهلهم وذويهم كان حالهم أصعب وأشد من القتلى.

جمعهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على صعيد واحد وتقدم إثني عشر ألف ممن لم يعبدوا العجل على الذين عبدوا العجل وسالت الدماء وما انجلى الموقف حتى قتل عشرة آلاف ممن عبدوا العجل والقاتلون يقولون نحن أعظم مصيبة منهم، هم يصبرون حتى ينزل السيف على رؤوسهم أما نحن فنقتل أهلنا الذين هم أعزُّ من النفس مع أننا لم نعبد العجل!! أتدرون لماذا تعرَّضوا لهذا الإحراج لأنهم سكتوا على عَبَدَةِ العجل ولم ينكروا عليهم أو يقاطعوهم أو يهجروهم أو يحاربوهم وصحيح (الساكت عن الحق شيطانٌ أخرس).

خلاصة القول: إن الموقف الذي طالبهم به كليم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس إلاّ من قبيل تطهير النفوس وتصحيح مسار المجتمع وتوجيه القلوب والأنظار إلى الواحد القهار، فالعجول والعلوج لا يجلبون للشعوب غير القتل والدمار وخسارة الدنيا والآخرة وهذا هو فعلاً ما حصل لقوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد هذا الاستعراض السريع لمضامين الآيات موضوع البحث دعونا نسحب آثار ونتائج البحث إلى ساحة الطف الدامية ومواقف الناس المتباينة منها السؤال الذي نوَّد أن نطرحه اليوم هو من خرج على من؟ ومن هو القاتل ومن المقتول؟ ومن هو المنتصر ومن المنهزم؟ ومن خلَّدته مواقفه ومن صار سُبَّة وعاراً في جبين البشرية؟

ظنوا بأن قتل الحسين يزيدهم

لكنما قتل الحسين يزيدا

لطفاً عودوا معي بالتاريخ قليلاً من أجل هذا التشخيص، ألم يعقد معاوية صلحاً مع الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ وكان ضمن شروط الصلح انتقال الخلافة دون حرب بعد موت معاوية للإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ وإن مات الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ لأخيه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذا الخليفة الفعلي بموجب بنود الصلح وبإمضاء معاوية هو الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ واستمر معاوية في الحفاظ على شروط هذه المعاهدة بعد قتله للإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ أكثر من تسع سنوات ونقض كعادته في آخر سنوات عمره وطلب من أحد وعاظ السلاطين أخذ البيعة لولده يزيد بأوجز

عبارة وألطف إشـارة، ركب معاوية أعلى درجات المنبر وتوسط الخطيب وبيده سيفٌ مشهور وأجلس بـين يديه يزيـد بن معاويـة وصرخ هاتفـاً: أيها النـاس أمـيرُ المؤمنين هذا وأشـار إلى معاوية وإن مات فهذا وأشـار إلى يزيد ومـن أبى فهذا ولوَّح بالسـيف. وهـذا يعني بصراحة الانقـلاب ونقض العهـود والمواثيق وشـق عصى المسـلمين ودعـوة للحرب الأهليـة، حاول الإمام الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو الإمام الحـق بنص الشرع والعـرف أن يهرب مـن المواجهة ولكن صلف بني أميَّة كان متعطشـاً لثارات بدرٍ وحنين وامتشق سيف الغدر الذي ينضح حقداً على عترة سيد المرسلين وشريعة خاتم النبيين.

فجـرَّوا الموقـف في المدينـة مـن دار الـوالي ففـرَّ الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ من وطنـه وجـوار جدِّه المصطفى إلى مكة حرم الله الآمن وفي موسـم الحـج وإذا بعيون بني أمية التـي كان عندها أمرٌ بأن تقتـل ابن بنت رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى إن وجـدوه متعلقاً باسـتار الكعبة، ما عسـانا نقول لو قتل الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ في داخل البيت الحرام وفي الشـهر الحرام، أكنا نُنصف الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ وننصره على بني أمية أم ترانا نحمّله مسؤولية هتك حرمة الكعبة، يا الله متى سنفرق بين الحق والباطل. خرج الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ متوجهاً إلى العراق لا إلى الشـام مركز الخلافة الإسـلامية، يا ناس لم يتمترس بحرم جدِّه ولا بالكعبة ولم يزحف بجيش جرَّار إلى الشام وهو إلى اليوم بنظر البعض خارجٌ على إمام زمانه مالكـم كيف تحكمون!!! من هو الخليفة الحق بحسـب شروط معاوية لا شروط الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

خرج إلى العراق الذي بايعه واسـتنجد به لمسـاعدته على الخلاص، وكانت الطلائع التي حاصرته قوات الحر بـن يزيد الرياحـي التي تعدّ بألف فـارس وقد نقل المؤرخـون لنا صورة اللقاء.

ألف فارس مـشرف على الهلاك من شـدة العطش كان بوسـع الإمام الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يحقق بقتلهم ضربة اسـتباقية مؤثرة تفت عضد ابن زياد ومن ولاّه لكن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يتحاشى المواجهة!!

أولاً لأنه ابن المبعوث رحمة للعالمين.

وثانياً لأنه لا يعتبرهم أخصاماً له. وهل في الكون شبه للحسين عليه السلام لانِدٌ

وثالثاً لأنه صاحب مشروع حضاري يمثل المبادئ والقيم.

بدل الإجهاز عليهم سقاهم الماء ورشَّف الخيل ترشيفا، هذا هو منهج الأحرار الأُباة وسلالة الأنبياء والأصفياء.

وبدأت المفاوضات وتعددت الإقتراحات، دعونا نعود من حيث أتينا، نبتعد عن دولتكم ونسيح في بلاد الله الواسعة، ورفض الحر كل الحلول وفرض على الحسين عليه السلام أن يأخذ طريقا لا يدخله إلى الكوفة ولا يعود به إلى الحجاز، فكانت النتيجة كربلاء التي حاصروه فيها حتى إكتملت جيوشهم الزاحفة لقتاله.

سبعون ألف يزيد يواجهون سبعين حُسينياً وعشرات النساء والأطفال الذين أرهقهم الجوع والعطش، أعاد الإمام الحسين عليه السلام التفاوض معهم ووعظهم وحاججهم دن فائدة فقرائتهم للموقف أرتهم أنهم منتصرون رغم شعورهم الداخلي بالهزيمة، قليلون هم الذين يفرقون بين الحق والباطل تقدم الحرُّ لابن سعد قائلاً: أمقاتلٌ أنت هذا الرجل؟ فأجابه نعم قتالاً أيسره أن تطيح الأيدي وتتساقط الرؤوس!! فقال له أمالك فيما عرضه علينا قبول؟ قال لو كان الأمر لي لقبلت ولكن يزيد وابن زياد لا يقبلون بأقل من قتل الحسين عليه السلام وسبي عياله!!!

أخذت الحرُّ الرعدة وحين سألوه عن ذلك قال إني أُخيرٍّ نفسي بين الجنة والنار واختار الحرُّ الجنة وتقدم وهو يرتجز ويقول:

إني أنا الحرُّ ومأوى الضيف

أضربُ في أعناقكم بالسَيْفِ

عن خير من حل بأرض الخيف

أضربكم ولا أرى من حيف

قاتل قتال الأبطال حتى سقط شـهيداً ينادي سيدي يا حسـين عليك مني السلام، أسرع إليه وضع رأسه في حجره الشريف وهو يقول له أنت كما سمتك أمك حر في الدنيا وسعيد في الآخرة ولسان حال الموتى:

مـا ظـل أحـد منكـم يفرسـان الحميـة
يدافـع عنـي خيامـي ويبـاري الفاطميـة

***

رحتـوا ودخلـت منكـم خيمكم يـا رجاجيل
بـس الحـرم وأطفالهـا وإتكابـد الويـل
وآنـه وحيـد وحايطتنـي الزلـم والخيـل
عـدوان كلهـا وبالضغايـن ممتليـة

ليلة العباس

خطورة دور المرأة الاجتماعي

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَـاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَـوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾[1].

ما تحدث النـاس في أمر من الأمـور أكثر مـن حديثهم عن المـرأة وحقوقهـا ولقد كانت وما تزال تشـعر بأن نظرة الرجـل إليها نظرة دونية تمـسَّ كرامتها وتنتقص مـن قيمتها وتحجّم أدوارهـا بل تلغي دورهـا بالكامـل أحياناً أُخـرى، مع ان المـرأة في المجتمع الإسـلامي الذي يعتمد قوانين الشرع المقدس تمارس كامل حقوقها وتحيا حياة الملكة في مملكتها.

آلاف الجمعيات والشـخصيات التي تطالـب بحقوق المرأة علـماً بأن الأغلبية السـاحقة منهم إنما تدعوا إلى تحرر المرأة وتحويلها إلى جسـد يباع ويشـترى وبمعنى أصـح «**رقيق القرن العشـرين**» والآية الكريمـة وما قبلهـا وبعدها خطـاب موجّه إلى نسـاء النبي الـلاتي يجب أن يكن مثالاً يحتذى وقدوة لنسـاء العالمين، ولكـي تكون قدوة فان عليـك أن تضاعف جهودك وتراقب تصرفاتـك لأنك محط أنظـار الجميع يرصدون عليـك الزلات ويتسـقطون العثرات فالفرق واضح ومعلوم بين إنسـان مغمور لا يكترث به أحد وإنسـان معروف يحسـب الناس له ألف حساب.

وهنا في المقطـع الأول مـن الآية يؤكد لنسـاء النبـي صلى الله عليه وآله وسلم بعد سـيدة نسـاء العالمين وأم المؤمنين الأولى خديجـة الكبرى عليها السلام التي ماتـت في مكة ودفنت في الحجـون بعد أن كانت أول من آمـن برسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم وبذلـت حياتها وأموالهـا في نُصرة ديـن اللّـه وطاعـة وحباً لرسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد الحقيقة الآتية وهي أنكن لسـتن كباقي النسـاء. وكـم أتمنى أن تعي

---

(١) سورة الأحزاب:٣٢.

المرأة المسلمة هذه القضية لتحفظ كرامتها وشرفها ودينها.

أنت يا أختي ويا بنتي المؤمنة لست كالنماذج التي تعرض على الفضائيات، لست كالأوروبيات أو الأمريكيات أو الراقصات أو ملكات الجمال أو عارضات الأزياء والصرعات أو حتي بعض الممثلات والمطربات والمذيعات كنت أُتابع الأخبار السياسية على إحدى الفضائيات وإذا بمذيعة تقابل شخصية دينية سياسية وقد أبرزت مساحة لا بأس بها من جسدها البظ وبدأت الحديث بأنوثة تحيي الموتى فتسائلت مع نفسي هل هذا الوضع من لوازم الحوار السياسي.

الآية تشير إلى ضرورة الإلتزام بالقواعد التالية:

١. لا يجوز للمرأة أن تحدث الرجل بطريقة فيها إثارة عبّر عنها القرآن الكريم ﴿**فلا تخضعن بالقول**﴾(١) يعني الكلام بغنج أو تذبيل الجفون أو تحريك الحواجب أو توزيع الابتسامات التي تغري الرجل الذي يملأ قلبه مرض الفجور بل ﴿**قلن قولاً معروفاً**﴾(٢)

٢. الآية التي تليها تأمر المرأة عموماً ونساء النبي خصوصاً أن يكون البيت مملكتها وأن لا تخرج إلا عند الضرورة لا كما خرجت صفراء بنت شعيب عليه السلام بعد وفاة زوجها نبي اللّه موسى عليه السلام لحرب وصيّة يوشع بن نون الذي حاربها وقتل جميع جيشها وأسرها وأحسن أسرها. ولقد كان هذا تبرج الجاهلية الأولى، كما خرجت على وصي رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم علي عليه السلام إحدى أُمّهات المسلمين. ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾(٣)

٣. يجب على المرأة أن تكون سنداً لزوجها وعوناً على الزمان وأيامه العصيبة وكما أورد الفيض الكا شاني في تفسير الصافي عن أسباب نزول هذه الآيات يقول عاد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم من

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٢
(٢) سورة الأحزاب: ٣٢
(٣) سورة الأحزاب: ٣٣

غزوة خيبر منتصراً مستبشراً وقد أصاب كنزاً لآل أبي الحقيق فلما دخل داره قلن أزواجه أعطنا مما أصبت يا رسول اللّه ﷺ فقال لهن لقد قسمته بين المسلمين على أمر اللّه فغضب بعضهن من ذلك وقلن لعلك ترى إن طلقتنا لا نجد الأكفاء من قومنا يتزوجونا.

وهذا كلام المتذمر من شضف العيش في بيت رسول اللّه ﷺ فأنف اللّه لرسوله فأمره باعتزالهن ٢٩ يوماً ثم أنزل عليه آية التخيير التي خلاصتها يا نساء النبي من كانت تريد اللّه ورسوله فلتصبر وأجرها مضاعف ومن كانت تبحث عن رفاهية زائلة فكما يقول المثل الشعبي (الباب يفوِّت جمل) وعقاب العاصي ضعفين، الجزاء ضعفين والعقاب ضعفين أما آخر مانود أن نلفت الأنظار إليه فهو إن الشرطية التي توسطت الآية والتي نرى انها تؤكد كل الاحتمالات، وهذا يعني إن التي جعلها اللّه بكرمة ولطفه زوجة للنبي ستنال كل الأوسمة والإمتيازات إن التزمت بأوامر اللّه ورسوله وانتهت عن نواهيه وإلاّ فلا ولا كرامة.

وقد حدثنا اللّه عن شهود لكلا النموذجين فزوجة نوح ولوط وهنا زوجة الكليم موسى عليه السلام وهي إبنةُ نبيٍّ وزوجة نبيّ نموذجٌ للعصيان، وآسية بنت مزاحم وإن كانت تحت فرعون وخديجة بنت خويلد نموذجٌ للطاعة والتفاني الذي يستحقون عليه كل الإكرام.

وكذلك فاننا لا نتوانى عن لعن زوجات الأئمة اللاتي شاركن في دسّ السمّ وقتل الإمام، في الوقت الذي نذكر فيه بالتقدير والإكبار كلَّ امرأة دخلت بيوت الرسالة وقدّمت أغلى التضحيات التي تستحق من اللّه الثواب الجزيل ومن الأجيال الانحناء إجلالاً وإحتراماً للجهود التي بذلوها من إجل إعلاء كلمة الحق ونصرة الإسلام.

ولنقف اليوم إجلالاً وإحتراماً لأم البنين الطاهرة فاطمة بنت حزام الكلابية أم العباس وعبد اللّه وعثمان وجعفر عليهم السلام أجمعين تلك المرأة العظيمة التي مهما نحدِّث عنها لا نوّفيها قطرة واحدة من بحر حقها، المؤرخون الثقاة ذكروا ان أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة سيدة نساء العالمين عليها السلام تزوّج عدّة نساء كانت أم البنين خيرهن، وكان أن ذهب لأخيه عقيل بن أبي طالب وكان عالماً بأنساب العرب وتواريخهم وقال له أرجو أن تخطب إمرأة قد ولدتها

الفحول من رجالات العرب، فقال له عقيل وماذا تبتغي من وراء ذلك؟ فقال له عليٌّ عليه السلام لأُصيب منها غلاماً ينصر ولدي الحسين عليه السلام في كربلاء وهذا يعني إن الإمام على علم بما سيجري وإنه يعّد العُدَّة لذلك اليوم، عهدٌ معهود ويوم موعود. فقال له: أين أنت عن فاطمة بنت حزام الكلابية فانها من قوم إشتهروا بالشجاعة والفروسية، فقال له فافعل يا عقيل فذهب لخطبتها وإذا بها تحكي لأمها حلماً قد رأته في منامها تلك الليلة، قالت: أماه لقد رأيت كأن قمراً وثلاثة نجوم باهرة الضوء سقطت في حجري!! فقالت لها أمها أبشري بخير لعلّ كريم قوم يتزوجّك فتلدين له أربعة أولاد كبيرهم كالبدر المنير في ليلة كماله وتمامه، وما إن طرق الباب عقيل وهو ينادي يا حزام لقد جئتك بعز الدنيا والاخرة، فقال ما وراءك يا عقيل؟ قال جئتك خاطباً ابنتك لأخي علياً: فقال لقد صدقت الحُرَّة في منامها. وزفت إلى دار الإمام عليه السلام وفي ليلة عرسها طلبت ما تطلب كل عروس من زوجها ليلة عرسها، ما هو طلبها هل تتوقعوه؟ قالت يا أمير المؤمنين أرجوك أن لا تناديني باسمي بل كنيّني حرصاً على مشاعر أبناء الزهراء عليها السلام فقال لها أنت من هذه الليلة أمُّ البنين وأنجبت له أربعة ليوث أعدّتهم لنصرة الحسين عليه السلام يتقدمهم قمر بني هاشم أبو الفضل العباس عليه السلام مدرسة التضحية والإيثار ولقد كان مولده في الرابع من شعبان عام ٢٥ أو ٢٧ هجرية حيث إستقبله أبوه وقبَّل يداه التي قرأ فيهما قصة إيثاره التي لم يحدِّث التاريخ بمثلها، ولقد قدم إخوته من أُمِّه قبله للجهاد لكي يضمن نصرتهم ثم وقف يوم عاشوراء بين يدي الحسين عليه السلام وهو يسمع صرخات العطاشى في الخيام وهم ينادون العطش العطش، فقال سيدي لقد ضاق صدري وسئمت الحياة الدنيا إإذن لي بمبارزة هؤلاء القوم، فاعتنقه الحسين عليه السلام وبكى وهو يقول أخي أنت حامل لوائي والعلامة وقائد عسكري. أخي إن كان ولا بد فاطلب لهؤلاء العطاشى قليلاً من الماء وهذا يعني؟ إن العباس عليه السلام لم يحصل على إذن للقتال بل كانت الرخصة فقط لجلب الماء الذي افتقد في الخيام من اليوم السابع. توجه روحي فداه إلى خيمة الحوراء يوّدعها ويطلب منها السقاء ليجلب الماء ولسان حاله يقول:

يـزيـنـب زهـبّـي سـيـفـي وجودي
وعـلـيّـه اسـخـي بالمدمع وجودي
لوجود حسين أرد أفـدي وجودي
وأفــوز بـنـصـر ديــن الـلّــه ونبيّه

بسـم اللَّـه الرحمـن الرحيم: ﴿فَلَمَّـا فَصَـلَ طَالُـوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّـهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّـهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَـرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَـرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَـةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُـودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّـهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّـهِ وَاللَّـهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(١)

بعد أن قبض اللَّـه روح موسـى ووصيّه ووزيره عاد بنـو إسرائيل للمعاصي وغيروا دين اللَّـه وعتوا عن أمـر ربهم وكان فيهم نبي إسـمه آرميـا عليه السلام يأمرهـم فلا يطيعـون وينهاهم فلا ينتهون يعني (رجعت حليمة لعادتها القديمة) فسلَّط اللَّـه عليهم الأقباط بزعامة جالوت فأذلهم قتل الرجال وفضح النسـاء مما دفعهم إلى الهجرة فلجأوا إلى آرميا عليه السلام وقالوا له سل ربك يبعث لنا ملـكاً نقاتل في سـبيل اللَّـه تحـت رايته. فقال لهم أخشـى أن لا تقاتلـوا فقالوا وكيف لا نقاتـل وقد أخرجنا مـن ديارنا وانتهكـت كل الحرمات فاسـتجاب ودعا لهـم اللَّـه فأرسـل لهم (طالوت) من ذرية الصديق يوسـف عليه السلام وزاده اللَّـه بسـطة في العلم والجسم إلا إنه كان فقيراً فعابـوا فقره. فقال لهم النبـي إن آية ملكه التابوت الذي فيه مواريث موسـى وهارون والسـكينة التي هـي ريح من الجنـة ودرع موسـى عليه السلام أخبرهم بأن قتـل جالوت سـيكون على يد من يكون درع موسى عليه السلام بقياسـه، وكان داود عليه السلام مع أبيه وستة أخوة

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

في جيش طالوت. فأرسلوا إلى (أيشي) والد داود عليه السلام ودفعوا إليه الدرع ليلبسه الولد الذي يكون الدرع بقياسه. وكان أن لبسه داود عليه السلام ودفعوا إليه الدرع وكأنه قد تفصل عليه وفي طريقه نادته أحجار ثلاثة أن يا داود عليه السلام خذنا معك في مخلاتك وإقتل بنا جالوت وجنده وفعل داود عليه السلام وانتصروا على الأقباط العمالقة وقتل داود جالوت فزوَّجه طالوت من إبنته وصار ملكاً عليهم وعلَّمه اللّه صنع الدروع إذ ألآن له الحديد نعود إلى موضوع الآية الكريمة لما خرج طالوت بالجنود الشباب الذين يملكون القوة والنشاط وليس على كواهلهم مسؤوليات تعرقل حركته الجهادية وكانوا (٦٠٠٠٠) على قول أو (٨٠٠٠٠) وبعدوا عن الديار وكان الحر شديداً فعطشوا ودعوا اللّه أن يهيأ لهم ما يشربون وإذا بهم يمرون بنهرٍ، وهنا كما يقال تسكب العبرات وعند الأمتحان يكرم المرء أو يهان وقف طالوت وأصدر الأمر بعدم شرب الماء وقال لهم من يشرب يصبح في قائمة غير المؤمنين ومن لم يشرب فهو من جنودي المخلصين، والمقدار المسموح به والذي ينفعكم جسدياً وروحياً دنيوياً وأخروياً هو غرفة واحدة لا غير، وإنطلق الجنود إلَّا ثلاثمائة وثلاثة عشر منهم والذين إمتثلوا ونفذوا الأمر العسكري وكانوا هم الفائزين إنكب الباقي على النهر إنكبابنا على نهر الدنيا وظلوا يكرعون الماء حتى ثقلوا وترتب على ذلك ما يلي:

١. شكلوا حالة عدم إمتثال لأمر الحاكم بأمر اللّه والذي يعرف بصالحهم أكثر من أنفسهم.
٢. خسروا اللياقة البدنية التي يحتاجها المقاتل.
٣. فقدوا الروح المعنوية التي تعتبر من أهم عناصر القوة في الإنسان.
٤. إنشطر الجيش إلى أكثرية عاصية متمردة على أمر القائد وأقلية مطيعة مؤمنة وموطنة للنفس على لقاء اللّه.

زبدة المخاض، لو طبقنا هذه على حياتنا التي نعيش وإعتبرنا الدنيا ذلك النهر المغري وجالوت الشيطان الذي يجب قتله وأمر الأنبياء والأئمة والعلماء أمر طالوت ما عسانا نفعل أنكون من الأكثرية العاصية أو الأقلية المطيعة ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾، أنقوّي الجسد

ونضعف الروح أم نقوي الروح والجسد (**إعمال لدنياك كأنك تعيش أبدا وإعمل لآخرتك كأنك تموت غداً**)

بعد هذا الإختيار الصعب حانت ساعة الصفر وتلاقيا للقتال وإذا بالذين عبُّوا الماء عبَّاً يتراجعون ويقولون لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، وأما الذين لم يشربوا وكانوا على أتم الاستعداد للقتال وللقاء اللّه فقالوا وبعزم الأبطال المؤمنين ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّه**﴾ لأن اللّه دائماً وأبداً مع الصابرين الموقنين بلقاء اللّه ولقاء أوليائه في دار الخلود والنعيم، يقول أمير المؤمنين عليه السلام (**رُبَّ أكلة منعت أكلات**) وكذلك يقال رب مادة أفسدت الروح وهذا أخطر ما نعانيه اليوم تهالكنا على الدنيا كالمنهوم وكما يقول علي عليه السلام (**إن كثرة المال مفسدة للدين مقساة للقلب**) والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول «**من كثر طعمه سقم بدنه وقسى قلبه**» .

أنظرتم إلى ما حل بجنود طالوت الذين تهافتوا على الماء وعصوا طالوت، فهنيئاً لمن يجعل همَّهُ الآخرة ويمر بالدنيا مرور الكرام ولا يتخذها سوى مزرعة للاخرة، لأن الدنيا دار ممرَّ والآخرة هي المستقر، ولقد مرَّ آل بيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في كربلاء بموقف مشابه حين أضرَّ العطش عيال الحسين وضج الأطفال والنساء بالصراخ والعويل وإذا خيام الحسين عليه السلام يتعالى منها نداء العطش...العطش يا عمّاه يا أبا الفضل العطش.. العطش. هاجت الحميّة بأبي الفضل أخذ السقاء وزمَّ اللواء واستأذن المولى وتوجَّه نحو الفرات:

ثم إنثنى نحو الفرات ودونه ... حلبات عادية يَصِلُّ لجامها

فكأنَّهُ صَقرٌ بأعلى جوِّها ... جلَّ فحلَّق ما هناك حمامها

حتى إذا ملك الشريعة وإتكأ ... من فوق قائم سيفه قمقامها

إشلون أشرب لذيذ الماي حاشه ... وأهلي گَضوا كلهم عطاشه

ملأ القربة فأحس ببرد الماء فاغترف غرفة واحدة ليشرب تذكر عهده لأبيه علي «ع»

وتذكر وهو لم يكن ناسياً عطش الأطفال والعيال في الخيام ألقى الماء من يده وحمل القربة وخرج وهو يخاطب نفسه قائلاً:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أو تكوني

هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين

تالله ما هذي فعال ديني ولا فعال صادق اليقين

هيهات أشربچ يا أمية ويعطش چبد خير البرية

يا نفس عباس الأبيّة التحفظ عهد حامي الحمية

بالخيم لوعة فاطمية متنطرة مني الجيَّه

إبشربة لگلب سكنه ورقية وزينب ثمر گلب الزچية

والفارس الحيدر أبيّه ما يشرب ويعطش أخيَّه

ويستحلي دون أهله المنية

الغضب لله

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَـنْ نَقْـدِرَ عَلَيْهِ فَنَـادَى فِـي الظُّلُمَـاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُـبْحَانَكَ إِنِّي كُنْـتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْـتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾(1)

الغضب حالة نفسـية تعتري الانسـان فتخرجه عن طوره وهو نقيـض الرضا وهو شيء يداخل القلوب، ويقال للرجل سريع الإنفعال غضوب ويقال للحية الخبيثة الغضوب، ويقال لمرض الجـدري الغضاب وتسـمى الصخرة الرقيقـة الغضبة ويقـال للمائة مـن الابل غضبى، وغضاب مكان بمكة والمغضوب عليهم في القرآن اليهود ويقـال لمن يقاطعه الناس مغضوب عليه وينقسم الغضب إلى قسمين: ممدوح و مذموم.

وسـنورد جملة من الأحاديث الواردة في القسـمين كمقدمة للخوض في مضامين الآيات التي تحدثنا عن نبـي غضوب ولكن للّـه وحرصـاً على هداية الناس لا تبرمـاً او عدم رضا كما يحاول البعض إيهامنا به.

قال رسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم «**الغضب جمرة من الشـيطان تتوقد في قلب ابن آدم وإن أحدكم إذا غضـب إحمـرَّت عينـاه وانتفخت أوداجـه ودخل الشـيطان فيـه**» وعن عـلي عليه السلام «**أول الغضب جنون وآخره ندم**» «**مـن أطلق غضبه تعجل حتفه**» «**إحذر الغضـب فإنه نار محرقة**» .

وعن الصادق عليه السلام «**الغضب مفتاح كل شـر**» وإنظروا ما يتمنى زين العابدين عليه السلام حيث يقول: «**وددت أني إفتديت خصلتين في شـيعتنا ببعض لحم سـاعدي، النـزق وقلة الكتمان**»

---

(1) سورة الأنبياء: ٨٧ـ٨٨.

الغضب وافشاء السر وخاتمة الحديث قول رسول اللّـه ﷺ «**الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل**» .

هذا بالنسبة للغضب المذموم، واما الغضب الممدوح فهو ما ندبنا إليه الشارع وهو ما كان للّـه ولقد كان رسول اللّـه ﷺ لا يغضب للدنيا فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد، يعني من شدة التغير، يقول علي عليه السلام «**من شنيء الفاسقين وغضب للّـه غضب اللّـه له وأرضاه يوم القيامة**» وذات مرة سأل موسى عليه السلام ربه عن الذين يظلهم اللّـه في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله أوحى اللّـه إليه «**الطاهرة قلوبهم البرية أيديهم الذين يذكرون جلالي ذكر آبائهم والذين يغضبون لمحارمي إذا إستحلت مثل النمر إذا جرح**» .

وهكذا هم أولياء اللّـه يغضبون للّـه لا لأنفسهم أو لعصبياتٍ جاهلية لنمضي الآن بعد هذه المقدمة لنرى موقف نبي اللّـه يونس عليه السلام من أهل نينوى الذين دعاهم إلى الإيمان باللّـه ثلاثة عقود من الزمن فلم يجيبوه ولم يؤمن به إلا روميل العالم الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه وتنوخا أو مليخا العابد الذي لا يملك هذه الملكة.

لو رجعنا قليلاً إلى الوراء وتأملنا صبر نوح على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً مع الضرب المبرح له ثم تقدمنا مع الزمن إلى صاحب الخلق العظيم سيد ولد آدم مُحمَّد ﷺ وتفكرنا في صبر سبطه الإمام الحسين عليه السلام على المتوجهين لقتله يوم عاشوراء لاضطربنا وطاشت سهامنا عندما نقف أمام يونس عليه السلام، إلَّا إذا قدمَّنا بالإعتقاد جزماً بأن غضب هذا النبي الشاب كان للّـه ولصالح عباده لا غضباً عليهم، ولو افترضنا ان يونس عليه السلام لم يكترث بالقوم وتركهم وذهب إلى غيرهم لقال قائلنا إن هذا النبي غير حريص على هداية الناس بل إن كل الذي يهمه أن يضمن لنفسه راحة الدنيا والآخرة.

إذاً فحرصُ يونس عليه السلام الأكثر من اللازم على هداية قومه هو الذي جعله يغضب ويلتمس من اللّـه أن يعجل عليهم بالعذاب لكي يهرعوا إلى اللّـه ألا تلاحظون ان كثيراً من الناس لا يعرف اللّـه إلا عند الإبتلاء والإمتحان، اللّـه جل وعلا يريد من العبد أن يتوجه إليه

بمحض الحب والإرادة لا إضطراراً عند الإبتلاء والمحنة، ويونس عليه السلام مرسل لهداية الناس بأمر اللّـه ويتمنى أن تنجح مهمته ويرى كل الناس وبأسرع وقت وأقل الخسائر يعبدون اللّـه ولا يشركون به شيئاً، فما الخطأ في الموضوع واين المشكلة؟؟؟

والـذي حصل يؤكد هـذا الأمر. دعـى يونـس عليه السلام ربه أن ينـزل العذاب عـلى نينوى وأهلها وخرج هـو والعابد مليخا وبقـي روميل في نينـوى فتوجه إلى الناس قائـلاً لقد كذبتم نبي اللّــه ولم تؤمنوا به وقـد دعى عليكم ربـه واللّـه يؤيـد أنبيائه ودعواتهم مسـتجابة ولا بد أن عذاب اللّـه نازل عليكم فـما أنتم صانعون؟ من كلام روميل أحـس الناس بخطورة الأمر فقالوا له أنت دلنا على الحـل، فقال لهم إن موعد نـزول العذاب فجر الاربعاء منتصف شـهر شوال وأنا مشفق عليكم فاذا طلع الفجر يوم الأربعاء إعزلوا الأطفال عن الأُمهات في أسفل الجبل وإصعدوا أنتم سفح الجبل فعجوّا الكبير والصغير منكم بالصراخ والبكاء والتضرع إلى اللّـه والتوبة إليه والاستغفار وقولوا ربنا ظلمنا وكذّبنا نبيك وتبنا إليك من ذنوبنا وإن لا تغفر لنا وترحمنا لنكونن مـن الخاسرين المعذبين فاقبل توبتنا وإرحمنا ياأرحـم الراحمين، وهكذا كان فلما بزغت الشـمس أقبلت ريـحٌ صفراء مظلمة مسرعة لهـا صرير وحفيف فلـما رأوها عجوا جميعـاً بالـصراخ والـتضرع إلى اللّــه وتابـوا واسـتغفروه وصرخت الأطفـال تطلـب أمهاتها وعجَّت سخال البهائم هذا وروبيل يدعو لهم في الوقت الذي كان تنوخا يدعو عليهم، واللّـه الذي سـبقت رحمته غضبه وهو أرحم الراحمين أنزل رحمته وأمر إسرافيل بصرف العذاب عن نينوى وأهلهـا الذين تابوا وآمنوا إلى قمـم الجبال التي تحيط الموصل، وأمـا النبي الذي أصبح بأمس الحاجة إلى خلـوة لتفريـغ شـحنات غضبـه بالعبـادة ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ فكان أن إبتلعه الحوت إسـبوعاً ويونس عليه السلام عمله الوحيد هو التسـبيح للّـه وسـط ظلمات ثلاث، وقد أورد الصدوق في العلل عن الإمام الصادق عليه السلام إنه سئل لأي علةٍ صرف اللّـه العذاب عن قوم يونس عليه السلام وقد أظلهم ولم يفعل كذلك بغيرهم من الأمم قال:ـ لأنه كان في علم اللّـه أنه سـيصرف عنهم لتوبتهم وإنما تـرك إخبار يونس عليه السلام بذلـك لأنه عزوجل

أراد أن يفرّغه لعبادته في بطن الحوت فيستوجب بذلك ثواب اللّـه وكرامته، الخلاصة غضب يونـس عليه السلام لم يكن إلا للّــه وبقـاءه في بطن الحـوت لم يكن عقوبة لـه بل إصطفـاء وكرامة وتفرَّغ للعبادة وهذا بنفسـه ما كان يـراه راهب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم باب الحوائج الإمام موسـى بن جعفـر الكاظم عليه السلام عندمـا كان في زنزانتـه أو طامورة السـندي عليه السلام التـي لا يعرف فيها الليل من النهار، السـجن بنظرنا القاصر عقوبـة وأذى وإمامنا الكاظم يـراه نعمة وفضل من اللّـه يسـتحق الشـكر فأين نظرنا للأمور من نظر الأنبياء والأئمة «**إلهي لقد كنت سـألتك أن تفرغنـي لعبادتك وها أنت قـد فعلت فلـك الحمد ولك الشـكر**» ولعل ظلمـة الطامورة على الإمام عليه السلام فـرعٌ من ظلمات البحر والحـوت على يونس عليه السلام، عجيب هـذا المجلس فلقد وقف بنا على ابـواب الحوائـج إلى اللّـه ثلاث مـرات الاولى عنـد يونـس عليه السلام والثانية عند الكاظم عليه السلام والثالثة عند العباس عليه السلام فاطلبوا حاجاتكم تجابوا

ولا يختلف الحـال هنا عن يوم عاشـوراء حيـث تحليـلات المحللين وتنظـيرات المنظرين التي لا تتصور الأمور على ما يراه الإمام بل على ما يرونه هـم بما فيهم من حب الدنيا أما نحن فبمحض الولاء ننظر إلى أرض الشهادة وما جرى فيها ولا زالت أسماع قلوبنا تسمع أصوات الاسـتنصار والإسـتغاثة التي تتعالى من الخيام حيث فقد فيها الماء والطعـام، تصوّروا الموقف نساء وأطفال يسـتغيثون ويصرخون يا عم يا أبا الفضل العطش العطش، هزَّ الموقف صاحب الغيرة راعـي الحمية توجـه إلى أخيه الحسـين عليه السلام قائلاً أخـي لقد ضاق صدري وسـئمت الحياة الدنيا فـأذن لي بالقتال، إعتنقه الحسـين عليه السلام وصار يبكي ويقول لـه أخي عباس أنت حامل لوائي وقائد عسـكري، يا أبا الفضل إذا قتلت تفرق عسكري وقلَّت حيلتي وشمت بي الأعداء.

أخـي عبـاس إن كان ولا بد فخـذ السـقاء واطلب لهـؤلاء الاطفـال والعيـال شربة ماء ألا تسمع أصواتهم المنادية العطش العطش وكأني بأخته الحوراء وقد أخرجت السقاء من شق الخيمة لتناوله إلى أخيها ولسان حالها ينادي:

عـبـــاس يا ليث العرينة حـيــاك يا حامي الضعينة
خـويـه الـعـطـش أثّـــر علينه وراحـــت أهـلـنـه مـــن إيدينه
والـطـفـل لـيـك يـديـر عينه إمـــن الـعـطـش چنـه جـان حينه
إمـــن ثـلـث لـيـالي فاطمينه وهـسـا يخـويـه اشـتـد ونينه
وحـسـين أخـويـه امحاصرينه وعـــن الـشـريـعـة مـا نعينه
عـــدوان تـطـلـب ثـار بينه وغـــيرك فـلا واحـــد يعينه

***

لمـن سـمـع صـوت إختـه عباس هـاجـت حميـتـه وثـــوَّر الباس
صــاح آنـه أبـو فـاضـل الفرّاس إنطيني الـرمـح والـسـيـف والطاس
والله لأخــلي الجـثـث أكداس وأدعـيـهـا تـسـحـك نـاس عالناس
ولـلـعـلـقـمي أدخـــل بنوماس وإنــتـم عـلـيـكم ألـــف لاباس
والمـــاي أخـوضـه بـغـير حراس لاچـــن يـزيـنـب إگـطـعـي الياس
لــو صـوبـوا عـيـناي والراس وگـطـعـوا چفـوفي گـوم الارجاس
صــاحـــت واضـيـعـتـنـا بـعـدك أبـــا الفضل

***

عـبـاس يا حامي الضعينة والحرم بـحـماك قـد نـامـت سكينة في الخيم
نـاديـت لمـا غـاب بـدرُسـنـا الكرم الـيـوم نـامـت أعـيـنٌ بـك لم تنم
وتسهَّدت أُخرى فعزَّ منامُها

***

الشفاعة

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّـهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾(1)

رحاب الآية الكريمة أوسع من أن تحصر وآفاق التأمل والتدبر فيها واسعة ولوحاولنا سبر أغوارها للزمنا أكثر من مجلس، ولكننا هنا نبدأ من حيث اللغة. يقال شفع يشفع فهو شافع وللمبالغة يقال شفيع، وشفع شفاعة أي توسط وساطة، ضم صوته وجاهه إلى صوتك وجاهك والشفيع الذي هو ضد الوتر.

والشفع ركعتان في منتصف الليل بالحمد والفلق والحمد والناس بتسليم دون قنوت، والوتر ركعة واحدة تليها بالحمد والإخلاص ثلاث مرات ثم القنوت والإستغفار سبعين مرة والعفو ثلاثمائة مرة وطلب الغفران من اللّـه لأربعين مؤمن ومؤمنة وفي السجود الثاني يقول سبع مرات هذا مقام العائذ والمستجير بك من النار. وللجار على الجار حق يراعيه الشرع والقانون الوضعي وهو حق الشفعة أي إذا أراد جارك أن يبيع أرضاً أو عقاراً فانت أحق من غيرك في شراءه مع المراعاة، لا مع الإستغلال والتعسف. ولقد دار جدال شديد بين المذاهب الإسلامية حول الشفاعة التي للأنبياء والأوصياء، فذهب فريق إلى إنكارها إعتماداً على ظاهر معاني بعض الآيات من قبيل قوله تعالى **﴿من ذا الذي يشفع عنده﴾** وهؤلاء لا يستقيم لهم الأمر إلا بتجاوز بقية الآية **﴿إلا بأذنه﴾** لأن اللّـه جل وعلاوعدنا بأنه سيأذن لعباده الذين إرتضى بالشفاعه يوم القيامة، وكثيرون هم الذين يعتمدون في أحكامهم أو عقائدهم أو الحكم على

---

(1) سورة النساء: ٨٥.

الآخرين على شطر آية دون الآخر، فاذا قال أحدنا لا إله قالوا كفر الرجل ولا ينتظرونه يكمل قوله بإلا اللّٰه وبالمقابل فان الغالبية العظمى من المؤمنين تعتقد أشد الأعتقاد بحاجتها الماسة يوم القيامة إلى شفاعة محمد وآل محمد ﷺ بل وإعتماداً على الفهم غير المنقوص لكلام اللّٰه والصحيح من الأحاديث المروية فإننا نعتقد بأن المؤمن ليشفع يوم القيامة لملأ من الخلق بعدد ربيعة ومضر كما في بعض النصوص.

وإستشفعت من سراة الحي ذا ثقةٍ

فقد عصاها أبوها والذي شفعا

١. ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[١]

٢. ﴿وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[٢]

٣. ﴿يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ﴾[٣]

٤. ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[٤]

٥. ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[٥]

وعلى هذا فمن باب أولى أن نعتقد بأن اللّٰه سيشفّع أنبياءه ورسله وأصفياءه وعباده المخلصين الذين إرتضى في عبيده المقصّرين والمذنبين. إرجعوا إلى أدبيات المسلمين في كل العصور ستجدون لفظ الشفاعة والتوسل بالشفيع من أكثر المفردات اللغوية إستخداما مما يؤكد صحة إعتقاد المؤمنين بالشفاعة وسيد الشفعاء مُحمَّد ﷺ

لابد أن ترد القيامة فاطم

وقميصها بدم الحسين ملطخ

(١) سورة البقرة:٤٨

(٢) سورة البقرة: ١٢٣

(٣) سورة البقرة: ٢٥٤

(٤) سورة المدثر: ٤٨.

(٥) سورة الأنبياء: ٢٨

ويــــل لــمــن شــفــعــاؤه خصماؤه

والــصــور فــي يــوم الـقـيـامـة ينفخ

حتى أن أي عـالم أو خطيب أو أديب يحـدث الناس نراه يبـدأ ديباجته بحمـد اللّـه والثناء عليه ثم يثنى بالصلاة على أشرف الأنبياء والمرسـلين فيقول في وصفه حبيب إله العالمين وشفيع المذنبين في يوم الدين أبي القاسـم محمـد ﷺ بعد هذه المقدمـة المتواضعة لنـرى ما هو المقصود بالشـفاعة في الآيـة الكريمة موضـوع البحث. فالشـفاعة هنـا تنقسـم إلى نوعين من الشـفاعة، شفاعة حسنة وشـفاعة سـيئة وفي كلتا الحالتين فإن المقيت الذي يمد الفريقين هو اللّـه لا سواه وبالنتيجة فالشـفيع الإيجابي له نصيب وافر من فوائد شفاعته الحسـنى والشفيع السلبي يتحمل جزءاً من وزر شفاعته السـيئة، ما أجمع المفسرون عليه حول معنى الشفاعة في الآية الكريمة هو أنها الأرشاد والتوجيه والمساعدة على عمل الخير في الشفاعة الحسنة والعكس بالعكس؟ يصدقه ما ورد في الحديث «**الـدال على الخير كفاعله**» أو «**من سَـنَّ سـيئة فعليه وزرهـا ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**» وقد ذكر المفسرون أن النبي ﷺ عندمـا كان يحث المؤمنين على الجهاد فإن البعض منهم كانت تعيقه بعـض المعوقات عن الجهاد فكان الآخرون يشـفعون لهـم عند النبي ويذللون لهم الصعوبات التي بينهم وبين الإسـتجابة للّـه ولرسـوله فإن كان العائق المال بذلوه لهم وإن كان العيـال كفلوهم وإن كان السـلاح هيئوه، عـلى العكس من المتمارضـين والمتهربين والمتخاذلين والمتقاعدين عن الجهاد فكان أصحاب الشـفاعة السـيئة يختلقون لهـم الأعذار عند الرسول ﷺ، حتى أن سـلمان الصحابي الجليل ذات يوم من أيام معركة بدر الكبرى أرسله في كتف بعض الأصحاب الذين إفتقدهم فلم يجدهم في صفوف المقاتلين، فدخل عليهم فوجدهم يأكلون عند الظهيرة فعاد سلمان المحمدي إلى رسول اللّـه ﷺ وهو يقول:

خــلــق الــلَّـــــه لـــلــحــروب رجالاً

ورجـــــــالاً لــقــصــعــة وثريد

وقد قنن النبي الشفاعة فأخرج منها التالي:

١. لا شفاعة في حدٍ، من حدود اللّـه.

٢. لا شفاعة في الشرك

٣. لا شفاعة في الظلم

٤. لا شفاعة فيمن آذى ذرية رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم

٥. لا شفاعة في ناصب عداء لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم إنه قال الشفعاء خمسة:ـ القرآن والرحم والأمانة ونبُّيكم و أهل بيت نبِّيكم. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام إنه قال «**لا ينال شفاعتنا آل البيت مستخفٌ بالصلاة**» إذن لمن الشفاعة، ما أحوجنا لها لقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنه قال «**إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» زبدة المخاض ونتيجة لما تقدم علينا أن نسعى دائماً وأبداً لأحسن الشفاعات والوساطات وأن يكون محضرنا أينما نحضر محضر خير ولطف نصلح ولا نخرب نبني ولا نهدم وأن نتواصى فيما بيننا كما يريد اللّـه بالحق والصبر لا بتفضيل مصالحنا السياسية والمادية لأن ذلك سيحّملنا أثقل الأوزار التي تكسر الظهور يوم الحساب ولا يحضرني محضر شفاعة سيء ينطوي على الغدر والخديعة أسوء من شفاعة الشمر بن ذي الجوشن للعباس بن أمير المؤمنين وإخوته لدى عبيد اللّـه بن زياد، حيث أخبر ابن زياد بأنه إن أعطى العباس وإخوته أماناً ووعوداً بإمارة فإن معسكر الحسين عليه السلام يتضعضع وجيشه يتمزَّق، فقبل ابن زياد بإقتراح الشمر وأعطاه صك أمان ووعود بإمارة لأبي الفضل العباس وإخوته، فجاءهم ليلة العاشر ووقف بحيث يسمع صوته وأخذ ينادي أين بنو أُختنا؟ أين العباس وإخوته؟ وكان العباس عند أخيه الحسين عليه السلام واقفاً فلما سمع نداء الشمر طأطأ رأسه حياءً من الإمام فقال له الحسين عليه السلام أخي أبا الفضل أجب الرجل وإن كان فاسقاً فإنه بعض أخوالكم، فامتثل العباس لأمر أخيه ووقف بين المخيمين ونادى من أنت وما تريد؟ قال أنا شمر وقد أتيتك وإخوتك بأمان من الأمير ابن زياد دع الحُسَين وتعال الى معسكرنا فقد وعد الأميرُ لكَ الإمارة إن أنت تركت الحسين عليه السلام فصرخ العباس بوجهه تعساً لك يا شمر وقبحاً

أتؤمنّنا وإبن رسول اللّه لا أمان له، ثم عاد لأخيه وأخبره بما جرى فجزاه اللّه احسن الجزاء إنه نعم الأخ المواسي لأخيه.

أما يوم العاشر فتعالوا معي وتأملوا شفاعة العباس عند إخوته من أُمِّه عثمان وعبداللّه وجعفر، قال لهم يا بني أمي تقدّموا بين يدي أبي عبداللّه لأرثكم فأنا أكبركم وأنتم ليس لكم أولاد فجاء الواحد تلو الآخر إلى الحسين وإستأذن في القتال حتى قتلوا جميعاً ولم يبقى الا العباس، كلما جاء ليستأذن الحسين للقتال لم يأذن له قائلاً اخي أنت حامل لوائي والعلامة في عسكري فإذا قتلت تشّتت جمعي وقلت حيلتي وانكسر ظهري، حتى ضاقت الدنيا في عين أبي الفضل فتقدم إلى الحسين عليه السلام ودموعه تغالبه قائلاً أخي لقد ضاق صدري وسئمت الحياة فأذن لي بمبارزة هؤلاء القوم الكافرين فقال له الحسين أخي ألا تسمع صراخ الأطفال والعيال ينادون العطش العطش، فان كان ولا بد فاطلب لهؤلاء شربة من الماء فاعتلي جواده المطهم وحمل السقاء وتوجه إلى الفرات.

ثم إنثنى نحو الفرات ودونه
حلبات عادية يصل لجامها
فهنالكم ملك الشريعة وإتكا
من فوق قائم سيفه قمقامُها
فأبت نقيبَتُه الزكية ريَّها
وحشى ابن فاطمة يشُّب ضرامها

ألقى الماء من يده وهو يرتجز ويقول

يا نفس من بعد الحسين هوني

أشلون أشرب وأخويه حسين عطشان وبالخيم تتصارخ الرضعان

وإتحيرت بيهم النسوان

ليلة العباس عليه السلام وكتمان الأسرار

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِـهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُـولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُـمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْـتَنْبِطُونَهُ مِنْهُـمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلاً﴾(١)

كثيرة هي المحطات التي يجب الوقوف عندها والتدبر في معانيها بهذه الآية المباركة وكل واحدة منها محور لو تحدثنا عنه بإسهاب لأحتجنا لأكثر من مجلس.

فموضوع الإذاعة وإفشاء الأسرار وآثارها على مجريات الأمور محور وردّ الأمور إلى الرسول وأولي الأمر ومن هم أولو الأمر محور آخر والإستنباط الذي معناه الاستخراج إضافة إلى اختلاف المفسرين حول فضل اللّـه ورحمته محور آخر، والنتيجة النهائية التي هي إتباع الأكثرية للشيطان وهذه وحدها تحتاج إلى النظر في أدلة المدرستين للبتّ فيها ويمكن إجمال المطالب التي فيها ومن خلال نظرة أولية للآية بوجوب الإلتزام الكلي بالرسول وأولي الأمر حيث يتواجد فضل اللّـه ورحمته ونبتعد عن الشيطان والآن لنستعرض مفاهيمها بإيجاز وحسب ما ذكره المفسرون في تفاسيرهم.

الخطر الأول الذي تحذر منه الآية موضوع البحث هو الإذاعة وعكسها لغة الكتمان والذي ورد في فضله الكثير من الأحاديث والروايات.

مشكلة الإذاعة تكمن في إن الخبر الذي لا نكتمه سيتعرض إلى تضخيم وتحريف وتزوير وشياع لا تحمد عقباه وسنفقد السيطرة على آثاره.

(١) سورة النساء: ٨٣.

فالآية هنـا تحذر أصحاب النبي من إفشـاء الأسرار العسـكرية لأن ذلـك يضر في حالتي الأمن والخوف وعلى المعسـكرين، فلـو علم أحد الصحابـة مثلاً بعدد وعـدة جيش المشركين وجلس هنا وهناك يحدث بالأمر فان الخبر سيتضخم من فمٍ لفم ومن فردٍ لآخر.

يحكى أن رجلاً أراد أن يمتحـن زوجته في كتمان الأسرار فأسرَّ لها إنـه قتل رجلاً في غرفة المؤونة وكان قد ذبح كبشـاً وغطاه، وقال لها إياك ثم إياك أن تخبري أحـداً بالأمر وأخذ عليها أيماناً مغلَّظة بالكتمان.

ما إن خـرج الرجل إلى عملـه حتى خرجـت المرأة وأفشـت سرَّها إلى جارتها وأقسـمت عليها أن لا تخـبر أحداً بالأمـر، ما إن عادت المـرأة إلى دارهـا حتى خرجت جارتهـا إلى البيت المجاور وقالـت إن جارنا فلان قتـل رجلين وأرجـوك أن تكتمـي الأمر ثم عـادت إلى بيتها، فانتقل الخبر من بيت إلى بيت والعدد يكبر وعند المسـاء عاد الرجل من عمله وإذا بالنسـاء قد إجتمعن بأول الطريق وما إن رأينه حتى دبَّ الرعب في قلوبهن وصرخت إحداهن اللّـه أكبر عليك كيف قتلت أربعين رجلاً!؟؟

فضحك الرجل ودعاهن إلى منزله وأخـرج الكبش المذبوح ووزعه عليهن وقال لزوجته أنت طالق لأنـك ما حفظت السر ومن الصباح إلى المسـاء تنامى العدد وأصبـح أربعين رجلاً بدل الكبش ففكري بخطورة الأمر.

بينما نجد كل الخير في الكتمان يقول أمير المؤمنين عليه السلام جمع خير الدنيا والآخرة في كتمان السِّر ومصادقة الأخيار وجمع الشّر في الإذاعة ومواخاة الأشرار.

ويقول الإمـام زين العابديـن عليه السلام: «**وددت واللّـه إنـي إفتديت خصلتين في شـيعة لنا ببعض لحم ساعدي النزق وقلّة الكتمان**».

أما الإمام الصادق عليه السلام فيقول: «**نفس المهموم لظلمنا تسـبيح وهمُّه لنا عبادة وكتمان سِّرنا جهادٌ في سبيل اللّـه**».

أما الأمر الذي لا يجوز كتمانه فهو علم العلماء لأن زكاة العلم إنفاقة وقد صحَّ عن رسول

اللَّـه ﷺ إنه قال «**أيما رجل آتاه اللَّـه علماً فكتمه وهو يعلمه لقي اللَّـه يوم القيامة ملجماً بلجام من نار**».

إذاً كان من الواجب على الصحابة الكرام الرجوع إلى شخص الرسول ومن بعده إلى أولي الأمر الذين يقدرون على الإستنباط الذي يعني لغةً الإستخراج وإصطلاحاً معرفة الأحكام الشرعية الحقيقية من أدلتها التفصيلية.

ولا يختلف إثنان في علم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ﷺ فهو مدينة العلم وهم بابها وهنا خلافٌ بين المدرستين في تحديد أولي الأمر وهو يتهم فمدرسة الجمهور ترى إنهم حكام الأُمَّة وإن كانوا ظالمين أما مدرستنا فترى إنهم ورثة علوم الأنبياء والمرسلين أئمة الهدى ومصابيح الدجى ومنقذي العباد من الظلالة والعمى، وقد ذهب الفخر الرازي في تفسيره الكبير إلى رأي قريب من هذا حيث يقول إنهم العلماء،

بقي لدينا أن نعرف فضل اللَّـه والرحمة التي لولاهما لاتبعنا الشيطان إلا قليلا.

لقد حاول الرازي في تفسيره وكعادته وعادة أكثرية علماء المدرسة التي تحاول تحجيم أدوار أهل البيت عليهم السلام لصالح الصحابة فقد قال تارة إن الفضل هو القرآن والرحمة هو مُحَمَّد ﷺ وقال أخرى إنهما نصر اللَّـه ومعونته أي لولاهما لإتبعتم الشيطان إلا قليلا.

أما أئمة الهدى فإنهم يؤكدون بأن فضل اللَّـه ورحمته الشاملة هم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ﷺ سفن النجاة وعدل الكتاب وقد صحَّ عن رسول اللَّـه ﷺ إنه قال «**من سرَّه ان يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوالي علياً وليوالي وليَّه وليقتدي بالأئمة من ولدي من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي فويلٌ للمكذّبين بفضلهم من أُمتي القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم اللَّـه شفاعتي**».

واسمحوا لي أن أعود إلى المعاني اللغوية للاستنباط علني أُقدم لمدينة النبطية وأهلها الكرام الذين غمروني بحبهم سنين طويلة بطاقة حب ووفاء لهم ولسيدي ومولاي الحسين عليه السلام الذي كانت مجالسة الشريفة سبب معرفتي بهم ولي الشرف فأصل الكلمة نبط

ينبط ومعناها نبع الماء في البئر حين حفرها.

ويقال للرجل الـذي يصعب تصور مقـدار علمه وغايتـه: لا يدرك له نبـط ويقال فرسٌ أنبط للذي في بطنه بياض حتى صدره، وقيل الأنباط هم جيلٌ يسـكنون سـواد العراق ويقال لمفرده رجل نباطي مثل يماني.

وفي حديث لعلي عليه السلام: ودَّ السرُاة المُحكِّمة أن النبط قد أتى علينا كلنا، يعني الموت.

وقيل إن أهل عمان عرب إسـتنبطوا وأهل البحرين نبيط إسـتعربوا وعلى هذا فان تسمية هـذه المدينة المخلصة بالولاء لسـيد الشـهداء بهذا الإسـم لـه أروع الدلالات فهـي نبع العلم والولاء وهي عميقـة الغور وهي البيضـاء النقية البطن والباطن وهي الحـاضرة الزاهرة وهي موت الغزاة.

وفي كل عام ينبط الدمـع والـدم في النبطية بل في كل أرجـاء المعمورة لـيروي عطش آل مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم في عاشوراء، فلقد فقد الماء في مخيم الحسين عليه السلام منذ اليوم السابع لذلك اختص السـابع من المحرم بذكر مصرع أبي الفضل العبـاس عليه السلام نعم جاء قمر بني هاشـم إلى أخيه الحسـين عليه السلام قائلاً أخي لقد ضاق صدري وسـئمت الحياة الدنيا فإذن لي بالقتال، ترقرقت الدموع في العيـون قال أخي أنـت حامل لوائي وقائدُ عسـكري فاذا قتلت تشـتت عسـكري وإنقطع ظهري.

أخي أبا الفضل إن كان ولا بد فخذ السـقاء وإطلـب لهؤلاء الأطفـال والعيال شربة من الماء فلقد أضرَّ بهم العطش.

وإذا بنداءات الأطفال تتعالى من الخيام يا عم يا أبا الفضل العطش العطش العطش.

أخذ السـقاء وتمطى على ظهـر جواده وتوجـه صوب العلقمـي يطلب الماء لا سـواه ففر القوم بين يديه وإنكشفوا إنكشـاف المعزى إذا شـدَّ عليها الذئب يسـحق بعضهم بعضا حتى مات منهم جمع غفير.

دخل الماء وملأ القربة وهو يفكر بعطش الحسين عليه السلام وعياله ويتذكر العهد الذي قطعه

على نفسه ليلة وفاة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وللحوراء زينب عليها السلام، نفسه العطشى أحسَّت ببرد الماء، رماه من يده وهو يرتجز ويقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أو تكوني

هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين

تالله ما هذي فعال ديني و لافعال صادق اليقينِ

***

أنا أشرب لذيذ الماي حاشه وأهلي گضوا كلهم عطاشى

وحسين الترب يمسي فراشه

العباس وطلب المغفرة

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّـهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1]

في كل قصة من قصص الأنبياء في القرآن الكريم دروس وعبر تختلف عنها في القصص الأخرى وجميعها مما نحتاجه في حياتنا اليومية وأنها حقاً لأفضل أساليب التربية والتعليم ولكن أرى بأنها تحتاج منا إلى مزيد من الإهتمام والأقبال لكي تستمر في التأثير على سلوكنا وتضع أقدامنا على الجادة الصحيحة الموصلة إلى السعادة الدنيوية والأخروية.

والآية التي صدَّرنا بها مجلس هذه الليلة تحكي موقفاً رائعاً من مواقف الصدّيق يوسف عليه السلام مع إخوته في آخر المطاف، عفواً وأيُّ مواقفه ليس برائع؟؟

إنه درس «**العفو عند المقدرة**» هذه الصفة الأخلاقية التي يتصف بها غالباً أفذاذ الرجال الذين لا تجد في قلوبهم إلَّا الحب والإيثار، هذه هي أخلاق الأنبياء والأصفياء والأئمة عليهم السلام التي نحن بأمسّ الحاجة للتحلي بها اليوم.

يوسف الصديق عليه السلام إبتلى بنعمة الجمال التي أنعم اللّـه بها عليه وقد قيل «**كل ذي نعمة محسود**» ففي طفولته الأولى أحبته عمَّته وكانت تطلبه من أبيه ليبقى عندها تأنس به وبجماله وذات مرَّة أرسل إسحاق بطلب ولده فعزَّ عليها فراق يوسف عليه السلام فلفَّقت له تهمة سرقة نطاقٍ هي ألبسته إياه لكي تستبقي يوسف عليه السلام عندها وكان القانون آنذاك يحكم على السارق بالبقاء في حوزة المسروق منه حتى يطلق سراحه. هذه كانت ضريبة حب عمته له، ولما طغى حبُّه في قلب إسحاق عليه السلام على حبِّه لسائر الأولاد إندفع إخوة يوسف وألقوه في

(١) سورة يوسف: ٩٢.

غيابات الجب حسداً له على المكانة التي إحتلّها من قلب أبيه وهذه كانت ضريبة حب أبيه له، أما ضريبة الحب الثالث الذي كان السجن سبع سنين بسبب شغف زليخا زوجة عزيز مصربهِ واستعصامه باللّـه من الإستجابة لنداء الغريزة الغير منضبطة، ولا أُجانب الحقيقة لوقلت بأن كل هذه الأبتلاءات التي إبتُلي بها يوسف عليه السلام كانت ثمن إخلاصه في حب اللّـه ليؤكد «إن اللّـه إذا أحبَّ عبداً إبتلاه « « وأكثر الناس إبتلاءً الأنبياء فالأوصياء فالأولياء فالأمثل فالأمثل».

المهم نجح يوسف الصديق في كل هذه الامتحانات وصار دور المكافأة الربانية بعد كل ذاك التعب والعناء أصبح يوسف عليه السلام وزير المالية الأمين على خزائن عزيز مصر وجاءه الاخوة يستغفرونه، وهنا بيت القصيد.

لو نضع أنفسنا موضع يوسف عليه السلام في اللحظة التي جاءه الاخوة والانكسار بادٍ على وجوههم التي ما رفعوها عن الأرض من الحياء والخجل والذل، ما عسانا نقول أم كيف نتصرف في أحسن الحالات سنفتح صفحة العتاب واللوم وتنفلت من عيوننا نظرات الشماته وتعلو آنافنا بالكبرياء وشعور الانتصار أليس كذلك؟

أما يوسف عليه السلام فأول عبارة تلفّظ بها قال لا تثريب عليكم أي لا ملامة ولا توبيخ ولا تقريع لا تأنيب، بهذه العبارة بلسم جراحهم جبر كسر خواطرهم فهو محسنٌ، لقد أعطى القلوب المنكسرة زخماً معنوياً ترتفع به مجدداً لتحيى حياة الأخوة الطاهرة البعيدة عن الغل والحسد، بينما لوكان أنبهّم لزادهم إحباطاً ودفعهم لتحّين فرص الانتقام من يوسف عليه السلام مجدداً لأنه أذلهم.

ثم زادها بقوله **﴿الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** يعني إنني غفرت لكم وربي سيغفر لكم لأنه أرحم الراحمين وهو بعون العبد ما دام العبد في عون أخيه، هنا نقطة خلاف بين المسلمين فالبعض يرى عدم وجود الوسيلة والواسطة بين العبد وبين الرَّب وهذه الأمور العظيمة يعني الرحمة والمغفرة والرزق والشفاء وقضاء الحاجات مختصة باللّـه وحده. وهذا

خطا فادح حيث لكل غاية نبتغيها وسيلة واللّه يقول في كتابه ﴿**وإبتغوا إلى اللّه الوسيلة**﴾ وهاهم إخوة الصديق أولاد يعقوب عليه السلام يستغفرون أباهم تارة وأخاهم أخرى، ولو كان الأمر خلاف ذلك لأحال يوسف عليه السلام أو يعقوب عليه السلام هؤلاء المذنبين إلى اللّه مباشرة ولم يتوسطا ويشفعا ويغفرا لهم.

إذاً لا بد من وسيلة لبلوغ المنى والوسيلة الأهم بعد العمل المطابق لإرادة اللّه شفاعة الأنبياء والأوصياء والأئمة لأنه جل وعلا إرتضى شفاعتهم بل إنه بالأساس أرسلهم وسائط هداية ووسائل نجاة ونمير حياة ورحمةً مهداة»

﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[1] ولئن غفر يوسف عليه السلام لإخوته جرائمهم بحقه الذي هو حق اللّه واستغفر لهم أرحم الراحمين فان صاحب الخلق العظيم غفر لأعدائه ولمن حاول قتله أكثر من مرَّة، أهوى عليه مشرك بسيفه وهو نائم، بمشيئة اللّه عثر الرجل بحجر فانتفض النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخذ السيف من يده فتوسل بالرسول فأطلقه. وجثى أحدهم على صدر النبيِّ والسيف بيده وقال له من ينجيّك الآن مني يا مُحَمَّد؟ فقال اللّه. إنفلت حجر من تحت رجل المشرك فانقَّض النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه وجلس على صدره والسيف بيده قال له الان من ينجيّك مني فقال حلمك يا مُحَمَّد فقام عن صدره وأطلق سراحه. أما عندما دخل مكة عام الفتح فسأل أهلها قائلاً ما تظنون أني فاعل بكم قالوا أخٌ كريم وابنُ أخ كريم فقال: إذهبوا فأنتم الطلقاء ثم نادى مناديه ألا ومن دخل البيت كان آمنا ومن دخله بيته كان آمنا ومن دخل دار أبي سفيان وتعرفون من هو أبو سفيان كان آمنا.

أما أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فانه يوم ضُرب بالسيف على هامته في المسجد وأمسك حذيفة بن اليمان بعبد الرحمن بن ملجم المرادي وجاء به إلى دار أمير المؤمنين عليه السلام نظر إليه ورأف بحاله وقال لولده الامام الحسن عليه السلام بني حسن اللّه اللّه في أسيرك أنظر إليه فلقد طارت عيونه من أم رأسه من الخوف مما تأكل أطعمة ومما تشرب إسقه، ياالقلبك

(١) سورة الأنبياء: الآية١٠٧.

الرحيم وحلمك العظيم، يا أمير المؤمنين في حرب صفين يوم سيطر جند معاوية على ماء الفرات منعوكم من ورد الماء المباح ويوم سيطر جندك عليه سمحت للأعداء بالورود ولعلك كنت تتمنى أن يقابلوا إحسانك باحسان وعفوك بعفو، كيف يتوفق أعداء اللّه والإنسانية لمثل هذا العمل العظيم إنها أخلاق الأنبياء والأصفياء. سيدي ذاك يوم ويوم آخر كان لهم مع ولدك الحسين عليه السلام ففي طريقه إلى العراق إلتقى بالحر بن يزيد الرياحي ومعه ألف افارس قد أشرفوا على الهلاك من شدة العطش فتقدم شبلك الحسين عليه السلام وسقى الجند كلهم ورَّشفوا الخيل ترشيفا، أما هم حين أحاطوا بالفرات منعوا الحسين عليه السلام وعيالاتِه من شرب الماء ثلاثة أيام بلياليها ويوم عاشوراء خرج السَّقّاءُ يطلب الإذن بالقتال فتعالت الأصوات ياعمَّاه يا عباس العطش العطش، وقف بين يدي أخيه يستأذنه فقال له إن كان لابد فاطلب لهؤلاء الأطفال والنسوة ماءً حمل القرية وتوجه صوب الفرات:

حتى إذا ملكَ الشريعة وإتكّا
من فوق قائم سيفه قمقامُها
فأبت نقيبته الزكية ريَّها
وحشى ابن فاطمة يشب ضرامها

مدَّ يده إلى الماء ليشرب أحسَّ ببرده تذكر العهد وعطش الحسين عليه السلام وعياله ألقى الماء من يده وهو يرتجز ويقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني
وبعده لا كنت أو تكوني
عباس يا عزنه وضمدنه
ويا درع هيبتنه وزردنه
ويا سورنه العالي وسندنه
بالخيم ما ظل ماي عدنه

ونـــار الـعـطـش حـرقــت چبدنه
فــوق الـعـطـش تــدري انضهدنه
وبـمـصـاب عـبـد الله انمردنه
وفـيـنــه ويـــاكــم عهدنه
تـمـيـنـه بـــرض الــطــف وحدنه
يـــا خـــويـــه والـــيـــتـم ولدنه
بـــالـــنـــار لـخـيـمـنـه گصدنه
بـالـبـيـده مـــن وجـــه شردنه
وصـــرنـــه انـــتــصــارخ بـسـم جدنه
ويـــنـــك يـــالـــتـفـــرج شددنه
انـــهـــض ولـــرض الـــوطـــن ردنه
اسـتـنـجـدنـه مـــا واحـــد نجدنه
وعـــالـــغــبــرة مـــتـــوذر عمدنه
يـــالـــواعـــدت هـــذا وعدنه

العباس وأولياء الله عليهم السلام

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1]

لا يختلف اثنان في ورود عدة آيات كريمة من القرآن الكريم في مدح سادات الانام مُحمَّد وآله عليهم السلام.

ولا سبيل لأنكار المنكرين ولا مجال لجحود الجاحدين مهما حاولوا إخفاء الحقائق وتحجيمها او تحريف مساراتها وإلصاقها بغير أهلها، ومن بين سبعمائة آية كريمة نزلت في فضل أمير المؤمنين عليه السلام على رأي علمائنا كما ورد في كتاب علي في القرآن، أو ثلاثمائة آية كريمة نزلت في حقه على رأي جمهور العامة، هذه الآية الكريمة التي لاتدع أي مجالاً لصرفها عن وجهتها الحقيقية وعلى ذلك أجمع المفسرون والمؤرخون، فإنما أداة حصر لغةً. ويؤدي وجودها في مطلع الآية إلى إنحصار الولاية باللّه ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة وأيُّ المؤمنين لا يصلي، ويؤتون الزكاة وأيُّهم لا يزّكي، وهنا فصل المقال وهم راكعون، وهل رأيتم رجلاً يدفع الزكاة في أثناء الصلاة وفي حال الركوع يقول الأعمش بينا عبد اللّه بن عباس جالس على شفير زمزم ويقول قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أي يُحدّث عنه إذ أقبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم إلّا قال الرجل قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال له ابن عباس سالتك باللّه من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا أُعرّفه بنفسي أنا جندب بن جنادة البدري أبو

(١) سورة المائدة: ٥٥.

ذّر الغفاري سمعت رسول اللّه بهاتين وإلاّ صمّتا ورأيته بهاتين وإلاّ عميتَا يقول «علي قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله» أما إني صلّيت مع رسول اللّه ﷺ يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأله سائل في المسجد فلم يعطه أحدٌ شيئاً فرفع السائلُ يدهُ إلى السماء وقال اللّهم اشهد إني سألت في مسجد رسول اللّه ﷺ فلم يعطني أحدٌ شيئاً وكان عليٌ عليه السلام راكعاً فأومأ بخنصره اليمنى إليه وكان يتختّم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين رسول اللّه ﷺ فلما فرغ النبي من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: (اللّهم إن أخي موسى بن عمران سألك فقال ﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي**﴾[1] فاستجبت لدعائه اللّهم وأنا مُحمَّدٌ نبيُّك وصفيّك فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً إشدد به ظهري) قال أبو ذر رضي الله عنه وهو من تعرفون والذي يقول فيه المصطفى ما أقلّت الغبراء وما أظلّت الخضراء ذي لهجة أصدقَ من أبي ذر. فو اللّه ما استتم رسول اللّه ﷺ كلامه حتى نزل عليه جبرئيل من عند اللّه تعالى بالآية الكريمة قائلاً: يا مُحمَّد إقرأ، قال وما أقرأ، قال ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[2]، صدق اللّه العلي العظيم. وقد أكدَّ النبي للمسلمين هذا المعنى في غدير خم بعد حجة الوداع عندما استوقف الحجيج ونصبوا له من أحداج الإبل منبراً فصعده وأخذ بضبع علي وقال أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم قال اللّهم بلى ثم رفع يد علي حتى بان بياض إبطيهما وقال اللّهم من كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه اللّهم وال من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر معه الحق حيثما دار، ثم أمر النبي أصحابه بتهنئة الامام ومبايعته فدخلوا عليه خيمته الخاصة وكل منهم يصافحه ويقول بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ودخلت نساء المهاجرين والأنصار عليه وقد وضع بين يديه طشت ماء وضع يده الشريفة فيها فوضعن

(١) سورة طه: ٢٥.

(٢) سورة المائدة: ٥٥.

أيديهن في الماء مبايعين له على أنه أمير المؤمنين وخليفة رسـول اللّـه ووصيه والقائم مقامه من بعده.

إن هـذه الولاية التي هـي من ولايـة اللّـه وولاية رسـوله تحتـم علينا سـلوكاً خاصاً مع أولياء أمورنا الحقيقـين، خلاصته ونبذته الطاعـة المطلقة ومعرفة الحقـوق والواجبات المترتبة علينا تجاههم.

وهـذا ما تحاول الشـيعة عـبر نضالهـا المرير تحقيقـه فلم تذعـن طـوال عمرها لغـير اللّـه ورسـوله وأوليـاءه وكانـوا وما زالوا وسـيظلوا إلى الأبـد من المتمسـكين بحبل اللّـه المتين في الوقت الذي يحاول أعداءهم وبكل الوسـائل والسـبل إزالة أوليائنا عـن مراتبهم التي رتبهم اللّـه فيها ويحاولون تحجيـم دور أهل البيت النبـوي الشريف ويضخمون ثلـةً من المغمورين الذيـن إن لم يكونوا مـن أعداء الإسـلام فإنهـم ممـن لم يقدّموا شـيئاً يذكـر لهذا الديـن، وعلى سـبيل المثال لا الحـصر لعلكم شـاهدتم فلـم الرسـالة العظيـم الـذي يحكي قصة الاسـلام، ولا حظتم وبشـكل واضح كيف تجاهل الأدوار المهمة لأركان الإسـلام الثلاثة وحسب قول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ما قام الاسـلام أو ما بني الإسـلام إلّا بسـيف علي و أموال خديجة ومنعة أبي طالب عليهم السلام.

ففي الوقت الذي يقول الامام الشـافعي مادحاً أمير المؤمنين عليه السلام ومؤكداً إعتلائه على كتف رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم وتحطيمه للأصنام في الكعبة في فتح مكة حيث يقول:

مـــاذا أقـــول بـمـن حـطـت لـــهُ قَدَمٌ
فـي مـوضـع وضـع الـرحـمـن يُمنُاهُ

يعني كتف رسول اللّـه

إن قـلـتُ ذا بـشر فـالـعـقـل يمنعني
وأختشي اللّـه مـن قولي هـو اللّـه

ترى أن مُحطّـم الأصنام في فلم الرسـالة هو بلال بـن رباح الحبشي رضي الله عنه هـذا الصحابي

الوديع الذي لم نسمع عنه أنه كان من الصناديد والفرسان الذين يجرؤن على عملٍ خطير كتحطيم أقدس مقدسات المشركين، وليست هذه الأمور من مستجدات العصر إنما هي إحقادٌ موروثة ورثها الخلف الجاهل من السلف الذي لم يهذبّ الاسلامُ أطباعهم ولم ينزع من نفوسهم العصبيات الجاهلية.

وقد كانت هذه العصبيات إحدى دوافع السائرين إلى حرب الحسين عليه السلام وقد صرَّح أميرهم يزيد بن معاوية حين تمثل بأبيات عبداللّه بن الزبعري بذلك حيث أنشد ورأس الحسين بين يديه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلوا فرحاً
ثم قالوا يايزيدُ لاتُشَل[1]
قد قتلنا القَرمَ من ساداتهم
وعدلنا ميلَ بدرٍ فاعتَدَل
لعبت هاشمُ بالملك فلا
خبرٌ جاء ولاوحيٌّ نزل
لست من خندف إن لم أنتقم
من بني أحمد ماكانَ فَعَل

نعم إن القوم أخذوا ثأر عليٍّ من وَلدهِ الحسُين فقطعوّهُ بسيوفهم إرباً إرباً، وعندما حاجَّهُم وخصمهم في الحجاج صاحوا باعلى صوتهم نعم نقتلك بغضاً منّا لأبيك ولما فعل بأشياخنا يوم بدر وحنين.

وأبو الفضل العباس شبلٌ من أشبال هذا الأسد الضرغام والبطل الهمام والذي هو

(١) ملاحظة هامة: لو كانت الأبيات لابن الزبعرى الأنسب أن يضع اسمه محل اسمه يزيد ولكننا نرى أن الأبيات من نظم يزيد وهو شاعر مجيد ولكن المؤرخين حاولوا تبرئته من هذه الجريمة النكراء والله العالم.

للمؤمنين إمام ومن أبنائه الذين ذخرهم ليوم الطفوف بل أعدَّهم لمثل هذا الموقف الحاسم.

برز هذا الليث العلوي يوم عاشورا يرتجز ويقول:ـ

لا أرهـــب المـــوت إذا المـــوت زقا

حـتـى أواري فــي المصاليت لقا

اني أنــا الــعـبـاس أغـــدوا بالسقا

ولا أخـــاف الــشــر يـــوم الملتقى

قاتل قتال الأبطال حتى سقط شهيداً مضرجاً بدمه وقد قطعت يداه وأصاب السهم عينه وهشم عمد الحديد رأسه أسرع اليه الحسين عليه السلام فلما نظر اليه غالبته الدموع وصرخ أخي عباس الآن إنكسر ظهري وقلت حيلتي وشمت بي عدوي

عـــبـــاس يــــوم قــتــلــت لاح ضياعنا

وتـهـدمـت يــا بــن الــوصــي قلاعنا

وعــلــيـك ضـجـت بالنحيب ربوعنا

الـــيــوم آل الـــى الــتــفــرق جمعنا

اليوم حل من البنود نظامها

***

تـدري إشـعـمـل يـا عـبـاس بعداك

كسر ظهري وأنـا المحتار بعداك

نـامـت رغـد عـيـن عـداك بعداك

ومـسـاهـرة عـيـون الفاطمية

***

الـــيـــوم نـــامـــت أعـــيـن بـــك لم تنم

وشـــهـــدت أخـــرى فـــعــز منامها

دعوة للتعاضد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالَ سَنَشُدّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ اتّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾[1].

مقدمة نضع السامع الكريم في أجواء الدوافع التي دفعت نبي الله موسى على نبينا وعليه وآلهما أفضل الصلاة والسلام إلى طلب المعاضدة الواردة في مضامين الآية آنفة الذكر.

أولاً كل داعية يدعو الناس إلى أمرٍ ما يحتاج إلى عدة مقومات أساسية لنجاح دعوته أذكر منها سعة الصدر وفصاحة اللسان والنصر الإلهي أو المدد الغيبي كما يسميه البعض إضافة إلى المؤازرة من الناس وخاصة الأقارب.

وقد تقدم موسى عليه السلام إلى ربه بهذه المطالب دفعة واحدة قبل أن يذهب إلى طاغية عصره فرعون، **﴿قَالَ رَبّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسّرْ لِيَ أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مّن لّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُواْ قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَل لّي وَزِيراً مّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِيَ أَمْرِي﴾**[2].

ثانياً إن موسى عليه السلام بعثه الله إلى طاغيةٍ يدعي الربوبية وشعب لا يقل طغياناً من حاكمه وقد قيل: «**الناس على دين ملوكهم**» شعبٍ لجوج أتقن فنون السحر والشعبذة ويستخدم كل الوسائل للوصول إلى غاياته وأهدافه، وعلى هذا فإن مهمة موسى عليه السلام من المهمات الصعبة.

إضافة إلى أنه يجب أن يقدم للأجيال نموذجاً يقتدى به ويحذون حذوه.

ثالثاً بذمة موسى عليه السلام دم رجلٍ قبطي قتله، فهو خائف مطلوب.

(١) سورة القصص: آية ٣٥ .

(٢) سورة طه: آيات ٢٥ — ٣٢ .

ثم جاءت الاستجابة الربانية لمطاليب موسى عليه السلام الموضوعية ﴿قَالَ سَنَشُدّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾، أول شيءٍ تحتاجه في مشروعك المعاضدة المادية، يا موسى أنت بأمس الحاجة لأخ وليس كل أخ كما تريد.

إن أخاك الحق من كان معك
ومن أضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك
شتت فيك شمله ليجمعك

ما أحوجنا إلى التآخي والتعاضد ومؤازرة كل جهدٍ خير وإبداع، ثم قال ((ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما)) إنه المدد الغيبي فكل واحدٍ منا يتمسك بحبلين، حبل من الله وحبل من الناس سبب مادي وسبب روحي بهما معاً ستكون يا موسى الحجة والسلطان على أعداء الله والإنسانية وفيما إذا حاول الأعداء قتلكما ومن معكما لا يصلون إليكما أي يجعل بينكم وبينهم حواجز ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[1].نعم دائماً وأبداً تلاحظون ﴿إِنّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الّذِينَ آمَنُوَاْ﴾[2].ويقدم لهم الخير ويهديهم سبل النجاح وإن ظهر للناس أنهم يؤذون ويقتلون فهو خير لهم: ﴿وَالّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

المقطع الأخير من الآية يبين بوضوح أن قوة المبادئ التي يقاتل دونها المقاتل هي من أهم أسلحة الانتصار، فالجيوش الجبارة التي لا تقاتل عن عقيدة حقة مصيرها ومصير جهودها الفشل الذريع حتى أثناء تحقيق النصر العسكري فإن المقاتل فيها يشعر بتفاهته وحقارة الدوافع التي دفعته للقتال وقد يحس بالندم فور صحوته من غفلة الجريمة، كما ينقل عن بكاء معاوية على قتله الإمام الحسن عليه السلام وندم يزيد عما كان يوم عاشوراء وبكاء عمر

(١) سورة يس: آية ٩.
(٢) سورة العنكبوت: آية ٦٩.
(٣) سورة الحج: آية ٣٨

بن سعد بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام إذاً يؤكد الله جل وعلا لموسى عليه السلام ولنا أن قوة المبادئ الدينية ذاتية ولولا قوة الإسلام الذاتية وسائر الديانات الحقة لم يبقَ أثر لهذه الرسالة العظيمة، بآياتنا وأحقية الرسالة التي بُعثت بها أنت من إتبعك الغالبون ﴿**كتب الله لأغلبن أنا ورسلي**﴾.

ما من نبي إلا وآزرته إرادة الله جل وعلا وحقق بها إضافة لجهوده النصر النهائي على قوى الشر والضغينة وكذلك فكل من يعي رسالة الأنبياء ويسعى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل بناء مجتمع إنساني أفضل يسير على خطى الأنبياء من آدم عليه السلام إلى الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ستدعمه الإرادة الإلهية فتتآخى إرادة العبد وإرادة المولى فيعم الخير، ﴿**وَمَا تَشَآءُونَ إِلاّ أَن يَشَآءَ اللهُ رَبّ الْعَالَمِينَ**﴾(١). وقد ورد عن صاحب العصر والزمان الإمام المهدي عجل الله فرجه أنه يقول «**قلوبنا أوعية مشيئة الله إذا شاء شئنا**» وقد أيد هذا التطابق في التوجه حديث عن سيد البشر يقول: «إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بعين الله أو بنور الله».

زبدة المخاض إذاً هي أننا يجب أن نوازن بين علاقتنا بالله جل وعلا وعلاقتنا بالدنيا والناس. التوازن ضروري وكما قال أئمتنا عليهم السلام

إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً

وإعمل لآخرتك كأنك تموت غدا

أوليس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أسوتنا وقدوتنا ﴿**لّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾(٢). عمل في الرعي والتجارة وعبد الله مخلصاً له الدين جاهد في سبيله أصلح بين الناس، أول عمل عمله في المدينة المنورة التآخي قولاً وفعلاً آخا بين المهاجرين والأنصار ووقف علي عليه السلام ينتظر دوره في هذا الموقف فلم يآخي النبي بينه وبين أحد فدمعت عيناه وقال: يا رسول الله آخيت بين جميع المهاجرين والأنصار وتركتني وحيداً فاعتنقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي

(١) سورة التكوير: آية ٢٩.
(٢) سورة الأحزاب: آية ٢١.

بعدي، لقد كانت أخوة محمد وعلي (عليهما الصلاة السلام) من أعظم نماذج الإخاء التي افتخر الله بها على ملائكته ليلة مبيت علي عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفتديه بروحه، قال الله لجبريل وميكال عليهما السلام إني قد وهبت واحداً منكما عشر سنوات من العمر فأيكما يؤثر أخاه على نفسه، فأخذا يتوسلان بالله كل يقول ربي إجعلها لي، فقال الله جل وعلا ألا تهبطان إلى مكة فتنظران الى عبدي علي بن أبي طالب كيف يفتدي بنفسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إنها الأخوة الحقيقية، وهكذا كان الحسن والحسين عليهما السلام، وقد سجلت لنا كربلاء الشهادة درساً للتأخي ليس له نظير، ذلك هو موقف قمر بني هاشم العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام من أخيه الحسين عليه السلام يوم عاشوراء. منذ نعومة أظفاره تعلق العباس بأخيه الحسين تعلقاً مميزاً وكأنه يعلم الغاية من هذه الأخوة، وكان أدبه وورعه وخلقه العالي وروائع تربيته قد منعته من مناداة الإمام الحسين عليه السلام بلفظ الأخوة، فعندما يتكلم مع الحسين عليه السلام يقول له سيدي مولاي يا بن رسول الله، والحسين عليه السلام يتمنى أن يسمع من أخيه العباس كلمة أخي لأن فيها الكثير الكثير من فيوض الحب والإيثار، وقد ورد في الأخبار أن لقمان الحكيم عاد من سفرٍ له فاستقبله غلامٌ من الغلمان فسلم عليه وأخذ يسأله عن أفراد أسرته قبل أن يصل الدار. قال له كيف أبي؟ قال الغلام: مات، قال لقمان: الحمد لله الآن ملكت أمري ثم قال كيف أختي؟ قال الغلام: ماتت، قال لقمان: الحمد الله الآن سترت عورتي عرضي شرفي قال لقمان كيف تركت زوجتي قال الغلام: ماتت، قال لقمان: الحمد لله الآن سأجدد فراشي ثم قال كيف تركت أخي قال الغلام: مات صاح لقمان: آخ الآن إنكسر ظهري.

وهكذا عندما سمع الحسين عليه السلام صوت أبي الفضل العباس ينادي أخي أدركني، إنقض على قتلة أخيه ففرقهم ووقف على رأس العباس عليه السلام نظر إليه فرآه دون يمين وشمال والسهم نابت في عينه والدم جامد على وجهه وقد صار جسمه كالقنفذ من كثرة السهام النابتة فيه، أمسك الحسين بخاصرته وإنحنى على أخيه وصاح أخي الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي وتشتت عسكري وشمت بي عدوي. واضيعتاه بعدك أبا الفضل

أأخـــــي مــــن يحـــمـي بـنــــات محمدٍ

إن صــرن يسترحمن مــن لا يرحم

هـــذا حـسـامـك مـن يــذب بــه العدى

ولــــــواك هـــــذا مــــن بـــه يتقدم

إشـمـالـه الـدهـر حـاربـنـه إشماله

وعصف ريح الفنى إعلينه شماله

عضيدي إنگطعت إيمينه وشماله

وبقـه جسمه طريـح إعـلـه الوطيه

***

**

*

الشفاعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[1].

تنتابني الدهشة والاستغراب كلما ينكر المنكرون شفاعة محمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومقابل إصرار هؤلاء كنت أرى على واجهات دور العائدين من حج بيت الله الحرام يا فطات مكتوب عليها بالبونط العريض قول رسول الله ﷺ «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

وعندما أمعنت النظر وتدبرت في معاني الآية موضوع البحث شعرت وكأن الجواب على استغرابي ودهشتي من إصرار البعض على إنكار الشفاعة صار قاب قوسين أو أدنى من فهمي القاصر، عذرتهم لموقفهم من الشفاعة لأنه من غير المحتمل أن يعترف الواثق من عدم استحقاقه الشفاعة بالشفاعة والشفعاء، بل من الطبيعي جداً أن ينكر الموضوع جملة وتفصيلاً من باب رد الاعتبار وحفظ ماء الوجه.

لنرى أولاً ما هي الشفاعة ومن هم الشفعاء ولمن تكون الشفاعة؟؟ الشفيع هو الوسيط الذي له جاه وشرف، وعلى هذا فالشفاعة هي الوساطة وهي حق إضافي مشروع جعله الله جل وعلا لخاصة أوليائه زيادة في شرفهم وكرامة منه لهم. وهدف الشفاعة يذهب باتجاهين إما لدفع ضررٍ وعقاب وإما لجلب منفعة وثواب، ولا أبالغ لو قلت لك بأنك لو عرفت

(١) سورة التوبة: آية ٨٠.

الفرق بين شفعائنا وشفعاء الآخرين لعرفت بأنك تنهج نهجاً قرآنياً، ولعذرت الذين يصرون على إنكار الشفاعة، جملة وتفصيلاً.

وذلك لأن المعطيات عندهم هي غير المعطيات لديك فلقد اتخذ المشركون الأصنام شفعاء ظناً منهم بأنها ستتوسط لهم عند الله وتستغفر لهم وإن بإمكانها أن تجلب لهم النفع وتدفع عنهم الضرر، كما أن ظاهر قسمٍ من الآيات التي تتحدث عن الشفاعة يوحي بعدم فائدة الشفاعة وعدم جدوى الاعتماد عليها وضرورة الاعتماد على الأعمال وسأتلوا عليكم عدة من آيات الله التي تتحدث عن الشفاعة سلباً وإيجاباً علنا نصل إلى معرفة حقيقة الأمر:

١. **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾**[1].

٢. **﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾**[2].

٣. **﴿أَمِ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللهِ شُفَعَآءَ﴾**[3].

٤. **﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾**[4].

٥. **﴿لَيْسَ لَهُمْ مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾**[5].

٦. **﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾**[6].

٧. **﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾**[7].

٨. **﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾**[8].

---

(١) سورة النساء: آية ٦٤.
(٢) سورة الزمر: آية ٤٤.
(٣) سورة الزمر: آية ٤٣.
(٤) سورة يونس: آية ٣.
(٥) سورة الأنعام: آية ٥١.
(٦) سورة البقرة: آية ٤٨.
(٧) سورة الشعراء: آية ١٠١.
(٨) سورة البقرة: ٢٥٥.

٩. ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾[١].

١٠. ﴿لاَّ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾[٢].

لاحظوا كيف أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر لمن يأتيه طالباً من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يطلب له المغفرة من الله مع علمهم بأن الغفار هو الله جل وعلا والذي يأذن له الله يشفع فيشفع، والذي يرتضيه يشفع فيشفع، والذي يتخذ عند الرحمن عهداً يشفع فيشفع

فالشفيع قوته بالمشفع ومهمته تقتصر على التوسل إلى الله والتوسط لديه فإن شفع فبفضله وإن لم يشفع فبعد له والملاك الثقة ومقدمات العمل.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأشفعن يوم القيامة لمن كان في قلبه جناح بعوضة إيمان، بل كما يقول الإمام الباقر عليه السلام إن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر.

كن واثقاً أخي المؤمن أن الشفعاء خمسة: القرآن، والرحم، والأمانة، ونبيكم، وأهل بيت نبيكم.

ويقول علي عليه السلام: شافع الخلق العمل بالحق ولزوم الصدق إذاً القضية الأساسية في موضوع الشفاعة هي الخشية من سوء فهم حقيقة الشفاعة ودور الشفيع الذي قد يؤدي بالذي يسيء الفهم إلى التواكل والكسل والاعتماد الكلي على دور الوسيط والشفيع دون عمل يساعده على القيام بدوره، لأضرب لكم مثلاً يقرب المعنى للأذهان لو كانت لنا علاقة خاصة بمدير مشفى وكان أحد أولادنا قد تخرج من كلية القانون أو الآداب هل يصح أن نلتمس من صديقنا مدير المشفى أن يوظفه كطبيب في المشفى؟ العبور إلى الجنة يحتاج إلى جواز سفر نافذ ومختوم حتى نتمكن من أن نطلب من محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يشفعون لنا بالجنة، ولكن دون جواز وسفر وفيزا وختم للعبور هناك استحالة!! يقول عتيق بن عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي بالجواز.

ويقول ضابط الجوازات أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد أي اعملوا بعمل أهل

(١) سورة الأنبياء: آية ٢٨.
(٢) سورة مريم: آية ٨٧.

الجنة ونحن معكم عند الشدائد نسهل لكن أصعب المهمات، أيها الغريق في بحار المعاصي ارفع يدك لينتشلك حبيب الله فإن له عند الله المقام المحمود وهو الشهيد الشفيع والأمي، كل الخلق ينادي يوم الحشر واغوثاه وانفساه ومحمد يقول إلهي أمتي فيأتي النداء لا تدري ما أحدثوا بعدك وتأتي ابنته بالشفاعة العظمى وهي تنادي إلهي شيعتي فيأتي النداء من بطنان العرش بأي ظلامة تتقدمين فتنادي دموعها واولداه واحسيناه واذبيحاه واعطشاناه واغريباه واسليباه

لابد أن ترد القيامة فاطم
وقميصها بدم الحسين ملطخُ
ويل لمن شفعاؤه خصماؤه
والصور في يوم القيامة ينفخُ

ثم تخرج كفي أبي الفضل العباس عليه السلام وتقول إلهي ما ذنب هذين الكفين، وكأني بامرأة طويلة القامة تشق الحشود وتأتي حتى تقف بين يدي الزهراء عليها السلام فتنادي واولداه واحسيناه فتجيبها واولداه واعباساه واشهيداه واغريباه

يا بضعة الهادي الأمينة
مأجورة يختي يا حزينة
ما قصر ابني بنصر دينه
ولحسين ضحه چفوف إيدينه
ريتچ يزهرة إتشاهدينه
من صوبوا بالسهم عينه
بالطف علت صرخة حنينه
ويصيح أخويه حسين وينه

يـحـضـر عـضـيـده الذابحينه

وبـالـعـمـد راسـه هاشمينه

يـا خـذ الـبـيـرغ مـن يمينه

***

من خاف العيلة فقد أساء الظن بالله

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً﴾. صدق الله العلي العظيم. ٩/ النساء

في الآية التاسعة من سورة النساء أكثر من تهديد لنا بتقديري نحن غافلون عنها ومنهمكون في تأمين متطلبات الحياة المادية لعيالنا وأبنائنا وبناتنا.

١. وليخش

٢. فليتقوا الله

٣. وليقولوا قولاً سديداً

يسعى كل منا سعياً حثيثاً من تأجل تأمين مستقبله ومستقبل أسرته من حلالٍ أو حرام والموضوع عند البعض لا يختلف، المهم أنه شاطر و كما يقال (فهلوي) يسكن قصراً فارهاً وأرصدته في سوق الأسهم عالية والمصارف السويسرية تدور بأمواله، سيارات أُسرته آخر طراز والغداء في بلد والعشاء في آخر والروليت والسياحة على أكمل وجه. المهم كل المتطلبات المادية متوفرة والحمد لله، طبعاً بشطارته!!

أما الروح والأخلاق والدين فلم يؤمِّن أكثرنا لنفسه ما تحتاج فكيف يقدر على تأمين ذلك لأفراد أسرته ومجتمعه!!

لا يُقدر الغالبية خطورة هذا الأمر وإن قلت له يا هذا ارحم نفسك يقول لك (يا أخي الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله) إني أسعى لتأمين مستقبل أسرتي.

السؤال الأول الذي يطرح نفسه هو هل يمكنك أن لا تترك خلفك ذرية ضعافاً تخاف

عليهـم؟ الجواب نعم بمجـرد بلوغ بناتـك ألتزم مبادئ الـشرع الحنيف ولا تكـترث بالعرف السـخيف، أوَّل مؤمن كفوء يطـرق الباب حمِّله المسـؤولية وأنفذ بريشـك. وكذلك الشـباب بمجرد وجود الرغبة وإمكانية الراشـد منهم على تحمل المسـؤولية قل لـه ولدي ألف مبروك، وهكذا توزع المسؤوليات وتموت وأنت مرتاح.

السؤال الثاني المُلحّ الذي يجب أن نجيب عليه من هم الذرية الضعاف؟ هل هُنَّ البنات؟ أم الشباب؟ أم أولادنا القُصرَّ جميعاً؟

الآيـة الكريمة مـن آيـات الإرث وأحكامه في الإسـلام جديدة بالنسـبة لزمـن تشريعها وشـاملة تحقق التوزيع العادل للثروة، لأن الإرث قبل الإسـلام لم يكن مُشرَّعاً وكانت بعض طبقات الورثـة الشرعيين يحرمون المـيراث فالبنات مثـلاً لا يرثن بحجـة ضرورة بقاء الإرث داخل الأسرة والبنـت قد تتزوج مـن غريب فيتنعـم بما ليس لـه، ولقد كـرَّس الأمويون هذا العرف الجاهلي الذي لا زال سـائداً في بعض الأرياف والقرى والصحـاري، حتى في الأمثال تجدونه هـذا (ابن ابنك ابنـك ابن بنتك لا) لقـد كان الدافع هـو إنكار أبـوَّة النبي محمد ﷺ للحسـن والحسـين عليه السلام بدعوى أنهما أبناء ابنتـه وفاتهـم أن عبد المطلب عليه السلام هـو جدُّهم جميعاً.

السـؤال الثالـث هـو صلـب التحذيـر الثلاثـي هـل المقصـود منه اللهـث وراء حطام الدنيا لتأمين مسـتقبل بناتنا؟ أم هو الحث على سـلوك الإعتدال والوسـطية لـو أمعنا النظر في التهديـدات الثلاثة التي تضمنتهـا الآيـة لوجدناها جميعاً تـؤدي لمؤدى واحد وهـو الإعتدال وإنصـاف الآخريـن لينصفونـا فالأمـر الأول هو الخشـية وتعني الخـوف والحـذر، من يخاف القانون لا يخالـف ومن يخـاف الله لا يعصيـه ومن يخاف عـلى عيالـه خاصة الحريـم وأطفاله القُـصر عليه أن يحسـن معاملة أطفـال الناس لكي يحسـن النـاس معاملتهم من بعـده والكل يعلم باسـتحالة مخالفة بعض القوانين والقواعـد والأعراف الكونية، (كما تديـن تدان) والآية لسـان حالها يقول (من ظلـم يتيماً في مالـه فإن ظلمه سـيعود إلى الأيتـام من أعقابـه) لا تظلم

أيتـام الناس أيتامُـك لا تظلـم. وإن أكلت أموال أيتـام الآخريـن أولاً تأكل ناراً وتـرث عاراً وتسـلط على أيتامك جباراً، وجزاء يوم الحسـاب ناراً وقودها الناس والحجارة وقد روي عن الباقر والصادق عليهما السلام: من ظلم سـلطَّ الله عليه مـن يظلمه أو على عقبه أو عـلى عقب عقبه. واويلاه!!

إن كنت تخاف على مستقبل أسرتك اتقي الله وكن متوازناً في سلوكك والله يُسدّدُ خطاك، لا تتجاوز على الآخرين لا يتجـاوزون عليك أما أن تنهب الآخريـن وتفتري على هذا وتظلم ذاك بداعي تأمين المسـتقبل، فالآية تـصرح لك بأن بناء المسـتقبل الزاهر لنفسـك أو لمن تحب يجب أن يبنى على أسـس صحيحة ومال حلال وبتقديرنا لو كان الجميع يسعى سعياً مشروعاً لتأمين حاضره ومسـتقبله لما حـدث هذا الخلـل الاجتماعـي ولتقاربت طبقـات المجتمع أكثر وسـاد الحب والوئام عوض الحروب والخصام، أعني بارتفاع معدلات التقوى والخشـية من الله وانخفاض معـدلات الظلم والتجري على الآخرين سـينعدم تدريجياً خوفنا على مسـتقبل عيالنا وأطفالنا، وبشـكل أكثر وضوحاً ما يجب أن نخاف عليه ونحسـب له ألف حساب هو الجانب الاجتماعي وليـس الجانب الاقتصادي فالرزاق الذي رزقنا لم يغير سـجاياه وكما رزقنا سيرزق أيتامنا ولكن ما سيحتاجونه هو ثمرات سـلوكنا العادل في المجتمع، إذاً علينا أن نغيّر إسـتراتيجية الخوف لدينا من الخوف المـادي إلى الخوف الروحي والنفسي والاجتماعي الذي نبذر بأيدينا بذارَهُ وتجني الأجيالُ ثِمارَهُ.

بمراجعة بسـيطة لسـيرة أئمة الهدى ومصابيح الدُّجى تجدون أنَّهـم حرصوا كل الحرص على مسـتقبل الأُمة لا بالأرصـدة النقدية والعقارات بـل بالقيم والأخـلاق الفاضلة والإرث العلمي الـذي لا يضاهـى، لم نجد في خزائنهـم درهماً ولا دينـاراً يضمن مسـتقبل أيتامهم بل زرعوا الرحمة والعدل والإيثار ولم يقلقهم المستقبل كما يقلقنا.

لقد ترك الحسـين عليه السلام ابنته فاطمة وأظنُّها الوسـطى وهي عليلة لا تقوى على السـفر، تركها وحيـدة في الـدار واصطحب معـه في رحلة الشـهادة ثلاث بنـات هُنَّ سـكينة وفاطمة

الصغرى ورقية وطفلاً رضيعاً له من العمر ستة أشهر وقيل ولد له طفلٌ يوم عاشوراء من إحدى نسائه.

بحساباتنا ربما يقول القائل إن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ زجَّ ذُريَّته الضعاف في أحضان الخطر فعلى ما كان يعتمد؟ لقد كان من أتقى الناس وأكثرهم خشية من الله وكان دائماً وأبداً يُسدّده بالقول والعمل لذلك لم يساوره أدنى شك في حفظ الله لهم ورعايته، ترك فاطمة العليلة في المدينة وهو متماسك وترك رقية لتستشهد في الشام وبمرأى منه أما بقية الأطفال والبُنيات والعيال فقد ضجُّوا بالبكاء والعويل وهم ينادون يا عم يا أبا الفضل أدركنا يا ساقي العطاشى اسقنا، واعمّاه واعباساه واعطشاه واغربتاه ولسان حال سكينة:

عباس يا راعي اللوه يا سورنا العالي أبنيك	يالوالي العطش چتالي
سكنة عزيزة گلبك تگول انظر لحالي أبنيك	يالوالي العطش چتالي
يا عميِّ يرضيك الطفل يتلوع إگبالي أبنيك	يالوالي العطش چتالي
يا عم يضي عيني	من جودك اسقيني

يا عمي يا سكنة يمن بالصبر موصوفه صولاتي	معروفه للناس مكشوفه
عمك على الشاطي انذبح وانقطعت چفوفه صولاتي	معروفه للناس مكشوفه
أول سهم شق جربته والثاني صك شوفه صولاتي	معروفه للناس مكشوفه
يا عم يضي عيني	من جودك اسقيني
صاحت يعمه اشهالخبر عمّي البطل وينه صوته	تسمعينه خوفي گطع بينه

يا عمَّه گوليله العطش ضرنه وماذينه صــوتــه تسمعينه خـــوفي گــطــع بينه

وين الوعد يا بالفضل جاوبها لسكينه صــوتــه تسمعينه خـــوفي گــطــع بينه

يـــــا عـــــم يــــضي عيني مــن جــودك اسقيني

ليلة القاسم

بسـم اللّـه الرحمن الرحيـم: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَـالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْـتَأْذِنُوا كَمَا اسْـتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّـهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّـهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

يمرُّ الإنسان في حياته الدنيا بعدّة مراحل لكل منها خصوصيتها وأحكامها الشرعية التي علينا إتباعها سعياً وراء تحقيق سعادة الدارين.

وتعتبر فـترة المراهقة مـن أخطـر وأدق مراحل حيـاة الإنسـان وأكثرها حساسـية حيث الشباب المتدفق حيوية والمشاعر المرهفة والرومانسية الصعبة الإنقياد لضوابط الشرع والعقل التي تسـاعد على التوازن وحسـن التصرف، وتبادرنا الآية ٥٩ من سـورة النور وما قبلها من الآيات بالدعـوة إلى تنظيم حركة الرجـل والمرأة، الحر والعبد، البالغ والمميز بشـكل إنسـيابي يحفظ حقوق الجميع أثناء الحياة اليومية.

إن حياة الباديـة بحرِّهـا وقرِّها تتسّـم وإن حاولنـا جاهدين تهذيـب ألفاظنـا، بشيء من الصراحة والوضوح الزائـد عن اللـزوم وما مجتمعاتنا المعاصرة بأكثر إحتشـاماً منهـا، فالفتى والفتاة يرون ولو بصورة عفوية ما لايصح النظر إليه مما لايساعدهم على ضبط النفس ومخالفة الشـيطان والهوى بـل على العكـس تثير فيهـم العواطـف الغريزية فيعيشـون البهيمية بأبشـع صورها والإباحية التي عاش القرن العشرين مآسيها وأمراضها الفتاكة.

إن اتِّباع المجتمع لآداب الإختلاط القرآنية التي تنادي بها الآية الكريمة موضوع البحث كفيلٌ لحاله بحفظ المجتمع من أمراض الإنفلات الخلقي الذي تعاني منه اليوم كثير من الدول التي تدّعي التمدّن والتحضر.

---

(١) سورة النور: ٥٩.

مركز البحث هو الاستئذان فالآية الكريمة تقرر حسبما قال المفسرون ان الفتى المميّز والفتاة المميزة اللذان يبلغان الحُلمُ يجب عليهما أن يتأدبا بآداب الدخول على الآخرين خصوصاً في الأوقات الثلاثة التي يحتمل أن يكون الإنسان فيها بملابسه الداخلية أو في وضع لا يصح أن يراه عليه أحد، والأوقات الثلاثة هي كما في الايات السابقات هي:

١. قبل صلاة الفجر.
٢. عند القيلولة الظهرية.
٣. بعد صلاة العشاء.

فهذه الأوقات الثلاث يصورها الحقُّ في كتابه على أنها عورات يجب أن لاتكشف، والإستئذان واجبٌ كما في الآيات على الإماء والعبيد وملك اليمين والأطفال الذين بلغوا الحُلُمَ والذين لم يبلغوه ولكنهم يميزّون بل حتى الحيوانات الأليفة التي غالباً ما تعايش الناس في مساكنهم كالطيور والقطط بل حتى سكان البحار والسماء فان هذه المناظر تؤذيهم وتؤذينا وفي تراث أئمتنا الكثير من الاداب التي كانوا يراعونها في حياتهم، لنبقى مع الآية التي يفيدنا التدبر في معانيها من خلال توضيح الأُمور التالية:

١. تعلق حكم الاستئذان عند الأطفال ببلوغ سن التكليف الذي هو عند الفتيان ١٥ عام وعند الفتيات ٩ أعوام أو بظهور علائم البلوغ التي هي تغيرّ الصوت وظهور الشعر في بعض مواقع البدن والإحتلام والحيض، ويعتبر الفقهاء بدء التكليف بالعلامة التي تظهر أولاً فلو حاضت بنت في سن الثامنة فهي بالغة أو تاخر حتى الرابعة عشر فهي في تمام التسع مكلفة، والفتى إن إحتلم في الثالثة عشر فهو بالغ أو تأخرَّ عن الخامسة عشر فهو مكلفَّ في تمام الخامسة عشر.
٢. ليس الحكم بالاستئذان ببدعٍ من الأحكام بل لقد شُرِّع على الذين من قبلنا كما في الصوم وغيره من التكاليف كانت معهودة عند الأمم السالفة ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ**

عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

٣. هذا الأمر آية من آيات اللّـه وقانون من قوانينه إن إحترم فزنا وسُعِدنا وإن لم يحترم ظلمنا أنفسنا وظهر علينا الإيدز وغيره.

٤. يُبيِّن اللّــه في آخر مقطع من الآية الكريمة إن هذا القانون أصدره ربٌ عليمٌ حكيم دائماً وأبداً يختارُ لنا الخير وهو شديد الحياء من عباده الذين اصطفى وارتضى ويرجو من عباده أن يتجملوا بهذه الخصلة الجميلة والتي هي الحياء، ولقد كان نبينا محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو القدوة والأسوة شديد الحياء غيوراً على عِرضه وناموسه وسار آل بيته الكرامُ على هديه وسيرته.

إذا مرَّ أميرُ المؤمنين عليه السلام ببهائم في حال تزاوج يشيح بنظره عنها وعندما استلقى عمرو بن العاص بين يديه يوم صفين أعرض بوجهه الشريف عنه لقد كان أئمة الهُدى يسترون أجسامهم حتى عن سكان الماء والحمامات العامة، وأوصوا شيعتهم بالعفةِ والحياء في كل مناسبة.

راجع وصايا رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ عليه السلام ليلة زفافه الميمون والتي ذكرها الطبرسي في مكارم الأخلاق عن أبي سعيد الخدري لتلاحظ كيف يؤثر الحياء على تحسين الأداء الإجتماعي وتجنب المجتمع الكوارث التي تسببها الأمراض الأخلاقية الناتجة عن قلَّة الحياء وعدم الإستئذان في الدخول، لولا خطورة الأمر لما وجَّه الرحمن الرحيم أمره إلى المؤمنين بضرورة الإستئذان عند الدخول على أحد، حتى عندما تدخل غرفة أُمّك وأبيك أو غرفة أُختك وأخيك، رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم قدوتنا يستأذن للدخول إلى دار فاطمة الزهراء عليها السلام فتقول له أبه البيت بيتُك والكريمة ابنتك، فيقول بُنيَّة لقد أدّبني ربي فاحسن تأديبي، وهو القائل بابُ فاطمةٍ بابي وحجابها حجابي سيدي يا رسول اللّـه أما الباب فلقد أحرقوه وأما الحجاب فقد هتكوه ولعلك تسألني كيف كانت سلوكية المراهقين من أهل بيت رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم وما هي

(١) سورة البقرة: ١٨٣

أولوياتهم.

لا أجد كثير عناء في البحث عن نموذج لأخلاقيات هذا الجيل من فتيان بني هاشم، فكربلاء يوم العاشر من محرَّم تحكي للتاريخ أروع الملاحم التي سطرها فتيان بني هاشم في سبيل نصرة قيم الإسلام.

جمع الإمام عليه السلام فتيانه يستخير نواياهم ويبين للأجيال صفاء جواهرهم. فبدرت منه إلتفاته لابن أخيه القاسم بن الحسن المجتبى عليه السلام فقال له بني قاسم كيف تجد طعم الموت عندك؟؟ فطأطأ القاسم رأسه وفكرْ مليّاً ثم رفع رأسه وقال بكل فخر وإعتزاز يا عم يا أبا عبد اللَّه إن طعم الموت عندي في نصرتك أحلى من العَسَل فاعتنقه الحسين عليه السلام وبكى وقال له بني قاسم أنت الوديعة من أخي الحسن عليه السلام فكيف أُسلمك لحدَّ السيوف ولعل أُمَّك لا ترضى بفراقك فاذهب إليها واستأذنها، قال يا عم هي التي شجعّتني على نصرتك وقالت لي بيِّض وجهي يوم القيامة أمام الزهراء عليها السلام وتقدم بين يدي عمِّك، فقال له إذن عُد إلى الخيام لتّودع الفاطميات فلما عاد إلى الخيام أحطن به من كل جانب يصحن واقاسماه وأُمُّه وعمتُه الحوراء ينادين ووالداه والقاسم يتصبَّبُ عرَقاً من شدَّة حيائه وأسرع إلى عمِّه الذي ألبسه عمامة الإمام الحسن وقصَّر حمائل سيفه وقلَّده أيّاه ثم إنه ودَّع عمَّهُ وبرز راجلا شاهراً سيفه البتّار وهو يرتجز ويقول:

إن تنكروني فأنا نجلُ الحسن

سبطُ النبيِّ المصطفى والمؤتمن

هـذا حسينٌ كالأسير المرُتهن

بين أُنـاسٍ لاسقوا صوب المزن

ويصفه حميد بن مسلم في حملته فيقول برز إلينا غلامٌ لم يراهق كأنَّ وجهه فلقة قمر عليه قميص وإزار وقد انقطع شسع نعله اليسرى يقاتل قتال الأبطال حتى قتل.

إن يــبــكِـه عــمُّــهُ حُــزنــاً لمصرعهِ

فــمــا بــكــى قــمــرٌ إلاعلى قمرِ

يــبــنــي إمــهــنّــه بــطــيــب نومك

عــريــان مــســلــوبــه هدومك

وحــــرِّ الــشــمــس غــيــرَّ رسومك

ويــــن الــــذي يــاخــذ علومك

لأبــــوك الــحــسن وأهــلــك وگومك

يــا لــيــت يــومــي قــبــل يومك

***

العلم المسبق لدى الأنبياء عليهم السلام

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[1]

نبدأ في بحث مضامين هذه الآية الكريمة من سورة يوسف من باب اللغة، فالنبأ لغة يعني الخبر فيقال وكالة الأنباء يعني مؤسسة توزيع الأخبار ويقال لكل مدّعي لهذا الأمر متنبيء ومن هنا كان لقب الشاعر الكبير أحمد بن الحسين الكوفي لأنه حين قال:

أي عظيم أتقي
أي مكان أرتقي
وكل ما قد خلق
اللّـه وما لم يخلق
محتقر في همتي
كشعرة في مفرقي

قالوا لقد تنبأ الرجل فنودي بالمتنبيء وعلى نفس المبدأ نبؤات مستر داموس التي قويت بها عقيدة شبابنا بمقدار ما ضعفت بقدرة اللّـه المودعة في أنبياءه ورسله والمخلصين من عباده يصدقون كلام المخابرات العالمية ويشككو بكلام اللّـه وهم مسلمون!!! ومن هنا نعرف أن النبي هو الإنسان الذي يصطفيه ربه لينبئ الناس من عند اللّـه لا من عند ياته بشيء من أنباء الماضي وبشيء من أنباء المستقبل التي أطلعه اللّـه عليها ويأخذ بهم إلى شاطئ الرحمة الألهية

(١) سورة يوسف: ١٥

وسعادة الدارين.

وهنا في الآية الكريمة التي تحكي معاناة هذا النبي المبتلى بجماله وحسن خصاله:

بلغ العلى بكماله كشف الدجى بجماله

حسنت جميع خصاله صلوا عليه وآله

إخوته يغرون الوالد يعقوب عليه السلام ويخرجون بالصدّيق يوسف عليه السلام بحجة اللعب والتسلية وما إن يبتعدوا عن الدار حتى يبدأ الاخوة بضرب يوسف عليه السلام ضرباً مبرحاً وهو إذ ذاك ليس له من العمر سوى تسع سنين على روايتنا أو كما ذكر الزمخشري عن الحسن وأضنه البصري سبع عشرة سنة وهذا مستبعد، حتى يصلوا به إلى بئر في بيت المقدس وقيل بالأردن وقيل بين مصر ومدين وعلى بعد ثلاث فراسخ من منزلهم، ويوسف عليه السلام يبكي ويصرخ واأبتاه لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الإماء، ومن هنا يظهر ان أبناء يعقوب عليه السلام عدا يوسف وبنيامين كانوا لأمهات جواري وكان شعورهم بالنقص هذا أحد أهم أسباب الحسد الذي حملهم على إزاحة يوسف عن وجه أبيه، جاؤا به إلى البئر جرَّدوه من قميصه وذبحوا جدياً ولوثوا القميص بدمه ثم ألقوا بيوسف عليه السلام في الجُبّ تعلَّق بثيابهم فنزعوها من يده وأخذ يتوسل بهم لعلهم يرقوا لحاله فقالوا له إدع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي، فنادوه فأجابهم وهو يظن أنها رحمة أدركتهم فأرادوا أن يرضخوه بالحجارة ليقتلوه فمنعهم يهوذا ثم لما سارت الشمس نحو الغروب عادوا إلى البيت معهم القميص الملطخ بدمٍ كذب وتظاهروا بالبكاء ﴿**وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ**﴾.

لنرَ ماحلَّ بيوسف بعدها، لقد أوحى اللّه إليه بما تطمئن به نفسه من أخبار المستقبل وما ستئول إليه حاله وكيف سينبّئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون هبط إليه جبرائيل فتح

التميمة المعلقة على كتف يوسف عليه السلام وكان فيه قميص جدِّه إبراهيم المنسوج من حرير الجنة وألبسه ليوسف عليه السلام وجلس إليه يقص عليه سلسلة الأحداث التي سيمر بها حتى يصبح وزيراً للمال وتدور الدنيا فيأتي إليه إخوته يسترفدونه فيعرفهم وينكرونه فيخبرهم بما جرى وهو العزيز وهم الأذلاء ومن مجمل التفاصيل التي مرت يمكن تلخيص الفوائد التالية:

١. ان نبي اللَّه يوسف الصديق عليه السلام أُوحي إليه وهو ابن تسع سنين كما في الآية وعن الامام زين العابدين عليه السلام.

٢. كان الوحي بأمور مستقبلية ومن جملة الغيب الإلهي الذي أظهر عليه هذا المصطفى والمرتضى (**لا يظهر على غيبه إلا من إرتضى**)

٣. إن قضية إختيار الزوجة يجب أن يوليها طرفي العقد الأهمية اللازمة، فالزواج من إمرأة تنتمي إلى طبقة إجتماعية أقل أو أكثر من واقعك الذي تعيش يسبب الكثير من المشاكل وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (**اختاروا لنطفكم فإن العرق دساس**) وقال (**الخال أحد الضجيعين**) وفي أمثال العامة يقال (ثلثين الولد للخال) فهنا في إخوة يوسف عليه السلام دفع شعور الحسد لابن الست أبناء الجارية على إلقاءه في الجب ومحاولة قتله هذا وهم أولاد نبي وترعرعوا في دار طهر وعبادة، كيف لو كان الأمر مغايراً.

خاتمة المطاف التي نريدها هذه الليلة ومن وحي ما خلصنا إليه هو اننا نجيب على سؤال أصبح يلح علينا نتيجة بعض الطروحات المعاصرة لواقعة كربلاء وعلم الامام الحسين عليه السلام بتفاصيل يوم عاشوراء فنقول إن كانت مصيبة القاء يوسف عليه السلام من قبل إخوته في الجُّب ترَّتب عليها نزول وحيٍّ مطمئن وأنباءٌ بمستقبل باهر فكيف لا نصّدق هبوط الوحي على أشرف الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونستكثر إخباره بمصير ولده الحسين عليه السلام وتفصيل حوادث كربلاء أليست هذه كتلك؟ لا تغص ولا تتبلعم ولا تحاول أن تفصّل عاشوراء الحسين عليه السلام على مقاساتك الدنيوية.

نعم لقد أنبأ اللّـه نبينّا محمد ﷺ بكربلاء الحسين وبالتفصيل الممل بواسطة جبرائيل عليه السلام والنبيُّ أخبر الحسين عليه السلام حتى بادّق التفاصيل وكان الحسين عليه السلام يوضح هذا الأمر لكل من يعترض على خروجه ثم يقول شاء اللّـه أن يراني قتيلاً، ولمن اعترض على حمله النسوة والاطفال شاء اللّـه ان يراهن سبايا، وما حال يوسف كربلاء القاسم بن الحسن عليه السلام بأحسن من حال نبيِّ اللّـه يوسف عليه السلام فلئن ذهب بيوسف عليه السلام إخوتُهُ وألقوه في الجب وتحاشوا قتله، فيوسف كربلاء أحتوشه الأعداء من كل جانب ومزّقوه بسيوفهم ورماحهم، السلام عليك يا وارث يوسف صفي اللّـه يا قاسم بن الحسن المجتبى وعلى إخوتك الذين خاضوا معك بحر الشهادة والفداء عبد اللّـه الأكبر المكنى بأبي بكر والحسن المثنى وعبد اللّـه الأصغر وأحمد يقول حميد بن مسلم خرج غلامٌ لم يبلغ الحلم كأن وجهه شقة قمر وبيده السيف وعليه قميصٌ وإزار وفي رجليه نعلان فمشى يضرب بسيفه فانقطع شسع نعله اليسرى فانحنى ليصلحه فأهوى عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي على رأس الغلام بالسيف ففلق هامته صاح القاسم: وا عمّاه وا حسيناه.

أسرع إليه الحسين عليه السلام وضرب قاتله بالسيف ثم وقف على الفتى وإذا به يفحص بيديه ورجليه، سالت دموع الإمام على خده وهو يقول بني قاسم يعزّ واللّـه على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا يغني عنك هذا صوتٌ كثر واتره وقلّ ناصره قتل اللّـه قوماً قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة جدك وأبوك، ثم وضع صدره على صدر القاسم وسحبه إلى خيمة القتلى وضعه إلى جنب جثمان علي الأكبر عليه السلام جلس يبكي عند هذا تاره وعند هذا أخرى:

جابه ومدّده مابين أخوته بچه عدهم يويلي وهم موته
بسما سمعن النسوان صوته إجت رمله تصيح اللّـه واكبر

خرج الحسين عليه السلام من الخيمة ليأذن للنساء بالبكاء والنياحة دخلت في المقدمة الحوراء

زينب عليها السلام تنادي وا ولداه وا قاسماه:

يبني إمهنّه بطيب نومك   عريان مسلوبه إهدومك
وحرَّ الشمس غيرَّ إرسومك   وين الذي ياخذ علومك
لبوك الحسن وأهلك وگومك   ياليت يومي گبل يومك

مثل حنّ الورگ زينب حناها
ومصاب ابن الحسن جاسم حناها
تشوف چفوفه برض الطف حناها
خضاب الدمه ونشاره الرزيه

حسن الاستجابة

بسم اللّه الرحمن الرحيم:﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾(1)

يقول جل وعلا في محكم كتابه المجيد ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا**﴾ فمنها ظاهر ومنها باطن، ولعل الحواس الخمسة التي اعطاها للإنسان من أفضل نعم اللّه الظاهرة عليه، والآية التي عنونا بها مجلسنا تتحدث عن حاسة السمع وثمرة حسن الإستفادة منها فتقسم الناس إلى قسمين:

القسم الأول: الذين يسمعون فيستجيبون لنداء العقل والإيمان.

القسم الثاني: الذي لا يسمعون وهم كالموتى.

لقد جاء هذا التقسيم كرحمة إلهية على قلب رسول اللّه محمد ﷺ الذي كان يعتصر قلبه من الألم على الذين يدعوهم إلى الاسلام وهو يرفضون، لأنه يتمنى باخلاص الهداية والصلاح لكل البشر فهو رحمة مهداة ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ **[الأنبياء : ١٠٧]** فأراح الرحمن له قلبه وقال له لاتتألم لهؤلاء الذين أصمّوا آذانهم فهم بحكم الموتى وسيردون إلى عالم الغيب والشهادة ويحاسبون حساباً عسيراً.

وفعلاً فانه لا يستجيب إلا الذي يفتح آذان وعيه لما يلقى عليه وهكذا هو الحال مع كل الانبياء والامم التي أرسلوا إليها.

ولو ضربنا لكم مثالاً مبسطاً من حياتنا اليومية لوجدتم صحة هذا الرأي، في المدرسة أو في المسجد والحسينية عندما يتكلم الأستاذ والعالم والخطيب فالطلاب والحضور إن كانوا

(١) سورة الأنعام: ٣٦.

جادين في تحصيل العلم والفضيلة كانوا أذناً كلها إصغاء وإنتباه «**وتعيها أذنٌ واعية**» وبعد مرحلة الاستماع والوعي تتحرك فيهم الاستجابة التي ستكون حتماً متفاوته وحسب درجات الاستماع والوعي والذكاء والاندفاع والرغبة في الأداء.

فمنهم من يكون أثناء الدرس في حديث مع زميله ومنهم من يغيب ويغرق إما في نوم عميق او في هموم تشغله ومنهم من يعبث ويلهو ومنهم من ينشغل بهندام الاستاذ والشيخ او بشكله او بجمال صوته، وأقل القليل هو من يأخذ الأمور بجدية فيحضر بقلبه وسمعه ووعيه ليحصل على العِبرة والعَبرة ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾ [**الزمر : ١٨**].

ومن أغرب ما لاحظت في المجالس التفاعل فوق العادة الذي تتظاهر به الناس إن كان المتحدث يعتقد بتوجهاتهم أو إنه ينتمي لنفس الحزب، ولو أن نفس الكلمات قالها إنسان مستقل أوله توجهات معاكسة فإن الجمهور يبدي الامتعاض أو عدم الاكتراث به وبحديثه وقد يغادورن المكان وتحضرني طرفة حصلت لأحد الزملاء الخطباء، ففي مضافة عربية لأحدى العشائر تحدَّث الخطيب عن الجنة وأنهارها وحورها وأورد عدة آراء بصدد الحور العين وإعتمد أخيراً القائل بأن حور العين هي نفس النساء في الآخرة يرد اللّه لهن شبابهن ويزفهن إلى أزواجهن، وكان شيخ العشيرة على خلاف شديد مع زوجته فما أن سمع حديث الشيخ قام وخرج من المضافة وتبعه أفراد عشيرته وتركوا زميلنا وحده يقرأ لنفسه حتى أتم القراءة ثم توجه إلى الشيخ بالعتاب على خروجه من المجلس فقال له مولانا أنا في الدنيا لا أطيقها فكيف تحملنيها في الآخرة، زبدة الكلام إننا ندعوا لحسن إستخدام هذه الحاسة الخطرة والتي تشبه الكومبيوتر في عملها، إملأها علماً ونوراً وإيماناً تشع به وتكون أسرع الناس إستجابة لأوامر اللّه وأكثر الناس خوفاً وورعاً عن محارم اللّه.

أما إذا ملأتها غيبة ونميمة وموسيقى وأغاني وبهتان فسيموت قلبك وسمعك ووعيك بل تصبح حسب قانون هذه الآية بحكم الموتى، فاختر لنفسك أحسن النهجين لقد كان الأنبياء أكثر وأسرع الخلق إستجابة للّه وإمتثالاً لأوامره وإمتناعاً عن نواهيه ونتيجة لذلك

منحهم اللّه أفضل الإمتيازات، ولعلكم تتوقعون أموالاً وقصوراً وغير ذلك، لقد كانت الامتيازات مِحنٌ وإبتلاآت ترفع درجاتهم أكثر وأكثر:

فحباهم بكل فضل عظيم

وبمقدار ماحباهم إبتلاهم

علينا أن نحسن الاستماع لنوفق لحسن الإستجابة كما وعن خيرة أصحاب رسول اللّه ﷺ أمثال سلمان وعمار وأبوذر والمقداد رضوان اللّه عليهم لا كما سمع الآخرون وصدوا عن السبيل وتهافتوا على حطام الدنيا، أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «الدنيا جيفة طلابها كلاب» لنسمع كما سمع الصفوة المصفاة واعية الحسين عليه السلام يوم عاشوراء لقد أحسنوا الإستماع وإستجابوا كامل الإستجابة واختاروا الحياة الأبدية خلدتهم مواقفهم فهاهم أحياء في وجدان الأجيال وأحياء عند ربهم يرزقون، لقد أكثر الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الوعظ والإرشاد يوم عاشورا ولكن عبيد الدنيا صمّوا وعموا، وضعوا وقراً في آذانهم بل أخذوا يضربون بالطبول والصنوج ويثيرون الضجيج خوفاً من أن تتسلل كلمة من كلمات الحق إلى آذانهم ثم إلى قلوبهم وعقولهم لقد ملئت قلوب القوم ريناً وبطونهم حراماً واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر اللّه الحميد، فهم أموات وهم على ظهور جيادهم وأموات وهم يقتلون ابن بنت رسول اللّه ﷺ وأموات في ذاكرة التاريخ و أموات يوم القيامة وكلام اللّه على ما نقول شهيد، وهنا ألفت الأنظار إلى حقيقة مهمة جداً وهي ان الحسين عليه السلام ومن معه ساروا إلى حتفهم ظاهراً وفي الحقيقة والواقع تقدموا نحو الحياة والخلود، وهذا يعني ترتيب آثار أخرى غير التي يرتبها الناس على حركة الإمام حيث يصورونه وكأنه ينتحر تارة أو طالب حكم أخرى قليلون أولئك الذين يفهمون كيف يفكر الإمام المعصوم ومن معه!!

ما نراه حياة بنظرهم هو الموت الزؤام وما نراه الموت فهو بنظرهم الحياة الأبدية وهو أحلى من العسل بنظر الفتى الذي لم يراهق. جاء القاسم بن الحسن عليه السلام يستأذن من عمه

للقتـال، فعانقه الحسـين عليه السلام وارتفـع صوتهما بالبـكاء والنحيب وقـال له: بني قاسـم أنت الوديعة من أخي الحسـن عليه السلام فكيف أسـمح بقتلك ثم قال له وهو يريـد أن يعرّفنا بعظمة هذا الشاب الحسني ونمط تفكيره: بني قاسم كيف تجد الموت عندك؟ فانطلق الغلام وبكامل الثقة يقول: يا عم في نصرتك أحلى من العسـل، من علَّم هذا الفتى هذه الفلسـفة وهذا الفهم للموت والحيـاة، إنها واعية الحسـين عليه السلام لقد سـمع صـوت عمه وهـو ينـادي ألا هل من ناصرٍ ينصرنـا ألا هل من مغيث يغيثنا ألا هـل من مجير يجيرنا ألا هل مـن ذاب يذب عن حرم رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله وسلم، سمع القاسـم هذا النداء بقلب واعي وأذن صاغية فاسـتجاب لنداء عمِّه وإستعذب الموت من أجل حياة المبدأ بعد أن أرخصه عمه تقدم وهو يقول مرتجزاً.

إن تنكروني فأنا نجل الحسن
سبط النبي المجتبى والمؤتمن
هـذا حسين كالأسير المرتهن
بين أناس لاسقوا صوب المزن

قاتـل قتال الأبطـال وقتل من القـوم مقتلة عظيمـة حتى رهقـه عمرو بن سـعد بن نفيل الأزدي بالسـيف ففلق هامته وهو مشـغول بإصلاح شسـع نعله، وإذا بالنداء ياعم ياحسـين أدركني أسرع إليه فرآه يفحص بيديه ورجليه نادى بني قاسـم عزَّ واللَّـه على عمِّك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا يغنـي عنك هذا صوت كثر واتـره وقلَّ ناصره قتل اللَّـه قوماً قتلوك ومن خصمهم يـوم القيامة جدُّك وأبـوك ثم وضع صدره عـلى صدر الغلام وحملـه إلى خيمة القتلى ورجلاه تخطُّ الأرض وضعه إلى جنب ولده الأكبر وصار يبكي عنده سـاعة وعند ولده أُخرى.

جـابـه ومـــدَّده مـا بـين أُخوته بـچـه عـدهـم يـويـلي وهـم موته
بـسـا سـمـعـن الـنـسـوان صوته أجـت رمـلـة تـصيح الـلَّـه وأكبر

***

واقـــبـــل الـــســـبـــط يحـــنـــو مـــن تفجعه عـــلى هـــلال هـــوى خـــســـفـــاً بمطلعه

أهـــــوى عـــلـــيـــه لـــيرويـــه بمدمعه إن يـــبـــكـــه عـــمُّـــه حـــزنـــاً لمصرعه

فما بكى قمر إلا على قمر

***

يـــقـــول ياعـــم يـــــوم زاد واتره وقـــــلَّ فـــيـــه لـــدى الـــشِـــدّات ناصره

مـــن لـــلـــزكـــي لـــعـــرس المـــجـــد يحضره يـــا ســـاعـــد الـــلَّـــه قلب السبط ينظره

فرداً ولم يبلغ العشرين في العمر

***

يـــبـــنـــي إمـــهـــنـــه بـــطـــيـــب نومك عـــريـــان مـــســـلـــوبـــه هدومك

وحـــــرِّ الـــشـــمـــس غـــــيرَّ إرسومك ويـــن الـــــذي ياخذ إعلومك

لأبـــوك الحـــســـن واهـــلـــك وگومك يـــا ريـــت يـــومـــي گـــبـــل يومك

***

مجلس القاسم وفتح مكة

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[1]

منذ مدة وأنا أفكر في سير الكثير من الناس عكس الإتجاه الصحيح إنطلاقاً من قاعدة تمثل أفضل نموذج لهذا السلوك الشاذ وهي قاعدة «**خالف تعرف**»

وكم جرَّ علينا إتباع هذه القاعدة من ويلات هذا في حال ان الغالبية العظمى من الناس على حق وهدى والأقلية الشاذة هي التي على الخطأ، ولو إن الواقع يثبت خلاف ذلك لقوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾ ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ وبالمقابل ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ ﴿**قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ ومن خلال التأمل العميق في مفردات هذه الآية الكريمة نرى هذه المجموعة الكبيرة من أهل الكتاب وهم على ما قاله الفخر الرازي في تفسيره الكبير المؤمنون من اليهود والنصارى بأنبياءِهم وكتبهم وهم على هذا قد وجدوا ذكر نبيِّنا مُحمَّد ﷺ في التوارة والإنجيل والزبور.

وكان أحبارهم وكهّانهم يبشّرون الناس بنبيٍّ يأتي بعد المسيح إسمه أحمد وهو الصادق الأمين وبين كتفيه خاتم النبوة وعشرات العلائم الدالة على ظهوره وإنتشار دينه.

ولا يسع أحداً إنكار ما ورد عن الراهب بحيرا الذي استقبل أبا طالب في رحلته إلى بصرى الشام والعلامات التي رصد بها حركة النبي ﷺ وتوصياته لأبي طالب في الحفاظ على رسول اللّه ﷺ وتحذيره من غدر اليهود، لقد كان طبيعياً اختلاف اليهود والنصارى مؤمنهم وكافرهم لو إنهم إختلفوا قبل ظهور البيّنة التي أجمع كل المفسرين إنها نبوة

---

(١) سورة البينة: ٤.

مُحمَّد ﷺ وبعثته وإنطلاقة دينـه خاتم الأديان لكـن الملاحظ إنهم من خلال الآيـة ما تفرّقوا إلا بعد أن جائتهم البيّنة حيث كان الأولى أن يرضخوا لها ويتحدوا.

لاحظوا إن سـلوك هؤلاء عكس الإتجاه الصحيح مائة بالمئة ولتقريب المعنى إلى الأذهان اورد بعض الأمثلة من الحياة الواقعية التي نعيشها.

لو فقدنـا غرضـاً معيناً في البيـت وقام جميـع أفـراد الأسرة يبحثـون عنه وبعـد قلق كبير وبحث وتفتيش واختلافٍ في وجهات النظر في إحتمالات العثور على الغرض المفقود، وما إن يضع أحدنا يـده على الغرض المفقود حتى تهـدأ النفوس وينتهي اختلاف الآراء وفي المدرسـة عندما يبدأ المدرس بتدريس التلاميذ ترتفع عشرات الأيدي للأستئذان بالسؤال وما إن ينتهي الأسـتاذ من الدرس ويضع النقاط على الحروف وياتي طلابه بالبينة حتى يقرّ الجميع ويذعنوا لمنطق العقل والعلم.

وكثـيراً ما يحتدم نقـاش الساسـة حـول القضايا الأكثـر حساسـية بنظر كل واحـد منهم ويختلفون على الأولويات وما إن يسـتلم كل منهـم نصيبه حتى تهدأ العاصفـة وتلتقط الصور التذكارية ويضع الخصم يده في يد خصمه وعدوه ويتناسى الطرفان ملايين القتلى وأنهار الدم التي جرت بينهما والشعوب تدفع الثمن.

هذا الحال يبين ان اليهود والنصارى قبل الإسـلام كانت مصالحهم في أمان ولا يخشـون زوال كياناتهم فالكلمـة متفقة والكل مؤمن ومصـدِّق بكل ما ورد في التوراة والإنجيل بشـأة نبوة سـيدنا مُحمَّد ﷺ بل أكثر من ذلك كانوا يتفائلون بذكره بالخصـب والظفر، تبدل الحال عند ظهور الإسـلام فأحسّـوا بالخطر على مصالحهم وكياناتهم فأنكر قسـمٌ منهم وسكت عن الحق آخر وما رضي بالبينة إلا صفوة تعدّ على الأصابع.

نتيجة لهذا إنشطر المجتمع إلى فريقين ذكرتهم الآيات الباقية من السورة:

١. الفريق الأول شر البرية وهم الذين كفروا وأنكروا وأشركوا وهم الأكثرية للأسف.

٢. الفريق الثاني خير البرية وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم الأقلية.

ولم يكن هذا حال بني إسرائيل لوحدهم فالتجربة هذه تكررت في صدر الاسلام حيث كانت قريش قبل الاسلام تعرف النبي بالصادق الأمين ويقبلونه حكماً لحل نزاعاتهم،

وما إن طلب منهم أن يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأنه رسول اللّه حتى قامت الدنيا ولم تقعد لقد شعروا بخطر يتهّدد كياناتهم وأصبح الصادق الأمين بالأمس بنظرهم اليوم كاذبا وساحراً وشاعراً ودجالاً.

كذلك الحال بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام فلقد كان بنظر الصحابة ولو ظاهراً الفارس الأول والفتى المدلل عند رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقدمه النبي بامر اللّه في المهمات ويمنحه الوسام تلو الوسام، من يوم إنذار العشيرة حيث الوصية والوزارة إلى الطائر المشوي إلى راية فتح خيبر إلى الخندق إلى الأختصاص بسيدة نساء العالمين وفي هذه السورة وسام من أرفع الأوسمة.

بالإستناد إلى جابر بن عبداللّه الأنصاري رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال النبي: قد أتاكم أخي، ثم إلتفت إلى الكعبة فضربها بيده ثم قال والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، إنه أوّلكم إيمانا وأوفاكم بعهد اللّه وأقومكم بأمر اللّه وأعدلكم في الرعية وأقسمكم بالسّوية وأعظمكم عند اللّه مزية، قال فنزلت ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾ قال فكان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبل عليٌّ عليه السلام قالوا: جاء خير البرية حتى لحظات قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول لمن حوله من نسائه ادعوا لي حبيبي تقول عائشة فأرسلتُ بلالاً ليدعوا أبي فلما جاء أدار النبي وجهه وقال إئتوني بحبيبي فأرسلت حفصة بلالاً خلف عمر فلما حضر أدار النبي وجهه وقال أريد حبيبي فقالت عائشة إطلبوا علي بن أبي طالب فإنه لا يريد سواه، فهو أحب الرجال وفاطمة أحب النساء إليه.

علمت الأمة كل هذا وقبل دفن جثمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإذا بهم ينقلبون على الأعقاب وينكرون كل هذا حتى قولهم للأمير يوم الغدير في حجة الوداع بخ بخ لك يا علي أصبحت مولانا ومولى كل مسلم ومسلمة، إستضعفوا آل الرسول، ألجموا دور العقول، كسروا ضلع

البتول، نعم لقد أحسوا بالخطر يتهددهم ووجود أهل البيت يمنع وصولهم إلى مراكز القرار والسلطان فقرروا استئصال شأفتهم من على وجه الأرض، أصبح حتى جنين آل مُحمَّد ﷺ يشكل خطراً عليهم، حتى الذي سالمهم وترك لهم الجمل بما حمل لم يحتملوا وجوده، أعني الإمام الحسن عليه السلام فلقد دسوا إليه السم وقتلوه. ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾

فاتهم إن اللَّه بالغ أمره والحق رغم خصومه غلاب وإن إرادة اللَّه فوق كل إرادة، لم يرضخ خير البرية لإرادة شر البرية يوماً من الأيام تصدَّوا لهم بكل ما أُوتوا من قوة، فبعد أن كشف الإمام الحسن عليه السلام بحلمه وعصمة آرائه وسياسته للناس أحوال ملوك بني أُميَّة وعرّف الناس إنهم لا يمتون إلى الاسلام بصلة فشيخهم أبو سفيان أقسم باصنامه في دار عثمان بن عفان إن الموضوع الأساسي هو السلطة لا المبادئ فقال «تلاقفوها يا بني أمية تلاقف الصبيان للكرة فو الذي يحلف به أبو سفيان لا جنة ولا نار، إنما هو الملك»

وهاهو معاوية يقف بين يدي الإمام الحسن عليه السلام بعد الصلح ويعلن للناس ان الصلاة والصوم والحج وفرائض الإسلام كلها لا تعنيه والعهد الذي يقول القرآن بعظمة مسؤوليته وضعه معاوية تحت قدميه ثم إستخلافه لولده شارب الخمور المتجاهر بالفسق والفجور كان آخر وأهم الأدلة على عقيدة أشرار البرية.

بعد أن كشف الإمام الحسن عليه السلام كل هذه الأمور للناس أصبح الظرف مناسباً للثورة والكفاح المسلح بالمصطلح العصري، ولم يمضي الإمام عليه السلام إلى ربه مظلوماً مسموماً صابراً محتسباً حتى أعدَّ سبعة من أولاده لنصرة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء إستشهد خمسةٌ منهم وجرح الأكبر وهو الحسن المثنى في المعركة وإستنقذه أخواله بنو فزاره وعالجوه حتى شفي بعد عامٍ ونصف وعاد إلى المدينة، وأُسر الأصغر المدعو عمرو وعمره ٩ سنوات.

ولكن أوجع المصائب على القلب كان مصيبة الفتى الذي لم يراهق وهو القاسم عليه السلام يقول حميد بن مسلم وخرج من بين الخيام غلامٌ لم يبلغ الحلم كأنَّ وجهه فلقة قمر، على رأسه

عمامة وقد إرتدى قميصاً وإئتزر بآخر يمشي يعني لم يبرز لهم راكباً بل راجلاً وبيده سيف وفي رجليه نعل لا أنسى قد إنقطع شسع اليسرى وهو يشُّد على الناس ويرتجز قائلاً:

إن تنكروني فأنا نجل الحسن

سبط النبي المصطفى والمؤتمن

هـذا حسين كالأسير المرتهن

بين أُنـاسٍ لاسقوا صوب المزن

قاتـل قتـال الأبطـال حتـى قتـل وحملـه عمُّـه الى خيمـة القتـلى وجلـس بينه وبـين عليٍّ الأكبر عليه السلام يبكي على هذا ساعة وعلى هذا أُخرى وإذا بزينب عليها السلام لشـدَّة حرصها على الحسين عليه السلام تدخل الخيمة منادية وا ولداه وا قاسماه.

خرج من الخيمة ليسمح للنساء بالبكاء الثاكلات بلقاء الشهيد الغالي، دخلن عليه بالبكاء والنياحة وكأني بالأم الحزينة تنادي:

أنـــا الـــــوادة وانـــتـــه ضناها والــــــوالــــــدة تــطــلــب رباها

يـــومـــك يـــالـــوحـــيّــد عماها ومــصـــابـــك ضـــلـــوعـــي حناها

***

خـضـبـوا ومــا شـابـوا وكـــان خضابهم
بـــدمٍ مــن الأوداج لا الحناء

تـلــك الــوجــوه المــشرقــات كأنها
الأقــمــار تــسـبـح فـي غـديـر دماء

القاسم وعهد الشهادة

بسم اللّـه الرحمـن الرحيم: ﴿مِـنَ الْمُؤْمِنِـينَ رِجَـالٌ صَدَقُوا مَـا عَاهَـدُوا اللَّـهَ عَلَيْـهِ فَمِنْهُـمْ مَنْ قَضَـى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1]

في رحـاب الآية ٢٣ مـن سـورة الأحزاب هـي من السـور المدنيـة وتتضمـن الكثير من المعارف والأحـكام والقصص والمواعـظ والعبر، وإنما سـميّت بالأحزاب لأنها إسـتعرضت وقعة الخنـدق التـي تحزَّبت فيهـا القبائـل مع اليهـود من بنـي قريضة ضـد النبـي وحاصروا المسـلمين، هذه المعركة الفاصلة التي تزلزلت فيها القلوب وانكشـفت فيها السرائر حيث بلغ الخوف ذروته وما كان أحد من المسـلمين ليجرؤ على الخروج لقضاء حاجته، وكان بطل هذه المعركة دون منازع أسد اللّـه الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

مقدمة ومن خلال التدبر في الآية المباركة يتبين لنا ان بين المؤمنين وبين اللّـه عهد وميثاقٌ ونذر، صدَّقه ووفى به قسـم منهم والقسـم الآخر ينتظر دوره بالوفاء وهو ثابت لم يتزعزع ولم يتغير ولم يتبدل ويسـتفاد مـن أول الآية عـدَّة أُمور نحن بأمّس الحاجة إلى فهمها وإسـتيعابها وهي:

١. ليس كل المؤمنين رجال فلقد تقدمت مـن التي تفيد التبعيض وهذه القضية لو مارسـناها في حياتنا لما ظلمنا أحـداً أبداً، فالكثير منا يعم الآخرين دون اسـتثناء إذا رضي برضاه وإذا سـخط بسـخطه، فلو أنه صادف عالماً ورعاً فاضلاً قال كل العلماء على هذه الشـاكلة وإذا صادف طبيباً أو تاجراً ليس في قلبه رحمة شتم كل الأطباء والتجار. فلنتأدب بأدب القرآن.

(١) سورة الأحزاب: ٢٣.

٢. يظهر إن الصفوة المصفاة من المؤمنين هي التي تفي بالنذر والعهد لأنها تعرف قيمته وقد صَّح عن سيد الكائنات مُحمَّد ﷺ انه قال «**لادين لمن لا عهد له**» وسئل زين العابدين عليه السلام عن جميع شرايع الدين فقال «**قول الحق والحكم بالعدل والوفاء بالعهد**».

٣. سؤال نطرحه على الضمائر الحيَّة التي في إجابتها شفاء صدور قوم مؤمنين ومنها تتوضح أهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام المباركة نقول متى كان هذا العهد ومتى أُبرم هذا الميثاق ومتى نذر المؤمنون نذرهم هذا الذي وفوا به؟؟ هل كان ذلك في عالم الاشباح أم في عالم الأرواح؟ أم بعد خلق الخلق؟؟ أم عند لقاء رسول اللَّه ﷺ؟ أم عند تعميق الايمان؟ في حديث مشهور يروى عن سيد البشر انه قال: لو علم الناس متى سمي علي أميراً للمؤمنين لما جحدوا فضله، قالوا يا رسول ومتى كان ذلك؟ قال عندما أخذ اللَّه ميثاق الخلق وأشهدهم على انفسهم قال ألست بربّكم قالوا اللَّهم بلى: قال ومُحمَّدٌ رسول اللَّه وعليُ أميرُ المؤمنين، إذا فميثاق إنعقد في عالم الذر ورحم اللَّه الشاعر الذي يقول:

قلبي بكم ياآل طه مغرم
وبحبكم أنا ذائب ومُيتَّمُ
ولاجلكم بين الأنام أُكرَّمُ
فإذا وقفتُ بمدحكم أترَّنمُ
صلَّى الجميعُ على النبي وسلَّموا
فاللَّه حين برا الأنام وصوَّرا
أشباحكم وبها الوجود تنوَّرا
وبفضلكم جبريل جاءَ مُخبرًّا
أُخِذَت مواثيقُ الوَلاِء من الورى
لِمُحمَّدٍ فهو الحبيب الأعظم

إذ قال

بـــاريـــنـــا ألـــســـت بربّكم
ومُـحـمَّـد خـيـرُ الأنـــام نبيُّكم
وعــلـــي بـــالإيـــمـــان صـــار أميركم
قلنا بـلـى شـهـدت جـوارحـنـا بكم
حّـــبـــاً كـــمـــا أدلـــى بـــذلـــك آدم

بعد هذه التوضيحات دعونا نسرّح النظر قليـلاً في مجريات معركة الخندق التي يتجاهلها إعلام الفضائيات الإسـلامية خوفاً من إطلاع الأجيال على سـيرة بطل الاسلام الخالد الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام إنهـم لا يأتون على ذكرهـا لا في الأفلام ولا النـدوات ولا في الكتب تحاشياً لذكر علي عليه السلام وكذلك الحال بالنسـبة لوقعة خيبر وذات السلاسـل التي فيها نزلت سورة العاديات.

على كل حال في العام الخامـس للّـهجرة تحركت قريش وإسـتنفرت قبائل كنانة وسـليم وفزارة فوافوا في عشرة آلآف مقاتـل يتقدّمهم فـارس يليل عمرو بن عبـد ود العامري الذي يعد وحده بألف فارس. ويهود بني النظير في خيبر برئاسة حيي بن أخطب، وكذلك بنوعمهِّم بنوقينقاع، وكان بنـو قريضة قد تعاهـدوا في المدينة لرسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم معاهدة عـدم إعتداء فنقضوا عهدهم وزحفـت الأحزاب وحـاصرت النبي والمسـلمين الذين لا يتجـاوز عددهم السـبعمائة فأستشـار النبيُّ أصحابه فقال سـلمان المحمدي رضي اللـه عنه: يا رسـول اللّـه إن القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فما نصنع ؟

قال نحفـر خندقاً يكـون بيننـا وبينهم حجابـاً لا يمّكنهـم أن يأتونـا من كل وجـه فنزل جبرائيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول صلى الله عليه وآله وسلم إن سلمان رضي الله عنه أشار بالصواب، ثم خط النبيُّ الخندق وقسَّـم العمل وجعل على كل عشريـن أو ثلاثين خطوة مجموعـة من المهاجرين والأنصار، فحفـروا الخندق حتى إعترضتهم صخرة كبيرة عجزوا عنها فإسـتنجدوا برسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم فجاء إليها وضربها بمعول ٣ ضربـات تلمع فيها كل مرة فيكّبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم و يكّبر

المسلمون وهم يرون قصور الشام تارة والمدائن أخرى واليمن ثالثة فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أما إنه سيفتح اللّه عليكم هذه المواطن التي برقت، ثم بعد أن أكملوا حفر الخندق يقول جابر الانصاري رضي الله عنه علمت أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم جائع وقد ربط حجراً على بطنه فقلت يا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم هل لك في الغداء؟ قال وما عندك ياجابر قلت عناق وصاع من شعير، والعناق هي العنزة الصغيرة، قال قم وأصلح ما عندك. فجئت إلى أهلي فطحنت الشعير وذبحت العنزة وجهزّتها وأمرت إمرأتي أن تخبز وتطبخ فلما إنتهينا جئت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقلت بأبي أنت وأمي لقد فرغنا فتفضّل مع من أحببت، فوقف على شفير الخندق ونادى أجيبوا جابر، فتقدّمت إلى البيت وقلت لأهلي قد واللّه أتاك رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بما لا قِبَلَ لِك بهِ، فقالت أعلمته بما عندنا قلت نعم، قالت فهو أعلم بما أتى. ثم إن النبي أدخل عشرةً عشرة وأطعمهم حتى شبع الجميع والأكل على حاله، وبدأت المعركة بعد ثلاثة أيام من انتهاء حفر الخندق وإستمرت الحرب خمسة عشر يوماً، وفيها حدث ما لا يمكن كشفه من خيانة وإظهار نوايا السوء على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم من حلفاءه اليهود ومن بعض أصحابه، عندما بدأ عمرو بن عبد ودٍّ يصول ويجول وهو يرتجز منادياً:-

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز

ووقفت إذ جبن الشجاع مواقف القرن المناجز

إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم من لعمرو وأنا ضامن له الجنة فلم يجبه أحد، فقام علي عليه السلام وقال أنا له يا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم. وفي الثالثة أدناه منه وعمَّمه بيده ودفع إليه سيفه ذا الفقار وقال له إذهب وقاتل بهذا ثم رفع يديه بالدعاء له قائلاً اللّهُم إحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته، ثم قال برز الإيمان كلُّه إلى الشرك كُلِّه فبرز الإمام مهرولاً وهو يقول مرتجلاً:-

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نيـةٍ وبصيـرةٍ والصـدق منجـي كل فائـز

أنـي لأرجـو أن أقيـم عليـك نائحـة الجنائـز

مـن ضربـةٍ نجـلاء يبقـى صيتهـا عنـد الهزاهـز

فدار بينهما كلام وتبادلا الضربات فجرح عمرو رأس علي عليه السلام وقطع علي ساق عمرو ثم جثم على صدره وإحتزَّ رأسـه وعاد إلى رسـول اللّـه وإبتسـامة النصر تملأ وجهه الشريف فكبَّر النبي وكبَّر المسـلمون ثم قـال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قولته المشـهورة ضربة علي يـوم الخندق تَعدِلُ أو أفضل من عبـادة الثَقَلين نعـم وكما فعل النبـي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق فعل الحسـين عليه السلام يوم عاشوراء عندما جاءه القاسـم بن الحسـن عليه السلام وهو يقول ياعم يا حسين لقد ضاق صدري وسـئمت الحياة الدنيا فأذن لي بمبارزة هؤلاء القوم فنادى الحسـين عليه السلام عـلى أخته الحوراء زينب أُخيَّه إئتني بسـفط أخي الحسـن فألبَس القاسـم رداءه وعمَّمه بعمامتـه وقصَّرله حمائل السيف وقلَّده به وعانقه وبكى ثم تقدم القاسم وهو يرتجز ويقول:

إن تنكرونـي فأنـا نجـل الحسـن

سـبط النبـي المصطفـى والمؤتمـن

هـذا حسـين كالأسـير المرتهـن

بيـن أنـاس لا سـقوا صـوب المـزن

أقول لقد عـاد أمير المؤمنـين عليه السلام يوم الخنـدق إلى رسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم منتـصراً ورأس عمرو بيـده والدم ينزف من رأسـه، وأما القاسـم فقد سـقط على الأرض شـهيداً يخور بدمه وهو ينادي يا عم يا حسـين أدركني، أسرع إليـه وهو ينادي بني قاسـم عزَّ واللّـه على عمِّك ثم تلا قوله تعـالى **﴿فَمِنْهُم مَّـن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُـم مَّن يَنتَظِرُ وَمَـا بَدَّلُوا تَبْدِيـلاً﴾** [الأحزاب : ٢٣] وكان عليه السلام كلما إستشـهد من أهل بيته أو أصحابه واحد يرتل هذه الآية وكأنه يذكرنا بمواقف أمير المؤمنين الذي يقول لقـد نزلت هذه الآية ومصاديقهـا في عمي حمزة الذي قضى نحبه ووفى بعهده وأخـي جعفر الطيار الذي قـضى نحبه ووفى بعهده وبقيت أنـا أنتظر دوري

بالشـهادة، نعم هكذا كان الحسـين يؤكد وفـاء أهل بيته وأصحابـه بعهودهـم ونذورهم وإنه ينتظر دوره المرسوم.

يــا شــبــان بــالــلَّـــه لا تونّون
تـشـعـبـون گـلـبـي مــن تحنّون
شــبـــان مـــثـــل الـــــورد يزهون
وســافــة عــلــى الــغــبــرة تنامون
گـضـوا حـق الـعـلـيهـم دون الخيام
ولا خلوا بـنـات حـسـين تنظام
لـمـن طـاحـوا تـفـايـض منـهـم الهام
تـهـاووا مثل مـهـوى الـنجـم مـن خرَّ

***

تــلــكَ الــوجــوه المــشرقــات كأنها
الأقــمــار تـسـبـح فــي غـديـر دماء
خـضـبـوا وماشابوا وكــان خضابهم
بـــدم مـــن الأوداج لا الحنَّاءِ

دفاعٌ عن الصدِّيق

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[1]

دائماً وأبداً يقول المنطقيون تأتي النتائج على ضوء المقدمات فالذي يبنى على أُسس صحيحة يأتي بناءه صحيحاً، وإعتماداً على هذه القاعدة فان أي باحث في سيرة شخصية ما عليه أولاً أن يتعرف على صفاته وخصوصياته لكي يتمكن من الوصول إلى النتائج الصحيحة.

ونتيجة لاختلاف وجهات نظر المذاهب الاسلامية في عصمة الأنبياء عليهم السلام فقد أساء البعض ونسب ما لاينسب إلى ساحة قدسهم ولعل نبيَّ اللّه يوسف الصدِّيق عليه السلام من جملة الأنبياء الذين ظلموا من هذا الباب في موضوع جارح لا نرتضيه في القرن العشرين لأقل مصلح ولا أبالغ لو قلت بأن الأمريكان لم يرتضوا نظيره لرئيسهم الحالي. إذاً قبل كل شيء حين نعتقد بعصمة أنبياء اللّه أجمعين فانه يستحيل أن نتوقع صدور أيَّ أمرٍ يتنافى مع عصمتهم وكرامتهم وسيعصمنا هذا الأعتقاد من الوقوع في خطأ توّهم نسبة الأمور المشينة إلى ساحة قدسهم وطهرهم يوسف عليه السلام بعد أن وصل إلى دار الحاكم بمصر والذي طلب من زوجته زليخا التي كانت باهرة الجمال أن تكرم مثواه عسى أن يتخذّه ولداً ومن هنا يظهر أن

---

(١) سورة يوسف: ٣١.

عزيز مصر كان غنياً وليس له أولاد، نشأ يوسف حتى بلغ مبلغ الرجال وعناية اللّـه لا تفارقه لحظة واحده فعندما بلغ أشده آتاه اللّـه حكماً وعلماً في تأويل الأحاديث وهذا يعني إنه أصبح حكيماً يضع الشيء في موضعه ويتحكم بغرائزه وعواطفه ولا ينساق لها كانسياق سائر الناس ثم إنه نبي يتنبأ أوقل يتوقع الكثير من الأمور إن لم تقولوا بالرعاية الألهية فبالفراسة وقد ورد في الحديث المأثور: «**إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بعين اللّـه**».

لطفاً ضعوا كل هـذه المقدمات نصب أعينكم وتعالوا لنرى يوسف عليه السلام وقد إنفردت به زليخا في إحدى غرف القصر وغلقّت الأبواب بإحكام ودعته إلى نفسها وهنا وقعت الواقعة وأخذ كل واحد يفسِّر الحدث على ذوقه وذهبوا شرقاً وغرباً ودعموا وجهات نظرهم بأحاديث ما أنزل اللّـه بها من سلطان، ثمانية آراء لكبار المفسرين كلها تتوقع أن يهِّم يوسف عليه السلام كما همَّت به زليخا.

ولم يفكر أحدهم بأن البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام كان علمه وحكمته والنبوة والعصمة التي سبقت الموقف فالمعنى يستقيم هكذا لو لم يكن يوسف عليه السلام نبياً معصوماً قد رأى برهان ربه لَهَم بها كما همَّت بهِ، فبتقديم رؤية البرهان ينتهي كل شيء على ما يرام.

وبقليل من إمعان النظر في قوله تعالى ﴿**لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ [يوسف : ٢٤]. نرى بانه لو كان الأمر على ما يصفون لقال الحقُّ فيه «لنصرفَهُ عن السوءِ والفحشاء» وهذا يعني أن يوسف عليه السلام لم يفكر لحظة واحدة بزليخا لأنه عبدٌ مستخلص ولايوجد في قلبه إلّا حُبَّ اللّـه.

ومما يؤكد نزاهة النبي يوسف عليه السلام عَّما نسبهُ جهَلَة الناس إليه في هذا الموقف التصريحات والاعترافات التي حملتها الآيات التالية التي جعلناها مورد البحث.

فبعدما أخذت الشائعات مأخذها وعلمت زليخا بنوايا نسوة القصر وما يضمرن في النفوس ضربت عدَّة عصافير بحجر واحد، دعتهن إلى وليمة وأُعدت المجلس والمساند والفواكه والسكاكين وخبأت يوسف عليه السلام في حجرة داخل المقصورة وما إن أخذت النسوة

المدعوات أماكنها وكل واحدة منهن بدأت تقطّع فاكهتها بالسكين التي بيدها هتفت زليخا بيوسف عليه السلام إخرج فخرج عليهن فدُهشن وقطّعن أيديهن وهن لا يشعرن بألم الجرح والدماء السائلات منها وأكبرنَهُ وهتفنَ ﴿**حاش للّه ما هذا بشراً إن هذا إلّا ملكٌ كريم**﴾. وهذا لا يعني فقط الانبهار بجماله الأخاذ بل هتفن بالأجيال أن هذا الذي نراه لا يمكن أن نتصوره في حال معصية للّه لأنه كالملائكة بل أشرف من الملائكة ولم نسمع بملك همَّ بالزنا ومع إمرأةٍ ذات بعل والبعل متفضّل عليه بالإكرام والإيواء وقد سبق الموقف بالاعتصام والعوذ باللّه ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[1] وبعد أن كشفت زليخا خطط النسوة ومكرهن واعتذرت لموقفها إعترفت وإعترافها خير دليل على ما نقول حيث قالت ﴿**وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ**﴾[2] ولو وجدت أدنى مجال للغمز والهمز لحملتّه نصف المسؤولية إن لم نقل كامل المسؤولية لإبراء ساحتها من الفضيحة والفرصة سانحة لذلك وما يوسف بالنسبة لها سوى عبد إشترته بثمن بخس دراهم معدودة ومن السهل جداً إتهامه وطرده من الدار ولكن كل هذا لم يحدث وإعترفت بالحق وتحملتّ وحدها المسؤولية حين لم يسع النسوة إلّا أن يحاولن إغراء يوسف عليه السلام وتدعوه كل واحدة منهن للقاء على إنفراد فأبى وإستعصم وذهب الى السجن لأنه لم يغتر ولم ينزلق واللّه دوماً مع المحسنين. هذا غيض من فيض من سيرة النبيّ الموصوف بالجمال الصديق يوسف عليه السلام الذي أصبح جماله عليه نقمة، يوسف مصر كانت هذه قصة ولنا يوسف ثاني يوم الطفوف بكربلا لا تختلف قصة كثيراً عن الصدّيق، يقول حميد بن مسلم برز إلينا يوم العاشر غلامٌ لم يراهق كأنَّ وجهه فلقة قمر وقد تردَّى برداء وإتّزر بآخر وفي رجليه نعل قد إنقطع شسع إحداهما ولا أنسى أنها اليسرى، نعم لقد راودته الحرب عن نفسها وهمّت به وهَّم بالشهادة دون المبادئ والقيم ونصرة عمّه الحسين عليه السلام وبدل السكاكين جرَّدت الجيوش سيوفها وشرعت رماحها وصوّبت سهامها وما إن دخل الحرب القاسم بن الحسن عليه السلام وهو يرتجز

(١) (هود :٤٩)
(٢) (يوسف :٣١)

ويقول:

إن تــنــكــروني فـــان نــجــل الحسن

سبط النبيِّ المصطفى والمؤتمن

هـــذا حـــســينٌ كـــالأســير المرتهن

بين أنـــاسٍ لاسـقــوا صــوبَ المزن

أكَبر الجنود جمَاُله وإنبهـروا بجميل فعاله ولكـن يعز عليَّ واللَّـه أن أصـف لكم ما فعلوا فعـوض أن يُقطّعوا أيديهـم إنهالوا بسـيوف مكرهم وغدرهم عـلى هامة الغـلام ففلقوها خرَّ القاسم على وجه الأرض شهيداً يخور بدمه مناديا واعماه واحسيناه يا عم أدركني يا عم عليك مني السلام.

نـــادى حــســيـنا عـــمَّـــهُ متشكياً

بُــعـدَ الــوصــال وقـــربَ هجر دائمِ

فـــأتـــاه وهـــو إذاً يجـــودُ بنفسهِ

ويفيض منه الـجــرح فيض غمائم

ويــلـــوك كـــالحـــوت الـــتريـــب لسانه

لــوكـــاً ويــفـحـص كـالـقـطـا بقوادم

إنقضَّ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه كما ينقضُّ الصقر على فريسته وهو يقول يَعِزُّ واللَّـه على عمِّك أن تدعوه فلا يجيبيك أو يُجيبكَ فلا يغني عنك هذا صوتٌ كثر واتره وقل ناصره.

ثم حمله إلى خيمة القتلى وضعه الى جنب علي الأكبر عَلَيْهِ السَّلَامُ وجلس يبكي بينهما:-

جـــابـــه ومـــــدده مـــا بــيـــن إخوته

بــجــه عــدهــم يــويــلـي وهـــم موته

بــســمـا ســمـعـن الــنــســوان صوته

إجـــت رمــلــة تــصـيـح الله وأكبر

بسم اللّـه الرحمن الرحيم

مـن دعـاء لمولانـا اميـر المؤمنين عليه السلام والـذي علَّمُه لكميل بن زياد النخعي رحمه اللـه: «يا من إسـمهُ دواء وذكرهُ شـفاء وطاعتهُ غنىً إرحم مـن راس ماله الرَّجاء وسلاحُه البكاء»

في هذا الدعـاء العظيم الـذي يرويه حـواريٌ من حـواري امـير المؤمنين ألا وهـو كميل بن زيـاد النخعي رضي الله عنه مضامين عالية يحتاج إليها كل إنسـان ويسـتحب قراءة هـذا الدعاء في عشـية كل يوم خميس لأنه يترك أثراً بالغاً في النفس حيث أنه كسـائر الأدعية التي ورثناها من خزانة أهل البيت يحتوي على ذكر اللّـه الحميد الذي هو كـما وصفه اللّـه في محكم كتابه المجيد ﴿أَلا بِذِكْـرِ اللَّـهِ تَطْمَئِـنُّ الْقُلُوبُ﴾[1]، وقد اسـتوقفتني هذه الفقرات التـي ذكرتها من الدعاء المذكور أكثر من مرة وأثارت فضولي وحب إطلاعي على ما تتضمنه من أسرار عظيمة.

من جملة العلـوم الغريبـة التي حمـل إلينـا أسرارها أهـل البيـت علم الحروف وحسـابها وآثارها في الكون ومعادلاته، وقد برع الكثـير من علمائنا الأفاضل في هـذا المجال أذكر منهم لا على وجه التحديـد العلامة بهاء الدين مُحمَّد بن الحسـين بـن عبد الصمـد الحارثي الهمداني العاملي والعلامة الحافظ رجب البرسي طاب ثراهما ومفـاد هذا العلم أن للحروف آثاراً مهمة في حركـة الكون وفي النفس البشريـة حيث أنها تفعـل وتنفعل مع ذرّات هـذا الكون، فتكرار الكلمـة الطيبة يؤثـر إيجاباً كـما أن تكـرار الكلمة الخبيثـة يؤثر سـلباً ومن هنا جـاء الحثُّ على

---

(١) سورة الرعد: ٢٨.

تطييب الكلام وعدم إستخدام الكلمات الجارحة والعبارات النابية لأنها بالاضافة إلى أنها تخدش الإسماع بخشونتها فأن لها آثاراً سلبية غير محدودة.

وهناك شواهد من القرآن والسيرة على ما نقول، فآصف بن برخيا في قصة سليمان عليه السلام وعرش بلقيس كان يعرف حرفاً من حروف إسم اللّـه الأعظم الذي من عرفه تمكن من خرق العادة وهي ثلاثة وسبعين حرفاً يقول القرآن ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾[1] فكيف أنتم بمن خصهَّ اللّـه بمعرفة إثنين وسبعين حرفاً من حروف هذا الاسم ألا وهو أشرف الخلق مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وقد علمَّه لأمير المؤمنين عندما كان واضعاً رأسه في حجر علي عليه السلام عند الاحتضار يقول الرواة فقال له ياعلي عليه السلام أدنو فمك من فمي ووضع لسانه في فمه فلما رفع علي عليه السلام رأسه قال علمنيّ رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب.

ومن خلال التجربة العملية تنكشف تأثيرات هذه الحروف والكلمات لمن أراد استكشاف ذلك، وللتجربة بين يديك تسعاً وتسعين إسماً من أسماء اللّـه الحسنى يمكنك أن تتاكد من آثارها في نفسك أما آثارها في الكون فيتعذر حصرها فمن أدمن تكرار كلمة يالطيف يزداد لطفه يوماً بعد يوم وهكذا وقد أدمن أحد العلماء الكبار ذكر إسم اللّـه الجبار أربعين سنة بمعدل ١٤٠٠٠ مرة يومياً فبانت عليه آثار التجبّر حتى أن الذين كانوا يقابلونه لم يتمكنوا من إطالة النظر في عينيه.

وهنا في دعاء كميل يؤكد أمير المؤمنين باب مدينة العلم النبوي بل قل الالهي بأن إسم اللّـه دواء وذكرهُ شفاء تأكيداً لقوله تعالى {ألا بذكر اللّـه تطمئن القلوب}، ولا ينكر أحدٌ اليوم بأن ٩٩٪ من أمراضنا المعاصرة مصدرها الأعظم القلق النفسي وقد زادتنا الأدوية المتنوعة والكثيرة التي نستخدمها بمناسبة وبغير مناسبة والتي تكلفنا المليارات من الدولارات أمراضاً على أمراضنا وكما قيل إسأل مجرب ولاتسأل حكيم، أصبت لفترة بآلام حادة في

---

(١) سورة النمل: ٤٠.

فقراتي القطنية فوصف لي الحكيم نوعاً من المسكّنات وعلى ما أتذكر إسمه أندوسيد فأصبت من جراءه بقرحة في المعدة وقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال ما دخل الدواء في بدن ليصلح جزءاً إلا وأفسد آخر لأنه حتماً سيؤدي إلى إضطراب معادلات البدن فتزيد مادة وتنقص أخرى وهكذا.

رب سائل يسأل ما علاقة هذا بعاشوراء والحسين عليه السلام فنجيب كما يمرض البدن كذلك تمرض الروح أو يرتأي الأخ العزيز الحاج عاطف عون النفس، والكل يعلم بان مدرسة الحسين عليه السلام ومآتمه إن هي إلاّ مستشفيات روحية ومحطات للتزوّد بالوقود الثوري والايماني نتوقف فيها كل عام لنستشفي من عللٍ كثيرة نُبتلى بها خلال السنة لابتعادنا عن هذه الأجواء الروحانية وإنغماسنا في المصالح الدنيوية التي تضطرنا إلى الكذب والغش والظلم والهروب من المسؤوليات وغير ذلك أحياناً كثيرة.

تلجأ في عاشوراء إلى التغني بأسماء تحيي فينا روح الثورة والإقدام وتزرع الفضيلة في النفوس وتجتث كل جذور الرذيلة، لاحظوا آثار تكرار كلمة ياحسين في نفوسكم العطشى لهذا الذكر الجميل، ماذا يوحي لكم وما تتصورون إن إسم الحسين من أسماء اللّه ولم تعرفه الأُمَّةُ من قبل كأسم أخيه وأبيه وجده، لم يجعل لهم اللّه من قبلُ سميّا فاشتق أسمائهم من إسمه الدواء وربط ذكرهم بذكره الشفاء وجعل طاعتهم من طاعته الغنى، وأخذ العهد على نفسه باثابة من بكى على مصائبهم كالباكي من خشيته، وبالتالي فإن الآثار المترتبة من إحياء ذكر الحسين عليه السلام في قلوبنا ونفوسنا دواء رباني وشفاء رحماني وقد ورد عن المعصومين عليهم السلام عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كل عين باكية يوم القيامة إلّا عين بكت على ولدي الحسين فانها فرحة مستبشرة بنعيم الجنة، فذكر الحسين عليه السلام هو وقود ثورتنا المستمرة وهل في الناس ثوّار كشيعة الحسين عليه السلام والذائبين في حُبِّه، حتى غاندي محرر الهند إستشفى بذكر الحسين عليه السلام (**فقال تعلمت من الحسين عليه السلام كيف أكون مظلوماً فأنتصر**).

تعالوا معي إلى كربلاء وانظروا ماذا فعل حبُ الحسين عليه السلام بالقاسم بن

الحسن عليه السلام وهو الفتى الذي لم يراهق، يسأله عمُّه بُني قاسم كيف تجد الموت عندك، فقال يا عمُّ في نصرتك أحلى من العسل، يستعذب الفداء كل من يرتضع من ثدي الأباء ويتلّمذ في مدرسة سيد الشهداء.

تقدم. القاسم وهو يرتجز ويقول:

إن تنكروني فانا نجل الحسن
سبط النبي المصطفى والمؤتمن
هذا حسين كالأسير المرتهن
بين أناس لاسقوا صوب المزن

قاتل قتال الأبطال حتى قتل وهو ينادي بضعيف صوته يا عم يا حسين أدركني:ـ

فأتاه وهو إذاً يجود بنفسه
ويفيض منه الجرح فيض مائم
ويلوك كالحوت التريب لسانه
لوكاً ويفحص كالقطا بقوادم

يبني إمهنّه بطيب يومك
عريان مسلوبه هدومك
وحرِّ الشمس غيَّر رسومك
وين الذي ياخذ علومك
لأبوك الحسن وأهلك وگومك
يا ليت يومي قبل يومك

الحُبُّ الأسمى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ إِن كُنتُـمْ تُحِبّـونَ اللهَ فَاتّبِعُونِي يُحْبِبْكُـمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ﴾[1].

الحب هو العلقة الرابطة التي تربط أحد الشيئين بالآخر وينقسم الحب بحسب ما يشوبه من الغايات إلى قسمين:

١- الحب الخالص الخالي من الشوائب والغايات

٢- الحب المشوب بالمصالح والغايات.

ومحبة العباد لله مجاز يعبر عن إرادة النفوس إختصاصه بالعبادة دون غيره وقد قال قائل أهل بيت المصطفى أئمة القول المقرون بالعمل:

آلهي عبدتك لا خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك. وقال آخر منهم: إن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وأن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وأن قوماً عبدوا الله حباً له فتلك عبادة الأحرار.

ولعل أقدس المقدسات في كل الشرائع السماوية تغذية النفوس بالحب الطاهر فعن رسول الله ﷺ قوله: «لا تؤمنوا حتى تحابوا، أأدلكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم، وقوله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، وقال أُحبُّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرّة عيني الصلاة» وقال علي عليه السلام «أحب ثلاثاً الضرب بالسيف والصوم بالصيف وإكرام الضيف».

---

(١) سورة آل عمران: آية ٣١.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «هل الدين إلا الحب» إن الله عز وجل يقول الآية قال إن كنتم..

وفوق كل هذا حتى الخالق العظيم يقول في حديث قدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق كي يعرفوني، ومن ذا يعرف الله ولا يحبه» هذا هو الحب الذي يشجع الإسلام وكل الأديان عليه أما حُبّ هذه الأيام حب الشهوات والغايات والمصالح فذلك الذي جعلنا نخجل من ذكر كلمة الحب في المجالس والمجتمعات المحترمة فلقد أصبح لهذه الكلمة الرائعة دلالات مخزية واقترنت بكل شين حتى على صعيد حب الله، وقد ذكر محمود بن عمر الزمخشري صاحب تفسير الكشاف في تفسير الآية آنفة الذكر وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله، إلا أنه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته.

نعم لقد وصل الأمر ببعضهم أن قال في الحال الله في جبتي، فبدل أن يذوب هو من الحب في الله ذوَّب الله وأنزله في جبّته النتنة وأحلَّه في بدنه القذر وهو المنزّه عن كل هذا، ديننا ليس دين تصوف ورهبنه بل هو دين حياة وعمل وجهاد. هل وردكم أن النبي أو أحد أهل بيته أو أصحابه كان يفعل هذا الذي تفعلون.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرك في الفعال بديع
إن كان حبك صادقاً لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

ومن كل هذا نخلص إلى أن ملاك كل عمل هو الإخلاص والإخلاص هو ناتج من أهم نواتج الحب، فلا طاعة تقبل إلا بالإخلاص ولا إخلاص بدون حب ولا يتجزأ هذا، فالذي يحب الله يطيعه في كل أوامره وينتهي عن كل نواهيه. ويتبع رسله ومن أمره الله باتباعه ولا

حُبَّ لله إلا باتباع أنبيائه ورسله وصفوته من خلقه، كما أن هذا التوجه والحب لا يصح إن كان وقتياً أو موسمياً، فلا يعقل أن نحب الله يوم الجمعة أو الأحد أو السبت ونكفر به سائر الأيام أو أن نحبه في عاشوراء ورمضان ويوم العيد وما بعدها لا خبر جاء ولا وحي نزل، الحب دواء لا تنتهي مدة صلاحيته ولا يتأثر بالمؤثرات الخارجية، المحب لله يكون مع رسوله وأوليائه في كل حركة وسكنة لا كما يقول أحد الشعراء المعاصرين.

يقول أنا مع الله بشروط ومع محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقيودٍ وشروط ومع علي بن أبي طالب بلا قيد ولا شرط. هذا مرفوض كما أن من يدعي حب الله ويعصي رسوله مرفوض لا إفراط ولا تفريط، فإفراطنا يولّد تفريطاً لدى الآخرين.

لنكن مع الله وكل أنبيائه ورسله والمصطفين من خلقه دائماً وأبداً في الجزئيات والكليات في الظاهر والباطن في الشكل والمضمون في الأول والآخر، لا كذاك الذي وقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير بعد أن نصب النبي علياً بأمر الله خليفةً ووصياً وولياً من بعده، وقف وقد إنتفخت أوداجه من عصبية الجاهلية وقال: يا محمد أمرتنا بالصلاة فصلينا وبالزكاة فزكينا وبالصوم فصمنا وبالحج وغير ذلك ففعلنا ولم يكفك ذلك حتى جئت لتأمر علينا إبن عمّك علي بن أبي طالب!!

أمنك هذا أم من ربك، فالتفت إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: بل هو من ربي، فقال الرجل إن كان هذا من ربك فادعه أن ينزل علينا حجارة من السماء، وكأن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ثقُلت عليه فرفع النبي يده ودعى فنزلت على رأس الرجل حجارة من سجّيل خرجت من دبره وسقط ميتاً. «سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج».

وربّ سائل يسأل ما نستفيد من حب الله ورسوله في الدنيا والآخرة نقول ما عليك إلا أن تقرأ الآية إلى الآخر وتتدبر قول الله، سترى الله يقول من أحبني وأنبيائي ورسلي أحببته، يعني أكرمته وغفرت ذنوبه لأنني أنا الغفور الرحيم، وأعظم المنى أن نكون من أحباب الله

ورسـله المغفوري الذنوب، هنيئاً لمن خرج مـن ذل معصية الله إلى عز طاعتـه، طوبى لمن عمرَّ قلبه بهذا الحـب، طوبى لمن أحـب الله ومن أحبـه الله، وهل صرح الله بحبه لأحـد من الخلق. نعم.

فهذا نبي الرحمـة محمَّد ﷺ حبيب الله وأحـب من الحبيب حبيب الحبيـب، يوم خيبر لا ينكر أحد أن النبي قال ليلتها لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسـوله ويحبه الله ورسـوله. أم المؤمنين عائشة تقول أحب الرجال إلى حبيب الله علي وأحب النساء إليه فاطمة.

أيشك أحدكم أن النبي قال حسينٌ مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط وهكذا في أخيه الحسـن عليه السلام. إذاً فمحمّد وآل محمّد ﷺ هم أحباب الله وحبهم وطاعتهم من حب الله وطاعته، وبالنتيجة فسبُّهم سبٌّ لله وحربهم حربٌ لله وبغضهم بعضٌ لله وما جزاء من يجـرؤ على كل هذا، لا احتياج إلى بيان دعونـا نذهب إلى كربلاء ونقف بين الصفيّن لنرى ما يجري، أما ترون الحسين ريحانة رسـول الله ﷺ ينادي أيها الناس هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبُعداً للقوم الظالمين. أنشـدكم بالله هل تعرفوني قالوا نعم أنت الحسين بن بنت رسـول الله وسـبطه، قال هل تعلمـون أن أبي عـلي بن أبي طالـب أول القوم إسـلاماً وإقدامهم إيمانـاً وأحوطهم على الإسـلام، قالوا: بلى، قـال هل تعلمـون أن فاطمة بنت محمد أمي؟ قالوا: بلى، قال: هل تعلمون أن جدّتي خديجة بنت خويلد أول نسـاء هـذه الأمة إيماناً؟ قالوا: نعم. قال هل تعلمون أن حمزة سـيد الشـهداء عمُّ أبي وجعفر الطيار عمِّي؟ قالوا: نعم، قال هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله ﷺ وأنا متقلد وهذه عمامته على رأسي وهذه بغلته أنا راكبها؟ قالوا: بلى. قال: فبم تسـتحلون دمي. ثم أخذ ينادي ألا هـل من ناصر ينصرنا ألا هل من مغيث يغيثنا ألا هل مـن مجير يجيرنا ألا هل مـن مؤمن يتق الله فينا فخرج القاسـم بن الإمام الحسـن عليه السلام وهو فتى لم يبلغ الحلم كـما يروى فأراد الحسـين عليه السلام: فحص إندفاعه فقال له: بني قاسـم كيف تجد الموت عنـدك فبادر الغـلام قائلاً يا حسـين في نصرتك ومحبتك أحلى من العسـل. ثم تقدم نحو القوم قائلاً يذود عن قيم الحق والحب حتى سـقط يخور بدمه

فوقف عليه الحسين عليه السلام ودموعه تغالبه

إن يـبـكـه عـمُّـه حـزنـاً لمصرعه

فـمـا بـكـى قـمـرٌ إلا عـلـى قمر

مصرع القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلآءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

بعد أن نزل القرآن على صدر نبينا الأكرم محمّد ﷺ وبلَّغ الناس بالإسلام توافدت إليه الوفود من كل حدب وصوب يسألونه البراهين والدلالات على صدق دعوته. وكان أكثرهم جدالاً للنبي ﷺ وحجاجاً اليهود والنصارى لما يحملونه من خلفيات ثقافية وعقائدية مشوهة إضافة إلى أنهم شعروا بالخوف على مراكزهم وكياناتهم من الإسلام، هذا الدين الذي يتصورونه نتيجة التحريف الحاصل في ممارستهم للديانة اليهودية والنصرانية ديناً جديداً يناقض دينهم ويطعن في عقائدهم.

وواقع الحال غير هذا تماماً فما الإسلام إلا آخر مرحلة من مراحل التطوير الإنساني وما القرآن الكريم إلا آخر فصل من فصول كتب الله المقدسة وما محمَّد ﷺ إلا نبيٌّ كموسى وعيسى عليهما السلام جاء ليكمل مسيرتهم ويتمّم أدوارهم العظيمة في بناء الإنسان الحر الكريم. النبي محمّد ﷺ الذي قال عنه الله جل وعلا: ﴿وَإِنّكَ لَعَلَىَ خُلُقٍ عَظِيم﴾[2]. وهو يقول إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق يعني أتمم ما أسسه إخوتي الأنبياء قبلي، لا أن أبني كياني على أنقاض كيانهم. لكن البون الواسع بين التوراة والإنجيل التي أنزلهما الله على موسى وعيسى عليهما السلام وما آل إليه أمر أحبار ورهبان هذه الديانات في صدر الإسلام هو الذي دفعهم

(١) سورة آل عمران: آية٦٦.

(٢) سورة القلم: آية ٤.

لاستعداء محمَّد ﷺ ودينه الجديد وقرروا أن يحاربوه بكل قواهم وصوروا الأمر لعامة الناس على أن المسألة مسألة وجود، وجود محمَّد ﷺ والإسلام يعني عدم وجود اليهود والنصارى وهذه مغالطة خطيرة جداً جرَّت وما تزال تجرُّ علينا ويلات حروب التصفية وكما سميت في البوسنة والهرسك التصفية العرقية، محمّد وموسى وعيسى عند الله وفي نظر المسلمين واحد، إقرؤوا القرآن جيداً لتعرفوا ذلك ولكن إذا حكم الإسلام فلا مجال لكل ورم سرطاني أن يكبر على حساب الدين والجماهير.

ستنتهي كل الامتيازات والوجودات غير المشروعة التي تأكل إنتاجنا وتعيش كالطفيليات كلاً على المجتمع والدين صدّقوني لو يترك الناس ليعودوا إلى التوراة الحقيقية والإنجيل الحقيقي والزبور الحقيقي والقرآن الكريم لرأيتهم في حبٍّ ووئام يحترم أحدهم الآخر ويحبه ويفرح لنجاحه ولا يشعر بالخطر من وجوده، أهل الامتيازات دوماً يشعرون بالخوف فيضعون العصي في عجلات تقدم البشرية ويبنون سعادتهم على شقاء الآخرين . الإقطاعيون كانوا وما زالوا هم حجر العثرة أمام توّحد الناس وتحاببهم، الإقطاع السياسي الديني التجاري كل أشكال الإقطاع الذي يبني سعادته على شقاء الآخرين، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١).

ويتجلى بوضوح كيف يحاول هؤلاء الوصول إلى أهدافهم فالموضوع الذي تتحدث عنه الآية الكريمة التي جعلناها مورداً لبحث هذه الليلة.

أن تجادل اليهود والنصارى رسول الله ﷺ وتحاججه في الأمور المعقولة التي يعرفونها فهذا طبيعي جداً ونافع للأجيال أما النقاش غير المجدي في القضايا التي لا يعرفون حتى أبسط أولوياتها فهذا هو الأمر الذي تفسره الآية لقد جاء القوم يخاصمون النبي ﷺ حول ديانة إبراهيم عليه السلام الذي سبق موسى بحوالي ألف سنة وعيسى بحوالي ألفي سنة ليقول اليهود إن إبراهيم كان يهودياً ويقول النصارى أن إبراهيم كان نصرانياً.

---

(١) سورة آل عمران : آية ٨٥.

لطفاً ما هي الفائدة المرجوة من هذا النقاش وأمثاله، بالأساس هل تعدد الديانات والمذاهب الفكرية والعقائدية واختلاف الناس مقصود منه التنافس السلبي والتسقيطي أم هو داينمو محرك للتنافس البنّاء والإيجابي ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[(١)]. والتعارف يعني التنافس الإيجابي في بناء الإنسان الأفضل والأورع والأتقى لا أن تنقلب القصة فيسّقط أحدنا الآخر، مما يؤسف له حتى يومنا هذا نحتضن العلماء والمبدعين في قرانا لا من أجل الاستفادة من خبراتهم بل من أجل التفاخر بهم فقط وإستخدامهم كديوك المهارشة، وكأننا في حلبة صراع لا في محراب عبادة نتبارى فيه بالتقى والصلاح ويعطي فيه الجاهل يده للعالم ليأخذ به إلى بحور المعرفة وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لأحد تلاميذه وأظنه عبد العزيز القراطيسي: يا عبد العزيز إعلم أن الإيمان عشر درجات ولقد كان سلمان في الدرجة العاشرة وأبو ذر في التاسعة وعمار في الثامنة والمقداد في السابعة (رضي الله عنهم).

فلا يقولن من كان في الثانية لمن كان في الأولى لست على شيءٍ فإنه يكسره، بل يأخذ بيده أخذاً رفيقاً ليرقى به، ألا ومن كسر مسلماً فعليه جبره، إن هذا الحديث يأمرنا بالتكامل، وينهانا عن التقاطع والتسقيط لتكن مباراتنا ودية، البروفسور يعلم الجامعي والجامعي يعلم البكالوريا والبكالوريا يعلم الإعدادي وهكذا على كل الأصعدة والمجالات يكمّل أحدنا الآخر فكلنا لآدم وآدم من تراب.

الناس من جهة التمثال أكفاءُ
أبوهمُ آدمٌ والأُمُّ حوَّاء

إن هذا المنهج التربوي هو المنهج الذي سلكه أول الأنبياء آدم عليه السلام وذات المنهج الذي سلكه خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله الكريم وقد إصطدموا بأعداء الإنسانية الذين أطاعوا إبليس في سلوكهم، فكان نمرود لإبراهيم وفرعون لموسى وأبو جهل وأبي سفيان

(١) سورة الحجرات: آية ١٣.

لمحمّد ﷺ ومعاوية لعلي والحسن عليهما السلام.

عبد شمس قد أضرمت لبني
هاشم حرباً يشيب منها الوليد
فابن حرب للمصطفى وابن
هند لعلي وللحسين يزيد

لم يقصر صخر بن حرب أبو سفيان في عرقلة مسيرة النبي التربوية ومعاوية ابن آكلة الأكباد لم يدخر وسيلة من وسائل الانقضاض على الأحرار إلا واستعملها وهو الموصوف بالدهاء، إلا أن موروث الحقد الجاهلي الذي كان يختزنه يزيد بن معاوية رسم لوحة كربلاء بدماء خير الناس بشكل لم يسبق له مثيل وأحرقوا الخيام على النساء والأطفال وقائلهم يقول لا تبقوا من أهل هذا البيت باقية اذبحوا حتى الأطفال، ففررن بنات رسول الله ﷺ على وجوههن في البيداء ينادين واجداه وامحمداه واعماه واحمزتاه واأبتاه واعلياه واحسيناه واشهيداه

فرّن واحدة تندب ولدها.
أو وحدة تندب إخوتها وسعدها
أو وحدة للولي تخمش ابخدها
أو وحدة اتصيح يا عمي المشكّر

***

طفلتان من الأطفال الذين فروا من تحت الخيام الملتهبة إفتقدتهما زينب عليها السلام، فأخذت تبحث عنهما وبعد جهد جهيد عثرت عليهما، وجدتهما وقد تعانقتا من شدة الخوف والجوع والعطش وماتتا في منخفض من الأرض إحتضنتهما الحوراء والدموع تغاليها وتوجهت صوب النجف الأشرف وصاحت يا علي.

قُـــمْ يــا عــلِيُّ لـعـلَّـكَ مِـــن أسرٍ أضرَّبنا
تَــفُــكَّــنــا وتـــولَّـــى دفَـــــن قتلانا

قُـــم يــــا عـــلِيُّ فـــما هـــذا الــقــعــوُد فما
عهدي تغضُّ على الأقـــذاءِ أجفانا

حـــيـــدر يـــبـــويـــه مـــا تجينه
وإتـــشـــوفـــنـــه إشـــلـــون إنسبينه
يــــســــاره ونــــتــــســــتــــر بيدينه
والـــنـــاس تـــتـــفـــرج علينه
ولــيــه يــبــو حــســيــن إنولينه

الاعتدال وتحقيق الأهداف

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. صدق الله العلي العظيم. ٣١ / الأعراف.

سبقت الآية (٣١) من سورة الأعراف عدة آيات كلها تبحث موضوع الملابس التي يجدر بالإنسان المسلم أن يرتديها حال تواجده في أماكن وأوقات العبادة كالطواف في الكعبة وحضور صلوات الجمعة والأعياد وقد جاء هذا التركيز على خلفية ما كان يفعله البعض في هذه الأماكن المقدسة حيث كانوا يطوفون بالبيت عراة، يخلعون ملابسهم التي حسب دعواهم اقترفوا فيها الذنوب والمعاصي خارج الكعبة ويسترون العورات بشيءٍ لا يواريها تماماً وتقول المرأة وهي تطوف بكامل أنوثتها وإثارتها وبصلف:

اليوم يبدو بَعضُهُ أو كلُّهُ

وما بدا منه فلا أُحِلُّهُ

الله جَلَّ وعلا أنزل علينا لباساً يواري سوآتنا وأحلَّ لنا الرفاه بلبس الحرير وريش النعام وأمرنا باحترام العتبات المقدسة والتوجه لها والتواجد فيها ونحن على أكمل وأجمل وأطهر ما يكون قلباً وقالباً شكلاً ومضموناً، يعني الأمر هنا يمس الكماليات وليس الأساسيات، اخلع عنك ما يربطك بالدنيا والمادة وارتدي اللباس الأساسي الذي يساعد على تطهير النفوس ويذكّرك بالآخرة.

بمعنى أدق أخلع زينتك الدنيوية (كل مخيط) ودون أن تخلع الحياء البس الإحرام الذي أشبه شيءٍ هو بالكفن.

والاختلاف الحاصل سببه بتقديرنا هو بسبب مفهوم ومعنى الزينة ومكوناتها عند كل فريق.

لنرى ما معنى الزينة اللغوي قبل كل شيء من كتب اللغة والمعاجم، علَّنا نصل مع الطرفين إلى نقطة لقاء تمكن الجميع من تحقيق الاعتدال الذي يطرحه الشطر الثاني من الآية موضوع البحث ﴿**وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ**﴾ يقال زانَ يُزينُ يعني جَمَّل يُجَمِّلُ وعكس الزَيْنِ الشَّيْن وهو كل شيء يسوء مرتكبه ويفتح عليه باب النقد والتجريح، بينما الزين يفتح على فاعله باب المدح والثناء والأمثلة عليهما أكثر من كثير.

فالصدق والوفاء والأمانة والإيثار والشجاعة والتواضع والعِفَّةُ والخطُّ والهندام الحسن كلها زينة لمن يتحلّى بها خاصة في أوساط المؤمنين ودور العبادة عامة ونقيضها الكذب والبخل والخلاعة والتكبر والجبن والظلم شينٌ وعارٌ يخجل منها حتى من يرتكبها وينفي عنه ذلك أمام الآخرين ويتنصَّل عن مسؤوليته تجاهها.

إذاً فأوراق اعتماد الداخل إلى بيوت العبادة والتي تؤهل الإنسان المؤمن للاندماج في المجتمع الإسلامي هي زينة الفضائل الظاهرية منها والباطنية، المظهر والجوهر.

فَعِفَّة البطن والفرج تؤمن زينة الباطن وحُسن الهندام وتزيين الطباع يعني الزينة الظاهرية وكل هذه تتحقق بتجنّب الإسراف في كل شيء والله الذي أمرنا بالاعتدال هو يقول ﴿**إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾.

إذاً فما هو الإسراف، إنه تجاوز حدَّ المعقول من كُلِّ شيء لو أن التبذير في المال هو المعنى الأقرب لأذهان الناس، فمن يسرف في الأكل والشرب هُوَ مِنَ النهم، ومن يُسرف في الشجاعة هو المتهوّر ومن يُسرف في الخوف هو الجبان ومن يُسرف في الكلام هو المهذار ومن يُسرف في القتل هو الجبَّار ومن يُسرف في الظلم هو الطاغية، والأخلاق الفاضلة كانت وما زالت تتحقق دائماً وأبداً في الوسطية والاعتدال وقد ورد في الحديث الشريف (خير الأمور أوسطها) حتى في التصرف والكلام وقيادة السيارة واتخاذ القرارات الصعبة فالحديث

الشريف يقول (في التأنيِّ السلامة وفي العَجلةِ الندامة) أو (التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان).

زبدة المخاض فإنه يجب علينا حسب الآية الكريمة أن لا ندخل المساجد إلا بكُلِّ زَيْن ولا نخلع عن ظاهرنا وباطننا إلاَّ كُلَّ شين، ولا يعيب المرء بساطة الرداء الذي يرتديه، بل الذي يعيبه السوآت التي يكشفها للآخرين وفي غير محلها ووقتها.

يقول السموأل:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عِرضُهُ
فكلُّ رداءٍ يرتديه جَميلُ

هذا القميص والأزار البسيط الذي ترتديه عند إحرامك هو أفضل تحدّي للشيطان ومصممي أزياء الخلاعة أدعياء الحضارة والتمدن وهكذا كان قوم لوط يفعلون خالف هوى النفس الأمّارة بالسُوء واستر سوأتك وتزيّن بالتقوى والوقار إلى يومنا هذا بعض الحجيج لا يكترثون لأوضاعهم أثناء تأدية المناسك، قد تخرج يديها وشعرها بداعي الوضوء أو التقصير!!، أذهلني رؤية حجاج بعض البلاد الإسلامية والعربية يتبرجون يوم العيد ويضعون مساحيق المكياج الفاقعة الألوان!! وحين سألت بعضهم أجاب إن الله جميلٌ يُحِبُّ الجمال، وفاتهم أن يتحققوا من الجمال الذي يُحبُّه الله جلَّ وعلا، إن هذا الذي تفعلوه إسراف وتهتك والله لا يُحبُّ المسرفين، ولا المتهتكين.

للصلاة أهداف وللحج أهداف وللأكل والشرب مقدار وفيها جميعاً لا تتحقق الأهداف إلاّ بالاعتدال والوسطية. ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾.

ولقد كان لنا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة وكذا في أهل بيته الذي كانوا بحق صورة طبق الأصل عنه كما يشهد هو لهم والتاريخ والواقع يقول الرواة برز يوم عاشوراء غلام لم يراهق (لم يبلغ الحلم) وعليه كما روي عن حميد بن مسلم الصحفي الذي صوَّر الواقعة

بالكامل، قميص وإزار وفي رجليه نعلان انقطع شسع إحداهما ولا ينسى أنها اليسرى، تقدم لعمه الحسين عليه السلام بعد مصرع عليٍّ الأكبر وهو يقول يا عم لقد ضاق صدري وسَئمتُ الحياة الدنيا ائذن لي بمبارزة هؤلاء. فاعتنقه عمُّه وبكى معه ثم قال له بني قاسم كيف أضحي بكَ وأنت الوديعة من أخي الحسن عليه السلام ولعل أُمَّك لا ترضى بقتلك، فقال القاسم يا عم هي التي شجعتني على نصرتك ولقد كسرت واعيتك قلوبنا، لقد سمعناك تنادي ألا هل من ناصر ينصرنا؟ ألا هل من مغيث يغيثنا؟ ألا هل من مجير يجيرنا؟ فقالت لي ولدي هذا عمُّك الحسين عليه السلام وقد قتل رجاله وبقي وحيداً لا ناصر له!! إفديه بنفسك وبيّض وجوهنا عند جدِّك وجدّتك يوم القيامة، فقال الحسين عليه السلام أُخيَّه زينب ناوليني سَفط أخي الحسن عليه السلام فناولته فأخرج منه عمامة الحسن ألبسها القاسم وقصر حمائل السيف وقلدَّه القاسم وودّعه ودموعه تجري على خديه

برز القاسم راجلاً وهو يرتجز ويقول:

إن تنكروني فأنا نجل الحسن

قاتل قتال الأبطال حتى قتل من القوم ٣٥ فارس حتى اعترضه عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي فصرعه، خرَّ إلى الأرض يخور بدمه وهو ينادي يا عماه يا حسين أدركني، سار له الحسين عليه السلام وهو يقول عزَّ والله على عمِّك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا يغني عنك هذا صوتٌ كثر واتِرهُ وقلَّ ناصِرهُ، قتل الله قوماً قتلوك

يبني إمهنه بطيب نومك
عريان مسلوبه هدومك
لأبوك الحسن وأهلك وگومك
يا ليت يومي گبل يومك

تلك الوجوه المشرقات كأنها
الأقمار تسبح في غدير ماء

خـضـبـوا ومــا شــابــوا وكـــان خضابهم

بـــدم مـــن الأوداج لا الحناء

***

ليلة علي الأكبر

علي الأكبر والحق

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

في كل مؤسسة من مؤسساتنا قسم يسمى قسم المحفوظات أو الأرشيف نحفظ فيه أوليّاته أي نشاط نقوم به يمكننا الرجوع ألى أوليّاته ونسخ ثانية منه، وأي دائرة تحترم عملها وروّادها تعتني أشدَّ الإعتناء بهذا القسم الذي تحفظ فيه وثائقها، خصوصاً دوائر الأمن التي تراقب السيارات في الشوارع الحساسة والأسواق المكتظة وأبواب الدوائر وقصور الشخصيات، داخل غرف نومنا.

المعلوماتية لم تبقِ حتى للأسرار العائلية أية حُرمة وأصبحت أحداث غرف النوم تعرض على شاشات التلفاز، بل حتى البلاجات والحمامات دون حياء، وحدِّث عن الليالي الحمراء وعروض الأزياء وإنتخاب ملكات الجمال بلا حرج والتي أصبحت تكلف الكثير من ثروات الشعوب وتملأ أكبر مساحة إعلامية، إن ما ننفقه على الحفلات لو أنفق على جياع العالم لم يبق جائع ولو أنفق على برامج التعليم لم يبق جاهل على وجه الأرض.

أبشع ما في الأمر الأسماء التي يطلقوها على تلك المسّميات فالخمور التي تُدمّر الروح يطلقون عليها إسم المشروبات الروحية والخلاعة عرض أزياء والفجور فن، عناوين برَّاقة إنخدعت بها أجيالنا وإنفتاح مزعوم على حساب القيم والجمال ولاأدري إن أرادت الأمم المتحدة أن تصنف شعوب العالم حسب إمكاناتها العلمية والإقتصادية والعسكرية والبشرية أين سيكون ترتيبنا في هذه القائمة، فإن إفتخرت الدول المتقدمة بعدد أطبائها ومهندسيها ومصانعها ومزارعها فليس لنا إلَّا أن نفخر بمطربينا وملاهينا في بلد من بلداننا أكثر من

---

(١) سورة الجاثية: ٢٩.

مليون فنان؟ ولا يوجد فيه ألف مشفى!! أو جامعة علمية أو فرصة عمل ينتفع به المجتمع!! دعونا من هذه المقدمة فالحديث ذو شجون ولنمعن الفكر والنظر في مضامين الآية موضوع البحث.

لقد نسب الحق الكتاب الذي لا يغادر صغيرة و لا كبيرة ولا ينطق إلّا بالحق إلى نفسه، فالكتاب كتابنا وليس بين دفتيه سوى الحق هذا أولاً.

الأمر الثاني الذي تقرره الآية الكريمة هو أن النسخة الأصلية من صحيفة أعمالنا موجودة عند الحق جلَّ وعلا وستعرض للمطابقة يوم القيامة عند الحساب لإحتمال أن ينكر المذنب ذنبه او يحاول المجرم أن يتهرب من مسؤولية ما جنت يداه بالاضافة إلى شهادة أعضائنا علينا والأفلام التي صوَّرها رقيبٌ وعتيد فإنَّ الأرشيف يحفظ أوليّات عن كل أعمالنا **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾**(١)

ومع اختلاف وجهات نظر المفسرين حول النسخة الأولى من صحف أعمالنا ومكان وجودها وتأريخ إعدادها إلَّا أننا نُركّز على المهم في الأمر وهو أن الذي يقود سيارته في بلد سيطر على حركة السير فيه بالكاميرات والرادار يسير وهو يحاول جاهداً عدم الوقوع في أيِّ خطأ تصوّره عدسات المرور عليه وتقدم صورة إدانته إلى المحكمة فيقف عاجزاً عن إنكار عمله فيدفع الغرامة أو تسحب إجازة سوقه، وواقع الحال رقيب واحد.

فكيف بنا وهذا العدد الكبير من المراقبين وكيف بنا والارادة التي نخالفها هي إرادة الواحد القهار.

خلقنا فأحسن خلقنا وعشنا نتقلب في نعمه الظاهرة والباطنة ونعلم علم اليقين بما ينتظرنا يوم الحساب ومع كل هذا ترى البعض يتحدَّى ويتجبرَّ ويعصي باري السموات والأرض واحياناً ينظِّر ويُقنِّن لعمله ويرى نفسه على صواب والكل على خطأ، وقد يدّعي الربوبية ويطالب الناس بعبادته من دون اللَّه.

---

(١) سورة النور :٥٩.

عجيب صَلفَ هـذا الكائـن الضعيف والمراقب مـن كل الجهات «**مسـكين ابـن آدم تنتهُ العرقة وتفضحُه الخرقـه وتقتله الشـرقة، أوله نطفة قذرة وآخـره جيفة وهـو ما بينهما يحملُ العذرة**» .

يأمره اللّـه قائلاً﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا أَطِيعُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُم**﴾ ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾.

فيعادي من يجب أن يوالي ويوالي من يجب أن يُعادي، الشيطان الذي أمرنا اللّـه ان نتخذه عدواً يطيعونـه ويتخذون المبعـوث رحمـة للعالمين عـدّواً، ولئن لم يفلحـوا في حربـِه في حياته فلقد صبوا جـام حقدهم وغضبهم عـلى اهل بيته وحاولـوا بكل دهائهم ومكرهم وبطشـهم أن لا يبقوا مـن أهل هذا البيـت الطاهر باقيـة، لم يكتفـوا بازالتهم عن مواقعهم بـل طالبوهم بالخضوع لإراداتهم القاهرة وأحكامهم الجائرة.

«**لقد ركز الدعيُّ بن الدعيِّ بين السلَّةِ والذِلَّة وهيهات منَّا الذلة يأبى اللّـه لنا ذلك ورسوله على ان نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**»

لقد كان أهل بيت محمد ﷺ طول المدى مع الحق وكان وما زال وسـيبقى الحقُّ معهم، كيف لا وهم الذين وصفهم الحق في كتابه المجيد قائلاً:

﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾(١) وهـذه النفـوس الطاهرة الأبية لها خط سـير واضح ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾(٢)

وهكذا كان أبو الأحرار.

وأبـــى أن يـعـيـش إلا عزيزاً

أو تـجـلـى الـكـفـاح وهـو صريع

في طريقه إلى كربـلاء أرض ميعـاد الشـهادة التي ضمـت قبل يوم عاشـوراء رفـاة مئتي

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) سورة الفجر: ٢٨.

نبي ووصي وسيط من أولاد النبيين والشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقاً، أغفأ الحسين عليه السلام إغفاءة قصيرة على ظهر جواده، أفاق فجأة وهو يقول إنا للّه وإنا إليه راجعون وكان ولده الأكبر أشبه الناس خلقاً وخلقا ومنطقاً بحبيب اللّه إلى جنبه فقال له أبتاه ممَّ استرجاعك فداؤك نفسي؟ لأن المؤمن إذا حلت به المصيبة يسترجع، فقال له ولدي رأيت فيما يرى النائم كأن هاتفاً ينادي القوم يسيرون والمنايا تحوطهم، فقال علي الأكبر عليه السلام: أبه أولسنا على الحق؟ فقال الحسين عليه السلام: بلى والذي غليه مرجع العباد، فقال علي الأكبر عليه السلام مقولة جدِّه الكرّار إذاً لا نبالي وقعنا على الموت أم وقع الموت علينا وعلى رواية لا نبالي أن نموت محقِّين لقد كانت أخلاقه ومنطقه وسجاياه نسخة طبق الأصل عن جدِّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

جمع الصفات الغر وهي تراثه
من كل غطريف وشهم أصيدِ
في بأس حمزة في شجاعة حيدر
بأبا الحسين وفي مهابة أحمدِ
وتراه في خلقٍ وطيب خلائقٍ
وبَليغِ نُطقٍ كالنبيِّ مُحمَّدِ

لذلك عندما تقدم بنو هاشم لمحاربة الظالمين صاح الحسين عليه السلام برفيع صوته **اللّهم اشهد على هؤلاء القوم فلقد برز إليهم غلام هو أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً بنبيِّك مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وكنّا إذا إشتقنا لرؤية حبيبك نظرنا إلى وجهه اللّهم إحبس عنهم بركات الأرض وقطر السماء وفرقهم تفريقاً ومزقهم تمزيقاً وإجعلهم طرائق قددا ولا ترضي الولاة عنهم أبدا فانهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلونا** ووقف بباب الخيمة ينظر إلى حملات ولده الأكبر وقد تصوّر الأعداء ان الذي يقاتلهم هو علي بن ابي طالب عليه السلام فجاة تغير الموقف وتلبّد وجه الحسين عليه السلام صاحت ليلى من داخل الخيمة سيدي أبا عبد اللّه مالي

أرى لون وجهك قد تغير هل أصيب ولدي بمكروه؟ قال لا يا ليلى ولكن برز إليه من يخشى منه عليه فادخلي خيمتك وإدعي لولدي فاني سمعت جدي رسول اللّه ﷺ يقول: دعاء الأُمِّ بحق ولدها مستجاب.

طبَّت لخيمتها الغريبة تبچي على ابنيها بريبه
واتوسلت بالله وحبيبه يا راد يوسف من مغيبه
ليعقوب وامسكِّن نحيبه بالحسين واشما بيه مصيبه
أريد علي سالم تجيبه

***

علي الأكبر زينة الوجود

بسم اللّـه الرحمن الرحيم:﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾(١)

الزين لغة خلاف الشين ويقال للحلاّق مزّين ولا فرق في المعنى زان وإزدان وكانوا قديماً يسمون العيد بيوم الزينة، فالزينة جمالٌ وحسن مضاف إلى المتزين يزيده حسناً وجمالاً.

وقد أورد كتاب السيرة في حياة الإمام الحسين عليه السلام قصة له مع أعرابي قصده يطلب نائله، فقال له الإمام سلام اللّـه عليه يا أخا العرب إني سائلك عن ثلاث مسائل فإن أجبتني عن واحدة أعطيتك ثلث مالي. فقال له يا سيدي أمثلك يسأل مثلي؟ قال الحسين عليه السلام لأني سمعت جدي رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم يقول المعروف على قدر المعرفة، فقال الإعرابي سل ولا حول ولا قوة الا باللّـه العلي العظيم فقال الحسين عليه السلام ما أفضل الأعمال؟ قال الإيمان باللّـه فقال له الحسين عليه السلام وما نجاة العبد من الهلكة؟ قال الثقة باللّـه قال الحسين عليه السلام فما يزين المرء «وهنا بيت القصيد» قال علمٌ معه حلم قال فان أخطأ ذلك قال مالٌ معه كرم قال فان أخطأ ذلك قال فقر معه صبر قال فإن اخطأ ذلك قال فصاعقة تنزل عليه فتحرقه فضحك الإمام الحسين ورمى إليه بصرة تغنيه. حقاً لقد زان هذا الإعرابي منطقه كما زيّن اللّـه الجنان بنور الحسن والحسين عليهما السلام، والآن لنسرّح النظر في رحاب الآية المباركة، المبدع الخالق المصور بارادته يقول «**إنا زينا**» جملنا السماء الدنيا التي هي أقرب السماوات السبع للأرض بزينة مميزة لها أكثر من وظيفة، فالزينة رغم ما تضفيه على السماء من جمال وروعة إلا انها أمرٌ غير أساسي وغير ضروري لها إذا تعلق الأمر بالزينة فقط، الأهم من جمال الزينة الوظيفة التي

---

(١) سورة الصافات: ٦ـ٧.

تقوم بها هذه الكواكب وهي المحافظة على علاقتنا باللّـه الواحد القهار ومنع مردة الشـياطين من التدخل في ذلك، فالشيطان خبيث يسترق السـمع لكلام الملأ الأعلى من الملائكة ثم ينقله إلى ضعفة الجن الذيـن بدورهم يقومون بوسوسـة قلوب بعض الكهنـة والعرافين والمبصرين وهؤلاء بدورهم يضحكون على ناقصي العقول وضعاف الإيمان الذين يسلمون مقدراتهم بيد هؤلاء الدجالين فيأخذون أموالهم ويسـتغلون نقاط ضعفهم ويحولـون بينهم وبين التوجه إلى اللّـه والإعتماد على اللّـه والثقة باللّـه.

أتلاحظون معي هذه الأيام كثرة هؤلاء الدّجالـين وتوجّه الكثير من أهلنا إليهم من دون اللّـه، رغم اننـا دخلنا في القـرن الواحد والعشريـن وندّعـي بأننا في عصر التمـدن وحضارة الفضائيـات والإنترنيـت والكومبيوتر، فُلانٌ يريـد أن تذوب فيـه فلانه، وفلانة تريد عريسـاً والأخرى تريد ولداً وأُخرى تريد أن تحافظ عـلى زوجها وهذا مربوط وذلك معه قرينة وتلك معمول لها عمل وهكذا دواليك، ومما يحز في النفس أن هذه المعانـاة في بلادنا المتحضرة لا في مجاهل أفريقيـا أو عند الهنـود الحمر أو البلـدان النايمة لا الناميـة لأن النمو يكـون مع الوعي والحياة لا مع الجهل والسبُّات.

إننا بهذا التـصرف نرفض التعـاون مـع ارادة اللّـه الخيرة ونـصر على الإتـكال على ارادة الشـيطان الخبيث، ولم تقف الأُمور عند هذا الحد بل أصبحنا بجهلنـا نرفض صمامات الأمان الأرضية والسماوية.

فكما زيّن اللّـه السـماء الدنيا بالكواكب التـي جعلها أماناً لأهل السـماء فإنه زيّن الأرض بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجعلهم أمانـاً لنا، اللّـه يزيّن لنـا فعل الخيرات ليوصلنا لرضوانه والشـيطان يزيّن لنا فعل السيئات ليوصلنا لنيرانه ومع إدراكنا لهذه الحقيقة قارنوا بين تهافتنا على المعاصي وتكاسـلنا عن الطاعات الجنة ببلاش وما أقل السـاعين إليهـا وجهنم بأعلى الأثـمان وما أكثر المتهافتين عليهـا، تأملوا الأحاديث التي تؤكد وتحث المسـلمين على الالتـزام بحبل اللّـه المتين وسـفينة النجاة تصريحـاً وتلميحاً مـراراً وتكـراراً يوصينا بالتمسـك والاعتصـام بهم ونحن

على عكس ما أراد لنا إن قال لنا شرِّقوا غرّبنا وإن قال غربّوا شرَّقنا لاحظوا الأمر يتجرّد عن العصبيات ودون مجاملة على حساب القيم والمبادئ قال لنا أهل بيتي كالنجوم صحّفنا الحديث وقلنا يقول أصحابي وفي أصحابه من كان اللَّه أعلم بحاله، قال لنا «**إني تارك فيكم الثقلين كتاب اللَّه وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»، تعسفاً قلنا إنه يقول كتاب اللَّه وسنتي، نسلم أما كان من سنته حبُّ أهل بيته والمرء يكرم بأهل بيته، أيقاس بهم أحد؟ يقول رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم «**نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد**»، مثَّلهم لنا بسفينة نوح عليه السلام وجعلهم خلفائه وورثة علمه وقال «**من أحبَّهم أحبنَّي ومن احبني أحبّ اللَّه من سبَّهم سبَّني ومن سبني فقد سبَّ اللَّه**».

بربكم أين تضع كتب التاريخ والديانة التي يتعلم بها أبناء الأمة العربية والاسلامية أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأين تضع الذين سبُّوهم على المنابر والمنائر ألف شهر عوض أن نتودد لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم احباب اللَّه وأصفيائه ترانا ندافع دفاعاً لا هوادة فيه عن أعداء اللَّه ورسوله الذين سبُّوا اللَّه بسبِّ رسوله وآله.

وقفنا مع الذين عبدوا الأصنام الشطر الأكبر من حياتهم ومصالحهم الدنيوية فيما تبقى وخذلنا وحاربنا من كرّم اللَّه وجهه بعدم السجود لصنم وكان أول الناس إسلاما وأقدمهم بل وأصلبهم إيمانا.

أما بضعته الزهراء عليها السلام وروحه التي بين جنبيه والتي يرضى اللَّه لرضاها ويغضب لغضبها فلقد أمتناها وهي غاضبة واجدة علينا إننا كذبناها وأحرقنا قلبها لا دارها ومنعناها إرثها وكسرنا لها ضلعها وأسقطنا جنينها، آذيناها حتى رفضت أن نشهد جنازتها أو نصلي عليها أو حتى نعرف قبرها

نعم لقد آذينا مُحَمَّداً في نفسه حتى قال «**ما أُوذي نبي مثلما أوذيت**» ولعل إحداهن دسَّت له السم في كتف شاة وقتلته، وفي أهل بيته الواحد تلو الآخر صدقوني والتاريخ شاهد إن بعض من حكمونا بإسم الاسلام كان ينزعج من المؤذن إن قال أشهد أن مُحَمَّداً رسول اللَّه

ولا يكتم إنزعاجه فيصرح قائلاً إيهٍ يابنَ أبي كبشة ينادى باسمك على المآذن كل يوم خمس مرات لا واللّه ألا سحقاً سحقاً الا دفناً دفناً، عجيب!!! لو أنه أقسم بقَسَم أبيه لكان أجلى وأوضح بحضور عثمان ألم يقل «**فو الذي يحلف به أبو سفيان لا جنة و لانار**» اللّه أكبر إلى متى أيها الناس تسكتون عن الحق، هذه النماذج مؤمنة وعم الرسول ﷺ وكافله وناصره الذي من قسمه ستعرفونه حيث يقول للنبي ﷺ

واللّه لن يصلوا إليك بجمعهم

حتى أُوسدَّ في التراب دفينا

ولقد علمتُّ بأن دين محمدٍ

من خير أديان البرية دينا

هذا كافر وذاك مؤمن، لعن اللّه الظالمين من الأولين والآخرين كل الظلم الذي لحق هذا البيت الطاهر بكفه وما جرى يوم عاشوراء بألف كفِّه إن الذين أطعمنا اللّه بهم من جوع وآمننا بهم من خوف زحفنا اليهم كالجراد المنتشر وحاصرناهم في كربلاء ومنعناهم عن الفرات،كيف يدّعي المدّعي إنه على دين محمّد ﷺ وهو يحارب أهل بيته ويقتلهم الواحد تلو الآخر حتى برز اليهم زين الشباب الذي يقول عنه الحسين عليه السلام اللّهم اشهد على هؤلاء القوم فلقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك مُحمَّد ﷺ وكنا إذا إشتقنا إلى نبيّك نظرنا إلى وجهه، اللّهم فرقهم تفريقا ومزقهم تمزيقاً واجعلهم طرائق قددا فإنهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا يقاتولنا، بعد الإستئذان برز إليهم مصلتاً سيفه يرتجز ويقول:

أنا علي بن الحسين بن علي

نحن وبيت اللّه أولى بالنبي

أضربكم بالسيف أحمي عن أبي

أطعنكم بالرمح حتى ينثني

ضــرب غــلامٍ هــاشــميًّ علوي
تا اللّـه لايحكم فينا ابنُ الدّعي

قاتل القوم قتال الأبطال وهم لا يشكون أنه إما محمَّد لشدة شبهه به أو عليٌّ لشبه كرَّاته بكرّات أمير المؤمنين عليه السلام إحتوشوه من كل جانب وإذا بالصوت يعلو أبه يا حسين عليك مني السلام، عرف الامام عليه السلام بأن هذا الكوكب المحمدي قد غاله الخسوف أسرع إليه يوّدعه، ألقى بنفسه عليه وهو يقول بني علي على الدنيا بعدك العفا.

قتل اللّـه قوماً قتلوك ما أجرأهم على الرحمن وإنتهاك حرمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أما أنت فقد إسترحت من همِّ الدنيا وغمِّها وتركتني لهمِّها وغمِّها:

يــا كــوكـبـاً ماكان أقــصــر عمره
وكـــذا تــكــون كــواكــب الأسحارِ
جـــاوزت أعـــدائـــي وجـــاور ربه
شـــتـــان بــيــن جـــواره وجواري

لقد كان الحسين عليه السلام يذهب إلى كل شهيد يسقط يوم عاشوراء يضع رأسه في حجره يؤبنه يبشره بالجنة وهو متماسك يتجلدَّ عنده رغم عظيم المصاب، إلَّا عند ولده الأكبر فيقول العلماء إن الإمام كادت روحه أن تخرج من بدنه دون قتال فجائت عبارته التأبينية على غير منحى العبارات السالفة، إنه يتمنى الموت لماذا؟ لأنه ينظر إلى وجه جدِّه مضمخاً بالدماء لا ولده الاكبر والجسد المقطع بالسيوف إرباً إرباً تصوَّره جسُد المصطفى ولعله هنا لم يصرخ وا ولداه وا علياه بل نادى وا جداه وا محمداه.

وكأن الحوراء شعرت بما يعانيه الحسين عليه السلام فخرجت من خيمتها تنادي وا ولداه وا علياه لتصرف فكره إليها، إلتفت إلى الخيام وأخذ ينادي يا فتيان بني هاشم هلموا واحملوا أخاكم عليًّا، وضعوه في خيمة القتلى وجاء أبوه والدموع تجري على كريمته:

رجــوتــك ياعلي تــعــيــش بعدي لــتــوســد جــثــتــي رمـــس اللحودِ

وتمـــشي بــاكـيــاً مـــن خـلـف نعشي كـــما يـبـكـي الـولـيـد عــلى الفقيدِ
يـبـنـي عــلي يا فتشة العين يـبـنـي صـــواب الـضــاهــدك وين
أنــا والـــدك عـد راســك حسين وچـبـدي عـلـيـك انـجـسـم نصين

ابـــن نـــوح والأســـبـــاب المادية

بسم اللّـه الرحمـن الرحيم: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[1]

من كلام لمولانا الامام علي بن أبي طالب عليه السلام «**الطرق إلى الحق عدد أنفاس الخلق**». وما أيسر الاتصال باللّـه فهو أقرب إلينا من حبل الوريد وقد قيل إذا أردت أن يحدثك اللّـه فاقرأ القرآن وإذا أردت أن تحدثه فرقم هاتفه صغير وخطوط الاتصال واضحة وعلى مدار الساعة إطلب / ٢٤٤٣٤/ ستجده قريباً يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ركعتان صباحاً وأربعة ظهراً ومثلها عصراً وثلاثة بعد الغروب وأربعة عشاءً.

وما أجمل البساطة والتوجه المخلص في هذه الأمور ﴿**يُرِيدُ اللّـهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾. رائع هو الإيمان الفطري باللّـه، سُئل بدوي كيف عرفت اللّـه فأجاب البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير أفسماوات ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا يدلان على اللطيف الخبير.

وسئلت عجوز تغزل الصوف بمغزلها كيف عرفت ربك قالت من مغزلي هذا، فإذا أدرته دار وإن توقفت توقف فعلمت إن لهذا الكون مديراً وهو اللّـه جل جلاله.

أما مشكلة بعض الناس أنهم يدَّعون العلم والمعرفة ولا يؤمنون باللّـه إلا بمعرفة كما يقولون الأدلة العقلية والنقلية وبالرجوع إلى المنطق وعلة كل تشريع على حده.

ولعل من يتذوق حلاوة المنطق القرآني يكتشف بسرعة وببساطة إنه لا يمكن أن تفسر

(١) سورة هود: ٤٣.

جميع القضايا بالمنطق الرياضي والاستقراء المنطقي وإنه لا يمكن الاعتماد كلياً على العوامل المادية في عملية التطور الاجتماعي والتاريخي، بل يجب الأخذ بنظر الأعتبار وقبل كل شيء الإرادة الإلهية ومقتضيات الحكمة والمصلحة الربانية. فالنار بمنطق العقل تحرق ولكنها بمنطق الايمان والقرآن تصبح أحياناً برداً وسلاماً، والمميت والمُحيي هو اللّه جل وعلا ولكن بمنطق الإيمان والقرآن أحياناً يكون إبراهيم الخليل عليه السلام والمسيح عيسى عليه السلام ومحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم .إذاً لا يمكن الأغفال عن إرادة اللّه في أي حساب من حساباتنا كما لايمكن الاعتماد الكلي على العوامل المادية.

وما الآية الكريمة موضوع البحث إلّا دليل واقعي على ما نقول لنستعرض مضامينها ونخلص إلى ما نريد:

١. قال من القائل؟ السياق في الآيات السابقة يدل على إنه ابن نوح عليه السلام إمّا كنعان أو يام وهو أقرب لتسمية نوح أولاده بسام وحام ويافت، وقد وقع خلاف حاد بين المفسرين حول هل إن يام ابن نوح عليه السلام او ابن زوجته التي لم تؤمن به كزوجة لوط عليه السلام وأياً تكون النتيجة فلقد كان على خلاف عقائدي مع نوح عليه السلام وكان في معزل إمّا في المسكن أو في المعتقد أو عن السفينة ولما دعاه نوح عليه السلام إلى الايمان باللّه ورسله وركوب السفينة رفض معتمداً على قناعته المادية بانه لوصدق نوح عليه السلام في أمر الطوفان فان الماء لا يحتمل أن يغطي الجبال العالية التي سيأوي إليها.

٢. بحث يام عن العاصم المادي وتخلّى بسهولة عن العاصم الحقيقي الذي هو وعد اللّه الحق لنبيه ﴿**إنه لا يخلف الميعاد**﴾ وكذلك فعلت أُمة نبينا محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم حيث تركت منابع العصمة الحقيقية محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله ﴿**واعتصموا بحبل اللّه جميعاً ولا تفرقوا**﴾كتاب اللّه الناطق وكتاب اللّه الصامت القرآن الكريم وذهبوا يضخمون البدائل التي ابتدعوها على حساب اللّه ورسوله، تركوا الأقرب وتشبثوا بالأبعد، فرضوا العصمة للصحابة وأنكروها في أهل بيت مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

٣. نبّه نـوح عليه السلام إبنه يـام وهو ينبهّنـا نحن كذلـك بأنـه لا عاصم عن أمـر اللّـه فـاذا حلّ العذاب لا يوفر كبيراً ولا صغيراً. وقد روى المفسرون عن عائشـة عن رسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم إنه لما فار التنور وكثر الماء في الشـوارع والأسـواق والسكك خشـيت أم صبي على ولدها وهي تحبه كثـيراً فخرجت إلى الجبـل حتى بلغت ثلثه فلـما بلغها الماء خرجـت حتى بلغت ثلثي الجبل فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء إلى رقبتها رفعت ولدها بيديها حتى ذهب بها الماء، وتقول فلو رحم اللّـه منهم احداً لرحم الصبي وأُمَّهُ.

٤. فتح له في اللحظة الأخيرة كوة للرحمة ومجال للعودة عن الخطأ وقد قيل «الاعتراف بالخطأ فضيلة» فاسـتثنت الآية بـ﴿**إلّا من رحم**﴾ يعنـي من رحمه اللّـه بايمانه تـارة، وأُخرى بأن يرحم هو نفسـه ويفر من العذاب ويلجأ إلى رحاب اللّـه ولو في آخر رمق لأن باب التوبة مفتوح ليلاً ونهاراً ولئن كان للنار سبعة أبواب فأبواب الجنة ثمانية

٥. المشهد الأخير اصرار يام على الكفر وتسـليم نوح عليه السلام التام لأمر اللّـه، وإذا بالماء يحول بين الوالد وولده فيغرق الولد ولا أسـتبعد أن تدرك نوح عليه السلام بعـض الرّقة وهو النوّاح الكبير، لانـه أب وإن كان ولـده كافراً باللّـه، وأمام عيـون بصيرتي الان مشـهد مماثل في جوانب ومتباين في أُخرى من فجائع يوم عاشـوراء، تلك الفجائع التـي اهتز لها ملكوت السماء.

الإمام لحسـين عليه السلام وإبنه الأكبر أشـبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم هذا الفتى الهاشمي الكريم سجّل أروع البطولات في كربلاء حتى جعل الناس يتساءلون هل خرج عليٌّ عليه السلام من قبره وحضر كربلاء يذود عن والده الحسين عليه السلام، في طريقه إلى كربلاء يقول الرواة أغفأ والده الحسين عليه السلام إغفائه ثم استيقظ وهو يسترجع يقول إنا للّـه وإنا إليه راجعون قال لأبيه أبه ممّ اسـترجاعك فداؤك نفسي قال بني علي سـمعت هاتفـاً ينادي القوم يسيرون والمنايا تحوطهم، قال علي أبه أولسنا على الحق؟ قال بلى والذي إليه يرجع العباد، قال إذاً لا نبالي وقعنا على الموت أم وقع الموت علينا. باللّـه عليكم هل من مجال للمقايسـة بين علي

الأكبر وبين يام ابن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ كلا وألف كلا.

أما الموقف الذي فيه شبه بموقف نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الفارق فهو في خروج علي الأكبر إلى الميدان، وقف الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بباب الخيمة ينظر إلى ولده الغالي وقد برز إلى الميدان يرتجز ويقول:

انا علي بن الحسين بن علي

نحن وبيت اللَّه أولى بالنبي

وهنا حال الجيش بين الحسين وولده كما حال الماء بين نوح وولده دخل الخيمة والحزن بادي عليه صرخت ليلي سيدي هل أصيب ولدي بمكروه قال لها لا ولكن برز له من يخاف منه عليه يا ليلي لقد سمعت جدّي رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول دعاء الأُم بحق ولدها مستحاب فادخلي وادعي لولدك.

دخلت خدرها نثرت شعرها توجهت بأُمومتها إلى فيض الرحمة والحنان صاحت إلهي وسيدي ومولاي: الهي بغربة أبي عبد اللَّه إلهي بصبر أبي عبد اللَّه إلهي بعطش الحسين يا راد يوسف على يعقوب أردد عليَّ ولدي سالماً.

طبت لخيمتها الغريبة تبجي على ابنيها بريبة

وإتوسلت لله بحبيبه بالحسين وإشمابيه مصيبة

يا راد يوسف من مغيبه ليعقوب وامسكن نحيبه

أريدك علي الأكبر تجيبه

إستجاب اللَّه دعاءها ورجع ولدها يحمل رأس بكر بن غانم وهو ينادي أبه: العطش قد قتلني وثقل الحديد قد أجهدني هل إلى شربة ماءٍ سبيل أتقوى بها على القتال صاح الحسين وا ولداه وا علياه.

يشكو لخير أبٍ ظماه وماشتكى
ظمأ الحشى إلَّا إلى الظامي الصدي
كُلٌ حشاشته كصالية الغضا
ولسانُهُ ظمأً كشقة مبرد

قال بني علي إدنو مني وضع لسانك على لساني إمتثل الولد أمر الوالد ولكن سرعان ما أخرج لسانه وهو يبكي ويقول أبه لسانك أيبس من لساني إنه كالخشبة اليابسة من شدة العطش.

قال بني علي إصبر لعل جدك يسقيك من كأسه الأوفى شربه لا تظمأ بعدها أبداً، عاد إلى الميدان وحال بينهما الموج موج السيوف والرماح والنبال، ولما أحسس علي الأكبر انه يغرق في بحر الشهادة نادي بضعيف صوته أبتاه يا حسين عليك مني السلام يعني هذا آخر الوداع أجلى الحسين كما يجلي الصقر وإذا بشبيه رسول اللَّه يخور بدمه ألقى بنفسه عليه وهو ينادي وا جداه وا محمداه ثم التفت إلى ابن سعد وصاح مالك يابن سعد قطعت رحمي قطع اللَّه رحمك وسلَّط عليك من يذبحك مع ولدك على الفراش ثم وضع خدَّه على فم الفتى لعل به رمق وفاضت دموعه على كريمته وأخذ بالنحيب والبكاء وهو يقول:

بني علي على الدنيا بعدك العفا أما أنت فقد إسترحت من همِّها وغمِّها وتركتني لهمِّها وغمِّها

جاورت أعدائي وجاور ربه ... شتان بين جواره وجواري
يا كوكباً ماكان أقصر عمره ... وكذا تكون كواكب الأسحار

يبني ردتك ماردت دنيه ولا مال ... تحضرني لو وگع حملي ولا مال
أشوفن خابت ظنوني والآمال ... وقت الضيق تالي أگطعت بيه

الشهيد الصدِّيق الصالح

بسم اللَّه الرحمن الرحيم: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾(١)

بين الترغيب والترهيب تنطلق الآيات نحو الإنسان من أجل سعادته والتي هي الهدف المركزي والأساس للَّه جل وعلا، وما بعث الأنبياء والرسل بالرسالات إلا لأجلك إيها الإنسان، جنانه للمطيع نيرانه للعاصي.

نعم فرّب العِّزة يخاطبنا قائلاً: يا بن آدم خلقت كل شيء لأجلك وخلقتك لأجلي إن تطعني فأنت في أعلى عليّن وإن تعصيني ففي أسفل السافلين وأنت لك الإختيار. رأسمال سعادتك الأبدية طاعة اللَّه وطاعة رسوله وما أكثر الآيات التي تحث على الطاعة وتعد بأعظم الجوائز والمنح الإلهية لكل مطيع، يقول اللَّه جل وعلا في حديث قدسي كثير التداول بين الناس: «**عبدي أطعني تكن مثلي أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون**».

ويقول رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**أطيعوا اللَّه عزّوجلّ يطعكم**» ويقول **إن اللَّه جل وعلا يقول: انا العزيز فمن أراد أن يعزّ فليطع العزيز.**

ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: **رضاء اللَّه مقرون بطاعته.**

ويقول الامام الحسن عليه السلام **من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذُلِّ معصية اللَّه إلى عزِّ طاعته.**

---

(١) سورة النساء: ٦٩

ويقول الإمام الباقر عليه السلام **إنما شيعتنا من أطاع اللّه.**

تعصي الإله وأنت تظهر حبَّه

هذا لعمرك في الفعال شنيعُ

إن كان حبك صادقاً لأطعته

إنَّ المحب لمن أحب مطيعُ

وورد كذلك عنهم عليهم السلام: **خلق اللّه الجنة لمن أطاعه وإن كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه وإن كان سيِّداً قرشياً.**

ولا يختلف إثنان في غنى الباري جل شأنه عن طاعة الخلق له وهو الغني الحميد ولعل الآية موضوع البحث من أروع الآيات وكلها رائعة، التي تحفز الانسان على طاعة اللّه والرسول على ضوء الجوائز التي ورد ذكرها في الآية المباركة حيث الفوز العظيم بالنعيم الخالد ومرافقة أربعة من الذين أنعم اللّه عليهم بأعظم نعمة وسنحاول في هذه العجالة التعريف بهم من خلال إستعراض آراء علماء اللغة والمفسرين.

والهدف الأساس هو الرّد على الذين يستكثرون وينكرون الروايات التي نذكرها في فضل اقامة هذه المجالس والبكاء والندب وإطعام الطعام ولبس السواد وفضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام إن الذين يتهمونا بالغلو والمبالغة لا يفقهون القرآن، صامته وناطقة فلو إنهم تدبّروا أمثال هذه الآيات وعقلوها عقل دراية ورعاية لما جحدوا فضل مُحمَّد وآل مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم إخواني عندما يصاب أحدنا بعاهة في بصره فإنه يذهب إلى طبيب العيون المختص ليصف له العلاج الذي غالباً ما يكون نضارتان، واحدة للرؤية بوضوح والثانية للمطالعة، فأين يذهب من ضعفت بصيرته وعقيدته وأصبح يشك في أئمته ويحاول تقزيمهم وتحجيمهم بحجمه ويخضع مسيرتهم إلى تحليلاته القاصرة واراءه البائرة، ألا فليبشر بالصفقة الخاسرة.

إخواني أرجوكم إقرأوا أهل البيت بشكل صحيح وبقلوب مفعمة بالولاء ولا تسقطوا عليهم تحليلاتكم السياسية المشوبة بحب الدنيا، توجهوا نحو اللّه وإصرفوا وجوهكم عن

الدنيا لكي تستطيعوا أن تفهموا المعصومين وحركتهم الإلهية.

١. **المجموعة الأولى**: أنبياء اللَّه ورسله، وهم دون أدنى شك أكرم خلق اللَّه وأفضلهم وخالصتهم وخاصتهم وأقربهم منزلة لديه هم عباده المخلصون وصفوته من خلقه، عصمهم من الزلل وأمن بهم من الفزع وهدى بهم من الضلالة وكما يقول الشاعر:

فحباه بكل فضلٍ عظيم

وبمقدار ما حباه إبتلاه

وهم الأمناء الشفعاء والهداة النجباء وأعظم الخلق إبتلاء وأعظمهم جزاء.

٢. **المجموعة الثانية**: الصديقون، والصديق لغة من طابق قوله فعله وليس كل من إذا حدّثوه قال صدقتم، الصادق المصّدق الذي لا يعرف الكذب أبداً وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في كتاب العيون للصدوق إنه قال لكل أُمَّة صدِّيق وفاروق وصدّيق هذه الأُمَّة وفاروقها علي بن أبي طالب صلوات اللَّه وسلامه عليه.

٣. **المجموعة الثالثة**: الشهداء، يقال لغة شهد يشهد فهو شاهدٌ والشهيد إسم من أسماء اللَّه وتعني الذي لايغيب عن علمه شيء، وتعني الحاضر أما إصطلاحاً فتعني المقتول في سبيل اللَّه والذي هو حي عند ربه.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنه قال: من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون مظلمته فهو شهيد ومن مات على حُبِّ مُحمَّد وآل مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم مات شهيداً ومن قتل دون عياله فهو شهيد وعن الإمام الصادق عليه السلام واللَّه مامنّا إلا مقتولٌ شهيد.

٤. **المجموعة الرابعة**: الصالحون وهم عباد اللَّه الذين صلحت سرائرهم كما صلح ظاهرهم وقد إصطلح الناس على تسمية كل شيء ليس فيه عيب بصالح كالدواء، فالدواء الذي إنتهت مدة صلاحيته يقال بأنه غير صالح للاستعمال وعباد اللَّه الصالحين نُسلِّم عليهم في كل صلاة عند التشّهد والتسليم فنقول السلام علينا وعلى عباد اللَّه الصالحين، وقد ورد في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام السلام على صالح المؤمنين.

الفصل الاخير من الآية المباركة تؤكد بأنه ليس هنالك أحسن من مرافقة هذه المجاميع الأربعة في الدنيا والآخرة إي واللّه وحَسُن أولئك رفيقا رب قائل يقول إن الكثير من الناس يدّعي هذه الأفضلية فكما إدعّى مسيلمة وسجاح النبوة إدعّى غيرهم المراتب الأخرى فأين نذهب وكيف سنعرف مع من سنكون؟؟

تعالوا معي إلى حيث وقف الامام زين العابدين عليه السلام يُعرِّف يزيد وجلاسه والناس الذين يعتبرونه الخليفة الشرعي لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أعلن للناس قائلاً أيها الناس أعطيناً ستاً وفضلّنا بسبع أُعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين وفضّلنا بأن منّا النبي المختار ومنّا الصديق «علي بن أبي طالب عليه السلام ومنا الطيار ومنا أسد اللّه وأسد رسوله ومنّا سِّيدتا نساء العالمين خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليهما السلام ومنّا سبطا هذه الأُمة ومنا مهديّها.

نعم إن العاقبة للمتقين والمطيعين للّه ولرسوله، أما أسباب نزول الآية المباركة كما ذكر أهل التفسير إن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعربوا عن شدة حبهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا يارسول اللّه إننا في هذه الدنيا لا نصبر على فراقك فكيف بنا إذا سكنت في الخلد وبأعلى عليين فكيف سنراك وأعمالنا لا تخوّلنا السكن بجوارك، فجاء الجواب من اللّه جل وعلا إن الصادق بطاعته للّه ولرسوله سيكون من جيران الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين يشاركهم نعيمهم، ويقول الامام الحسين عليه السلام لولده الأكبر عندما عاد إليه يحمل بيده رأس بكر بن غانم ويطالبه بجائزة البطل المنتصر، أخذ الأكبر ينادي أبه العطش قد قتلني وثقل الحديد قد أجهدني هل إلى شربة ماءٍ سبيل أتقوى بها على الاعداء هكذا جرت العادة في المعارك عندما يعود الفارس إلى معسكره فإنهم يستقبلونه بالماء يسكبونه بين صدره ودرعه ويسقوه منه ولكن لهفي عليك سيدي فلقد فقدت الماء في خيامك منذ اليوم السابع، قال بني علي من أين آتيك بالماء إصبر قليلاً وسيسقيك جدّك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً، حمل على القوم يقاتل قتال الأبطال وهو يرتجز ويقول:

أنــا علي بــن الحسين بــن علي

نحن وبيت اللّـه أولــى بالنبي

أضربكم بالسيف أحمي عن أبي

ضــرب غــلام هـاشـمـي علوي

تاللّـه لايحكم فينا ابن الدعي

لحظات وإذابه ينادي أبه يا حسـين عليك مني السـلام هذا جدي سـقاني بكأسـه الأوفى ويقول لك عجل بالقدوم علينا فإن لك كأساً مذخورة

وإذا بالحسين ينَقضُّ على ولده كما ينقضّ الصقر على فريسته وأخذ ينادي

يـبـنـي عــلـي يافتشة العين انــا والــدك عـد راســك حسين

يـبـنـي صــواب الـضـاهـدك وين گـلـبـي عـلـيـك انـجـسـم نصين

***

يـبـويـه مــن سـمـع يـمَّـك ونينك مــن شـبـحـت لـعـنـد المــوت عينك

لـلـعـشريـن مــا وصـلــت إسنينك وحـاتـفـنـي عـلـيـك الـدهـر الأگشر

***

يـبـويـه گــول منهو الــشرَگ رأسك يــنـور الـعـين مــن ځمـد أنفاسك

يـعـقـلي مــن نهـب درعـــك وطاسك يـروحـي اشــلـون أشـوفـتـك إمطير

***

يـبـويـه مــن عــدل راســك ورجليك ومــن غمَّض إعيونك وأسـبـل إيديك

يـنـور الـعـين كـل سيف الـوصـل ليك گـطـع گـلـبـي ولـعـنـد حـشـاي وذرَّ

***

أريـد أمسح جـروحك وأشم خدَّك   وأحـط صـدري على صـدرك وأوسدك

يـبويـه شـوف لـوجـة حـرم جدَّك   إجـت زيـنـب تـصـيح الله وأكبر

بين علي الأكبر عليه السلام ويام بن نوح

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[1]

يؤكد علماء التربية والأخلاق على أثر البيئة في سلوك الإنسان فيقولون إن الذي يعيش في بيئة نقية وأجواء مثالية يكون إنساناً معتدلاً على عكس من يعيش في بيئة مليئة بالقسوة والانحراف فيصير منحرفاً.

هذا بالإضافة إلى أثر العوامل الوراثية في شخصيّته فمقومات شخصية كل إنسان العوامل الوراثية مضافاً لها الآثار البيئية لذا دائماً نحذر أبنائنا وإخواننا من رفاق السوء و أجواء السوء وعلينا أكككن نملأ أوقاتهم بالمفيد والصحيح وقد قال الشاعر:

لا تربط الجرباء حول صحيحة
خوفاً على تلك الصحيحة تجرب

وقال آخر:

صاحب أخا ثقةٍ تحظى بصحبته
فالطبع مكتسب من كل مصحوب
كالريح آخذةٌ ممّا تمرُّ به
نتناً من النتن أوطيباً من الطيب

هذه هي القاعدة وقد قيل لكل قاعدة شواذ وكنعان وقيل يام بن نوح نموذج للخروج

(١) سورة هود: ٤٣.

عن هذه القاعدة كما حكى اللّـه قصته في القرآن الكريم. وذلك بعد أن يئس نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ من هداية الناس بعد ألف ٍ إلا خمسين عاماً من الدعوة إلى الإقرار بوحدانية اللّـه جل وعلا ونبذ عبادة الأصنام يعوق ويغوث ونسرا، دعى عليهم بالعذاب فاستجاب اللّـه لدعائه وطلب منه أن يبني السفينة وبعد أن أنجز بناءها وتحت أعين الرعاية الربانية حمل فيها من كل زوجين اثنين وفار التنور إيذاناً ببدء الطوفان إلتفت نوح إلى إبنه كنعان الذي كان يظن به خيراً ودعاه للركوب في السفينة فامتنع كنعان وقال سآوي أو ألجأ إلى جبل يعصمني يمنعني عن الماء. يعني تصور أن الماء مهما بلغ فأنه لا يمكن أن يغطي الجبال، وكان نوح يعاني كما نعاني اليوم في بيوتنا. يفقد الكثير منا السيطرة على بيته زوجته وأولاده فعندما تطالبنا الزوجة والأولاد بتأمين أعلى مستويات العيش الكريم نستميت من أجل تحقيق ذلك ولعل بعضنا أحياناً يلجأ إلى الحرام في سبيل تحقيق آمال أسرته، وإذا قال لولده بني صلي أو صم أو لا تشرب دخان أو لا ترافق فلاناً فأن المشكل يقع فوراً في البيت وقد وجدت في الأحاديث المأثورة عن رسول اللّـه مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته: أن الرجل في آخر الزمان يدخل النار بسبب أهله لكثرة ما يطلبون، هات ثم هات ثم هات حتى يدخل في الحرام فيستحق الدخول إلى نار جهنم فقال نوح لولده كنعان بني هذا الطوفان فوق العادة لأنه غضب من اللّـه ولن يمنعك عن غضب اللّـه إلا الأيمان باللّـه وتلك هي الرحمة الألهية في قوله مستثنياً إلَّا من رحم.

ولدي واللّـه صدقني لا يمكن أن يريد الأب لأبنه إلا كل خير. الأيمان أمان والكفر هلاك. لم تغير هذه الكلمات ولا نظرات الابوة الحانية من موقف كنعان شيئاً و أصر على العصيان وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ولعل هذا المصير سيكون مصير كل ولد يعصي والديه إلا في الشرك باللّـه ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا**﴾ [**العنكبوت** : ٨] إضافة إل كل ما استفدناه من موضوع الآية الكريمة هناك نكتة مهمة يجب الانتباه لها وهي ان اختلاف المبادئ والعقائد أحياناً لا تصمد بوجهه كل الروابط والعلائق المقدسة التي تربط الناس ببعضها البعض، في الوقت الذي

تجمع فيه بين أناس لا تربطهم أي رابطة ولا زمان ولا مكان. كنعان بن نوح يقول أبوه ربي أبني، يأتيه الجواب إنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح. وصهيب من بلاد الروم وبلال من الحبشة وسلمان من فارس جمعهم الاسلام حتى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم **سلمان منّا أهل البيت.**

فالملاك هو المبدأ والعقيدة لا الرحم ولا الحسب والنسب ولا الوطن والطائفة، المؤمن أخو المؤمن والحمية التي يجب أن تأخذنا حمية الدين والقيم الاخلاقية لا التعصب الأعمى وأشير في هذا الصدد إلى قاعدة مهمة في التعاطي نسيء فهمها عند الممارسة وهي الحديث المشهور إنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فالصحيح أن تنصر أخاك الظالم بردعه عن الظلم لا بتأيده وأن تنصر أخاك المظلوم بمساعدته على إسترداد حقه من ظالمه، هذه هي الفائدة الاولى أما الفائدة الثانية فاننا نلاحظ أن اللّه جل وعلا لم يطعن كنعان في أي جانب من جوانب شخصيته وإكتفى بقوله إنه عمل غير صالح ونحن عندما نختلف مع أحد من الناس فاننا ننسب له كل العيوب والطعون في دينه ونسبه وخلقه وشرفه دون ورع ودون تقوى وهذا ما لا يغتفر وقد قيل:

جراحات السنان لها إلتام

ولا يلتام ما جرح اللسان

حددوا تهمة من تختلفوا معه ولا تفتروا عليه أو تنسبوا له ما لا يعقل أو ما لا يصدق كمعاوية حين إفتعل الصراع مع أمير المؤمنين عليه السلام قال للناس أن علي بن أبي طالب عليه السلام لا يصلي ولا يغتسل من جناية فهل يعقل هذا؟

ثم انظروا إلى نوح النبي عليه السلام كيف استسلم لأمر اللّه في ولده وتقبل الفاجعة بنفس مطمئنة راضية بقدر اللّه وقضائه لانه يعلم بأن اللّه يريد مصلحته في كل هذا بعد هذه الجولة مع كنعان بن نوح تعالوا لنمضي إلى الشهيد الذي ناحه وبكاه نبي اللّه عبد الغفار عليه السلام ٣٠٠ ثلاثمائة سنة حتى سمي نوح لكثرة نوحه وبكائه لنمضي إلى كربلاء إلى الحسين عليه السلام وابنه الذي من أهله أعني أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسول اللّه

مُحَمَّد ﷺ ذاك علي بن الحسين الأكبر عليه السلام الذي كان مع أبيه على الحق والهدى يُشرِّق إذا شرَّق ويغرِّب إذا غرَّب لاحظو الفرق بين كنعان بن نوح وعلي الأكبر بن الحسين عليه السلام كنعان يدعوه نوح إلى ركوب سفينة النجاة فيأبى وعلى الأكبر يدعوه أبوه إلى الموت من أجل الدين فيلبي يقول الرواة أدركت الحسين عليه السلام في الطريق سنة غفوة فأفاق وهو يقول (إنا للّه وإنا إليه راجعون) قال علي: أبه مم استرجاعك فداؤك نفسي، قال بُني علي كأني بهاتف ينادي القوم يسيرون والمنايا تحوطهم فقال الاكبر أبة أو لسنا على الحق قال إي والذي أليه مرجع العباد فقال الأكبر قول جده علي بن أبي طالب عليه السلام لا نبالي وقعنا على الموت أم وقع الموت علينا. سيدي الناس يقع الموت عليهم أما أنتم يا أشبال علي و مُحَمَّد فتمشون إليه وتقعون عليه لأنكم تأنسون بالموت كما يأنس الطفل الرضيع بمحالب أمه، برز الاكبر يوم العاشر إلى الحرب والجيش يرى كأن أمير المؤمنين عليه السلام حضر الحرب لذلك إرتجز الاكبر منادياً

أنا علي بن الحسين بن علي
نحن وبيت اللّه أولى بالنبي
أضربكم بالسيف
أحمي عن أبي
ضرب غلام هاشمي علوي
تالله لا يحكم فينا إبن الدعي

قاتل قتال الآساد حتى سقط شهيداً يخور بدمه وهو ينادي عليك مني السلام أبتاه يا حسين فانقض الحسين عليه وهو يقول واولداه واعلياه على الدنيا بعدك العفا.

يا كوكباً ماكان أقصر عمره
وكذا تكون كواكب الأسحار

جــــاورت أعــدائــي وجـــاور ربَّهُ

شــتَّــان بــيــن جـــــوارهِ وجواري

يــبــنــي عــلــي يـــا نـــــور عيني

يـــا بــهــجــة أيـــامـــي وسنيني

غـــذيـــتـــك بـــحـــبـــي وحنيني

يـــا شــبــه جـــدي مـــن بنيني

مـــا حــســبــت تــنــشــل يميني

والـــحـــجـــر يــفــضــخــلــي جبيني

حـــال الأجـــل بــيــنــك وبيني

***

مشروعية البكاء

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤)قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ(٨٦)﴾(١)

في هذه الايات المباركة من سورة يوسف عليه السلام مشهد من المشاهد المؤثرة التي قصهّا اللّـه علينا من خلال موضوع سيرة هذا النبي العظيم والمتضمنة لأروع الدروس والعبر والتي نهى النساء عن الأكثار من تلاوتها مدرسة الأخلاق الكبرى نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وحثنا على تعليم فتياتنا ونسائنا سورة النور بدلاً عنها بعد الرؤيا التي حكاها يوسف لأبيه يعقوب والتي أثارت الحسد الكامن في نفوس إخوته وصار ماصار من إلقاء يوسف في غيابات الجب والعودة بقميص يوسف وهو غير ممزق وعليه آثار دم مكذوب، ومروراً بما جرى على نبي اللّـه يوسف عليه السلام بعد إلقاءه في الجب إلى ان يتمكن يوسف عليه السلام من إعتلاء عرش وزارة المال والأقتصاد في حكومة عزيز مصر وقصة صواع الملك التي إفتعلها يوسف عليه السلام ليحتفظ بأخيه بنيامين وعودة بقية أولاد يعقوب عليه السلام إلى أبيهم في حالة من الإحباط واليأس جدَّدت على يعقوب أحزانه، وهنا عندما يخبره أولاده بالخبر الحزين نرى هذا النبي المعصوم عن الخطأ والذي يعلم من اللّـه مالا نعلمه، يصرف وجهه عن أولاده وقد تملّكهُ الحزْنُ من رأسه إلى أخمص قدمه، وما أروع الوصف القرآني لحالته حيث ينادي بصوت شجي ياأسفاه على

(١) سورة يوسف: ٨٤ـ٨٦.

يوسـف، أي واحزناه وبقي يبكي ويبكي ويبكي حتـى إبيضَّت عيناه من الحـزن أي نزل فيها الماء الذي يكون كالغشـاوة التي تغشـى البصر فتمنعه. ثم يقول فهو كظيـم أي ممتلىء بالحزن حتـى كظمـه، والكظم لغـة عدم إظهـار الغيـض ومن هنا جـاءت تسـمية الامام موسـى بن جعفر عليه السلام بكاظم الغيظ، ويقال أمسـك بكظمه أي أمسـك بخناقه. فيعقوب عليه السلام في هذا المشـهد والموقف ممتلىء بالحزن والدموع تجري من عينية وأولاده بلغ بهم الخوف عليه لدرجة توّقع الهلاك، فحاولوا أن يمنعوه من البكاء على فراق يوسـف وبنيامين ولكنه أجابهم بأنه إنما يبّث حزنه وشكواه إلى اللَّـه ربّ العالمين، وإنه يعلم من اللَّـه مالا يعلمون.

زبدة مخاضنا هي مشروعيّة البـكاء. فالبكاء عاطفة إنسـانية نبيلة إن دلَّـت على شيء فانما تدل على شـفافية ورقة وإنسـانية الباكي، على عكس ما يحاول البعض قوله في هذا الصدد من أن البكاء حـرام وأن الميّت يتعـذّب ببكاء أهلـه عليه، أو أنه من أطباع النسـاء وأنـه دليل على الضعف والخـور والإنهيار وقـد إعتمدنا في دعم وجهـة نظرنا في البـكاء على الدليـل القرآني لقوته وعدم إمكان إنـكاره في الوقت الذي لايجد فيـه دعاة الرأي المخالـف إلّا رواية ضعيفة ومصحّفة عن عبداللَّــه بن عمر عن أبيـه بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قـال: بأن الميّت يعـذّب ببكاء أهله عليه، وقد إرتأينا أن نضع النقـاط على الحروف في هذا الموضوع الـذي زاد الأختلاف فيه بين الناس خصوصاً في أيام عاشوراء، وفي هذا الصدد نقول:

أن الدليل على مشروعية البكاء ينقسم إلى دليلين شرعي وعرفي.

أما العرفي فهو ما تعـارف عليه الناس من إن البـكاء والدموع عاطفـة صادقة تنبعث من الوجدان تارة من شـدة الفرح وتارة من شـدة الحزن وقـد ينبعث الدّمع مـن مؤثرات أخرى كالخوف والوجد والجزع وما إلى ذلك ولعلنا نجد في الآداب العالمية مدرسـة خاصة تعبر عن هذا المعنـى وهي مدرسـة «التراجيديا أو الدراما» على صعيد المسرح والسـينما وهذه المدرسـة تسير جنباً إلى جنب مع الكوميديا ولعلها أكثر من الكوميديا إجادة وإبداعاً.

وأما الدليل الشرعي فينقسم إلى قسمين عام وخاص

العـام ما أجمع عليه المسـلمون من كتاب اللّـه وسُـنَّة نبيهِّ قـولاً وفعلاً وتقريـراً فقد أثبت أصحاب الصحـاح والتاريخ والسـيرة والتفسـير بأن صاحـب الخلق العظيم بكـى على ولده إبراهيم من سرّيته ماريّـة القبطية وقـال قولته الخالدة التـي نذكرها لكل من يفقـد عزيزاً على قلبه: إن العـين لتدمع وإن القلـب ليحزن ولكـن لا نقول ما يغضـب الرب كما إنـه بكى على عمِّه حمزة وعمِّه عبد مناف وعلى شريكة دربه أمَّ المؤمنين وسـيدة نسـاء العالمين السيدة خديجة الكبرى سلام اللّـه عليها وقد أسـمى عام وفاتيهما في شِعب أبي طالب بعام الحزن كما أن عمر بن الخطاب المعروف بتجلده وشـدَّته بكى على أبي بكر وعلى سعد بن معاذ وعلى أخيه زيد بن الخطّاب.

وأما الخاص فهـو ماورد عن أئمـة أهل البيت عليهم السلام وبطرقنا الخاصة بشـأن إسـتحباب البكاء من خشية اللّـه وعلى مصيبة سيد الشـهداء الذي أبكى السماوات والأرضين والملائكة والجن والإنس أجمعين حتى بعض قاتليه يقول الرواة أن عمر بن سعد بلّ لحيته من البكاء على الحسين بعد قتله.

وقد ورد في طرقنا الخاصة أن الأنبيـاء من آدم عليه السلام إلى الخاتم مـروّا بكربلاء وبكوا على الحسين عليه السلام كلما كان جبرئيل عليه السلام يذكر لهم قصة مقتله.

وورد أن جبرئيل عليه السلام أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم سـاعة ولادة الحسـين بنبأ مقتلـه وأعطاه قبضة من تراب كربلا فبكى النبي ومن حوله على الحسـين، وأودع قبضة التراب عند أمَّ سلمة رضي اللـه عنها.

وورد عن الامام الرضا عليه السلام أنه قال: «**يابن شـبيب إن كنت باكياً لشيء فابكِ الحسين بن علي عليه السلام فانه ذبح كما يذبح الكبش وقتل معه من أهل بيته سـبعة عشـر رجلاً ما لهم في الأرض من شبيه ولقد بكت السماوات والأرضين لقتله**».

ولا يفوتنا هنا أن نذكر بأن الشيعة لا يبكون على الحسين فالحسين عليه السلام نعلم علم اليقين إنه في رَوْح ورَيحان ومع جدّه وأهله في الجنان ولكن نبكي لما أصابه من غربة وعطش وجراح

ومصائب تنوء الجبـال بحملها، وكان أعظمها عـلى قلبه عندما نظر إلى ولده علي الأكبر أشـبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسول اللَّـه ﷺ وقد قطعته السيوف إرباً إرباً.

أهوى عليه يقبلـه والدموع تغالبـه وهو ينادي بني علي عـلى الدنيا بعدك العفـا أي ليتني دونك نهباً للسـيوف واجـداه وامحمداه واأبنـاه واعليـاه، بني علي قتـل الله قومـاً قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة جدك وأبوك،أما أنت فقد إسترحت من هم الدنيا وغمها وتركتني لهمها وغمها.

جـــاورت أعـــدائـــي وجـــاور ربه
شـــتــان بــيــن جـــواره وجواري
يــا كــوكـبــا مــا كــان أقــصر عمره
واكـــذا تــكــون كــواكــب الأسحار

***

يــبــنــي عــلــي يـــا نـــور عيني
يـــا زهـــوة أيـــامـــي وسنيني
غـــذيـــتـــك بـــحـــبـــي وحنيني
يـــا شـــبـــه جـــدي مـــن بنيني
مـــا حـــســـبـــت تـــنـــشـــل يميني
والـــحـــجـــر يـــفـــضـــحـــنـــي بجبيني
حـــــال الأجـــــل بـــيـــنـــك وبيني
لـــتـــروح يـــبـــنـــي وتخليني

***

الإيقاعات الحسينية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾(١).

لكل شيء في هذا الوجود الرحب شكل ومضمون أو مظهر وجوهر حتى الإنسان، ولقد عمل الأنبياء والرسل والمصلحون والجاد من المفكرين على تطهير وتجميل وتفعيل الشكل والمضمون في كل شيء من أجل حياة حرة كريمة في هذه الدنيا والفوز بالنعيم الأزلي في الآخرة.

وما كانت القوانين والشرائع السماوية التي أنزلها الله علينا من طريق أنبيائه ورسله إلا وسيلة للبلوغ إلى الغايات المنشودة صحيح أن الله يقول:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(٢). ولكن عندما نعلم أنه الغني عن عبادتنا ولا تضرُّه معصيتنا نتساءل إذاً لماذا العبادة؟. الجواب: إنها الدواء الفعّال الواسع الظل والتأثير الذي يساعدنا على سعادة الدارين.

وقد أغرق البعض في ظلمات الجهل بالسعي غير المتوازن بين تطوير الشكل وتطوير المضمون.

فمجموعة منّا إعتنت بالشكل على حساب المضمون وهم القشريون وأخرى اعتنت بالمضمون على حساب الشكل وهم الجوهريون ونشأ صراع غير ذي جدوى بين الفريقين يسفه أحدهم الآخر ويتهمه شتى التهم، ونتيجة لانشغالنا بهذا الصراع بين الكلاسيك

(١) سورة الأنفال: آية ٣٥.
(٢) سورة الذاريات: آية ٥٦.

والحداثة والواقعية والرومانتيك وحتى بين رجل الدين العصري ورجل الدين التقليدي ووصلنا الذروة حين أعلنا التنزيلات الكبرى في معارضنا الفكرية والعقائدية «أوكازيون» اختلط الحابل بالنابل وأصبح الناس غالبية الناس وليس الكل لا يفرّقون بين الغاية والوسيلة، وصارت الغاية تبرر الوسيلة ولعل ما ينتظرنا أدهى وأمر.

بالرغم من أن الآية الكريمة تتحدث عن تصرف بعض المشركين داخل البيت العتيق الذي أراده الله داراً لصناعة الإنسان، وطلب من الناس أن تتوجه إليه في كل يومٍ خمس مرات وجعل أفئدة من الناس تهوي إليه.

إلا أننا ومن خلال التدبر فيها والالتفات إلى المصاديق التي نراها في عصرنا الحالي سننصرف إلى بحوث دقيقة نحن أحوج إليها من حاجتنا إلى الجانب التاريخي في الآية المباركة. المشركون كما تقول الآية المباركة كانوا يدخلون البيت يصفرون ويصفقون في صلاتهم لأنهم أولاً كافرون بالله وثانياً من عشاق المظاهر وثالثاً يشوشون على النبي في صلاته يطوفون عُراة رجالاً ونساءً حول البيت ولعلهم يعتقدون بأنهم على الحق والهدى وسواهم على الباطل فتوعدهم الله جل وعلا بالعذاب الأليم لكفرهم وجهلهم.

كثيرون في أيامنا هذه أصبحت صلاتهم بل أغلب عبادتهم مكاءً وتصدية وعلى الأنغام والإيقاعات المختلفة.

كما يقول الشاعر:

وأول السيل قطر ثم ينهمر

بدأت هذه الحالة بمدائح وتواشيح للنبي المصطفى محمد ﷺ ثم بترجيعات في تلاوة القرآن ثم بتنغيم الأذان حتى أصبح الدعاء والتوسل بالله على حسب الألحان المختلفة. الدعوة إلى السحور في رمضان الكريم على الأورغ والتوسل بلفظ الجلالة يا الله حسب الأنغام وليس ببعيد سيأتي يوم تكون فيه الصلاة حسب المقامات والسُلَّم الموسيقي فأنا أصلي على نغم الرست وأنت تصلي على البيات والآخر على الحجاز، ونبدأ بالأذان من طبقة

الدو أو الري أي المي أو الفا، والذي يشغلني هو عدم معرفتي بأحب المقامات للملائكة حرام ما نفعله أيها الناس، هو كفر وجهل، ما من قناة من قنوات التلفزيون إلا وقد أعدت برنامجاً دينياً، إن هذه التسمية تحرق صميم قلبي وأتصوّر فيها إسماً آخر يطلق على غير مسمّاه هو المشروبات الروحية، صدّقوني قبل مدة حضرت تشييع جنازة لأحد المؤمنين وبدل آثار الخشوع والحزن التي يجب أن ألحظها على المشيعين وجدتهم ينشدون كلمة لا إله إلا الله بإيقاع راقص يصلح لحفلة عرس.

حتى من جانب الذوق الموسيقي القضية فاقعة وغير لطيفة الكلمة كائن حي يذوب حزناً وخشوعاً عند المصائب كما أنه يرقص فرحاً وسروراً يوم الأفراح.

للكلمة لون وطعم ورائحة، آثارٌ لفظية وآثارٌ كونية وآثارٌ شكلية، لا تلوثوا روح الكلمات الطيبة لا تفقدوا كل شيء لونه أو طعمه أو رائحته، الخضار والفواكه واللحوم والهواء غيرتموها بالمواد الكيمياوية، أرجوكم حافظوا على بقايا وجودنا إعلموا أن العبادات كل العبادات إن هي إلا وسائل طاهرة مطهرة للنفوس البشرية فلا تخرجوها عن إطارها. ولا تفسدوها بالمذوقات وبأسم روح العصر والتمدّن لقد كان بلال الحبشي رضوان الله عليه لا يحسن لفظ الشين في كلمة أشَهدُ عند الأذان فشكوه لرسول الله ﷺ فقال النبي سين بلالٍ شين عند الله، يعني لاحظوا إنسانية بلال لا لثغة لسانه، أنظروا كيف أن صلاته وصيامه وكل طاعاته قد فعلت مفعولها في سلوكه، من مسجد واحد في طيبة صنع النبي روحي فداه أجيالاً إسلامية ثابتة العقيدة مستقيمة السلوك ونحن اليوم ومن ملايين المساجد لم نصنع ولو نصف مسلم.

بل ترفنا دفعنا إلى مسخ كل معالم الهداية والصلاة حقاً إنها جاهلية جديدة ترتدي حُلة المدنيّة والحضارة ولا تستغرب لو قلت لك حتى عاشوراء الحُسين يريد البعض مسخها علينا أن نقف بوجه كل انحراف، نحن مع التهذيب مع التطوير ولكن لسنا مع إطفاء جذوة هذه الأيام التي أصبحت الوحيدة من بين كل محطات التاريخ التي تستوقف الأحرار والثوار

للتزود منهـا بالطاقة والوقود الإيـماني، لقد أراد أعداءُ محمّـد وآل محمّد للأمة إسـلاماً أجوفاً، وأراد أهل البيت إسـلاماً فعالاً دافعوا عـن اللباب، صهـروا جميع الطاقـات في بوتقة واحدة ووظفوهـا لخدمـة الإسـلام لا تأخذهـم في الله لومة لائـم رائدهم الحـق وشـعارهم الصدق إنظروا إلى أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسول الله ﷺ كيف ينطلق في ساحات البطولة والفداء، في طريق الشـهادة مـن المدينة إلى كربـلاء يقول الرواة أغفأ الحسـين إغفـاءة ثم أفاق منها وهو يسـترجع أي يقول إنا لله وإنا إليـه راجعون فبادر إليه شـبيه المصطفى قائـلاً أبه مِمَّ إسترجاعك فداؤك نفسي قال الحسين عليه السلام بني علي كأني سمعت هاتفاً يقول القوم يسيرون والمنايا تسير معهم، فقال علي الأكبر أبه أو لسنا على الحق؟ قال الحسين: نعم والذي إليه مرجع العباد، فقال علي: لا نبالي إذاً وقعنا على الموت أم وقع المـوت علينا، وعلى لفظ آخر لا نبالي أن نموت محقين، هـذه هي الصلاة الفعّالـة وهذا فعل المصلي الحقيقي، أشـهد يا سـيدي أنك قد أقمت الصـلاة وآتيت الـزكاة وأمـرت بالمعـروف ونهيت عن المنكـر وجاهدت في سـبيل الله وأطعت الله ورسـوله حتى أتاك اليقين، لقد صلى علي الأكبر مع أبيـه والأنصار صلاة الخوف إذاً فما معنى سجوده على كربوس فرسـه بعدما إقتادته إلى معسـكر الأعداء فقطعّوه بسيوفهم إرباً إربا لعلَّها كانت سـجدة شـكر لله على فوزه بالشـهادة ولقاء جدِّه المصطفى ﷺ بكأسـه الأوفى هو عـلي الأكبر لأنه حـين خرَّ إلى الأرض صريعاً نـادى بضعيف صوته أبه يا حسـين عليك مني السـلام، وهـذا يعني الوداع هذا جدي رسـول الله ﷺ ولعل أول شـهيد سـقاه رسول الله ﷺ سقاني بكأسه الأوفى شربه لا أظمأ بعدها أبداً ويقول لك عجل بالقدوم فإن كل كأساً مذخورة أسرع الحسين إليه وهو يقول واولداه واعلياه على الدنيا بعدك العفا:

يـبـنـي عـلـي يـا فـتـشـة العين
أنـه والـدك عـدراسـك حسين
يـبـنـي صـواب الـضـاهـدك وين
چـيـدي عـلـيـك انـجـسـم نصين

يـــا كـــوكـــبـــاً مـــا كـــان أقـــصر عمره

وكـــــذا تـــكـــون كـــواكـــب الأسحار

﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾. صدق الله العلي العظيم. ١٩/ الحجر.

في الآية الكريمة من سورة الحجر ثلاثة محاور يمكن إثارة البحث حولها وهي

١. الأرض الممدودة

٢. الرواسي وهي الجبال

٣. النبات الموزون

ولسنا هنا بصدد مناقشة الصراع القديم الدائر بين القائلين بكروية الأرض والقائلين أنها مسطحة لأن البيان هنا واضح فالحقُّ جلَّ وعلا يقول مَددناها.

ومن أجل تثبيتها والمحافظة على توازنها ألقى فيها الرواسي وهي الجبال التي تختزن المعادن الثمينة كالذهب والفضة واليوارنيوم والفوسفات والرخام والأحجار الكريمة التي تباع بالوزن وتحفظ التوازن الاقتصادي في هذه المعمورة لملايين السنين ومليارات المخلوقات.

السؤال الذي نطرحه هنا ونحاول الإجابة عليه هو إن كان أكرم الأكرمين قد حفظ وجودنا المادي بهذا التوازن الرائع فهل يعقل أن يُهمِلَ الجوانب الروحية فينا؟

هل من المناسب لعدله وحكمته أن يتركنا هملاً كالبهائم التي همُّها علفُها ثم يُحاسبنا يوم القيامة على معاصينا دون أن يبعث إلينا من يهدينا سواء السبيل؟ من سيساعدنا على تحقيق التوازن العقلي والنفسي والروحي؟ من الذي يُرسِّخ في مجتمعاتنا مفاهيم الحب والعدل والحرية والإبداع؟ بكل بساطة ودقة وأمانة إنهم الأنبياء والرسل الهُداة الذين بعثهم الله جل

وعلا إلينا ليأخذوا بأيدينا إلى طرق السلام.

إذاً لنقارن بين وجود الجبال الراسية والمليئة بالكنوز وحاجة الأمم لوجود الأنبياء ومن يمثل الامتداد الطبيعي لهم.

منذ خلق الله جل وعلا الخلق وإلى يومنا وإلى يوم الحساب احتاج هذا المدّ البشري ويحتاج إلى مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ورسول ترسي في هذه المجتمعات قواعد العدل و المساواة وتهدي للتي هي أقوم، ابتداءً بآدم عليه السلام وحتى الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل أشرف الخلق ولسان الحق ومعين الصدق وحبيب إله العالمين أبي القاسم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إذاً فهذه النفوس الممدودة والتواقة لكل شيء والممتدة في طرفي الماضي والمستقبل بأمس الحاجة المادية والمعنوية للأنبياء والرسل حاجة الأرض للجبال والسماء للنجوم.

فالنبي والرسول بمخزونه العلمي الذي حصل عليه عن طريق الوحي يعلمنا تعاليم الحق وبكرم أخلاقه يساعدنا عملياً على أداء واجباتنا ويمكننا من التمييز بين النفع والضرر وبين ما يأمرنا الله به وما نهانا عنه، ولا ريب ولا شك فإن الإيمان بالنبي فرعٌ للإيمان بالله الأحد الفرد الصمد وبعدله وسائر صفاته، وأن الأنبياء هم الذين يحملون إلينا رسالة الله جلَّ وعلا.

يروي هشام بن الحكم عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ردَّهُ على الزنديق الذي طالبه بإثبات الحاجة للرسل والرسالات، يقول قال له: (إنا لما أثبتنا أنّ لنا خالقاً وصانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهدهُ خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه ثبت أن له سفراء في خلقه يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه المعبرون عنه جل وعلا وهم الأنبياء صفوته من خلقه) طبعاً الآمرون هنا بالمعروف والناهون عن المنكر وكما تعلمون فإنَّ قول

النبيِّ وفعله وتقريره علينا حجة، مهمته التبليغ عن المشرِّع الذي هو الله جل جلاله.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن بعد وفاة خاتم الأنبياء ﷺ إلى أيِّ جبل من جبال الإيمان تلجأ الأمة لتأمن اختلال التوازن ولأيِّ كهف حصين يختزن العلوم النافعة والرسالة الجامعة؟

نعود للسؤال الذي طرحناه أولاً هل ترك رسول الله ﷺ بأمر الله الأمة هملاً دون أن يوصي؟، وهل انقطعت الرحمة الإلهية المبعوثة للعالمين برحيل رسول الله ﷺ؟ ما هو ذنبنا وما هي جنايتنا التي نستحق عليها الحرمان من وجود رسول الله ﷺ أو من يمثله ويمكن اعتباره الامتداد الطبيعي للرحمة المهداة؟

أين خزَّن رسول الله ﷺ علمه، حلمه، كرمه، سجاياه؟

أمن العدل أن ينعم أجدادنا بنعمة وجود النبي ﷺ ونحرم منها نحن؟ كيف يتحقق العدل والتوازن؟

يتحقق باللجوء إلى ورثة علم النبيِّ لا سُرَّاق تراثه!!! وهو القائل:

أنا مدينة العلم وعلي بابها، وأهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وفاطمة بضعة مني، والحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً.

عوض اللجوء إلى ورثة علمك يا رسول الله ﷺ والركون إلى كهوف حصنك والاستفادة من كنوز رحمتك، لجأ البعض إلى الذين ظلموا أنفسهم وظلمونا فمستهم النار وأحرقونا بأطرافها.

سيدي يا رسول الله ﷺ الكل يتذكر يوم جمعت أهل بيتك تحت الكساء اليماني ورفعت يدك بالدعاء قائلاً: (اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحامتي لحمهم لحمي ودمهم دمي وعظمهم عظمي وشعرهم شعري يفرحني ما يفرحهم ويؤلمني ما يؤلمهم، أنا سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم فاجعل صلواتك وبركاتك ورحماتك عليَّ وعليهم وأذهب عنهم الرجس

وطهرهم تطهيرا، فأنزل عليك قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**. أتدري ماذا فعلوا ببيتك وأهله، إلى الله العذر وإليك يا حبيب الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما دمك فقد سفكوه وأما لحمك فقد فروه وعظامك داسوها بحوافر الخيل وحريمك نُهبت وسُبيت من بلد إلى بلد، أما البيوت سيدي فقد هتف عمر بن سعد بن أبي وقاص عليَّ بالنار لأحرق بيوت الظالمين وشمرٌ يؤازره بندائه لا تبقوا من أهل هذا البيت باقية ففر الأيامى واليتامى من عترتك على وجوههم في بيداء كربلاء يصرخون

واجداه، وامحمداه، وا أبتاه واعلياه، واعماه واحمزتاه

وهم مع ذلك عطاشى بجنب الفرات ولسان حالهم يستغيث هاتفاً:

يا جدُّ قد منعوا الفرات وقتلوا
عطشاً فكان من الدماء المورد
يا جدُّ إن الكلب يشرب آمنا
ريَّاً ونحنُ عن الفرات نُطرد

يا جدُّ

ولعل أهم الجبال الرواسي التي بانهيارها انهدَّ ركن الحسين عليه السلام ولده علي الأكبر عليه السلام يقول العلامة التستري في خصائصه الحسينية كادت روح الإمام الحسين عليه السلام أن تخرج من بدنه دون مقاتلة مرتين الأولى عند مصرع ولده علي الأكبر عليه السلام والثانية عند مصرع قمر بني هاشم عليه السلام.

كان الحسين عليه السلام يراقب صولات ولده وحملاته التي جعلت القوم يظنون أن علياً عليه السلام قد خرج من قبره ووفد إلى كربلاء لنصرة الحسين عليه السلام وإذا بصوت الأكبر من قلب المعركة ينادي أبه يا حسين عليك مني السلام هذا جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً ويقول لك عجّل بالقدوم فإنا لك مشتاقون وإن لك كأساً مذخورة.

أسرع الحسين عليه السلام وإذا بعليٍّ الأكبر يجود بنفسه وقد قطعته السيوف إرباً إربا، أطلق العنان للعبرات ووقف أسير الكربات ينادي واجداه وامحمداه سيدي أبا عبد الله لعلك تصورت جدك المصطفى على رمضاء كربلاء وقد أخذت السيوف والرماح والسهام مأخذها منه.

بني علي على الدنيا بعدك العفا قتل الله قوماً قتلوك ما أجرأهم على الرحمن وانتهاك حرمة الرسول، ولدي، حبيبي، نور عيني ثمرة فؤادي أما أنت فقد استرحت من هم الدنيا وغمها وتركتني لهمها وغمها

جاورت أعدائي وجاور ربه
شتان بين جواره وجواري
يا كوكباً ما كان أقصر عمره
وكذا تكون كواكب الأسحار

يبني علي يا نور عيني
ويا فرحة أيامي وسنيني
غذيتك بحبي وحنيني
يا شبه جدي من بنيني
ما حسبت تنشل يميني
والحجر يفضخ لي جبيني
حال الأجل بينك وبيني
لتروح يبني وتخليني.

لله أقمارٌ أفلن بكربلا
ولها بيثرب والمحصب مَطلعُ

***

ابن نوح والأسباب المادية

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[1]

من كلام لمولانا الامام علي بن أبي طالب عليه السلام «**الطرق إلى الحق عدد أنفاس الخلق**». وما أيسر الاتصال باللّه فهو أقرب إلينا من حبل الوريد وقد قيل إذا أردت أن يحدثك اللّه فاقرأ القرآن وإذا أردت أن تحدثه فرقم هاتفه صغير وخطوط الاتصال واضحة وعلى مدار الساعة إطلب / ٢٤٤٣٤/ ستجده قريباً يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ركعتان صباحاً وأربعة ظهراً ومثلها عصراً وثلاثة بعد الغروب وأربعة عشاءً.

وما أجمل البساطة والتوجه المخلص في هذه الأمور **﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾**. رائع هو الإيمان الفطري باللّه، سُئل بدوي كيف عرفت اللّه فأجاب البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير أفسماوات ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا يدلان على اللطيف الخبير.

وسئلت عجوز تغزل الصوف بمغزلها كيف عرفت ربك قالت من مغزلي هذا، فإذا أدرته دار وإن توقفت توقف فعلمت إن لهذا الكون مديراً وهو اللّه جل جلاله.

أما مشكلة بعض الناس أنهم يدَّعون العلم والمعرفة ولا يؤمنون باللّه إلا بمعرفة كما يقولون الأدلة العقلية والنقلية وبالرجوع إلى المنطق وعلة كل تشريع على حده.

(١) سورة هود: ٤٣.

ولعل مـن يتذوق حـلاوة المنطق القـرآني يكتشـف بسرعة وببسـاطة إنـه لا يمكن أن تفسر جميـع القضايا بالمنطق الرياضي والاسـتقراء المنطقـي وإنه لا يمكن الاعتـماد كلياً على العوامـل الماديـة في عمليـة التطور الاجتماعـي والتاريخي، بل يجـب الأخذ بنظـر الأعتبار وقبل كل شيء الإرادة الإلهيـة ومقتضيات الحكمة والمصلحة الربانيـة. فالنار بمنطق العقل تحرق ولكنها بمنطـق الايمان والقـرآن تصبح أحيانـاً برداً وسـلاماً، والمميـت والمُحيي هو اللّـه جل وعلا ولكن بمنطق الإيمان والقرآن أحياناً يكون إبراهيم الخليل عليه السلام والمسيح عيسـى عليه السلام ومحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم .إذاً لا يمكن الأغفال عن إرادة اللّـه في أي حساب من حساباتنا كما لايمكن الاعتماد الكلي على العوامل المادية.

وما الآية الكريمة موضوع البحث إلّا دليل واقعي على ما نقول لنسـتعرض مضامينها ونخلص إلى ما نريد:

١. قال من القائل؟ السياق في الآيات السابقة يدل على إنه ابن نوح عليه السلام إمّا كنعان أو يام وهو أقرب لتسمية نوح أولاده بسـام وحام ويافت، وقد وقع خلاف حاد بين المفسرين حول هل إن يـام ابن نـوح عليه السلام او ابن زوجته التـي لم تؤمن بـه كزوجة لوط عليه السلام وأياً تكـون النتيجة فلقـد كان على خلاف عقائـدي مع نـوح عليه السلام وكان في معزل إمّا في المسـكن أو في المعتقد أو عن السـفينة ولما دعاه نوح عليه السلام إلى الايمان باللّـه ورسـله وركوب السـفينة رفـض معتمداً عـلى قناعتـه المادية بانـه لوصدق نـوح عليه السلام في أمر الطوفان فان الماء لا يحتمل أن يغطي الجبال العالية التي سيأوي إليها.

٢. بحث يـام عـن العاصم المـادي وتخلّى بسـهولة عن العاصـم الحقيقـي الذي هـو وعد اللّــه الحـق لنبيـه ﴿**إنه لا يخلف الميعاد**﴾ وكذلك فعلـت أُمة نبينـا محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم حيث تركـت منابـع العصمـة الحقيقيـة محمـد صلى الله عليه وآله وسلم وآلـه ﴿**واعتصموا بحبل اللّـه جميعاً ولا تفرقوا**﴾كتاب اللّـه الناطق وكتاب اللّـه الصامت القرآن الكريم وذهبوا يضخمون البدائل التـي ابتدعوها على حسـاب اللّـه ورسـوله، تركـوا الأقرب وتشـبثوا بالأبعد،

فرضوا العصمة للصحابة وأنكروها في أهل بيت مُحمَّـدٍ ﷺ الذين أذهب اللّـه عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

٣. نبّه نوح عليه السلام إبنه يـام وهو ينبهّنا نحـن كذلك بأنه لا عاصـم عن أمر اللّـه فاذا حلَّ العذاب لا يوفر كبيراً ولا صغيراً. وقد روى المفسرون عن عائشة عن رسول اللّـه ﷺ إنه لما فار التنور وكثر الماء في الشـوارع والأسواق والسكك خشيت أم صبي على ولدها وهي تحبه كثيراً فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلـما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثي الجبل فلـما بلغها الماء خرجت به حتى استوت عـلى الجبل فلما بلغ المـاء إلى رقبتها رفعت ولدها بيديها حتى ذهب بها الماء، وتقول فلو رحم اللّـه منهم احداً لرحم الصبي وأُمَّهُ.

٤. فتح له في اللحظة الأخـيرة كوة للرحمـة ومجال للعودة عـن الخطأ وقد قيـل «الاعتراف بالخطأ فضيلـة» فاسـتثنت الآيـة بـ﴿**إلَّا من رحم**﴾ يعني مـن رحمـه اللّـه بايمانـه تارة، وأُخرى بأن يرحم هو نفسـه ويفر من العذاب ويلجأ إلى رحـاب اللّـه ولو في آخر رمق لأن باب التوبة مفتوح ليلاً ونهاراً ولئن كان للنار سبعة أبواب فأبواب الجنة ثمانية

٥. المشـهد الأخير اصرار يام على الكفر وتسـليم نوح عليه السلام التـام لأمر اللّـه، وإذا بالماء يحول بين الوالد وولده فيغرق الولد ولا أستبعد أن تدرك نوح عليه السلام بعض الرّقة وهو النوأّح الكبير، لانـه أب وإن كان ولـده كافراً باللّـه، وأمام عيون بصيرتي الان مشـهد مماثل في جوانب ومتباين في أُخرى من فجائع يوم عاشوراء، تلك الفجائع التي اهتز لها ملكوت السماء.

الإمام لحسين عليه السلام وإبنه الأكبر أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسول اللّـه ﷺ هذا الفتى الهاشـمي الكريم سـجَّل أروع البطولات في كربلاء حتى جعل الناس يتساءلون هل خرج عليٌّ عليه السلام مـن قبره وحضر كربلاء يـذود عن والده الحسـين عليه السلام، في طريقه إلى كربلاء يقول الرواة أغفأ والده الحسـين عليه السلام إغفائه ثم استيقظ وهو يسـترجع يقول

إنا للّـه وإنا إليه راجعون قال لأبيه أبه ممّ استرجاعك فداؤك نفسي قال بني علي سمعت هاتفاً ينادي القوم يسيرون والمنايا تحوطهم، قال علي أبه أولسنا على الحق؟ قال بلى والذي إليه يرجع العباد، قال إذاً لا نبالي وقعنا على الموت أم وقع الموت علينا. باللّـه عليكم هل من مجال للمقايسة بين علي الأكبر وبين يام ابن نوح عليه السلام كلا وألف كلا.

أما الموقف الذي فيه شبه بموقف نوح عليه السلام مع الفارق فهو في خروج علي الأكبر إلى الميدان، وقف الحسين عليه السلام بباب الخيمة ينظر إلى ولده الغالي وقد برز إلى الميدان يرتجز ويقول:

انا علي بن الحسين بن علي

نحن وبيت اللّـه أولى بالنبي

وهنا حال الجيش بين الحسين وولده كما حال الماء بين نوح وولده دخل الخيمة والحزن بادي عليه صرخت ليلي سيدي هل أصيب ولدي بمكروه قال لها لا ولكن برز له من يخاف منه عليه يا ليلي لقد سمعت جدّي رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم يقول دعاء الأُم بحق ولدها مستحاب فادخلي وادعي لولدك.

دخلت خدرها نثرت شعرها توجهت بأُمومتها إلى فيض الرحمة والحنان صاحت إلهي وسيدي ومولاي: الهي بغربة أبي عبد اللّـه إلهي بصبر أبي عبد اللّـه إلهي بعطش الحسين يا راد يوسف على يعقوب أردد عليَّ ولدي سالماً.

طبت لخيمتها الغريبة تبجي على ابنيها بريبة
وإتوسلت لله بحبيبه بالحسين وإشمابيه مصيبة
يا راد يوسف من مغيبه ليعقوب وامسكن نحيبه
أريدك علي الأكبر تجيبه

إستجاب اللّـه دعاءها ورجع ولدها يحمل رأس بكر بن غانم وهو ينادي أبه: العطش

قد قتلني وثقل الحديد قد أجهدني هل إلى شربة ماءٍ سبيل أتقوى بها على القتال صاح الحسين وا ولداه وا علياه.

يشكو لخير أبٍ ظماه وما اشتكى
ظمأ الحشى إلَّا إلى الظامي الصدي
كُلٌ حشاشته كصالية الغضا
ولسانُهُ ظمأً كشقة مبرد

قال بني علي إدنو مني وضع لسانك على لساني إمتثل الولد أمر الوالد ولكن سرعان ما أخرج لسانه وهو يبكي ويقول أبه لسانك أيبس من لساني إنه كالخشبة اليابسة من شدة العطش.

قال بني علي إصبر لعل جدك يسقيك من كأسه الأوفى شربه لا تظمأ بعدها أبداً، عاد إلى الميدان وحال بينهما الموج موج السيوف والرماح والنبال، ولما أحسس علي الأكبر انه يغرق في بحر الشهادة نادي بضعيف صوته أبتاه يا حسين عليك مني السلام يعني هذا آخر الوداع أجلى الحسين كما يجلي الصقر وإذا بشبيه رسول اللّه يخور بدمه ألقى بنفسه عليه وهو ينادي وا جداه وا محمداه ثم التفت إلى ابن سعد وصاح مالك يابن سعد قطعت رحمي قطع اللّه رحمك وسلَّط عليك من يذبحك مع ولدك على الفراش ثم وضع خدَّه على فم الفتى لعل به رمق وفاضت دموعه على كريمته وأخذ بالنحيب والبكاء وهو يقول:

بني علي على الدنيا بعدك العفا أما أنت فقد إسترحت من همِّها وغمِّها وتركتني لهمِّها وغمِّها

جاورت أعدائي وجاور ربه ... شتان بين جواره وجواري
يا كوكباً ماكان أقصر عمره ... وكذا تكون كواكب الأسحار

يبني ردتك ماردت دنيه ولا مال ... تحضرني لو وگع حملي ولا مال
أشوفن خابت ظنوني والآمال ... وقت الضيق تالي أگطعت بيه

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[1]

تحدثنا الآية الكريمة عن حالات نعيشـها يومياً ولا نعرف كيـف نتعامل معها أو كيف نتصرف ضمن الأطر الشرعيـة والأخلاقية والقانونية ومراعاة الأعـراف ففي اليأس الذي نصل إليه أحياناً تاملات! هل نيأس من اللّـه أم نيأس من الناس؟ حديث ذو شجون.

وفي تكذيب الناس للأنبياء وظنهم السيء بهم أمـا توقيت النصر الإلهي مقابل العقاب الـذي لا يمكـن رده عن المجرمـين ففيه أكثـر من كثـير أمور كانـت وما زالت مثـار بحث وجدال.

وقد إسـتطعنا من خـلال التأمـل في أكثر من تفسـير للقـرآن الكريم وعـلى رأي علماء المدرستين أن نضع اليد على حقائق مهمة نضعها بين أيديكم برجاء التدبر في آيات الكتاب المبين ومن أجل فهم صحيح للقرآن الكريم.

أولاً نسـلط الأضواء على سـوء فهم بعض المفسرين للمسـألة، فاليأس الذي تتحدث عنه الآية تصوره بعضهم بأنه صادر عن الأنبياء بسبب تأخر النصر وهذا ما يظهر من ظاهر الآية وسياقها.

وقد ذهب إلى هذا الرأي غالبية المفسرين الذين يأخذون بظواهر الكلام ولا يعتمدون التأويـل أو المعنى الباطنـي أو يقولون بعدم عصمـة الأنبياء أما مدرسـة أهل البيت عليهم السلام

---

(١) سورة يوسف: ١١٠.

فتتصور الموقف كالآتي:

١. الأنبياء معصومون وثقتهم بربهم عالية ولا يمكن تصور صدور أي أمر خلاف ذلك عنهم فهم مع اللَّه واللَّه معهم على كل حال.

٢. يعلمون إنهم مرسلون بمهمة التبليغ ﴿..**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ..﴾

٣. إن تصديق الأمم بالأنبياء او تكذيبهم لا يقدم ولا يؤخر فأجرهم على اللَّه وقد وعدهم صادق الوعد بالنصر للمبدأ والقضية وبمعاقبة المجرمين إذاً الصورة الواقعية هي أن الأنبياء بلَّغوا رسالات ربهم ولم يدخروا جهداً في هذا السبيل وبعد بذل تلك الجهود المضنية توصّلوا إلى قناعة أكيدة بأن هنالك إستحالة في تصديق الناس لهم فكلمة «**ظنوا**» تعني أن الأنبياء وصلوا إلى قناعة تامة بان الناس قد كذّبوهم وإن القلوب والعقول موصدة بوجه الهداية والنور، إصرار الناس على المعصية واضح والأنبياء أدوا ما عليهم وقد آن الأوان لوعد النصر الإلهي تصورّوا عبد الغفار عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو الناس إلى اللَّه الواحد الأحد ما يقارب الألف عام ولا يؤمن باللَّه إلا دون المائة نفر، والنبي في كل يوم يضربونه ضرباً مبرحاً حتى يغمى عليه فيحملوه ويلقوه على باب داره فيمر به المارة وهم يحذرون أحفادهم وأولادهم من تصديق دعواه.

لقد أيقن نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قد أدّى ما عليه وقد آن الأوان لحلول الغضب الإلهي على القوم الكافرين. دعى ربه فاستجاب له دعاءه فأنجاه ومن آمن به وأهلك الطوفان الكافرين حتى كنعان.

وهكذا سائر الأنبياء لما بلغوا مرحلة اليأس من الناس لا من اللَّه أنزل اللَّه عليهم النصر وأهلك أو مسخ الأقوام فمنهم الخنازير ومنهم القردة والأرانب وسمك السلور، ولم يقدر أحدٌ أن يمنع عن المجرمين عذاب اللَّه في الدنيا ولهم في الاخرة ما هو أعظم وادهى.

إلا قوم يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ أهل الموصل الذين أدراكوا الخطر فهرعوا إلى اللَّه في اللحظة

الأخيرة يتوسلون ويعتذرون ويستغيثون لقد وصلت ريح العذاب في الموعد المحدد وطوّقت نينوى، تركوا أطفالهم الرضع في الوادي وتركوا صغار البهائم وصعدوا إلى قمة الجبل يدعون بحرقة، يا اللّه يا اللّه يا اللّه يا حي حين لا حي يا حيُّ محيي الموتى يا حي لا إله إلا أنت، يا اللّه إغفر لنا يا رباه إرحمنا وإذا بالحق يستجيب للباكين المتضرعين، ويأمر إسرافيل بتغير إتجاه العاصفة نحو الجبال وصرفه عن أهل نينوى بعد أن لمسوه بالأيدي **﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾**

في حياتنا اليومية أحياناً كثيرة تنقطع بنا السبل والأسباب حتى نصل مرحلة اليأس والأحباط.

ليس حراماً ولا عيباً أن نصل لهذه الحالة ولكن علينا أن يكون يأسنا من الناس لا من اللّه وصدقوني ما إن تصل بنا قناعتنا إلى هذا فاننا نرى الفرج واليسر وبعبارة أوضح إن اللّه جل وعلا لا يريد أن يرانا على غير بابه فهو المسؤول عن عباده، إنه يحب دموعنا وخشوعنا وخضوعنا إليه، أتلاحظون كيف أن الصديق يوسف على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام بقي في السجن سبع سنوات بناءً على طلبه، ولكنه حين التمس من الفتى الذي كان معه في السجن وتوقّع اطلاق سراحه أن يذكره عند السلطان، حق ومشروع هذا الطلب ولكن اللّه لا يريده من الغير فأنسى الفتى طلب يوسف عليه السلام حتى رأى الملك الرؤيا التي إحتاجوا إلى تعبيرها وتفسيرها فتذكّر الفتى زميل السجن الذي يعرف تأويل الرؤيا فقال للملك أنا آتيكم بما تريدون وكان أن أعتمد الملك يوسف عليه السلام وزيراً للمال تعالوا معي إلى كربلاء.

لقد يئس الإمام الحسين عليه السلام من هداية الناس، الآلاف التي تحاصره في كربلاء وتمنعه عن الماء المباح وروده على الكلاب والخنازير.

طرح عليهم بدائل عن الإبتلاء بقتله وسفك دمه ولكنهم أصروا على قتله والتمثيل

بجثته وسبي عياله والتنكيل بآل رسول اللّه ﷺ الذين يطالب اللّه في كتابه المنزل من الناس مودّتهم ﴿.. **قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**..﴾

لقد قتلوا في الحملة الأولى خمسين من أصحابه الغرر وأبادوا الباقي في المبارزات الفردية، وجاء دور آل أبي طالب فتقدمهم عليٌّ الأكبر عليه السلام وإستأذن الحسين عليه السلام في القتال فاعتنقه وصار يبكي إنه يرى فلذة كبده يتوجَّه إلى الموت وهو يرتجز ويقول:

أنا علي بن الحسين بن علي

نحن وبيت اللّه أولى بالنبي

أطعنكم بالرمح حتى ينثني

أضربكم بالسيف أحمي عن أبي

ضرب غلام هاشمي علوي

تاللّه لايحكم فينا ابن الدعي

رفع يديه نحو السماء يستغيث بربه قائلاً: اللّهم اشهد على هؤلاء القوم فلقد برز اليهم غلامٌ أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسول اللّه ﷺ وكنا إذا إشتقنا النظر إلى وجه نبيّك نظرنا إليه، اللّهم إمنعهم بركات الأرض وفرّقهم تفريقا ومزِّقهم تمزيقا واجعلهم طرائق قددا ولا ترضي الولاة عنهم أبدا فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا ليقتلونا، ثم إلتفت إلى ابن سعد والدموع تملأ عينيه: مالك قطع اللّه رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول اللّه ﷺ وسلَّط عليك من يذبحك على فراشك، ثم أهوى على جثة ولده ينادي وا ولداه وا علياه وا جداه وا محمداه.

ولسان حاله يقول:

يبني علي يا قرة العين   أنا والدك عد راسك حسين

يبني صواب الضاهدك وين   چبدي عليك انفطر نصين

ليلة الوداع والرضيع

بين فرعون موسى وحرملة

بسـم اللّـه الرحمن الرحيـم: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّـهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّـهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

الآية الكريمة من سورة القصص تحكي فصلاً من فصول سيرة كليم اللّـه موسى عليه السلام تلك السـيرة التي سرد الحق تفاصيلها في كتابـه المجيد لتكون عبرة للعالمـين، ولكل فصل من فصولها دلالات واضحة على تأييد الخالق لأنبيائه ورسله من البداية حتى النهاية.

يرى فرعون وهو (أبو العباس الوليـد بن مصعب بن الريان) في منامـه أن ناراً قد أقبلت من بيـت المقـدس حتى إشـتملت على بيـوت مـصر فخرّبتهـا وأحرقـت القبط وتركـت بني إسرائيل، فدعى المنجمين والسـحرة وسـألهم عـن رؤياه فقالـوا: يولد في بنـي إسرائيل غلام يسلبك ملكك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك وهذا هو زمانه.

فأمر فرعون بقتلِ كل غلام يولد في بني إسرائيل دون البنات حتى توّسـل رؤسـاء القبط لديه بتخفيف الحملة التي قد تحرقهم بردود فعلها، فأمر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة، فولد نبي اللّـه هارون عليه السلام في السنة التي لا يذبحون فيها.

فلما كانت السـنة الثانية حملت أمُّ موسـى عليه السلام بموسـى وهنـا علينا أن نلاحـظ العناية الإلهية التي حفظت كليـم اللّـه كعادتها في حفظ الأنبيـاء والأوصياء والأصفيـاء تلك العناية التي تمثلت بالآتي:

١. لم تظهر آثار الحمل على أُمِّ موسـى ولم تسـتطع القبطية الموكلة بمراقبتها أن تكتشـف ذلك الحمل كما أخفى اللّـه حمل نرجس عليها السلام بصاحب الزمان عليه السلام.

---

(١) سورة القصص: ١٣.

٢. ساعة ولادته ظهر بين عينيه نورٌ بهَرَ القابلة القبطيَّة وهالها. فأحبّتهُ حتى لاحظ حُرّاس دارهم ذلك في وجهها فجاؤوا ليدخلوا على أم موسى عليهما السلام

٣. صرخت أخته هذا الحرس بالباب فلفت أُمُّ موسى ولدها في خرقة وألقته في تنورٍ مسجور، فدخلوا فاذا التنور مسجور ولم يروا موسى عليه السلام فخرجوا، ولما عاد إليها رشدها طلبت ولدها وإذا هو يبكي في التنور وقد جعل اللّـه النار برداً وسلاماً عليه.

٤. أمرها اللّـه ان تضع موسى عليه السلام في تابوت وتلقيه في نهر النيل وتكفل الحق بحفظه من كل مكروه.

٥. عندما وصل التابوت ليد آسيا بنت مزاحم وكان فرعون وإبنته إلى جنبها كشفَّت آسية عن نوره الذي ملأ قلبها حُبَّاً له واحبَّهُ فرعون الذي لم يكن له ولد.

٦. كانت إبنة فرعون برصاء فلما رأت اللعاب السائل من فمه الشريف أخذته ومسحت به برصها فبرأت من مرضها بإذن اللّـه مما جعلها تحبُّهُ.

٧. حرَّم اللّـه المراضع عليه ثلاثاً حتى تمرُّ أخت موسى عليه السلام فتدلهم على أُمِّهِ التي سيعود إلى حجرها فترضعه قريرة العين غير حزينة ولينجز اللّـه وعده الحق في أحرج الظروف وأصعب الأوقات.

ثم لينشأ موسى عليه السلام في دار عدوِّه ترعاه العناية الإلهية حتى بلغ أشده وصدع بالرسالة الحقة ودعى وبكل جراة من يدَّعي الربوبية إلى عبادة الواحد القهار. لقد زرع موسى عليه السلام بإذن اللّـه حُبَّ اللّـه في داخل مملكة فرعون المحصنة، زوجته آسية ومؤمن آل فرعون حزقيل ومريم بنت ناموساء التي دلته على قبر نبي اللّـه يوسف عليه السلام وزوجة حزقيل ماشطة بنت فرعون ولكل واحد من هؤلاء موقف عظيم يستحق منا وقفة إجلالٍ وإكبار.

وشى الواشون بحزقيل الذي كان مقَّرباً لفرعون فأنكر عليهم وصعب الأمرُ على فرعون فقال لهم إنه ابن عمي خليفتي على ملكي وولي عهدي فان صدقتم فيما تقولون

إستحقَّ العذاب على كفره بنعمتي وإن كذبتم فقد إستحقيتم أشدَّ العذاب ثم جمعهم فرعون في مجلس واحد فقال الوشاة لحزقيل أنت تجحد ربوبية فرعون وتكفر بنعمائه فقال حزقيل: أيُّها الملك هل جرَّبت عليَّ كذباً قط؟ قال فرعون لا. قال فسلهم من ربهم؟ ومن خالقهم؟ ومن رازقهم؟ فسألهم فقالوا فرعون فقال حزقيل مورّياً: أيها الملك فاشهد ومن حضرَكَ ان ربّهم ربي وخالقهم خالقي ورازقهم رازقي، وأُشهِدُكَ ومن حضَرك إنَّ كل رب وخالق ورازق سوى ربهم فأنا منه برئ. ﴿**فَوَقَاهُ اللَّـهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا**﴾ ﴿**وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ**﴾ أخفى إيمانه باللَّهِ وموسى ومُحمَّدٍ وعليٍّ ستمائة سنة ولم يقدر على كتمان هذا الإيمان يوم خرَّ السحرة للَّه ساجدين فأُخذ وصُلِب أما آسية بنت مزاحم التي جاء في فضلها عن رسول اللَّه ﷺ **أفضل نساء الجنة أربع خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون**، وكانت آسية تخفي إيمانها حتى فعل فرعون فعلته الشنيعة بزوجة حزقيل وجاء إليها مفتخراً بما فعل فقالت: «الويل لك يا فرعون ما أجرأك على اللَّه جلَّ وعلا، فقال لها: هل إعتراك الجنون الذي إعترى حزقيل قالت: ما اعتراني جنون ولكن آمنت باللَّه ربي وربك ورب العالمين فدعى أُمَّها وقال لها إن إبنتك أخذها الجنون، أقسم لتذوق الموت أو لتكفرن بإله موسى عليه السلام فخلت بها أمها ونصحتها بعدم مخالفة فرعون فأبت فأمر فرعون بربطها بأربعة أوتاد ثم لا زالت تعذب حتى ماتت، وحينما كانت تتعذب مرَّ بها نبي اللَّه موسى عليه السلام فشكت إليه حالها إشارة باصبعها فدعى اللَّه موسى أن يخفف عنها العذاب فلم تجد للعذاب ألماً وأراها اللَّه منزلها الذي طلبته في الجنة ﴿**رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ**﴾ فضحكت ساخرة من فرعون وعذابه فقال مموّها إنظروا إلى الجنون تضحك وهي في العذاب.

أما زوجة حزقيل، ـ التي كانت على ماروي ماشطة لبنت فرعون ـ فوقع المشط من يدها ذات يوم فقالت: «**بسم اللَّه**» فقالت بنت فرعون: تعنين أبي. قالت: لا، بل ربي وربك ورب العالمين، فأخبرت فرعون فدعى بها وبولدها وقال لهم: من ربكم؟ قالت زوجة حزقيل: ربي

وربك اللّـه.

فأمر بتنور من نحاس فأُحمي فدعا بها وبولدها ليحرقوا فقالت لفرعون إن لي إليك حاجة وهي أن تجمع عظامي وعظام أولادي فتدفنها، فقال ذلك لك لمالك من حق وأمر بأولادها فألقوا واحداً واحداً في التنور وكان آخر ولدها طفلاً رضيعاً إحتضنته وهي تدخل التنور تنظر إليه رأفةً بحالهِ وإذا بالرضيع ينطقهُ اللّـه فينادي إصبري أُمّاه إننا على الحق، فرعون وإجرامه وطغيانه وإحراقه لهذه الأسرة عرف لهم حقاً فجمع عظامهم وواراها الثرى.

أما عمر بن سعد بن أبي وقاص وجيش ابن زياد ويزيد لم يحفظوا حقَّ القربى يوم عاشوراء مزقوا لحم رسول اللّـه سفكوا دمه طحنوا عظامه هتكوا حرمته سبوا نساؤه وتركوا أشلاء الصفوة الزاكية على رمضاء كربلاء ثلاثة أيام تصهرها أشعة الشمس وتزورها وحوش البراري نزعت الرحمة من قلوبهم.

برز اليهم الحسين عليه السلام حاملاً بين يديه طفله الرضيع الذي لم يرتضع منذ ثلاث ليالٍ ولسان حاله ينادي أبتاه يا حسين اصبر على ما ترى لأننا على الحق، لم يجد الرضيع ما وجد موسى في رحلته ولم يعد كعودته وقف الحسين عليه السلام ينادي بين الصفوف: أيها الناس إن كان ذنب للكبار فما ذنب الصغار إن هذا الطفل لم يرتضع منذ ثلاث ليالٍ خذوه واسقوه شربة من الماء.

ودعى الأقوام باللّـه للخطب الفظيع

نبئوني أأنا المذنب أم هذا الرضيع

لاحظوه فعليه شَبَهُ الهادي الشفيع

لا يكن شافعكم خصماً لكم في النشأتين

قال قومٌ إسقوه وقال قوم دعوه، صرخ ابن سعد يا حرملة إقطع نزاع القوم فرماه بسهم ذبحه من الوريد إلى الوريد ومن الأُذن إلى الأذن ردّه الحسين عليه السلام إلى الخيام شهيداً ظاميا استقبليه أُمُّه الرباب ولسان حالها يقول:

أُمَّ موسى مَزِّقي صَمْتَ السِنينِ واحضري في كربلاكي تسعديني

موسى رَدُّوهُ ولدي ذبحوهُ بشهيدي من سيواسيني

وا ولداه وا علياه

يبني بعبد اللَّه إعله فرگاك صبري فنه ودرّت ثداياك

يا دين گلي لحرمله وياك للماي حين اشبحت عيناك

عيّن بگوسه سهم ورماك

***

علم آل محمد ﷺ بما ينتظرهم

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾[1]

مقدمة للموضوع أحببت أن أدوِّن ملاحظة مهمة تـؤدي معرفتها إلى قبول أفضل النتائج للبحث وهي من قبيـل مفاتيح العلـوم التي لا تنفتح بغـير مفاتيحها فكل علم مـن العلوم له أدواته التحليلية الخاصة به.

القرآن الكريم هذه المعجزة الإلهية الخالدة كما يقول الأمام الصادق ﷺ لكل حرف فيه سبع معاني ظاهرية ولكل ظاهر سـبع بطون فيكون بهذا لكل حرف من حروفه تسعاً وأربعين معنـى لا يعلمها جميعهـا إلا اللّــه والراسـخون في العلم وأهل الذكر وسـادتهم مـن الأولين والاخرين محمد وآل محمد ﷺ وكذلك لأكثر القضايا التي عشـنا ونعيش ظاهر وباطن ربما توافقا وربـما تناقضـا مـن قبيـل **﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾**. وقـد أوقع الحكم الظاهـري الكثير من الناس في الكفـر والمهلكه، جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب يحاول بالطرفة والنادرة أن يثبت له إنـه سريع العطب ويحكم على الأمور بظواهرها وغير متعمق بالمعرفة وهذه الصفات ما إن تكون في شـخص ما تجعله غير قادر على ادارة شؤونه البيتية فكيف بادارة أُمَّة.

قال الرجل ياعمـر إني أصبحت أكـره الحق وأُحـبّ الفتنة وأفـرُّ من رحمـة اللّـه فغضب عمرٌ وقال إقتلوه فلقد كفر، وكان الأنزع البطين في المسـجد يسمع المحاورة، فقال على مهلك يا أبا حفـص لم يكفر الرجل إنـه يلاطفك أمـا قوله يكره الحـق فالموت حق ومـن يحب الموت

---

(١) سورة الكهف: ٦٧ـ٦٨.

وأموالنا وأولادنا فتنة ومن لايحبهما والمطر رحمة من اللّه ومن يصبر ويقف إذا إنهمر عليه فصاح عمر لولا علي لهلك عمر، وعلى منوالها ألف قضية في الحدود والأحكام معه ومع غيره وفي كل زمان ومكان، ولو إنك سمعت أمير المؤمنين وباب مدينة العلم إذ يقول «**الناس أعداء ما جهلوا**» لعرفت سبب محاربة الجاهل للعالم وانظر لما يقول زين العابدين عليه السلام كما ذكره الآلوسي في تفسير روح المعاني:

إني لأكتم من علمي جواهره
كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتننا
وقد تقدَّم في هذا أبو حسنٍ
إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا
فَرُبَّ جوهر علم لو أبوح بهِ
لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولأستحلَّ رجال صالحون دمي
يرون أقبح ما يأتونه حَسَنا

بعد هذه المقدمة لنرى ما حلَّ بنبي اللّه موسى بن عمران عليه السلام العالم بظواهر أحكام الشريعة المكلَّف بتبليغها إلى بني إسرائيل، وبليا بن عامر بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام النبي العالم ببواطن الأمور الذي ما جلس في مكان إلا وإخضرَّ وبارك اللّه فيه. وقبل أن يذهب فكرك بعيداً وترى أفضلية لأحدهما على الآخر، أفيدك بان هذه وأمثالها سيناريوهات ربانية مدبجة لتعليمنا نحن أفضل سبل السعادة الدنيوية والأخروية، فموسى عليه السلام نبي معصوم ومن أولي العزم والخضر عليه السلام نبي معصوم آتاه اللّه رحمة بطول العمر والكرامات وعلَّمه من لدنه علماً سيحتاجه موسى عليه السلام في يوم من الأيام حسب المرسوم الإلهي، يقف موسى عليه السلام خطيباً في قومه فيسئل من قبل جبرائيل عليه السلام من هو أعلم الناس اليوم فقال في نفسه موسى «**أنا**» لأن اللّه كلَّمني وأنزل عليَّ التوراة وكتب لي في الألواح المحفوظة

تفصيل كل شيء، فقال لهُ اذهب يا موسى بأمر اللّـه إلى رجل عند ملتقى البحرين وتعلَّم منه، هو إرشاد إلهي بضرورة التواضع وعدم الغرور والكبر الذي أصبح اليوم من أعظم أمراض العصر خطورة، فما إن يتعلم أحدنا فك حروف الأبجدية حتى يرفع منخاره إلى السماء وكما يقول العامة «**ياأرض اشتدي ما حدا قدي**» .

وقل لمن يدّعي في العلم فلسفةً

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياءُ

شاور موسى وصيَّهُ يوشع بن نون ثم أخذا سمكة ميتة ومملّحة وضعوها في كيلة وانطلقا حتى وصلا إلى الصخرة وهما لا يعلمان إنها هي فنسيا الحوت المملح عندما أقالا ساعة عندها وذهبا مسافة حتى إذا جاءا تذّكرا، فعادا إلى الصخرة وإذا بالسمكة المملّحة قد غمرها الماء فدبّت فيها الحياة وسارت في البحر، ووقف الخضر عليه السلام يصلي وما إن فرغ من الصلاة سلّما عليه فقال الخضر عليه السلام وعليك السلام يا نبي اللّـه في بني إسرائيل، قال له موسى عليه السلام من أخبرك بذلك قال الخضر عليه السلام الذي دلك علي وأرسلك كي تتعلم، فقال موسى عليه السلام نعم أتيتك لتعلمني مما علمك اللّـه رشداً. وهنا تسكب العبرات.

إن الرياضات الروحية ومسالك العلم الباطني نحتاج إلى مؤهلات نفسيه وقدرات على التحمل والصبر عاليه قد لا تتوفر في أغلب الناس وليس كل من إدعى الوصول إلى مراتب العشق والكشف واليقين بواصل وكما يقول الشاعر:

ما كل من ذاق الهوى عرف الهوى

أو كل من شرب المدام نديم

وأنا أقول:

ماكل من لبس العمامة عالمٌ

أو كل من قرأ الكتاب فهيمُ

الملاحظة الثانية هي إن مبدأ التخصص في مجالات العلم والمعرفة لايمكن تجاهله، فطبيب

العيون لا يجدر به أن يجري عملية قرحة معدية والمحامي ليس له أن ينظر في الإقتصاد ورجل الدين ليس له أن يخوض مع الخائضين في كل المجالات وكما يقال «**بكل عرس إلو قرص**» حضرت مرة إسبوعاً في إحدى الحسينيات وكان في البرنامج «٥» دقائق قرآن و(٥) دقائق تعزية وكلمة لإمام البلد وكلمة لزعيم سياسي وصادف أن قدموا كلمة الدين على السياسة فصعد الإمام المنصة وقدم تحليلاً سياسياً في ساعة زمنية كاملة لم يكن فيها للدين نصيب، لا آية قرآنية ولا رواية ولا حديث ولا حكم شرعي، ولما نزل التفت إليه رجل السياسة وقال أحسنتم مولانا لكن «**إعمل معروف وسلفني اللفة لأحكي حديث الدين**» وأخطر من هذا إذا خرج الساسة وصاروا يشرعون، إلى أين سنصل؟

أما الملاحظة الثالثة فهي وجوب الإلمام على نحو التفصيل بنتائج أي أمر نقدم على القيام به أعني معرفة النتائج المترتبة عليه، ولو فكر كل واحد منا قبل أن يقدم على عمل ما فاني أتصور إن نسبة الخطأ ستظمحل شيئاً فشيئاً إلى أن تتلاشى وهنا في الآية الكريمة وبكل تواضع يقول الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام يا موسى إني على علم من علم اللّه علمنيه لا تعلمه، وأنت على علم من علم اللّه لا أعلمه أنا. والذي عندك تحتمله أما الذي عندي فلا أتوقع أن تصبر عليه لأنك لم تطلع على نتائجه التي أطلعني اللّه عليها.

أصرّ موسى عليه السلام وتعهد له بالصبر والطاعة وكان أن لم ينجح في ثلاث جولات:

١. ركبا مركباً دون أُجرة فخرقه الخضر عليه السلام فاعترض موسى عليه السلام.
٢. لقيا غلاماً بادر الخضر عليه السلام فقتله فاعترض موسى عليه السلام.
٣. دخلا قرية بخيلون اهلها لانهما طلبا طعاماً فلم يطعمهما أحد وعمدالخضر عليه السلام إلى بناء جدار مشرفٍ على الوقوع دون أجر فاعترض موسى عليه السلام إعتراض موسى عليه السلام لعدم معرفته بعلل هذه الأفعال الثلاثة التي قام الخضر عليه السلام بها، كما نعترض كثيراً على اللّه في حياتنا اليومية، يقول الفلاسفة لكل معلول علة فهناك أمورٌ في عقائدنا وعباداتنا ومعاملاتنا وسيرة المعصومين عليهم السلام معروفة العلة «منصوص العلة» وهناك أُمور

مجهولة العلة خصوصاً في الأُمور التعبدية في الحج طوافنا سبعة أشواط وسعينا سبعة أشواط وحصيات الرجم سبع حصيّات، لماذا لم تكن ستة أو ثمانية؟ لا نعلم علمها عند اللّـه، نؤدي الفرض ولا نناقش فيما لا طائل من مناقشته، وبعد أثبت الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام عدم صلاحيته لمثل هذه المهمات بين له عللها فأما السفينة فقد أنقذها بالخرق من أطماع الملك في الاستيلاء على كل مركب جديد لا عيب فيه، وأما الفتى فقتله ليريح والديه من كفره وطغيانه وأما الجدار فكان تحته كنزٌ لأيتام قاصرين فأعاد بناءه ليدركه الأيتام عند البلوغ ويستخرجون الكنز فيحسنوا التصرف به وهكذا (**عرف السبب بطل العجب**) خاتمة البحث نريد أن نخلص إلى أمرين عظيمين فيما يخص محمداً وآله الاطهار من جانبين، علومهم ومصائبهم.

أما العلم فلا يختلف إثنان في مرجعيتهم العلمية مدينة وباباً ذلك العلم الموروث والذي هو نقر ونكت في الأسماع والقلوب فعلومهم كشفية لدنية لم يتعلموها من معلم ولا فهموها عن مفهم إلا من جدّهم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يقول الصادق عليه السلام علمنا أو حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي أو وصي أو ملك أو عبد امتحن اللّـه قلبه للتقوى ويقول عالم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكلهم علماء لو كنت بين موسى والخضر عليه السلام لأخبرتهما بما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر عليه السلام أعطيا علم ما كان حتى تقوم الساعة وقد ورثناه عن جدنا رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم وراثة.

وأما المصائب فأبسط تدبرٍ في هذه الآيات يدلك على أنهم على علم بتفاصيل ما يجري عليهم من مصائب ومحن وإبتلاآت لأنهم كيف يصبرون على مالم يحيطون به خبراً، لقد أحاطهم اللّـه به خبراً وأجزلهم أجراً يقول الامام زين العابدين عليه السلام إني لأدعو لمذنبي شيعتنا في اليوم والليلة مائة مرة (يعني الاستغفار) لأنا نصبر على ما نعلم وهم يصبرون على ما لا يعلمون، أيها الناس إقرأوا أهل البيت عليهم السلام بشكل صحيح الكثير ممن يرتقي هذه الأعواد يحاول أن يقرأ الحسين ونهضته وتاريخه حسب ذوقه الخاص ويتصرف في نقل الأخبار

والروايات فيزيد ويحذف دون إعتناء بقدسية النص ودون إحترام لآراء الآخرين، علماً بأن علماءنا الأبرار أجمعوا على صحتها متناً وسنداً ولم يجيزوا رواياتها إلا لمن أجازوا له ذلك، يعني لا يجوز شرعاً رواية أي رواية عن أهل البيت عليهم السلام خصوصاً في الأحكام بتصرف وكذلك الروايات التي تخص العقائد حيث أصبحنا نرى من ليس له أهلية يفلسف الأمور العقائدية الواردة عن منابع العصمة وعلى ذوقه الخاص وما يدرينا إلى أين سيصلون بالأمة مجرم من يراهم من زاويته ويحجمهم بحجمه أيقول قائلهم ما منا إلا مقتولٌ أو مسموم بغير علم مسبق بذلك لقد ضجَّت كتب الفريقين بروايات أخبار مقتل الحسين عليه السلام يوم ولادته عن عائشة وأم سلمة وأم هاني وعلي عليه السلام والحسن عليه السلام عند وفاته وكذلك علم الشهيد بما يجري عليه وعلى أصحابه وعياله وعلمه بانتصار الدم النازف في مذبح الحرية على السيف الزائف هو الذي مكنَّه من الصبر على مصائب عاشوراء التي لو حطَّت منها واحدة على جبل أبي قبيس لزال من مكانه وإنهار تصوروه وقد وقف وحيداً بين عشرات الألوف من المدججين بالسلاح وقد أضرَّ به العطش وقد قتل جميع أهله وأنصاره وجسمه مثخن بالجراح وإذا بالحوراء زينب تنادي أخي إن ولدك عبد اللَّه لم يرتضع من ثدي أمه منذ ثلاث وقد جاءت به تطلب له شربة ماء، عاينه كيف أضرَّ به العطش شفتاه ذابلتان وجلده منكمش خذه إلى هؤلاء القوم لعلهم يشفقون عليه ويسقوه شربة ماء، ترقرقت الدموع في عينيهما أخذ الرضيع وضعه تحت عباءته حتى توسط الميدان فرفعه في وجه القوم وصار ينادي أيها الناس لقد قتلتم جميع إخوتي وولدي وأصحابي ولم يبق سوى هذا الطفل الذي لم يرضع منذ ثلاث فإن كان ذنب للكبار فما ذنب الصغار خذوه فاسقوه إختلف العسكر قال قوم إسقوه وقال آخرون دعوه، صاح عمر بن سعد يا حرملة إقطع نزاع القوم عينَّ السهم في كبد القوس ولما لاح بياض عنق الرضيع رماه بالسهم فذبحه من الوريد إلى الوريد أخرج الرضيع يده من القماط واعتنق الحسين عليه السلام فمَّد الحسين عليه السلام يده إلى النحر القطيع حتى إمتلأت دماً رمى به نحو السماء وهو يقول اللَّهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح:

تلگه حسين دم الطفل بيده إشحال اليچتل بحضنه وليده

سال وترس چفه من وريده رمه بيه للسما وللگاع ماخر

يقول الامام الباقر عليه السلام «**لو سقطت قطرة من تلك الدماء على الارض لساخت الارض بمن عليها**». وأما الأم الحزينة الواهة حين رأت ولدها المذبوح من الوريد إلى الوريد صاحت واسيداه واحسيناه يعني ساعد اللّه قلبك كيف احتمل هذه المصائب ثم أدخلته خيمة القتلى وجلست تنوحه والنساء حوله:

يبني يعبد اللّه إعله فرگاك صبري فنه ودرّن ثداياك

يا دين گلي لحرملة وياك للماي حين إشبحت عيناك

عيَّن بگوسه سهم ورماك

***

الطفل الرضيع

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُون أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾(1)

الواقعة اسم من أسماء يوم القيامة الذي هو حقيقة واقعة ليس بوسع أي نفس إنكارها أو تكذيبها، إن كان الانسان قبل هذا اليوم يجادل وينكر فاليوم لا مجال لذلك.

تبدأ بخفض أناس ورفع آخرين تخفض أعداء اللّـه في أسفل درك الجحيم وترفع أولياء اللّـه إلى أعلى عليين.

متى يتم ذلك؟؟ إذا رجت الأرض رجاً إنّدق بعضها على بعض بالزلزلة الكبرى، أما الجبال التي هي أوتاد الأرض تنقلع وتتفتت حتى تصبح كالهباء المنبث. والهباء المنبث هو ذرات الغبار الذي نراه من شعاع الشمس إذا دخل علينا من كوّة.

بعد هذه الأهوال نصطف للحساب في ثلاثة طوابير:

أ. أصحاب الميمنة.

ب. أصحاب المشئمة.

ج. السابقون السابقون.

---

(1) الواقعة: 1ـ12.

والسؤال هنا كيف ولماذا وبأي شيءٍ صرنا ثلاثة وخالقنا واحد وأبونا واحد وأمنا واحدة وكما يقول الامام الرضا عليه السلام والجزاء بالأعمال؟

أتذكر حين كنت طفلاً صغيراً عندما تمرض إحدى أخواتي البنات أبكي فتحاول الوالدة تهدئتي فتقول لا تخاف عليها فالبنت لها سبعة أرواح، فأهدأ ولكن تحيّرني قصة الأرواح السبعة حتى وقفت على رواية عن أمير المؤمنين يرويها حواريه الأصبغ بن نباته يقول: جاء رجل إلى أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين إن أناساً زعموا أن العبد لا يرني وهو مؤمن ولا يسرق ولا يشرب ولا يأكل الربا ولا يسفك الدم الحرام وهومؤمن فقد ثقل عليَّ هذا وحرج منه صدري حين أزعم أن هذا العبد يصلي صلاتي ويدعو دعائي وبناكحني ويوارثني وقد خرج من الإيمان من أجل ذنبٍ يسير أصابه؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام صدقت فأني سمعت حبيبي رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول والدليل عليه كتاب اللَّه خلق اللَّه عز وجل الناس على ثلاث طبقات وأنزلهم ثلاث منازل وذلك قوله ﴿**فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِوَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ**﴾ (١).

فأما ما ذكر من أمر السابقين فهم الأنبياء والأوصياء مرسلون وغير مرسلين وجعل فيهم خمسة أرواح وهنا بيت القصيد:

١. روح القدس، وبها بعثوا أنبياء وعملوا
٢. روح الأيمان، وبها عبدوا اللَّه
٣. روح القوة، وبها جاهدوا عدوهم وعالجوا معاشهم
٤. روح الشهوة، وبها أصابوا الطعام واللباس والمنكح
٥. روح البدن، وبها درجوا

أما سائر المؤمنين فتغيب عنهم روح القدس وتبقى الأربعة الباقية فيكون من أصحاب الميمنة إلا أن تعرض عليه حالات، قال الرجل ما هي هذه الحالات؟؟ قال أمير

(١) الواقعة:٩

المؤمنين عليه السلام نقصان فيها وأما أصحاب المشأمة فهم اليهود والنصارى الذين يكتمون الحق وبه يجحدون فهؤلاء يسلبون روح الايمان فتبقى لهم ثلاثة أرواح مهلكات وهي القوة والشهوة والبدن فقال الرجل:ـ أحييت قلبي بأذن اللّه ياأمير المؤمنين فهذه الأرواح أسلحة علينا أن نحسن إستخدامها ونستثمرها في طاعة اللّه وخصوصاً روح الأيمان.

وقد ورد عن الأمام الصادق عليه السلام إن الأيمان درجات ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عند اللّه، حتى الأنبياء فقد فضّل اللّه بعضهم على بعض وأفضلهم حبيبه مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عباس حبر الامة قال سألت رسول اللّه عن قول اللّه ﴿**السابقون السابقون**﴾ فقال قال لي جبريل عليه السلام ذلك علي وشيعته وهم السابقون إلى الجنة المقربون من اللّه بكرامته لهم، وذات يوم جمع أمير المؤمنين عليه السلام المهاجرين والأنصار أيام خلافة عثمان وقال أنشدكم باللّه أتعلمون حين نزلت ﴿**السابقون السابقون**﴾ سئل عنها رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال أنزلها اللّه تعالى في الأنبياء وأوصيائهم فأنا أفضل أنبياء اللّه ورسله وعلي بن أبي طالب وصيي أفضل الأوصياء، قالوا اللّهم نعم.وكذلك ورد عن علي عليه السلام أنه قال السبّاق خمسة فأنا سابق العرب وسلمان سابق الفرس وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبش وخبَّاب سابق النبط. بأي شيء حصَّل هؤلاء درجات العلى؟؟ دون أدنى شك بالعلم والعمل الصالح قال علي عليه السلام لكميل بن زياد رضي الله عنه يا كميل الناس ثلاثة، فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع. أين نحن وفي أي صف؟؟ يقول الإمام الصادق عليه السلام العلماء نحن وشيعتنا متعلمون على سبيل نجاة وأعداؤنا الهمج الرعاع. وبهذا نال أهل بيت العصمة والطهر والفداء قصب السبق وفازوا بالدرجات العلى إنهم يسارعون إلى طاعة اللّه ورضوانه بفعل الخيرات وإقتحام الصعوبات وتحمل الأذيات، أوائل في العطاء وجزائهم عند ربهم خير الجزاء يأنسون بالموت في سبيل اللّه إستئناس الرضيع بمحالب أمه، حتى رضيعهم في كربلاء يتسابق على الشهادة ومن قبله عمه المحسن الجنين الشهيد بين الحائط والباب لقد أضرَّ العطش بمخيم الإمام الحسين عليه السلام حيث فقدوا الماء ثلاثة أيام بلياليها وباءت أكثر

من محاولة للحصول على الماء بالفشل لا لعجز رجال التضحية والفداء عن تحصيله ولكن شاء اللّه أن يقتلوا عطاشى، ويبوء القتلة بجرم تعطيش آل اللّه ضجَّ الرضيع بالبكاء من شدة الظمأ يريد أن يشرب كأس الشهادة، حملته أُمُّه الرباب إلى الحوراء زينب عليها السلام قائلة أُخيَّه خذي هذا الرضيع الذي إنكمش جلده إلى أبيه لعله يجود عليه بشربة ماء فإنه لم يرضع منذ ثلاث ليالي. أخذته الحورا إلى الحسين عليه السلام منادية أخي يا نور عيني إطلب لهذا الرضيع شربة ماء من القوم فلقد أشرف على الهلاك أخذه خرج إلى القوم ينادي: يا قوم إن كان ذنب للكبار فما ذنب الصغار أنا أقاتلكم وتقاتلوني ولا حظوا هذا الرضيع يكاد أن يموت عطشا خذوه وإسقوه ألا تلاحظون إنه يشبه جدّي محمّد.

ودعى الأقوام باللّه للخطب الفظيع

نبئوني أأنا المذنب أم هذا الرضيع

عاينوه فعليه شبه الهادي الشفيع

لا يكن شافعكم خصماً لكم في النشاتين

إختلف القوم قال البعض إسقوه والآخر إتركوه نادى ابن سعد يا حرملة إقطع نزاع القوم، نزع حرملة سهماً من كنانة وضعه في كبد القوس وأطلقه إلى نحر الرضيع ذبحه من الوريد إلى الوريد فاخرج الرضيع يديه من القماط وإعتنق الحسين عليه السلام وتبسَّم في وجهه كأنه يقول يا حسين لقد كنت مشتاقاً إلى لقاء جدتي في الجنان وها أنا في حجرها فلك الشكر أبه يا حسين

مرضعات الجنان قد أرضعتني

أبتي والبتول ماءً سقتني

يا شهيد الطفوف بلِّغ سلامي

قلب أم بصبر قلب بكتني

شكـر الـلَّـــه سـعـيكـم أهــل بيت

بــوســام الــخــلــود قــد وسمتني

استقبل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ دم الشهيد الصغير بيده وألقى به نحو السماء وهو يقول **اللَّهم لا يكن عليك أهون من فصيل ناقة صالح رضاً برضاك ولا معبود سواك هوَّن ما نزل بي أنه في عين اللَّه.**

تـلـگـه حـسـين دم الـطـفـل بيده إشـحـال اليچتل إبحضنه وليده

سـال وتـرس چـفـه مـن وريده ورمـي بـيـه لـلسـما ولـلـگـاع ماخر

عـيـوني تـسـجـيب الـعـبرة بالمهاد عـلى الـظـلـوا عـلى الـغـبرة بالمهاد

طـفـلـهـم مـالحـگ يـنـهـز بالمهاد حـزت رگـبـتـه سـهـام المنية

الصبر والصلاة عند الحسين عليه السلام

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّـهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(1)

بين الصبر الذي هو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد والصلاة التي هي عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها وإن ردَّت رُدَّ ما سواها صلة وثيقة وتلازم تظهره الآية الكريمة التي جعلناها مفتاحاً لحديث هذه الليلة والخطاب هنا مّوجه أساساً للذين آمنوا، وهل بوسعنا أن نتصور مؤمناً لا يصبر ولايصلي نعم ليس كل الناس يصمد أمام ريح الإبتلاآت العاتية التي تقتلع كل ما تلاقيه فالانسان بطبيعته كما يصفه الخالق جل وعلا «**هلوعاً**» «**إذا مّسه الخير منوعاً وإذا مّسه الشُّر جزوعاً**» فلا بد له أن يستعين رغم إنه يقف بين يدي ربه كل يوم يقول له بصوت عالٍ ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [**الفاتحة : ٥**].

يحتاج وهو في طريقه إلى رضوان اللّـه إلى معونتين:

الأولى: وهي المعونة الذاتية.

والثانية: وهي المعونة الخارجية.

وهذا يؤكد إن الانسان يجب أن يحصّن نفسه بالمناعة الذاتية فالذي يطلب العون والمدد الرباني لابد أن يساعد نفسه ويهيأ الظرف القابل للمعونة الإلهية،، كالفلاح يحرث أرضه وينظفها ثم يبذر البذار وبعدها يطلب المطر من أكرم الأكرمين.أما إذا تواكل ولم يساعد نفسه فالعون الالهي لا محل لنزوله ولا ظرفٌ يستوعبه، فالرؤوف الرحيم «**يهدي من يشاء**» أي يريدها ويسعى اليها ويعمل جاهداً لها و «**لا يهدي القوم الظالمين**» الذين لم يهيئوا لأنفسهم

(1) سورة البقرة : ١٥٣.

أرضية صالحة تستوعب الرحمة المهداة.

حتى النبي ﷺ والأئمة عليهم صلوات اللّٰه وسلامه لا يساعدون من لا يساعد نفسه ﴿**لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ [القصص : ٥٦] كما يطلب سيد الأوصياء من مواليه العون على أنفسهم ليتمكن من التوسط لهم يوم الحساب «**أعينوني بورعٍ واجتهاد وعِفَّةٍ وسَداد**».

وقبل الخوض في معاني الصبر والصلاة علينا أن نعرف الطريقة المثلى لطلب هذا العون من اللّٰه.

يقول النبي الأكرم مُحَمَّد ﷺ «**إن اللّٰه في عون العبد مادام العبد في عون أخيه**» ويقول «**من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس من الاسلام في شيء**» ويقول «**دخل عبدٌ الجنة بغصن من شوك أماطه عن طريق المسلمين**». ومن هنا فإننا نتعلم معنى التعاون والتكافل الاجتماعي ومحبة الاخرين فنبيُّنا يقول «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» إذاً فالتعون هو مفتاح مهم من مفاتيح الرحمة الإلهية وما أحوجنا إليه هذه الأيام والناس تعيش غلبة الأنا، أتعلمون إن اللّٰه جل وعلا رفع العذاب عن أمم دعت عليها أنبيائها بسبب تعاونهم. ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾.

جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال يا رسول اللّٰه ﷺ أُحِبُّ أن يرحمني ربي قال له النبي ﷺ «**إرحم نفسك وإرحم خلق اللّٰه يرحمك اللّٰه**».

أيها الناس إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

ومما يؤسف له هذه الأيام أننا نرى إن بعض الجمعيات التي تضم حثالات المجتمع وبعض الدول التي لا دين لها أكثر تعاوناً وإنسجاماً منا ونحن أبناء القرآن والعترة المطهرة.

أما الموضوع الثاني في الآية المباركة فهو الصبر الذي قدمّه الحق جل وعلا هنا حتى على الصلاة لأهميته، والصبر إسم لنبات مرُّ مطعمه كثُير فائدته، حسنة عاقبته. وقد قسَّمه أهل العلم إلى ثلاث:

١. صبرٌ على نعمةٍ أو طاعة.

٢. صبرٌ عن معصية.

٣. صبرٌ على مصيبة أو إبتلاء.

إنَّ كل درجة من درجات الصبر هذه تحتاج إلى مجاهدة للنفس أي مجاهدة ألم تجزع أمَّة موسى عليه السلام من دوام نعم اللّه عليها فبطرت على المنَّ والسلوى وطلبت من اللّه الثوم والعدس والبصل والقثاء، كيف يقوم المؤمن في ليالي الشتاء البارد ومن عز النوم ليتوضأ ويصلي، كيف يدفع المؤمن الخمس والزكاة ويقطع آلاف الأميال ويتذلل كما نقول «لليسوه والمايسوه» في سبيل أداء فريضة الحج، كم يكافح الصائم جوعه وعطشه والسيجارة والشاي، إنه صبرٌ على طاعة، كم تحتمل المرأة المحجبة في المجتمعات الكافرة من نظرات الإزدراء، إنه صبرٌ على طاعة، وأما الصبر عن المعاصي فهو في عصرنا من أصعب الأمور فالشياطين كثيرة ومنتشرة في كل مكان ولها عناوين عصرية وبرّاقة وحضارية ودخل أغلبها بيوتنا رغم آنافنا، أين من يصمد أما كل هذه المغريات؟؟

صدق رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول عن زماننا «**القابض على دينه كالقابض على جمر**» ويقول الشاعر:

رماه في اليم مكتوفاً وقال لهُ

إيَّاك إيَّاك أن تبتَّل بالماءِ

بعد الحصار الإذلالي الذي فُرِضَ على أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ولم يخدش جبل صبره وإيمانه، أرسل إليه عثمان بن عفان بهدية كبيرة مع عبدٍ له وقال إن قبل جندب بن جنادة هذه الهدية فأنت حرٌ لوجه اللّه تعالى، جاء العبد يحدوه الأمل بالحرية واخذ يتوسل بأبي ذر لكي يقبل هبة الخليفة فإعتذر أبو ذر عن قبولها، قال العبد يا أبا ذر إن في قبولك للّهدية عتقي، قال أبو ذر ولكن فيها رّقي، عد من حيث أتيت فان عندي ما يكفيني. أتدرون ما عنده؟ قرص من خبز الشعير وأما أعظم الصبر فهو الصبر عند الامتحان والمصيبة والبلوى ومن في الوجود أصبر من مُحمَّد وآل مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وبالأخص من قطعّت أوصالهم في سبيل إحياء الدين وصيانة

شريعة سيد المرسلين. صبرٌ الأنبياء والأوصياء والأولياء الذي هو مضرب المثل كله كمثل قطرة في بحر صبر الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الطاهرين صلوات اللّه عليهم أجمعين وسنأتي على ذكر آية من آيات صبره العظيم عند نهاية البحث إنشاء اللّه أما الموضوع الثالث فهو الصلاة التي ﴿**إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً**﴾ [النساء : ١٠٣] إنها الدواء الشافي والأكثر فاعلية في مساعدة المؤمن لنيل سعادة الدارين، نعم فهي معراج المؤمن والمايز الذي يميزّه عن الكافر فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنه قال: «**من ترك الصلاة متعّمداً فقد كفر**» وهي إن جئنا بها حسب شروطها تنهى عن الفحشاء والمنكر وشروطها الأهم طهارة الروح والبدن، الروح بخشوع القلب والجوارح والبدن بالوضوء وعدم لبس ثوب مغصوب أو غير طاهر أو الصلاة في مكان مغصوب أو غير طاهر، أيها الناس اللّه اللّه في صلاتكم إستعينوا بها وإصبروا عليها وحققوا أهدافها لأن إمامنا الحسين عليه السلام إنما قدّم تضحياته الغالية لأجل الصلاة لذا فإننا نخاطبه في الزيارة ونقول له «**أشهد أنّك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت اللّه ورسوله حتى أتاك اليقين**» وفي موضع آخر «**وصبرت على الأذى في جنب اللّه صابراً محتسباً حتى أتاك اليقين**».

لقد إستعان الإمام الحسين عليه السلام بالصبر والصلاة طيلة حياته وحتى ليلة شهادته فلقد أرسل أخاه العباس ليقول للقوم أمهلونا سواد هذه الليلة لكي نصّلي لربنا ونقرأ القرآن، يقول العلامة الشيخ جعفر التستري طيبَّ اللّه ثراه في خصائصه الحسينية إن الإمام الحسين عليه السلام صلى يوم عاشوراء وليلتها أربعة أقسام من الصلوات وهي:

صلاة الليل ليلة عاشوراء ولا يدري البعض بأي شيءٍ كان وضوء الإمام عليه السلام؟ هل كان تيمماً أم بماءٍ حصل عليه بطريق الإعجاز وهو الأقرب.

صلاة الخوف عوض صلاة الظهر وهي قصر وقد صلاّها البعض بقصر القصر لأنه سقط قتيلاً أثناء الصلاة.

أحيا روح الصلاة وحققَّ أهدافها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورفض الظلم

والطغيان.

صلى صلاة خاصة به وبوضوء خاص، لقد غسل وجهه بدم نحره ثم تيمم صعيداً طيباً مباركاً فمسح برمضاء كربلاء وجهه واضعاً جبهته الشريفة المفضوخة بالحجر حين التهيؤ لتسليم ما باعه على اللّه، وكبَّر تكبيرة الإحرام بشكل خاص وقرأ قراءة خاصة وقيام خاص وركوع وسجود وتَشهَّد وتسليم أحرم لها حين نزل من على ظهر جواده، وقام قيامه حين وقف راجلاً وركوعه حين ينوء برقبته وسجوده حين وضع خدَّه على التراب، أما التشهد والسلام فكان بعروج روحه إلى الملكوت الأعلى ورفعه باعتلاء رأسه على رؤوس الرماح وتعقيبه كان ترتيله لقوله تعالى ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً**﴾ [الكهف : ٩].

لهفي لرأسك وهو يرفع مشرقاً ... كالبدر فوق الذابل الميّادِ
يتلو الكتاب وماسمعت بواعظٍ ... تَخِذَ القنا بدَلاً عنِ الأعوادِ
لهفي على الصَدرِ المعظَّم يشتكي ... مِن بعدِ رَشقِ النَبلِ رضَّ جيادِ
ما إن بقيتَ من الهوان على الثرى ... مُلقى ثلاثاً في رُبى ووهاد
إلاّ لكي تقضي عليك صلاتها ... زمر الملائك فوق سبع شدادِ
فمن المعزي للبتول بنجلها ... شلواً على الرمضاء دون مهادِ

آنه الوالدة والگلب لهفان ... وأدوِّر عزا إبني وين ما چان
أويلاه يبني المات عطشان ... ولعبت عليه الخيل ميدان
وفرَّت عگب چتله النسوان ... وإتلاهبت بالخيم نيران

***

آنه الوالدة المذبوح إبنها ... وطول الدهر ما گلَّ حزنها

مـصـيـبـة ويـشـيـب الـطـفـل منها   سـبـعـين كـلـهـا إبـــــدور چنها

عـــالـــغـــبرة مـــا واحــــــد دفنها   وزيـــنـــب حـــدى الحـــادي إبضعنها

بين ومضة الوعي والانتكاس

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ﴾[1]

يقف الناس أمام الحقائق التي يواجهونها في حياتهم وكل قضية تطرح عليهم ثلاثة مواقف فإما أن يتقبّلوها ويؤمنوا بها ويحاولوا العمل بها.

وإما أن يرفضوها ويحاربوها ويحاربوا من يقول بها.

وإما أن يكونوا مع اللا موقف لا لنا ولا علينا.

وهذا الموقف الأخير هو ما التمسه الإمام زين العابدين عليه السلام من الناس بعد مصرع الإمام الحسين عليه السلام عندما عرضوا خدماتهم عليه فقال لهم هيهات هيهات أيها الغدرة المكرة حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم أتريدون أن تأتوا إليَّ كما أتيتم إلى أبي من قبل كلا وربِّ الراقصات فإنّ الجرح لمّا يندمل قُتِلَ أبي صلوات اللّـه عليه بالأمس وأهل بيته وأصحابه معه ولم يُنس ثكل رسول اللّـه وثكل أبي وبني أبي إن وجده واللّـه بين لهاتي ومرارته بين حناجري وحلقي وغصته تجري في فراش صدري ومسألتي أن تكونوا لا لنا و لا علينا ثم أنشد قائلاً:

(١) سورة الأنبياء: ٦٢_٦٣.

لاغروا إن قتل الحسين فشيخه
قد كان خيراً من حسين وأكرما
فلاتفرحوا ياأهل كوفان بالذي
أصيب حسينٌ كان ذلك أعظما
قتيلٌ بشط النهر روحي فداؤه
جزاء الذي أرداه نار جهنما

وتبقى الحقيقة واضحة كالشمس في رائعة النهار إلا أن الناس يعمون عنها أو يتعامون، صدقوني حتى البهائم تعرف الحق من الباطل لاحظوا القطط في البيوت حين تسرق طعامها تهرب به وتأكله بعيداً في حين إنها تأكله أمامك إن أنت قدّمته لها.

موضوع الآيات التي جعلناها مفتاح حديثنا لهذه الليلة هو كيف إن الناس عند التجرّد عن عصبياتهم وأنانياتهم يصلون بالفطرة السليمة إلى فهم الحقيقة وإن الذي يمنعهم عن الإقرار بها وينكسهم على رؤوسهم الشيطان الرجيم وخوفهم من طواغيت زمانهم الذين إن قالوا لهم اللبن أسود قالوا أسود وقد قيل «**الناس على دين ملوكهم**» في الوقت الذي يجب فيه أن يكونوا على دين أنبياءهم وأئمة عدلهم وعلمائهم.

خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام يترك لوحده يوم العيد فينفرد بأصنام القوم ويأخذ قدوّما بيده ويمعن بالإستهزاء وبتحطيم آلهة القوم، يضع طعاماً في فم الصنم ويقول له كل**!** تكلم: وبعد أن كسَّر أصنامهم علّق القدوم برقبة الصنم الكبير وإنصرف.

فلما عاد النمرود ومن معه من العيد نظروا إلى الأصنام فاذا بها محطمة قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين «فقال بعضهم إن إبراهيم عليه السلام دائما يذكرهم بسوء لعله هو من فعل هذا، وبعد أن وبّخوا آزر عمّ إبراهيم عليه السلام سألوا إبراهيم قائلين له «**أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم**» ؟؟.

وهنا عمد الخليل عليه السلام إلى إستعمال التورية في الكلام فأجابهم بشكل يثير في نفوسهم

التدبر والتعقل والوعي ﴿**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**﴾ [الأنبياء : ٦٣].

يقول الامام الصادق عليه السلام واللّـه ما فعله كبيرهم وما كذب إبراهيم عليه السلام فقيل له وكيف ذلك؟؟ فأجاب إنما قال إبراهيم عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا إن نطق وإن لم ينطق فالفاعل هو إبراهيم وكيف ينطق الصنم؟؟؟.

وهنا نجد المفسرين ذهبوا شرقاً وغرباً وكلّفوا أنفسهم عناءً كبيرا في تفسير هذا الكلام الذي لا يحتاج فهمه لأكثر من وقفة خفيفه بعد «بل فعله» ليتضح لنا غرض إبراهيم عليه السلام من الجواب بهذه الطريقة ويؤكد هذا المعنى الشعور الذي إنتاب القوم فلقد راجعوا أنفسهم وإعترفوا بالخطأ والظلم، وما أجمل الرجوع عن الخطأ واللّـه غفور رحيم إننا نحتاج لهذا الرجوع دائماً وأبداً عوض التمادي في الجهل والخطأ والعصبية، فالإعتراف بالخطأ فضيلة والإصرار على الذنب رذيلة نظر بعضهم إلى بعض وعادوا إلى الفطرة السليمة وحاسبوا أنفسهم فقالوا فعلاً يا قوم أأنتم الظالمون، أية آلهة أنتم تعبدون إنها لا تستطيع أن تدافع عن نفسها، إنها لا تنفع ولا تضر ولا حتى تنطق، كيف سيكون بمقدورها وهي هكذا إن ترزقنا أو تسعدنا أو تشفينا، نعم لقد ومض الحق وقدح في أذهانهم ولكن سرعان ما إنتكسوا وكما نقول في أمثالنا «**عادت حليمة لعادتها القديمة**».

لقد منعهم الشيطان من الرجوع عن الظلم والخطأ وقال لهم قولوا لإبراهيم أنت تعلم إنهم لا ينطقون فكيف نسألهم، إذاً أنت الذي حطم هذه الأصنام وهاجت فيهم حمية الجاهلية وسقط عندهم منطق العقل والدليل أمام العصبية فتنادوا يا ناس إنصروا آلهتكم وإحرقوا إبراهيم عليه السلام.

فجمعوا الحطب حتى ان الرجل منهم كان إذا دنى أجله أوصى بجزء من ماله ليشتروا به حطباً لحرق إبراهيم عليه السلام والمرأة تجمع مالاً من عمل مغزلها فتشتري به حطباً، ثم أوقدوه فإذا هي نارٌ يحرق لهبها الطائر في كبد السماء فتحيّروا كيف يلقون ابراهيم عليه السلام في النار فدلّهم

الشيطان على المنجنيق وكان أول منجنيق يصنع، ثم وضعوا فيه إبراهيم عليه السلام ورموه في قلب النار وإذا بالسماء والأرض وكل المخلوقات تضج إلى الرحمن متوسلة قائلة إلهي خليلك يحرق وليس على وجه الأرض أحدٌ غيره يعبدك وإبراهيم عليه السلام ينادي يا اللّه يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. نجني من النار برحمتك، فالتقى به جبرائيل في الهواء قال له يا إبراهيم هل لك حاجة؟ فقال إبراهيم أما إليك فلا وأما إلى رب العالمين فنعم فأعطاه قميصاً من حرير الجنة وقيل خاتماً مكتوب عليه لا إله إلا اللّه مُحَمَّدٌ رسول اللّه ألجأت ظهري وأسندت وفوّضت أمري إلى اللّه، فأوحى اللّه إلى النار ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾ [الأنبياء : ٦٩] قال الرواة إصطكَّت أسنان إبراهيم من البرد حتى قال اللّه وسلاما ونمرود ينظر إلى ابراهيم عليه السلام وهو في روضة خضراء وبقي ابراهيم على هذه الحال ثلاثة أيام وعندما رآه نمرود وقد خرج من النار سالماً معافى حكم عليه بالنفي والإبعاد فهاجر إبراهيم عليه السلام من العراق وكما إنقسم الناس أمام خليل الرحمن إلى ثلاث فرق كذلك إختلف جند يزيد يوم عاشورا عندما خرج إليهم الحسين عليه السلام يحمل طفله الرضيع وقد غطاه بطرف عباءته فتوسط الميدان وأخذ ينادي أيها الناس قتلتم أخي وأولادي وانصاري وما بقي غير هذا الطفل وهو يتلظى عطشاً من غير ذنب أتاه إليكم فاسقوه شربه من الماء، أيها الناس إن كان ذنبٌ للكبار فما ذنب الصغار.

ودعى الأقوام يا اللّه للخطب الفظيع
نبئوني أأنا المذنب أم هذا الرضيع
لاحظوه فعليه شبه الهادي الشفيع
لا يكن شافعكم خصماً لكم في النشأتين

اختلف القوم قال بعضٌ إسقوه وقال بعضٌ دعوه وتخلخل الوضع فصاح ابن سعد يا حرمله إقطع نزاع القوم، كاد حال الطفل الرضيع أن يؤثر في قلوب الجند لولا إن ابن سعد نكس على وجهه ونادى بذاك النداء وإذا بحرمله يطلق سهماً نحو الطفل فيذبحه من الوريد

إلى الوريد ومن الأُذن إلى الأُذن ثم مَدَّ الحُسين عليه السلام يده إلى نحر الطفل الذبيح فامتلأت دماً ثم رماه نحو السماء فما سقطت منه قطرة إلى الأرض، يقول الامام الباقر عليه السلام لو سقطت منه قطرة لساخت الارض:

تـگـلـه حـسـيـن دم الـطـفـل بيده
إشـحـال اليـچـتـل بـحـضـنـه وليده
سـال وتـرس چـفـه مـن وريده
ورمـه بـيـه لـلـسـمـه ولـلـگـاع ماخر

ذبيح الله

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(1)

في القرآن الكريم آيات تحتاج إلى أعمال الفكر الشديد والتأمل والتدبر لكي نصل إلى معانيها.

وهنالك آيات كثيرة لاتتطلب من القارئ لها أكثر من قراءتها بشكل صحيح حتى تنطبع في القلب والذهن معانيها التفصيلية، وسرعان ما يتوضح القصد فيها من سياق الكلام فهي على سبيل الحكايةٍ أو الدعاء، ومن هذه الآيات البينات الآية موضوع بحثنا هذه الليلة والتي تحكي مشهداً من حياة خليل الرحمن عليه السلام الذي كان قمة في الطاعة والإمتثال لأوامر اللّه جل جلاله، فبعد أن يتجاوز عمر ابراهيم المئة بسبعة عشر عاماً يرزقه اللّه من هاجر بولده إسماعيل، فتشتد غيرة زوجته الأولى سارة من هاجر وولدها وتطلب من خليل الرحمن أن يبعدها عنه، ويختار اللّه له وادٍ غير ذي زرع هو مكة ليسكن به زوجته وإبنه، ويعاني من بُعد ولده الذي أقرَّ اللّه به عينيه بعد هذا العمر الطويل، فنراه يتوسل باللّه عندما تعتصر قلبه عاطفة الأبوة والحنان على زوجته المرضعة التي تحتاج رعايته وعطفه كحاجتها للغذاء والأمن ولكن الإمتثال لأمر اللّه عنده فوق كل رغبة وكل عاطفة وهكذا ينزل هاجر مع ولدها إسماعيل أرض مكة القاحلة وما إن يرتفع النهار يعطش إسماعيل عليه السلام فتقوم هاجر

(1) سورة إبراهيم: ٣٧.

إلى الوادي حتى تصل إلى موضع السعي، فتنادي هل في الوادي من أنيس ولا تسمع جواباً فتتجه نحو الصفا لعلها تجد في السراب الذي لمع لها ماءً ويغيب عن نظرها ولدها العطشان ثم تنظر من الصفا إلى الوادي فيلوح لها سراب تظن أنه ماء فتنزل في بطن الوادي حتى يغيب عنها ولدها وتكتشف بالتالي بأنها هرولت سبعة أشواط بين الصفا والمروة بحثاً عن قليل من الماء لتسقي ولدها فلم تجد. ولما كانت في الشوط السابع وهي على المروة نظرت إلى إسماعيل عليه السلام وقد ظهر الماء من تحت رجليه فقعدت حتى جمعت حوله رملاً وزمَّت الماء الجاري ولذلك سميت البئر التي حفرها اسماعيل عليه السلام بحركة رجليه الشريفتين بئر زمزم. واما أفئدة الناس التي هوت إليهم فهي أولاً قبيلة جرهم التي أحسَّت من حركة الطيور بوجود ماء في هذا الوادي فسارت إليه وإذا بها ترى إمرأة ومعها ولد صغير وعين ماءٍ صافية فاستأذنوا من هاجر لكي ينزلوا بالقرب من هذه العين فاستمهلتهم حتى تستاذن من خليل الرحمن ولما أذن لها سمحت لهم فابتدأت دورة الحياة في حرم اللّه الآمن، ووهب كل (جرهمي) شاة لاسماعيل عليه السلام تكريماً له وسروراً بهذا الجوار العظيم.

وما إن كبرُ إسماعيل حتى ساعد إبراعيم عليه السلام بتجديد بناء بيت اللّه العتيق، الذي رفعه اللّه إليه في طوفان نوح ولذلك يسمى البيت العتيق. وتطورت مكة وازدهرت وأصبحت قبلة الناظرين وكعبة الوافدين يحج إليها الناس من كل حدب وصوب.

هذا الحرم الالهي الآمن سنة / ٦١/ هجرية لم يستطع أن يحفظ الإمام الحسين عليه السلام سبط رسول الله مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم من إجرام بني أمية ففرمنه وخرج خائفاً يترقب كخروج موسى عليه السلام وكما يقول الشاعر:

خرج الحسين من المدينة خائفاً

كخروج موسى خائفاً يتكتَّمُ

وقد إنجلى عن مكةٍ وهو إبنُها

وبه تشرَّفت الحطيم وزمزمُ

وكان للحسين عليه السلام زوجة من خيرة النساء ومن بيوتات الشرف العالية هي الرباب بنت إمرئ القيس أُمَّ سكينة التي ورد عن سيد الشهداء إنه كان ينشد لها:

لعمرك إنني لأُحبُّ داراً
تحِلُّ بها سكينة والربَّابُ
أحبهُّما وأبذل جُلَّ مالي
وليس لعاتب عندي عتابُ

هذه المرأة العظيمة كان على صدرها يوم العاشر من المحرم طفل رضيع لم يتجاوز عمره الستة أشهر. فشاطرت زوجها الامام الحسين في تحمل المصائب والمسؤوليات التي ورثها عن الأنبياء والمرسلين فقامت هي بدور هاجر أم اسماعيل وحملت طفلها العطشان الذي إنكمش جلده من شدة العطش حيث إنه لم يرتضع منذ ثلاث ليالي، حملته وشاطت سبعةأشواط بين الخيام تطلب لرضيعها شربة ماء فلم تجد وفي الشوط السابع جاءت به إلى عقيلة الهاشميين قائلة لها أخيّه زينب إن ابني هذا لم يرتضع منذ ثلاث خذيه إلى مولاي الحسين عليه السلام ليأخذه إلى القوم لعلهم يرحموا صغر سنه ويسقوه شربه من الماء أخذت الطفل ومضت به إلى الامام الحسين وضعه تحت رداءه خوفاً عليه من حرارة الشمس ومضى به إلى قلب المعركة توسط الجيش ثم أخرج الطفل الرضيع وصاح بأعلى صوته أيها الناس إن كان ذنب للكبار فما ذنب الصغار.

ودعى الأقوام ياللّه للخطب الفظيع
نبئوني أأنا المذنب أم هذا الرضيع
شاهدوه فعليه شبه الهادي الشفيع
لايكن شافعكم خصماً لكم في النشابين

فاختلف القوم فيما بينهم فقال بعض إسقوه وقال الاخر اقتلوه فالتفت عمر بن سعد إلى حرمله وصاح به يا حرمله إقطع نزاع القوم فعيّن في قوسه سهماً مسموماً ورمى به نحر عبد

اللّـه الرضيع فذبحه مـن الوريد إلى الوريد فلما أحس الطفل بحرارة السـهم أخرج يديه من القماط واعتنق أباه وتبسم في وجه أبيه.

ومد الحسين عليه السلام يده إلى نحر الطفل حتى امتلأت دماً فرمى به نحو السماء وهو يقول هوَّن ما نزل بي أنه في عينك اللّـهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح، يقول الامام الباقر عليه السلام لو سقطت قطرة من ذلك الدم على الأرض لأحرقتها بمن عليها:

تـلـگـه حـسـيـن دم الـطـفـل بيده

إشـحـال اليـچـتـل إبـحـضـنـه إوليده

ســـال وتـــرس چـفــه مـــن وريده

رمــه بـيــه لـلـسـمـه ولـلـگـاع ماخّر

عـيـونـي تـسـجـب الـعـبـرة بالمهاد

على الظلوا على الغبرة بالمهاد

طـفـلـهـم مـا لـحـق ينـهـز بلامهاد

حـــزت ركـبـتـه سـهـام المنية

***

هل آذى الرسول ﷺ قتل الحسين عليه السلام؟

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾(١)

اللعن لغةً هو الإبعادُ من الرحمة، ونتيجة الأبتعاد عن الرحمة الالهية ستكون حتماً قاسية ومؤلمة وقد ذكر القرآن بعضها، ومنها قساوة القلب وعدم الايمان والاحتجاب عن مواطن المعرفة والصمم وعمى الأبصار والأفئدة وما إلى ذلك.

ولقد كان موضوع اللعن قديماً موضع جدال وخلاف بين الناس فمنهم من يمتثل فيه لأمر اللّه ومنهم من تدفعه العصبيات إلى إختلاق الأعذار والرخص لرفع اللعن عن مستحقيه حتى دخل ذلك في التراث الشعبي للكثير من شعوب المنطقة التي نحن فيها، وتسبب ذلك في الكثير من التطاحن والأقتتال المؤسف نتيجة الأفراط والتفريط في استخدام لفظ اللعن، حتى أن بعض رجالات الاسلام كتبوا العديد من المؤلفات في موضوع جواز أو عدم جواز اللعن وعلى سبيل المثال لا الحصر إعتاد البعض على مقولة إلعن يزيد ولا تزيد، رب ساءل يسأل ما جدوى هذا البحث وما الذي تريد أن تقوله، فأجيب ومن خلال التدبر في الآيتين التي إستهلينا بها مجلسنا هذه الليلة بأن اللعن عقوبة تترتب على كل من يؤذي اللّه في رسوله، لأن اللّه جل وعلا منزهٌ من أن يناله الأذى، والصحيح وما تؤكدهُ الروايات أن إرضاء رسول اللّه وآله الطهار هو إرضاء للّه وإسخاطهم وإيذاءهم إسخاط وإيذاء للّه

(١) سورة الأحزاب: ٥٧ـ٥٨.

ولنا ألف شاهد وشاهد من تراث المسلمين على ذلك إضافة لموافقته للعقل والقرآن، منها قول المصطفى ﷺ **«فاطمة بضعة مني يرضى اللّـه لرضاها ويغضب لغضبها من أحبها فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب اللّـه ومن أحب اللّـه أدخله الجنة، ومن أبغضها فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض اللّـه ومن أبغض اللّـه أكبّه اللّـه على منخره في النار»** وقوله لعلي عليه السلام **«ياعلي من أحبك فقد أحبني ومن سبّك فقد سبني»** وقوله لسبطيه **«الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا»**، **«وحسين مني وأنا من حسين أحبَّ اللّـهَ من أحبَّ حسينا»**.

ويقول الامام الحسين عليه السلام في إحدى خطبه المشهورة **«رضى اللّـه رضانا أهل البيت نصبر على بلائه فيوّفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول اللّـه لحمتهُ وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقربهم عينهُ وينجزُ لهم وعده نعم إن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي والتنزيل»** وكما يخبرنا مهدّيهم المنتظر عجل الله فرجه يقوله: **«قلوبنا أوعية لمشيئة اللّـه إذا شاء شئنا وما تشاؤن إلّا أن يشاء اللّـه ربُّ العالمين»**.

نعم إنهم لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وبناء على ما تقدم فان من يحاربهم يحارب اللّـه ويؤذيه فيستحقّ بذلك العمل القسط الأول من العقاب الرباني الذي هو اللعن، والقسط الثاني ينتظره في الاخرة إضافة لبُعده عن مواطن الرحمة الإلهية وحجب عنها فهناك العذاب المهين.

ومع علمنا اليقيني بأن عمل يزيد يوم عاشوراء عام ٦١ هجرية ليس فقط يؤذي اللّـه ورسوله والمؤمنين والمؤمنات بل يهز عرش الرحمن ويفجّر عيون السماء والأرض دما إلّا أننا ومن خلال إمتثالنا الأوامر أئمتنا وقادتنا التي هي بالتالي من أمر اللّـه لا نجاهر بلعنه ولا نوصي بذلك حفظاً منا لمشاعر من يحترمون أمثال هذه الشخصيات، ونرجو أن تُحترم مشاعرنا، لنقل معاً اللّـهم إلعن كل الظالمين والمفسدين الذين يؤذون اللّـه في رسوله المختار وآله الأطهار.

نثبت هذا الموقف لكي لا يتساوى بنظر أولادنا الظالم والمظلوم، جريمة عظمى هي

عمليـة التدليـس في التاريخ الإسـلامي الذي نحكيـة لأجيالنا، لنحكـي لهم الوقائـع كما هي ونترك لهم حريـة الاعتبار، القرآن الكريـم لا يقبل بمقارنة الذين كانوا يقومون بسـقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بمن آمن باللّـه وجاهد بنفسه وماله في سبيل اللّـه.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِـقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْـجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّـهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّـهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّـهِ﴾[1] فكيف تحاول إقناع الأجيال بان سيدنا يزيد قتل سيدنا الحسين وسـيدنا معاوية حارب سـيدنا علي وقتل سيدنا عمار وسـيدنا حجر بن عدي الكندي وقتل سـيدّتنا عائشـة، أورد الدكتـور مُحمَّد أبو اليـسر عابدين مفتي سـوريا الأسـبق في كتابه أغاليط المؤرخين في باب يزيد «رحمه اللّـه!!» تأويل آيتين من كتاب اللّــه في فضله وحديثين عن رسـول اللّـه ﷺ فيه ونسب له من الفضائل ما ينكره يزيدٌ نفسـه، إن كان ليزيد ما يفخر به فهو إحراقه للكعبـة الشريفة ورميهـا بالمنجنيق وإباحتـه مدينة رسـول اللّـه ﷺ للجيش الذي افتض فيها عشرين ألف فتاة من بنات المهاجريـن والأنصار حتى راثت الخيول عند قبر رسول اللّـه ﷺ، وقتله الحسين وأهل بيته وأصحابه في كربلاء، بشكل لم يسبق له مثيل.

ان أساليب التنكيل التي اسـتخدمها جيش يزيد يوم عاشوراء من القساوة بدرجة يمكن معها القول بأن كل الحقد الجاهلي الأُموي أفرغوه يوم عاشـوراء في الامام الحسـين وأهل بيته وأصحابه وعيالـه وأطفاله، لقد اقتـصر الغزو الجاهلي قبل الاسـلام على قتـل الرجال ونهب الأموال وسبي العيال أما يوم عاسوراء فلم يسلم من القتل الشنيع حتى الطفل الرضيع، كان لعبد اللّـه بن الإمام الحسـين عليه السلام من العمر سـتة أشـهر وقـد جفَّ اللبن في صـدر أمه منذ الليلة السابعة بعد أن منع الماء عنهم.

جاءت به الحوراء للحسين عليه السلام قائلة:

أخي حسـين خذه الى القوم علهم يسـقوه ويرقوا لحاله؛ أخذه اليهم وتوسط الميدان وهو يقول، إن كان ذنب للكبار فما ذنب هذا الرضيع :ـ

(١) سورة التوبة: ١٩.

لــه الله مــفــطــوراً مــن الــصــبر قلبهُ

ولــو كــان مــن صُــمِّ الصفا التفّطرا

ومــنــعــطــفــاً أهـــوى لــتــقــبــيــل طفله

فــقــبــل مــنــه قــبــلــه الــســهــم منحرا

عيون الماء في كربلاء

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1].

مقدمة وقبل الخوض والتدبر في معاني الآية الكريمة التي استهلينا بها مجلس هذه الليلة.

نحاول أن نقرر للسامع الكريم أننا لا نفرق بين أنبياء الله أجمعين نقدسهم ونعترف بعظمتهم عن كل ما يشينهم، ونسعى جهدنا للاستفادة من سيرتهم الذاتية وكراماتهم وقصصهم التي ذكرها القرآن الكريم وننزه ساحتهم عن كل معصية أو خرافة إسرائيلية تسري إليهم أو ألصقت بهم ظلماً وعدواناً لأن النبي والرسول والوصي والإمام الذي يصطفيه الله لابد أن يكون عيناً لكل فضيلة، ومنزهاً عن كل رذيلة.

ومن هنا فموسى عليه السلام بنظرنا هو ذلك النبي العظيم بورعه وزهده وخلقه وكرمه وشجاعته وعلمه وصبره، لا كما يصفه بعض أصحاب الصحاح أنه لما وفد إليه ملك الموت ليقبض روحه الشريفة إنزعج موسى ولطم عزرائيل عليه السلام على عينه ففقأها فهو الآن أعور. هذا النبي الذي كلّمهُ الله تكليماً تشريفاً له لا يمكن أن نتصوره بهذه الصورة المشوّهة وكذلك سيدنا المسيح وأمه العذراء لا يمكن أن نتصورهما باعة خمر وكذلك سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن أن نتصوره عابساً يتولى عندما جاءه الأعمى. الأنبياء بشر ولكن أدّبهم

(١) سورة البقرة: آية ٦٠، وسورة الأعراف: آية ١٦٠.

ربُّهم فأحسن تأديبهم وإنهم لعلى خلق عظيم يستسقى بوجوههم الغمام لا بل بعظامهم فقد ذكر المؤرخون لسيرة الأئمة الأطهار إن الناس في زمان أحد الخلفاء انقطع عنهم المطر وكلما خرج علماء المسلمين لصلاة الاستسقاء لم يُستجب لهم.

فخرج أحد الرهبان إلى الصحراء واستقبل السماء بيديه فأمطرت وشغف الناس وفتنوا بهذا الراهب وصار ضعاف الدين يتركون دينهم ويتنصرون والخليفة لا حول له ولا قوة.

فسأل الناس هل تجدون أحداً من ولد محمَّد ﷺ قالوا بلى قال أدعوه ليحفظ دين جدِّه من الزوال. فلما أحضر الإمام أمسك يد الراهب الممدودة نحو السماء وأخرج منها عظماً من عظام الأنبياء. ثم قال للراهب الآن أدعو، فدعى فلم يستجب له وطلعت الشمس على الناس وعادوا إلى دين محمّد ﷺ موضوع آيتنا يستعرض معجزة وكرامة لنبي الله موسى عليه السلام عندما خرج موسى مع قومه وكان عددهم ستمائة ألف وكان قد قسّمهم إلى (١٢) إنثي عشر فوج كل فوج يرأسه سبطٌ من أسباطه الاثني عشر وقد إنتشروا في مساحة ١٢ ميل والسبط لغة إبن البنت أو إبن الابن أي الحفيد ولكون أسباط موسى عليه السلام إثنا عشر سرٌّ يتجلى في الأئمة الاثني عشر من أولاد رسول الله محمّد ﷺ.

فلما أحس موسى وقومه بالعطش أوحى الله إليه يا موسى إضرب بعصاك الحجر فستنبع إثنتا عشرة عيناً على عدد أسباطك لكي لا يتنافسوا على الورد. فضرب موسى بعصاه المعجزة قيل حجراً كان معه وقيل لا كان في الأرض فتفجرّت عيون الماء بفضل من الله ورحمة وعلى عدد الأسباط، قد علم كل أناس مشربهم، وكأن الله جل وعلا يقول لنا لا تقتتلوا ولا يعتدي بعضكم على رزق بعض ولا يسرق أحدكم اللقمة من فم أخيه لأن الله قد رزق الجميع ووزع الخيرات على البلاد توزيعاً جغرافياً عادلاً وهادفاً بحيث لا يستغني أحدٌ منا عن أخيه جعلنا شعوباً وقبائل لنتعارف لا لنتقاتل ويسرق بعضنا بعضاً، صدّقوني لولا سرقة المستعمرين لخيرات غالبية الشعوب الفقيرة لم تكن تلك الشعوب فقيرة.

يسرقون الذهب والماس واليورانيوم والمطاط والنفط منا ويتصدّقون علينا بقروض

البنك الدولي وقليل من القمح والشعير، دعونا وشأننا إن الله جعل في كل بلد مقومات وجوده وديمومته وتطوره، والله حتى الحيوانات التي في كل بلد خلقها بمواصفات تلائم جغرافيا ومناخ ذلك البلد، حتى الفواكه والخضر أنتجها لنا في وقت إحتياج أبداننا لها، فالصيفي بارد بطبعه والشتوي حار بطبعه. جاء القوم فصنعوا لنا المجمدات لتدخل إلى أبداننا الخضرة الشتوية المجمّدة في الصيف والخضرة الصيفية المجمّدة في الشتاء فترتبك المعادلات الكيمياوية في أبداننا فتكثر الأمراض فيصدّرون لنا الأدوية والمعدات بمليارات الدولارات وهذا ما حذّرت الآية الكريمة منه في قوله تعالى: ﴿**كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾(١).

إلهي وربي لقد أفسدوا كل شيء حتى طبقة الأوزون ثقبوها، من أجل الحفاظ على معدلات أسعار سلعهم يحرقون ويلقون في البحر سنوياً آلاف الأطنان من القمح، والشعير والبن في وقت جعلوا فيه بعض الشعوب تموت جوعاً إسرائيل التي إكراماً لموسى عليه السلام فجّرت لها عيون الماء الاثني عشر، هذا اليوم تقوم بأكبر عملية قرصنة على مياه الدول العربية المجاورة لها.

لقد أصبح منطق الغالبية العظمى من الناس أعيش أنا وليمت الجميع.

وكما قال الشاعر:

مُعللّتي بالوَصلِ والمَوتُ دُونَه
إذا مُتُّ ظمآناً فلا نَزلَ القَطرُ

لو أن كل شعب أو حتى كل فرد قنع بمواهب الله التي وهبها له والخيرات التي بين يديه والأمور التي سخّرها له، لعشنا أحلى عيش ولعُدمت الحروب وما جاع أحد، هذا أمير المؤمنين علي عليه السلام كتاب الله الناطق يُقسم أنه ما حُرم فقير إلا بما مُتع به غني، ويقول ما وجدت نعمة موفورة إلا وبجنبها حقٌ مضيّع البعض تقتله التخمة والبعض الآخر يقتله

---

(١) سورة البقرة: آية ٦٠.

الجوع.

قليلاً من القناعة يا ناس، خذوا ما تحتاجون ودعوا الباقي للآخرين، أخرجوا حق الله في أموالكم وهذا جهادٌ مقدس تثابون عليه كثواب الشهيد بل جهادكم يأتي في القرآن غالباً قبل الجهاد بالنفس ساعدوا في إعادة الأمور إلى نصابها.

أنتم وكلاء الله على ماله والفقراء عيال الله الذين أنزل رزقهم وجعلكم وكلاء عليه، وأحسنوا الوكالة، لا تمدّوا أعينكم لما في أيدي الناس ولا تحسدوهم على ما آتاهم الله من فضله. إعتبروا يا أولي الألباب، هذا يزيد بن معاوية مكّنه معاوية من رقاب المسلمين فلم يقنع حتى طلب إذلال الحسين بالبيعة، وغاب عنه أن الحسين عليه السلام لا يعطي يده إعطاء الذليل ولا يقر أو يخضع للطغاة خضوع العبيد، أخلى الحسين له ساحة الحجاز فلم يقنع بل كتب لواليه إبن زياد بقتل الحسين عليه السلام شر قتله.

وهكذا فعل إبن زياد بأمر يزيد، حاصر الحسين عليه السلام في كربلاء منع عنه الماء يوم السابع من محرم، مرّت ثلاث ليالي على الأطفال والعيال لم يذوقوا فيها الماء جاءت عزيزة الحسين سكينة ليلة العاشر إلى خيمة أبيها تستغيث من شدة الظمأ، ضرب الحسين عليه السلام برمحه الأرض فانبجست له إثنتا عشرة عينا من الماء. مدتَّ العزيزة يدها لتشرب قال لها بُنية لا تشربي لتكون لنا الحجة على هؤلاء القوم الظالمين يوم القيامة، إمتثلت أمر أبيها وبقيت لوعة العطش تحرق قلبها حتى يوم العاشر عندما سقط الحسين صريعاً أسرعت إليه عزيزته قبل أن يذبح وإذا به يحرك شفتيه قائلاً بنية سكينة أبلغي شيعتي عني السلام وقولي لهم تذكروا عطش الحسين لذا تجدون على كل سبيل ماء للشيعة هذه العبارة: **إشرب الماء وإذكر عطش الحسين**

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني

أو سمعتم بقتيل أو غريب فاندبوني

الگدر مسرع إويايه إبهظم ما أن

ومـثـل ونــات گـلبي گـلـب مـا أن
يشيعه إشما شربتم عـذب ما أن
اذكـــروا الـصـابـنـي بالغاضرية

كتاب الله المهجور

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾[1].

مدارس تفسير القرآن الكريم وتحفيظه وتعليم تجويده وترتيله من الكثرة بشكل يتعذر معه تبرير الإهمال وعدم الاستفادة من معجزة رسول الإنسانية محمد ﷺ التي هي القرآن الكريم.

ومن خلال التحقيق في سيرة أغلب علماء الدين وجدت أنه ما من عالم محقق من رجال الفكر والدين إلا وله كتاب تفسير للقرآن الكريم ووفق منهجية خاصة.

فمنهم من صب إهتمامه على علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة فيه، وآخر إهتم بالجانب التاريخي فسرد قصص الأنبياء وأممهم، وإعتمد الفقهاء منهم على آيات الأحكام الشرعية، أما الفلاسفة كالطباطبائي صاحب الميزان والفخر الرازي فقد فسروا القرآن حسب ذوقهم الفلسفي والمتصوفة وعلماء الحروف والأرقام أغرقوا في تفسير آثار كل حرف من حروفه والأعداد المؤثرة منه، وعلماء الأحياء والطبيعة حاولوا الأستفادة من آيات الله في خلقه، والأدباء إستعانوا بمفرداته في صياغة مقالاتهم وأشعارهم وقصصهم مع كل هذا فإننا نرى النبي ﷺ في هذه الآية الكريمة يشكوا إلى ربه ويقول ربي **﴿إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾**.

وجدت عند أهل التفسير في معنى كلمة مهجورا الآراء التالية:

(١) سورة الفرقان: آية ٣٠.

١- قالوا مهجورا يعني متروكا قد ثقل عليه الغبار وحفظ في زوايا البيت، والكل يعلم أن النبي ﷺ قال من علق مصحفاً ولم يتعاهده (يعني يفتحه ويقرأ فيه بين فترة وأخرى) ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول يا رب العالمين عبدك هذا إتخذني مهجورا فاقضي بينه وبيني.

٢- هجر في كلامه أي هذا من الهذيان وهو الكلام لا عن وعي وفعلاً فقد ذكر أرباب السير أن النبي روحي فداه عند إحتضاره طلب من أصحابه كتفاً ودواة ليكتب لنا كتاباً لن نضل من بعده أبدا، فقال أحدهم إن الرجل ليهجر علماً بأن ذات الرجل تخلف عن جيش أسامة الذي أمر النبي بإنقاذه بحجة حبه للنبي ﷺ وعدم مقدرته على مفارقته وهو ينازع وتعلمون جيداً أن رسول الله ﷺ قال لعن الله المتخلف عن جيش أسامة.

٣- الرأي الثالث هو ما نلاحظه نحن في يومنا هذا من إستخفاف وجهل بما في القرآن من علوم وما لها من آثار وما يمكن أن نستفاده منه، إضافة إلى أننا ننزل القرآن منازل لا تليق به.

لقد إستخدمنا القرآن لافتتاح محطات الإذاعة والتلفزيون وعند الختام، وإشعاراً للوفاة ومجالس الأسبوع وعلى القبور ما إن تسمع صوت مقرئ يقرأ القرآن إلا وتتبادر إلى ذهنك أن أحداً قد مات، القرآن ليس للأموات حصراً، بل هو قانون حياة، بل هو إحياءٌ بكل معانيه وقد ورد في آثار سورة الفاتحة لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة فقام فلا تعجبوا في القرآن طب **﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾**[1]. **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً﴾**[2]. في القرآن علوم فلك **﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرجُونِ الْقَدِيمِ﴾**[3]. **﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾**[4]. في

(١) سورة الأحزاب آية ٣١.
(٢) سورة الإسراء: آية ٨٢.
(٣) سورة يس: آية ٣٩.
(٤) سورة يس: آية ٣٨.

القرآن هندسة كونية ﴿**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ**﴾[١]. في القرآن إقتصاد ﴿**وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ**﴾[٢]. في القرآن مختبر ومصنع مهم جداً يصنع الإنسان النافع يزرع الحب في القلوب يهدي النفوس بالتواضع ولكن مشكلتنا الأساسية هي أننا لا رغبة لنا بالاستفادة من القرآن ليس هذا وحسب بل أن الكثير منا ذهب يبحث عن نظريات وبدائل عصرية عنه.

محاكمنا وحكامنا يحكمونا بالقوانين الوضعية ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾[٣]. قراؤنا يقرؤون القرآن ويحفظونه لفظاً وحسب المقامات ويغنونه بأجمل شكل و«**رب تالي للقرآن والقرآن يلعنه**» مشكلتنا أننا نقول ما لا نفعل ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُواْ مَا لاَ تَفْعَلُونَ**﴾[٤].

نؤمن ببعضه الذي ينسجم مع ذوقنا وتوجهاتنا ونكفر بالباقي حتى في التلاوة بعض البلاد العربية التي تربطها علائق وطيدة مع إسرائيل منعوا تلاوة الآيات التي تذكر اليهود بسوء يهرب الكثير من الآيات التي تبين فضل محمد وآل محمد ﷺ على العالمين وهذا هو الهجر الفعلي للقرآن الذي بنتيجته وصلنا لما وصلنا إليه.

ينقل عن العلامة المجاهد الشيخ محمد جواد مغنية طاب ثراه أنه في إحدى زياراته للأزهر الشريف سئل لماذا أنتم الشيعة لا تهتمون بالقرآن مثلنا فأجاب على الفور مولانا أنتم تحفظون ألفاظه ونحن نعمل به، أي نترجمه إلى واقع نعيشه أفعال وممارسات لأننا تعلمنا هذا من كتاب الله الناطق من محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين الذين عاشوا القرآن وجسدوه في كل حركة وسكنة إنهم آل الله وتراجمة وحيه وخزان علمه وحلمه إنهم الدروس العملية في التربية الإنسانية قلوبهم أوعية لمشيئة الله إذا شاء شاؤوا ﴿**لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[٥]. نعم لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه حقاً قولاً وفعلاً. كانوا دوماً مع

---

(١) سورة الرحمن: آية ٧.
(٢) سورة الأنعام: آية ١٥٢.
(٣) سورة المائدة: آية ٤٤.
(٤) سورة الصف: آيات ٢ – ٣.
(٥) سورة الأنبياء: آية ٢٧.

القرآن وفي القرآن وللقرآن، هو منهج حياتهم وكفاحهم هو خزان علمهم، به يستشفون ومن وحشة الدنيا وأهلها به يستأنسون.

كما ورد عنهم إذا أردت أن تخاطب الله فعليك بالصلاة إفتح أبواب الكلام بهذا الرقم (٢٤٤٣٤) هذا هو رقم الخليوي الخاص بالله جل وعلا ركعتان صباحاً، أربعة ظهراً وأربعة عصراً ثلاث ركعات في المغرب واربعة للعشاء.

وإن إشتقت إلى خطابه فعليك بالقرآن وهذا ما فعله مولانا أبو عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ليلة عاشوراء حين تعجل عمر بن سعد القتال، فأرسل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إليهم قمر بني هاشم أبو الفضل العباس، قائلاً له: «يا عباس إركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم مالكم وما تريدون؟

فاستقبلهم العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ في نحوٍ من عشرين فارساً، فقال لهم العباس ما بدا لكم وما تريدون؟ قالوا جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم قال لا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم، وانصرف إلى الحسين يخبره بالخبر فقال له الحسين: إرجع إليهم فإن إستطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عنا العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة ونستغفره فهو يعلم أني كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه، وأقبل العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال لهم مقالة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وبعد أخذ ورد أمهلوا الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ سواد ليلة الشهادة لكي يقرأ القرآن ويصلي، إنه أبلغ درس حسيني يقول الله في القرآن لا يسبقكم إلى العمل به غيركم، أنا كتاب الله الناطق إستشهدت من أجل كتاب الله، أحد الشعراء عندما يسمع أن رأس أبي عبد الله بعد فصله عن البدن رفعوه على الرماح وهم يكبرون ويهللون هتف قائلاً:ـ

جاؤوا برأسك يا بن بنت محمد

مترملاً بدمائه ترميلا

ويــــكــــبرون بــــأن قــتــلــت وإنما

قــتــلــوا بــك الــتــكــبــيــر والتهليلا

فيذكر يوم رفع المصاحف على الرماح فيهزه المنظر ويقول:

لــكــنــما حمــل الــــرؤوس عــلى القنا

أدهـــى وإن ســبــقــت بــه صفين

كـــل كـــتـــاب الله لـــكـــن صامت

هـــذا وهـــــذا نـــاطـــق ومبين

***

چـمـن جـرح الـحـزن بـيـه وكتما

وعـلـى فقد السبط لنحب وكتما

ذكـرت صفين والمصحف وكتما

شـفـت الــروس فـوق السمهرية

***

الإيمان بالغيب قبل العمل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَمَ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُـدًى لّلْمُتّقِينَ (٢) الّذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصّـلاةَ وَممّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) والّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالاَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُـونَ (٤) أُوْلَـَئِكَ عَلَىَ هُدًى مّن رّبّهِمْ وَأُوْلَـَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

يولد الإنسان كما ورد في الحديث مسلماً على الفطرة وبعدها تؤثر فيه بيئته، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، وهذه الهداية الفطرية هي الأولى لكل إنسان، فإما أن يعمقها و يوسعها بكل وسائل الهداية التي أتاحها الله له، وإما أن يتراجع ويتهاوى في أحضان الضلالة والعمى، وهذه هي الهداية الثانية والآيات الخمس الأولى من سورة البقرة تتحدث عن الهداية والمهتدين ووسائل الهداية التي لا ريب ولا شك فيها فتبدأ بالإشارة إلى كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل، فيقول الحق وهو أصدق القائلين، إن كتابي دون أدنى شك أو ريبة فيه الهدى، ولكن هذا الهدى فقط للمتقين.

أي أن غير المتقي إذا تأمله وقرأه وجوَّد في تلاوته وحفظه فإنه لا ينتفع به، لأن تربة نفسه غير صالحة لهكذا زراعة، فهو يحتاج إلى قلع الوساوس والشكوك منها قبل أن يلجأ إلى القرآن، ولنضرب لذلك مثلاً طبياً لو أن مريضاً ذهب إلى طبيب لإجراء عملية جراحية ما أو لقلع ضرس ملتهب مثلاً فإن الطبيب يبدأ بمعالجة الالتهاب ثم بعد ذلك يجري العمل

(١) سورة البقرة: آية ١ ـ ٥.

الجراحي اللازم، ومن خلال سياق الآيات الكريمة لنستعرض أهم صفات المؤمنين المهتدين بالهدايتين الفطرية والقرآنية:

أولاً: إنهم يؤمنون بالغيب، والغيب خلاف الشهادة وهو ما لا يقع عليه الحس، الله، آياته، الوحي الآخرة، المعاجز والكرامات وخرق العادة وما شابه والإمام المهدي عجل الله فرجه كما يقول صادق آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: يقيمون الصلاة أي يحققون أهدافها ويرتقون بها لأعلى مراتب الإنسانية، ينتهون عن الفحشاء والمنكر والبغي ويأمرون بالمعروف ويؤدون حقوق الله والناس.

ثالثاً: ينفقون مما رزقهم الله، من مال أو علم وكما قيل زكاة العلم إنفاقه أي تعليمه، وفي الحديث «خيركم من تعلم القرآن وعلمه.»

رابعاً: يؤمنون بما أنزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي ويصدقون بالصادق الأمين ولا يكثرون جداله لأنه لا ينطق عن الهوى وهذا من أصول الدين الخمسة التي هي:

التوحيد والعدل والنبوة والإمامة و المعاد يوم القيامة كما أنهم يؤمنون بما أنزل من قبلك على الأنبياء والمرسلين ويقدسونهم جميعاً ويعتقدون بعصمتهم.

خامساً: يوقنون بالآخرة أي يعتقدون بالثواب والعقاب والمعاد، ولم يقل يؤمنون بل قال يوقنون لأن اليقين أرقى مراتب الإيمان، فالمتيقن من أمرٍ لا يغيب عن ذهنه وتفكيره وحركاته وسكناته ذلك الأمر طرفة عين وبالنتيجة فمن يحملون هذه المواصفات هم المهتدون حقاً وهم المفلحون، وفقنا الله وإياكم للارتقاء إلى هذه المراقي والرتب، وجنبنا السقوط في مهاوي الشك والريبة الذي زرعه وما زال يزرعه المشككون والمتفلسفون الذين وسعوا في هذه الآونة حملتهم على سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام وعلى ولدها الشهيد الحسين عليه السلام، إن ما بوسعنا أن نقوله الآن هو أن نمط التفكير المعصوم والمطهر الذي أذهب الله عنه الرجس يختلف إختلافاً كلياً عن تصوراتنا وتحليلاتنا وقناعاتنا، ومهما بلغنا من مراتب العلم والفلسفة فأننا نقصر عن فهم الدوافع والغايات التي دفعت أهل البيت عليهم السلام لاتخاذ مواقفهم التي

إتخذوها، ويجدر بنا أن نعرف حدودنا ولا نتمادى، وإن كنتم في ريب من أمر أهل البيت عليهم السلام فلا تشوشوا على الناس، لأن من يريد هداية الناس عليه أن يعتمد أسلوب الهداية القرآنية والهداية المحمدية، يزرع الطمأنينة في النفوس بكتاب لا ريب فيه بل فيه اليقين، فيه التوادد بدل التباغض والتحزب، فيه توثيق عرى المحبة لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم تأملوا موقف الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وطريقة جهاده، ولاحظوا طريقة أعدائه في زرع بذور الفتنة والشك والعداوة، أنظروا الشك الذي يختلج في صدر عمر بن سعد عندما وقف ينادي بين الصفوف:

فوالله ما أدري وإني لحائر
أفكر في أمري على خطرين
أأترك ملك الري والري منيتي
أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
حسين بن عمي والحوادث جمة
لعمري ولي في الري قرة عين
يقولون أن الله خالق جنة
ونار وتعذيب وغل يدين
فإن صدقوا فيما يقولون أنني
أتوب إلى الرحمن من سنتين
وإلا فقد فزنا بدنيا عظيمة
وملكٍ عظيم دائم الحجلين

بينما الإمام الحسين المطمئن قلبه والواثق بربه ككل فرد من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوزع الحب والطمأنينة حتى على قتلته يهدي للتي هي أقوم ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى**

رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[1]. وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ينادي إلهي رضا برضاك لا إله سواك، إلهي إن كان هذا يرضيك فخد حتى ترضى.

تــركــت الخـلــق طـــراً في هواكا
وأيــتــمــت الــعــيــال لــكــي أراكا
ولـــو قــطــعــتــني في الحـــب إرباً
لــمــا مـــال الــفــؤاد الـــى سواكا

***

تركت الوادم بحبك والآمال/ الآمال
ودليلي لا نفذ صبره ولا مال/ الملل
يقطعوني لأجل حبك ولا مال/ الميل
لسواك ولأجلك إشمحله المنية

***

(١) سورة الفجر: آيات ٢٧ ـ ٣٠

المباهلة الحسينية

بسم الله الرحمن الرحيم﴿فَمَنْ حَآجّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْم فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ ثُمّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لّعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١].

في مباحث الألفاظ عند الأُصوليين يظهر وبشكل واضح وجلي الفرق بين المعاني اللغوية والاصطلاحية للألفاظ فالصلاة مثلاً معناها اللغوي الدعاء بينما معناها الاصطلاحي هي مجموعة الحركات والسور التي تتخلل هذا الواجب اليومي الذي تؤديه كل يوم ٣ مرات أو أكثر، وكذلك هو الحال بالنسبة لكلمة المباهلة فمعناها الاصطلاحي هو الملاعنة بينما تفريعها اللغوي بهل يبهل ابتهالاً دعا يدعو دعاءً وقيل البُهلة تعني الترك، ويقال بَهُلتُ الناقة إذا تركتها بلا صرار والصرار خيط يشد خلفها لمنع ولدها من الارتضاع وقد أجمع أهل التاريخ والتفسير على أن نصارى نجران وفدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحاجونه في المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ومنهم من يقول إن المسيح هو الله ومن يقول أنه إبن الله ومن يقول بالتثليث، بينما إسلامنا وقرآننا يقول بلسان عيسى عليه السلام **﴿قَالَ إِنّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾**[٢]. يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويحدث وينكح، أي أنه مخلوق كسائر البشر ويتقدم عليهم بالنبوة وحسب، فقالوا يا محمد أنت تقول في عيسى أنه عبد الله ورسوله فمن

---

(١) سورة آل عمران: آية ٦١.

(٢) سورة مريم: آية ٣٠.

هو أبوه، فهبط الوحي عليه أي جاءه العلم أن سلهم في آدم عليه السلام، فقال لهم ما تقولون في آدم عليه السلام أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب ويحدث؟ فقالوا نعم، فقال لهم فمن أبوه فبهتوا فأنزل الله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾(١).

مع كل هذا لم يرضخوا لقوة هذا الدليل القاطع فقدموا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتقدمهم الأهتم والسيد والعاقب يطلبون الحجاج فقال لهم بأمر الله أن هلموا نتباهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين فوافقوا وتواعدوا وقالوا بعد التشاور إن خرج إلينا بقومه نباهله وإن خرج بأهل بيته لا نباهله لأنه حقاً نبي ودعوته مستجابة، فلما أصبحوا وخرجوا للمباهلة وإذا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج إليهم معتنقاً الحسين عليه السلام وماسكاً بيد الحسن عليه السلام وعليٌ وفاطمة عليها السلام خلفه والنور يشع من وجوههم إلى عنان السماء، وهو يقول إذا أنا دعوت فأمنوا، فقال العاقب وهو الأسقف الأكبر: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى نصراني على وجه الأرض إلى يوم القيامة، فأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبذلوا له الجزية ألفي حلة حمراء وثلاثين درعاً حديدياً.

عندها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير وإضطرم عليهم الوادي ناراً ولأستأصل الله نجران وأهلها. هذا ما كان من أمر المباهلة المحمدية، وقد حدثنا التاريخ عن مباهلة أخرى يوم عاشوراء بين معسكر الحق متمثلاً بالإمام الحسين عليه السلام ومعسكر الباطل والجهالة متمثلاً بجيش يزيد بن معاوية بقيادة عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن عليهم لعائن الله إلى يوم الدين.

خرج إلى القوم يحاججهم ويلقي عليهم الحجة تلو الحجة حتى أنه خطب فيهم يوم عاشوراء على التحقيق أكثر من خمس خطابات وخرج لهم تارة على راحلته مُعتماً

(١) سورة آل عمران: آية ٥٩.

بعمامة رسـول الله ﷺ مرتدياً قباءه شـاهراً سـيفه، وتارة على فرس رسول الله ﷺ ناشراً القرآن على رأسـه وأعظم هذه المشـاهد لوعـة وحرقة بعـد أن فقد الأصحاب والأحباب، خروجـه إلى القوم وهو يحمل تحـت عباءته طفله الرضيـع عبد الله الذي لم يرتضع منذ ثـلاث ليالي وقد إنكمـش جلده من شـدة العطش، توسـط الصفوف ورفع الرضيع حتى رآه الجيش وقال أيها الناس إن كان ذنب للكبار فما ذنب الصغار شـاهدوه كيف قد إنكمش جلده من شـدة العطش إسـقوه شربة ماء فاختلف القوم بينهم قال قوم إسـقوه وقال قـوم دعوه وقال إبن سـعد لحرمله يا حرملـة إقطع نزاع القوم، وضع الحسين عليه السلام طفله الرضيع في حجره يقبله ولسان حاله يقول:

صـاح يا لله لـلأقـوام للخطب الفظيع

نبئوني أأنا المذنب أم هذا الرضيع

عـايـنـوه فعليه شبه الهــادي الشفيع

لا يكن شافعكم خصماً لكم في النشأتين

***

عجلوا نحوي بماء أسقه هـذا الغلام

فحشاه من أوامٍ في إضطرام وكلام

فاكتفى القوم عن القول بتكليم السهام

وإذا بالطفل قد خر صريعاً لليدين

تـلـگـه حـسـيـن دم الـطـفـل بيده

إشـحـال اليحتل إبحضنه أوليده

سـال وتــرس چـفـه مــن وريده

ورمـه بيـه لـلسمه ولـلـگـاع ماخر

التضرع

﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾. صدق الله العلي العظيم. ٤٣/الأنعام.

الباسـاء هي الفقر والضراء هي المرض وقد ابتليت الأمم السـالفة بها مراراً وتكراراً بعد أن بطروا وكفروا بأنعم الله وكذبوا الأنبياء.

وكان الشيطان الرجيم وما زال هو المحرض لهذه الأمم يزين لهم أعمالهم ويريهم الموبقات بثوب التمدن والحضارة. فالخلاعة موضة والفجور فن والكفر منطق والبخل اقتصاد والنفاق سياسة والكذب إعلام وأكل الحرام شطارة وهلم جرا!!

أكلوا الحرام وظلموا أنفسهم والناس فقست القلوب وامتلأت جيوبٌ وفرغت جيوب. يقول أمراء النظام والكلام وحجج الله على الأنام (ما وجدت نعمـة موفورة إلا وبجنبها حقٌ مضيع) أو (ما حُـرِم فقير إلا بما متع بـه غني) أو لا تجد قـصراً معموراً إلا على حسـاب كوخ مهجور.

مع أن هذه البأسـاء والضراء أصابت هذه الأمم باسـتحقاق وكان العقـاب الرباني الذي واجهوه ليس إلاّ ناقوس خطر وجرس إنذار ينادي وبصوت عالي مع كل ما عملتموه والذي تسـتحقون عليه أكثر من هـذا العقاب فـأن أبواب الرحمـة الإلهية مـا زالت كعادتهـا مفتوحة للتائبين والمتضرعين توجهوا إلى الله تجدوه تواباً غفوراً رحيماً.

أبواب جهنم سـبعة وأبواب الجنة ثمانية، والدخول إلى جهنم باهض الثمن والدخول إلى الجنة ببلاش ومع ذلك يبدو أن زبائن النار أكثر بكثير من عشاق الجنة فما هو السبب؟

الآية الكريمة تكشف النقاب عن سببين رئيسيين لوصول الناس لهذه الحال

الأول هو قسوة القلب.

والثاني هو تزيين الشيطان الموبقات في أعينهم.

وهذه النتيجة حتمية حيث لا يعقل أن يقف قاسي القلب بين يدي ربه باكياً متوسلاً ومتضرعاً، كما لا يمكن أن نتصور من يسمي الخمور مشروبات روحية والمجون حرية والخلاعة موضة والفجور فن والشك بالغيب والكرامات منطقاً والتفاهات أدب، يقف في المحراب أو يطوف بالكعبة أو يتوجه إلى الله.

اللهم إلاّ عندما يقع وحيث لا تنفع الندامة.

إذاً ماذا يفعل الرحمن الرحيم مع الجاحدين الذين لا يتوجهون إليه، ليس هناك من وسيلة لتصحيح توجهات الناس إلاّ الابتلاء والامتحان فالبأساء والضراء ليست سوى لفت نظر لنا المطلوب فيها أن نركز بوصلة الاتجاه نحو من بيده كل شيء.

إنه يقول وبلسان فصيح لا يحق لكم أن تتوجهوا لغيري ولا تعتمدوا إلاّ علي، أنا الواحد الأحد أنا الفرد الصمد أنا الرزاق أنا الغني أنا المحيي أنا المميت أنا النافع أنا الضار وأنا كل على شيء قدير فأين تذهبون؟؟؟

ولقد وعى الأنبياء والأوصياء والأولياء هذه الحقيقة وبادروا إلى التضرع والتوسل دائماً وأبداً بالواحد القهار وكانوا يشكرون الله جل وعلا شكراً كثيراً إذا ما ابتلاهم وامتحنهم، وكانوا يعتبرون ذلك من قبيل شدة حب الله لهم وشديد عنايته بهم على العكس من مشاعرنا عند الابتلاء.

وفي سيرتهم العاطرة ألف شاهد وشاهد على ما نقول ولا أبالغ لو قلت بأنهم لم يلتفتوا إلى سواه طرفة عين أبداً فقد شغفهم حبُّ الله وملأَ وجودهم من الرأس حتى القدم، بل حتى بعض الأُمم التي أحدق بها البلاء فتضرعت إلى الله جل وعلا وكما يقال في الوقت الضائع كما ورد في القرآن الكريم في قصة نبي الله يونس عليه السلام وأهل نينوى الذين تضرَّعوا إلى الله

في آخر لحظة ورفع الله عنهم العذاب، لولا أن طوّقهم العذاب لما توجهوا بالتضرع والتوسل بالله والصدِّيق يوسف عليه السلام ينادي بأعلى صوته ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

وإمامنا عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام يضرب بالسيف على هامته وهو في المحراب ساجد فيهتف (فزت ورب الكعبة)، أما موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام فيشكر الله على السجن الذي يعتبره تفرغ للعبادة.

ومن أعجب ما قرأت في موضوع التضرع حديثاً قدسياً يقول: (لو أن عبدي المؤمن آوى إلى جبلٍ يعبدني فيه لأرسلت له من يؤذيه).

لماذا؟ لكي يزداد تعلقاً بالله ويقطع الأمل مما في أيدي الناس ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً.

الأنبياء والأوصياء رغم عدم احتياجهم للامتحان والبأساء والضراء لكي يتوجهوا إلى الله فإن الله جلَّ وعلا كان يبتليهم بأعظم الابتلاءات والمحن

فكيف نغفلت نحن من هذه الاختبارات التي يعبر عنها الحق بالفتن فيقول ﴿الم ، أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

خلاصة البحث أن الهدف من الابتلاء هو توثيق ارتباط العبد بمولاه فإن أقبل على الله أقبل عليه وأثابه وإن ولى عنه صرف الحقُّ وجهه عنه وعاقبه أشد العقاب، الله يحبنا ويحب أن نحبه ونقبل عليه، ولا يقبل أن يرانا على غير بابه.

تكالبت النوائب والمصائب على أبي عبد الله الحسين عليه السلام وهذه هي آخر ليلة له في الحياة الدنيا، عشرات الآلاف يطوّقونه يريدون قتله بل ومنازلته الساعة، ليل بهيم وخيامٌ تضجُّ بالأنين أطفالٌ جياعٌ وعطاشى والخوف من المستقبل المجهول والدار دار غربة، أتدرون ماذا صنع الإمام الحسين عليه السلام حين سمع قعقعة السلاح ووقع حوافر الخيل وصراخ الأطفال والنساء نادى أخي أبا الفضل، فأجابه على الفور نعم سيدي، قال له أمضي إلى هؤلاء القوم واستمهلهم سواد هذه الليلة لكي نصلي لربنا ونقرأ القرآن.

لو كُنا مع الحسين عليه السلام وفي الظرف العصيب الذي يمر به أَكُنَّا نتوجه إلى حيث توجه؟ لقد كان لمولانا الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره هذه الليلة دوي كدويِّ النحل من شدة العبادة هذا يصلي وذاك يقرأ القرآن.

هذه الأُمُّ تودع ابنها وتلك توصي عزيزها، خرجت زينب عليها السلام من خيمتها لكي تستطلع الخبر دخلت على خامس أهل الكساء تقول أخي هل استخبرت نواياهم قال أُخيَّه زينب لقد خبرتهم وبلوتهم فما وجدت فيهم إلاّ الأشوس والأقعس يأنسون بالموت كما يأنس الرضيع بمحالب أمه، أقول سيدي أبا عبد الله وهل وجد رضيعك ماءً أو لبناً في محالب أُمِّه هذه الليلة، كأني به يقول لقد جائتني به أُختي الحوراء وقد انكمش جلده على عضمه وغارت عيناه من شدَّة العطش، أخذت رضيعي ومضيت إلى القوم أنادي أيُّها الناس أنا أقاتلكم وتقاتلوني فإن كان ذنْب للكبار فما ذنبُ الصغار، إن هذا الطفل لم يرتضع منذ ثلاث خذوه واسقوه شربة ماء كرامة لجدِّي محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

ودعا الأقوام يالله ما الخطب الفظيع

نبئوني أأنا المذنب أم هذا الرضيع

لا خطوة فعليه شبهُ الهادي الشفيع

لا يكن شافعكم خصماً لكم في النشأتين

سرعان ما عاد به الى الخيام، استقبلته الحوراء عليها السلام قالت له: أخي هل سقيت الرضيع؟

قال: أخيه لقد ذبحوه من الوريد إلى الوريد ومن الأذن إلى الأذن، ضرخت أمه وا ولداه وا ذبيحاه:

يبني انگطع منك نصيبي

ردتك ذخر لأيام شيبي

محروم من شمٍّ العذيبي

أهون من فصيل

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿قَالَ هَـذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِـرْبٌ وَلَكُمْ شِـرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَلا تَمَسُّـوهَا بِسُـوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾(١)

قصص الأنبيـاء في القرآن الكريم من أحسـن القصـص ومعاناتهم مـع أقوامهم أصعب معاناة ولعل القاسـم المشـترك بين الخمس والعشريـن من الأنبيـاء الذين قصَّ اللَّــه علينا في القرآن الكريم قصصهم هـو أنهم جميعاً كانوا يدعـون الناس إلى عبادة اللّــه وحده وبالحكمة والموعظة الحسـنة والجميل في الأمـر أن منطق الحجـاج العلمي والمنطقـي لم تقتنع بـه أُمَّةٌ من الأمـم بل لجـأ الكثـير منهـم إلى طلـب الخـوارق والمسـتحيلات والمعاجز مـن الأنبيـاء حتى يؤمنوا باللّـه، ويسـتجيب الأنبياء لطلباتهم المعجزة وترى الأمـم بالبصر والبصيرة الحق الجلي ويصرون على الجحود والإنكار وفي كل مرة تجني على حالها براقش.

الآيات الآنفـات الذكـر تحكي جانبـاً من قصة نبـي اللّــه صالح عليه السلام مع قومـه ثمود الذين نتوقع أن يكونوا من سكان جزيرة العرب وذلك من خلال معجزة الناقة وأسماء أبطال القصة التي وبحسـب المؤرخـين والمفسرين عربية تبدأ القصة حين صدح شـابٌ في السادسـة عشر من العمر يقال له صالح عليه السلام بالدعوة إلى عبادة اللّـه الواحد القهار ونبذ سـبعين صنماً إتخذتّهم ثمودُ أرباباً من دون اللّـه واستمرت الدعوة أكثر من مائة سنة واستنفذ صالح عليه السلام كل وسـائله وبراهينه في الدعـوة إلى اللّـه ووصلت مفاوضاتـه مع ثمود إلى الطريق المسـدود كالمفاوضات العربية الاسرائيلية حول السلام اليوم.

---

(١) سورة الشعراء: ١٥٥ــ١٥٦.

وقف صالح عليه السلام بين القوم قائلاً يا قوم أعرض عليكم أمرين:

١. إما أن أسأل آلهتكم فان أجابت خرجت من بلادكم وعشيرتكم، يعني لكم دينكم ولي ديني.

٢. واما أن تسألون ربي فإن أجاب آمنتم به رَّباً وبي نبيَّاً.

أول الأمر وافقوا على أن يسألوا أصنامهم فخرجوا بها إلى عيدهم الأكبر فنحروا وطعموا وتوسلوا وحثوا التراب على رؤوسهم وقالوا يا صالح سلها فسألها فلم تجبه.

لقد أسمعت لو ناديت حيّاً

ولكن لاحياة لمن تنادي

كرَّروا ذلك ثلاثة أيام دون فائدة وحين يئسوا من أصنامهم توجهوا إلى صالح عليه السلام وطلبوا منه طلباً خارقاً كطلبات بعض الأهل الذين يتخذون من تزويج بناتهم تجارة أرباحها لخلف الخلف ويحسبون حساب ولد الولد قالوا يا صالح نريد أن تخرج لنا من هذه الصخرة التي بين هذين الجبلين ناقة ضخمة جداً وبشرط أن تكون عشراء «حامل» وجوفاء ووبراء يعني «فول أوبشن» فصَّلى لربه ركعات ورفع يديه بالدعاء وإذا بالصخرة تمخض كالمرأة وتخرج ناقة عملاقة تملأ ما بين الجبلين وتضع أمام أعينهم سقباً «فصيلاً «يشبهها وعلى الفور آمن المستضعفون وتجبَّر المستكبرون «مثل العادة «فقال لهم ما حكته الآيات هذه الناقة نعمة ربانية إحفظوها ستشرب ماء العين التي تستقون منها يوماً وتعطيكم بدله في اليوم الثاني كل ما تحتاجون من الحليب وجرّبوا الأمر وفعلاً باليوم الأول شربت كل ماءِ النبع وفي اليوم الثاني فخجت وجاء الناس واحتلبوها حتى ملئوا بيوتهم بالحليب وصاروا يشربونه كلما عطشوا.

هل تركوا الأمور تسير على ما يرام لا واللَّه وهل ترك أصحاب السقيفة الأمور لتجري كما يريد اللَّه ورسوله وهل تركت الأمة آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم الرحمة الإلهية المهداة الينا وشانهم.

على كل قال لثمود إيَّاكم أن تمسوها بسوء فينزل عليكم العذاب فأبت النفوس المريضة

إلَّا تحدّياً لله ولرسوله فتآمروا وإتفقوا على عقرها وكما يقول البعض «ليركب صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ أعلى جياده»

وفي التعرف على المتآمرين نكت لطيفة أحببت أن نقف عليها وهي:

١. لدى كشف هوياتهم تبين لنا أن المرأة بما هي مرأة قد لعبت دور المحّرض الأساس في قتل الناقة وقد عرفنا منهن «صدوف» التي أغرت مصدع بن مهرج «وعنيزة» التي أغرت قدار بن سالف بأن تزوجه أجمل بناتها لو عقر الناقة.

٢. بعد التدقيق والتحقيق يتبين أن الزنا الذي هو أعظم الجرائم التي تجر الويلات على المجتمعات الانسانية ولقد كان له مدخليه في قرار المترفين التسعة أصحاب القرار.

٣. مع كل ما جرى لم يغلق نبي اللّـه صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ على قوم ثمود أبواب الرجوع إلى الحق والتوبة فقال لهم إن تركتم فصيلها لعل اللّـه يتوب عليكم فازدادوا طغياناً وقتلوه وقيل انه هرب منهم وضاع في الجبال.

٤. توَّعدهم صالح بالعذاب الرباني الذي سيكون على ثلاث مراحل في اليوم الثالث إصفرت وجوه القوم وفي اليوم الثاني إحمرَّت وفي الثالث إسَّودت وزعق جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين موتى ثم أرسل اللّـه ناراً أحرقتهم.

٥. بالرغم من أن مرتكبي جريمة تحدّي الارادة الالهية كانوا لا يتجاوزون عدد الأصابع إلَّا أن العقاب جاء شاملاً وعاماً وذلك لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس ويقول الأمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما يجمعُ الناس السخط والرضا وقد رضيت الأمة بفعل عاقر الناقة فتحملت بأجمعها العقاب الرباني ومن هنا فعلينا أن لا ندع الفراعنة تتفرعن أيها الناس آمروا بالمعروف وإنهوا عن المنكر وإعملوا على تنفيذ وصايا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حيث أوصانا قائلاً: من شهد منكم منكراً فليغيره بيده أو بلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان. ولقد خرج الامام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وطلباً للإصلاح في أمة جَدِّه مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. قتلوا أولاده وأصحابه وإخوانه وهو لا يزال ومن

أرض المعركة يذكرّهم بحسبه ونسبه وخطورة الإقدام على قتله ويحذرّهم من العواقب الوخيمة التي تنتظرهم وجيش يزيد وإبن زياد أشد طغياناً من ثمود حتى خرج لهم بطفله الرضيع يطلب له شربة ماء وهو ينادي يا قوم إن كان ذنب للكبار فما ذنب الصغار خذوه وإسقوه شربة من الماء فلقد تفتت كبده من العطش إختلف العسكر قال البعض إسقوه والآخر إمنعوه نادى ابن سعد حرملة يا حرملة إقطع نزاع القوم فعيّن اللعين سهماً في كبد القوس وأخذ يتحين الفرصة حتى بانت له رقبة الطفل فرمى بسهمه نحو الطفل فذبحه من الوريد إلى الوريد أخرج الطفل يديه من القماط واعتنق أباه وتبسّم في وجهه يقول العلامة السيد علي الهاشمي لعل إبتسامته كانت للقاء سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء في الجنة نعم ثم مدَّ الحسين عليه السلام يده تحت نحر الرضيع حتى إمتلأت من دمه ثم رمى بالدم نحو السماء قائلاً إلهي هون ما نزل بي أنه في عينك فإن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى اللّهم لا يكون هذا أهون من فصيل ناقة صالح وهو الموضع الوحيد الذي تذكر فيه الحسين عليه السلام نبي اللّه صالح عليه السلام

وفي حضنه الطفل الرضيع مرفرفاً
يعالج سهماً في وريديه مرتمي
وقد شعب السهم المثلث قلبه
وزاد على آلامه أنه ظمي
ويذبحه شمر ويرفع رأسه
سنان ويهدى من دعي لمجرم
وتسبى حريم الله وهي ثوا كل
تحن الى خدر وتبكي على حمي

***

تـلـگـه حـسـيـن دم الـطـفـل بيده

شـحـال الـيـجـتـل بـحـضـنـه وليده

سـال وتـــرس چــفَّ مــن وريدهْ

ورمــى بـيـه للسمه وللـگـاع ماخرَّ

***

اليوم العاشر

من الغالب ومن المغلوب؟

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(1)

نعاني منذ مدة غير قصيرة من الفهم الخاطئ لمعنى الغلبة عند بعض الناس خاصة عندما يدور الحديث عن سيرة الانبياء والرسل وحياة الأوصياء التي تبدو حسب الظاهر مليئة بالمتاعب والصعاب والتقتيل والتشريد بأبشع صورها وأخفّ المصاعب عليهم وهي مالا يحتمل ولا يطاق وهو التكذيب الذي عانى منه كل الأنبياء والمرسلين، وهي فاتحة المصائب عليهم. يكذب فيطرد من وطنه، يكذب فيضرب، يكذب فيذبح، يكذب فينشر بالمنشار، يكذب فيلقى في النار، يكذب فيحاولون صلبه وهكذا دواليك. ينابيع الحق والصدق تكذَّب ويتظاهر الجبابرة الكذّابون بالانتصار والغلبة ويدفعهم غرورهم وطغيانهم إلى إرغام الناس على عبادتهم من دون اللّه ويدّعون أنهم على الحق ومن خرج عن طاعتهم وأطاع اللّه وحده على الباطل!! عجيب صلف هؤلاء والأعجب منه من لم يع إلى الان من الغالب ومن المغلوب؟؟ لنعيد قراءة الآية على أسماعهم لعلهم يهتدون.

كتبَ اللّه وهذا يعني إن القضاء منه تعالى لا من غيره كما قال صاحب الميزان هل من رادٍّ لقضاء اللّه؟

وهل هنالك احتمال ولو واحد بالمليار أن يتحدى هذه الإرادة أحـُد؟ لا أحد يقول بغير ما قال اللّه إلَّا من كفر، اللّه هو الواحد القهار لارادَّ لقضاءِه ولا خلف لقوله ولا تبديل لكلماته فهو القوي العزيز كما تصرّح الآية.

إذاً فكيف يكون فرعون أو نمرود أو قتلة الأنبياء وأولاد الأنبياء هم الغالبون في نظر

(1) سورة المجادلة :21.

البعض، لعلهم حسبوها حساباً مادّياً؟ القاتل منتصرٌ بنظرهم والمقتول هو المغلوب، القاتل يتربع على تخت السلطنة منعماً والنبي والوصي تقطع أوصاله إرباً إرباً وتجول على صدره الخيول ويُدار برأسه ونساءه السبايا البلدان وينبذ بالعراء ثلاثاً بلا غسل ولاكفن، فمن الغالب ومن المغلوب؟

يقول السيد الطباطبائي رحمه اللّه في تفسيره وظاهرُ إطلاق الغلبة شمولها للغلبة من ثلاثة حيثيات وهي:

١. من حيث الحجة.

٢. من حيث التأييد الغيبي.

٣. من حيث طبيعة الإيمان باللّه ورسوله.

لنتأمل في هذه الحيثيات تأملاً دقيقاً ونلاحظ المصاديق المؤكدة لذلك ونضع أيدينا على حقيقة هذا الفوز المضمون ضمانة إلهية غير قابلة للنقض.

أما من حيث الحُجَّة فمما لا شك فيه ولا ريب ان حجة الحق أقوى من زيف الباطل وكل إنسان مفطور على صلاحية إدراك الحق والخضوع له فنحن أبناء الدليل أينما مال نميل وقد ورد في الحديث ، «**المرء يولدُ مسلماً على الفطرة وأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه**» فالدين الحق هو فطرة اللّه التي فطر الناس عليها ودعاةُ الحق أحبُّ إلى النفوس الصافية، قال الحسين عليه السلام «**أنا قتيل العبرة ما ذكرني مؤمن أو مؤمنة إلّا اعتبر وبكى**» روحي فداك سيدِّي.

وأما الغلبة من حيث التاييد الغيبي والقضاء للحق على الباطل فلاحظ العذاب الذي وقع على الأمم التي آذت أنبياءَها من خسف وعصف وطوفان، وفي الجانب الاخر لاحظ ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾[1] وأمثالها وهي تتجاوز الحصر والعدَّ.

---

(١) سورة الأنبياء : ٦٩.

هجم مشرك على رسـول اللّـه ﷺ وهو نائم خارج المدينة تحت ظل نخلة وجلس على صدره ووضع السـيف على رقبته وقال: من الذي يخلصك الان مني يا مُحمَّد؟؟ فصاح رسول اللّـه ﷺ وبكل ثقة اللّـه. فانفلت حجر كان تحت رجل المشرك وإنقلبت الدفة وجثم رسول اللّـه ﷺ على صدر المشرك ووضع السيف على نحـره وقال: أنت الان مـن الذي يخلصك مني؟؟ فصاح المشرك حلمـك يا مُحمَّد فأطلقه رسـولُ الرحمة والإنسـانية بعـد أن أمكنه اللّـه منه وما أروع العفو عند المقدرة وأما الغلبـة من حيث طبيعة الإيمان باللّـه ورسـوله فان إيمان المؤمن يدعوه إلى الدفاع والـذب عن الحق ومقاومة الباطـل مطلقاً وهو يرى إنـه إن قُتِل فهو الفائز وإن قَتَل هو الفائز، والأنبياء والأئمة مؤمنون بالحـق يذودون عنه بكل ما يقدرون عليه لثقتهم باللّـه وتأييده وما أروع ما تمثل به الإمام الحسين عليه السلام حين قال:

فـــإن نهـــزم فـــهـــزّامـــون قدماً
وإن نـــغـــلـــب فـــغـــيـــر مُغلبينا
ومـــا إن طـــبّـــنـــا جـــبـــنٌ ولكن
مـــنـــايـــانـــا ودولـــــــة آخرينا
إذا ماالموت رفَّـــع عـــن أُناس
كلاكله أنـــــاخ بآخرينا
فـــأفـــنـــى ذلـــكـــم سروات قومي
كـــمـــا أفـــنـــى الـــقـــرون الأولينا
فـــلـــو خـــلـــدُ المـــلـــوك إذاً خلدنا
وإن بـــقـــي الـــكـــرام إذا بقينا
فـــقـــل لـــلـــشـــامـــتـــين بـــنـــا أفيقوا
ســـيـــلـــقـــى الـــشـــامـــتـــون كـــمـــا لقينا

وبناءً عـلى ما تقدم فـان معاناة الأنبيـاء عليهم السلام ماهي إلّا خطـوة واثقة ومؤيـده في طريق

النصر

والخلود لا يعيش بهجتها وروعتها

إلاّ همُ، وهكذا كان أوصياؤهم

الذين أكملوا مسيرة العطاء والبناء.

السجن أحبُّ اليهم من حرية خرقاء والتشرد أحبُّ اليهم من مواطنة العبيد والقتل في سبيل الحق لديهم ألذ من نعيم يبلى ودنيا زائلة وقد تقدَّم في الليالي التي مرَّت عليكم نص عبارة القاسم بن الحسن لعمه الحسين عليه السلام حين سأله قائلاً: بني قاسم كيف تجد القتل أو الموت عندك؟ فأجاب دون تردد: في نصرتك أحلى من العسل.

وعليٌّ الأكبر تمثل بقول أمير المؤمنين عليه السلام حين قال: لا نبالي وقعنا على الموت أم وقع الموت علينا. أما صاحب المصيبة الراتبة والدمعة الساكبة فإنه كان يهزج في حملته على الأعداء قائلاً تارة:

أنا الحسين بن علي
آليت أن لا أنثني
أحمي عيالاتِ أبي
امضي على دين النبي

وأُخرى:

القتل أولى من ركوب العار
والعارُ أولى من دخول النار

وهذا هو شعور من يمشى حثيثاً في طريق الفوز والنصر الأكيد، وكما يقال فان لكل عملة وجهان، نحن نرى الوجه الذي تسعه معارفنا ويناسب طموحنا وتوجهاتنا، والأنبياء والأئمة ينظرون إلى الوجه الذي يتناسب مع مشاريعهم الإلهية وطموحاتهم اللاهوتية.

وبذلك فانهم يحتملون في سبيل تحقيق غاياتهم وأهدافهم المنشودة ما لا يحتمل ولا يطاق،

لقد إصطحب الإمام الحسين عليه السلام عياله معه إلى كربلاء وهو واثق من إحتمالهم ووعيهم للدور الذي يجب عليهم وحين إعترض ابن عباس قال له: شاء اللّـه أن يراهن سبايا، فالمشيئة ربانية والمشروع مضمون النجاح واللّـه هو الضامن.

ومن هنا استمدت سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قوة إحتمالها وصبرها الذي حفظت به دماء الشهداء و عليهم السلام سقطت به القناع عن بني أمية وكشفت للأمة والأجيال إلى يوم القيامة عظمة الجريمة التي إرتكبتها بحق الاسلام والمسلمين بعد قتل الحُماة بتلك الصورة المأساوية، وكان مركز ثقل المحن والآلام الإمام السجاد والعقلية زينب، قاد المسيرة الظافرة بعد يوم العاشر من كربلاء باتجاه الكوفة ومنها إلى الشام.

لهفي عليهم وهم في مثل هذه الساعات على عجف النياق وقد أخذت الحبال والسلاسل مأخذها من عنق الإمام وأخواته وعماته وتلوَّت سياط زجر وشمرٍ على متون عقائل الرسالة فتوجهن بالشكوى والنداء لنزيل الغريّ هاتفات:

قم ياعلي فما هذا القعود وما
عهدي تغضُّ على الأقذاء أجفانا
وإنهض لعلك من أسرٍ أضرَّبنا
تفكنا وتولّى دفن قتلانا

حيدر يبونه ماتجينه وإتشوفنه إشلون انسبينه
والناس تتفرج علينا وإمن العصي نشگف بيدينه

***

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّـهِ فَعَلَى اللَّـهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ﴾[1]

النبـي المعمر شـيخ الأنبياء نوحٌ عليه السلام اسـمه عبـد الغفار ولـد في العام الـذي مات فيه آدم عليه السلام وعاش «٢٥٠٠» سـنة منهـا «٨٥٠» قبل أن يبعـث و» ٩٥٠» يبلغ فيها رسـالات ربه و «٢٠٠» في عمل السـفينة و» ٥٠٠» بعد إنتهاء الطوفان وقيل أنه سمّيَ نوح لكثرة نوحه وبكائه.

كان يقف بـين الناس يدعوهـم إلى الايـمان باللّـه فيسـخروا منه ويضربوه حتـى الإدماء والإغماء ويحملوه فيلقوه على باب داره، استنفذ كل طرق الدعوة وأساليبها فما آمن به إلا أقل من مائـة رجل وإمراة ولمـا أخبره اللّـه جـل وعلا بأنه لا أمل لـه بهداية المزيد منهـم وإن اللّـه ناصر أنبياءه وأوليـاءه خرج لهم متحدّيا ومؤكـداً لهم ان رعاية اللّـه ولطفـه لا تفارق المؤمنين بـه **﴿كَتَبَ اللَّـهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾** وقـال لهم ما ذكرتـه الآية الكريمة التي طلـب اللّـه فيها من نبينا محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم فيما وقـع فيه قوم نوح عليه السلام فتكـون النتيجة إسـتحقاق العقاب الرباني الآية الكريمة خطاب موّجه لرسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم يطلب منه ذكر هذه المواقف الشـجاعة لنوح النبي عليه السلام لأمتـه **﴿واتلُ عليهم﴾** صف لقومـك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليعرفوا من جملة ما سـنذكر الحقائق التالية:

(١) سورة يونس: الآية ٧١.

١. إن الهدف الرئيسي الذي سيسعى الأنبياء لتحقيقه دون هوادة هو أنسنة الإنسان وتخليصه من أغلال العبودية للأصنام وإعادة حريته له بالعودة إلى اللّـه، اللّـه الذي يحبُّه ويريد له الخير وقد خلق كل شيء لاجله.

٢. إن نَفَس الأنبياء طويل وصدرهم رحب ولا يتعبون ولا يملون ولا يكلون من تذكير الناس بآيات اللّـه ولا تأخذهم في اللّـه لومة لائم وإن ضربوا واستضعفوا وشردوا بل حتى وإن قتلوا لأنهم يعرفون مسؤولياتهم كما يعرفون بداية الطريق ومنتهاه.

٣. نلاحظ ثقة نوح عليه السلام العالية بربه وبنفسه ولغة التحدي للجهل والجاهلين فنراه يقول إن كان بقائي بينكم هذه المدة الطويلة قد أرهقكم وعزَّ عليكم إعتصامي باللّـه وتذكيري إياكم بآياته فاحسموا أمركم وعجلوا عليَّ وكما نقول بالعامية «أعلى ما في خيلكم إركبوه»

.

٤. يدعو حتى أعداءه إلى التشاور فيما بينهم لإعداد الخطة التي يجدونها مناسبة للقضاء عليه «أجمعوا أمركم وشركاءكم» كما لا يتمنى أن يشغل بالهم ويكون أمره عليهم غمة وهمّاً يقلقهم بالليل والنهار، يعني إن كان تتصوروا راح تقدروا على التخلص من أزمة نوح ودعواه فلا تتأخروا.

لقد استحوذ الشيطان على قوم نوح عليه السلام كما استحوذ على بني أمية وجيشهم الزاحف لإبادة آل رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم المبعوث رحمة للعالمين لم يلتفتوا إلى لغة التهديد في كلمات اللّـه على لسان نبيه نوح عليه السلام «وأصموا آذانهم وإستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا إستكباراً» وبعد أن صبر نوحٌ عليه السلام عليهم (٩٥٠) عاماً واحتمل منهم ما لا يحتمل نزل العذاب وفار التنور وصار الطوفان وهلك الجميع إلّا سكان السفينة الذين آمنوا باللّـه وصدَّقوا نبيَّهُ نوح عليه السلام.

وما أود أن ألفت النظر إليه من خلال البحث في مضامين الآية الكريمة وسحب نتائجها على مجتمعنا المعاصر هو اننا من فوق اعواد المنابر هذه كنا وما زلنا نحذّر ونبشر وننذر إلا أننا

لا نجد الصدى المطلوب وكما قيل «أنت بوادٍ والعذول بوادي» أو كما قال الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حيَّاً

ولكن لا حياة لمن تنادي

نلاحظ التباطؤ والتكاسل والتثاقل عند الطاعة والتهافت والتسابق والعطاء الغير محدود عند المعاصي، البناء يستغرق الكثير من الوقت والجهد والمال، والهدم بأسرع من لمح البصر، من أين تأتي بصبر نوح عليه السلام وعمره؟ الصلاة مجاناً والصوم إقتصاد وتوفير وحضور المجلس الحسيني كما تقولون «**أجر ونجر**» ثواب وإكتساب معرفة وكاسة شاي إذا لم يكن هريسة والحضور قليل، ومجالس الشيطان ونواديه تكتظ بالحضور السخي والمتفاعل. رأيت مرَّة صديقاً لي لم أره منذ مدة فجلس يحدثني عن إهتماماته ومشاريعه وأخرج فيلم فيديو وأدخله الجهاز ببالغ الإهتمام، قلت له ماذا يحتوي قال حفلة رأس السنة التي حضرها للمطرب الفلاني وإذا بصورة فتاة تتعلق بالمطرب تقبله وتبكي، فتذكرت اللحظة الأولى التي دخلت فيها الكعبة المشرفة ألثم أعتابها وجدرانها والدموع تفيض من عيني وقلت في نفسي لعله كعبتها وصوته قبلتها، خرجت من دار صاحبي وأنا أدعوله بهذا الدعاء إن راق لكم قولوا آمين، قلت اللَّهم زد هذه الأُمَّة هبلاً على هبلها، وليس هناك من فرق كبير بين الهبل وهبل وبين جاهلية القرن العشرين والجاهلية الأولى.

أما مالفت إنتباهي في واقعة كربلاء هو تلك الفجوة الكبيرة بين خط الحسين صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه وخط جنود السلطان فمعسكر الحسين عليه السلام يعيش القرآن شكلاً ومضموناً فما من حركة يتحركونها إلَّا وتجد القرآن قبلها وبعدها وفيها على عكس معسكر ابن زياد الذين لا يعون من القرآن شيئاً ولو قال قائل بأنهم مسلمون نقول فلم لم يذعنوا لمنطق القرآن الذي دعاهم الحسين عليه السلام إليه مراراً وتكراراً ولإثبات ذلك أسوق المثال التالي ذكر الرواة إن الامام الحسين عليه السلام في طريقه إلى العراق أخذته سنة نوم فأفاق وهو يسترجع أي يقول إنا للَّه وإنا إليه راجعون وكان بقربه ولده الأكبر قال له: أبه ممَّ إسترجاعك

فـداؤك نفسي؟ لأن الـذي يعيش القـرآن روحـاً وتطبيقـاً يفهم إن هـذه الآية يلجـأ إليها عند المصيبـة ﴿...وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ*الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ فقـال الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ سـمعت هاتفياً ينادي القوم يسـيرون والمنايا تحوطهم. قال أولسـنا على الحق فقال الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ بلى والذي إليه مرجع العباد. قـال إذاً لا نبالي وقعنا على المـوت أم وقع الموت علينا.

أمـا جنـد ابـن زيـاد فلقـد تـلى عليهـم الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ الآيـة مـن ﴿فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ﴾ إلى ﴿ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾، وغيرهـا من الآيات لعلهم يثوبون إلى رشـد أو يعودون إلى صـواب ولكنهم كانـوا كقوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أخـذوا يقرعون الطبـول والصنوج والأبواق لكي لا يسمعوا كلام اللّـه على لسان الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ولـقـد دعـوه لـلـعـنـا فأجابهم
ودعـاهـم لـهـدى فـردوا داعيه
قـسـت الـقـلـوب فـلـم تمـل لهداية
تـبـاً لـهـاتـيـك الـقـلـوب القاسية

نعم لقد اسـتحوذ عليهم الشـيطان فأنسـاهم ذكـر اللّـه الحميـد فأصرّوا عـلى جريمتهم النكراء ونزعت الرحمة من قلوبهم حتى كأن ليس فيهم مسلم.

لذلك أصبح الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ يلقي عليهم الحجة تلو الحجة والخطـاب تلو الخطاب وهو مع ذلك عطشـان مكروب يكاد قلبه أن ينفطر من شـدة الظمأ ولما يئس منهـم وقد قتل جميع أهل بيتـه وأصحابه توّسـط الميدان وأخـذ ينادي ألا هل مـن ناصر ينصرنا ألا هـل من مغيث يغيثنا ألا هل من مجير يجيرنا ألا هل من مُوَحِّـدٍ يتقي اللّـه فينا ثم جرَّد سـيفه وحمل على القوم حملة الليث الجريح وهو يرتجز ويقول:

أنـا الـحـسـين بـن علي
آلـيـت أن لا أنثني

أحـــمـــي عـــيـــــالاتِ أبي

أمـضـــي عـلـــى ديــــن النبي

قتل مقتلة عظيمـة في ميمنة الجيش ثم عـاد إلى المركز وهو يكثر من قول إنـا للّـه وانا إليه راجعون ولا حول ولا قوة الا باللّـه العلي العظيم ثم حمل ثانية على الميسرة وهو يرتجز ويقول:

الموت أولـى من ركـوب العار

والـعـارُ أولـى مـن دخـول النار

والـلّــــه ماهذا وهـــذا جاري

قتل منهم مقتلة عظيمة وعاد إلى الخيام يـّودع عياله الوداع الأخير ثم إنه دخل خيمة زين العابدين عليه السلام فاسـتوى الامام السجاد جالساً وأخذ الإمام الحسـين عليه السلام يواسيه ويسليه ويوصيه بوصاياه ويسلمه مواثيق الإمامة.

فأخذ السجاد يسأله عن اهل بيته وأصحابه واحداً واحداً:

قال: أبه أين حبيب بن مظاهر قال ولدي لقد قتل.

قال: أبه أين مسلم بن عوسجه قال ولدي لقد قتل.

قال: أبه أين زهير بن القين قال ولدي لقد قتل.

قال: أبه أين برير بن خضير قال ولدي لقد قتل.

قال: أبه أين عابس بن ابي شبيب قال ولدي لقد قتل.

قال: أبه أين ابن عمي القاسم قال ولدي لقد قتل.

قال: أبه أين أخي علي الأكبر قال ولدي لقد قتل.

قال: أبه أين عمي العباس قال ولدي لقد قتل.

ثم قـال الحسـين عليه السلام **إن كل من تسأل عنهم قتلوا ولم يبق في هذه الخيام إلَّا أنا وأنت وهؤلاء الأطفال والنسوة.**

صاح زين العابديـن عمَّه زينب ناوليني السـيف والعصـا قالت عمه ما تصنـع بهما، قال

أما العصى فأتوكأ عليها وأما السيف فأُقاتل به بين يدي والدي فعانقه الحسين وبكى قال الحسين عليه السلام يأبى اللّه أن تخلو الأرض من حجة وأنت إذا قتلت لم يبق من أهل هذا البيت باقية ثم ودَّعه وعاد يقاتل وبقيت زينب عند السجاد عليه السلام لحظات وإذا به ينادي عمَّه إرفعي طرف الخيمة رفعت الحوراء طرف الخيمة صاح زين العابدين عليه السلام عمَّه زينب هذا رأس والدي الحسين على الرمح صاحت الحوراء وا حسيناه وا شهيداه وا غريباه.

وأبيت أن تعطي المذلة عن يدٍ صغراً لهم ياسبط أشرف سيِّدٍ
لكن من قتلوك دون تردَّدٍ جاؤوا برأسك يابن بنت مُحمَّدٍ
مترملاً بدمائه ترميلا

***

لهفي على الشيب المخضَّب بالدما والصدر ياسبط الرسول مُهشّما
والقومُ بعد حُماتِهِ هتكوا الحمى ويكبرّون بان قتلت وإنّما
قتلوا بك التكبير والتهليلا

***

وكأني بأخته الحوراء تنادي:

يحسين يومك شده بالي وارخصت دمعي الچان غالي
توني اذكرت عزي ودلالي من گوضت ذيچ الليالي
ريتك يخويه تشوف حالي حال الغريبه بغير والي

بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾(١)

أكثر الأنبياء حكاية في القرآن الكريم وبأكثر من موقف وسورة كليم اللّه موسى بن عمران عليه السلام وهذه الآية من سورة طه تحكي فاصلاً من حياة هذا النبي العظيم وحكايته مع شخص كان قبل نزول التوراة يعبد البقر هو السامري وإسمه كما عن ابن عباس موسى بن ضفر وقيل إسمه ميخا إدَّعى كما يدَّعى الكثير الايمان باللّه ونبيه موسى وبالتوراة وواقع الحال لم يغادر حب العجل قلبه فما إن وجد الفرصة قد سنحت حتى عاد إلى دين آبائه وأجداده ودعى بني إسرائيل إلى الكفر والعصيان «يعني عادت حليمة لعادتها القديمة» .

كثيرون من هم على هذه الشاكلة:

ولا خير في ودِّ إمرئٍ متلونٍ
إذا الريح مالت مال حيث تميل
وما اكثر الإخوان حين تعدّهم
ولكنهم في النائبات قليلُ

كان الكثير من أصحاب الرسول ﷺ على ما نقل في التاريخ قبل الاسلام يقيمون على عادات وأعراف وتقاليد معينة ولهم أُمورٌ يقدّسونها ولكن ما إن جاء الاسلام بمفاهيمه الرائعة حتى ترك أغلب الأصحاب ماكانوا عليه وإنصهروا في الاسلام قلباً وقالباً إلّا النزر

(١) سورة طه: ٩٦.

اليسير ممن لم يتقبلوا الواقع الجديد ولم يسلموا به بل راحوا يتآمرون على الدين وحاولوا تحطيمه من الداخل بعد أن عجزوا عن المواجهة ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى* وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، وهؤلاء لا يمكن أن نسميّهم صحابة حتى لو حاولوا التقرب بالظاهر لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بالخدمة والنسب وما شابه، لنعود إلى كليم اللّه عليه السلام ونستعرض ما دار بينه وبين السامري وما إختياري لهذا الموضوع إلا لأجل تحذيركم من كل سامري تواجهون فلئن عانى موسى عليه السلام من سامري واحد فلقد حفل تاريخنا العربي والاسلامي بالعشرات إن لم نقل بالمئات، فيا أمة محمد إحذروا من سامريكم، فما جرى على الأمم السالفة والأنبياء سيجري على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأُمتّه حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة. لما ذهب موسى عليه السلام إلى الميقات خلف هارون عليه السلام في بني إسرائيل فقال لهم لقد حملتم أوزاراً من زينة آل فرعون فتطهروا منها فانها نجس، يعني إنهم إستأثروا بالذهب والحلي التي إستعادوها من القبط، فأوقد لهم ناراً وقال إقذفوا ما كان معكم، فجعلوا يأتون بها معهم ويقذفون به في النار وكان السامري قد أخذ قبضة تراب من تحت حافر فرس جبرائيل عندما شطر لهم النيل واحتفظ بها لديه ليعمل بها عملية لأنه يعلم بان كل شيء يخص ملائكة اللّه وأنبيائهِ ورسله وأصفيائه لا بد أن يكون له آثاراً متميزة، فأقبل بها إلى هارون عليه السلام وقال يا نبي اللّه أألقي ما في يدي؟ قال هارون نعم وهو لا يدري ما في يده وتصوره من الذهب والحلي التي يلقونها في النار، فلما ألقى السامري التراب في النار قال كن عجلاً جسداً له خوار فكان البلاء والفتنةٍ ثم صاح بالقوم هذا إلهكم وإله موسى عليه السلام فعكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوا شيئاً مثله.

عجباً لهؤلاء الناس الأنبياء بدليل العقل ورسالات اللّه وعبر عشرات إذا لم نقل مئات السنين يحاولون الهداية والصلاح ولا يقدرون على ذلك إلا بشق الأنفس، وصعلوك كالسامري وبحيلة شرعية مموّهة يفتنهم ويفتلهم بلمح البصر. كم هو البناءُ صعبٌ وكم هو الهدم هين، ما بالنا نحن نتهافت على الكفر والمعصية ونطير إليها ونسترخص الغالي ولا نتوجه إلى الطاعة والإيمان والعمل الصالح إلا ثقالاً وكأنها جزية أو عقوبة أو غرامة غير قانونية،

أضرب لكم مثالاً بسيطاً. يتوجب على الانسان المسلم المستطيع في العمر كله حجة واحدة لبيت اللّه الحرام لا تزيد نفقتها المخلوفة عن (١٥٠٠) دولار وتراه يماطل ويسوّف ويؤجل هذا الفرض حتى تتدلى قدماه عند حافة قبره وقد يحج أو لا يحج فيدفع عنه أوصياءه نفقة الحج بالنيابة بعد أن يماكسوا عشرات المؤمنين ليحصلوا على تسعيرة أرخص. في نفس الوقت وبكل رحابه صدر وكامل أريحية يصرف وبفخر آلاف الآلاف على لذات فانية ومصالح زائلة وأغراض دنيئة، أنا لا أدعو لإهمال الدنيا ولذاتها ولكن أقول لتتوازن الأمور بين الدين والدنيا وعلى كل المحاور، الاهتمام الجدية التوجه الصرف والتوقعات «إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً وإعمل لآخرتك كانك تموت غداً» نعود إلى صلب الموضوع في زمن حياة الامام علي الهادي ﵇ حديث حادثة مشابهة كان سلام اللّه عليه فيها باب الفرج للمسلمين وسفينة النجاة للمؤمنين وهكذا هم آل محمد ﵈ وعلى جدهم المبعوث رحمة العالمين امحلت البلاد وانقطع غيث السماء فضج الناس وخرجوا يصلون صلاة الاستسقاء فلم يغاثوا فاستغل الفرصة كاهن من غير المسلمين وخرج إلى الصحراء وما إن مدَّ يده نحو السماء وتوسل حتى تلبدت السماء وإنهمرت كالسيل فانبهر الناس وذهلوا وتركوا دين الاسلام وهنا أرسل الخليفة العباسي إلى الامام الهادي ﵇ أن أنقذ ملة جدك فخرج الامام مع الناس والحاكم وخرج الكاهن يستمطر السماء فامسك الامام الهادي ﵇ بيد الكاهن وصاح به قائلاً ألقِ ما في يدك فالقى قطعة عظم من يده وإذا بالشمس تشرق والغيوم تنقشع، فقال الناس ماهذا يا بن رسول اللّه ﷺ قال لقد حمل هذا الخبيث قطعة عظم من عظام نبي وكشفها للسماء فاستجاب اللّه له دعاه فليدعوا الان إن صدق فحاول مراراً دون فائدة عندها عادت الجماهير إلى دينها وهتف الحاكم وهو يقبل جبهة الإمام «اللّه أعلم حيث يجعل رسالته» نعم هكذا هم اهل بيت الرحمة اوائلهم واواخرهم، لقد كان الناس يستسقون بأبي طالب ﵇ كما يذكر جميع أهل المذاهب الاسلامية.

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل
أبا طالب عصمة المستجير
وغيث المحول ونور الظلم
لقد هدَّ فقدك أهل الحفاظ
فصلّى عليك وليُّ النِعَم
ولقَّاك ربَّك رضوانه
فقد كنت للطهر من خير عمَّ

وهكذا وكما كان وجود الرسول ﷺ رحمة وعصمة ﴿**وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾. كذلك كان وجود أهل بيته الطاهرين المعصومين خصوصاً من شملهم وإياه الكساء اليماني وهل إلى إنكار ذلك من سبيل، وبدل أن تستفيد الأُمَّة من وجودهم المبارك إلتفتوا إلى السامري وعجله وعبدوهم من دون اللّه ولئن ترك السامري ومن آمن به وبعجله تركوا موسى وهارون ومن آمن بهم وشانهم فلقد طغى سامري أمَّه محمّد وعجله إلى الضغط على أهل الحق وحاولوا إرغامهم على عبادة العجل من دون اللّه ولكن هيهات حيل بينهم وبين شهوات انفسهم، نعم ولئن إعترف السامري لموسى عليه السلام بان نفسه هي التي سوَّلت له فعل ما فعل فان الذين آذوا محمداً ﷺ في ذريته واهل بيته بلغ الصلف بهم درجةً قلبوا فيها الموازين وإتهموا آل البيت عليهم السلام بما لايليق بهم وذلك لتبرير أفعالهم الشنيعة ولصرف وجوه الناس عن أئمة الحق والهدى وإدّعوا خلافة رسول اللّه ﷺ زوراً وبهتاناً وإدّعوا العمل بكتاب اللّه وسنّة نبيِّه ظلماً وعدواناً.

فهل أمرهم اللّه بقتل أوليائهِ أم هل كانت سُنَّة رسول اللّه ﷺ تأمرهم بقتل ذريته

وسبي حريمه وتشريدهم في البلاد، لقد أوصى بحفظهم والاقتداء بهم لأنهم فلذات كبده وثمار قلبه وقرة عينه ألم يقل «**مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى**» ألم يقل «**حسين مني وأنا من حسين أحب اللّٰه من أحب حسينا**» يا رسول اللّٰه ﷺ لقد إعتبروه خارجاً على إمام الفاسقين يزيد «لع» وقالوا «**خرج الحسين عن حدِّه فقتل بسيف جدِّه**» أي ظلم هذا يا رسول اللّٰه ﷺ، خرج اليهم سبطك الذبيح يوم عاشوراء يذكّرهم بموقعه منك وقد تقلّد سيفك وإعتمَّ بعمامتك وارتدى رداءك وركب ناقتك وتوسطهم ينادي أيها الناس إشتدَّ غضب اللّٰه على اليهود إذا جعلوا لهُ ولَداً وإشتد غضبه على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة وإشتد غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه وإشتد غضبه على قوم إتفقَّت كلمتهم على قتل إن بنت نبيِّهم أما واللّٰه لا أُجيبهم إلى شيء مما يريدون حتى ألقى اللّٰه وأنا مخضَّب بدمي، ثم صاح أما من مغيث يغيثنا أما من ذاب يذب عن حرم رسول اللّٰه، أحاطوا به من كل جانب:

كرّ فيهم كرَّ من ملَّ الحياة
ويرى نيل الأماني في الممات
أحدقت فيه من الست الجهات
بالقنا ناسٍ وناسٍ بالسيوف

***

فأتاه السهم من كَفِّ لعين
ما تعدَّى دون أن صكَّ الجبين
فنعى مصرعه الروح الأمين وله
الشمس إرتدت ثوب الكسوف

خر إلى الأرض يخور بدمه بعد أن أصابه سهمٌ ذو ثلاث شُعب دخل من صدره واخرجه من ظهره فانبثق الدم كالميزاب ووقع الحسين عليه السلام من على ظهر جواده إلى الأرض وهو

يقول بسم اللّه وباللّه وعلى ملة رسول اللّه ثم رفع رأسه إلى السماء وقال إلهي إنك تعلم إنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبيٍّ غيري، إلهي هوّن ما نزل بي انه بعين اللّه وهو يأخذ من نزيف دمه ويخضب وجهه ولحيته ويقول هكذا أكون حتى ألقى اللّه وجدّي رسول اللّه وأنا مُخضَّب بدمي حتى نزل إليه شمرٌ وإحتزَّ رأسه الشريف أي وا حسيناه وا سيداه وا شهيداه، تغير وضع الكون أحس قلب زينب عليها السلام خرجت من خيمتها توجهت إلى الميدان وقفت على التل الزينبي تنادي وقد شبكت عشرها على رأسها يا حبيبي يا حسين يا بن أُمي نور عيني يا حسين إن كنت ميتاً فأمرك وأمرنا إلى اللّه وإن كنت حيّاً فأدركنا هذه خيولهم هجمت علينا.

طلعت من الخيمة إتعدي زينب على التل أوچبت
شبچت على الرأس العشر ولصوب أخوها إتوجهت
صاحت يبو اليمه عدل لو روحك الطيبة إظهرت
إن چانك حي إنتهض تره سكنة العزيزة إتسلّبت

***

حسين خويه حسين خويه ياحسين وين عني صرت ياقرة العين
إن چان فارگ بيني وبينك البين سبت ياوالي لهلي ايودّيني

***

راح أرد يحسين لا ما راح أرد بغير موتي وياك ما يشفه الچبد
آه لو يحصل لعد جسمك لحد ويآك چان بلحدك تواريني

***

لو خيروني ياخليصي بقيت وياك أگعد على گبرك ينور العين وأنعاك
لا چني لو ظليت من يرعى يتاماك ويا هو عگب عين الولي يبره الضغينة

موضوع استخدام القرآن

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾[1]

كثيراً ما كان الأنبياء عليهم السلام في حالات اليأس من هداية الناس يشكون إلى اللّـه ويدعون على قومهم بالويل والثبور فينزل العذاب وإذا بأمم تفنى وشعوب تمسخ وبلاد ينقلب عاليها سافلها، إلا في حياة الرحمة الإلهية العظمى المهداة حبيب إله العالمين وشفيع المذنبين في يوم الدين أبي الزهراء محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأنه كان يدعو لأمته بالهداية قائلاً «**اللّـهم إهد قومي فانهم لا يعلمون**» ولولا سعة قلبه وعظمة رحمته لإستحقت هذه الأمة عذاباً أشد من عذاب الأمم السالفة بما آذوه وهو يشهد بذلك حيث يقول «**ما أوذي نبي مثلما أوذيت**» والآية موضوع البحث شكوى من رسول اللّـه محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى ربه حسب جميع المفسرين بقرينة القرآن، فالأمر الذي يزعجه هو ان قومه اتخذوا القرآن مهجوراً ولم يكن القرآن إلا آية نبينا الأكرم مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم مع شديد الأسف لم يطل أي مفسر من المفسرين المكث و التأمل والتدبر في رحاب هذه الآية المباركة مما يدل على عدم مشاطرتهم الرسول في إهتماماته وقلة الإكتراث بتوجيهاته، ولقد إستوقفتني هذه الآية تأملت فيها وخرجت بالإستنتاجات التالية منها:

١. تأكيد ظاهر على بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة الحقة التي أنكرها الكثير عليه حيث سماه اللّـه تعالى في بداية الآية بالرسول ولا رسول دون رسالة وبهذه العبارة قطع الطريق على من يشك بالرسول والرسالة.

٢. لا حظوا من نسبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للقوم إليه فقال إن قومي كيف ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع إن

(١) سورة الفرقان: ٣٠.

قومه خالفوه وهجـروا قرآنه وفعلوا ما فعلـوه لم يتبرأ منهم كما نفعل نحـن إذا خرج أحد أهلنا أو عشـيرتنا أو قومنا علينا فإننا مباشرة نخرجهم مـن ملتنا ونلحقهم بالإسـتعمار والإمبريالية والصهيونية، شـعارنا دائماً من لم يكن معنا فهو علينا ولا أدري من أين جاء هذا الشـعار وهذا المبدأ الغير إنسـاني، حاكـم العراق المخلـوع أرغم أكثـر من أربعـة ملايين عراقي عـلى الهجرة والتشرد في كل أرجـاء الدنيا وأعـدم آلآف العلماء والمفكرين والشـباب وحتـى مراجع الدين لا لشيء إلا لأنه يشـك في ولائهم له ولحزبه، ونعـت ولده مرة بعض النسـاء اللاتي ألجأهن إلى البيع على أرصفة الشـوارع في البلاد العربية المجاورة نعتاً يليق به وبأمه وجدته؟، فإنا للّـه وأنا إليه راجعون.

٣. ورد في الآية المباركة إسـم الإشـارة عند الشـكوى إلى اللّـه وهو يقول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن لا غيره مهجـوراً وأما الأتجاه الثاني فهو ان نتوقع منه الإشـارة إلى شـخص ما يعتبره عـدل القـرآن أو قرآناً ناطقـاً متمثلاً في بـشر وإنا على يقـين من ان الامـام علي بن أبي طالب عليه السلام عنـد اللّـه وعنـد النبي وعند جـل الصحابـة والتابعـين هوكتاب اللّــه الناطـق الذي تعرض وما زال يتعرض للّـهجران والجحود، فالقرآن متفق عليه وعلي صلى الله عليه وآله وسلم مختلف فيه إن هذا الأمر يحتـاج إلى وقفة تأمـل، فالقرآن عـلى عهد الرسـول لم يكن مدوناً بـل كان الناس يرددونه حتى يحفظونه في صدور هم فأين الهجر هنا من هجر اليوم حيث أصبح البعض يحتفظ به في الرفـوف العالية يأكله الـتراب وقد لا يفتحه في كل سـنة مـرة وقد صح عنـه صلى الله عليه وآله وسلم قوله **«يجيء يوم القيامة ثلاثة يشـكون المصحف والمسـجد والعترة وكل يقول يـارب هجروني»**، لعل قائلاً يقـول ان النبـي كان يقصدنا نحـن فنقول بحمـد اللّـه حفظـة القرآن كثـر ومرتلوه ومفسروه أكثر ومعاهد تدريسه وتحفيظه على أصول تجويده أنتشرت في البلاد ولا ينقصنا سوى العمل بأحكامه لاحلال حلاله وتحريم حرامه، وهنا يتبين إن الذي يحفظ القرآن هو من يعمل به لا من يحسن تجويده وتلفظه والاستدلال بآياته ولا من يطبع ملايين النسخ منه ويوزعها على الحاج ومعه مجموعة من الكتـب تدعو إلى تكفير نصـف الأمة الأسـلامية ومقاطعتهم وتحريم

ذبائحهـم وإباحة أموالهـم ودماءهم ونواميسـهم، هل أمـر اللّـه بهـذا أم رسـوله أم انها عملية نسف للاسلام وللقرآن وتمزيق لوحدة الامة الاسـلامية. إذا هذا هو الهجران الحقيقي للقرآن، الحفاظ على الشـكل وتقديسـه ونسـف المضمون بالفهم الناقـص والتأويـل المتكلف وتحريف الكلم عن مواضعه، ورد عـن الأمام زين العابديـن ﷺ «**كتاب اللّـه على أربعة أشـياء على العبارة والأشـارة واللطائف والحقائق فالعبارة للعوام والإشـارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء**» فليقف كل منا عند حدود معرفته ولا يدعين مدعي ما ليس يعرف.

وقـــل لمـــن يـــدعـــي في الـعـــلـــم فلسفة

حفظت شيئاً وغـابـت عنك أشياء

بالرجوع قليـلاً إلى الآيتين اللتين سـبقتا الآية موضـوع البحث نجد عبـارات هامة تؤكد ما ذهبنا إليه وعن طريق آل بيت العصمة الذين علمهم علم جدهم لاحظو كلمة مع الرسـول سـبيلاً في الآية ٢٧ ولاحظو كلمـة فلاناً خليـلاً في الآية ٢٨ لتتأكـدوا بأن الذي جـرى هو أن خليلاً معلوماً صرف وجـه خلةٍّ عن قدوة عظيمة وسـبيل لا يفارق الرسـول ﷺ طرفة عين أبداً إنه علي بن أبي طالب الذي كان يقفو أثر الرسـول ﷺ كما يقفو الفصيل أثر أمهِّ، ولم نجد ألصق من علي عليه السلام برسـول اللّـه ﷺ فهو حبيبه نفسـه وصنوه وصهره ووزيـره وخليفته وأبو سـبطيه وقـاضي دينـه والمنجـز لعداتـه إذا الأمر الـذي عزَّ عـلى قلب رسـول اللّـه ﷺ ما وجده من الحسـد في العيـون والأضغـان في القلوب عـلى حبيبـه المرتضى وما توقعـه له من هجر الأمة وجفـاء ها وتكالبها عليـه ومحاربتها له رغم أنه ﷺ حذرهـم من بغض علي ومن سـبِّ علي ومن اتباع غير علي فقال ما قال ولكن ماذا تصنع النصيحة في نفوسٍ حاقدة وعقولٍ فاسدة.

والـطـيـنـة الـســـوداء مـــن خبثها

هـــيـــهـــات تـــبـــيـــض سجاياه

حاولوا إطفاء نور اللّــه في إطفاء نور المصطفى في المرتضى والمجتبى ثم الشـهيد بكربلاء،

يعرهم بنفسه وهم يهتفون نعم نحن نعرفك أنت الحسين أبوك علي وأمك فاطمة وجدك محمد ﷺ إذا ما دمتم تعرفوني لم تقتلوني، قالوا نقتلك بغضاً لأبيك ولما فعل باشيأخنا يوم بدرٍ وحنين.

لم انسه إذ قام فيهم خاطبا
وإذا هم لايملكون خطابا
يدعو ألست أنا ابن بنت نبيكم
وملاذكم إن صرف دهر نابا
هل جئت في دين النبي ببدعة
أم كنت في أحكامه مرتابا
أم لم يوص بنا النبي وأودع
الثقلين فيكم عترة وكتابا
إن لم يدينوا بالمعاد فراجعوا
أحسابكم إن كنتم أعرابا
فغدوا حيارى لايرون لوعظه
إلا الأسنة والسهام جواباً
حتى إذا أسفت علوج أمية
أن لاترى قلب النبي مصاباً
صلت على جسم الحسين سيوفهم
فغدى لساجدة الظبا محراباً
ظمآن ذاب فؤاده من غلة
لو صابت الصخر الأصم لذابا

كأني بلسان حال الحوراء زينب عندما نظرت إلى قربان آل محمّد ﷺ.

تـعـالـوا لـبـنـكـم غسلوه   والـچـفـن ويـاكـم دجيبوه
وجـيـبـوا گـطـن لـلـجـرح داووه   وبهـداي نـعـشـه مـن تشيلوه
وسـط الـلـحـد لمـن تنزلوه   خـوفي جـرح گـلـبـه تلچموه

الرضوخ لمنطق الحق

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١)

من كلام لمولى المتقين وأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام **«قصم ظهري عالم متهتك وجاهل متنسك، فالجاهل يغش الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه»** تأملوا جيداً في هذه الحكمة وتفكروا كم زادت في مجتمعااتنا هذه الظواهر، ما أكثر العلماء اللاهثين على الدنيا ومغرياتها والنائمين على أعتاب الملوك وما أكثر الجهّال المتنسكين الذين إستغلوا غياب العلماء عن مواقعهم فتقمّصوها، يقول الشاعر:

شيئان عجيبان
هما أبردُ من يخ
شيخٌ يتصابى
وصبيّ يتشيَّخ

ولحفر بئر بالابر أهون بكثير من إقناع أحدهما بالرجوع إلى المنطق والرضوخ للدليل والقبول بالحقائق والاعتراف بالخطأ والعودة إلى الصواب، هذا أمير المؤمنين عليه السلام يتذمر ويشعر بأن ظهره قد إنقصم، ويقول في موضع آخر «**لا داء أعيا من الجهل**» فكيف بالجاهل إن كان جهله مركباً يعني أنه جاهل ويجهل أنه جاهل لأن المريض لو علم أنه مريض ذهب

---

(١) سورة النمل: ٤٤.

ليتداوى عند طبيب، ويـروى عنه انه قـال ما خصمت عالمـاً إلا وغلبتـه وما خَصَمتُ جاهلاً إلا وغلبني. لأنك عندما تناقش العالم ينقـاد للدليل أما الجاهل فتأخذه العزة بالأثم ولا يذعن لمنطق العقل والواقع لأنه يعتبر ذلك تراجعاً منه ما أريـد أن أقوله لنكن أبناء الدليل نميل معه حيث يميل ولنترك العصبية جانبـاً ونفتح القلوب والعقول والبصائـر في هذهالايام العظيمة الآية الكريمـة موضوع البحـث تتحدث عـن موقف لقاء نبـي اللّـه سـليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سـبأ التي كانت قبل هذه اللحظة الحاسـمة هي وقومها يعبدون الشمس من دون اللّـه، ولما علم نبي اللّـه سليمان عليه السلام بخبرها عن طريق الهدهد راسلها ودعاها لعبادة اللّـه وحده والإقرار برسالته، ولما وصلها كتاب سليمان فاستشارت قومها ولم تستبد برأيها رغم أنها عاقلة وحكيمة، ثم أرسلت لسليمان عليه السلام برسُلٍ وهدايا ثمينة جداً يسيل لها لعاب الملوك، وقالت للرسـول الذي يمثلها إنظر إليه إن سـال لعابه للّـهدايا وقطب بوجهك إعلم إنه ملك لا نبي وإختبره بالامور التي معك فـان عرفها فهو نبي وإن لم يعرفها فهو ملك، وكانت قد أرسـلت (٥٠) غلام بـزي الجواري و(٥٠) جارية بـزي الغلمان وحقه يعني علبـة جواهر فيها جوهرة عظيمة طلبـت أن يثقبها بغـير الحديد والنار، فعلم سـليمان بـكل ما أضمرت وأخبر رسـولها ورفض الهدية وثقب لهـا الجوهرة بدودةٍ من ديدان الأرض أخـذت خيطاً في فمها أدخلته في الجوهرة مـن جانب واخرجته من آخـر وزيادة في الإثبـات طلب من وصيه آصـف بن برخيا الذي عنده علم من الكتاب أن يأتيه بها وبعرشـها بلمح البصر وكان قد أعـدّ لها صرحاً ممرَّداً أجرى تحته الماء وأطلق الاسماك فيه.

ما إن وصلت إلى الصرح الذي بدا لها كالبحر رفعت ثوبها خوف البلل فكشـفت ساقيها ولما رأت عرشـها رضخت لمنطق العقـل والدليل وعـادت لفطرة الايمان وأسـلمت للّـه رب العالمين وآمنت بنبوة سليمان على ما حكته الآية.

كم هي رائعة هـذه الملكة المتواضعة الحكيمـة والواقعية وكم نحن اليـوم بحاجة للتخلق باخلاقها وممارسة أُسلوبها في معالجة الأمور إنها:

١. إبتعدت عن الزوايا الحادة في الصراع ولم تهدّد وتعربد كما نفعل نحن إذا جابهنا تحدّياً.

٢. شاورت قومها ولم تنفرد باتخاذ القرار لتحمّل الجميع مسؤولية الدفاع عن الوطن؟

٣. حذَّرت من أخطار الحرب والنتائج المأساوية التي تترتب عليها من قتلى وجرحى وأيتام وأرامل ومعوّقين وخسائر مادية ومعنوية.

٤. لجأت إلى لغة الحوار والإختبار قبل اللجوء إلى الحل العسكري فأرسلت الرسل والهدايا واعتمدت أن يكون القرار على ضوء النتائج.

٥. بالتأني والتعقل وفرَّت على نفسها وشعبها وعلى سليمان وشعبه الضرر الذي ينجم عن كل تهوّر وتسرّع ففي العجلة الندامة وفي التأني السلامة، ولا أحتاج لكثير عناء في إثبات ما لاقته الكثير من شعوب العالم من الدمار والويلات جرَّاء طيش حكامها وجبروتهم وطغيانهم وتسرّعهم في اتخاذ القرارات وعدم تفكيرهم بعواقب الأمور وأدَّل دليل على ما نقول ما أصاب الإسلام والمسلمين من ظلم بني أميَّة فلقد أهلكوا الحرث والنسل خصوصاً طاغيتهم يزيد بن معاوية الذي قتل الإمام الحسين عليه السلام في أول حكمه وأحرق الكعبة بالمنجنيق وأباح المدينة المنورة وإفتض جنده عشرة آلاف عذراء فيها وراثت خيولهم في حرم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهذه الجرائم الثلاثة قطرة في بحر جرائمهم ولكن من يتجرأ على قتل ابن بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فهل يتورَّع عن شيء بعد ذلك، لقد أوغلوا في الدماء وأستحلّوا كل ما حرّم اللّه الشهر الحرام والبيت الحرام الدم الحرام ودفعوا الجماهير العمياء إلى تنفيذ سياستهم الظالمة فكانوا الأداة الطيعة لتنفيذ مآربهم الدنيئة لذلك كلما حاول الامام الحسين عليه السلام دعوتهم إلى الحوار والمناقشة وإلى تحكيم العقل بدل العواطف الهوجاء أبوا ذلك وأصروا على قتله والتمثيل بجثته وجثث اهل بيته وأصحابه، لم يكتفوا بقتل آل اللّه في كربلاء عطشاً بل وقف عمر بن سعد عند خيام الحسين عليه السلام وانتدب عشرة فرسان ليطئوا صدر الحسين عليه السلام ونادى عليٌّ بالنار لأحرق بيوت الظالمين يا لصلفك يا ابن سعد أأنتم الظالمون أم من قتلت رجالهم وسبيت عيالهم

وأحرقت خيامهم خرجت له الحوراء قائلة له أي عمر أيقتل أبو عبد اللّـه وأنت تنظر إليه فأدار وجهه عنها وقيل جـرت دموعه على لحيته الخبيثة ثم إنفرج لها الجيش سـماطين حتى وصلت إلى نعش أخيهـا وضعت يدها تحـت نحره ورفعته قليـلاً ورمقت السـماء بطرفها وهي تقول اللّـهم تقبَّل منّا هذا القربان فداءٍ لوجهك الكريم:

واشــهـيـداً فــمُ الهــدى قبلّته   وحــواس الـرسـول قــد أرضعته

كـيـف تـلـك الـسـيـوف قـد مزَّقته   حـــرَّ قـلـبـي لـزيـنـب إذا رأته

ترب الجسم مثخناً بالجراح

***

نــظـرت لـلـشـهـيـد مــا عرفته   وعـــلى حــجــر عـطـفـهـا وضعته

عـــوض المـــاء بـــالـدمـــوع سقته   أخـــرس الخـــطـب نـطـقـهـا فدعته

بدموع بما تجن فصاح

***

أوَ أنـــتَ الحُــسَــيْنُ أنـــتَ سياجي   وإبـــن أُمـــيِّ وكَـعـبَـةُ المُحتاجِ

يــا هِـــلالاً عَـــصى عــلى الأبراجِ   يــا مــنــارَ الـضُــلَّال والـلـيـلُ داجِ

وظلالَ الرميض واليوم صاحي

***

وتـــوجَّـــهَـــتَ صـــوبَ الغريِّ   تـــنــادي وا أبـتـــاه وا عليّاه:

حـــيـــدر يـــبـــويـــة مـــا تجينه   وإتـــشـــوفـــنـــه إشـــلـــون إنسبينه

ســـبـــايـــا ونـــتـــســـتر بيدينه   والـــنـــاس تـــتـــفـــرَّج علينه

وزيـــــن الـــعـــبـــاد إمقيدينه   يـــبـــكـــي ويـــتـــلّـــفـــت إبعينه

ويصيح أبوية حسين وينه

بين دعاء ودعاء

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيّاراً (٢٦) إِنّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلّواْ عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوَاْ إِلاّ فَاجِراً كَفّاراً﴾[1].

كل داعية لأمرٍ من الأمور يخطط لدعوته ويضع توقيتاً لإنجاز كل مرحلة من مراحل عمله ويضع توقعاته لاستجابة الناس لما يدعوهم إليه. ولما تنقضي المدة التي حددها لبرنامجه ولا يستجيب له أحد فإنه يصاب بالإحباط ويحاول إعداد خطة أخرى، لترويج أفكاره، ولعل أطول برنامج تبليغي في عمر الدنيا هو برنامج نبي الله نوح عليه السلام فلقد إستغرق ألف عامٍ إلا خمسين سنة، لم يدخر فيها وسيلة إلا وإستخدمها في دعوة قومه إلى الإيمان بالله وملائكته ورسله ولكن دون جدوى، فلقد كان الآباء بعد كل هذا يأخذون بيد أولادهم ويحذروهم من الاستماع إلى نوح عليه السلام أو طاعته حتى نشأت أجيال متعاقبة على التنكر لنوحٍ عليه السلام ورسالته والجميع أصر على المعاصي والموبقات، كإصرار أكثرنا هذه الأيام على المعاصي، أتذكر في الخمسينيات عندما كان الأقلية من الناس يرتكبون بعض المعاصي يخجلون ويذوبون حياءً إذا ما أحس أحدٌ بهم، كانوا يستترون ويعتذرون ويعترفون بأن الزنى أو شرب الخمر أو القمار أو ما شابه ذلك ذنوب كبرى يستغفرون الله والناس منها أما في يومنا هذا فالمصلي والصائم والحاج والملتزم دينياً وصاحب الخلق المثالي يرى نفسه متخلفاً عن الركب المتحضر والمتمدن يحاصره المتحضرون وينتقده المتمدنون فهو بنظرهم إرهابي معقد ورجعي متخلف لا يحضر

(١) سورة نوح: آيات٢٦ ـ ٢٧.

الحفلات المختلطة ولا يسمح لأولاده وبناته ليمارسوا هواياتهم وعلاقاتهم بحرية، يغار على شرفه وناموسه ودينه ومقدساته، لقد وضعنا أسماء عصرية وجميلة لكل الموبقات والمعاصي وسخرنا مساحة كبيرة من أجهزة الأعلام المرئي والمقروء والمسموع للدعاية لما نريد، لاحظوا وقارنوا بين المساحة الإعلامية التي يستفيد منها المطربون والمطربات والمساحة الإعلامية التي سمحوا بها للمفكرين والعلماء والسياسيين لا أظن أن ما تحظى به نشاطاتنا العلمية والثقافية من الاهتمام تتجاوز الـ ٥٪ من اهتمامنا بالتفاهات والأغاني ودعايات الفجور والخمور ليس بمقدورنا اليوم أن نطالب بإلغاء هذه البرامج ولكن نتوسل بإنساننا المعاصر أن يوزع وقته واهتماماته توزيعاً عادلاً فيترك لنفسه ولو ١٠٪ من وقته لعبادة الله والتفكر في أمور دينه ودنياه ومصير عياله فهو مسؤول عنهم يوم القيامة، لست مبالغاً لو قلت بأن إصرارنا على طاعة الله والرسول لا يعادل عُشر إصرار الآخرين على المعاصي، مجلة عربية رئيس تحريرها مسلم كتبت مقالاً إستغربت فيه تنامي عدد مقرئي السيرة الحسينية في لبنان وإتهمتهم بأنهم مجموعة من الفاشلين في الدراسة وعديمي الأخلاق والتربية يسعون إلى الإثراء السريع وكأن واحدهم يأخذ على قراءة المجلس الواحد ما تأخذ ساقطة من الساقطات اللاتي يعرضن أجسادهن في المسارح والملاهي الليلية، لماذا لم يلفت نظرك العدد الهائل من المطربين والمطربات الذين ينظفون الجيوب ويوسخون الأسماع ويخربون الذوق العام والله لو تعمل إحصاءً لترى بأن لكل مواطن عربي بعد فترة قصيرة سيصبح مطرب ومطربة في الوقت الذي ليس لكل قرية فيها عشرة آلاف نسمة عالم دين واحد ولا أكثر من ٣ أطباء وصيدلي واحد وعشرة معلمين، لماذا لم تحدثنا عن مستوياتهم الثقافية ولا تحكي عن مدخولاتهم، وما هي الفائدة التي يجنيها المجتمع منهم، أصوات الحسين التي تلطف الأسماع والقلوب عشرة أيام في السنة تزعجك، وأصوات الحفلات التي تبدأ بعد منتصف الليل وحتى طلوع الفجر لا تزعجك طوال أيام السنة.

لقد واجه جميع الأنبياء والرسل من مجتمعاتهم صلفاً كهذا وأكثر وأذىً مثل هذا وأكثر،

صبروا وصابروا، بشروا بالثواب لمن أطاعهم وأنذروا بالعقاب لمن أصر على المعصية.

ولما وصلوا خاتمة المطاف ويئسوا من هداية الناس توجهوا إلى الله بالدعاء أولاً بنجاة المؤمنين وثانياً بهلاك الكافرين وما دعاء نوح عليه السلام على قومه الذين أصروا على المعصية إلا من قبيل إستنزال القصاص الرباني العادل على الكافرين الذين لا أمل في هدايتهم ولا في هداية أبنائهم حسبما أخبر الله به نبيه نوح عليه السلام، كم آذوا نوحاً عليه السلام حتى دعى عليهم بهذا الدعاء، حقاً إنها مصيبة يدعو قومه إلى الإيمان تسعمائة وخمسين سنة فلا يستجيب له إلا ما يقارب الثمانين رجلاً وإمرأة، يدعو الله عليهم بالفناء الكامل لأنهم أصبحوا ليس فقط عديمي الفائدة بل ويخشى منهم نوح عليه السلام أن يضلوا هذه الفئة القليلة التي آمنت معه، وإن أنجبوا ذرية تكون على شاكلتهم كفرة فجارا.

سيدي يا نوح روحي فداك لو رأيتنا اليوم على ما نحن عليه ما كنت تقول في دعاءك علينا؟؟

العقبة التي تقف بيننا وبين ما نستحقه من العقاب هو أننا من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا النبي الأمي الذي يحب أمته ويحنو عليها ولا يريد لها الافتضاح بنزول العقاب الرباني وقد أعطاه الله ذلك ((ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم)) نعم إنه نبي الرحمة ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين.))

هذا النبي الذي ما أوذي نبي مثله يرفع يديه إلى السماء ويقول اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون، وعندما يأتيه ملك الموت قابضاً، يستأذن عليه وما إستأذن على بشر قبله ولا بعده، فيقول له رسول الإنسانية عزيزي عزرائيل لقد علمت بأن الموت مئة غصة فليكن لي منها تسعاً وتسعين ولأمتي واحدة، يا لقلبك العطوف يا لخلقك العظيم.

وهكذا كان سبطك الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء فبعد أن خطب القوم القوم ووعظهم وحذرهم من نتيجة إقدامهم على جريمة يهتز لها عرش الرحمن وتتفطر لها السموات والأرض. لم يجد فيهم من يقبل النصح لأن الشيطان أعمى قلوبهم وأنساهم ذكر الله الحميد،

فلقـد ملئت بطونهـم من الحـرام وقف ينظـر إلى جيـش الأعداء والدمـوع تجري عـلى خديه، إلتفتت إليه أخته الحوراء زينـب عليها السلام قائلة مم بكاؤك فداؤك نفسي يا أبـا عبد الله. قال أُخيّه زينب من أجل جيش يدخل النار بسبب قتلي

لم أنسـه إذ قـام فيـهم خاطبا
فـإذا هـم لا يـملـكون خطابا
يـدعو ألسـت أنـا إبـن بـنت نبيكم
ومـلاذكـم إن صـرف دهـر نابا
هـل جئـت في ديـن الـنبي ببدعة
أم كـنـت فـي أحـكامـه مرتابا
فـغـدوا حـيارى لا يـرون لوعظه
إلا الأسـنـة والـسـهام جوابا
حـتـى إذا أسـفـت عـلـوج أمية
أن لا تـرى قـلـب الـنبي مصابا
صـلت عـلى جسـم الحسين سيوفهم
فـغـدى لـسـاجـدة الـظـبـا محرابا
ظـمـآن ذاب فـؤاده مـن غلة
لـو مـست الـصخر الأصـم لذابا
دخـلـت حـروب دنـيـاي بـلا ماي
وعـلى الأيـام دوم أبـعـث بـلا ماي
الـكـبـش مـا يـنـذبـح شـرعـاً بـلا ماي
وظـامـي يـنـذبـح جـبـد الزكية

***

لمن نلجأ في الملمات؟

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادوهُمْ رَهَقاً﴾[1].

عاذ يعوذُ فهو عائذ يعني لجأ يلجأ فهو لاجئ، والعوذة هي الدعاء أو الطلسم أو الآية تكتب وتلفَّ في خرقة وتعلَّق، ولقد كان رجال الجاهلية عند مرورهم ببعض الطرق المخيفة والوديان المرعبة يتعوذون.

كما أن الجميع قبل الإسلام كانوا يلجأون إلى الكهان والعرافين والعرافات لقضاء المهم من أمورهم.

وقد حدثنا التاريخ عن مراجعة عبد المطلب (رضي الله عنه) كاهنة قريش عند مولد نبينا الأكرم محمد ﷺ لِتُفسر له الأحلام التي رآها في منامه والأحداث المتتالية التي واكبت مولد نوره الأقدس كما أن عبد مناف بن عبد المطلب (رضي الله عنه) عم نبينا لجأ إلى الراهب بحيرا ليعرف منه أموراً تخص ابن أخيه، وكذلك التجأت سيدة نساء العالمين وأم المؤمنين الكبرى نصيرة محمد ﷺ الأولى السيدة خديجة بنت خويلد سلام الله عليها إلى ابن خالتها ورقة بن نوفل تسأله عن الوحي الذي نزل على زوجها النبي الأكرم، لأن علماء الدين القدامى والكهان والأحبار والعرفاء كانوا يجمعون بين علم الفراسة والفلك وتسخير الأرواح والجن والسحر والشعبذة والتاريخ وتفسير الأحلام وغير ذلك مما يُسألون عنه.

ولما جاء نبينا الأكرم محمد ﷺ بدين الإسلام قلص دور هؤلاء وصرف أنظار الناس

---

(١) سورة الجن: آية٦.

إلى طاعة الله والتوكل عليه عوض الاعتماد على هذه الطرق الملتوية والتي ترهق من يعتمدها في سيرة حياته، ولعل المتدبر في معاني هذه الآية التي جعلناها عنواناً لمجلسنا هذا ودون جهدٍ كثير يتحقق من أن هذا الطريق شائك تحوطه الأخطار إضافة إلى عدم مشروعيته، ولقد نهى علماؤنا الأبرار عن سلوك هذا المسلك وحرموا تعاطي السحر والشعبذة، راجع منهاج الصالحين للسيد محمد الروحاني دام ظله والذي دعاني اليوم للتأمل في هذه الآية الكريمة هو الحالة التي وصلنا إليها من الاعتماد شبه الكلي على هذه الأمور والتي لعبت سياسات الدولة العثمانية في الفترة المظلمة من تاريخنا غير البعيد في نشرها وتشجيع الطرق الصوفية التي تربي وتنمي روح الكسل والإتكالية في شباب الأمة فضلاً عن شيبها فبدل العمل الجاد والمتواصل لتحرير أنفسنا وبلادنا من شرور الاستعمار الفكري والاقتصادي والسياسي أخلدوا الى الطرق البكداشية والنقشبندية والرفاعية والكيلانية والشاذلية وما إلى ذلك، جماعات وفرق يطعن بعضها ببعض ويكفر بعضها بعضاً وهذا ما يريده الأعداء، بالله عليك هل وجدت في سيرة نبينا المصطفى وآله وصحبه الكرام ما دعاك إلى سلوك هذا الطريق؟

ما هي الطريقة التي كان النبي يعتمدها في عروجه إلى الله؟

أو ما هي الطريقة التي اعتمدها أبو بكر أو عمر أو عثمان في فتوح البلدان والدعوة إلى الإسلام؟

ما هي طريقة الإمام علي وأولاده الأطهار في الدعوة إلى الله؟

ما كانوا يدعون إلى ربهم وسبيله إلا بالحكمة والموعظة الحسنة والعمل الخالص والجهاد جهاد النفس وجهاد الأعداء.

ديننا لا رهبانية فيه ولا إتكالية، روي أن النبي ﷺ كان يمر بأخوين يعملان معاً في بستان واحدة فيسلم عليهما ويحيي إخلاصهما في العمل ويمسك بأيديهما ويقول هذه يد يحبها الله ورسوله. وذات يوم مر فوجد أحدهما يعمل والثاني غير موجود فسأل عنه فقال أخوه، يا رسول الله إن أخي قد تفرغ للعبادة، فقال النبي ﷺ ومن أين يأكل؟ قال الأخ من كدي

وتعبي يا رسـول الله، فقال له النبي إعلم إن عملك هذا خير من عند الله من عبادة أخيك لأن الله لم يطلب منه تلك العبادة التي تجعله كلاً على المجتمع.

كما ورد في الحديث تفكر سـاعة خير من عبادة سنة وقيل ٧٠ سـنة فالعمل عبادة وجهاد يباركه الله ورسوله وهو القائل «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله.»

أما إنفاق العمر سُـدى واللجوء إلى بعض الأذكار والتوسـل بهذا الشيطان أو ذاك الجني أو بإزعـاج روح هـذا الميـت أو ذاك وإسـتجداء لقمـة العيش من هـذا وذاك وإرتـداء بعض الملابس الرثـة وإدعاء الزهـد في الدنيا والرغبة في الآخـرة فهذا مما لا يرضي الله ورسـوله، الله جل وعلا يطالبنا بالعمـل الصالح ((وقل إعملوا فسـيرى الله عملكم ورسـوله والمؤمنون)) فما ظنك أيها المتزاهد إذا رآك رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم نبي الطهر والنظافة على هيئتك هذه، أوليست النظافة من الإيمان، وما نقول للأجانب إن رأوك على هذه الحالة، سـيظنون أن المسلمين جميعاً على هذه الصورة وأن ديننا يشجع على التسول والإرتزاق والإتكالية.

هل أنـت أورع وأعبد وأزهـد من رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ ألم يعمـل في الرعي والتجـارة؟ ألم يعمل صحابة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ ألم يزرع الإمام علي عليه السلام ألم يسـقي الماء؟ ألم تغزل الصوف بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ألم تطحن القمح والشعير:

إعـمـل لـدنـيـاك كـأنـك تـعـيـش أبداً

وإعـمـل لآخـرتـك كأنك تموت غدا

أختي المؤمنـة إذا إختلفت مـع زوجك لا تلجئـي إلى فتاح الفـال والمنجم بـل حاولي أن تعرفي سبب الخلاف وأن تعالجيه.

إذا تأخر زواجك أو حملك فلا تلجئي إلى المشعبذين، إذا أردت تحطيم إنسان تكرهينه لا تلجئي إلى وكلاء الجن والأبالسـة لأن ذلك حرام أولاً ويعرضك للخطر ثانيـاً ويرهقك ثالثاً المنجم ورفيقه الجني مخلوقات مثلنا وهم أعجز من أن ينفعوا أنفسـهم فكيف ينفعوك؟ إلجئي إلى الله رب السـموات والأرض توسـلي به قفي على باب رحمته الواسعة، توسـلي إليه بمحمد

وآل محمد ﷺ فجاههم عند الله عظيم إطلبي من الله لا من عبيده صدقوني ما وجدت في تاريخ محمد وآل محمد ﷺ إنه لجأوا إلى ما تلجئين إليه يوماً من الأيام.

سليمان عليه السلام الذي سخر الله له الرياح والجن وعلمه منطق الطير في أضر الضرورات لم يلجأ إلى إستخدام الجن وقد عرضوا عليه خدماتهم، الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء حضر عنده جيش من مؤمني الجن بقيادة زعفر وإستأذنوا منه لنصرته على الأعداء فلم يأذن الحسين عليه السلام لهم وقال لهم نحن والله أقدر عليهم منكم ولكن **{ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة}** وهذا أعظم درس لنا، كما أن سبعين ألف مَلَك من الملائكة كذلك هبطوا وطلبوا الأذن من المولى للنصرة فلم يأذن لهم روحي فداه بل تسبب بالأسباب الواقعية وتقدم نحو القوم وهو يرتجز ويقول:

أنا الحسين بن علي ... آليت ألا أنثني

أحمي عيالات أبي ... أمضي على دين النبي

قاتل قتال الأبطال حتى الشهادة، وبقي الملائكة والجن عند مصرعه الشريف الملائكة تستغفر لزواره والجن ينوحون عليه بصوت نسمعه دون أن نرى أشخاصهم:

نساء الجن يندبن ... من الحزن شجيات

ويلطمن خدوداً ... كالدنانير نقيات

ويلبسن ثياب السود ... بعد القصبيات

أما الحوراء فتنادي

بـگـيـت أمـحـيـرة وأصـفـج بالأيدين

لا عـبـاس يـبـرالـي ولا حسين

يـضـربـونـي مـن أبـكـي وتـهـمـل العين

وتـبـقـى عـبـرتـي بـصـدري إنكسر

من شب على شيء شاب عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مّبِيناً﴾[1].

لا تخلو نفوس البشر من الرواسب الفكرية والعقائدية وما يسمى بالخلفية الثقافية، والنفس البشرية حالها في تلقي الأفكار الجديدة والعقائد المتطورة حال الأرض في تقبل البذور المودعة فيها والاستجابة والاستفادة فيها كحال الغيث والمطر تستفيد منه بقاع وتتضرر منها أخرى بحسب سرعتها وقوتها وتوقيتها وقابلية الانتفاع، ومن هنا إختلفت إستجابات البشر لدعوات الأنبياء الإصلاحية وبالنتيجة إختلفت قوة إندفاع الناس نحو تلبية الأوامر الربانية كما إن إختلاف مستويات الفهم والاستيعاب في الناس أدى إلى تطبيقات متفاوتة للأمر الرباني الواحد، وبشكل أوضح نقول إختلاف التجليات القرآنية أدى إلى التباين وأحياناً إلى التناقض في تطبيق الحكم الشرعي الواحد.

لذلك حاول الأنبياء في حركتهم الإصلاحية تنقية النفوس من رواسبها وتحليتها بالفضائل والانطلاق بها إلى عالم التجليات والتطبيقات الصحيحة للقوانين الربانية الآية الكريمة موضوع البحث تحكي معاناة رسول الله ﷺ من بعض علاقاته الزوجية التي لم تكن مألوفة لدى الناس الذين لم يستطيعوا لحينها التخلص من رواسب العادات الجاهلية في سلوكهم، المشكلة إنطلقت من محورين هما:

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٣.

١- إن الجاهلية كانت تعتبر الأدعياء أولاداً حقيقيين للرجل وعلى هذا الأساس الخاطئ إعتبروا زيد بن حارثة رضوان الله عليه الذي كان في الأصل مولى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم أعتقه وإحتضنه إحتضان الأب لولده فصار يدعى به ولما خطب لزيد إبنة عمّته زينب ومن ثم طلَّقها زيدٌ وتزوجها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال الناس إن النبي تزوج من مطلقة إبنه.

٢- زينب الأسدية (رضي الله عنها) كانت تنظر لعريسها الذي تريد نظرة الفخر والاعتداد بالحسب والعشيرة والمال والجاه وما إلى ذلك مما نحسب حسابه حتى الآن عند وجود مشروع زواج فالكفو حسب قوانين الشرع المقدس وكما في القرآن الكريم المؤمن كفو المؤمن والحديث النبوي يؤكد قائلاً: «إذا خطبكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة وفساد كبير».

جاء الإسلام ليصحح المفاهيم ويهّذب العلاقات الإنسانية ويغيّر معايير تقييّم الناس ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1]. ولكن مكمن المشكلة هو النفوس التي لا تزال تفكر بطريقة مادية صرفة وكأن الدين طقوس مجرَّدة عن الحياة، ونفوسنا أشبه شيء بعلبة دهان سوداء مهما تضيف لها بوية بيضاء لا تبيَّض.

والطينة السوداء من خبثها

هيهات تبيض سجاياها

إن الإسلام الذي نعمل به اليوم هجين وخليط من رواسب جاهلية وإستحسانات إسلامية حسب الأمزجة والمصالح وكما قال سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام: «**الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درَّت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديّانون.**»

لاحظوا كيف أن الاجتهادات المتباينة في فهم النظرية الماركسية والتطبيقات المختلفة أودت بحياة النظرية ودعاتها، وهكذا نحن إذا لم نأخذ إسلامنا من منابعه الأصيلة وأودعناه

(١) سورة الرعد: آية ١١.

في قلوب ونفوس طاهرة وعملنا به عمل محمَّد وآل محمَّد ﷺ فعلى الإسلام السلام خذوا الدين كله أو دعوه، طهَّروا القلوب من الرواسب ثم صبُّوا فيها قيم وقوانين هذا الدين العظيم، ﴿إِنّ اللّهَ لاَ يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّىَ يُغَيّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(١).

لا تتركوا أولادنا الصغار يتشربّون المفاهيم الخاطئة ثم تحاولوا إرشادهم عندما يكبرون، تعلمون جيداً أن من شب على شيء شاب عليه، لننشئ أولادنا على أسس التربية الإسلامية فمعالجة المرض في بدايته أهون بكثير من علاجه حين يستفحل، صحيح أن الله جل وعلا قد خيرَّ الناس ولم يكرههم على شيء ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدّينِ قَد تّبَيّنَ الرّشْدُ مِنَ الْغَيّ﴾(٢). ولكن حين يقضي الله أمراً ما والرسول ﷺ يقول لنا إفعلوا هذا بأمر الله فلا مجال للمساومة والمماكسة ولا تراجع فالتراجع معصية لله ولرسوله.

شئت أم أبيت مجاملة أو مكابرة فقد أثبت التاريخ أن الكثير من الذين نطلق عليهم لقب الصحابة ونحيطهم بهالة قدسية قد عصوا رسول الله ﷺ في العديد من المواقف الحرجة ومازال الكثير منا حتى هذا اليوم يقترح على الله ورسوله في أمور تمَّ حَسمُها وقضي الأمر، قال للأمة مراراً وتكراراً تصريحاً ﴿قُل لاّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَىَ﴾(٣). وقال «عليٌ مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» وقال «فاطمة بضعة مني يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها» وقال «باب فاطمة بابي وحجابها حجابي» وقال «الحسين والحسين ريحانتاي من الدنيا» وقال «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف غرق وهوى،» فماذا فعلنا؟

أيةَّ موَّدة أظهرنا لمحمَّدٍ وآل محمَّد ﷺ؟ حتى في القتال ففي معركة أُحد خالف الرماة الذين أمرهم النبي بالبقاء على الجبل أمره ونزلوا ومكّنوا المشركين من المسلمين حتى كاد النبي أن يقتل، قبيل وفاته قال أنفذوا جيش أسامة لعن الله المتخلف عن جيش أسامة وتخلفوا. ثم

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٦.
(٢) سورة الشورى: آية ٢٣.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٥٦.

قال إئتوني بكتِفٍ ودواة لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا من بعده قال أحدهم: إن الرجل يهجر أي يقول هجراً يهذي.

نعم أيها الأحبة لقد عمدنا إلى كل أوامر النبي التي هي أوامر الله جل وعلا فعملنا بخلافها، قال علي باب مدينة علمي فأوصدنا الباب وهربنا منها، قال باب فاطمة بابي فأحرقناه وحجابها حجابي فهتكناه وأما ولده الحسن عليه السلام فقد قطعنا كبده بالسم وأما الحسين عليه السلام الذي رأيناه يرتقي صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقبله ويشمه فقد جلس شمر على صدره الشريف محاولاً ذبحه فتبسم الحسين عليه السلام في وجهه وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له شمر وماذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال ولدي حسين يقتلك رجلٌ أبرص أعور له بوز كبوز الكلاب ورأس كرأس الخنزير فغضب اللعين وأمسك بلحية الحسين عليه السلام الكريمة وقلب الحسين عليه السلام على وجهه وإحتز رأسه من القفا وكبر العسكر:

ويكبرون بأن قتلت وإنما
قتلوا بك التكبير والتهليلا
جاؤوا برأسك يا بن بنت محمد
مترملاً بدمائه ترميلا

يشيال راس حاميته أو وليته
ريض بلچن أتودعه سكينه
أشوف حسين ساچن عن ونينه
مدري تعب لو جرحه تخدر

***

يشيال راس حسين دنه
يردن بناته إيودعنه

وينصبن على المذبوح حنه
ويحفرن كبر وإيوسدنه

***

يشيال راسه لا تلوحه
وهبط عن بقايا الروس رمحه
أخاف يفوت ريح الهوه بجرحه
وصوابه عليه يكوم يسعر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآئِـيَ إِلاَّ فِـرَاراً (٦) وَإِنِّـي كُلَّمَا دَعَوْتُهُـمْ لِتَغْفِـرَ لَهُمْ جَعَلُوَاْ أَصَابِعَهُمْ فِـيَ آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَـوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرّواْ وَاسْتَكْبَرُواْ اسْتِكْبَاراً﴾[1].

كما أن أمراض البـدن عندما لا تعالـج بالعلاج اللازم تتطور وتسـتعصي وتـزداد تعقيداً وتصبح مزمنة أو خطـيرة وبالتالي تودي بحياة المريـض كذلك هي أمراض الـروح إن تركت دون علاج لفترة طويلة تتحول إلى ظواهر سلبية خطيرة تستعصي على المعالج ويصل الأمر إلى أن تصبح القاعدة شواذاً والشواذ قاعدة ودائماً بحجة سباق الحضارة والتمدن.

فكل سـلوك فردي أو إجتماعي خاطئ يـترك دون ردع أو علاج يصبح شـيئاً فشـيئاً أمر طبيعي وعادي. ولنعم ما قال الشاعر

إن الـغـصـون إذا قـومـتـهـا اعتدلت

ولا تلين إذا كـانـت مـن الخشب

وفي الآيات التـي إخترناها لحديثنـا هذا صلـة واضحة بالمقدمـة، والآيـات تحكي جهاد نبي الله نوح عليه السلام في سـبيل توعية قومه وإرشـادهم، عاش نوح عليه السلام (٢٥٠٠) سـنة منها (٨٥٠) سـنة قبل بعثته بالنبوة و(٩٥٠) سـنة يدعو قومه للإيمان بالله ورسـله و(٢٠٠) سـنة في صنع السـفينة و(٥٠٠) سنة عاشـها بعدما نزل من السـفينة في العراق حتى مات ودفن في

(١) سورة نوح: آيات ٥ – ٧.

النجف الأشرف إلى جنب أبينا آدم عليه السلام حيث مدفن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام اليوم، ونـوح عليه السلام أول أولي العزم الخمسة سادة الأنبياء وهو الأب الثاني للبشر وأول من أتى بكتاب وشريعة وتكلم مع الناس بمنطق العقل والاحتجاج داعياً إلى التوحيد ونبذ الأصنام الخمسة التي كانوا يعبدون من دون الله وهي ود وسواعٌ ويغوث ويعوق ونسر.

هذا النبي الداعية يشتكي لربه ويقول له إستنفذت كل وسائل الدعوة مع قومي فلم يؤمن منهم إلا ثمانين فرد من ذكر وأنثى طيلة مدة دعوتي التي هي أقل من الألف بخمسين عام. إلهي وربي وسيدي ومولاي لقد دعوتهم سراً وعلانية في الليل والنهار أتوسل بهم وهم يأتون بأطفالهم إلي ليقولوا لهم لا تطيعوا هذا المجنون، يضربوني حتى يغمى عليَّ ويظنون أنني مت فيلقون بي عند باب داري وأعود لأدعوهم للإيمان فيهربوا مني ويضعوا أصابعهم في آذانهم لكي لا يسمعوا كلامي وإحتجاجاتي المنطقية، ثم يغطون وجوههم بثيابهم لكي لا يروني.

إلهي إن هؤلاء الناس مستكبرين ومصرين على المعصية وليس هذا وحسب بل إنهم راحوا يفلسفون عصيانهم يتحاملون عليَّ إني متخلف وأتباعي أرذال وفقراء سيدي وعدتهم بغيث السماء الذي وعدتني وقد إنقطع عنهم وبالذرية الطيبة بعد أن عقمت نساؤهم أربعين سنة وتوعدتهم بالخلود في النار إن لم يوحدوك ويرجون لك وقاراً فلم ينفع كل هذا لأنهم قساة القلوب وقد أصبحت كل الرذائل الأخلاقية فيهم ملكات:

قست القلوب فلم تمل لهداية

تباً لهاتيك القلوب القاسية

وهكذا سارت الأمور مع هذا النبي الطويل العمر العازم الصابر الذي إستخدم المنطق العلمي والعقلي في الاحتجاج مع أمة لا تعرف مغريات هذا العصر ولا حيله ولا تكالبه ولا تعقيداته وتشعب جبهات القتال فيه، في زمن نوح عليه السلام خمسة أصنام وقليل من المترفين وصار ما صار، رغم الفسحة الزمنية التي إستغلها في الوعظ والإرشاد نبيٌ ذو عزم، ترى

ماذا سنصنع اليوم مع حضارة القرن العشرين وأناسه، ملايين الأصنام التي تعبد من دون الله سياسات الدول والشركات والمافيات التي تختنق من رائحة الإسلام الحقيقي الفعال، آلاف التهم الجاهزة لكل مصلح يرفع رأسه إضافة إلى أننا لا نملك ولا واحد بالمئة من مقومات الداعية الحق إلى الله وأقدس الأقدسين فينا لا يملك واحد بالمائة من الوسائل التي إستخدمها نوح عليه السلام في صراعه الذي أثمر بعد (٩٥٠) سنة فقط ثمانين مؤمن ومؤمنة ثم كان الطوفان، أعترف بأننا إلى يومنا هذا لم نتمكن من تطوير طرق وأساليب تسويق القيم الدينية والأخلاق الفاضلة، وينقصنا العمل المبرمج والمنظم والمدعوم من مرجعياتنا الدينية لا الجهود الفردية التي غالباً ما تصطدم بالأنانيات وتذهب كل أتعابنا فيها سدى، ساحات العمل الإرشادي كبيرة ومتعددة والمصلحون والمبدعون أقل بكثير من حاجة المجتمع إلا أننا نرى التزاحم والتنافس السلبي غالباً يحطم كل الطاقات والجهود الخيرة، والتهافت على منابع الثروة ومفاتيح الاقتصاد وطرق الإثراء السريع على حساب التوزيع العادل للوعي الديني، صدقوني كما أن كل ألف إنسان يحتاج إلى طبيب يحتاج كذلك إلى رجل دين مخلص في قوله وعمله إن رجل الدين الواعي الصادق يعالج بالحكمة والموعظة الحسنة كل إنحراف عقائدي أو أخلاقي في سلوك الفرد والمجتمع ويكون أسعد ما يمكن حين يتجاوب معه الناس وقد قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام «**يا علي لئن يهدي الله بك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس** – وعلى رواية – **من حمر النعم**» وهذه السعادة بالإضافة إلى الوعود الإلهية دائماً هي الدافع للأنبياء والمصلحين في حركة بناء الفرد والمجتمع، ولكن إذا إستحكمت في الشعوب قيم وأعراف الجاهلية وأصبحت أعرافاً يدافعون عنها فسيتعرضون لكل مصلح بأسوأ ما يقدرون عليه من قتل وتشريد وتمثيل.

ولقد مارس جيش يزيد بن معاوية يوم عاشوراء بقيادة عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن بحق الحسين عليه السلام الذي خرج لطلب الإصلاح في أمة جده محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أبشع ألوان القتل والتعذيب الوحشي، في الوقت الذي كان الإمام

الحسـين عليه السلام يبذل قصارى جهوده لهدايتهم، خطب في يوم عاشوراء لوحده سبع خطابات بالقوم وإحتج عليهـم بمنطق العقل والقرآن فلـم يردوا عليه وفعلـوا فقعل قوم نوح عليه السلام. وصرخـوا بوجهة قائلين لقـد أبرمتنـا بكثرة كلامك يا حسـين، وضعـوا أصابعهـم في آذانهم وقرعوا طبول الحرب والصنوج لكي لا يسـمع واعية الحسـين منهم أحد ولما يئس الإمام من القوم ترقرقت الدمـوع في عينيه نظرت إليه أختـه الحوراء زينب عليها السلام قالت لـه أخي فداؤك نفسي مم بكاؤك قال أخيه زينب أبكي من أجل هؤلاء الذي سيدخلون النار بقتلي:

ووجــدتــك الــنـفـس الـكـبـيرة لم تكن

حـتـى عـلـى مــن حــاربــوك حقودا

لم أنسه حين إزدلف إليه القوم يقطعونه بسيوفهم إرباً إربا، لقد أفرغوا أحقادهم الجاهلية على أشـلاء ضحايا كربلاء وشـهدائها، إنتدب عمر بن سـعد عشرة من الخيالـة ليطؤوا صدر الحسين عليه السلام بحوافر خيولهم ففعلوا ورضرضوا جناجن صدر الحسين عليه السلام

وأي ذبــيــح داســـت الخــيــل صدره

وفــرســانــهــا مـــن ذكـــره تتجمد

فــلــو عــلــمــت تــلــك الخــيــول كأهلها

بــأن الـــذي تـحـت الـسـنـابـك أحمد

لـــثـــارت عـــلى فـــرســـانهـــا وتمردت

عليهم كـمـا ثـــاروا بـهـا وتمردوا

نعم لقد ثار فرس الحسـين عليه السلام على القوم الظالمين واسـتنكر جريمتهـم وقتل من قتلة الحسين عليه السلام جمعاً كثيراً وعاد فمرغ ناصيته بدم الحسـين عليه السلام وتوجه إلى الخيام يخبر العيال بشـهادة الفارس وهو يصهل ويحمحم وكأنه يقول الظليمة الظليمة المضيمـة المظيمة من أمة قتلـت إبن بنـت نبيها ولما نظـرت زينـب عليها السلام إلى الجواد وسرجـه المقلوب صاحـت واأخاه واحسيناه واشهيداه

گــــلــــي يــــا لميمون
ويــــــــن والينه
راح أبــــــو السجاد
لــــــو يــــــرد لينه

***

آنــه يــا لــمــيــمــون بــدي جــد متك
وانــــخـــمـــش گلبي
ومــن رحــت بـحـسـيـن بــالله ودعتك
والـــــبـــــاري حسبي
وبـگـت روحــي إتـلـوج وأنـتـظر جيتك
وعــــيــــونــــي تربي
جـيـتـنـي خــالــي حـسـيـن چاوينه
راح إمـــــن إيدينه

***

التوعية الحسينية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].

الإنسان بحسب وعيه وإدراكه للأمور ينقسم إلى ثلاثة أقسام كما ورد في فقرة من فقرات كلام لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام موجه إلى حواريه وصاحبه المخلص كميل بن زياد النخعي رضوان الله عليه. إذ قال له ((يا كميل الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع،)) وإستناداً لهذا فقد قسم الفقهاء الناس إلى مجتهد ومحتاط ومقلد، فالمجتهد هو من يعرف السبيل لاستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية وبوسعه تحمل مسؤولية إرشاد الناس إلى طرق الهداية والصلاح، أما المحتاط فهو من يعرف الأحكام الشرعية لنفسه لا لغيره فهو مستقل فكرياً وبوسعه أن يعي حقيقة الأمور وبعض علل الشرائع لا جميعها، لأن بعض التشريعات خصوصاً في الأمور التعبدية هي بالأساس مجهولة العلة، وقد ورد عن المعصومين ((أن الشريعة لو عللت مُسخت.))

وأما الغالبية العظمى فهي التي تكون بأمس الحاجة لمساعدة الغير في فهم الأمور على حقيقتها، فالأعم الأغلب من الناس يحتاج قول المشفق الناصح الذي لا يريد به إلا الخير وعظة الواعظ الذي يميز له ما ينفعه مما يضره، ولا عظة ككتاب الله ولا ناصح كمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد منح الله بني آدم حواس يعقلون بها الأمور أهمها السمع والبصر، وبواسطة

(١) سورة الحج: آية ٤٦.

الأذن والعين يتمكن الإنسـان من نقـل المعلومات إلى مركـزي القرار العقـل والقلب، الفكر والعاطفة، وبعد دراسـة الموضوع المعروض مـن كل الجوانب يصدر العقـل والقلب قرارهما المتوازن حول الموضوع، وهذا ما تدعونـا إليه الآية المباركة التي تحذر أشـد التحذير من عمى البصيرة التي ينتج عن إختلال التوازن بين الفكر والعاطفة ففي الوقت الذي تعطل فيه النخبة المثقفة من الأمـة دور العاطفة في عمليـة الإدراك الواعي والواقعي والمتـوازن للأمور نرى أن الأغلبية تترك القيـاد لعواطفها الجامحة لتقودهـا بالتالي إلى هاوية الجهـل والعمى وتضعهم في أسـفل سـلم التمايز الاجتماعي، ممـا يدفع نخبـة المثقفـين إلى التعـالي عليهم والانقطـاع عنهم وجلوس البعض منهم في أبراجٍ عاجية ينظرون إلى عامة الناس نظرة إحتقار وإزدراء.

المثقفون يقفون على قمة الجبل والناس في أسـفل الوادي وكلٌّ منهـم بعقله راضٍ وتبقى الهوة كما هي فلا المثقف يحاول النزول إلى المجتمع ليأخـذ بأيدي الناس ليرتقي بهم ولا الناس تمد يدها إلى النخبـة المتعالية عليها، ويظـل المتربع على قمـة الجبل يرى من في الـوادي صغيراً حقيراً، ومـن في الوادي يرى من هـو على القمة بنفس الحجم، ولأجل نفع النـاس طلب الله منهم أن يسيروا في الأرض، ويتحركوا يتأملوا آثار الأمم السالفة ويعتبروا بها لأن الحضارات إنما تولد بحركة الفكر الواعي وبتظافر الجهود، الفيلسـوف المتقوقع في برجه العاجي لا يقدم عجلة الحضارة إلى الأمام بل هو طاقة معطَّلة ومعطِّلة، وكذا العامل والفلاح الذي لا يسـعى بقدميـه إلى ينابيع المعرفـة فيعطش فكره وتموت نفسـه كـما يموت الـزرع الذي لا يـرى الماء، ويجب أن نتحـرك باتجاهين النخبـة الواعية نحـو الناس والنـاس باتجاه الوعي لنحقـق بالتالي أعظم الأهداف، علينا أن نضع حركـة الأنبياء والأئمة الهداة نصب أعيننا، لقد سـخر الأنبياء بوعيهم ومساعدة المدد الإلهي كل شيء لأجل الأهداف الكبرى، ومع معرفتهم بموقعهم من الرحمة الإلهية وعلمهـم بمنزلتهم وجاههم عنـد الله إحترفوا بعض الحـرف والمهن التي يترفع عنها اليوم أنصاف المثقفين بل أرباع المثقفين!!

مارس الأنبياء رعي الأغنـام والحدادة والنجـارة والخياطة والزراعـة والتجارة والخدمة

العامة كسقي الماء والبناء وغيرها كما قادوا الجيوش وخاضوا المعارك الطاحنة وقتلوا وقُتلوا وصبروا على الأذى في جنب الله حتى أتاهم نصر الله.

لم يجلسوا في الصوامع وينظروا ولم يكلموا الناس من طرف المناخر بل نزلوا إلى ساحة الجهاد والبناء وأخذوا بيد الناس نحو الأحسن والأفضل، جاءوا مع الناس إفترشوا الأرض معهم والتحفوا السماء، كلموا الناس على قدر عقولهم بلغة مفهومة تنطبع في القلوب قبل الآذان، أحبتهم الصحراء وآبارها أحبتهم البحار وحيتانها أحبتهم البراري ووحوشها والسماء وطيورها وحنت لفراقهم أحبتهم حتى النخلة اليابسة فساقطت عليهم رطباً جنيا، أحبهم حتى الحجر فانبجست منه إثنتا عشر عيناً من الماء الزلال وسبح في أيديهم الحصى أحبتهم الشمس فردت لهم وقرضتهم ذات اليمن وذات الشمال أحبهم القمر فانشق لهم أحبتهم النار فصارت برداً وسلاماً عليهم.

تفاعل معهم كل شيء فرح لفرحهم وحزن لحزنهم وحفظ دروسهم وتاريخهم في حلب الشهباء صخرة خالدة تحكي للأجيال خلود دم الإمام الحسين عليه السلام، إنها صخرة وضعوا عليها رأس أبي عبد الله الحسين عليه السلام عندما مروا بسبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم على حلب فتركت دماء السبط الشهيد آثارها على تلك الصخرة ولما حكم تلك الربوة سيف الدولة الحمداني عثر عليها فأقام لها صرحاً عظيماً وأسماه مشهد النقطة وهو إلى يومنا هذا من الصروح الشامخة في حلب يؤمه الزوار من كل بلاد الدنيا.

بينما لا نجد لقتلة الأنبياء وأولاد الأنبياء أثراً لهم أو لقصورهم ولا يذكرهم التاريخ إلا وهو ممسك بأنفه من نتنهم، أما الحسين عليه السلام الذي بكاه كل شيء فهو أنشودة الأحرار على مر الزمن وكعبة الثوار، وكل ما يرتبط به له نكهة خاصة نوره، ذكره، صبره، جهاده، كرمه، شجاعته، زهده، إبائه، بل وحتى تربته فقد جعل الله فيها الشفاء، وقبته التي جعل إستجابة الدعاء خصوصية من خصوصياتها والأئمة من ذريته وهذا هو الامتداد العقائدي والفكري والجهادي الخالد.

مـــولى بـتربـتـه الـشـفـاء وتحـــت قبته
الــدعـــاء مـــن كـــل داعٍ يسمع

وقال آخر:

لـــه تـــربـــة فـيـهـا الـشـفـاء وقبة
يـجـاب بها الـداعـي إذا مسه الضر
وذريــــــــة دريــــــة مـــنـــه تسعة
أئـــمـة حـــقٍ لا ثـــمـــانٍ ولا عشر

ولكن ما يثير الدهشة والاستغراب عند هذا الشاعر هو قتل الحسين عليه السلام

أيـقـتـل عـطـشـاناً حـسـين بكربلا
وفـــي كـل عـضـوٍ مـن أنـامـلـه بحر
ووالـــده الـساقي عـلى الحـوض في غدٍ
وفـاطـمـة مـاء الـفـرات لـهـا مهر

يـلا بـس تـاج خـير الـبشر ورداه
وأبـوك القتل عمرو بـن ود ورداه
مـثـلـك جـيـف دمـه يـصـير ورداه
وفـرات الـعـذب مـهر أمـة الزكية

***

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَمْ يَحْسُـدُونَ النّـاسَ عَلَـىَ مَـآ آتَاهُـمُ اللهُ مِـن فَضْلِـهِ فَقَدْ آتَيْنَـآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَآتَيْنَاهُمْ مّلْكاً عَظِيماً﴾[1].

الحسد مرض أخلاقي خطير يدمر الفرد والمجتمع على حد سواء وقد ورد في ذمه الكثير من الأحاديث الشريفة التي وصفته بشر الأوصاف ونعتته أبشع النعوت فصاحب الخلق العظيم يقول: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» ويقول صنوه عليه السلام: «صحة الجسد من قلة الحسد» ولا أبالغ لو قلت بأن الكفر أصله الحسد.

وعلى هذا فالإنسان المؤمن يغبط ولا يحسد وعلى عكسه الكافر والمنافق فإنه يحسد ولا يغبط. والحسد داء فتاك يهتلك من يبتلى به وقد قيل «له در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله» والحسود لا يسود ولا راحة لحسود أما ثمرة الحسد فيقول أمير المؤمنين عليه السلام «ثمرة الحسد شقاء الدنيا والآخرة» فهو آفة الدين وهو رأس العيوب

لنبين أولاً الفرق بين الغبطة والحسد لنعرف علة استحباب الأول وحرمة الثاني الحسد هو تمني زوال النعمة عن الآخرين، وذلك بسبب عدم احتمال نفس الحسود رؤية النعم على الغير في الوقت الذي لا يستحقها هو. أما الغبطة فهي تمني دوام النعم على الآخرين والطلب من الله أن يتفضل علينا بمثل ذلك، أي توسيع دائرة اللطف الرباني وحب الخير للجميع وقد أورد الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان في تفسير الآية موضوع البحث عدة نقاط نجملها لكم

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

بالآتي:

١- المحسود هنا هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الذين يرثوه في مواقع الفضل والمسؤولية.

٢- الأمور التي حسدوا عليها هي:

آ. الكتاب، ويعني النبوة

ب. الحكمة، ويعني الفهم والقضاء

ج. الملك العظيم، الإرث والحكم وفرض الطاعة

د. اختصاصه بتعدد الزوجات

٣- احتج الله جل وعلا بتقدم الفضل ليس على ابراهيم الخليل عليه السلام وحده بل آل ابراهيم عليه السلام الذي آتاهم الله كل تلك الامتيازات وتبقى هذه الفضائل والخصائص والامتيازات من نعم الله على خاصة أوليائه ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

الأول: ما يمكن توريثه

الثاني: ما لا يمكن توريثه

أما ما يمكن توريثه فهو المال والعقار وما شابه ذلك وكان هو الدافع الذي دفع زكريا عليه السلام الذي ذرف على التسعين من العمر واشتعل رأسه شيباً ووهن عظمه ومع كون امرأته عاقرة وبسبب ثقته العالية بكرم الله وخوفه من أن يرص أبناء عمومته الأموال المتجمعة لديه من الحقوق الشرعية والنذور ويصرفوها على المعاصي، فإنه يطلب من ربه «ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضيا»، فالوراثة المطلوبة هنا وراثة المال لا سواه!!

أما الأمور التي لا تورث فهي الكتاب والحكمة، النبوة والإمامة ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[1]. فكنعان بن نوح لم يرث النبوة عن أبيه وفاطمة الزهراء عليها السلام لم ترث النبوة

(١) سورة البقرة: آية ١٢٤.

عن أبيها بل ورثت عنه المال والسلاح والديون التي كانت بذمته.

فهل تنسجم مطالبتها القوم بميراثها عن النبي ﷺ مع القرآن أم لا تنسجم؟؟

وهل تنسجم دعوى القوم مع المفهوم القرآني؟؟ وكيف يمكن أن نتصور سيد الكائنات محمد ﷺ يفوه بكلمات تخالف القرآن «نحن معاشر الأنبياء لا نورث؟»

كيف الأنبياء يورثون ورسول الله لا يورث؟ بل كيف الناس كل الناس يورثون ومحمد لا يورث؟؟!!

وكيف يرث يزيد بن معاوية من أبيه الخلافة وهكذا حكام بني أمية وبني عباس وبين عثمان ولا ترث الزهراء من أبيها مالاً أو عقاراً؟

وكيف لا ترضى الأنصار والمهاجرة أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم هل من تفسير سوى الحسد الذي أضمروه طوراً وأظهروه وأصحروا به مراراً وتكراراً، لقد حسدوا رسول الله ﷺ على كل هبات المهيمن له حتى على حقه في تعدد الزوجات علماً بأن نبي الله سليمان عليه السلام كان متزوجاً بمئات الزوجات وله مئات السرايا وكذلك داود عليه السلام. ولم يكن تعدد الزوجات بدعاً في مجتمع جزيرة العرب، ولئن لم يجرؤوا على إظهار حسدهم في حياة رسول الله ﷺ فإنهم أظهروا في سقيفة بني ساعدة وما بعدها كل حقدهم وحسدهم الدفين لدرجة تبني المواقف التي تخالف الكتاب والسنة مما اضطرهم إلى إعلان مدرسة جديدة وحزب يحارب الله ورسوله قلباً وقالباً. لا نلومهم لما أظهروا من الحسد لمحمد وآله ولكننا نعتب على الذين يشرعنون جرائم السلف المتجرئ على الله ورسوله ويعتبرون منهجهم هو الصحيح ومنهج آل بيت العصمة ومن والاهم هو الخطأ، اعرضوا ما جرى للزهراء عليها السلام على كتاب الله لتنصفوها ولا تظلموها كما ظلمها الأوائل، قارنوا بين أفعال أعداء أهل البيت عليهم السلام وأفعال أعداء الأنبياء التي وصفها القرآن الكريم لتعرفوا في أي خندق تعسكرون ومع أي الفريقين تتعاطفون.

ولقد أكد الإمام الحسين عليه السلام لأعدائه إنه الوريث الفعلي لجده المصطفى ﷺ وعلى

كل الصعد، الإرث الفكري ومن جهة أخرى يضع على رأسه عمامة رسول الله ﷺ ويتقلد سيفه ويرتدي عباءته ويمتطي جواده، برز إلى القوم يحاججهم قائلاً لهم: أيها الناس علام تقاتلوني؟ لسنة بدلتها أم شريعة غيرتها أو أموال لكم استهلكتها أو دماء لكم سفكتها أو حرمة لكم انتهكتها أليست هذه العمامة التي على رأسي هي عمامة رسول الله ﷺ؟

أليست هذه العباءة التي ألبسها هي عباءة رسول الله ﷺ؟ أليس هذا السيف الذي أنا متقلده سيف رسول الله ﷺ؟

لم أنسه إذا قام فيهم خاطباً
فإذا هم لا يملكون خطابا
يدعو ألست أنا ابن بنت نبيكم
وملاذكم إن صرف دهرنابا
هل جئت في دين النبي ببدعة
أم كنت في أحكامه مرتابا
أو لم يوصي بنا النبي وأودع
الثقلين فيكم عترة وكتابا
فغدوا حيارى لا يرون لوعظه
إلا الأسنة والسهام جوابا
حتى إذا أسفت علوج أمة
أن لا ترى قلب النبي مصابا
صلت على جسم الحسين سيوفهم
فغدى لساجدة الضبا محرابا
ظمآن ذاب فؤاده من غلةٍ
لو مست الصخر الأصم لذابا

فأجابوه:

تعلم أنك الحسين بن علي بن أبي طالب وأمك فاطمة وجدك محمد صلى الله عليه وآله وسلم، نقتلك بغضاً منا لأبيك علي وما فعل بأشياخنا يوم بدر وحنين،

قــتــلــوه بــعــد عــلــم منهم
أنــه خــامــس أصــحــاب الكسا

يــا رســـول الله يــا فاطمة
يــا أمــيــر الــمــؤمــنــيــن المرتضى

عــظــم الله لــك الأجــر بمن
كــظ أحــشــاه الــظــمــا حــتــى قضى

القرآن والموضة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَابَنِـيَ آدَمَ قَـدْ أَنزَلْنَـا عَلَيْكُمْ لِبَاسـاً يُوَارِي سَـوْءَاتِكُمْ وَرِيشـاً وَلِبَـاسُ التَّقْـوَى ذَلِـكَ خَيْرٌ ذَلِـكَ مِنْ آيَـاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[1].

لكل فرد منا ظاهر نحـاول دائماً وأبداً أن يكون جميلاً جذابـاً، وباطن نحاول دائماً إخفاءه عن الآخرين. والمظهر الذي نحـاول دائماً تجميله فيه أجـزاء مهما حاولنا تجميلهـا أو إعطاءها التسميات العصرية والحضارية فهي سيئة ولا يجوز إظهارها، وهي ما يسميها الشارع المقدس السوآت التي نستاء إذا ظهر منها مالا يجوز النظر إليه للناظرين، والأمر سيان بالنسبة للرجال والنسـاء مع شـدة الأمر بالنسـبة للنسـاء وخطورته، وتذكـر الآيـة المباركة موضـوع البحث أن آيات الله جل وعـلا ما تركت أمـراً من أمورنـا إلا وشـملتها بالعنايـة والرعاية ووضعت الضوابط الشرعية المعقولة التي تسـاعد الإنسـان على حسـن التصرف وتأخذ بيده إلى شاطئ السـلامة والأمـان، لقد أنـزل الله علينا لباسـاً أي علمنـا كيف نخيـط الملابس الجميلـة، التي نسـجت أقمشـتها من القطن والصـوف والحرير، لكـي يقينا الـبرد والحر، والأهـم من ذلك يواري أي يخفي كل شيء سـيئ ويحـرم النظر إليـه، ولا إشـكال في حال اسـتخدام الموسرين للملابس الغاليـة الثمن حتى وإن كانت مـن الريش أو فراء الحيوانات، إنهـا نعمة عظيمة من نعم الله علينـا والحق في آخـر الآية يؤكـد علينا ضرورة عـدم نسـيان أهمية هذا الأمـر وتذكر خطورته، وقيل الخـوض في موضوع لباس التقوى علينا أن نعرف الأسـباب التي تسـببت في

---

(١) سورة الأعراف: آية ٢٦.

هذا التشريع الرائع.

لقد أوضح القرآن الكريم في الآية التي تلت إن الشيطان أغرى آدم وحواء، نزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ويتفرج علينا هو وقبيلة ويرانا من حيث لا نراه، إذاً فالشيطان يدعونا إلى التعري وإظهار كل شيء حتى ما لا يجوز النظر إليه وأعني السوآت، وعلى العكس فالرحمن برحمته يستر بلطفه ما لا يجوز النظر إليه بلباس ويدعونا إلى لباس التقوى الذي هو عفة الظاهر والباطن، ويؤكد على جمال الروح والبدن وضرورة المحافظة على التوازن بينهما.

ونواجه في عصرنا أخطر حرب مرت بها الإنسانية تتبنى هذا المبدأ الشيطاني وتحت عناوين براقة ومتحضرة، لقد غزت الموضة بيوتنا وأخذت بتلابيب عقول أبنائنا وبناتنا بدأ الأمر في الحفلات والسهرات الليلية الحمراء ثم إلى المناسبات ثم إلى الجامعات والمدارس بل حتى الشوارع ووصل الأمر في بعض الأقطار إلى المجالس التي تعقد باسم الدين بل حتى بعض الأماكن المقدسة، صدق أو لا تصدق إن بعض الحجاج يوم العيد يتبرجون تبرج الجاهلية الأولى بدعوى إن الله جميل يحب الجمال. أما المهرجانات الفنية والتسويقية والسياحية ومسابقات الجمال فحدث عنها ولا حرج، الكاسيات العاريات في كل مكان، حتى المذيعات قي قسم الأخبار والمقابلات السياسية والدينية أصبحن يجارين البقية في عرض مساحة لا بأس بها من أجسادهن الطرية ولا أدري ما صلة هذا العرض بطبيعة أعمالهن.

حدثني ذات مرة مقرب من إحدى التافهات فقال إن المبلغ الذي تحصل عليه إحداهن في ليلة واحدة يعادل ما يدفع لبروفسور في السوربون في سنة كاملة من عمره ويتضاعف المبلغ حسب المساحة المكشوفة من جسمها، وعلى هذه فقس ما سواها كتب العلم والدين والمعرفة نستدين ونقترض لطبعها على أتعس أنواع الورق أو قد يموت العالم قبل أن يرى نتاجه العلمي ومجلات الفسق والفجور تطبع بأرقى المطابع وبملايين النسخ وبأجمل الألوان وأحسن الورق، اعملوا إحصاء تقريبي للملايين التي تصرف على العهر، والخلاعة قارنوا بين المساحة الإعلامية التي يشغلها العلماء والجهلاء كم هي المحطات الفضائية الإسلامية، وكم

هي الإباحية؟؟ كم مصلح يبني وكم مفسد يهدم؟؟

لو صرفنا المبالغ التي نصرفها ببذخ على هذه التفاهات في مجالات الصناعة والزراعة والتجارة والتربية والتعليم هل يبقى فقير أو جائع في العالم؟

إن نفقات أي مهرجان من هذه المهرجانات تكفي لإنقاذ ملايين الفقراء والمعوزين في الدول النائمة التي يسمونها مجازاً النامية!! بقيت مسألة واحدة أجد نفسي ملزم بالتنويه بها وهي مسألة اللياقة والأدب وضرورة مراعاة الآداب العامة، فالملابس التي تناسب الرجال لا تناسب النساء والعكس صحيح وما يناسب الفرح لا يناسب الحزن، ملابس الحرب لا تناسب وقت السلم وملابس السباحة لا تناسب مهرجانات السياحة والملابس الملتصقة بالجسد لا تناسب المرأة لأنها تثير، لاحظوا حرص محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم على لباس التقوى، ما كان أحدهم يتعرى حتى في الماء ويقول إن للماء سُكان.

أما شهيد كربلاء فقد قال لأخته الحوراء حين جائته بتبان أخيه زينب هذا لباس من ضُربت عليه الذلة، ايتيني بقميص آخر فأتته به فخرقه ولبسه تحت ثيابه خوفاً من البقاء عارياً بعد أن يسلب القوم ثيابه.

سيدي أبا عبد الله توقعت أن يسلب القوم ثيابك فارتديت قميصاً تحت ثيابك، ترى ما أعددت لأختك الحوراء إن سلب القوم يوم عاشوراء برقعها أو مقنعتها، يقول الراوي عندما دخلت مسيرة السبايا الكوفة أسرعت الكوفيات بيدهن المقانع والملايات والماء والتمر والجوز يقدموها لبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزينب تنادي برفيع صوتها يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر تقتلنا رجالكم وتتصدق علينا نساؤكم ألا ساء ما تزرون

تتصدق السوادم علينه

وعطايا الخلگ كلها إمن أيدينه

ما خاب ظنه اليعتنينه

يظل كل سنة يروح ويجينه

وســـافـــة الـــزمـــن هـــالـــخـــان بينه

ولـيـنـه انـذبـح واحـنـه انسبينه

***

اليوم الحادي عشر

الإسراء والمعراج

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١)

رحلتان رائعتان ومعجزتان فيهما تأييد رباني لأشرف خلق اللّـه وسيد رُسُله نبينا محمد ﷺ، من بعد صلاة العشائين في المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم رحلة المعراج بعد الاسراء ومن على صخرة في بيت المقدس إلى السماوات العلى حيث سدرة المنتهى ومن ثم العودة إلى مكة حيث صلى صلاة الصبح في المسجد الحرام بمكة.

وكسابقاتها من الكرامات والمعاجز نالت الكثير من التشويه والتحريف ونقص التصورّ، ونحن نرى بأن هذه الأمور طبيعية جداً في أجواء ينعدم فيها التصورّ الايماني والذوق العرفاني في فهم هذه الكرامات والمعجزات، فما نحتاجه لإقناع كافر بالإسراء والمعراج من أدلّة وبراهين هي حتماً غير ما نحتاجه لإقناع المؤمن بقدرة اللّـه وكرامة أنبيائه ورسله، وكلما كان الإنسان أكثر قرباً من القرآن واهله كان أسرع قبولاً وتسليماً لحقائقه وكلما ابتعد المسلم عن أجواء الإسلام والقرآن والفطرة السليمة كان أبعد ما يكون عن قبول هذه المعاجز التي نعتبرها بديهية في حياة الأنبياء والمرسلين والأئمة المعصومين والهداة الصالحين يقول صاحب مجمع البيان لقد وردت روايات كثيرة في عروج محمد ﷺ إلى السماء عن ابن عباس وإبن مسعود وأنس وجابر الأنصاري وحذيفة وأُم المؤمنين عائشة وأُم هاني بنت أبي طالب عليها السلام عن النبي ﷺ فزاد عليهم بعض الرواة ونقصّ بعض ويمكن تقسيم وجوه حملها إلى أربعة وجوه وهي:

---

(١) سورة الإسراء: ١

١. ما يقطع على صحته لتواتر الإخبار به وإحاطة العلم بصحته.

٢. ما ورد في ذلك مما تجوزه العقول ولا تأباه الأصول فنحن نجوزه ثم نقطع على أن ذلك كان في يقظته دون منامه، وهذه موضع خلاف بين المسلمين.

٣. ما يكون ظاهره مخالفاً لبعض الأصول إلَّا إنه يمكن تأويلها على وجهٍ يوافق المعقول فالأولى أن نأوله على ما يطابق الحق والدليل.

٤. ما لايصح ظاهره ولا يمكن تأويله إلا على التعسف البعيد فالأولى أن لا نقبله.

ومما يدخل في التوجيه الأول فالمقطوع به جزماً إن الاسراء والمعراج وقعا فعلاً ولا مجال للإنكار أو للتأويل والتحريف فيه.

ومما يدخل في التوجيه الثاني فهو ما روي حول طوافه في السماوات ورؤيته الأنبياء والعرش وسدرة المنتهى والجنة والنار.

وأما ما يدخل ضمن الفرض الثالث فما روي انه ﷺ رأى قوماً في الجنة يتنعمون فيها وقوماً في النار يعذبون فيها فيحمل على انه رأى صفتهم أو أسماءهم أو وصف له خزنتها ما يجري فيها.

وأما ما لا يعقل ولا يمكن تصديقه فهو قول البعض ان النبي ﷺ رأى اللَّه جهرة وكلّمه وجلس معه على سريره، أو قول البعض انه شق بطنه واستخرج قلبه ليطهّر بالماء، وهذا ما لا يمكن إعتقاده فالجلوس مع اللَّه على سرير واحد ومحادثته جهراً يستلزم التشبيه وهو جل إسمه لا تدركه الأوهام، كما إن الذي طهرَّه اللَّه قلباً وقالباً ونفساً وبدنا وأذهب عنه الرجس لا يحتاج إلى إستخراج قلبه وتطهيره بالماء، إن حب محمد وآل محمد ﷺ من أفضل المطهرت التي تثبت بها الأنساب يقول الشاعر والمعنى مأخوذ عن أُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

أمـــير المـــؤمـــنين أراك إمّا

ذكـرتـك عـنـد ذي حـسـب صغالي

وإن كـــــرَّرت ذكـــرك عـــنـد نغلٍ
تـــكـــدَّر صــفــوه وبــغــى قتالي
فــصرت إذا شـكـكـت بــأصـلِ امرئٍ
ذكــرتــك بالحميد مــن الخصالِ
فــلــيس يـطــيـق ســمــع ســنـــاك إلاّ
كــريــم الأصـــلِ مــحــمــود الفعالِ
فــهــا أنـــا قـــد خَـــــبرَتُ بـــكَ البرايا
فـــأنـــت مِــحـــكُّ أولادِ الحَلالِ

وخلاصة المعجـزة أنقلها لكم عن تفسـير الصافي للفيض الكاشـاني ناقـلاً عن المجالس مسـنداً للإمـام الصـادق عليه السلام لمـا أسري برسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم حملـه جبرائيـل عليه السلام عـلى البراق وجاء بـه إلى بيت المقدس فعرض عليـه محاريب الأنبياء فصلى بها ومـن ثم خرج به إلى صخرة وعرج به منها إلى السـماء فأراه فيها أعظم الآيات ثم عاد وفي طريق عودته مرَّ رسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم بعيرٍ لقريـش وإذا لهم آنيـة فيها ماء وقـد فقدوا بعـيراً لهم فمضـوا في أثره فشرب النبي من الماء واراق الباقي في الأرض، فلما أصبح الصباح صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة ثم جلس يحـدث أصحابه وجمعاً مـن قريش فيهم ابوجهـل، فقال أبوجهـل لقومه قد مكنتكـم الفرصة فاسألوه عن وصف بيت المقدس وكان فيهم من شاهدها فقالوا له يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم صف لنا كم أسـاطينه وقناديله ومحاريبه، فحضر جبرئيل وعلقَّ صورة بيت المقـدس تجاه وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أجابهم عن كل ما سـألوه فلما أخبرهم قالوا حتى تأتي العير ونسـألهم عـما قلت فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتصديـق ذلـك أن العير تخـرج عليكم مع طلـوع الشـمس يتقدمها جمـل أورق «أبيض وأسـود» ولما وصلت القافلة وكما وعد رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم سـألوهم عن أمر الماء قالوا نعم كان ذاك، ومع كل هذا لم يصدقوا برسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم بل إزدادوا عتواً، هذه الحركة المباركة مثلَّها الإمام الحسـين عليه السلام إسراءً ومعراجاً على صعيد الروح والجسـد وعـلى صعيد الدماء

والأهداف سار من حرم جده إلى حرم اللّه الأمن وبيته المبارك فلم يجد مبتغاه من الطمأنينة وكاد القوم أن ينتهكوا بسفك دمه في الحرم حرمة الحرم فتوجه إلى صخرة كربلاء ليبدأ منها معراجه يصاحبه في حركته الميمونة صفوة الصفوات من أهل وأصحاب ليس لهم على وجه الأرض لا قبل ولا بعد نظير، جمعهم ليلة عاشوراء يشرح لهم خطوط رحلة الخلود الأبدي حتى طلب منهم أن يغمضوا العيون ويفتحوها بنظرة إلى السماء وإذا بالجنان قد فتحت أبوابها ووقفت بها الحور والولدان تنادي وهي مفتوحة الذراعين عجلوا القدوم هلموا فلقد إشتقنا اليكم فدفعهم إيمانهم وصدقهم يوم عاشوراء إلى التهافت في أحضان الشهادة الواحد تلو الاخر:

قومٌ إذا نودوا لدفع مُلِمَّةٍ
والخيلُ بين مُدَّعسٍ ومُكردَسِ
لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا
يتهافتون على ذهاب الأنفس

حتى بقي المولى أبو عبداللّه وحيداً فريداً يوّزع النظرات بين أشلاء القرابين وبين خيام النساء والأطفال التي ستلتهمها النيران بعد قليل ألَّحت عليه النفس المطمئنة على لقاء ربها برز إلى الميدان ولسان حاله يردد والأبيات قيل لرابعة العدوية:

تركت الخلق طراً في هواكا
وأيتمت العيال لكي أراكا
ولو قطعتني بالحب إرباً
لما مال الفؤاد إلى سواكا

إرتمى روحي فداه في أحضان الشهادة والخلود مزقته السهام والرماح والسيوف أرضخوه بالحجارة والقصب المشتعل ألهبوا أحشاءه بنار العطش، لحظات من القتال المرير وإذا بالمولى يهوي من ظهر الجواد إلى الأرض وهو يُرّدد بسم اللّه وباللّه وعلى ملة رسول

اللّـٰـه فيضربه أحدهم بالسيف على رأسه الشريف فيمتلىء برنسه دماً يأخذ من ذلك الدم الزاكي يخضب به لحيته ووجهه، ثم صنع الحسين عليه السلام وسادة من تراب وسّد عليها خدّه التريب لتبدأ من هنا رحلة معراج الدماء والروح لحظات وإذا برمح في خاصرته بعدها يرتقي الشمر اللعين صدر ابن بنت رسول اللّـٰـه ويمسك بكريمته ويقلبه على وجهه ويذبحه من القفا ويرفع بيده الرأس الشريف ويضعه على السنان ويدور به في الميدان والجميع يكبّرون أي واحسيناه أي واشهيداه أي واذبيحاه أي وا غريباه أي وا مظلوماه أي وا عطشاناه وا إماماه.

أيقتل ظمآناً حسين بكربلا
وفي كل عضو من أنامله بحرُ
ووالده الساقي على الحوض في غدٍ
وفاطمة ماء الفرات لها مهرُ

يلابس تاج سيد البشر ورداه
وأبوك القتل عمرو بن ود ورداه
المثلك حيف دمه يصير ورداه
وفرات العذب مهر أمه الزچية

سيدي دماؤك إلتقطها جّدك وجمعها في قارورة وصعد بها إلى الفردوس الأعلى وروحك إرتفعت لأعلى عليين عند فيضها وذكرك غاص بأعماق التاريخ فاستقر على عرش القلوب التي تعشق الإباء حتى قال قائلهم:

لا تطلبُوا المولى الحسين
بشرقٍ أرضٍ أو بغربٍ
ودعوا الجميع وعرِّجوا
نحوي فمسكنه بقلبي

لولاك الفرص يحسين ماتم

وحق چبدك المنه ثلث ماتم

إلك بگلوبنه منصوب ماتم

لذكرك ياذبيح الغاضرية

وأما جسدك الطاهر فلقد عدت عليه الخيول فطحنته طحناً وبقى على الرمضاء ثلاثاً بلا غسل ولا كفن تصهره الشمس بحرارتها، وأما رأسك فلقد جالوا به البلدان وأدخلوه على قاتلك يزيد ليعبث بعصاه بالشفتين اللتين كان رسول اللّه ﷺ يكثر من تقبيلهما ويزيد يتمثل بأبيات عبداللّه بن الزبعرى ليت أشياخي:

وكأني بالحوراء صاحت:

راسك يخويه حين شفته تلعب عصى يزيد إعله شفته

ذاك الوكت وجهي لطمته وصديت للطاغي وندهته

إنشلت يمينك ياالضربته لمن سمعني النذل لمته

شتمني وتعدتله شتمته يا سلوة الهادي ومهجته

يا أخو مثلك ضيع أخته

كيف ترقّق قلبك

بسم اللّـه الرحمن الرحيم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]

ورد في دعاءٍ ماثور عن المعصومين عليهم السلام: «**اللّـهم اني أعوذ بك من قلبٍ لا يخشع ومن عين لا تدمع ومن صلاةٍ لا ترفع ومن دعاءٍ لا يُسمع ومن بطنٍ لا يشبع**».

يتجرأ الانسان على ارتكاب الجرائم عندما تغلب القسوة والغلظة عليه والآيات الكريمات موضوع البحث تصف بني اسرائيل ومن يتشبه بهم من يهود أُمة مُحَمَّد الذين قتلوا الأنبياء والأوصياء وأبناءهم حين قست القلوب وصارت أشد قسوة من الحجارة.

وحتى أصبح من غير الجائز وحسب منطوق الآية تشبيه قلوبهم بالحجارة. لأن الحجارة القاسية تسمح أحيانا لمسيل الأنهار فيها واحياناً تنبع منها العيون والشلالات وأحياناً تزداد فيها حرارة الايمان فتهبط من خشية اللّـه سبحانه وتعالى **﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾**. فالقلب الطري تصدر عنه القسوة والحجر القاسي تصدر عنه المياه التي هي سر الحياة فتأملوا هذا التفاوت.

الآيات التي سبقت تحدثت عن قصة عاشها نبي اللّـه موسى عليه السلام مع أشدِّ الناسِ قساوةً ولجاجةً بني إسرائيل حيث أن أحدهم قتل ابن عمِّه وألقاه في طريق أحد الأسباط

(١) سورة البقرة: ٧٤.

ليتّهـم بقتله وتحـدث الفتنة، جـاءوا إلى موسـى عليه السلام يسـألونه عـن القاتل فقـال عليكم أن تذبحوا بقرة لنضرب بعضها بجثة القتيل ليقـوم حيّاً ويعرّفنا بمن قتلـه، وبدأت المفاوضات بينهم وبين موسى عليه السلام عبر المراحل التالية:

١. قالوا له أولاً أتتخذنـا هُزوَا؟ وإنقطع نفسـه حتى أثبت لهـم أنه جاد فيما يقـول وانه كليمُ اللّـه.

٢. قالوا إدعُ لنا ربَّك يبينّ لنا ماهي «؟ بيَّن لَهُم أنهـا لا صغيرة ولا كبيرة، ويقول المفسرون لو أنهم تركوا اللجاج لقبل اللّـه منهم ما تيسَّر من الفداء.

٣. قالوا ما لوُنها؟ الشـوط الثالث من المفاوضـات العربية الإسرائيلية حـول الأرض مقابل السلام فقال لهم صفراء فاقع لونها تسرُّ الناظرين.

٤. قالوا إدعُ لنا ربَّك يبين لنا ماهي إن البقر تشابه علينا؟ قال لهم لا تسقي الحرث و لا ذلول تثير الأرض ولا عيب فيها، قالوا الآن جئت بالحق.

والنكتة هنـا في البقرة التي وجدوهـا عند فتى من بني إسرائيل، إسـتحكم بالسـعر قال لا أبيعهـا إلّا بوزنهـا ذهبا. عادوا إلى موسـى عليه السلام قـال لا مهرب مـن شراءها قالـوا للفتى ما هي قصتـك قال كنت بـاراً بأبي وذات يـوم جئت إلى البيت لأستشـيره في تجارة أشـتريتها فوجدته نائماً فما أحببت أن أزعجه وتركت التجارة فلما أفاق من نومته أخبرته بالأمر فأهداني هذه البقرة ودعى لي بالتوفيق والعوض، فعوضني اللّـه عن تجـارتي بهذا الذهب الوفير فقال موسى عليه السلام أُنظر إلى البرَّ ما بلغ بأهله وأخيراً وبعد هذه المفاوضات الماراثونية ذبحوا البقرة وجاء موسـى وضرب بذنبها جثة الميت فقام باذن اللّـه وقال إن ابن عمِّي عامير هو قاتلي ثم عاد ميتاً.

٦. وبيـت القصيـد هنا هـل رضخـوا للواقـع وقبلوا بهـذه المعجـزة وآمنـوا بموسـى وربِّ موسـى عليه السلام لا واللّـه بل طغـوا وتجـبروّا ومازالـو يعيشـون في الأرض فسـاداً يهلكون الحرث والنسل ونحن نطالبهم بالسلام.

وما كان أعداءُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ﷺ بأقَلّ من هؤلاء ظُلماً وطغياناً وإنكاراً للحق ولجاجة، ولا أُخفي عليكم تخوفي هذه الأيام من بعض أدعياء الثقافة أتباع هذه المدرسة الاسرائيلية في التفكير والذين نشطوا في الاونة الأخيرة وأخذوا يشككوا الناس بعقائدهم الحقة في العصمة والولاية وعاشوراء ومراسيمها وأهل البيت وكراماتهم وتحت ستار الفهم المنطقي والعلمي وفي سبيل تقريب وجهات النظر بين المذاهب والأديان وذلك بقبول القضايا الحسيّة ورفض ما سواها، يعني فهم العقيدة والتاريخ بالمنطق الرياضي واحد زائد واحد يساوي اثنين. علماً بان العمود الفقري في الايمان وبكل الأديان والمذاهب هو الايمان بالغيب والتسليم لامر اللّه ﴿**الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾. نقل أساتذتنا عن العلامة الحليّ طاب ثراه أنه بعد أن كتبَ وبحث وحقق وأثبت في تجريده وجود الخالق جل وعلا بآلآف الأدلة العلمية القاطعة قال في نفسه ذات يوم ليت عندي إعتقاد إمراةٍ بدوية باللّه ولم أخض هذه البحور من المنطق والفلسفة التي زلزلت إيماني، وبعد وفاته رآه ولده في المنام فسأل منه كيف أنت يا أبي فأجابه بني لولا كتاب الألفين «في إمامة أمير المؤمنين» وزيارة الحُسين لقصمت الفتوى ظهر أبيكَ نصفين إذاً نحتاج رقةَ القلب وصفائه كثيراً لأن القلب وليس كل قلب قلب المؤمن هو عرش الرحمن الرحيم حيث يقول أصدق القائلين ما وسعتني أرضي وسماواتي بل وسعني قلب عبدي المؤمن ومن المرققات للقلب أذكر مايلي:

١. الإكثار من ذكر اللّه والاستغفار.

٢. زيارة القبور خصوصاً مراقد الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

٣. أكل الطعام الحلال وتجنب الحرام.

٤. أكل العَدَس والأكثار منهُ بكل أصنافه وأنواعه خصوصا حسائه.

٥. إحياء القلب بذكر الحسين عليه السلام ومصائب أهل البيت عليهم السلام.

٦. بلسمة جراح الناس ومسح اليد على رؤوس الأيتام.

ولعل أهمها أثراً وأعظمها اجراً ومثوبة إحياء النفوس بذكر أبي عبد اللّـه الحسين عليه السلام الشهيد الذي جزرَّه قساة القلوب الذين ملئت بطونهم من الحرام حسب ما وصفهم به يوم عاشوراء فلقد قاسى الحسين عليه السلام وأهل بيته من قساوة قلب عساكر يزيد ما يندى لهُ جبينُ الانسانية.

منعوا الماءَ عن خيام الحسين عليه السلام يوم السابع من المحرم ورفضوا كل الحلول التي اقترحها عليهم الامام والحلول التي إقترحها حتى بعض قادة جيش عبيد اللّـه بن زياد عليه لعائن اللّـه والخلق أجمعين نُزعت الرحمة بالكامل من قلوبهم قتلوا الرجال وأيتموا الأطفال وسبوا العيال ومثلوا بأشلاء البطال حيث فصلوا الرؤوس عن الأبدان ورفعوها على الرماح وسحقوا بحوافر الخيل جثث القتلى وأحرقوا الخيام وفعلوا يوم عاشوراء ما لا يخطر ببال تسابقوا على نهب رحل الحسين عليه السلام ومتاعه يقول الرواي وإن المرأة كانت تنازع على سترها وخمارها وقلبها وسوارها حتى أن أحدهم خرم أذن طفلةٍ عندما سحب قرطها من الأذن بقوة، أيُّ وحشيةٍ هذه تواجهون بها آل مُحَمَّد وكاني أرى بنات رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم كما وصفهن الامام المهدي عجلّ اللّـه فرجه الشريف في زيارة الناحية المقدسة برزن من الخدور ناشرات الشعور «المشاعر لا الشعر» على الوجوه لاطمات وبالعويل داعيات وإلى مصرعك مبادرات:

هذي تگول عمه وين عمي
وهذي تگول فارگني ابن أُمي
يهيّج لوعتي ويزيد هميّ
عليلك من يدير العين إليه

***

فرن واحدة تندب ولدها
او وحدة تندب إخوتها وسعدها

أو وحــدة لـلـولـي تـخـمش بخدها

او وحــدة تصيح ياعميّ المشكَّر

أما الحوراء زينب عليها السلام فكان لسان حالها يقول:

لـعب بـيَّـه زمـانـي وهــان ماهان

وليالينه المضن يحسين ماهان

يـبـن أمــي عـلـي فـرگـاك ماهان

مـشـيـت إمـيـسـرة غـصـبـن عليَّه

حرب المواقع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النّجُومِ (٧٥) وَإِنّهُ لَقَسَمٌ لّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مّكْنُونٍ (٧٨) لاّ يَمَسّهُ إِلاّ الْمُطَهّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مّن رّبّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاّ أَن قَالُوَاْ أَخْرِجُوَاْ آلَ لُوطٍ مّن قَرْيَتِكُمْ إِنّهمْ أُنَاسٌ يَتَطَهّرُونَ﴾[2].

طَهُر يطَهُرُ فهو طاهر، أي متنزه من الأدناس، ورجل طاهر الثياب يعني رجل نزيه، أما الطهارة فعلى رأي الفقهاء مستحبة لذاتها واجبة للعبادة المشروطة بها. والمطهرات المادية على رأي أغلبهم وهي الماء والشمس والأرض والاستحالة والانتقال وغياب المسلم وزوال النجاسة من الحيوان وباطن الإنسان أو المطهرات المعنوية فمنها الإسلام والاستشهاد في سبيل الله وبعث الروح في الإنسان من جديد، وأضف لكل هذا حبُّ محمَّدٍ وآلِ محمَّد صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين فهو بنظرنا أعظم المطهّرات ولعله ومن خلال التجارب من علائم طيب العنصر والمولد كما يقول الشاعر في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

أمير المؤمنين أراك إما

ذكرتك عند ذي حسبٍ صفى إلي

(١) سورة الواقعة: الآيات ٧٧_ ٨٠.

(٢) سورة النمل: آية ٥٦.

وإن كــــرَّرتُ ذكــرك عــنــد نغل
تــكــدَّر صــفــوه وبــغــى قتالي
فــصرت إذا شــكــكــت بــأصــل مرءٍ
ذكــرتــك بــالــحــمــيــد مــن الفعال
فــلــيــس يُــطــيــق ســمــع ســنــاك إلا
كــريــم الأصــل مــحــمــود الخصال
فــهــاأنــا قــد خــبــرت بــك البرايا
فــأنــت مــحــكُ أولاد الحلال

ومنذ كانت الدنيا وكنا وإلى يوم البعث المعلوم صراعٌ دائر بين المتطهّرين والمتنجسّين، لا يحتمل بعضهم بعضاً، ولا يطيق أعداء الطهر والعفة حتى النظر إلى وجوه الأطهار، والقرآن يحدثنا عن قوم لوط عليه السلام: ﴿قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

ونحن من خلال التدبر في معاني الآيات التي استهلينا بها هذا المجلس نحاول بإخلاص تطهير نفوسنا وقلوبنا من كل نجاسة دنيوية عالقة بها، ونسعى عبر الفهم الواقعي لهذه الآيات إلى تقرير حقائق هامة حجبتها السياسات عن بصائر الشعوب المغلوبة على أمرها.

إبتداءً يقسم الله جل وعلا بمواقع النجوم وهي إمّا أن تكون مواضعها التي هي فيها أو مساقطها على رأي المفسرين، والعظيم يصف قسمه هذا بالعظيم تمهيداً لتقدير أمرٍ هام جداً وهو أن الآيات التي تتنزل على أشرفِ الخلق قرآن كريم ليس لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم ولا أي بشريدٌ في صنعه بل هو من الله العلي العظيم، ولعظمة هذا القرآن وأهميته جعله الله في حصنٍ حصين من كتابٍ مكنون أي محفوظ ومكتوم ومرموز، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أن لكل حرف في القرآن سبع معاني ولكل معنى سبع بطون، على هذا يكون لكل حرف في القرآن تسعاً وأربعين معنى. فكيف السبيل إلى هذه المعاني المتعددة للوصول إلى معاني القرآن الحقيقة والطريق تحوطه الأشواك فقد ذكروا عن المعصومين قولهم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده

من النار. ومن باب الشيء بالشيء يذكر فقد جرَّت علينا الويلات مدارس الرأي والقياس التي قربَّت وبعدَّت كما أرادت لها سلطات الحكام في زمانهم، ثم تأتي الآية التي تلي لتريحنا من العناء فهذا القرآن الذي أنزله رب العالمين وجعله في كتاب مكنون لا يمسُّه إلّا المطهرّون، وقبل أن نعرفهم لنرى رأي المفسرين في معنى المسّ. قال الغالبية يعني وجوب الوضوء عند إرادة لمس حروف القرآن وقراءته، مع أننا نرى أن هذا التفسير ناقص لأنه يلحظ الشكل دون المضمون، فالمس المقصود هنا هو الوصول إلى غور أعماقه وباطن معانيه وفهمه على حقيقته ومعرفة محكمه من المتشابه وناسخه من المنسوخ وظاهره وباطنه وأسباب نزوله والسعي لتجسيده والعمل بأوامره والانتهاء عن زواجره بعد كل هذا لنمطي لمعرفة الذين بوسعهم كل هذا ومن نفس القرآن الكريم، دون عناء وطول ترقب إقرأ معي قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1].

ستعرف أن الذين بوسعهم فهم القرآن وترجمته إلى أعمال هم فقط محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم نعم الشيء الطاهر لا يستوعبه إلا وعاء طاهر، فهم القرآن يحتاج إلى رجل كرَّم الله وجهه من السجود لصنم.

إلى أناس طهّرهم الله من الولادة حتى الشهادة، لا الذين قضوا شطراً من حياتهم في الجاهلية وأدناسها ولم يتغلغل الإسلام في أعماقهم ليتخلّصوا من أخلاق الجاهلية التي يحملون فعاشوا الازدواجية والنفاق بأجلى صوره حتى ذكرهم الله في كتابه وعرَّفهم لنبيه في الرؤيا، وأنهى بسوء العاقبة حياة أكثرهم فمنهم من مات والنبيذ يعطر فمه ومن وقعت عليه حجارة من السماء وخرجت من دبره ومنهم من خرج على إمام زمانه ومنهم من نشط حرب محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته الأطهار.

إذن الأطهار هم محمد وآل محمد عليهم السلام

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٣.

مـــطـــهـــرون نـــقـــيـــات ثيابهم

تجزي الـصـلاة عليهم كلما ذكروا

وقال الفرزدق لزين العابدين عليه السلام:

هـــذا ابـــن خـــير عـــبـــاد الله كلهم

هـــذا الـتـقـي الـنـقـي الـطـاهـر العلم

ومن ألقاب فاطمة الزهراء عليها السلام الطاهرة، نعم إنهـم الطهر لفظاً ومعنىً، ليس فقط هذا بل إن حبهـم حكمه حكم المـاء المطلق طاهر في نفسـه مطهرٌ لغيره، أسـماءهم طاهـرة ذواتهم طاهرة ثيابهم طاهرة بيوتهم طاهرة حتى الـتراب الذي يلامس أبدانهم حين يقبرون فيه تصبح له قيمة خاصة فيستشـفى به ويُفضَّل السـجود عليه، ولقد عملت سيدة نسـاء العالمين فاطمة الزهراء سـلام الله عليها من تراب قبر حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء مسبحة كانت تسبح الله بها وتشمها فتتذكر عمها الشهيد سلام الله عليه.

وقد أكدَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خصوصيات ثلاث لولده الإمام الحسين عليه السلام لم يشاركه فيها أحد وذكرها إبن العرندس الحلي رحمه الله في مرثيته المشهورة في سيد الشهداء يقول:

حُـــبـــي بـــثَـــلاثٍ لَم يـــفـــز بنظيرها

ولـــيٌ فمن زَيْـــدٌ هُـــنـــاكَ ومَـــن عمرو

لـــهُ تُـــربـــة فـــيـــهـــا الـــشِـــفـــاءُ وقُبَّةٌ

يجاب بها الـداعـي إذا مسَّه الضُّر

وذريـــــــــة دريـــــــــة مـــــنـــــه تسعة

أئـــمـــةُ حـــقٍ لا ثـــمـــانٍ ولا عشر

إلى أن يقول:

أيـــقـــتـــل ظـــمـــآنـــاً حـــســـين بكربلا

وفـــي كـــل عـــضـــوٍ مـــن أنـــامـــلـــه بحر

ووالـــده الـسـاقـي عـلى الحــوض في غدٍ

وفــاطـمـة مـــاء الـــفـــرات لــهــا مهر

يـلا بـس تـاج سيـد الـبشر ورداه

وأبـوك الجتل عمر بـن ود ورداه

مـثلـك جيـف دمــه يـصير وراده

وفـرات الـعـذب مـهر أمـه الزكية

***

ويقول شاعر ولائي آخر:

عـــلـــة الـــچـــامـــنـــه بحشاي

لـــگـــيـــت الـــلـــي يداويها

دواهـــــــا بـــتربـــتـــك يحسين

روحــــــي وبــــيـــك أسليها

روحـــي بـيـش أسـلـيـهـا ورضـها

وفـقـدكـم نـحـل عـظـامـي ورضـها

إبـدمـاكـم كـربـلا ابـتـلـت ورضـها

الـسـبـب مـا تـبـل دمـعـي الغاضرية

النذر والإنذار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَنذِرْ عَشِـيرَتَكَ الأَقْرَبِيـنَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

في كل مناسـبة يرد فيها القرآن مدحاً أو تفضيلاً أو تخصيصـاً أو تشريفاً لمحمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم يسعى أعداؤهم لصرف الأنظار عن الوجه الحقيقي للآيات بإيراد وجوه للتفسير ما أنزل الله بها من سـلطان وهذه الآية المباركة من سورة الشعراء المكية النزول باعـتراف كل المفسرين ومنهم الزمخشري والطباطبائي من جملة الآيات التـي حاول الجمهور صرفها إلى غير وجهها الحقيقي، فقد عمد القوم أولاً إلى تعميم النداء والإنذار ليشمل قريش وكعب وقصي وعبد مناف وعبد المطلب، ثم شـملوا النسـاء بالأمر لتدخل أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة وفاطمة بنـت محمد وصفية بنت عبد المطلب، علماً بـأن النبي روحي فداه تزوج بحفصة وعائشـة في المدينة المنورة كـما أن تعميم الإنذار والنداء يتنـافى مع منطوق الآية عشـيرتك الأقربين، ولما يجد الآلوسي صاحـب تفسـير روح المعاني سـبيلاً لما يريد قـال لعل الإنذار تكرر من الرسـول ﷺ مرة في مكـة وأخرى في المدينـة، أما ماذكـره الثعلبي كما عن براء بن العازب والطبرسي عن أبي رافع والسيوطي عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال لما نزلت وأنذر عشـيرتك الأقربين دعا رسـول الله ﷺ بني عبد المطلـب وهـم إذ ذاك أربعون رجلاً وأمرني أن أصنع لهم فخذ شـاة وسـقاء لبن ثم جمعهم في الشـعب وقدم لهم الطعام والشراب وقام بعدها لينذر القوم فقال:

(١) سورة الشعراء : آيات ٢١٤ — ٢١٥ .

إن الله أمـرني أن أنذر عشـيرتي ورهطـي، وإن الله لم يبعث نبيـاً إلا جعل له مـن أهله أخاً ووزيراً ووصياً وخليفة في أهله فأيكـم يقوم فيبايعني على أنه أخـي ووارثي ووصي وخليفتي ويكون مني بمنزلة هارون من موسى.

فقال علي عليه السلام أنا يا رسـول الله قالها ثلاثاً ففـرح النبي بذلك وانزعـج أبو لهب وخرج مغضباً وهـو يقول لرسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبـاً لك ولمـا دعوتنا له ثـم إلتفـت إلى أبي طالب عليه السلام فقال له متهكماً إسـمع لابنك وأطعه فلقد أمره إبـن عمه عليك وعلينا. فأنـزل الله بعدها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم **﴿تبت يدا أبي لهبٍ وتب﴾**

والمستفاد من هذا الحدث القرآني الهام أمران مهمان نحاول في الحديث التركيز عليهما:

الأول: أن الأقربـون أولى بالمعـروف والتعاطـف الذي قد يظهره الإنسـان مـع أهل بيته وعشـيرته ومن يتودد إليه ومن يعـاشر من الأمور الطبيعيـة التي لا يجوز إنتقادها في السـلوك الإنسـاني، فما أن يصل أحدهم إلى مركـز مهم يمكنه فيـه تقديم شيء يذكر لأهلـه حتى تطاله الألسـن بالنقد والتجريح فـلان أعطى أهله فلان خَصَّص حزبه بالمراكز الحساسـة فلان حرمنا وأعطى الأقارب. أتـراك أيهـا الناقد والمجرح لـو حللت محل هذا المسـؤول أو ذاك سـتعطي الأبعد وتجفو الأقرب هذا مستحيل إذاً:

لا تـنـه عــن خــلــقٍ وتـــأتي مثله
عــــارٌ عـلـيـك إذا فـعـلـت عظيم

أما الأمر الثاني: فهـو الوليمة وإطعـام الطعام وهذا مـن كرم الأخلاق وطيب السـجايا ومهذب من مهذبات الطباع التي قد تكون في بعضنا شرسـة وعدائية، فلو دخلت في مصالحة بين متخاصمين وأولمـت لهم قبل الدخـول في تفاصيل النـزاع فلعل الجميع سـيخجل من رد شروطك في المصالحة وكما يقال في الأمثال الشعبية: «طعمي التم تستحي العين».

هذا مـن ناحية أمـا من الناحيـة الأخـرى فالولائـم بنظرنا مزرعة مـن مزارع المـودة بين قلوب الناس وأسـلوب جيد لإزالـة أجواء الاحتقـان بين الأغنيـاء والفقراء، إضافـة إلى أنها

وسيلة مهمة جداً لرفع الحرمان عن المحرومين من جهة وإشباع لروح التفاضل والفخر والاعتزاز لدى الأثرياء من جهة أخرى، ولعل في مناسبات شهر رمضان المبارك وذكريات عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام وسائر ذكريات الأئمة عليهم السلام وكذلك أسابيع أمواتنا فرصة عظيمة لإطعام الطعام، لعل الفقير الذي لا عهد له بالشبع يشبع ولعل من يتحسر على قطعة لحم لذيذة فيحرق بحسراته الأخضر واليابس ينعم بأكلة طيبة وتطفئ نار حسده للأغنياء، وبالأخص إذا تم تناول ذلك الطعام على مائدة ذكريات محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن الطعام حينذاك سيمتزج بأنوارهم ومودتهم وبحبهم الطاهر المطهر، فهم الذين ذكر القرآن الكريم إطعامهم الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً.

ولا يفوتني هنا أن ألتمس وأرجو من أخوتي المؤمنين:

أولاً عدم الإسراف في موائدهم العامة والخاصة إمتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿**وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ**﴾[1].

إحفظوا هذه النعم التي نحن فيها من الزوال، صدقوني إن نفايات وفضلات بعض الناس آلم من طعنة خنجر في قلب بعض الفقراء والمعدمين وأقرب ما تكون إلى سخط الله.

ثانياً: ينتقد البعض منا وبشكل جارح من يتوافد على المجالس العامة والخاصة لأجل الطعام، دون أخذ كرامات هؤلاء بالحسبان عفواً ضع نفسك في مكان أحدهم، ما هو شعورك إذا سمعت عبارة جارحة وأنت تدخل في مكان من هذه الأمكنة. لطفاً عوض هذا التجريح والنقد الهدام وطد علاقتك مع هذا الإنسان عش معه مشاكله ساعده على إيجاد حل لها ثم خذ بيده خطوة بخطوة نحو الأحسن والأفضل وإعلم بأن أئمتنا قالوا: من كسر مؤمناً أو مسلماً فعليه جبره، إعمل جهدك أن لا تشعر هذا الأخ المؤمن بالفوارق المادية والطبقية والاجتماعية التي بينك وبينه، وتذكر جوع يوم القيامة وعطشه. لا تكن كالذين حرموا آل محمد صلوات الله عليهم يوم عاشوراء من الطعام والشراب، وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعرف جيداً

(١) سورة الأحزاب آية ٣١.

من هم. إنهم الذيـن أطعمنا الله لأجلهم من جوع وآمننا بهم من خـوف نقل لي أحد أصدقائنا الخطباء عـن كتاب ناسـخ التواريـخ للعلامة شـيخ عبـاس القمي طاب ثـراه، أن رجـلاً زار النبي ﷺ وكان معه بنت عجز الأطباء عن علاجها، فالتمس من النبي شفاءها. فأشار النبي إلى ولده الحسـين عليه السلام قال له بني إمسـح على رأسـها واطلب من الله بحقك شفاءها، ففعل الحسين عليه السلام ذلك فقام الرجل وقد شفيت إبنته في الحال فأراد أن يقدم هدية مناسبة لرسول الله ﷺ فقال لـه النبي وفـر هديتك هذه ولكـن إذا مر بـك ذات يوم سـبي لآل محمد ﷺ فاصنع لهم طعاماً وقل هـذا نذر عليَّ، قـال الرجل وهل يسـبى آلك يا رسـول الله يا رحمة الله على العالمين، قال نعم، ولما مروا بسبايا الحسـين عليه السلام على المضارب التي يسكنها هذا الرجل نظرت إبنته إلى رأس الحسـين عليه السلام فعرفته فأسرعـت وعملت الطعام ثم جـاءت إلى الإمام زين العابدين وعمته الحوراء زينب جبل الصبر الأشـم والتمسـت منهم الاسـتضافة فالتفت إليها الحوراء سـائلة عن أمر هذا الطعـام فحكت لها حكايـة النذر وما كان من شـفائها ببركة الإمام الحسـين عليه السلام ولما جلس الجميع إلى الطعام كأني بأطفال الحسـين ينظـرون إلى عمتهم متى تأذن لهـم بالأكل لأنهـا عندما دخلوا الكوفـة وقدمت النسـاء الكوفيات التمـر والزبيب للأطفال أخذته من أيديهم وإستخرجته من أفواههم لأن الصدقة حرام على محمد وآله:

تتصدق السوادم علينه
وعطايا الخلگ كلها إمن إيدينه
ما خاب ظنه اليعتنينه
يظل كل سنة يروح وتجينه
وسافة الزمن هالخان بينه
ولينه إنذبح وإحنه إنسبينه
هذه زينب ومن قبل كانت
بفنا دارها تحط الرحال

أمســـت الـيــوم والـيــتـامــى عليها

يــا لـقــومــي تــصـــدق الأنذال

موائد السماء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾(١).

الرزق رزقان، رزق تطلبه ورزق يطلبك أو حسب المفهوم القرآني رزق من حيث تحتسب ورزق من حيث لا تتوقع ولا تحتسب وكل الرزق من عند الله فهو الرزاق ذو القوة المتين، ولقد كانت مسألة الرزق منذ القدم من المسائل التي يلح الإنسان عليها إلحاحاً قد يوصله أحياناً إلى الكفر من حيث يعلم أو لا يعلم، وما أجمل ما تمثل به أبو عبد الله الحسين عليه السلام في هذا المجال حيث يقول:

وإن تكن الأرزاق قسماً مقدراً

فقلة حرص المرء في السعي أجمل

لا يقول لا تسعى لطلب الرزق، ولكن يقول خفف الحرص فالأرزاق مقدرة مقسومة لا تجعل كل همك الدنيا بل حاول أن تكون متوازناً في سعيك،

فاعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً

وإعمل لآخرتك كأنك تموت غدا

حاول أن تكون تقياً في حياتك فالتقوى مجلبة للرزق فالله يقول: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ**

---

(١) سورة آل عمران: آية ٣٧.

جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾[1]. لنعمل جاهدين على تحصيل أفضل الأرزاق نوعاً لا كماً فكل شيء نفكر في زيادة كمه نخسر نوعه ولدينا ألف شاهد وشاهد على ما نقول.

أبسط مثال لاحظوا آثار الأسمدة الكيمياوية على المنتوجات الزراعية، زاد الإنتاج كماً وتردى نوعاً هذا بالإضافة إلى مضار المواد على الإنسان والبيئة، ولعل القليل من الرزق الحلال أفضل بكثير من الملايين التي يكسبها الكثيرون من الحرام، ولا أبالغ لو قلت بأن أكثرنا في هذه الأيام لا يبالي ولا يعتني بمصدر رزقه المهم أن نرقى بسرعة إلى مصاف الأغنياء، يحضرني في هذه الباب قصة لطيفة وهي أن أحد الشعوب في قديم الزمان وصل بتقواه درجة الدعاء المستجاب أي أنه إذا أقسم على الله أن يزيل جبلاً من محله لفعل وكان عليهم ملك يخاف دعوتهم، فأستشار أحد مشارويه قائلاً ماذا أفعل لكي تصبح دعوات شعبي غير مستجابة؟ قال أطعمهم مال الحرام.

فاحتال عليهم بأن طلب منهم أن يقدموا له بيضة واحدة وجمع البيض كله في باحة قصره، وفي يوم التالي طلب منهم أن يستردوا البيض فهو قد إكتفى بما لديه من بيض دجاجات القصر، فأخذ الناس هداياهم وإختلط الحابل بالنابل كما يقال ودخل الحرام بطونهم ففرض عليهم الضرائب فرفعوا أيديهم للدعاء فلم يستجب الله لهم.

أيها المؤمنون دققوا في مصادر أرزاقكم وإجهدوا في طلب الحلال واجتناب الحرام ولو كلفكم الكثير. العذراء مريم ابنة عمران هذه المصفاة الطاهرة كفلها نبي الله زكريا عليه السلام ورباها أفضل تربية بشهادة القرآن وكانت في بيته تعبد ربها وقد بنى لها محراباً خاصاً للتعبد، لا يدخل عليها غيره وكان إذا خرج من عنده أغلق عليها سبعة أبواب، وعندما يعود إليها كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف وهذا الأمر بعينه كرامة من الكرامات الإلهية التي خص الله بها الصديقة الطاهرة والبتول مريم ابنة عمران عليها السلام، فكان السؤال من زكريا عليه السلام والجواب من مريم عليها السلام:

---

(١) سورة الطلاق: آيات ٢ – ٣.

أولاً: إنه من عند الله.

ثانياً: إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

وما جرى لآل عمران عليهم السلام جرى لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد ذكر العياشي في تفسيره عن الإمام الباقر عليه السلام كما ذكره الزمخشري والبيضاوي أن علياً عليه السلام دخل بيته يوماً وقال يا فاطمة هل عندك شيء نأكله قالت لا والذي عظم حقك منذ ٣ أيام، قال لم لم تخبريني قالت لقد نهاني أبي أن أسألك شيئاً، فخرج في الحر عند الظهر فاقترض ديناراً من أحد أصحابه ثم جاء وإذا به يلتقي المقداد فقال له ما أخرجك في هذه الساعة قال الذي أخرجك فقال له علي عليه السلام لقد إقترضت ديناراً وأنا أؤثرك به على نفسي فأعطاه إياه وعاد لبيته وإذا فاطمة روحي فداها تصلي ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس وبينهما خوان مغطى فلما فرغت فاطمة عليها السلام من صلاتها رفع علي عليه السلام الغطاء من على الخوان وإذا خبز ولحم حار والبخار يتصاعد منه فقال لها يا فاطمة أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال النبي روحي فداه الحمد لله الذي أعطاك ما أعطى مريم ابنة عمران عليها السلام وبقي أهل البيت يأكلون من تلك الجفنة شهراً وهي على حالها، أقول يا ليت هذه الجفنة نزلت على عيال أبي عبد الله الحسين عليه السلام في كربلاء يوم عاشوراء بعد أن منع عنهم جيش يزيد الماء والطعام ثلاث ليال فأخذت النساء والأطفال حالة من الضعف وعلت صرخاتهم في الخيام ولم تنفرج عنهم الشدة إلا بعد مقتل أبي عبد الله عليه السلام إذ جاؤوا بالماء والتمر لأيتام الحسين عليه السلام وحريمه، أخذ الأطفال ينظرون إلى الماء والطعام تارة وإلى الحوراء أخرى، كيف يشربون وقد ذبح الحسين عطشاناً كيف يأكلون والصدقة حرام على محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكأني بالحوراء تتلوى على متونها سياط شمر وزجر وعلى قلبها سياط الشماتة واللوعة وكأنها وقفت تنادي واجداه وامحمداه

يا جد من ثكلي وعظم مصيبتي

ولما أعانيه أقوم وأقعد

يـــا جـــد إن الـكـلـب يـــشرب آمنا

ريـــا ونـــحـــن عـــن الـــفـــرات نطرد

يـــا جـــد قـــد مـنـعـوا الـفـــرات وقتلوا

عـطـشـاً فـكـان مـن الـدمـاء المورد

***

اشلـون أشـدب لذيذ المـاي حاشه

وأهـلـي كـصنـوا كلـهم عطاشى

وحسيـن الـتـرب أمـسـى فراشه.

الى متى تظلمون الحسين «ع»

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ﴾[1].

العذاب الرباني للأمم السالفة التي عصت أمر الله تمظهر بعدة مظاهر وقد حدثنا القرآن الكريم عن قوم مسخوا قردة وكلاب وخنازير وأقوام أغرقهم الطوفان وقلبت مدنهم الزلازل ودمرتهم الرياح العاصفة وغير ذلك من أنواع العذاب.

ومن جملة الآيات التي تحدثنا عن أنواع متعددة من العذاب المسبوق بالوعد والمبرمج حسب المصطلح العصري، الآية موضوع بحثنا والتي تتحدث عما أصاب الأقباط بمصر في عهد نبوة نبي الله موسى عليه السلام وفي زمن طغاة عصره هامان وفرعون.

لما آمن السحرة بموسى ورب موسى عليه السلام إنقسمت الأمة إلى معسكرين موسى ومن آمن معه من بني إسرائيل مقابل فرعون وهامان وكفار بني إسرائيل، ودار الصراع والتحدي وبدأت حرب التصفية، موسى وبني إسرائيل تعاضدهم الإرادة الإلهية مقابل فرعون وهامان والجمهور الكافر المعتمد على الأسباب المادية، حاصروا موسى وقومه وحبسوهم كما فعل المشركون برسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحاصروه في شعب أبي طالب عليه السلام، أما نبي الله موسى عليه السلام فقد إعتمد على المدد الإلهي والعون الرباني وهدد فرعون وقومه بالطوفان أولاً ففاض الماء ودخل بيوت القوم وخرب دورهم حتى خرجوا إلى الصحراء وضربوا فيها

(١) سورة الأعراف: آية ١٣٣.

الخيام، ولم يدخل بيوت قوم موسى قطرة من الماء.

فابتدؤوا يتوسلون بموسى ليدعو الله برفع العذاب عنهم ووعدوه بالإيمان وبإطلاق سراح قومه، فدعى ربه فرفع الله عنهم العذاب الذي كانت مدته حسب الروايات أسبوع واحد من السبت إلى السبت، فلما إرتفع العذاب لم يؤمن فرعون وقومه وعادوا إلى إيذاء موسى عليه السلام وقومه، فعاد موسى إلى سلاح الدعاء فأنزل الله عليهم في السنة الثانية في الشهر الثاني الجراد الذي سرعان ما أكل زروعهم وأشجارهم وحتى شعورهم ولحاهم وثيابهم ودمرت معيشتهم تدميرا، وكذلك لم تدخل ولا جرادة واحدة بيوت موسى عليه السلام وقومه، فعج القوم وجزعوا وتوسلوا بموسى، وقال فرعون يا موسى إدع لنا ربك أن يكشف عنا الجراد حتى أخلي عن بني إسرائيل فدعى موسى ربه فكشف عنهم الجراد وكانت مدة العذاب كذلك من السبت إلى السبت، فخرج موسى وأشار بعصاه شرقاً وغرباً فرجعت الجراد من حيث أتت حتى كأنها لم تكن قط، وكذلك أصر فرعون وهامان وحزبهما على الكفر والطغيان.

ثم أنزل الله عليهم في السنة الثالثة وفي الشهر الثالث القمل فكان القمل يدخل بين ثيابهم فيعضهم وكان أحدهم إذا أكل الطعام يمتلئ الطعام قملاً ولزم القمل جلودهم كالجدري ومنعهم النوم والقرار وأقام عندهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فصاحوا وتوسلوا بموسى ووعدوه الإيمان والإفراج عنه وعن قومه فما إن دعى لهم ورفع الله عنهم العذاب حتى صاروا أشد كفراً وعناداً.

ثم أنزل الله عليهم في السنة الرابعة وفي الشهر الرابع الضفادع فكانت في طعامهم وشرابهم وإمتلأت بيوتهم وثيابهم وقدورهم وإذا أراد أحدهم أن يتكلم أو يأكل أو يشرب كان الضفدع يقفز في فمه، أقامت معهم على هذا الحال سبعة أيام فعادوا إلى موسى عليه السلام يتوسلون ليرفع الله عنهم العذاب، وكذلك عندما رفع الله عنهم العذاب كانوا أشد كفراً وطغياناً.

فلما كانت السنة الخامسة وفي الشهر الخامس أرسل الله عليهم الدم فسال النيل دماً، وكلما جاء القبطي ليشرب منه صار دماً أما موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه فكانوا يرونه ماءً ويشربونه حتى صار القبطي يتوسل بقوم موسى أن يشرب الماء ويمجه في فمه فكان بمجرد وصول الماء من فم الموسوي إلى فم القبطي الفرعوني ينقلب إلى دم عبيط. مما إضطر فرعون إلى مضغ الأشجار الرطبة وحتى هذه لم تنفعه فكان ماؤها يصير دماً في فمه، وبقي الحال على هذه سبعة أيام من السبت إلى السبت، فعاد فرعون إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يتوسل لرفع هذا العذاب عنه وعن قومه، فدعى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فرفع الله عنهم العذاب ولكن مع كل هذا لم يرضخ فرعون وقومه للإرادة الإلهية وكفروا بموسى ورب موسى ومبادئ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وفي السنة التالية أرسل الله عليهم الرجز الذي هو الثلج فلم يزدادوا إلا طغياناً وكفرا.

وما زال اليهود الصهاينة إلى يومنا هذا يعيشون نفس الأخلاقية والسلوك يتمسكنون عندما يغلبون ويتمردون ويتجبرون عندما يبطشون، أما أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فالذي جرأها على الظلم والعصيان أن الله قد أجل عقابهم إلى يوم القيامة لوجود نبي الرحمة بينهم ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾(١).

ولولا ذلك فإن الجنايات والمظالم التي إرتكبتها الأمة بحق محمد وآل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تستحق عليها كل أنواع العذاب دفعة واحدة إن الذي يقابل الإحسان بالإساءة والحب بالبغضاء والعداوة لا يستحق الحياة، لقد قابل المشركون المبعوث رحمة للعالمين بالغلظة والجفاء وحاولوا قتله مراراً وتكراراً وكان بلطفه وسعة صدره يقابله بالعفو مع المقدرة، حتى عندما أمكنه الله منهم في فتح مكة وطار سعد بن عبادة يتهددهم مرتجزاً

اليوم يوم الملحمة

اليوم تسبى الحرمة

فأرسل خلفه علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال له خذ منه الراية وغير الشعار فتقدم أبو الأرامل واليتامى

---

(١) سورة الأنفال: آية ٣٣

ينادي:

اليـــــوم يــــــوم المرحمة

اليـــــوم صـــــون الحرمة

ولما دخل رسول الله ﷺ وأحاط بالقوم خاطبهم قائلاً ما تظنون إني فاعل بكم، قالوا أخ كريم وإبن أخٍ كريم.

قال: إذهبوا فأنتم الطلقاء،

أتدرون كيف فعل أبناء الطلقاء بأبناء رسول الله ﷺ يوم عاشوراء لقد ذبحوا شيبهم وشبابهم حتى الطفل الرضيع أحرقوا خيامهم نهبوا رحلهم أسروا نساءهم منعوهم شرب الماء ربطوهم إلى بطون النياق بالحبال والسلاسل حتى دعت عليهم عقيلة الطالبيين زينب بالويل والثبور وإستمطرت السماء عليهم دماً فذهل القوم لما رؤوا ذلك فانبرت لهم إبنة علي بن أبي طالب قائلة:

أفعجبتم أن مطرقت السماء دماً ولعذاب الآخرة أعظم لو كنتم تعلمون، نعم لقد أمطرت السماء دماً يوم عاشوراء ولعل تلك الدماء كانت دموع ملائكة السماء على مصيبة أبي عبد الله كما أن الأرض تفجرت بالدماء وذكر أرباب التواريخ والسير أنه كلما قلبوا حجراً من على وجه الأرض وجدوا تحته دماً عبيطاً.

وشـــاطـــرت الأرض الســـماء بشجوها

فـــواحـــدة تـــنـــعـــي وأخـــــرى تعدد

لابـــــن طـــه لـــبـــســـت ثـــــوب شجوني

لـــشـــجـــونـــي بـــيـــن الـــمـــلا جهلوني

قـــلـــت لـــلـــنـــاظـــريـــن إن تنكروني

أنـــــا در مــــن الـــســـمـــا نثروني

يوم تزويج والد السبطين

***

كــنــت مــن جــوهــر ولا إعراضا

ومـكــانــي الــسـمـا ولـيـس إنخفاضا

لــكــن الحــمــرة أتــتــنــي إعتراضا

كــنــت أنــقــى مــن الــلـجـيـن بياضا

صبغتني دماء نحر الحسين

***

آنــة الــلــي تــعــرف الــنــاس وصفه

الــجــمــال بهيبتي يــزدهــر وصفه

أنــصــع مــن الــفــضــة جنــت وصفه

صــبــغــنــي دم نــحــر شــبــل الزكية

***

**

*

آداب البيوت

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتَ النّبِيّ إِلاّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[1].

موضوع الآية الكريمة من مواضيع الآداب العامة التي أصبحنا لا نبالي بها وتجاهلنا أهميتها، وقد ارتأينا إثارته إظهاراً لخطورته ودعوة منا للتخلق بأخلاق الإسلام وعودة لأصالتنا التي نحن بأمس الحاجة لها اليوم.

البيت هو المأوى الذي نأوي إليه ونبات فيه وننزل ونسكن ونداري فهو المنزل والمسكن والدار، وللبيت الذي نعمّره بتعب السنين وشقاء العمر وموروث الآباء والأجداد من سمعة وشرف، حُرمة وقداسة وكرامة يجب المحافظة عليها بكل ما نملك من قوة، ولهذا البيت وجود مادي هو جدرانه وأبوابه وغرفه وأثاثه وحدائقه وغير ذلك كما أن له وجود معنوي هو حَرمه وأمنه وسُمعته وكرامته، ولا تقل عملية الاعتداء على إحدى مقدسات وجوده المعنوي عن عملية سرقة أو هدم أي موجود من موجوداته المادية.

ومما يؤسف له في عصرنا الحالي أن نرى البعض منا يستميت في الدفاع عن موجوداته المادية التي يتملك ولا يندفع بنسبة عشرة بالمائة للدفاع عن موجوداته المعنوية التي هي حتماً أغلى بكثير من الماديات التي يمكن تعويضها في الوقت الذي لا يمكن تعويض أي نقصٍ معنوي يلحقه.

لقد شرع الإسلام التشريعات التي تحفظ بيوتنا وحسب الأولويات وهذه الآية المباركة

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٥٣.

إحدى الأسس التي يجب مراعاتها، الخطاب هنا أولاً للمؤمنين والأمر من الحق أن لا ندخل بيوت النبي إلا بعد الاستئذان. والاستئذان يكون بطرق الباب أو الجرس وبهدوءٍ ومراعاةٍ لمن في الدار وكذلك جيران الدار لا أن نقف وسط الطريق ونصرخ بأعلى الأصوات أو نضرب بقوة على الباب أو الشباك فنزعج الطفل النائم والرجل المريض والمرأة التي غالباً ما تكون غير مستعدة لاستقبال الضيوف، كذلك من الآداب التي يجب مراعاتها عدم دخول الرجال لبيت ليس فيه رجل، على العكس مما نرى أحياناً يدخل الرجل غير المحرم على نساء غير محرمات عليه ويدور السمر والمفاكهة، وصاحب الدار غافل أو غير موجود وكلكم يعلم «**ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما**».

من منا بمقدوره أن يمنع نظر الخيانة في مثل هذه الحالات ومن بإمكانه أن يوقف تأثير طريقة كلام المرأة مع الرجل، لعلنا نقوم بهذه الأمور لا عن قصد ولكن المشكلة أننا لا نقدر أن نحصر الآثار والنتائج المترتبة على ذلك. أحد أصحاب الإمام الباقر عليه السلام يقول: «كنت أُدرِّس إمرأة القرآن، فمازحتها، ولما قدمت على أبي جعفر عليه السلام قال لي: أي شيءٍ قلت للمرأة فغطيت وجهي، فقال لا تعودن إليها».

ولنعم ما ورد عن كريم آل طي حاتم الطائي حيث يقول:

ناري ونار الجار واحدة
وإليه قبلي ينزل القدر
أعمى إذا ما جارتي برزت
حتى يواري جارتي الخدر

ولقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجار وحقوقه حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجار حتى قلنا سيورثه، نعم جارك ثم جارك ثم جارك ثم أخاك.. راعي مشاعره شاركه أفراحه وأحزانه إحفظ شرفه كما تحفظ شرفك إياك أن تحسده إن وفقه الله لشيء ولا ضرر في الغبطة وكما أن لبيتك حقوق وحدود يجب أن تحفظ وترعى فإن لبيت

جارك حقوق يجب أن تراعى، ولكل بيت حرمة خاصة فبيوت العلم لها حرمتها في كل دول العالم، الحرم الجامعي مصان وفق كل القوانين والأعراف فلا يجوز أن يقتحم من قبل الجيش أو الشرطة كما لا يجوز أن يدنس بالموبقات، لا يجوز أن تصبح الجامعات العلمية دوراً لعرض الأزياء والموضة»

وكذلك بيوت العبادة لها حرمتها وقداستها التي لا يجوز أن تنتهك بأي شكلٍ من الأشكال.

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[1]. لقد حدد الشارع المقدس حتى المواصفات الهندسية لهذه البيوت فحبب فيها البساطة وعدم تكثير الشرفات ومنع البذخ والإسراف على زخارف الشكل، وتوجيه العناية على المضمون والنية وطهارة المورد المالي وورع وإجتهاد إمام المسجد، ومما يؤسف له اليوم إنقلاب الكثير من بيوت العبادة إلى حلبات للصراع الشخصي والسياسي ومعارض للصور والبوسترات، مسجد الرسول ﷺ في المدينة الصحيح المواصفات أنتج ملايين المسلمين أجيالاً وأمماً تؤمن بالله ورسوله قولاً وعملاً ودور العبادة اليوم لا تنتج ولو مؤمن (نص كم)، لنعيد النظر في مواصفاتها ونحاول أن تكون إنتاجية لا إستهلاكية. لتكن مساجدنا حسينياتنا كنائسنا مجالسنا مزارع محبة مصانع إنسانية منابع أخلاق مناهل معرفة مشاتل إيثار، إن الاستهانة بصغائر الأمور سيجرنا إلى إرتكاب الكبائر وإحترام الآخرين ملكة أخلاقية تنمو وتتوسع آفاق الاستفادة منها، فمن يتدرب من طفولته على إحترام عش العصفور فإنه في الكبر سيحترم بيوت الناس وعقائدها ومقدساتها، وسيحفظ حرمة بيوت الله وبهذا سيحفظ بيته هو، وكما قيل إذا كان بيتك من زجاج فلا ترمي الناس بالحجارة.

أما الذي هانت عليه حرمة بيته فسيجرؤ على انتهاك حرمة أطهر وأقدس البيوت، وفي التاريخ نماذج كثيرة للذين لم يحترموا البيوت المقدسة لأنهم لم ينشؤوا في بيوت محترمة تعلمهم

---

(١) سورة النور: آية ٣٦.

الاحترام لذا يقال عن السفلة من الناس أبناء الشوارع، من هؤلاء إبرهة الحبشي الذي هجم على الكعبة بأفياله وعساكره فأمطره الله بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول، من هؤلاء الذين كانوا يؤذون رسول الله ﷺ بدخول بيته دون إذن ويطيلون المكث فيها وهو الغيور على عرضه وشرفه، من هؤلاء الذين هجموا على دار إبنته فاطمة وفعلوا ما يندى له جبين الإنسانية. من هؤلاء يزيد بن معاوية الذي رمى الكعبة بالمنجنيق فأحرقها وقتل سيد شباب أهل الجنة الذي حفظ حرمة بيت الله وخرج منه يوم التروية لكي لا يقتل هو متعلق بأستار الكعبة كما طلب يزيد من واليه على مكة.

وأعظم إنتهاك لحرمة البيوت التي أوجب الله علينا إحترامها كان يوم عاشوراء وبعد أن قتل الإمام الحسين عليه السلام وقف عمر بن سعد ينادي عليَّ بالنار لأحرق بيوت الظالمين ثم أحرق الخيام التي خرج من تحتها بنات رسول الله ﷺ وأطفال الحسين والكل ينادي واجداه وامحمداه، واحسيناه

فرن واحدة تندب ولدها

أو وحدة تندب إخوتها وسعدها

أو وحدة للولي تخمش ابخدها

أو وحدة اتصيح يا عمي المشكر

وحائرات أطار القوم أعينها

رعباً غداة عليها خدرها هجموا

***

اليوم الثاني عشر

بسم اللَّه الرحمن الرحيم: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[1]

حوارية رائعة بين نبي سخَّر اللَّه له الرياح وعلَّمه منطق الطير وسائر البهائم وأخدمه الجن الذين يقف أحدهم بين يديه ليبدي لسليمان عليه السلام عرضاً لِقوّتِه وأمانته، لقد جاء الهُدهُد بتفاصيل ما يجري في اليمن حيث انهم سلّموا مقاليد أُمورهم لملكة تدعى بلقيس التي كانت وقومها يعبدون الشمس من دون اللَّه وهنا عرض هذا الجنّيُّ خدماته وقال يا نبي اللَّه أنا بعون اللَّه قادر على أن آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مقامك، كم لحظة يستغرق وقوفك على قدميك إن كنت جالساً، أو كم دقيقة أو ساعة يستغرق المجلس الواحد، أما آصف بن برخيا الذي كان عنده علمٌ من الكتاب يعني حرفاً واحداً من الحروف الثلاثة والسبعين التي تكون الاسم الأعظم فقد قدَّم عرضاً أفضل وأسرع حيث قال: **﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾** يعني برمشة عين، لقد قدَّما عروضهما بفخر وإعتزاز ولم أجد في تفاسير الفريقين من يضع العصي بين الدواليب كما هو ديدنهم إن مروّا بكرامة لمحمدٍ وآل محمدٍ صلوات اللَّه عليهم أجمعين

إن الذي صار بلمحة بصر هو أن آصف بن برخيا وصيَّ سليمان عليهما السلام إستفاد من قوة حرفٍ واحد من حروف الاسم الأعظم فانفتحت الأرض له ما بين القدس وسبأ وإذا عرش بلقيس بين يدي نبيِّ اللَّه سليمان عليه السلام ينظر إليه ماذا تسمّون هذه المعجزة التي أجراها اللَّه على يد وصي نبي وأثبتها القرآن، أين أصوات المعقول والغير معقول وأين دعاة المنطق

(١) سورة النمل: ٣٩.

الرياضي والعلمي والحوار الحضاري الذي تنتفخ أوداجهم إن ذكرنا معجزة من هذا القبيل أجراها اللَّه على يد خزان علمه وتراجمة وحيه وعدل كتابه نبيُّنا محمَّد ﷺ هل من شكٍّ إنه أفضل الأنبياء؟ وأوصياءه أفضل الأوصياء؟ لا تغص ولا تتلعثم واجب بنعم أو لا !!!

ما نريد تأكيده من خلال التدبر في هذه الآية الكريمة التي تؤكد قدرة بعض عباد اللَّه خرق المألوف والإتيان بالمعجز الذي يعجز عنه الآخرون وذلك بفضل اللَّه عليهم، فهذا عفريت من الجن يفعل هذا الفعل العظيم ويفخر بقوته وأمانته وذاك آصف بن برخيا وهو عبدٌ من عباد اللَّه الصالحين ووصيٌّ نبيٍّوقد مكّنه اللَّه من جلب عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين بلمح البصر، وليس هذا الأمر في عصرنا هذا بمقدور التكنولوجيا الحديثة ولا أسرع الأقمار الصناعية، إذاً علينا أن نقر بمايلي على ضوء هذه الآية الكريمة:

١. ان المعجزة والكرامة والمنقبة تتحقق متى ما اقتضت إرادة اللَّه جلَّ وعلا ذلك بحيث تكون عاملاً أساسياً لنجاح عمل النبيِّ أو الوصيِّ الذي يتوقف في تلك اللحظة على المدد الغيبي، كإنفلاق البحر لموسى عليه السلام في اللحظة التي أدرك فيها فرعون وجيشه الجرَّار موسى ومن معه وهنا أصبح من الضروري حصول المعجزة.

٢. إن توجه العبد الخالص والصادق إلى ربه تمكنه من بلوغ الدعوة المستجابة وإن كان الطلب في الظروف الاعتيادية مستحيلاً، كطلب زكريا عليه السلام الولد الرضيّ ﴿**وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً**﴾[١] وقد ورد في الحديث القدسي قوله عزَّ من قائل: «عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون» .

---

(١) سورة مريم: ٤.

٣. من المسلمات الأكيدة لدى كل المسلمين ان أفضل وأشرف خلق خلقه اللّه هو نبينا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وآله خير آل وهم دون ريب أقرب إلى اللّه من آصف بن برخيا عليه السلام ومن ذلك العفريت من الجن، وهو وأوصياؤه يحملون أسرار الاسم الأعظم وقد صحَّ عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «لو كشف الغطاء ما إزددت يقينا» فلا عجب إن مكنهم اللّه بفضله من هذه المواهب والكرامات والمعاجز.

٤. إن الإمام المعصوم إذا توّفاه الأجل لا يلي أمره إلّا وصيه الإمام المعصوم وإن كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب، وتجهيز الميت والصلاة عليه وتشييعه وتعجيل دفنه يعتبر من قبيل إكرامه، ولقد تولّى أميرُ المؤمنين عليه السلام بيديه الطاهرتين تغسيل وتجهيز وتحنيط جسد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وصلَّى على جنازته وتوّلى دفنه وكذلك فانه توّلى تغسيل جسد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، وحضر كما نقل لنا أهل الأخبار والسير بطريق الإعجاز من المدينة المنورةالى المدائن لتجهيز جثمان الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه ودفنه وقد ذكر ذلك الشفهيني الحلي في لاميتّه المشهورة:

وبليلةٍ نحو المدائن قاصداً

فيها لسلمان بعثت مغسّلا

وعلوت من فوق البساط مخاطباً

أهل الرقيم فكلّموك معجّلا

أمخاطب الذؤبان في فلواتها

ومكلّم الأموات في رمس البلا

يـالـيـت في الأحــيــاء شخصك حاضرٌ

وحـسـيـن مـطـروحٌ بـعـرصـة كربلا

عـــريـــان يـكـســوه الـصـعـيـد ملابساً

أفـديـه مـسـلـوب الـــرداء مسربلا

إن الذي حفزني لهذا الموضوع هو إغفـال بعض المؤرخين ذكر مصيبـة اليوم الثالث عشر من المحرم وإكتفى بعضهم بالقول ان بعض الأعراب من حي بني أسـد هم الذين تولوا دفن الجثث الطواهر الزواكي.

مع العلم إن الإمام الرضا عليه السلام حال إحتضاره أوصى بوصيته الظاهرية لصاحبه الوفي أبو الصلت الهروي وكان مـن جملة ما أوصاه الامتثال لأوامر ولده الإمام الجواد الذي سـيأتي من المدينة إلى خراسـان لدفن جنازته فقـال أبو الصلت للإمام الرضا عليه السلام سـيدي ما الذي سـيأتي بولدك من المدينـة المنورة؟ فقـال له الرضـا عليه السلام الذي جـاء بزيـن العابدين عليه السلام من الكوفـة إلى كربلاء لدفن جدي الحسـين عليه السلام. طبعاً لأن الـضرورة تقتضي حصول هذه المعجزة وبلمح البصر.

جثث تصهرها أشـعة الشـمس منـذ ثلاثة أيام وقـد وزعتها السـيوف وطحنتهـا الخيول بحوافرهـا والقوم فصلـوا الرؤوس عـن الأبدان وسرّحـوا بهـا إلى الكوفة ثم إلى الشـام، من سيساعد بني أسد في التعرّف على الاشلاء الموزعة والأبدان المقطعة، إنه زين العابدين عليه السلام الأسـيرُ المصفَّدُ بالأغلال والذي ربطتـه الجامعـة إلى بطن الناقة وهـو بحالة صحيّـة يرثى لها ولا تسـلني عن جراح قلبه وما يكابده من شـماتة الأعداء والنظر إلى أخواته وعمّاته المسـبيات المسـلبات وصل كربلاء فوجد قوماً من بني أسـد في حيرة من أمرهم وقد سيطر الفزع عليهم وبعد أن عرَّفهم بنفسه بدأ معهم بتجميع أوصال الشـهداء ثم أمرهم بحفر حفرة كبيرة جمعوا فيها أنصار الحسـين عليه السلام إلا حبيب أفرد له قبراً خاصاً ثم أمر بحفرة أُخرى جمع فيها إخوته وأبناء عمومته فتيان بني هاشـم ثم إنحنى وأزاح التراب عن قبر محفـور ولحدٍ ملحود، حاول

بنو أسد رفع جثمان الحسين عليه السلام فلم يتمكنوا من رفع ثقل الإمامة فصاح الإمام إئتوني بحصيرة فجاؤه بها فوضع الجسد الممزق عليها ثم حمله وأنزله في ملحودة قبره ودموعه الساخنة تنادي وا أبتاه وا حسيناه وا جدّاه وا محمداه ثم وضع فمة الطاهر على أوداجه القطيعة ونحره المنحور يقبله وهو يقول أبه يا حسين في أمان اللّه أما الدنيا فبعدك مظلمة وأما الآخرة فبنور وجهك مشرقة، أما حزني فسرمد وليلي فمسهد حتى يختار اللّه لي دارك التي بها مقيم؟

يبويه الصار بيه ماجره إبناس شفتك عالثرة وبالخيل تنداس
تالي الوكت وسدتك بلاراس جسد واحد يصير بوسط گبرين

ثم نادى هل بقي جثمان لم نواريه؟

قالوا بطلٌ على المسناة. قال هلموا فهذا عميّ العباس.

وبعد أن أتمَّ الدفن ودّعهم وعاد وإذا بالحوراء تستقبله بالعربا قائلة يا ابن أخي أين كنت وما هذا التراب الذي يعلوك قال لها عمة: الآن عدت من دفن والدي وأهل بيته وأنصاره فصاحت واجداه وامحمداه وا أبتاه واعلياه واعماه وا حمزتاه وا شهيدا وا حسيناه.

گعد على درب الضعون وأسايل اليرحون ويجون
كلمن لها غيّاب يلفون وأنا غايبي بالّلحد مدفون

***

إطعام الطعام وجوع الفقراء

بسم اللَّه الرحمن الرحيم: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾(١)

يدور نقاش حاد بين المفسرين حول دافع الحواريين من طلب المائدة هل كان الجوع أم عدم اليقين وهل كان التحدي لقدرة اللَّه أم لقدرة عيسى ونحن نرى عدم جدوى البحث في مقدمات هذه المائدة الربانية بل نبدأ حيث بدأت الآية روح اللَّه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يتضرع إلى اللَّه ودموعه تجري على خدّيه طالباً منه مائدة طعام بمواصفات خاصة وهي كما ورد في التفاسير عن عالم الصحابة سلمان المحمدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سفرة حمراء بين غمامتين مرفوعة بسلاسل من ذهب عليها تسعة مناسف كبيرة في كل واحد منها سمكة كبيرة مشوية ودون فلوس تسيل سيلاً من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل حولها من أنواع البقول عدا الكرّاث وخمسة أرغفة على الأول منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يبكي عندما صارت بين أيديهم اللَّهم إجعلني من الشاكرين اللَّهم إجعلها رحمة ولا تجعلها فتنة وعقوبة وقال ليقم أحسنكم عملاً يكشف عنها ويذكر اسم اللَّه عليها ويأكل منها، فقال له شمعون الصفا رأس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وتوضأ وصلى [لعلها صلاة شكر على النعمة] وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم اللَّه خير الرازقين، فسأله شمعون قائلاً يا روح اللَّه أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فأجاب عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة لكنه شيء إفتعله

(١) سورة المائدة: ١١٤.

اللّـه بالقدرة الغالبة كلوا ما سألتم يمددكم ويرزقكم من فضله. فقال الحواريون يا روح اللّـه لو أريتنا مـن هذه الآية اليـوم آية اخرى. فقال عيسـى يا سـمكة إحيي بأمر اللّـه فاضطربت السمكة وعاد عليها فلسها وشـوكها فخافوا وهربوا فقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مالكم تسألون أشياءً إذا أُعطيتموها كرهتموها، ما أخوفني عليكم أن تعذبوا، يا سـمكه عودي كما كنت بإذن اللّـه فعادت فقالوا له كُل منها أولاً قال بل يأكل من سـألها فخافوا فدعى لهـا ألف وثلاثمائة رجل وإمرأة من المرضى المزمنين فأكلوا جميعاً وشفوا وتجشأوا والطعام كما هو، طارت وهم ينظرون إليها حتى تـوارت وتزاحموا عليها في اليـوم الثاني حيث إسـتمرت على هذا الحـال إلى أربعين يوم وجعلها عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ نوبة وأوحى اللّـه لنبيه إجعل مائدتي للفقراء دون الأغنياء، فكبر ذلك عليهم وطعن أغلبهم وكفـر وما إن ذهب ثلاثمائـة وثلاثون منهم إلى بيوتهـم وناموا مع أزواجهم حتى أصبح الصباح عليهم وهم خنازير يمشـون في الشـوارع يأكلون الأوساخ إلى ثلاثة أيام ثم ماتوا ليكونوا عبرة لمن يعتبر ونتيجة لحسـد الأغنياء للفقراء رفع اللّـه المائدة بعد يوم الأربعين.

كانت هذه نبذة موجزة عن المائدة الربانية ولكم أن تتخذوا منها ما تشـاؤن من الدروس والعبر.

بالعودة إلى الآيـة الكريمة يمكننا تحديـد بعض ما أراده نبيَّ اللّـه عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ من هذه المائدة الاية:

١. دَّلنـا إبتـداءً عـلى آداب الدعـاء والتوسـل باللّـه فلقـد تطهر وصـلى وبكى وطلـب مطلباً جماهيريا لا فرديـاً، وكما في المأثـور عن فاطمة الزهـراء عَلَيْهَا السَّلَامُ إنَّها كانت تدعـو للمؤمنين والمؤمنات فقال لهـا ولدها الحسـن عَلَيْهِ السَّلَامُ أُمَّاه أراك تدعـين للغير قبل أن تدعي لنفسـك قالت بني الجار قبل الدار.

٢. طلب نزول المائدة من السماء وهذا درس في التسـامي والترفع عن طلب الحاجات ممن هو أدنى تفادياً للذل والمهانة يقول الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إذا ماعضَّك الدهــــــــــــر
فلا تجنح إلــــــــــى الخلقِ
ولا تسأل ســــــوى اللَّـه
الـمـغـيـث الـعـالـم الحَقِّ
فــلــو عِــشــت وقـــد طُفتَ
مِــن الــغَــربِ إلــى الشرقِ
لمـــا صـــادفـــتَ مَــــن يِقدِرَ
أن يـــسُـــعِـــد أو يُشقي

٣. أشـار إلى العيد وأهميتـه وضرورة الإحسـاس بـه وإظهـار مشـاعر البهجة والسرور من لباس جميل وطعـام لذيذ ومـن هنا يتوضـح معنى كلمـة العيد، فهـو اليوم والحـال الذي نتمنى عودته وكما نقـول في عبارة التهاني يـوم العيد لبعضنا «ينعاد عليكـم بالأفراح» وقد طلب عيسـى عليه السلام السـعادة للأولين والآخرين وعلى قراءة لأولانا وأُخرانا يعني للدينا والآخرة، وكان أن نزلت المائـدة يوم الأحد وما أجمـل العيد عندما نعود إلى اللَّـه ورسـله ورسالاته في كل حركة أو سكنة نأتيها.

٤. أرادها أن تكـون آية تعمـق الإيـمان والثقـة باللَّـه في نفـوس عبـاده الذين يحتاجـون هذه البراهين بين مـدة وأُخرى فهي كالحافز للتوجـه والعودة إلى اللَّـــه، وما أحوجنا اليوم لمثل هذا.

٥. بالرغم من زهد المسيح عليه السلام المعروف واشـتغاله بحرفة الرعي والنجارة إلا أنه إستثمر الظرف وطلب الرزق من الرزاق ذي القوة المتـين لأن اللَّـه هو خير الرازقين ويجب طلب ذلك منه لا من سواه ومتى أحس العبد بأن رزقه على اللَّـه لم يكترث بغيره ولم يمدّ اليد إلى سواه.

٦. الفائدة الأخيرة هي لفت النظر إلى أهمية إطعام الطعام خصوصاً الطعام الذي يتسم بصفة

قدسية حيث الشفاء للمرضى واشباع الجوع للجائعين وإطفاء نيران الحسد التي تغلي أحياناً في قلوب الفقراء على الموسرين المترفين المبذرين وقد إشتهر أجدادنا الأوائل باكرام الضيف ورد لهفة الملهوف. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**أُحِبُّ من دنياكم ثلاث الضرب بالسيف والصوم في الصيف وإقراء الضيف**» كيف لا ولقد كان جدُّه عمرو العُلا يذبح الجمل تلو الجمل وبيده يهشم الثريد لضيوف بيت اللّه حتى قيل فيه:

عمرو العُلا هشم الثريد لقومه

ورجال مكة مسنتون عجاف

وكان الامام الحسين عليه السلام بعد وفاة أخيه الإمام الحسن عليه السلام يطعم الطعام في المدينة المنورة ستة أشهر ولا عجب فهو من الذين يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا، يدور الزمان وإذا به في كربلاء يحاصره القوم فيمنعون عنه الماء والطعام ولعل إقتصار المؤرخين والذاكرين على مصيبة العطش دون الجوع من باب الترفع وإلا فلا يحتمل ان يكون في خيام الحسين كسرة خبز أو حبَّة تمر والدليل على ذلك تقبّل بعض النساء والأطفال للتميرات التي قدموها لهم بعد مصارع الشهداء وإذا الحوراء زينب تلتقطها من أفواه الأطفال والنساء وهي تبكي وتنادي الصدقة حرامٌ على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبَّحكم اللّه تقتلنا رجالكم وتبكينا وتتصدّق علينا نساؤكم:

تتصدق السوادم علينه وعطايا الخلگ كلها إمندينه

ما خاب ظنه اليعتينه يظل كل سنة يروح ويجينيه

وسافه الزمن هالخان بينه ولينه إنذبح وإحنه انسبينه

ولأجل هذا يتسابق الشيعة في عاشوراء على إطعام الطعام وفتح الموائد الحسينية السخية على محبة الحسين عليه السلام وينشرون سبيل الماء وينادي المنادي إشرب الماء وإذكر عطش الحسين عليه السلام.

شيعتي مهما شربتم عذب ماءٍ فاذكروني
او سمعتم بغريبٍ أو شهيدٍ فاندبوني
فأنا السبط الذي من غيرِ جرمٍ قتلوني
وبجردِ الخيلِ بعدَ القَتلِ عمداً سحقوني
ليتكم في يوم عاشـ ورا جميعاً تنظروني
كيف أستسقي لطفلي فأبوا أن يرحموني
وسقوه سهم بغي عوض الماءِ المعينِ
عيوني تسچب العبرة بالمهاد على الظلوا على الغبرة بالمهاد
طفلهم مالحگ ينهزّ بالمهاد حزَّت رگبته سهام المنية

المحتوى

مقدمة ٧
هلاليات ١١
الجحود والصَلَف لدى الظالمين ١٣
أساليب الدعوة إلى اللـه ١٨
سعة النفس ٢٤
طريقان لا ثالث لهما ٣٠
الحسين والهجرة ٣٦
هلّ المحرم ٤٢
رأس السنة الهجرية ٤٨
التآلف والوحدة ٥٢
أنا مدينة العلم وعلي بابها ٥٧
الليلة الثانية ٦٣
المصلحون والنصر الإلهي ٦٥
كيف يتحقق العدل الاجتماعي؟ ٧٠
الإحياء في حياة الأولياء ٧٥
هوى النفس ٨١
الحسين عليه السلام بين العهد والميثاق ٨٥
المشروع الإلهي وسخرية المجتمع ٩١
حين لا ينفع الدليل ٩٧
أضرار النزعات القومية ١٠٢

أخطار الغفلة.. ١٠٨
حتمية نجاة الأنبياء ١١٣
الحسد ومواريث الأنبياء ١١٨
من أحيا الإسلام ومن أماته؟ ١٢٣
الإنفاق في سبيل اللـه وسعر الفائدة ١٢٧
عقاب القاتل ١٣٢
الولد الرضيّ ١٣٧
كربلاء في تراث الأباة.. ١٤١
ماذا يريدون من نور الله ١٤٥
أشهد أنك قد أقمت الصلاة ١٤٨
بين يحيى والحسين عليهما السلام.. ١٥٣
المواهب الخاصة ١٥٧
الغناء وآثاره السلبية ١٦١
سيناريوهات مفبركة ١٦٦
عيسى والحسين والعناية الإلهية.. ١٧٠
ماذا يعني قتل الحسين عليه السلام ١٧٤
النور والجسد.. ١٧٧
أصول الدين في سورة البقرة ١٨٣
الدعوة إلى الوحدة في القرآن ١٨٩
تنزيلات!! ١٩٣
الليلة الثالثة.. ١٩٩
الأمن الاجتماعي ٢٠١
عطاء الأرض والسماء ٢٠٦

التّولي والتّبري ٢١١
متى وكيف تنفع الموعظة؟ ٢١٦
رأسك أعجب يا حسين!! ٢٢١
ألا يكفي تنازلات؟! ٢٢٦
الخوف في حياة الأنبياء ٢٣٢
آثار الرواسب الفكرية ٢٣٧
المدد الإلهي ٢٤٣
الشجرة الملعونة ٢٤٨
الليلة الرابعة ٢٥٥
الديمقراطية بين الكم والنوع ٢٥٧
أهداف الصلاة ٢٦٢
تفاعل الوجود مع يوم الحسين عليه السلام ٢٦٧
جبال الإيمان المحمدية ٢٧٢
رحلة الموت ٢٧٨
كيف نتوحد؟ ٢٨٣
الإخاء الحقيقي ٢٨٨
النصر الظاهري والواقعي ٢٩٣
قوة التزام العقيدة ٢٩٨
الموت والآخرة ٣٠٣
حرمة البيوت ٣٠٨
حرم الله الآمن ٣١٣
ليلة مسلم بن عقيل ٣١٧
نقتلك بغضاً لأبيك ٣١٩

هبات اللّـه والمعقول ٣٢٤
مسلم بن عقيل ٣٢٩
مسلم بن عقيل والصلاة ٣٣٤
هل بين الله وأحد قرابة؟ ٣٣٩
وكُلٌ يدَّعي وَصلاً بليلى ٣٤٤
ليلة الأنصار ٣٥١
الحر الرياحي والفرار من الدنيا ٣٥٣
مصير قتلة الأنبياء ٣٥٨
يحيى والحسين عليهما السلام ٣٦٣
النصيحة ٣٦٩
من كان مع الله ٣٧٤
الإيمان بين الحقيقة والادّعاء ٣٧٩
الحر الرياحي وحسن العاقبة ٣٨٤
أنصار الحسين عليه السلام وأفضل الأعمال ٣٩٠
الفرق بين التهلكة والشهادة ٣٩٤
لا يستوون ٣٩٩
لمن الأولوية؟ ٤٠٤
العرب والأعراب ٤١٠
لا أرى الموت إلاّ سعادة ٤١٥
ليلة العباس ٤٢١
خطورة دور المرأة الاجتماعي ٤٢٣
العباس وعهد السقاء ٤٢٨
الغضب لله ٤٣٢

الشفاعة ٤٣٧
ليلة العباس عليه السلام وكتمان الأسرار ٤٤٢
العباس وطلب المغفرة ٤٤٧
العباس وأولياء الله عليهم السلام ٤٥٢
دعوة للتعاضد ٤٥٧
الشفاعة ٤٦٢
من خاف العيلة فقد أساء الظن بالله ٤٦٧
ليلة القاسم ٤٧٣
القاسم وشباب اليوم ٤٧٥
العلم المسبق لدى الأنبياء عليهم السلام ٤٨٠
حسن الاستجابة ٤٨٥
مجلس القاسم وفتح مكة ٤٩٠
القاسم وعهد الشهادة ٤٩٥
دفاعٌ عن الصدِّيق ٥٠١
مصيبة القاسم عليه السلام ٥٠٥
الحُبُّ الأسمى ٥٠٩
مصرع القاسم ٥١٤
الاعتدال وتحقيق الأهداف ٥١٩
ليلة علي الأكبر ٥٢٥
علي الأكبر والحق ٥٢٧
علي الأكبر زينة الوجود ٥٣٢
الشهيد الصدِّيق الصالح ٥٤٢
بين علي الأكبر عليه السلام ويام بن نوح ٥٤٨

مشروعية البكاء ٥٥٣
الإيقاعات الحسينية ٥٥٧
جبال الإيمان المحمدية ٥٦٢
ابن نوح والأسباب المادية ٥٦٧
علي الأكبر عليه السلام ٥٧٢
ليلة الوداع والرضيع ٥٧٧
بين فرعون موسى وحرملة........................ ٥٧٩
علم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما ينتظرهم ٥٨٤
الطفل الرضيع ٥٩١
الصبر والصلاة عند الحسين عليه السلام ٥٩٦
بين ومضة الوعي والانتكاس ٦٠٢
ذبيح الله........................ ٦٠٧
هل آذى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قتل الحسين عليه السلام؟ ٦١١
عيون الماء في كربلاء ٦١٥
كتاب الله المهجور ٦٢٠
الإيمان بالغيب قبل العمل ٦٢٥
المباهلة الحسينية ٦٢٩
التضرع ٦٣٢
أهون من فصيل ٦٣٦
اليوم العاشر ٦٤١
من الغالب ومن المغلوب؟ ٦٤٣
احتجاجات الإمام الحسين عليه السلام ٦٤٨
وجود محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ٦٥٤

موضوع استخدام القرآن ٦٦٠
الرضوخ لمنطق الحق ٦٦٥
بين دعاء ودعاء ٦٦٩
لمن نلجأ في الملمات؟ ٦٧٣
من شب على شيء شاب عليه ٦٧٨
أساليب الدعوة ٦٨٣
التوعية الحسينية ٦٨٨
«الحَسَد» ٦٩٢
القرآن والموضة ٦٩٧
اليوم الحادي عشر ٧٠١
الإسراء والمعراج ٧٠٣
كيف ترقّق قلبك ٧٠٩
حرب المواقع ٧١٤
النذر والإنذار ٧١٩
موائد السماء ٧٢٤
الى متى تظلمون الحسين «ع» ٧٢٨
آداب البيوت ٧٣٣
اليوم الثاني عشر ٧٣٧
الجنُّ أمْ أولياء الله؟ ٧٣٩
إطعام الطعام وجوع الفقراء ٧٤٤